

الزعميا



الزعميا تاوريا نيسوب ماضي

[القائمة الرئيسية](#)

سوف تجد نتيجة البحث مظلمة بللون مختلف
لإلغاء البحث اضغط F5

اضغط مفتاحي + / - علي لوحة المفاتيح

من تفسير وتأملات
الآباء الأولين

إرميا

القصص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

سفر كل عصر

لسفر رميا أهمية خاصة تمس حياة المؤمنين في كل عصر.

عاش النبي في فترة عصيبة، فمنذ حوالي قرن سقطت مملكة الشمال "إسرائيل" بأسباطها العشرة تحت السبي، وزال مجدها بسبب ما اتسم بها ملوكها العتاة من عجرفة وفساد. أما مملكة الجنوب "يهودا" فعوض أن تتعظ بما حلّ بأختها "إسرائيل"، نست أو تناست ما صنعتها الخطية بأختها، حاسبة أن ذلك هو حكم إلهي عادل لانفصالها عن يهوذا وإقامتها مركزاً للعبادة في السامرة عوض هيكل أورشليم.

مع بداية خدمة رميا كان الكل - الملك والمشيرون والكهنة وكل القيادات الدينية والشعب - متفائلًا، وقد انصرفوا إلى عبادة الأوثان وانحطت أخلاقياتهم حتى سكنت الثورات حول بيت الرب يكوسن حياتهن لارتكاب الشر مع القادمين للعبادة، وانشغل رجال الدين مع الأنبياء الكذبة بمحبة المال والمجد الباطل. وإذا أراد يوشيا الملك الإصلاح قام بترميم الهيكل، لكن الإصلاح لم يصل إلى القلوب. فجاء رميا يحذر وينذر معلناً ضرورة التوبة والرجوع إلى الله بكل القلب، مهتمًا بالإصلاح الداخلي للنفس وإسقاط المملكة! هذا هو مفتاح السفر.

إن كان هناك ترميم لبيت الرب، فالحاجة ماسة إلى ترميم القلب كمسكن خفي للرب.

وإن كانت هناك ضرورة للذبايح، فيؤم أيضًا تقديم الطاعة لله ذبيحة حب له.

وإن كان لابد من الختان فليُختن القلب والحراس أيضًا.

إن كانوا أثناء الترميم قد وجوا سفر الشريعة، فيليق بنا أن نجدها منقوشة بالروح القدس داخل النفس.

وسط هذا الظلام الدامس أشوقت أشعة الرجاء بالرب على النبي الباكي الشجاع، إذ رأى من بعيد المخلص قادمًا ليقم عهدًا جديدًا، فيه

تُنقش شريعة الله لا على لوح حجر، إنما داخل القلب الحجري لتجعل منه سماءً مقدسة!

هذا السفر في حقيقته هو سفر كل نفس قد مالت في ضعفها إلى تغطية ذاتها بالشكليات في العبادة دون التمتع بعمل الله الخفي والانشغال

بالعريس السموي!

في هذا السفر نرى رجل الله مختفيًا وراء كلمة الله النارية لكي يعلن الحق الذي كاد أن يرفضه الكل . يكشف أحكام الله وتأديباته في غير

مداهنة ولا مجاملة؛ بل في انضاع مع حزم، في قوة مع بث روح الرجاء... وقد كلفه ذلك احتمال اضطهادات كثرة ومتاعب، بل ودفع حياته كلها ثمناً

لذلك.

لخص العلامة أوريجينوس غاية هذا السفر بقوله:

[أنظر إذا أي شقاء عظيم أن يخطئ الإنسان فيسلم إلى الشيطان، الذي يسبي (بأسر) النفوس التي تخلى عنها الله. لكن ليس بدون سبب يتوك الله هؤلاء الخطاة. فإنه عندما يرسل المطر على الكومة ثم لا تعطيه هذه الكومة سوى شوكة بدلاً من العنب، ماذا يفعل الله بها إلا أن يأمر السحب بألا تمطر

عليها؟

إذا نحن أيضًا مهذبون بسبب خطايانا، إن لم نتب يجب أن نسلم إلى نبوخذنصر وإلى البابليين حتى يعذبونا بالمعنى الروحي. أمام هذا التهديد،

تدعونا كلمات الأنبياء، وكلمات الشريعة، وكلمات الرسل، وكلمات إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح إلى التوبة وإلى الرجوع. إن سمعنا لهم نؤمن بالذي قال:

"ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه" (يونان 3: 10) [\[1\]](#).

والآن أقدم لك أيها العزيز مقدمة بسيطة للسفر مع تفسير مختصر وتأملات لرجو أن تسندنا بروح الله القنوس على التمتع بأسوار هذا السفر

الروحية العميقة وفاعلية كلمة الله فينا، مستندًا على بعض مفاهيم الأولين.

[الأصحاح الخامس عشر](#) (الشفاعة المفوضة)

[الأصحاح السادس عشر](#) (منعه من الزواج)

[الأصحاح السابع عشر](#) (خطايا يهوذا)

[الأصحاح الثامن عشر](#) (مثل الفخري)

[الأصحاح التاسع عشر](#) (مَثَلُ الإناء الخرفي)

[الأصحاح العشرون](#) (مقومة فشور له)

الجزء الثاني

[الأصحاحات 21-33](#) (نبوات ما قبل السقوط)

[الأصحاح الحادي والعشرون](#) (قيادة جاحدة)

[الأصحاح الثاني والعشرون](#) (حاجة الملك إلى التوبة)

[الأصحاح الثالث والعشرون](#) (الوبراعينا وونا)

[الأصحاح الرابع والعشرون](#) (سَلْتَا التين)

[الأصحاح الخامس والعشرون](#) (كأس خمر السخط)

[الأصحاح الثالث والأربعون](#) (حمل رميا إلى مصر قسواً)

[الأصحاح الرابع والأربعون](#) (نبواته في مصر)

[الأصحاح الخامس والأربعون](#) (حديث مؤي مع بلوخ)

[الأصحاحات 46-51](#) (نبوات عن الأمم)

[الأصحاح السادس والأربعون](#) (ارتعاب مصر الوثنية)

[الأصحاح السابع والأربعون](#) (سيف الوب)

[الأصحاح الثامن والأربعون](#) (نبوات ضد موآب)

[الأصحاح التاسع والأربعون](#) (نبوات ضد الأمم)

[الأصحاح الخمسون](#) (سقطت، سقطت أساسات بابل!!)

[الأصحاح الحادي والخمسون](#) (اهربوا من بابل!)

[الأصحاح الثاني والخمسون](#) (ملحق تاريخي)

– [المحتويات](#)

مقدمة في سفر رميا

اسم السفر:

جاء اسم رميا في العبرية "Yirmya" أو "Yirmyahu" (رمياهو)، وجاء في الترجمة السبعينية *Iremias* (رمياس)، وفي الطبقات اللاتينية *Jeremias* (جرمياس).

رميا النبي وظروف الكتابة:

في هذا السفر امتوجت حياة رميا النبي والأحداث التاريخية في عهده بالنبوة، لذا أجد نفسي مؤمناً أن أكتب أولاً عن حياة هذا النبي مع عرض سريع للأحداث المعاصرة له، وإن كان قد سبق لي عرض بعضها في سفر حزقيال الذي عاصر رميا النبي في أواخر أيامه.

1 . إن كان هذا السفر يُنسب لإرميا النبي، لكن البعض وى أن صديقه الحميم "بلوخ" الكاتب هو الذي سجله (36: 23)، إذ كان محتفظاً بمنطوقات النبي ومدركاً لدقائق حياته.

2 . كلمة "رميا" تعني "يهوه يؤسس أو يثبت"، وربما تعني "يهوه يرفع أو يمجّد"^[2]. ففي أحلك الفترات ظلاماً، بينما كان إسرائيل مسيئاً

5 .ربما كُشِبَ رُأد الزواج كعادة شعبه لِيُوح بإقامة نسلٍ باسمه، ولِيُدْفنه وُلاده عند موته. لكنه امتنع عن الزواج بأمر إلهي (16: 1-4)، كعملٍ رِيْزي أن الشعب يموت ولا يجد من يدفنه: "قيموت الكبار والصغار في هذه الأرض، لا يُدْفنون ولا يندبونهم..." (16: 6)، أما عن انقطاع الوُح يقول: "ولا تدخل بيت الوليمة لتجلس معهم للأكل والشرب" (16: 8).

6 . بدأ لرميا خدمته في السنة الثالثة عشرة لملك يوشيا (626 ق.م)، أي بعد حوالي خمس سنوات من حركة الإصلاح الدينية العظيمة الوردية في (2 مل 23) [7]، واستمر في عمله النبوي حتى حوالي سنة 586 ق.م، أي لمدة حوالي 40 عامًا. اسم الملك "يوشيا" بالعبرية معناه "يهوه يشفي"، تَوأ العرش وهو ابن ثمانية سنوات. بالرغم من مقالومة يوشيا الملك للوثنية بكل طاقاته، لكن تيار الفساد كان متغلغلًا في النفوس.

مع بداية خدمة لرميا كان موضوع استقلال يهوذا عن آشور قد بدأ يظهر كأمرٍ عملي، وتطلع الكل بنظرة تفاؤلية نحو مستقبل يهوذا، بينما وقف لرميا وحده أمام هذا التيار الشعبي والديني ليكرر أن هجومًا من الشمال يحل بيهوذا، وأن الله قد تخلى عن يهوذا! بعد خمس سنوات من عمل لرميا، أي في السنة الثامنة عشرة من ملك يوشيا بدأ ترميم الهيكل، وفي أثناءه وجد شافان الكاتب سفر الشريعة المفقود، فأخبر حلقيبا الكاهن العظيم، وقُدّم السفر للملك الذي تأثر به جدًّا ومع ما بذله الملك من إصلاحات لم يهتم الرؤساء المدنيين والدينيين والشعب أيضًا بإصلاح قلوبهم، مكتفين بترميم الهيكل وممارسة العبادة في شكليات بلا روح، مموجة بالرجاسات الوثنية.

7 . واجه لرميا النبي مشكلتين إحداهما تخص قريته، والثانية تخص مملكة يهوذا ككل. فمن جهة قريته، هاج أهلها عليه، لأنه شدد على ضرورة الائتام بما جاء في الشريعة، وهي حصر العبادة العامة في الهيكل بأورشليم، الأمر الذي لا يقبله أهل عناوث بكونهم سلالة الكاهن أبياتار المطرود من أورشليم، فكانوا يجرون طقوس العبادة مستقلين عن أورشليم. بهذا ظهر لرميا كخائن لعائلته وقريته.

من جهة أخرى إذ رأى أهل قريته أن مملكة يهوذا بملكها وقياداتها وشعبها في ثورة ضد لرميا النبي كخائنٍ وطني حاولوا التبرؤ منه بجحده ومقاومته حتى لا يُنظر إليهم كخونة للوطن.

أما من جهة مملكة يهوذا ككل، فتلخصت مشكلته معهم في أمرين: وُلأ حينما بدأوا في حركة الإصلاح في أيام يوشيا ركزوا على الشكليات نون الجهر، يربون إصلاح الهيكل نون تطهير القلب. ثانيًا، كان الحكام والشعب في مورة وصواع بين التحالف مع فوعون مصر أم مع بابل. فالغالبية لا تطيق بابل وتتوقع هجومها بين الحين والآخر، مما دفعهم للارتقاء في أحضان فوعون مصر وإن كانت خروتهم مع الواعنة ليست بطيبة. ويمكننا إوارك ذلك الصواع مما حدث مع الملوك الخمسة الذين عاصوهم لرميا أثناء نبوته:

أ. يوشيا الملك (626-609 ق.م): قتله المصريون عام 609 في معركة مجدو.
ب. يهوآحاز (609 ق.م): أقامه فوعون عوض أبيه وخلعه بعد ثلاثة شهور (2 أي 36: 2).
ج. يهوياقيم (609-597 ق.م): أقامه فوعون عوض أخيه، وبقي مواليا له لمدة أربع سنوات، وإذ غلب نوخذنصر فوعون خضع لبابل، وكان موته غامضًا.

د. يهوياكين (597 ق.م): بعد إقامته ملكًا عوض والده بثلاثة شهور أخذه نوخذنصر أسوأ.
هـ. صدقيا (597-587 ق.م): أقامه نوخذنصر عوض ابن أخيه. كان في صواع بين ولاته لسيدته في بابل وبين محاولته لرضاء الشعب الذي مال إلى فوعون مصر لحمايته من بابل، متطلعين إلى يهوياكين الأسير في بابل كملكٍ شوعي. تحالف صدقيا قلبيا مع فوعون، فسباه ملك بابل بعد أن فقأ عينيه وسبى أورشليم ويهوذا (39: 1-7).

هذه صورة مختصرة تكشف كيف كان يهوذا بين حجري رحى، وعوضًا عن الالتجاء إلى الله بالتوبة للتمتع بالخلاص اتكأ على هذا أو ذلك.

8 . فيما يلي الأحداث في أكثر تفصيل حتى يمكن متابعة الظروف المحيطة بلرميا النبي .

في بدء رسالته (626 ق.م) كانت آشور في الوادي الشمالي للوات سيدة العالم لمدة حوالي 300 عامًا، وكانت عاصمتها نينوى. ولم يكن أحد يتخيل قط أنه يمكن أن تتهار يوماً ما؛ وكانت مصر منذ حوالي 1000 عام قبل قيام آشور قوة عالمية تمسك زمام السلطة في العالم لكنها بدأت تتهار. في السنة التالية لخدمة لرميا (625 ق.م) أسس نبوبلاسر النولة البابلية الجديدة (في الوادي الجنوبي لنهر الوات)، وكانت بابل أشبه بدويلة صغيرة لا قوة لها؛ لا يتوقع أحد أنها في الطريق لاستلام سيادة العالم من آشور حيث تغرب شمسها إلى غير رجعة بعد سقوط نينوى عام 612 ق.م، ونصوتها على فوعن مصر .

بعد موت آشور بانبيال حلّ الضعف بأشور، فصلت عاجزة عن منع يوشيا من التحرك نحو الاستقلال والتحرر من النفوذ الأشوري. وقام أهل سمونا والسكيثيون باقتطاع أجزاء من الإمبراطورية الآشورية. وصار بنو مادي في غرب إوان يمثلون خطراً يهدد آشور... انتهى الأمر بانهبان آشور .

بسقوط نينوى عاصمة آشور عام 612 ق.م انتهت مملكة آشور، فبدى كأن لرميا قد أخطأ في تفسيره لمركز يهوذا السياسي، إذ حسب الكل أنه لم يعد بعد هناك خطر على يهوذا بعد انهيار آشور، وأن نظرة لرميا التشاؤمية غير صادقة.

في سنة 609 ق.م حشد نحو *Necho* فوعن مصر جيشه وتقدم لاحتلال أرض الوات، فاحتل قوّة وعسقلان وغرهما من المدن الفلسطينية وكان هدفه مساعدة الآشوريين الذين كانوا يقومون بمحاولة مستميتة للصوص في وجه البابليين في حران. حاول يوشيا أن يوقفه عند مجدور بما حاسباً أن الله يسنده في ذلك، متكللاً على وعود الأنبياء الكذبة التفاؤلية، لكنه قُتل. وبقتل يوشيا أُقيم ابنه يهوآحاز (تعني يوه يأخذ) أو شلوم (إر 22: 11) ملكاً، وكان شوواً. خلعه فوعن نحو بعد ثلاثة شهور وأسره في ريلة، ثم أخذه إلى مصر، وأقام أخاه يهوياقيم (تعني يوه يقيم) أو الياقيم عوضاً عنه.

9 . عند تجليس يهوياقيم أو في السنوات الأولى من حكمه أعلن لرميا النبي في دار الهيكل أنه إن لم يغيّر يهوذا طريقه فسيخرب الهيكل نفسه (7: 1-15؛ 26: 1-6) . أثرت هذه النبوة شغباً، ولولا تدخل بعض الأشراف لقتل الشعب التائر لرميا (26: 7-24) ^[8] .

رُهِق يهوياقيم الشعب بالضرائب ليدفع الجزية لسيدته المصري، وكان يدفعها لمدة أربع سنوات (2 مل 32: 31-35)، وقد عبد الأوثان وصنع الشر. وفي السنة الرابعة من حكمه سجل لرميا النوات التي نطق بها خلال السنوات السابقة، وقام بلروح بنسخها في ورج، وإذ مُنِع لرميا من الدخول إلى بيت الله زماناً طويلاً أمر بلروح أن يأخذ الراج إلى الهيكل ويقوّه أمام الشعب الحاضر بمناسبة الصوم. وصل الراج إلى يد الملك فاستمع إلى بعض قوّاته، وعندئذ مزقه وأحرقه بالنار. قام لرميا بكتابة توجين كالراج الأول مع إضافات (36: 27-32) بتوجيه إلهي، ولكن الكاهن فشور الناظر الأول للهيكل وأحد أعداء النبي وضعه في مقطرة ثم أطلقه في اليوم التالي (20: 1-3).

في نفس السنة (605 ق.م)، أي السنة الرابعة من حكمه، تغلب نبوخذنصر على نحو فوعن مصر في معركة كركميش *Carchemish* (إر 46: 1-2)، فاضطر يهوياقين أن يحول ولاءه وخضوعه لمصر إلى بابل، لكن ظل قسم ليس بقليل من الشعب يفضل الخضوع لمصر للجهاد معها ضد بابل، ويبدو أن يهوياقيم نفسه كان يميل إلى هذا، لكن لرميا حذر من ذلك.

موت بيهوذا قوّة هوء نسبي، شجعت يهوذا على الثورة ضد بابل، لكن الأخرة أرسلت فرقاً من الجيش إلى فلسطين. وفي عام 598 ق.م وصل جيشها إلى يهوذا، وفي هذا الوقت مات يهوياقيم بطريقة غامضة، ووَجَّ ابنه يهوياكين (يكينا) المملوء شوواً. لم يدم ملكه سوى ثلاثة شهور، وجاء نبوخذنصر إلى أورشليم وأخذه هو وعائلته ورؤساء الشعب مع خزائن بيت الرب إلى بابل (2 مل 24: 8-16)، وعاش أسوأ في السبي.

مما يجدر ملاحظته أن السلطات اليهودية تطلعت إلى نوات لرميا وكلماته أثناء حصار أورشليم بمنظار سياسي حربي لا ديني، فأت فيها تحطيماً لمعنويات الجيش ونفسية الشعب، فحسبته خائناً وطنياً.

10 . ملك نبوخذنصر الملك صدقياً عوضاً عن أخيه يهوياكين (2 مل 24: 17)، وكان شوواً، لم يبال بكلمات لرميا بل ونجس الهيكل. في

بداية حكمه كان بعض رجال يهوذا يتطلعون إلى يهوياكين المسبي كملك شوعي، يأملون في رجوعه واستعادته العوش (إر 17-29)؛ لذا كان صدقيًا في صواع بين رغبته في الظهور بالخضوع لسيده البابلي وبين إظهار روح الوطنية أمام الشعب ومضاداته لبابل المستعمر.

في عام 588 ق.م سار نبوخذنصر مرة أخرى إلى يهوذا وحاصر أورشليم. في الشهور الأولى من الحصار طلب صدقيا المشورة من رميا النبي (21: 1-14) فأخوه بأن الخضوع للبابليين هو الطريق الوحيد لإنقاذ حياته ومدينته، لكن الملك لم يقدر أن يقدم هذه المشورة لرجاله بسبب ضعف شخصيته. تحرك الجيش المصري نحو فلسطين، ففك البابليون الحصار عن أورشليم مؤقتًا لمواجهة المصريين، ليعود فيحاصوها من جديد بعد تدبير أمره مع فرعون.

انتهاز رميا فرصة فك الحصار المؤقت ورأد الذهاب إلى قريته (32: 6)، فأنتهم أنه هرب إلى الكلدانيين كخائن (37: 11). ألقى في الجب (37: 1-15)، وبعد أيام كثرة أطلقه الملك صدقيا من حبسه وسأله سواً عن كلمة الرب بشأنه. وهنا يظهر صدقيا أنه يحترم رميا لكنه لضعف شخصيته كان يخشى الرؤساء. أخبر رميا الملك أنه سيدفع إلى ملك بابل، فأمر الملك بإيداعه في دار السجن وإحسان معاملته بعض الشيء، ولكن الرؤساء أخوه وألقوه في الجب ليموت جوعاً (37: 16-21؛ 38: 1-6). أشفق عليه خصي أثيوي (عبد ملك) فاستأذن الملك أن يُرفع رميا من وحل الجب ويُوضع في دار السجن فسمح له، وبقي هناك حتى استسلمت أورشليم (38: 7-28).

11. في سنة 587 ق.م سقطت أورشليم، وقتل نبوخذنصر كثيرين، كما سبى البعض إلى بابل. فقأ عيني صدقيا واقتاده مسيياً إلى بابل. أما من جهة رميا فقد علم ملك بابل ما عاناه فظن أنه يفعل ذلك لأجله، فأصدر تعليماته بإحسان معاملته. أرسل نوزردان الكلداني رئيس الشوطة إلى دار السجن ليستدعيه مع غوه من الأسرى إلى رامه، ومنحه حق الخيار بين الذهاب إلى بابل أو البقاء في يهوذا، وقدم له رئيس الشوطة زادا وهدية وأطلقه. أتى رميا إلى جدليا بن أخيقام والى المنطقة، إلى المصفاة، وأقام عنده مع الشعب الباقي في يهوذا (39: 11-14؛ 40: 1-6). رفض لمياريحته وكرامته، مفضلاً أن يعيش متألماً وسط من أحبهم بالرغم من كراهيتهم له.

12. لما قُتل جدليا حث رميا النبي الشعب ألا يهربوا إلى مصر، لكن عبثاً حاول أن يثنيهم عن غزهم، فلم يذهبوا هم وحدهم إلى مصر وإنما رُغمه أيضاً هو وصديقه الحميم بلوخ الكاتب على موافقتهم في رحلتهم (41: 1؛ 43: 7)، وهناك نطق نواته الأخوة في تحفحيس بمصر (43: 8؛ 44: 30). يوجد تقليد يقول إنه رُجم في مصر بسبب توبيخاته لشعبه [9].

13. يلقب البعض رميا "رجل كل الفصول" [10]. عاش في ظروف متغيرة، بدأ نبوته في عهد يوشيا حيث كان الملك وكل يهوذا في سلام، وتوقع الكل الاستقلال التام من أشور مع حركة الإصلاح الخرجية. وانتهت حياته بالرحم في أرض غريبة (مصر)، حيث لم تعد مملكة يهوذا قائمة، بل سبى أغلب الشعب إلى بابل، وهوب البعض إلى مصر، وخربت أورشليم لتصير موعى غنم، وحرق الهيكل.

امتدت خدمة رميا لتشمل حوالي العشرين عاماً الأخوة من الإماطورية الآشورية العظيمة والعشوين عاماً الأولى من إماطورية بابل الجديدة التي قامت عام 605 ق.م، لتصير أعظم من أشور.

عاصر رميا ثلاثة أحداث خطوة قلبت الموزين:

أ. معركة مجدو سنة 609 ق.م.

ب. معركة كركميش بالقرب من نفس الموقع، بعد أربع سنوات حيث انهزمت مصر لتصير بابل سيدة العالم.

ج. سبي أورشليم بواسطة نبوخذنصر وتدمير المدينة المقدسة والهيكل.

عاصر أيضاً رميا ثلاثة معارك رئيسية ليهوذا: معركة ضد مصر (609 ق.م)، ومعركتان ضد بابل (597، 587).

عاصر أيضاً ثلاث مراحل للسبي (597، 587، 582 ق.م). ووى البعض أن رميا عاصر السبي في مراحل الأربع:

أ. السبي الأول: سنة 606 ق.م. في أيام الملك يهوياقيم، فيه سبى دانيال وأصدقؤه الثلاثة (2 أي 6: 36، 7، دا 1: 1، 2، 6).

- ب. السبي الثاني: سنة 599 ق.م. في أيام الملك يهوياكين، ويسمى السبي العظيم (2 مل 24: 8-16، 2 أي 36: 9-10)، فيه سُبي حزقيال النبي (حز 1: 1-2)؛ ومردخاي (إس 2: 6).
- ج. السبي الثالث: سنة 588 ق.م. بسبب تعود صدقيا الملك على نبوخذنصر (2 أي 36: 2)، حيث حوصرت أورشليم واشتد بها الجوع (إر 37: 5-7)، لكن عاد جيش الكلدانيين يستأنف حصره، واضطر صدقيا إلى الهروب، فقبض عليه.
- د. السبي الرابع: سنة 584 ق.م على يد نبوزردان رئيس الشرط (إر 52: 12، 30)، حيث أُحرق بيت الرب وبيت الملك وهدمت أسوار المدينة وبعد ثلاثة أيام انتهت أعمال التدمير الشامل، فصار اليوم العاشر من الشهر الخامس يوم بكاء لسقوط أورشليم (إر 52: 12؛ زك 7: 3، 5؛ 8: 19).

- 14 . بدأ رميا خدمته النبوية بعد 60 عامًا من نياحة إشعيا النبي الإنجيلي. عاصر النبوة خلدة، والنبين حبقوق وصفنيا اللذين ساعدها في أورشليم، وحزقيال الكاهن ودانيال الذي يحمل دمًا ملوكيًا؛ وربما أيضًا ناحوم ^[111] الذي تنبأ عن سقوط نينوى، وعوبديا الذي تنبأ عن دمار آدوم ^[12].
- عاش رميا بولًا، لم يتزوج، بأمر إلهي، حتى لا يقاسي ولاده مما سيعاني منه الشعب من هوج وسيفٍ وعارٍ (إر 16: 1-4). في خدمته اجتذب قلة قليلة من الأصدقاء، من بينهم اخيقان بن شافان (26: 24)، وابنه جدليا (39: 14)، وعبد ملك الكوشي (38: 7-13؛ 39: 16)، وكتبه الوفي بلوخ (36: 4-32).

قائمة تاريخية بعصر رميا:

- 627 ق.م الملك يوشيا يبدأ إصلاحاته (2 أي 34).
- 626 ق.م دعوة رميا للعمل النبوي.
- 626 ق.م غزو السكيثيين (إر 4).
- 621 ق.م وجود كتاب التوراة أثناء إصلاح يوشيا (2 مل 22، 23).
- 612 ق.م انهيار نينوى أمام بابل (ربما عام 607 ق.م).
- 609 ق.م قتل يوشيا في موقعة مجدو بواسطة فوعون، وانتهاء استقلال يهوذا.
- 606 ق.م السبي الأول ليهوذا بواسطة بابل (خواب جزئي لأورشليم).
- 605 ق.م معركة كركميش (بابل تحطم مصر).
- 604 ق.م حرق الراج الذي به نوات رميا النبي (ربما سنة 602م) ^[13].
- 597-8 ق.م أسر يهوياكين.
- 593 ق.م صدقيا يزور بابل.
- 587 ق.م السبي الثاني ليهوذا بواسطة بابل.
- 586 ق.م حرق الهيكل.
- 582 ق.م السبي الثالث.

الملوك المعاصرون لإرميا:

1. منسى (597-642 ق.م): 55 عامًا، وُلد لرميا النبي (2 أي 33: 1)، أشر ملوك يهوذا.
2. آمون (641-640 ق.م): سنتان، شوير مثل أبيه (2 أي 33: 21-22).

3. يوشيا (608-639 ق.م): 31 عامًا، ملك صالح. بدأ رميا عمله في السنة 13 من ملكه.
4. يهوآحاز (609 ق.م): 3 شهور، حُمل إلى مصر.
5. يهوياقيم (609-597 ق.م): شوير، حمل عدوة مرة ضد رميا.
6. يهوياكين (597 ق.م): 3 شهور، حُمل إلى بابل.
7. صدقيا (597-587 ق.م): صديق لرميا، لكنه ضعيف الشخصية فكان أداة في يد الأشراف والمشيرين الأشرار.

غرض السفر:

- 1 . كان رميا يتوجى أن يدخل بمملكة يهوذا إلى التوبة لكي يتجنب كلثة السبي البابلي، وذلك كما فعل إشعياء النبي قبله بقونٍ مشتاقاً أن يعين إسوانيل لتجنب السبي الأشوري.
- 2 . يعلن قضاء الله وتأديباته خاصة بواسطة السبي، كما يكشف عن مراحم الله وترفقه بلجاعهم من السبي ومعاقبة من سيوهم ومن شمتوا بهم من الأمم الغربية. وكان النبي أراد لهم ألا يسقطوا في اليأس مركين أن سرّ الغلبة أو الهزيمة هو في داخلهم بالالتقاء مع الله واهب النصوة أو كسر الميثاق معه.
- 3 . إن كانت كلمات السفر موجهة بالأكثر إلى يهوذا في أيام النبي غير أنها هي إعلانات إلهية لا يحدها زمن، موجهة إلى البشرية في كل جيل، يفهمها المعاصرون من خلال عمل المسيح الخلاصي للتححرر من سبي إبليس وتحطيم مملكة الظلمة من داخلنا.
- اشترك أغلب الأنبياء في الأغراض السابقة بطريقة أو أخرى، لكن حمل كل نبي اتجاهاً معيناً في كتاباته، فاهتم عاموس النبي بالجانب السلوكي بينما ركز هوشع على إحساسات الحب الشخصي الذي يربط الله بشعبه، وتحدث إشعياء النبي الإنجيلي عن الله كضابط الشعوب بطريقة فائقة، أما رميا فركز على الآتي:

- 1 . الحاجة إلى التوبة والروح إلى الله.
2. الحاجة إلى إصلاح القلب الداخلي.
- 3 . الله هو سيد التاريخ، يعمل لخير البشرية كلها.
- 4 . خطب الله إسوانيل (كنيسة العهد القديم) عروساً، لكن الحاجة إلى عهد جديد.
5. الحاجة إلى المسيا الملك البار ليحقق الخلاص (نتحدث عنه في نهاية المقدمة).

1. الحاجة إلى التوبة:

- جاء رميا النبي يعلن كلمات الرب الحلّمة، مهدداً بالسبي، لا لأجل الانتقام، ولا لأجل التهديد في ذاته، وإنما بالأحرى لكي يخشوا الرب فوجعوا إليه. إن كانوا لا يرجعون خلال اللطف، فلوجعوا خلال التهديدات، وإن لم وجعوا يسقطون تحت التأديب فوجعوا خلال الألم. وللعلامة أوريجينوس عبارات جميلة عن محبة الله خلال تهديده الخطة، إذ يقول:
- [الله سريع في تقديمه الخير، بطيء في العقاب لمستحقه.
- بالرغم من أنه قادر على توقيع العقاب على الذين هم تحت الحكم بدون أن يتكلم أو يندر، لكنه يندرو ولا يعمل حالاً حتى يعطي الفرصة لتوع الاستحقاق للتأديب ، باعتبار أن الكلام هو وسيلة لرفع العقوبة عن المحكوم عليه.

يمكننا أن نقدم أمثلة عديدة لحنان الله من الكتاب المقدس، ولكن يكفي الآن هذا العدد الصغير الحاضر في ذهني...

صار أهل نينوى خطاة، وقد تم الحكم عليهم من قبل الله: بعد ثلاثة أيام كان يجب أن تنقلب مدينة نينوى (يونان 3: 4). لم يشأ الله توقيع حكمه

عليها دون أن ينطق بشيء، لكنه أعطاها فرصة للتوبة (حك 12: 10) ، وفرصة للرجوع، وأرسل لها نبيًا عوانيًا، حتى متى أبلغها النبي: بعد ثلاثة أيام تنقلب نينوى، يصير أهلها غير محكوم عليهم فيما بعد، وإنما بتوبتهم يتمتعون بالرحمة الإلهية.

كان سكان سدوم وعمورة محكومًا عليهم، كما يظهر من كلام الله لإبراهيم؛ ومع ذلك فقد قام الملائكة وواجبهم في البحث عن خلاص أناس لم يكونوا يريدون أن يخلصوا، حينما قالوا للوط: "من لك أيضًا هنا، أصهلك وبنيك وبناتك وكل من لك في المدينة؟ أخرج من المكان!" (تك 19: 12)، لم تكن الملائكة تجهل أن هؤلاء لن يتبعوا لوط، ولكنهم أكملوا عمل الخير والصلاح من قبل الذي أرسلهم. (نصح لوط أصحابه بالخروج من المدينة، لكنهم رفضوا أن يسموه، ففي الغد أخرج الملائكة لوط وبناته، وتركين أصحابه) [14].

كما يقول العلامة أوريجينوس: [عاتب الله أورشليم من أجل خطاياها، وكان الحكم هو تسليم سكانها للسبي، وبحبه ورحمته أرسل الله هذا النبي قبل تحقيق السبي بثلاثة ملوك حتى يعطي الفرصة للراغبين في إعادة التفكير والندم والتوبة خلال أقوال النبي... كان الله الطويل الأناة يقدم فزة استعداد حتى عشية السبي لكي يتوب السامعون فيعفون من آلام السبي... وحتى إذ بدأ السبي استمر لرميا يتنبأ وكأنه يقول: لقد صرتم تحت السبي، ومع هذا فإن رجعتم وتبتم لا تستمروا تحته طويلاً بل تشمكم نعمة الله وغوانه. ونحن أيضًا نجد في هذا نفعًا لنا، إذ نحن ساقطون تحت ما يشبه السبي... فإننا إذ نخطئ نصير أسوأ، نُسلم أنفسنا للشيطان، الأمر الذي لا يختلف كثيرًا عن سقوط سكان أورشليم تحت يد نبوخذنصر. وكما سلم هؤلاء لنبوخذ نصر بسبب خطاياهم، هكذا نُسلم نحن للشيطان بسبب خطايانا] [15].

كأن رسالة لرميا النبي هي التوبة والرجوع إلى الله بكونه الطريق الوحيد للخلاص من هذا السبي!

2. إصلاح القلب الداخلي:

يعتبر لرميا أكثر الأنبياء الذين تحدثوا عن القلب. وى لرميا النبي أن القلب قد صار نجسًا بالطبيعة كثرة للسقوط: "القلب أخدع من كل شيء وهو نجس" (17: 9)، وكما يقول إشعياء النبي: "قلب مخفوع قد أضله فلا ينجي نفسه، ولا يقول: أليس كذب في يميني؟!" (إش 44: 20). هذا الفساد أفقد الإنسان بصوته الداخلية، فلا وى خطاياها ولا يكتشفها، بل يقول: "لماذا أصابتنى هذه؟!" (13: 12)، وإن أركها يحمل عنادًا رديئًا (18: 12). القلب في فساده بصير كميئًا، فلا يحمل محبة وسلامًا بل بغضة وحرًا (9: 8-9)، ويحول رُضه إلى خراب (12: 11)، لهذا فإنه لن تحل النجاة ما لم يحدث تغير وإصلاح في القلب.

علامة التوبة الحقيقية هي تغيير القلب في الداخل. ففي أيام يوشيا بدأ الترميم في الهيكل وصار للشعب مظهر التدين لا فاعليته، الأمر الذي سقطت فيه المملكتان بل ويسقط فيه الكثيرون، إذ يغيرون الشكل لا الجوهر لينتبروا أمام الناس، بل وأحيانًا أمام أنفسهم. يقول النبي: "قد بررت العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا" (3: 10). وقد عالج النبي موضوع الإصلاح الداخلي من جوانب كثيرة، نذكر منها:

أ. القلب هو موضوع الإصلاح، فمنه تتبع الخطية (4: 4؛ 7: 9؛ 12: 2) فينقسي (7: 24؛ 9: 14؛ 17: 23)، مع أن غاية القلب هو الله، فيه يصب كل اشتياقاته (11: 20؛ 17: 10؛ 20: 12). بهذا صرنا الحاجة ملحة إلى شريعة يمكن أن تُنقش على القلب ذاته (31: 33؛ 24: 7).

ب. ترميم بيت الرب ليس غاية في ذاته: "لا تتكلموا على كلام كذب، قائلين: هيكل الرب هيكل الرب هيكل الرب هو" (7: 4). فإن لم يتب المؤمنون وتغير حياتهم الداخلية يتحول الهيكل إلى مغرة لصوص (7: 11)، إذ لا يضم عابدين حقيقيين يوحون قلب الله، وإنما يضم أشورًا ينجسون البيت. وقد تنبأ عن خوابه، بكونه إعلانًا عن الخراب الذي حلّ في هيكل القلوب غير المنظورة. وكأن التأديب في حقيقته إنما هو كشف عما في النفس من دمار خفي وهلاك، يبرزه الله بالضيق الخرجي.

ج. عدم الارتكان على مجرد حيلة سفر الشريعة، أو التمتع بوجود تابوت العهد في وسطهم، إنما الحاجة أيضًا إلى نقش الشريعة في القلب وإعلان حضرة الله فيهم.

أخوًا إن كان قلب رميا قد فاض بالأخوان ورثى للشعب الذي حل به الدمار، لكنه وى خروجًا للشعب، فيه يعود الأبناء من العبودية إلى حرية مجد الله، إذ يقول "هكذا قال الرب امنعي صوتك عن البكاء وعينيك عن الدموع لأنه يوجد خِزَاء لعملكِ يقول الرب فارجع الأبناء إلى تخمهم" (31: 16-71). أما أساس هذا الخروج فهو العهد الجديد المؤسس على دم ربنا يسوع المسيح "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر... بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت إسرائيل: بعد تلك الأيام يقول الرب اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا" (31: 31-34).

دور النبي في كتاباته [17]:

لكي نفهم سفر رميا وغوه من الأنبياء يليق بنا أن نترك ما هو نور المتحدث في هذه الأسفار. ففي سفر رميا كثوًا ما تتكرر العبارة "كلمة الرب صلت... ثم ينطق بصيغة المخاطب المفرد "أنا" بكون الله نفسه هو المتحدث. يتهم الله شعبه بخصوص كسر الميثاق المبرم بينه وبينهم، ويقف النبي كـنائبٍ عامٍ في ساحة القضاء يعرض خطايا الشعب وجرمهم، ويظهر الله كقاضٍ في محكمة يصدر حكمًا بالإدانة، غير أنه يفتح باب الرجاء إن قدم الشعب توبة ورغبة للرجوع إلى الله وحفظ العهد.

يتحدث النبي أحيانًا بالأصالة عن نفسه كما جاء في اعترافات رميا (12: 1، 6؛ 15: 10-21؛ 12-18؛ 18: 18-23؛ 20: 7-18).

في إيجاز يمكننا أن نلخص دور النبي كمتحدثٍ في الآتي:

- 1 . إنسان في حضرة الله (أو في مجلسه الإلهي 23: 22) يتعرف على أحكام الله وأسوره.
- 2 . إنسان موصل من قبل الله، له حق إعلان كلمة الرب (1: 10-10؛ 6: 13-1؛ 3-1)، يتحدث باسم الله أو يتحدث الله على لسانه، على عكس الأنبياء الكذبة الذين ينطقون بكلماتهم الخاصة، حسب فؤهم، من وحي قلوبهم.
- 3 . شخص يدين الشعب لكسره للعهد الإلهي.
- 4 . يقوم تارة بدور النائب العام عندما يتحدث باسم الله وأخرى بالمحامي المدافع عندما يتحدث باسم الشعب.
- 5 . اهتمامه الأول أن يحضر شعب الله لكي يبرك أهمية الميثاق مع الله والالتصاق به، وأن يملس الحياة الميثاقية *convental* مع الله بالدخول في عهدٍ جديدٍ (الحياة الإنجيلية).

مميزات السفر:

- 1 . مال إشعياء النبي إلى الحديث بفيض عن تعويات الله الفيضة مع لمسات خفية من جهة التوبيخ، أما رميا النبي فمال إلى التوبيخ بشدة مع فتح باب الرجاء. ولعل السبب في هذا شدة قسوة قلب الشعب وكثرة آثامهم خاصة في أيام رميا، وأيضًا شعوره بخطورة الموقف لأن السببي كان على الأبواب.
- 2 . مع ما اتسم به النبي من عنف في التوبيخ والتحذير، جاء السفر يكشف عن قلب نبي مملوء حبًا وحنوًا. يتحدث بقوة بأمثلة عملية وتشبيهات لكي يجتذب الشعب، فاتحًا أمامهم باب الرجاء. لقد انحرف الشعب إلى عبادة الأوثان (16: 10-13، 20؛ 22: 9؛ 32: 29؛ 44: 2، 3، 8، 17)، وقدموا أحيانًا أطفالهم ذبائح للآلهة الغريبة (7: 30-34)، ومع هذا بحبٍ شديدٍ كان يصلي من أجلهم (14: 7، 20)، حتى حين أوره الله أن يكف عن ذلك (7: 16؛ 11: 14؛ 14: 11).

كان يحبهم كشعبٍ وأيضًا كأشخاصٍ، إذ يبرك أن كل إنسانٍ يحمل مسؤولية نفسه (31: 29-34).

- 3 . العلاقة الشخصية مع الله في عيني رميا النبي تتكامل مع علاقة الله بشعبه ككل. فقد اختبر رميا النبي هذه العلاقة المتكاملة، فكان يطلب أن وى الله ساكنًا في وسط شعبه (7: 23) وفي نفس الوقت يطلبه ساكنًا في كل قلب. يكشف عن خطية الشعب ككل (17: 1)، وأيضًا عن نجاسة القلب

التي اتسم بها الأشخاص (17: 9). **يطلب توبة جماعية مع توبة قلبية شخصية!** لهذا يربط النبي التريخ الخاص بالخلاص بحياة الكنيسة كما بحياة الأشخاص، إذ غايته تمتع الكل بعمل الله الخلاصي خلال التوبة، وتمتع كل عضو بهذه الحياة.

4 . وى البعض أن رميا النبي كان متشائماً كل التشاؤم، متفائلاً كل التفاؤل. إذ ينظر إلى فساد يهوذا وخيانتته للعهد الإلهي يتشائم وإذ يتطلع إلى

حب الله وطول أناته يمتلىء رجاءً. إلهه إله الرجاء والوعد والقوة، له رادة لا تُقهر من جهة إقامة شعبٍ مقدسٍ له ^[18].

5 . يقدم لنا سفر رميا مفاهيم لاهوتية روحية حياة:

أ. خطية الشعب هي في جوهرها كسر الميثاق مع الله، وبالتالي التوبة هي عودة إلى الحياة الميثاقية *covenantal* مع الله.

ب. كل جريمة يقترفها الإنسان ضد أخيه موجهة ضد الله نفسه.

ج. نجاح النبي في تأكيد حب الله حتى في لحظات السقوط تحت التأديب؛ مؤكداً أن التأديب هو علامة اهتمام الله بهم وحبهم لهم.

د. الدمار الذي حلَّ بهم يحتاج إلى دخول في عهد جديد (31: 31-34).

6 . في هذا السفر تتجلى حياة النبي الروحية بكل وضوح فقد اتسم بأمانته لرسالته حتى النفس الأخير بالرغم من النور الذي واجهه به الكل.

كان وحيداً، مُفَوِّياً عليه، مُضطهداً من الحكام ورجال الدين والشعب، لكنه لم ييأس إذ وَجَد في الله كل تغويته.

7 . حمل هذا السفر رسالة نبوية، تحقق بعضها بعد حياته بزمانٍ قليلٍ، لكن غايته الأسمى هي ما تحقق في العهد الجديد. وجد الرائي اللاهوتي

يوحنا أن ما يحدث في الأمانة الأخوة مطابقاً لما ورد في سفر رميا، من ذلك هلاك بابل (رؤ 18: 22؛ 14: 8؛ 17: 2-4؛ 18: 2-5 يقابله إر

25: 10؛ 51: 7-9، 45: 63-64).

8 . سفر رميا كرسائل معلمنا بولس الرسول **يكشف عن طبيعة رجل الله الشديد الحساسية نحو شعب الله مستنداً على العمل الإلهي.** وقد تأثر

الرسول بولس كثيراً **بلميا النبي** في شدة حبه للشعب كما في معالجته لبعض المواضيع مثل الناموس والنعمة والحرية والختان الروحي (راجع إر 31:

31-34 مع 2 كو 3: 6 الخ ورو 11: 1؛ إر 1: 5 مع غلا 1: 15).

9 . سفر رميا هو سفر النبوات: كثيراً ما أشار السفر إلى الكاتب بكونه "لميا النبي"، إذ كان رميا متوكفاً لرسالته ولدعوته الإلهية كنبى (1:

5؛ 15: 19). كنبى حقيقي قاوم الأنبياء الكذبة الذين ينطقون بكلمات هي من وحي أفكارهم الخاصة. أما بالنسبة له ففكر العيلة "كلمة الرب التي

صلت..." أو ما يعادلها 151 مرة ^[19].

أما موضوع النبوات فهو:

أ. المسيا المخلص.

ب. يهوذا: سببه وعودته.

ج. مدن: أورشليم، بابل، دمشق.

د. شعوب أممية: مصر، فلسطين، موآب، عمون، آوم، عيلام، بابل.

هذه النبوات تحقق بعضها في وقت قريب من النطق بها، وبعضها بعد زمنٍ طويلٍ.

10 . سفر رميا هو سفر التسؤلات، يوي أسئلة ربما أكثر مما ورد في سفر أيوب.

هو سفر الإصلاح، خاصة في الأصحاحات [30-33].

سفر الرثاء والاضطهادات.

سفر الرموز: استخدم رميا الكثير من الرموز بأمر إلهي لأجل التعليم، نزة يلبس منطقة بالية، وأخرى يضع نواً على عنقه كالنور، وثالثة

يكسر زقاً أمام الوالي، ورابعة يشوي حقلًا ويدفن الوصية.

من الرموز التي قدمها في السفر:
فضيب لوز (1: 11)؛
قدر منقوخة وجهها من جهة الشمال (1: 13)؛
منطقة بالية (13: 7)؛
زق ممتلئ خواً (13: 12-14)؛
قحط (14: 1-12)؛
إناء الفخري (18: 1-6)؛
الإناء المكسور (19: 1-2)؛
سلتان (24: 1-10)؛
نير (27: 1-12)؛
شواء حقل (32: 1-12)؛
الحجرة الخفية (43: 9-13)؛
كتاب غرق في نهر النوات (51: 59-64).

تأؤه بهوشع النبي [20]:

وى كثير من الدارسين أن رميا النبي قد تأثر بهوشع النبي، فالتشابه بينهما لا يقف عند حدود اللغة والتشبيهات، بل يمتد إلى الأفكار الأساسية من جهة الله وعلاقته بشعبه. كان هوشع نبياً لمملكة الشمال (إسرائيل)، وتقع عناوث، قرية لرميا النبي، في شمال أورشليم وهي ليست ببعيدة عن الحدود الجنوبية لمملكة إسرائيل. هذا ورميا النبي هو من نسل أبيتار (1 مل 2: 26) من نسل عالي (1 صم 14: 3؛ 22: 20، 1 مل 2: 27) الذي كان مهتماً بتأبوت العهد في شيلوه قبل انقسام المملكة. لهذا ربما كان رميا ملتصقاً بقلبه بشيلوه ومتألماً لما حلّ بها (7: 14-26) بسبب ارتباط أسوته القديم بهذا الوضع. بهذا تكون عائلتا هوشع ورميا مرتبطين بالشمال. هذا ما دفع بعض الدارسين إلى افتراض قيام هوشع النبي - أجمل زهرة تقوية في مملكة الشمال - بنور حوي في حياة رميا الأولى، خاصة وأن رميا يعترف أنه مدين للأنبياء السابقين له (28: 8).

يكشف الأصحاحان [2، 3] من سفر رميا عن الارتباط القوي بهوشع من جهة عبراته وأفكره. فمن أهم كلمات هوشع النبي كلمة "Hesed" أي "الولاء" أو "الأمانة" (الزوجية). فإن الشكوى الأولى ليهوه هي: "لا أمانة... في الأرض" (هو 4: 1)، "روح الزنى قد أضلهم فنوا من تحت إلههم" (هو 4: 12)، فإن "إحسانكم (أمانتكم) hesed" كسحاب الصبح الذي يزول (هو 6: 4)... ويتحدث رميا النبي أيضاً عن علاقة الحب بين الله وشعبه الذي كان كصبيّة مخطوبة مملوءة غيرة وحباً (2: 2)، ليعود فيتحدث عن حياتها الزوجية (3: 1-5، 20) التي كانت تتمثل في قصة زواج هوشع النبي بالزانية جومر...

وى رميا النبي الله أباً يهتم بشعبه كابن محبوب لديه ، خلصه من عبودية فوعن ليهبه أرض الموعد موثلاً مبهجاً ومجيداً: "وأنا قلت كيف أضعك بين البنين وأعطيك أرضاً شهية موث مجد أمجاد الأمم؛ وقلت تدعينني يا أبي" (3: 19). جاء هذا التشبيه متفقاً مع هوشع النبي: "ولما كان إسرائيل غلاماً أحببته، ومن مصر دعوت ابني" (هو 11: 1).

كانت شكوى الله في هوشع أنه "لا معرفة لله في الأرض" (هو 4: 1)، وان الشعب قد هلك بسبب عدم المعرفة (هو 4: 6). وقد جاءت نفس الشكوى في رميا: "أهل الشريعة لم يعرفوني" (2: 8)؛ لأن شعبي أحمق. إياي لم يعرفوا. هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين" (4: 22)... وجاء الوعد

الإلهي بالعهد الجديد مرتبطاً بالمعرفة: "وَلَا يُعْلَمُونَ بَعْدَ كُلِّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلِّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ. لِأَنَّهُمْ كَلِمَهُ سِيعُفُونَنِي مِنْ صَغُورِهِمْ إِلَى كِبُورِهِمْ يَقُولُ الرَّبُّ" (31: 34).

يقدم لنا هوشع النبي رغبة الله في الدخول في محاكمة مع الشعب ليعطي الإنسان فرصة للحوار معه وإيراك خطية الله... وهي محاكمة تحمل عتاباً إلهياً يدفع النفس إلى التوبة والرجوع إلى الله (هو 4: 1-3). وفي لميا النبي يقدم الله الشعوب للمحاكمة (25: 31).
توجد أيضاً أفكار أخرى كثرة مشتوكة بينهما، مثل:

❖ احلال الله بالأوثان (هو 2: 7-10؛ إر 2: 10-13).

❖ التطلع إلى فترة التجول في البرية كفترة أمانة للشعب نحو الله (هو 9: 10؛ 11: 1؛ إر 2: 1-3).

❖ اعزاف الشعب بخطاياهم (هو 6: 1-3؛ إر 3: 22-25؛ 14: 7-10؛ 14: 19-21).

بين لميا ونحميا:

اختلفت ظروف لميا النبي عن تلك التي عاش فيها نحميا، فكان الأول وى الخطر يحرق بشعبه، وليس من يهتم أو يبالي؛ بينما كان الثاني عائداً من السبي ليحث الكل على بناء السور جنباً إلى جنب مع بناء أسوار النفس الداخلية، ومع ذلك فقد التقيا معاً في الآتي:

1. حمل الاثنان عواطف متأججة بالحب لشعب الله، وكان كلاهما منكسري القلب ومنسحق النفس، باكيين (نح 1: 4؛ إر 9: 1).

2. شعر كلاهما أن خطايا الشعب هي خطاياهما. فيقول نحميا: "لتكن أذنك مصغية، وعيناك مفتوحتين، لتسمع صلاة عبدك الذي يصلي إليك

الآن نهراً وولياً لأجل بني إسوايل عبيدك، ويعترف بخطايا بني إسوايل التي أخطأنا بها إليك، فإني أنا وبيت أبي قد أخطأنا. لقد أفسدنا أمامك، ولم

نحفظ الوصايا والوئاض والأحكام التي أموت بها موسى عبدك" (نح 1: 6-7). وبفسح الروح يصوخ لميا النبي كوجل صلاة حقيقي بعيد عن الحياة الفويسية، قائلاً: "وإن تكن آتامنا تشهد علينا يرب فأعمل لأجل اسمك، لأن معاصينا كثرت، إليك أخطأنا" (إر 14: 7).

3. مع أنكلهما لذاتهما واعترافهما بخطأهما وقفا أيضاً كمشفيين في الشعب (نح 5: 14-19؛ 13: 31). في يقين الإيمان يقول لميا النبي: "أذكر وقوفي أمامك لأتكلم عنهم بالخير لأرد غضبك عنهم" (إر 18: 20).

4. كانا مخلصين في حبهما لوطنهما. وطنية نحميا اقتضته أن يقف أمام الملك البابلي يطلب أن يقدم خوفاً لأورشليم، وأن يسمح له ببناء السور، وبذات الوطنية نادى لميا النبي وسط قيادات الشعب أن يخضوا لنير بابل كتأديب إلهي مؤقت، مع توبتهم ورجوعهم إلى الله.

لميا والأنبياء الكبار:

1. إن كان إشعياء النبي قد قدم نواته قبل سبي الأسباط العشرة، فإنه مع ما أركه من فساد الشعب كان مشتاقاً إلى الخدمة. علة ذلك انه رأى رؤى سماوية مجيدة، منها تلك التي وردت في الأصحاح السادس... هذا دفعه للقول: "هأنذا أرسلني" (إش 6: 8). أما لميا الذي عاصر أمر لحظات الشر، مركزاً صعوبة تحقيق رسالته، سواء على مستوى القصر الملكي أو القيادات الدينية أو الشعب، لهذا تردد في قبول الخدمة قائلاً: "آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" (1: 6)، واحتاج أن يسحبه الله إلى الخدمة ويؤمره بها.

إنه لم يتمتع بالرؤى كإشعياء، لكنه تحدث مع الله كصديقٍ حميمٍ جمعت بينهما الألفة، ففي بساطة يقول: "فكانت كلمة الرب إلى قائلاً" (1: 4).

2. يتشابه لميا النبي مع النبي حزقيا ل في كونهما كاهنين، دُعيا للنوبة، ولم يملسا العمل الكهنوتي. كانت خدمة النبي بين المسبيين في مملكة

بابل، أما خدمة لميا النبي فكانت بين مساكين الشعب الذين توكوا في الأرض. امتاز لميا بوقفة المشاعر، فكان يبكي تكلي بنت شعبه واهوت جوان

قلبه في أعماقه، أما حزقيا فامتاز بالنشاط والحماس والالوام بالمسئولية.

3 . شاهد رميا النبي دانيال الشاب وهو يُساق أسوا إلى بابل في السنة الثالثة لحكم الملك يهوياقيم (دا 1) . تحدث دانيال النبي عن انهيار الاموطوريات الأربع (بابل، مادي و فرس، اليونان، الرومان) ليملك الرب الملك بالصليب على القلب، كما تحدث عن مجيء المسيا الأخير. أما رميا النبي فلم يتحدث عن انهيار الممالك وإنما عن مدة السبي والرجوع منه بعد سبعين سنة، وقد كانت نبوته معروفة لدانيال النبي وربما منها عرف مدة السبي (دا 9: 1-2).

هذا وقد عاصر رميا النبي النبيين: صفنيا الذي تنبأ قبيل حدوث السبي (صف 1: 1) وحبوق الذي تنبأ أيضاً قبل السبي البابلي.

سفر رميا من الناحية اللغوية:

كتب رميا النبي معظم نواته في شكل شعر باللغة العبرية، لكن في عبارات بسيطة، على خلاف إشعيا النبي الذي امتاز بفخامة الأسلوب. هذا لا يفي ما امتاز به أسلوب رميا من بلاغة بلا تكلف، مع تعبير رائع عن عاطف رقيقة ومعانٍ خشوعية. يحوي السفر أبياتاً شعرية صغيرة تتكون من مقطعين كما يحوي أبياتاً شعرية طويلة، بل وقصائد شعرية كاملة.

ولاً: أبيات شعرية من مقطعين:

❖ كحوي السرقة إذا وُجد،

هكذا حوي بيت إسائيل هم وملوكهم ورؤسؤهم وكهنتهم وأنبيؤهم. (2: 26).

❖ كما تخون الواة قرينها،

هكذا خنتموني يا بيت إسائيل يقول الرب. (3: 20).

❖ مثل قفص ملآن طيوراً،

هكذا بيوتهم ملآنة مكرًا. (5: 27).

وي *Muilenbur* أن النبي كثوًا ما يكرر، لكنه في تكرره يقدم أعماقًا مع عناصر جديدة المعنى أكثر قوة وحيوية ^[21]، من ذلك:

❖ قبلما صورتك في البطن عرفتك،

وقبلما خرجت من الرحم قدستك. (1: 5)

❖ آثامكم عكست هذه،

وخطاياكم منعت الخير عنكم. (5: 25)

❖ بالفضة والذهب يزبنونها،

وبالمسامير والمطارق يشددونها فلا تتحرك. (10: 4)

❖ أنفذك من يد الأشوار،

وأفديك من كف العتاة. (15: 21)

ثانيًا: أبيات شعرية أكثر من مقطعين:

جاءت هذه الأبيات في أشكال أدبية كثرة، نذكر منها:

أ. نموذج شعري متولي:

❖ لم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر،

الذي سار بنا في البرية في أرض قفر وحفر،

في أرض ييوسه وظل الموت،

في أرض لم يعوها ولم يسكنها إنسان. (2: 6)

ب. نماذج لأبيات في شكل أسئلة تستخدم كقياس للتشبيه:

❖ هل بدلت أمة آلهة، وهي ليست آلهة؟!!

أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع... (2: 11)

❖ هل تنسى عذراء زينتها؟!!

أو عروس مناطقها؟!!

أما شعبي فقد نسيتني أيما بلا عدد. (2: 32)

❖ هل يخلو صخر حقلي من تلج لبنان؟!!

أو هل تتشف المياه المنفجرة الباردة الجارية؟!!

لأن شعبي قد نسيتني،

بخروا للباطل وقد أعثروهم في طرقهم في السبل القديمة ليسلكوا في شعبٍ في طريق غير مُسهلٍ. (18: 14-15)

ج. شعر شوطي:

❖ إن رجعت يا إسرائيل يقول الرب،

إن رجعت إليّ،

وإن زعت مكوهاتك من أمامي،

فلا تتبيه.

وإن حلفت حيّ هو الرب بالحق والعدل والبر،

فتترك الشعوب به، وبه يفتخرون. (4: 1-2)

د. أمثلة لأبيات شعر متوالي متعادل:

❖ والآن مالك وطريق مصر،

لتشرب مياه شحور،

ومالك وطريق أشور،

لتشرب مياه النيل. (2: 18)

❖ لأنه من صغورهم إلى كبيرهم، كل واحد مولع بالربح،

ومن النبي إلى الكاهن، كل واحد يعمل بالكذب. (6: 13)

❖ لماذا تكون كغريب في الأرض،

وكمسافر يميل ليبيت؟!!

لماذا تكون كإنسان قد تحير،

كجبار كإنسان قد تحير؟! (14: 8-9)

هـ. أبيات مقابلات عكسية تتكون من 3-6 فوات:

❖ قد وكنتك اليوم...

لنتلع ونهدم،

وتهلك وتتقض،

وتبني وتغوس. (1: 10)

ثالثاً: قطع شعرية كاملة:

يوري هذا السفر حوالي 15 قطعة شعرية بالعبرية كاملة.

بهذا يظهر سفر رميا باللغة العبرية قطعة أدبية رائعة، لكن سموه لا يظهر في تجسيد رسالته في أشعار، وإنما يمثل أولاً وقبل كل شيء عملاً كورياً [221] لقد اعتذر في البداية عن رسالته، كما فعل موسى النبي قبله لشعوره بعجزه عن الكلام (1: 6؛ خر 4: 10)، فأجابته الرب أنه يضع كلماته الإلهية في فمه (1: 6؛ خر 4: 12). عاد مؤخراً يعتذر متسائلاً عن مدى إمكانية العمل، فأكد له الرب: "مثل فمي تكون" (15: 19). حقاً لقد صار رميا النبي وكأنه الفم الذي يستخدمه الله حاملاً قوة الكولة الفعالة مع مهلة أدبية.

مصر وبابل في سفر رميا:

إن كانت مصر قد حملت البركة باستقبالها العائلة المقدسة فتحقق لها الوعد الإلهي (إش 19) وصار شعبها المصري مبركاً، وفي وسطها أُقيم مذبح للرب، لكن مصر في العهد القديم كانت تشير إلى محبة العالم إذ عُرفت بنيها الذي أكسب الوادي خصوبة، كما عُرفت بابل بكورياتها، فصلت رمزاً لكل كورياء كما لُرنا. لهذا فمن الجانب الرمزي جاء رميا النبي يحذر المؤمنين من الالتجاء إلى فوعون مصر، أي إلى العالم في محبته المهلكة، أو إلى ملك بابل، أي إلى الكورياء المفسد للنفس، وإنما يكون الالتجاء لله وحده الذي يحرر النفس والجسد معاً من أسر محبة العالم والكورياء!

رميا في العهد الجديد:

أشير إلى رميا شخصياً في الإنجيل بحسب معلمنا متى البشير مرتين: عند قتل أطفال بيت لحم (مت 2: 17، إر 31: 15)، وعندما دخل السيد المسيح الهيكل ووجده كمنزلة لصوص (مت 21: 13؛ إر 7: 11). كما ضم العهد الجديد 41 نصاً تحمل تلميحا لما جاء في سفر رميا، منها سبعة نصوص مباشرة.

تحدث رميا النبي عن العهد الجديد كمصدر تغوية ورجاء للنفوس الساقطة (إر 31: 34؛ عب 10: 16).

وجد يعقوب الرسول في رميا ما يسنده للحديث في مجمع الوسل المسكوني (أع 15: 16؛ إر 12: 15). ووجد فيه بولس الرسول سنداً للحديث عن حوية اختيار الله في الدعوة (رو 9: 20؛ إر 18: 6)، كما أنك يوحنا اللاهوتي انهيار بابل العظيمة (رؤ 18: 2؛ إر 51: 8).

بين رميا النبي والرسول بولس:

1 . رأينا التشابه بينهما في اهتمامهما بأعماق النفس، والإصلاح الجذري لا التركيز على الختان الظاهري...

2 . كان كلاهما رجلي آلام ودوع (أع 9: 16؛ 20: 19، إر 9: 1).

3 . أنك الاثنان دعوتهما للخدمة وهما بعد في الأحشاء (إر 1: 4-5؛ غلا 1: 15).

المسيّا في سفر رميا:

في حديثنا عن غرض السفر رأينا ببرز الحاجة إلى المسيّا الملك البار ليحقق الخلاص. فإن كان ملوك بيت داود قد أسلوا القيادة، وكان ذلك أحد

العوامل التي شنت الرعية (21: 1، 23: 3)، فإن الله يعد بالأنبياء عن مجيء ملك جديد من نسل داود، بار وحكيم، يخلص يهوذا القطيع الجديد (23: 3-6). وكان رميا النبي قد تطلع بنظرة نبوية إلى العصر المسماني الذي فيه يحقق السيد المسيح التجديد الروحي الحق، فيقدم الله عهدًا جديدًا لإسرائيل الجديد، حيث يملك الله روحياً على القلب (23: 5-8؛ 30: 4-11؛ 33: 14-26؛ 32: 36-41). وبظهور هذا العصر الجديد ينتهي الطقس اليهودي في حروفه، وينفتح الباب لدعوة الأمم (3: 17).

لا يقف الأمر عند النوات عن عصر المسيا وإنما كانت شخصية رميا ترتبط كثرةً بشخصية السيد المسيح، حتى عندما سأل السيد تلاميذه: من يقول الناس إنني أنا ابن الإنسان؟ قالوا إن بعضاً يقول إنه رميا (مت 16: 14).

أما أهم ملامح هذا الارتباط فهي:

1 . عاش رميا يحمل في داخله أفعال شعب الله بعورة، إذ يقول "أحشائي أحشائي، توجعني! جران قلبي! يئن في قلبي! لا أستطيع السكوت" (4: 19). وبدوع يقدم مراثاة، قائلاً: "يا ليت رأسي ماءً وعينيّ ينوع دموع؟، فأبكي نهلاً ولبلاً قتلى بنت شعبي" (9: 1)، حتى دُعي بالنبي الباكي. وقد جاء السيد المسيح يبكي البشوية على خطاياها ورجاساتها، خاصةً أورشليم التي قدم لها الكثير وفي عناد قاومت عمل الله . فقد قيل عنه: "رجل أوجاع ومختبر الحزن" (إش 53: 3).

وُجد السيد المسيح باكيًا (مت 23: 37)، إن لم يكن علانيةً ففي أعماقه دموع لا تجف من جهة الخطاة. اكتشف رميا بعض الخطايا فلم يعد يحتمل نفسه مشتبهًا أن يجد له مبيئًا في الرية ليوك شعبه وينطلق من عندهم لأنهم جميعًا زناة جماعة خائنين (9: 2). أما السيد المسيح العرف بكل خطايا البشرية في كل تفاصيلها الخفية والظاهرة، بكل ثقلها، فقد جاء ليحل وسط الخطاة ويسندهم مقدسًا إياهم بدمه. لم يكن لإرميار جاء في شعبه إلا من خلال نظراته المستقبلية منتظرًا مجيء الملك المسيا ابن داود ليقم مملكته على مستوى روحي جديد، أما السيد المسيح فحقق ما اشتهاه رميا وغره من الأنبياء فاتحًا طريق الملكوت الجديد لكل من يدعو اسم الرب من جميع الأمم.

2. أبغض الشعب مع القيادات رميا النبي بسبب توبيخه لهم، وهكذا أبغضوا السيد المسيح، لا لسبب سوى شوهم: "لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور، ولا يأتي إلى النور لئلا توبخ أعماله" (يو 3: 20)، "لا يقدر العالم أن يبغضكم، ولكنه يبغضني أنا، لأنني أشهد عليه أن أعماله شروء" (يو 7: 7).

لم يكن ممكنًا للرؤساء المدنيين والدينيين من كهنة وأنبياء كذبة، وأهل عناوثة وكل الشعب أن يتقبل محبة النبي الصادقة وكلماته الصريحة، فعاش مرفوضًا ومضطهدًا ممن يحبهم، حاملاً صورة السيد المسيح محب البشرية، الذي جاء يسلم ذاته من أجل الكل، أما خاصته فلم تقبله، بل وتكافتت كل القوى تريد الخلاص منه خراج المحلة.

3 . تتبأ رميا النبي عن خواب أورشليم، قائلاً: "هأنذا داعٍ كل عشائر ممالك الشمال يقول الرب، فيأتون ويضعون كل واحد كوسيه في مدخل أبواب أورشليم وعلى كل أسورها حوالبها وعلى كل مدن يهوذا، وأقيم دعواي على كل شوهم، لأنهم تكوني وبخروا لآلهة أخرى وسجوا لأعمال أيديهم" (1: 15-16). وأعلن السيد المسيح ما سيحل بأورشليم، قائلاً: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة الموسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فواخها تحت جناحيها ولم توبوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا" (مت 23: 37-38).

4 . مع ما حمله رميا من مرارة في داخله من جهة الشعب العنيد وما عاناه منهم بالرغم من محبته لهم، وإواكه التآديبات القاسية التي ستعانيها أورشليم وكل مدن يهوذا، **مولته امتزجت بحلوة خلال رؤيته السيد المسيح المخلص بروح النبوة**، خلال الظلال، فلم يحمل يأسًا بل رجاءً.

رأى العصر المسماني كعلاجٍ حقيقي للخواب الحال، فقال: "ها أيام يقول الرب وأقيم لداود غصن برّ فيملك ملك وينجح ويجري حقًا وعدلاً في الأرض، في أيامه يخلص يهوذا، ويسكن إسرائيل آمنًا، وهذا هو اسمه الذي يدعونه به: الرب بونا" (23: 5-6).

رأى السيد المسيح الذبيح، فقال: "وأنا كخروف داجن (أليف) يُساق إلى الذبح، ولم أعلم أنهم فكروا علي أفكرًا، قائلين: لنهلك الشجرة بثورها

ونقطعه من أرض الأحياء، فلا يُذكر بعد اسمه" (11: 19).

5 . أترك لرميا النبي أن الإصلاح الحقيقي يقوم بهدم الشر تمامًا، أي هدم الإنسان القديم، والتمتع بالخير أي قيامة الإنسان الجديد، ليكون الإصلاح جنوياً. ففي بدء دعوته سمع الصوت الإلهي يعلن له: "قد وكلتلك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم، وتهلك وتتقض، وتبني وتغوس" (1: 10). وقد أترك أنه عاجز تمام العجز عن اقتلاع مملكة إبليس وهدمها وإبادتها لكي يبني في نفوس شعبه مملكة الله ويغوسها فيهم، لهذا أكد الحاجة إلى "عهد جديد" يقيمه الرب نفسه، القادر وحده بروحه القنوس أن يهدم ويبني، ويققلع ويغوس، الذي وحده يدخل إلى أعماق النفس، يحطم فيها ما هو قديم ليقبمها بطبيعة جديدة... وكما يقول النبي: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم... بل هذا هو العهد الذي أقطعته مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها في قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً، ولا يعلمون بعد كل واحدٍ صاحبه، وكل واحدٍ أخاه، قائلين: اعرف الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغورهم إلى كبورهم يقول الرب، لأنني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد" (31: 31-34).

6 . يقول رميا عن نفسه: "وأنا كخروفٍ داجنٍ (أليف) يُساق إلى الذبح" (إر 11: 9)، كما قيل عن السيد المسيح: "ظلم أما هو فتندل ولم يفتح فاه، كشاةٍ تساق إلى الذبح وكنعجة صامته أمام جزيها فلم يفتح فاه" (إش 53: 7؛ إر 8: 32).

7 . حمل رميا النبي العار من أجل الرب: "اعرف احتمالي العار لأجلك" (إر 15: 15)، كما قيل عن السيد المسيح كلمة الله المتجسد: "لأن المسيح أيضاً لم يوض نفسه، بل كما هو مكتوب تعيوات معويك وقعت عليّ" (رو 15: 3).

8 . وي البعض أن رميا النبي قد عرض الكثير من الأسئلة التي لا إجابة لها إلا بمجيء السيد المسيح وإقامة العهد الجديد. نذكر على سبيل المثال:

أ. "كيف أصفح لك عن هذه؟" (5: 7). فلم يكن ممكناً أن تتعم بالصفح إلا بالسيد المسيح "الذي فيه لنا الفداء بدمه غوان الخطايا حسب غنى نعمته" (أف 1: 7).

ب. "أليس بلسان في جلعاد أم ليس هناك طبيب؟! (8: 22)، وجاءت الإجابة في العهد الجديد أنه يوجد طبيب النفوس والأجساد، ربنا يسوع المسيح الذي يقدم دمه بلساناً لشفاء جراحات النفس المميته.

ج. "هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه؟" (13: 23) ... حقاً لم يكن ممكناً للإنسان أن يغير طبيعته التي التصقت به كجلده ولطخت حياته كرقط النمر، لكن جاء السيد المسيح يهبنا بروحه القنوس تغيير جنوي لطبيعتنا الداخلية، فصلت لنا الخلقة الجديدة (غلا 6: 15)، وجدة الحياة (رو 6: 4).

د. "إن جريت مع المشاة فأنتعوك، فكيف تبلي الخيل؟ وإن كنت منبطحاً في أرض السلام فكيف تعمل في كوياء الأردن؟!" (12: 5). وجاءت الإجابة: نستطيع بالمسيح يسوع ربنا أن نبلي الخيل أي الشياطين ونهزمهم، ونعمل في كوياء الأردن، فنحطم تشامخ الخطية... وباختصار "شكراً لله الذي يعطينا الغلبة برنا يسوع المسيح" (1 كو 15: 57).

يُرى السيد المسيح في سفر رميا إنه:

أ. بلسان في جلعاد (8: 22)، أي نواء للنفس المنكوسة، وأيضاً طبيب بنت شعبي (8: 22)، والواعي الصالح (31: 10).

ب. رجاء الكنيسة ومخلصها: "يارجاء إسرائيل مخلصه في زمان الضيق لماذا تكون كغريب في الأرض وكمسافر يميل لبييت" (14: 8؛ 50: 34).

ج. الفخري، يُشكل طبيعتنا (الطين) بيده الإلهية (18: 6).

د. غصن بر: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم دلاود غصن برّ، فيملك ملك وينجح ويحي حقاً وعدلاً في الأرض" (23: 5).

هـ . داود الملك : "بل يخدمون الرب إلههم وداود ملكهم الذي أقيم لهم" (30 : 9).

و . ينوع المياه الحية (2 : 13).

أما أهم النوات المسيانية فهي:

أ. ميلاده الجسدي كابن لداود (23 : 5؛ 33 : 15؛ أع 13 : 22؛ رو 1 : 3).

ب. لاهوته: "الرب يونا" (23 : 6، 1 كو 1 : 30).

ج. قتل أطفال بيت لحم (31 : 15؛ مت 2 : 16، 18).

د. تقديم نفسه ذبيحة حب (11 : 9)، وحمله العار (15 : 15)، وعدم جلوسه في مجلس الملحين مبهجاً (15 : 17).

أقسام السفر:

يبدو أن نوات إرميا النبي كانت تسجل في أواج متوقفة، كل ووج يوي موضوعاً معيناً بغض النظر عن التسلسل التاريخي، فقد جاء السفر مرتباً ترتيباً موضوعياً وليس ترتيباً تاريخياً. أما تكرار بعض العبارات فجاء ضرورة حتمية، لأن السفر في غالبته مجموعة عظات ألقاها النبي في مناسبات متكررة ومتشابهة في أيام ملوك مختلفين.

يمكن تقسيم نواته إلى ثلاثة أقسام رئيسية، مع مقدمة وختام:

❖ دعوة إرميا ورسالته [1].

1 . نوات ما قبل سقوط أورشليم

(مع الوعد بالرجوع من السبي) [2-33].

2 . تاريخ سقوط أورشليم [34-45].

3 . نوات عن الأمم الغربية [46-51].

من وحي إرميا

هب لي يرب رقة إرميا وشجاعته!

❖ هب لي يرب رقة إرميا،

فأبكي ليلاً ونهلاً من أجل كل نفس ساقطة!

أصوح إليك طالباً تقديس كل قلب،

وختان كل الحواس الداخلية.

❖ علمني أن أنوب حباً من أجل كنيستك،

مشتهياً خلاص العالم كله!

متى رى كل البشر حولك،

يتمتعون بحبك،

ويقبلون عهدك وميثاقك؟!!

❖ اسندني بكلمتكِ النرية،

لتلمس شفتي فأنطق بالحق،

ولا أهتر أمام إنسانٍ ما،

ولا أرتبك أمام الأحداث،

بل اطلب رادتك واشتهي مجدك!

❖ اعترف لك مع رميا إني أصغر من أن أعمل،

صغير جداً في عيني نفسي!

لكنك تحول طفولتي إلى نضوج روحي،

وضعفي الشديد إلى قوة!

قوى من يسندني سواك؟!

❖ هب لي يارب روحك القنوس النري،

فأصير كلِّميا،

يكفيني أنك معي، ساكنًا فيّ،

حتى إن وقف العالم كله ضدي!

هب لي يارب رقة رميا وشجاعته!

<<

دعوة لرميا ورسالته

رميا 1

الأصحاح الأول

الدعوة للخدمة

افتتح السفر بمقدمة صغيرة أوضحت موطن النبي وتاريخ بدء الخدمة ونهايتها، الأمور التي سبق لنا رواستها في المقدمة. جاء الأصحاح الأول كله كمقدمة للسفر، أشبه بدستور عملي للخادم الحقيقي، بنوده الأساسية هي:

مقدمة [3-1].

1 . إرثك الدعوة الإلهية [5-4].

2 . اتساع القلب بالحب [5].

3 . اتضاع النفس [7-6].

4 . شجاعة الخادم [8].

5 . الاختفاء في كلمة الله [14-9].

6 . الأمانة في العمل [19-15].

مقدمة:

مثل كثير من الأسفار النبوية قدم هذا السفر في اختصار ثلاثة أمور لفهمه: بعض الأخبار الشخصية الخاصة بالنبي، وإرسالته الإلهية، والمدة التي خلالها مارس لرميا عمله النبوي. وقد سبق لنا الحديث عن هذه الأمور.

1 . إرثك الدعوة الإلهية:

تحدث السفر عن دعوة النبي ورسالته خلال أميين: حوار بين الله ورميا [4-10؛ 17-19] وخلال رؤيتين [11-16]، ركز الحوار على دعوة لرميا الشخصية والرؤيتان على رسالته.

إذ تدخل الله في حياة لرميا وتحدث معه في حوارٍ مفوَّحٍ، فتح عن عينيه ليبرك لرميا من هو، وما هي رسالته في الحياة، وما هي إمكانياته في

الرب.

افتتح النبي حديثه بعلاقته مع الله موسله هكذا: "فكانت كلمة الرب إليّ قاتلاً: قبلما صورتك في البطن عوفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك"

[5-4].

ما أعجب هذه العبارة، فإنها تكشف عن سرّ الحب العميق بين الله والإنسان.

أورك النبي أن علاقته بالله تمتد جنورها إلى ما قبل تكوينه كجنين في أحشاء أمه، فقد كان في ذهن الله، وموضوع محبته، يمثل جزءاً لا يتجزأ

من خطة الله الخلاصية! دعوته للعمل النبوي لم تقم من عندياته ولا بخطة إنسانية، لكنها بتخطيط إلهي!

لقد أورك لرميا النبي أن حياته لم تأتِ خرافاً نتيجة اتحاد جسدي بين والديه، إنما هو أعظم من هذا. ميلاده الجسدي ليس هو بداية حياته

الحقيقية، ولا موته الجسدي هو نهاية حياته! إنه من صنع الله نفسه!

إذ تحدث عن الأنبياء الكذبة يقول الله من خلال لرميا: "لم أرسل الأنبياء بل هم جروا، لم أتكلّم معهم بل هم تنبؤوا" (23: 21).

لكي يؤكد لرميا نبوته ذكرّ قرئيه إنه مدعو من الله مباشرة وموسل منه للشعب الداخل في ميثاق إلهي، مثله في ذلك مثل عاموس النبي وغوه

من الأنبياء (عا 7: 14-15؛ إش 6: 1-13؛ حز 1: 4، 3: 15).

هذا ما أوركه الرسول بولس الذي دُعي للإيمان وللعمل الرسول بعد أن اضطهد كنيسة الله وافترى عليها (1 تي 1: 12-13) وأتلفها (غلا 1:

13)، إذ عرف أنه كان مفزراً وهو في بطن أمه (غلا 1: 15).

تعبير "صورتك" مأخوذ عن عمل الله كخوف (تك 2: 7-8)، أما الكلمة العبرية فمن الجانب الفني تعني "خلفتك" (عا 4: 13؛ إر 51: 19؛ إش 45: 18؛ 49: 5؛ مز 59: 5) [23].

يدعو الله الخدام والوعاة بطرق كثرة. دُعي موسى بظهوره له على شكل عليقة ملتهبة نراً، وأوره أن يخلع نعليه حتى يقدر أن ينصت إلى الرسالة المقدسة بخوف وخشية، سانداً إياه بالآيات والمعجزات (خر 3). وعند دعوته لإشعيا و حزقيال النبيين قدم لهما رؤى خاصة بمجد الله والخليفة السماوية (إش 6، حز 1)، فصوخ إشعيا تحت وطأة شعره بتقل خطايا وخطايا الشعب، وسقط حزقيال أمام بهاء مجد الرب. أما دعوة لرميا فكانت مختلفة تماماً، إذ يقول في بساطة: " فكانت كلمة الرب قائلاً: قبلما صورتك في البطن عرفتك... ". كان اللقاء بين الله و لرميا لقاءً طبيعياً وكأنهما صديقان حميمان، وأن هذه الرسالة جاءت نتيجة علاقة قديمة تمتد جذورها إلى أيام تكوين لرميا في أحشاء أمه.

اختيار الله لرميا وتقديسه وهو بعد في الأحشاء هزّ قلوب الكثرين من آباء الكنيسة، وأي القديس أمبروسيوس في ذلك صورة حية لعمل الله فينا لأجل تقديسنا، فإنه يهب التقديس كعطية من جانبه لا فضل لنا فيها، ويكمل قائلاً: [احفظ هبات الله، فإن مالم يعلمك إياه أحد يهبه لك الله ويوحى به إليك] [24]. ورأي القديس جيروم أن الله بسابق معرفته اترك ما يكون عليه لرميا فإختره للعمل النبوي (رو 8: 29): [عرف الله مقدماً ما يكون في المستقبل عندما قدس لرميا وهو لم يولد بعد] [25]. وروى القديس كيرلس الأورشليمي أن الله الذي شكّل النبي في الرحم، وهياه للعمل النبوي، لا يخجل من أن يأخذ لنفسه جسداً في الرحم: [إن كان الله لم يخجل من أن تكون له علاقة بتشكيل إنسان، فهل يخجل من أن يشكل لنفسه جسداً مقدساً كحجاب للاهوته؟!] [26].

وروى العلامة أوريجينوس أن ما جاء في العبرة السابقة إنما هو هبة لم يتمتع بها أحد من قبله أو من بعده من الأنبياء، حتى إراهيم أب الآباء والذي يُحسب كنبى أيضاً لم ينعم بهذا. يقول:
[ماذا قالت له كلمة الرب؟]

قالت له شيئاً مموراً جداً ومختلفاً عما قيل للأنبياء الآخرين. فإننا لا نجد هذا الكلام موجهاً إلى أي من الأنبياء. فقد دُعي إراهيم نبياً في الآية: "إنه نبي وهو يشفع لك" (تك 20: 7)، ولم يقل له الله: "قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك" [5]؛ كما قدس إراهيم بعد قوة من الزمن حينما خرج من أرضه ومن عشيرته ومن بيت أبيه؛ ووُلد إسحق بوعد، لكننا نجد أنه لم توجه إليه تلك الكلمات.

لقد حصل لرميا على عطية خاصة وهي: "قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك" [27].
أما سرّ الامتياز فهو أن لرميا كان يرمز للسيد المسيح، الذي تنطبق عليه هذه العبرة بمفهوم فيدراغ، فإنه قبل تجسده منذ الأزل يعرف الآب ابنه وحيد الجنس، وقد قدسه بمعنى سلّم إليه العمل الخلاصى من جهة الإنسان. لم يكن السيد المسيح في عوز إلى تقديس خلجي، إذ هو القديس، لكنه قدم ذاته للآب في طاعة ليقوم بخلصنا، لعله لهذا قال: "لأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم مقدسين في الحق" (يو 17: 19). يقول العلامة أوريجينوس: [يقدم الله لنفسه بعضاً من الناس، فلا ينتظر ميلادهم ليقدمهم (يخصصهم لعمله)، إنما يفعل ذلك قبل خروجهم من الرحم... ينطبق هذا على المخلص الذي ليس فقط قدسه قبل خروجه من الرحم، وإنما أيضاً قبل ذلك (قبل التجسد)، أما بالنسبة لرميا فقدسه قبلما يوج من بطن أمه] [28].

ربما يتسأل البعض: لماذا يقول "قبلما صورتك في البطن عرفتك"، ألا يعرف الله الجميع قبل أن يصورهم في البطن؛ نجيب أن المعرفة ليست إراكاً ذهنياً مجرداً، وإنما هي معرفة الصداقة والحب التي تقوم بين الله ومؤمنيه. فالكلمة العبرية *yada* غالباً ما تحمل تعهداً شخصياً، كما يعرف الرجل إمرأته (تك 4: 1)، وكما قيل: "ياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض" (عا 3: 2). لهذا حزن الله جداً لأنه "لا معرفة الله في الأرض" (هو 4: 1)، [29]

حاسبًا معرفته أفضل من تقديم محركات (هو 6: 6) . وكما يقول العلامة أوريجينوس : [يُعتبر الخاطى مجهولاً من الله...]

لا يعرف الله الذين يصنعون الإثم، لأنهم لا يستحقون أن يكونوا معروفين لديه [30].

[يعرف الله الأوار الذين هم مستحقين أن يكونوا معروفين له، إذ "يعلم الرب الذين هم له" (2 تي 2: 19)، وعلى العكس فهو لا يعرف غير المستحقين لذلك، إذ يقول المخلص: "إني لا أعرفكم قط" (مت 7: 23).

نحن البشر حسب مقياسنا نحكم على بعض الأشياء أنها تستحق أن نعرفها، بينما بعضها لا نريد حتى أن نسمع عنها، ولا أن نعلم عنها شيئاً. هكذا رب كل الأشياء يريد أن يعرف فعون والمصوبين لكنهم كانوا غير مستحقين أن يُعرفوا منه. كان موسى مستحقاً أن يعرفه الله، وهكذا كان كل الأنبياء مثله.

إذن نُملس أعمال المحبة بكثرة، فيبدأ الرب في معرفتك . فإن كان الله قد عرف لرميا قبلما صوره في بطن أمه، لكنه يبدأ في معرفة البعض عندما يبلغون الثلاثين أو الأربعين من عمرهم...

يقدم الله نفسه لبعض الناس، أما في حالة لرميا فإنه لم ينتظر حتى وقت ولادته ليقدسه، لقد تقدس فعلاً قبل أن يخرج من الرحم [31].

عرف (yada) الله لرميا، وقدمه (hiqdis)، وعينه أو أقامه (ntn) للخدمة النبوية.

بجانب المعرفة، أي اهتمام الله به شخصياً والتصاقه به نجد التقديس، يعني فرز الشخص أو الشيء وعزله لكي لا يُستخدم إلا لحساب الله. كما أفرز الله سبط لاوى لخدمته والهيكل والسيوت وأيام الأعياد والبكور والعشور الخ. من يستخدمها لغير خدمة الله يُحسب مجدفاً. أقامه الله نبياً للشعوب، وليس لشعب واحد، لأنه متحدث باسم الله الذي هو إله كل الشعوب، الذي يود أن يجمع الكل للتمتع به.

2. اتساع القلب بالحب:

يعلم الرب لإرميا النبي حدود خدمته؛ قائلاً له: "جعلتك نبياً للشعوب" [5]. إن كان لرميا قد بدأ خدمته في حدود قريته التي رفضته لكن قلبه لم يضق بالناس إنما اتسع ليشمل كل يهوذا التي أصرت على رفضه ورماً، بل يؤكد الله له أنه قدس "نبياً للشعوب". وكأنه أراد أن يخرج به من الدائرة الضيقة لكي يئن مع أنات كل إنسان، ولا يستريح قلبه ما لم يستريح الكل في الرب.

هل دُعي لرميا لخدمة يهوذا، أم نبياً للشعوب؛ من الجانب الحرفي تتبأ عن بعض الشعوب الأخرى مثل بابل (25: 12-14، أر 50)، ومصر (49)، وفلسطين (47)، وموآب (48)، وبنى عمون (49)، وأنوم (49)، ودمشق (رام - إر 49) ... وكان الله قد جعل لإرميا ورماً يمس لا حياة يهوذا فحسب، بل وتاريخ الأمم الأخرى أيضاً [32].

حينما يبرك الإنسان رسالته التي من أجلها خلقه الله يكون له دوره الحوي في حياة الآخرين بطريق أو آخر. أما من الجانب الروحي فكان لرميا يشير إلى السيد المسيح، الذي وهو الابن الوحيد الجنس جاء كنبى (18: 15) يسحب قلب الشعوب إلى الحياة السماوية. هكذا خدامه المرتبطون به يحملون ذات الروح، مشتاقين بروح الأوبة الجامعة الحانية أن يضموا كل إنسان إن أمكن إلى ملكوت الله. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [أؤتمن (الكاهن) على العالم كله، وصار أباً لجميع الناس [33].

3. اتضاع النفس:

إذ دُعي لرميا للخدمة لم يرفضها بطريقة مطلقة وإنما اعتذر بضعفاته الشخصية، قائلاً: "قلت: آه يا سيد الرب إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" [6]. وكانت إجابة الرب: "لا تقل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به" [7].

للقديس غريغوريوس النزيوى تفسير روحى حيّ عن اعتذار البعض عن الخدمة وقبول الآخرين لها، إذ يقول: [جيد للإنسان أن يتراجع عن (دعوة) الله إلى حين كما فعل العظيم موسى (خر 4: 10) ولرميا من بعده، لكننا نقبل الدعوة بعد ذلك حين يدعوننا ونحن متأهلون كما فعل هرون (خر 4: 27) وإشعيا (1: 6)]. يؤزم أن يتم ذلك خلال الشعور بالمسؤولية، فيكون التراجع بسبب الشعور بالحاجة إلى قوة، ويكون القبول بسبب قوة ذلك الذي

في حديث للأب غريغوريوس (الكبير) عن الرعاية يقدم لنا إشعياء مثلاً لمن بالحلب يقبل الخدمة، ولرميا كمثل لمن بالحلب يعتذر عنها، قائلاً: **إشعياء إلى نفع أقبائه خلال الحياة العاملة مشتتياً عمل الكورة، اشتهدى رميا الالتصاق بمحبة خالقه بمثابة خلال الحياة التأملية، معتزلاً عن رساله للكورة [35].**

على أي الأحوال، لم يعتذر رميا عن الخدمة لبلادة في قلبه، ولا هوباً من المسؤولية، وإنما شوقاً إلى فرة خلوة مع الله ولو إلى حين مع شعره بالضعف الشخصي أمام إواكه لجسامة المسؤولية، فجاء هذا الشعور يؤكد تأمله لقبول عمل الله فيه، إذ يعمل الله في المتواضعين. كما يقول القديس **أمبروسيو**: [اختار الله موسى ولرميا ليعلنا كلمة الله للشعب خلال الاتضاع، فيقولون أن يحققا هذا العمل بالنعمة [36]. ويقول الرسول بولس: "اختار الله جهال العالم ليقرى الحكماء، واختار الله ضعفاء العالم ليقرى الأقباء، واختار الله أدنياء العالم العزوى وغير الموجود ليبطل الموجود، لكي لا يفخر كل ذى جسد أمامه" (1 كو 1: 27-29).] إذن سر القوة لا في الإناء المختار، وإنما في العامل فيه، لهذا يؤكد الرب لرميا في أكثر من موضع "أنا معك" [8-9].

ويتساءل العلامة أوريجينوس [37]: كيف يمكن أن تتطبق كلمات رميا النبي: "لا أعرف أن أتكلم لأنى ولد" على المخلص، مادام الأول رمزاً له؟ ويجب بأنه في العهد القديم قيل عن المخلص بكل وضوح: "ها العفواء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل... قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تُحلى الأرض التي أنت خاشٍ من ملكيها" (إش 7: 14، 16). فقد قيل "قبل أن يعرف الصبي..."، إذ "أحلى نفسه" (في 2: 7)، وجاء عنه في الإنجيل أنه كان "يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو 2: 52). فإنه إذ أحلى ذاته بنزوله على الأرض أخذ من جديد ما قد تركه خلال إخلاء ذاته بلادته؛ ليس غريباً أن ينمو من جهة الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس، بهذا يتحقق القول: "قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير" وما غير هذا من النصوص التي ذكرها إشعياء. يقول العلامة أوريجينوس إن المخلص هو كلمة الله العالم بكل شيء، في اتضاعه قبل أن يتجسد ويصير طفلاً ليتعلم لا الأمور الكبيرة وإنما الأمور الصغيرة، لا لغة الله فهي لغته وإنما لغة البشر، لكي يكون مشابهاً لنا في كل شيء. لقد كان التأسس حقيقة بكل معنى الكلمة، حمل ناسوتنا وتوج معنا في كل شيء كواحد منا حتى رفعنا إلى مجده الأبدى.

نعود إلى النص الكتابي حيث يجب الله لرميا: "لا تقل إني ولد" (تطلق الكلمة على الطفل المولود حديثاً أو الصبي حتى بلوغه الثلاثينات للزواج) [38]: "فإن كان رميا بحسب عمره صغيراً، لكنه في عيني الله ناضج روحياً. وكما يقول العلامة أوريجينوس: "يمكن أن نكون أولاداً صغيراً حسب إنساننا الداخلي حتى وإن كنا شيوخاً حسب الجسد، كما يمكن أن نكون أولاداً صغيراً حسب إنساننا الخارجي ولكننا ناضجون حسب الإنسان الداخلي، وهذا ما كان عليه لرميا، إذ كانت لديه نعمة الله وهو بعد ولد صغير حسب الجسد. لذلك قال له الرب: "لا تقل إني ولد". وأما علامة أنه إنسان ناضج (كامل) وليس بولد فهو ما جاء بعد ذلك "إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما أمرك به، لا تخف من وجههم" [39].

لقد اعتذر رميا عن الخدمة كما فعل موسى النبي (خر 3). وقد رأى بعض الدارسين أن رميا هو "موسى" جديد أقامه الله للشعب، من جهة:

أ. اعتزلهما في البداية عن الخدمة لشعرهما بالعجز البشوي!

ب. كانا يتشفعان في شعب الله بحبٍ شديدٍ وموارةٍ!

ج. نالوا وعداً بأن يضع الله كلماته في فمهما (1: 8؛ خر 3: 12).

د. أراد موسى أن يخلص الشعب من عبودية فرعون، وأراد رميا أن يخلص الشعب من عبودية الخطية التي تدخل بهم إلى الأسر البابلي.

هـ. قدم موسى للشعب ميثاق الله معهم، وأعلن لرميا عن عهد جديد مع الله (31: 31-34).

4. شجاعة الخادم:

الاتضاع لا يعني الاستكانة، إنما الشعور بضعف الإنسان وعجزه بذاته، مع الإيمان بإمكانيات الله الجبلة التي تسنده، فيعمل بشجاعة نون خوف أو اضطراب. فالواعي بل وكل مؤمن حقيقي يتمسك بكلمة الله الحزمة التي تعلن الحق وتفضح الباطل، يكون موضع غضب السالكين في الظلمة بل وأحياناً موضع مضايقات حتى العاملين في الكرم، لذا جاء في سفر ابن سواخ: "إن أردت أن تخدم الرب فأعد نفسك للتجربة".

يقول العلامة أوريجينوس : يعرف الله المخاطر التي تلاحق الموكلين على الكلمة من المستمعين لهم، فعندما يوبخون يكرههم الناس، وعندما يلومون يُضطهدون، فيتحمل الأنبياء كل هذه الآلام إذ ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته" (مت 13: 57). هكذا إذ يعرف الله المخاطر التي تلاحق من يرسلهم يقول: "لا تخف من وجوههم لأنني أنا معك لأنفذك يقول الرب" [8]. فقد جاء عن رميا أنه ألقى في الجب (6: 38) فكان لا يأكل إلا رغيف خبز كل يوم (21: 37) ولا يشرب إلا قليل ماء محتملاً آلاماً كثيرة، وكما قيل لليهود: "أي الأنبياء لم يضطهده أبواكم؟! وقيل أيضاً: "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (2 تي 3: 12)، وذلك خلال العمل العنواني وبكل وسيلة للمضايقة. كذلك يتحمل المضطهدون كل الآلام بنون تدمر، راجين أن يُضطهروا بلا سبب وليس بسبب خطأ ارتكوه، وإذا حدث أن اضطهدنا من أجل الحق، فلنسمع هذا التطويب: "طوبى لكم إذا عبروكم وطربوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين افرحوا وتهللا؛ لأن أجركم عظيم في السموات، فإنهم هكذا طربوا الأنبياء الذين قبلكم" (مت 15) [40].

لقد أكد الرب لرميا: " لا تخف من وجوههم لأنني أنا معك لأنفذك" [8]. هذه كلمات صاوة عن الفم الإلهي، يلتزم بها الله برادته المملوءة حباً نحو كل خدامه الأمانة، وأوهي "معية الله"، أن يكون معهم (خر 4: 12؛ يش 1: 5، 9؛ قض 6: 16؛ 1 صم 3: 19؛ 13: 16؛ مت 28: 20). الخدمة شاقة بل ومستحيلة بالأزوع البشرية، لأنها في جوهرها خدمة إقامة من الأموات، لا موت الجسد بل موت النفس؛ الأمر الذي يملسه الخالق المخلص خلال خدمة المتكئين عليه.

يؤكد له: "هأنذاك جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض... فيحربونك ولا يقدرين عليك، لأنني أنا معك يقول الرب: لأنفذك... [18-19]". لم يعد الله لرميا بلالة المتاعب عنه، لكنه وعده بمؤازرته اثناء الشدائد والضيقات، لا لكي لا يسقط فحسب، وإنما يجعل منه مدينة حصينة تحتضن الكثيرين، وعمود حديد يُبنى عليه هيكل الرب، وأسوار نحاس يخنقي وراءها الكثيرون في المسيح يسوع. إنه يهب خدامه كلمته "كمطرقية تحطم الصخر" (23: 29)، ويقدم لهم اسمه ليبيد الشر المحيط بهم (مز 118: 11).

الله لا يمنح قديسيه عدم التعرض للتجرب، إنما يعطيهم القوة للغلبة، وكما يقول القديس بيامون : [لا يختلف القديس عن الخاطي في أنه ليس مُجرباً مثله، بل يختلف عنه أنه لا يُقهر حتى من الهجوم العنيف، أما الآخر فينهمز من أقل تجربة] [41].

العجيب أن الله لا يطمئن خدامه بزوع التجرب عنهم بل يهددهم إن تركوا روح الشجاعة ليس فقط ينهمزون بل هو أيضاً وعبهم، إذ يقول: " لا توتع من وجوههم لئلا أربعك أمامهم" [17]. وكأن سرّ نجاحهم هو شجاعتهم في الرب.

أخراً إذ اعتذر لرميا عن الخدمة بسبب ضعفه دفعه الله إلى الإيمان به ليحيا بروح الشجاعة، واهباً إياه إمكانية الغلبة والنصرة على كل العقبات دون أن يؤمه بالخدمة قسواً. في هذا يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن العاملين في كرم الرب، قائلاً: [أنظر، في سلطانهم أن ينطقوا أو يمتنعوا عن الكلام. فإنهم لا يلتزمون بالعمل قسواً... فقد هرب يونان (يونان 1: 3)، وتأخر حزقيال (حز 3: 13) واعتذر لرميا (1: 6) ومع ذلك لم يدفعهم الله قسواً ولا أؤمهم بالعمل وإنما نصحهم ورشدهم وهددهم... وأثار أذهانهم لكي تترك الأمور الضرورية] [42].

5. الاختفاء في كلمة الله:

"ومدّ الرب يده ولمس فمي، وقال الرب لي: ها قد جعلت كلامي في فمك" [9]. يختفي خادم الله في كلمة الله تماماً، ويخفيها في أعماقه ليعيش

بها. إنه يُبتلع في الكلمة، والكلمة تتبلعه...

بقدر ما يظهر الخادم بذاته يَنمُق الكلمات، تخرج الكلمة مشوهة وضعيفة بلا سلطان؛ وبقدر نوبانه فيها تخرج في بساطتها قاورة أن تخترق أعماق القلب لتهدب سلاماً وروحاً وحياء! لهذا تُصلي الكنيسة في ليتورجية الأفخرستيا أن يهب الله خدامها ألا ينطقوا إلا بكلمة الحق، أي "كلمة الله"؛ فتطلب من أجل الأب البطروك أن يكون مفصلاً كلمة الحق باستقامة، ومن أجل العاملين معه: "والذين يفصلون كلمة الحق باستقامة أنعم بهم يرب على كنيسةك".

جاء في الدسقولية: [اهتم بالكلام يا أسقف إن كنت تقدر أن تفسر ففسر كلام الكتب. إشبع شعبك وروه من نور الناموس، فيغنتي بكثرة تعاليمك ^[43]]. ويقول **القديس إونيموس** : [لِزْم أن تتناسب كلمات الكاهن مع قراءات الإنجيل. لا تكن بليغاً في الأسلوب فحسب، ولا مكثراً في الكلام، تؤثر بلا هدف. إنما كن عميقاً في الأمور، مختوراً أسوار الله ^[44]]. كما يقول: [وأ الكتب المقدسة باستتوار، فلا ترفع الكتاب المقدس قط من يدك. تعلم ما سئعلمه للآخرين، ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لتكون قاورة أن تعظ وتوبخ المناقضين (1 تي 3: 4)... ^[45]] ويقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [الذي يميز المعلم هو قفرته على التعليم بالكلمة ^[46]].

سرّ القوة إذن في حياة ريميا أن الله مدّ يده، ولمس فيه، وجعل كلامه فيه. وللعلامة **أوريجينوس** تعليق جميل على مدّ الله يده ولمس فم ريميا، إذ يقول: [لاحظ الفرق بين ريميا وإشعيا. فأشعيا يقول: "ويل لي إني هلكت لأنني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عيني قد رأيت الملك رب الجنود" (إش 6: 5)، وبعد هذا الاعتراف... لم يمد الله يده ويمسه، ولكن طار إليه واحد من السوافيم وبيده جورة قد أخذها بملقط... ومسّ بها فمه، وقال: إن هذه قد مست شفتيك فانزع أثمك وكفر عن خطيتك (إش 6: 6-7)، أما ريميا فتقدس وهو في بطن أمه، ولم يرسل له الله ملقطاً أو جورة من على المذبح، إذ لم يكن به شيء يستحق النار، بل مدّ يده ذاتها ولمسته ^[47]].

هكذا تمتع ريميا النبي بتقدّيس الله له وهو في البطن، كما أنعم عليه بلمسة يد الرب لفمه لينال الكلمة في داخله... أما عمل الكلمة الإلهية في حياة رجال الله فهي: "أنظر قد وكتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض وتبني وتغرس" ^[10].

يقول الرسول يولس: "لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين" (عب 4: 12)، فهي تفصل بين الشر والخير، وتميز بين مملكة إبليس ومملكة الله، تقلع جنور الخطية وتغرس بذار الصلاح، تهدم الفساد وتبني برّ المسيح فينا. هكذا كان الله صريحاً مع نبيه ريميا منذ اللحظة الأولى، علّمه التمسك بكلمة الله التي تهدم وتبني، وتقلع وتغرس! رسالة صعبة وقاسية تثير الشعوب والممالك ضده. لم يرسله ليقدّم كلمات لينة مهدئة، وإنما ليعمل بالهدم والنقض والافتلاع، وفي نفس الوقت البناء والتغرس.

يقول **القديس أغسطينوس** : [هذا هو صوت الحق. هذا ما يفعله الأطباء حينما يقطعون، إذ يجرحون ويشفون. يحملون السلاح لكي يضربوا بالمشوط، ثم يتقدموا ليشفوا ^[48]]. وجاء في مناظرات **القديس يوحنا كاسيان**: [يعتمد الكمال العملي على نسق مزوج: الوسيلة الأولى هي التعرف على طبيعة كل الأخطاء وطريقة علاجها، والوسيلة الثانية هي اكتشاف تدبير الفضائل... يجدر بنا أن نعترف أننا نبذل جهداً بغرض مزوج: سحق الوديلة ونوال الفضيلة ^[49]].

هذا هو عمل كلمة الله المزوج في حياة الإنسان الداخلية، وفي حياة الكنيسة والعالم، لكنه عمل واحد متكامل، فلا بناء بدون هدم، ولا غرس نون افتلاع! هذا هو أيضاً عمل الروح القدس في المعمودية حيث يقوم بهدم الإنسان القديم وأعماله الشريرة، لينعم المؤمن بالإنسان الجديد الذي على صورة خالقه. وكما يقول **القديس كيرلس الأورشليمي** للمعمدين حديثاً: [كنتم تموتون وفي نفس اللحظة كنتم تولدون، كانت مياه الخلاص بالنسبة لكم قواً وأماً ^[50]]. ويقول **القديس غريغوريوس النزيوي** : [إن الخطية دفن في الماء... والمعمودية نوال للروح ^[51]]. ويقول **القديس جيروم**: [الذي ينال المعمودية في الأب والابن والروح القدس يصير هيكل الله، فينهدم البناء القديم ليقوم مقدس جديد للتالوث القنوس ^[52]].

وى العلامة أوريجينوس أن هذا العمل من الهدم والبناء خاص بالسيد المسيح نفسه، إذ يقول:

أين هي الشعوب التي قلعتها رميا؟

وأين هي الممالك التي هدمها؟

لأنه مكتوب بكل وضوح: "قد وكلتلك اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم".

أي سلطان كان لإرميا حتى يهلك، إذا افترضنا أن هذه الكلمة موجهة لإرميا: "وتهلك"؟

هل يوجد أعداد كثيرة من الناس بناهم رميا حتى يقال له: "وتبني"؟

يعلم رميا: "لم أعمل صلاحًا" فكيف إذا يكف ب البناء والغرس؟

إذا طبقت هذه الكلمات على المخلص فلا تُحير المفسرين أو تقلقهم ، لأن رميا هنا هو رمز للمخلص [53].

إن كان عمل الكلمة هو هدم شعوب وممالك واقامتها... فما هي هذه الممالك من الجانب الوجودي؟

يقول العلامة أوريجينوس:

إمن من الناس أخذ كلامًا من عند الله وله نعمة الكلمات الإلهية يقوم بقلع وهدم شعوب وممالك؟

عندما نقول أن من أخذ كلامًا من الله لقلع وهدم شعوب وممالك ، أرجوك ألا تأخذ كلمتي "شعوب" و"ممالك" بالمعنى المادي؛ إنما باعتبار أن

الخطية تملك على النفوس البشرية، بحسب كلمات الرسول: "إذًا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت" (رو 6: 12)، وبما أن هناك أنواع جديدة من

الخطايا، فسوف نفهم أن المعنى الوجودي لشعوب وممالك هو الشرور الفطرية الموجودة في نفوس البشر، والتي تُقلع وتهدم عن طريق كلام الله المعطي

لإرميا أو لغوه من الأنبياء [54].

[توجد ممالك كما توجد شعوب، فتوجد مملكة النجاسة وتوجد شعوب النجاسة تبسط أعمال الشر في حياة كل شخص، كالطمع والسوقة... أنظر

إلى الخطاة، كل واحدٍ فواحدٍ، فتفهم الشعوب موضوع المملكة... كلمة الرب مُرسلة إلى الشعوب والممالك بالقلع والغرس؛ فماذا تقتلع؟ لقد علمنا مخلصنا

"كل غرسٍ لم يغرسه أبي السموي يُقلع" (مت 15: 13). توجد داخل النفوس أشياء لم يغرسها الآب السموي، هي "أفكار شريرة، قتل، زنى، فسق،

سوقة، شهادة زور، تجديف" (مت 15: 19). هذه لم يغرسها الآب السموي. أتريد أن تعرف من الذي غرس أفكرك من هذا النوع؟ اسمع ما قيل: "إنسان

عدو فعل هذا" (مت 13: 28)، زرع زوانًا وسط الحنطة (مت 13: 25). الله يهتم ببنيه، والشيطان أيضًا، فإن تركنا الحقل فرغًا للشيطان يزرع

الغرس الذي لم يغرسه الآب السموي، الذي يجب اقتلعه تمامًا. إذن لا تتركوا الحقل فرغًا للشيطان بل للرب فيزرع البنور في نفوسنا بوح. لا تظنوا

أن رميا قد حصل على خدمة مؤلمة عندما ملك على ممالك وشعوب، فإن الله الصالح كان بكلمته يقتلع كل ما هو مخوي، يزع ملكوت العدو عن

الملكوت السموي، ويقتلع شعوب الأعداء (الخطايا) عن شعب الله! [55].

إذن بكلمة الله يقتلع خادم الله الغرس الغريب لكي يقوم الآب بتقديم غرسه في النفس؛ ويهدم مملكة الخطية لكي يقيم الرب مملكته السماوية؛

ويطرد الشعوب الغريبة الدنسة (الوجاسات) لكي يتمجد الله في شعبه.

لكي تبني كلمة الرب مملكته في داخلنا يؤمن أن نتركها تهدم فينا ما هو غريب عنها، وتزعه تمامًا، تحرقه بنارٍ أو تُلقى به خرجًا حتى لا

يعوق البناء الجديد والغرس الجديد. لهذا السبب كان البيت المضروب بالورس يُقلع حجراته التي فيها الضربة، وتُطرح خرج المدينة في مكانٍ نجسٍ (لا

14: 40) ... لا يكفي قلع الحجلة، وإنما يؤم ألا تُترك فتحتل حوزًا مقدسًا أو تسوب النجاسة إلى غوها، بل تُطرح خرجًا... هكذا لا نترك فينا أوزًا

للخطية بل ويُحرق الغرس الغريب تمامًا كما بنار... إذ يقول: "اجمعوا ولأوازموه حوزًا ليعرق" (مت 13: 30).

يقول العلامة أوريجينوس:

[تقلع وتهدم،

يوجد بناء من الشيطان، ويوجد بناء من الله.

البناء الذي "على الرمل" هو من الشيطان، لأنه غير مؤسس على شيء صلب موحد، أما البناء الذي "على الصخر" فهو من الله؛ أنظر ماذا يقال للمؤمنين: "أنتم فلاحه الله، بناء الله" (1 كو 3: 9).

إِذَا يُوجَّهَ كلام الله ليكون "على الشعوب وعلى الممالك، ليقلع ويهدم، ليهلك وينقض". إذا قلنا ولم نقم بإهلاك الشيء المقروع، فإن هذا الشيء يبقى؛ وإذا هدمنا ولكن بدون أن نهلك (تؤيل) حجرة الأساس فإن ما تهدم يظل باقيًا. فمن مظاهر صلاح الله وحبه أنه بعد ما يقلع يهلك، وبعدما يهدم يبني ما قد هُدم.

أما فيما يختص بالأشياء المقتلعة والمهلكة، فأوقأ بعناية كيف يتم إهلاكها: "احرقوا القش بنار لا تُطفأ، واجمعوا الزوان حزمًا وألقوها في النار". هذه هي طريقة الإبادة والإهلاك بعد القلع.

أتريد أن ترى أيضًا الهلاك الذي يحدث للأبنية الفاسدة بعد هدمها؟ كان البيت الذي يتم هدمه بسبب الرّص يتحول إلى وّاب، ثم يؤخذ هذا الوّاب ويُلقى خارج المدينة، حتى لا يبقى حجر واحد، كما في العبارة "سوف أبيدهم كما وُخل الشلوع" أو (سوف أسويهم بالأرض). يجب ألا تبقى مطلقًا الأشياء الفاسدة؛ إنما يتم إهلاكها لتجنّب استخدام بقاياها في بناء أبنية جديدة يعملها الشيطان، كما يتم اقتلاع الأشياء الفاسدة حتى لا يجد الشيطان فيها بذلًا أخرى يزرعها من جديد، يتم أهلاكها حتى لا توجد فرصة للشيطان لكي يزرع الزوان مع الحنطة [56].

لا يقف الأمر عند الهدم وزرع كل أثر للشر، وإنما يجب أن يلازمه العمل الإيجابي، وهو بناء المملكة الجديدة وتقديم الغرس السموي. يقول العلامة أوريجينوس: [لا يقف كلام الله عند هذا الحد، عند القلع والهدم والإهلاك ... ماذا يفيدني زرع الأشياء المخجلة وهدم ما هو شوير إن لم يحل مكانه غرس الخوات العليا وبناء الأمور الفاضلة؟! لهذا فإن كلمة ربنا تعمل أولاً بالضرورة على القلع والهدم والإفناء، ثم بعد ذلك البناء والغرس... يقول "أنا أميت وأحيي" (تث 32: 39). لم يقل أحيي وبعد ذلك أميت، فإنه يستحيل أن ما يعمل الرب على إحيائه يزرعه (بميتته) الآخر... ماذا يميت؟ إنه يميت شاول المشتكي والمضطهد ليجعله يحيا فيصير بولس رسول يسوع المسيح (2 كو 1: 1) ...! إذن يبدأ الرب بالأمور الأكثر حزناً لكنها لازمة، فيقول "أميت"، وبعدما يميت "أحيي". يسحق ويشفي (تث 32: 39)، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه! ... يجب أن يُقلع الشر من جذوره، ويُهدم بناء الإثم تمامًا ويُطرح خارج نفوسنا، لكي تبني كلمة الرب فينا وتغرس. لأنه لا يمكنني أن أفهم تلك العبارة بطريقة أخرى: "ها قد جعلت كلامي في فمك". لماذا؟ "تقلع وتهدم وتهلك". نعم إنها كلمات تقلع شعوب. كلمات تهدم ممالك، ولكن ليست الممالك المادية التي في هذا العالم، إنما يجب عليك أن تفهم بطريقة سامية ما هو المقصود بالكلمات التي تقلع والكلمات التي تهدم. عند ذلك تُمنح قوة من الله كما هو مكتوب: "الرب يعطي كلمة للمبشرين بعظم قوة"، قوة تقلع ما تصادفه من عدم الإيمان، أو الوياء أو الوديلة. قوة تهلك وتهدم إذا ما تواجدت أوثان مُقامة في داخل القلب، حتى إذا ما هُدم الوثن يُقام مكانه هيكل للرب، وفي هذا الهيكل يوّأي مجد الله ويظهر، فلا يعود ينبت زوان، وإنما فردوس الله في هيكل الله، في المسيح يسوع [57].

هذه الكلمة الإلهية التي بها يهدم ويبني، ويقلع ويغرس، يهتم بها الله نفسه، إذ هي كلمته. يقول النبي: "ثم صلت كلمة الرب إليّ قائلًا: ماذا أنت راءٍ يا رميا؟ فقلت: أنا راءٍ قضيب لوز. فقال الرب لي: أحسنت الرؤية، لأني أنا ساهر على كلمتي لأجريها" [11-12].

لقد رأي رميا قضيب لوز (shaged)، هو القضيب الذي أُوخته عصا هرون الجافة، التي وإن كانت لا تحمل حياة في ذاتها لكنها أثمرت كلمة الله الحية لإشباع المخومين. وروى العلامة أوريجينوس أن قضيب اللوز يشير إلى ضرورة معرفة الخادم لكلمة الله من الجانب الحرفي، والجانب السلوكي، والجانب الروحي، فاللوزة لها غلاف خلجي مَرّ يسقط تلقائيًا عند نضوجها، هذا هو التفسير الحرفي أو الظاهري، وهو مَرّ وقائل، عاق اليهود الحرفيين وأيضًا الغنوسيين عن بؤغ المعرفة الحقيقية [58]. ولها أيضًا غلاف داخلي سميك تقوم بكسوه لكي نأكل الثمرة التي في داخله، يشير هذا الغلاف إلى التفسير السلوكي أو الأخلاقي، خلاله يدخل المؤمن إلى حالة إِماتة وكسرٍ، خلال الحياة النسكية السلوكية من أصوام ومطانيات ومينات كثرة.

وأخيراً الثوة الداخلية وهي حلوة ومشبعة، تشير إلى التفسير الروحي الخفي، وهي غذاء مشبع للمؤمن، لا في هذه الحياة الحاضرة فحسب، وإنما في الأبدية أيضاً [59].

يلاحظ أن "قضيبي اللوز" يعني في العبرية "الساھر" وعلّة هذه التسمية أن شجر اللوز زهر مبكراً في شهر فواير قبل سائر الأشجار. تمتلئ الشجرة بالورد الأبيض لتعلن أن فصل الشتاء قد قرب على الانتهاء، وأن فصل الربيع أوشك على الاقتراب. بمعنى آخر، أنتهي وقت الموت (للنبات) لتحل الحياة من جديد! تشهد شجرة اللوز لعمل الله الفائق الذي يزوج الحياة من الموت! وكأن هذه الشجرة تبقى "ساھرة" على بقية الأشجار، فتشير إلى الله الذي يسهر على كلمته لتعمل في حياة الناس، إذ يقول: "لأني أنا ساھر على كلمتي لأجربها" [11].

يؤكد الله لإرميا خطأ ما يقوله الكثيرون في عصوه، كما في كل العصور حتى يومنا هذا: "الرب لا يحسن ولا يُسيء" (صف 1: 12)، بمعنى أن الله لا يفعل شيئاً، لا حول له ولا قوة!

من جهة أخرى، كأن الله يُعطي لإرميا النبي طمأنينة وتحذيراً في نفس الوقت، فإن كان العمل صعباً وموياً، لكن الله نفسه هو العامل، فلا يلبق به أن يخاف أو يضطرب، وفي نفس الوقت الله هو الملتزم بكلمته والساھر عليها، فإن لم يعمل النبي بالكلمة الإلهية يعمل الله بآخر غوه. إن كان الله يحوى بنفسه كلمته وهو ساھر عليها لكنه يطلب من جانبنا نحن أيضاً أن نسهر لئلا يحل بنا الشر. لهذا بعد رؤية قضيبي اللوز، جاءت رؤية القدر المنفوخة ووجهها من جهة الشمال حيث الشر قادم.

"ثم صلت كلمة الرب إليّ ثانية قائلاً:

ماذا أنت راء؟

فقلت: إني راء قوفاً منفوخة ووجهها من جهة الشمال.

فقال الرب لي:

من الشمال يفتح الشر على كل سكان الأرض" [11-14].

وى العلامة أوريجينوس أن التطلع نحو الشمال يشير إلى السهر والحذر من الشر القادم على النفس البشرية لتحطيم خلاصها، إذ يقول: [لتوضع المنارة في الجنوب لكيما تتطلع نحو الشمال. لأنه عندما يُضاء النور، أي عندما يكون القلب ساھراً يؤم أن يتطلع نحو الشمال ويلاحظ ذلك القادم من الشمال، وكما يقول النبي أنه رأي "قوفاً على نار ووجهها من جهة الشمال، لأن "من الشمال يفتح الشر على كل سكان الأرض" [14]. في سهرٍ واعدةٍ وغوةٍ يلبق به أن يتأمل على النوم في حيل الشيطان، ويلاحظ من أين تأتي التجربة، ومتى يقتحمه العدو، ومتى يُحرف نوه. إذ يقول الرسول بطوس: "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من يبتلعه هو" (1 بط 5: 8) [60].

6. الأمانة في العمل:

إن كان النبي قد أقيم كوكيل لله، إذ يقول له الرب: "أنظر. قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب... " فهو ملتزم أن يعمل بروح موكله، يقلع ويغوس، ويهدم ويبني. هذا العمل أجرته ضيق ومرة من العالم نحو العاملين به.

قدم الله لإرميا النبي رؤياً ثانية، إذ نظر قوفاً منفوخة من جهة الشمال تفتح فوهتها بالشر نحو الشعب، ويفسر له الرؤيا هكذا: "لأني هأنذاك داعٍ كل عشائر ممالك الشمال يقول الرب، فيأتون ويضعون كل واحدٍ كرسيه في مدخل أبواب أورشليم وعلى كل أسوارها حواليها وعلى كل مدن يهوذا؛ وأقيم دعواي على كل شوهم، لأنهم تركوني وبخروا لآلهة أخرى وسجدوا لأعمال أيديهم" [15-16]. بهذه الرؤيا أوضح الله لإرميا كل شيء مقدماً، كموكل قدم لوكيله خطته الإلهية بكل وضوح حتى لا يُفاجأ بها الوكيل فيضطرب عندما وى الضيق قد حلّ بأورشليم وكل مدن يهوذا. هذا ما فعله السيد المسيح مع تلاميذه حين حدثهم مقدماً بكل ما سيحل بهم من ضيقات ليستعنوا لمواجهتها. ومن جهة أخرى أوضح له أنه يعمل بكل الطرق فيستخدم حتى

الأمم الشوية لتأديب شعبه.

[61]

لما كانت أغلب متاعب إسرائيل تأتي من الشمال (من الأثوريين والأراميين والبابليين) لذا صار الشمال رمزاً لقوى الظلمة .

رى **القديس جيروم** في هذه الرؤيا أن الله يسلم أولاده للشيطان مؤقتاً للتأديب حتى ينقوا موارثه فيعودوا إلى أبيهم السموي، كما فعل معلمنا بولس مع من ارتكب الشر مع إهراءه أبيه، إذ قال: "حكمت كأني حاضر... باسم ربنا يسوع المسيح... أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع" (1 كو 5: 5). ورى **القديس جيروم** أن بالقدر لحماً (حز 24: 10-11) حتى يصير الخطاة لطفاء عوض القسوة وذلك بعمل النوان، فتصير قلوبهم لحمية عوض أن كانت حجرية [62].

يلاحظ أن الرؤيا الأولى مفرحة حيث تقدم كلمة الله كلوز مشبع للنفس له لذته، والثانية مرة ومؤلمة خاصة بالتأديب الحزم. وكأن الله يود أن يقدم كلمته العذبة لكل نفس لتتعم وتتبع بها، فإن رفضتها يسمح لها بالتأديب الذي يبدو قاسياً ومراً. وفي هذا كله يطلب الله ودنا وحبنا ومجدنا الأبدي! ولا تقف الأمانة عند تبليغ الرسالة فحسب وإنما تمس الحياة الداخلية، فأمانة الوكيل تعلن من خلال تقديسه الداخلي اللائق به كوكيل للقوس. لهذا يقول له: "أما أنت فنطق حقوك، وقم، وكلمهم بكل ما أمرك به. لا ترتع من وجوههم لنلا أريعك أمامهم" [17]. طالبه أن يمنطق حقويه ويقوم، فإنه إذ يمنطق حقويه يكون كمن يشترك في وليمة الفصح (خر 12: 11)، يشترك في العبور مع الشعب من عبودية الخطية للدخول في أورشليم العليا. أما قوله "قم" فتؤكد أنه لن يقدر أن يتم رسالته الكولية والشهادة للكلمة ما لم يقم مع المسيح يسوع ربنا فيقيم إخوته معه!

في تفسيرنا لسفر الخروج رأينا تمنطق الحقوين يشير إلى الدخول في حياة الإمامة لشهوات الجسد وضيقه كما بمنطقة، لأجل تحرير النفس وانطلاقها بالروح القدس إلى السمويات.

إذن فعلامة الأمانة في العمل الكولي إنما هو التمنطق، أي الدخول إلى الموت مع المسيح والتمتع بقوة قيامته، عندئذ يستطيع الخادم أن يتكلم بكل ما يأمره به الرب، إذ تزوج الكلمة حية وفعالة، عاملة فيه هو أولاً، فيقبلها الناس كحياة؛ وبهذا أيضاً لا يرتاع من وجوه الناس لأنه إذ مات وقام هل يخاف الموت بعد؟! بهذا يقيمه الله مدينة حصينة وعموداً حديدياً وأسوار نحاس على كل الأرض [18]، يصير سرّ بركة للكثيرين، يسندهم ويعينهم ويكون بالمسيح الصخرة هو أيضاً صخرة لكثيرين. بهذا يسمع الصوت الإلهي: "يحلربونك ولا يقدرن عليك، لأنني أنا معك يقول الرب لأتقذك" [19].

من وحي إرميا 1

لست واحداً من بين البلايين!

❖ كثراً ما تطلعت إلى نفسي،

فظننت إنني واحد من بين بلايين المخلوقات،

لكنني اكتشفت أنك خلقتني وعرفتني شخصياً!

قدستني وأقمتني لأتمم رسالتك!

❖ قد يروي بي العالم،

وقد استهين أنا بنفسي،

لكنك لن تتجاهلني... فأنا محبوبك أيها العجيب!

❖ أفرزتنني وأنا في أحشاء أمي؛

قلت لي:

"أنت لي، وأنا لك!

اخترتُكَ لتعمل لحسابي،

وأنا أقدم ذاتي لأجلك!"

حقًا، ما أعجبك يا شهوة قلبي!

❖ صغير أنا عن أن أتم رسالة إلهية،

أعترف لك إني ولد!

لكن بك أستطيع كل شيء يا قوتي!

❖ مدّ يدك، ولنلمس شفقتي،

فلا أنطق بكلمة مزاح،

ولا أتفوه بكلمة باطلة،

بل أحمل كلماتك النارية،

أبيض بنعمتك ينابيع مياه حية!

❖ كلمتك كقضيب لوز!

لتحطم الغلاف الخرجي، الحرف القاتل،

ولتهني ثروة اللوز الروحية شعبًا لنفسي!

❖ كلمتك مشبعة وموعدة،

لكنها أيضًا حزمة وجادة!

هب لي حبك وسمّر في خوفك!

بكلمتك أرك من أنا يا حبيب نفسي!

علمني، ربني، أدبني، ولا تغضب علي!

❖ هب لي أن أختفي فيك،

هب لي أن أحتمي بك،

فأنعم بثروة كلمتك الحية في داخلي!

لينتي أقتنيك،

ويقتنيك معي كل بشر،

فأنت الكل لي ولهم يا مخلصي!

❏

نويات

ما قبل سقوط أورشليم "مع الوعد بالرجوع من السبي"

رميا 2-33

الأصحاحات 2-6

عتاب في الأذن

تشمل الأصحاحات الخمسة (2-6) خطابين يتضمنان ما وصل إليه يهوذا من انحطاط روحي وأخلاقي مع تهديد بعقاب أليم يحل بهم على أيدي شعبٍ بعيدٍ يجهلون لسانه، يأتيهم من الشمال ^[63].

وى بعض الدرسين ^[64] أن رميا يتحدث عن كلثتين:

الكلثة الأولى: قد حلت بهم فعلاً أثناء حديثه. أعمالهم الشريرة هي السبب، إذ يقول لهم: " طريقك وأعمالك صنعت هذه لك. هذا شرك. فإنه مُرٌ فإنه قد بلغ قلبك" (4: 18). بسببهم عادت الأرض إلى حالتها قبل خلقة العالم، حيث كانت خاوية وخربة والسموات بلا نور (4: 23، تك 1: 2).

الكلثة الثانية: لم تكن بعد قد حلت بهم أثناء حديثه، وكان يمكن تجنبها بالتوبة والرجوع إلى الله، إذ يقول: " هل يحقد إلى الدهر؟! أو يحفظ غضبه إلى الأبد؟! " (3: 5).

<<

الأصحاح الثاني

سرّ الخصومة

رأد الله كمحب البشر في بدء عتابه أن يتحدث رميا مع أورشليم في أذنيها [1] وكأنه لا يريد أن يفضحها، ولا يهوى عقابها في ذاته، إنما يود الإصلاح بحديث ودّي في السرّ ما أمكن.

ربما قصد بقوله: "إذهب ونادِ في أذني أورشليم" [2] ، أن يقرب منها بدالة الحب والصدّاقة. هذا الحب لا يعني التستر على الخطية، إنما وهو يتحدث بمحبة يكشف لها عن سرّ انحطاطها الذي بلغت إليه. فالله هو العريس الغيور الذي لا زال يطلب عروسه التي هجرت، يلاطفها ويجتذبها إليه، لكنه لا يقبلها وهي مُصورة على خطاياها.

وى البعض أن الله في هذا الأصحاح يقيم قضية خيانة زوجية ضد عروسه المحبوبة لديه، لا للحكم ضدها، وإنما ليكشف لها ضعفها فترجع إليه.

قيل إن كلمة الله تريح التعابي وتتعب المسويحين [65] ، فهي تقدمراحة للنفس المعترفة بخطاياها، وتبعث تعبًا للنفس المستكينة التي تيرر نفسها... هنا تقدم الكلمة تعبًا لشعب استكان للخطية وبرر نفسه.

في هذا الأصحاح يتحدث عن:

1. فضائلها الأولى [1-2].
2. مرقها لديه [3].
3. عدم إهماله لها [4-8].
4. عدم امتثالها حتى بالأمم [9-11].
5. سرّ ضعفها [12-28].
6. ثمار خطاياها [29-37].

1. فضائلها الأولى:

"إذهب ونادِ في أذني أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب ذكرت لك غيرة صباك محبة خطبتك، ذهابك ورائي في البرية في أرض غير مزروعة" [2].

بدأ السيد عتابه بكلمة تشجيع إذ يعلن لأورشليم أنه لن ينسى يوم خطبها وهي بعد في صباها في مصر، كيف قبلته عريساً لها، وخرجت معه من مصر إلى البرية، في أرض غير مزروعة. وكأنه يعلن أنه مدين لها بهذا الحب، مع أنه هو الذي سمع صرخاتها في العبودية واهتم بها ورعاها، مقدماً نفسه سحابة تظللها من حرّ النهار وعمود نور يضيء لها ويقودها ليلاً، أرسل لها مناً سماوياً فلا تحتاج إلى طعام، وقدم لها صخرة ماء تتبّعها أينما ذهبت. كان لها الموي والطبيب والمهندس... يشبع كل احتياجاتها.

يذكر الله اللحظات العذبة التي فيها استمع الشعب لصوت موسى النبي ووثق في الوعود الإلهية، فكانوا كعروس في "شهر العسل" مع عيسها؛ ولم يذكر كيف كانوا قساة القلب، كثري التذمر!

عجيب هو الله في حبه، فإنه لا ينسى كأس ماء بلرد يقدمه الإنسان باسمه، أما خطاياها فيود ألا يذكرها بل يتناساها. إنه محب للإنسان، صريح معه كل الصراحة، يواجهه بكل ضعفاته، لكن في غير تحاملٍ ودون حرجٍ لمشاعره، وفي غير تجاهلٍ للجوانب الطيبة التي يتسم بها أو كان يتسم بها. إنه يبرز فضائل الإنسان ويوكز عليها لكي يسنده فلا ييأس قط. هذا هو الروح الذي اقتبسه منه معلمنا بولس الرسول ففي رسائله يبدأ بالتشجيع وإراز فضائل المرسل إليهم قبل أن يعرض مشاكلهم وضعفاتهم... حقاً إن كلمة التشجيع تسند كل نفس خائرة!

أقول، في وسط ضعفاتك وسقطاتك، في محبة يناجيك الرب: "قد ذكرت لك غوة صباحك، محبة خطبتك" ... إنه لا ينسى عمل المحبة ولو موت عليه سنوات طويلة!

2 . موكها لديه:

"إسرائيل قدس للرب، أوائل غلته، كل آكليهم يأثمون، شر يأتي عليهم يقول الرب" [3].

إن كان الله في هذا السفر يتحدث مع إسرائيل بصراحة كاملة، ويدخل معه في عتابٍ شديدٍ، ويعلن تأديبه له بحزم، ليس انتقامًا منه ولا لفضحه، وإنما لأنه "قدس للرب، أوائل غلته". ماذا يعني هذا؟

كان رئيس الكهنة يدخل إلى قدس الأقداس مرة واحدة في السنة، بعد تقديم ذبائح عن خطاياهم وخطايا الشعب، ثم يضع صفيحة ذهبية على جبهته مكتوب عليها: "قدس للرب" (خر 28: 36-38)، هي في الواقع خاصة بالسيد المسيح وحده، البكر وموضوع رضى الآب، يدخل إليه نيابة عن البشرية كلها، أو بمعنى آخر حاملاً فيه البشرية كجسده المقدس، فتكون مقدسة فيه ومقبولة لدى أبيه. ما كان يصنعه رئيس الكهنة قديماً إنما يمثل مسيح الرب الذي يقول "لأجلهم أقدم أنا ذاتي ليكونوا هم أيضاً مقدسين في الحق" (يو 17: 19).

إن كان إسرائيل هو "قدس للرب" إنما يحسبهم أشبه برئيس كهنة بالنسبة لبقية الشعوب والأمم، لهم وحدهم حق التمتع بمقدساته. لذا يطالبهم بالتقديس لا كقانون يلزمون به، ولا كفريضة ينتقلون تحتها وإنما كامتياز يليق بهم أن يتمسكوا به.

بحسب الشريعة أيضاً يلزم تقديم البكور للرب، فوائل الغلة تُعطى له فيقدس الحصاد كله. هكذا كان الرب وى هذا الشعب بكر الشعوب وأوائل غلته، هم من نصيب الرب لكي يتبارك العالم بسببهم... لهذا يعاتبهم في هورة، إنه له!

لما كان " إسرائيل قدس للرب، أوائل غلته " فهو بهذا ملك له، بكور العالم المقدسة لله وحده، من يغتصبه يغتصب حق الله، ومن يأكله ينتهك مقدسات الله، لذا يقول: "كل آكليهم يأثمون، شر يأتي عليهم". إن كان الله يسلمه للكلدانيين للتأديب، فإن الكلدانيين إذ يغتصبونه بعنف إنما يسيئون إلى حق الله نفسه ونصيبه!

حقاً يا للعجب، فيما يسمح الله لنا بالتأديب أو الضيق للتركيب وانا قدسه وأوائل غلته، من يمد يده علينا إنما يأثم في حق الله نفسه، وينتهك مقدساته! لهذا يؤكد الرب نفسه: "فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون، لأنكم تعطون في تلك الساعة ما تتكلمون به، لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم" (مت 10: 19).

ولعل الله أراد أن يعاتبهم بلطف، إذ كانوا تارة يرتمون في أحضان وُعون للتحالف ضد الكلدانيين أو العكس، فيقول لهم: أنتم لستم ملك أنفسكم، أنتم ملك لي، أنتم مقدساتي وبكوري، لماذا تسلمون أنفسكم لآخر غوي؟! إنكم تتعدون على حقي بالاتكال على آخر غوي وتسليم نواتكم ثوراً مجانياً للشعوب الوثنية!

على أي الأحوال، كان الله يُذكر شعبه بموكهم لديه من حين إلى آخر، حتى لا يشك في رعايته الأبوية، ومحبه وسوه عليه، من ذلك قوله: " أعبد إسرائيل أو مولود البيت هو؟! " [14]. إنه ليس عبداً بل الابن البكر (خر 4: 22)، يريد له الله الحرية الحقيقية والانعقاد من أسر الخطية، لكنه يظن في التوامات النبوة نواً فرأد التحرر من بنوته الله، إذ يعاتبه قائلاً: "لأنه منذ القديم كسرت نيرك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد" [20].

أساء الشعب فهم موكه كابن الله، أما الله فيبقى أميناً نحو ابنه. ويريدك ابناً مبركاً ناضجاً تحمل سمات أبيك، لذا لا يكف عن أن يقوّمك ويصلح كل اعوجاج فيك. لو لم تكن ابناً لما أدبك، لكنه من أجل النبوة يدخل بك إلى ألم التأديب لتتأهل لنوال الموات.

هورة أخرى يذكر الله شعبه أنه كومتته التي غوسها الرب بنفسه [21]، كما يكرر الدعوة "شعبي" [11، 13، 32، 33]، ويسميه "العنواء المزينة والعروس التي لا تنسى مناطقها" [32] ... هكذا بكل الطرق يكشف لها عن موكها لديه حتى تثق فيه وتقبل توجيهاته وتأديباته.

3. عدم إهماله لها:

لكي يكشف الله لشعبه عن ضعفاته، لم يكتفِ بإراز فضائله لتشجيعه وإعلان موكه لديه بكل الطرق، تلة كقدس للرب، وأخرى أول غلته، وثالثة ابنه، ورابعة شعبه، وخامسة كعروس له الخ. فإنه يُذكر شعبه أيضًا بأعماله الإلهية معه خلال التلرخ الطويل، كيف كان يهتم به ووعاه بلا إهمال، قائلاً:

"ماذا وجد في آباؤكم من جور حتى ابتعنوا عني؟!"

وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً،

ولم يقولوا أين هو الرب الذي أصعدنا من أرض مصر،

الذي سار بنا في البرية، في أرض قفرٍ وحفرٍ، في أرض يبوسة وظل الموت، في أرض لم يعوها رجل ولم يسكنها إنسان،

وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخرها" [5-7].

في عتاب قدم ملخصاً سريعاً وواضحاً عن رعايته لشعبه، إذ أخرجهم من أرض الجور والعبودية، ورافقهم كل الطريق في البرية، لم يكن بها إلا ظل الموت، لم يسبق أن عبر هذا الطريق إنسان قط... وأتى بهم إلى أرض الموعد، البساتين المملوءة ثراً وخرات.

إن كان هذا بالنسبة لأعماله في العهد القديم فماذا نقول نحن الذين تمتعنا بخلص هذا مقلده؟!

إنه لم يخوج بنا من أرض العبودية بل من ملكوت إبليس المستبد، واهباً إيانا سلطاناً أن نجحد الشيطان وكل أعماله، وننوس كل طاقاته تحت أقدامنا.

لم يسر بنا في بركة قفر، وإنما صار موافقاً لنا كل أيام غربتنا حيث المعركة التي لا تنتهي مع الخطية والإثم، معطياً إيانا قوة لنفقت من الفخاخ التي نصبها لنا عدو الخير طوال الطريق.

سار بنا في أرض قفر مملوءة حسكاً وشوكاً، حاملاً الشوك على جبينه حتى لا يوح أقدامنا.

دخل إلى طريق لم يعوها إنسان، إذ اجتاز عنا ومعنا المعصرة قائلاً: "قد دُست المعصرة وحدي، ومن الشعوب لم يكن معي أحد" (إش 63: 3)، "وتكونني وحدي، وأنا لست وحدي لأن الآب معي" (يو 16: 32).

سار بنا إلى أرض بساتين لتأكل ثمرها وخرها، ما هذه البساتين إلا السيد المسيح نفسه الذي قول إلى أرضنا، وفتح جنبه لندخل إلى أحشائه ونفوي بمحبته، قائلين: "تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي... حلقة حلوة وكله مشتبهات" (نش 2: 3؛ 5: 16). هكذا انطلق بنا من أرض ظل الموت إلى جسده واهب الحياة لنحيا به ومعه إلى الأبد.

لعلّ أخطر ما في هذه العبارة قوله "وساروا وراء الباطل (*hebel*) وصاروا باطلاً [5]. يحمل هذا العتاب معنيين:

الأول: أن من يسير وراء الله الحق، ويتحد به، يتمتع بشركة الطبيعة الإلهية، ويحمل الحق؛ أما من يسير وراء الفساد الباطل، ويتحد به، تتحول حياة الإنسان إلى الفساد، ويصير "باطلاً". وكان من يتحد بالله يصير كأنه إلهي، ومن يتحد بالخطية يحمل طبيعتها الفاسدة.

الثاني: أن كلمة *باطل* في العبرية *hebel* تقرب جداً من كلمة "بعل" *Baal*، وهو إله الكنعانيين الخاص بالخصوبة. يتعبدون له لينعموا بالثمر

المزايء فإذا بهم يجنون حياتهم عقيمة، بل وباطلة. فالخطية في حقيقتها لا تقدم شيئاً إلا السواب الذي يدفع بالمسافرين إلى الموت ضمناً!

لعله لهذا السبب قدم لنا السيد المسيح جسده ودمه المبذولين طعاماً روحياً لكي نحمله فينا، فنحمل الحياة الجديدة المقامة، الحياة السماوية المثورة،

عوض الفساد الذي حلّ في داخلنا! صار مسيحنا مأكلاً حق، لكي نصير نحن "حقاً"، عوض أن نأكل الباطل فنصير باطلاً!

إن كان الله في محبته لم يهمل شعبه بل اهتم وعائيتهم، للأسف أهمل الكهنة والخدام كرم الرب، فلم يتنوّقوا محبة الله ولا استطاعوا أن يقدموها

لشعبه، بل انحرفوا إلى عبادة البعل، وسحبوا قلوب الشعب معهم. "الكهنة لم يقولوا أين هو الرب، وأهل الشريعة لم يعرفوني، والوعاة عصوا علي،

والأنبياء تنبؤاً ببعل وذهبوا وراء ما لا ينفع" [8].

تحدث هنا على عن ثلاث فئات على الأقل:

أ. الكهنة : كان اليهود يظنون أن عملهم الرئيسي هو تقديم الذبائح، ولم يدركوا أن رسالتهم الأولى هي المصالحة مع الله مخلص البشر. كانوا يملسون طقوس الذبائح بكل دقة، لكنهم لم يوفعوا قلوبهم ولا قلوب الشعب نحو الله مخلصهم، لهذا يعاتبهم: "الكهنة لم يقولوا أين هو الرب". كان عليهم أيضاً أن يسلموا الشريعة جيلاً بعد جيل، وأن يكشفوا عن معرفة الله وولادته وخطته! لكنهم لم يستطيعوا لأنهم هم أنفسهم لم يعرفوا الرب في حياتهم وأعمالهم!

ب. الرعاة : أو الحكام أو الملوك: يُنظر إليهم كممثلي الرب، يهتمون بكل الشعب، خاصة الفقراء والمحتاجين كما جاء في المزمور 72، فيتمموا مشورته، لكنهم عصوه لأنهم أنانيون.

ج. الأنبياء الكذبة : لم يشهروا للرب بل تنبؤوا لحساب البعل.

هكذا تجاهل الكهنة الرب الذي كان يجب أن يعلنوا عنه وأن يشفَعوا لديه، وانطمست أعين أهل الشريعة عن المعرفة، وتحول الرعاة إلى العصيان عوض قيادة الشعب إلى الطاعة، وتنبأ الأنبياء ببعل عوض توبيخ الشعب على انحرافهم! لقد انخرقت كل القيادات الروحية عن عملها وأخذت الاتجاه المضاد لرسالتها. هكذا تدخل الخطية إلى حياة الإنسان فتفقده تولد كل قيادات نفسه الداخلية. فالكهنة هنا يشيرون إلى طاقات الحب التي تسحب الإنسان إلى الله ليطلبه بكل القلب، لكن الشر يفسد الحب فيجعله شهوات شرة، فيطلب القلب الأراضيات عوض السمويات، ومحبة الجسد عوض محبة الله.

ويشير أهل الشريعة إلى العقل الذي يؤم أن يستتير بالروح القدس ليتعرف على أسرار الله، لكن الشر يفسد العقل فيتحول من نور المعرفة إلى ظلمة الجهل ليصير أعمى يقود أعمى ويسقط كلاهما في حوة (مت 15: 14).

ويشير الرعاة إلى الحواس التي وعى الإنسان في مواعي الله الخلاصية، فيلتمس الحياة الجديدة وينتوقها ويشتم رائحتها، لكنها إذ تتعرف تصير الحواس ثقلاً على النفس، تسحبها إلى الأرض والجسد!

أما الأنبياء فيشيرون إلى الرؤية الداخلية حيث يليق بالقلب في نقلة أن يعاين الله ويلتمس الأبديات. إذ يفقد القلب نقولته يُصاب بالعمى، ويصير الله بالنسبة له خيلاً أو مجرد فكرة. هكذا إذ يرفض الإنسان رعاية الله يسلم كل طاقاته الداخلية ومراكز القوى، فلا تطلب ما ينفع بل ما هو مفسد لها!

4. عدم تمثّلها حتى بالأمم:

الآن إذ رفضته كعريس لها انطلق بها من بيت الزوجية الذي دنسته إلى دار القضاء، قائلاً: "لذلك أخاصمكم (riv) بعد يقول الرب" [9].
الأصحاغ كله اشبه بمذكرة دعوة مقامة بسبب خيانة زوجية.

"فاعبروا جزائر كتيم، وأنظروا ولسلوا إلى قيذار، وانتبهوا جداً وأنظروا هل صار مثل هذا؟!

هل بدلت أمة آلهة وهي ليست آلهة؟!

أما شعبي فقد بدل مجده بما لا ينفع" [10-11].

جزائر كتيم هي جزوة كريت، وقيذار في الصواء الغربية، وكان الله يطلب من شعبه أن يجول غرباً حتى كريت أو شرقاً حتى قيذار لوى بنفسه كيف تتمسك الأمم الوثنية بآلهتها التي هي بحق ليست آلهة، بينما يتجاهل شعبه علاقته بالله الحقيقي، فيبدل مجده بالأمور الباطلة التي لا تنفع، إذ يتعلق بالعبادات الوثنية. هكذا يخزي أبناء الملكوت حين ينظرون غوهم يجاهدون فيما لهم مع أنهم لا ينعمون بما يتمتعون هم به من وعودٍ وعطايا ونعم إلهية فائقة!

إنه يُعاتب شعبه ويوبخهم، لكنه كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** : [حتى في توبيخه يتنزل]، فمن أجل بنیان شعبه يقلن نفسه بالآلهة الوثنية ليكشف أن شعبه لا يقدم تكريمًا له كتكريم الأمم للوثن.

5. سرّ ضعفها:

بعد هذا العتاب اللطيف الذي فيه أعلن أنه لم يهمل في حقهم ولا في حق آبائهم، بل دائمًا وعاهم، أما هم فأبدلوه بآلهة غريبة، كشف لهم سرّ ضعفهم من جوانب كثرة:

أولاً: تركها ينوع الحياة واتكالها على ذاتها:

يُشهد الرب السموات على شعبه الذي استبدل مجده بأمور باطلة، لرفضهم الله ينوع المياه الحية ونقوم الآبار التي هي من عمل أيديهم الذاتية:

"بهتي أيتها السمويات من هذا واقشوي وتحوي جداً، يقول الرب،

لأن شعبي عمل شرين:

تكوني أنا ينوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبارًا آبارًا مشققة لا تضبط ماءً" [13].

من الصعب أن نتصور إنسانًا ما يُفضل مياه الأحواض على مياه الينابيع، لكنه لأجل راحة جسده يلتزم بالشرب من مياه الأحواض التي حوفا لنفسه في فناء موله عن أن يقطع مسافات طويلة ليثوب من الينوع. هذا يحمل رمزًا للإنسان الذي يختار الطريق الواسع السهل عن طريق الصليب الضيق. من جانب آخر يوضح النبي أن الذي يطلب مياه الأحواض التي حوفا بنفسه عوض مياه الينوع الطبيعي غالبًا ما يخرج فلغ اليدين، لأنه سوعان ما تتشقق الأحواض وتتسرب المياه من الصخور.

يُعاتب الله شعبه، قائلاً: لقد رفضتموني ورفضتم عملي في أرواحكم وأجسادكم لتعلموا هواكم وإرادتكم الذاتية، فصوتم طبيعيين وجسدانيين لا روحيين. فنحن نعلم أن الرسول بولس قسم البشرية إلى ثلاثة أصناف: روحيين وطبيعيين وجسدانيين.

الإنسان الروحي هو الذي يقبل روح الله فيه ينوع المياه الحية، عاملاً في روحه وجسده معاً، مقدساً إياه بالكامل.

أما الإنسان الطبيعي فهو الذي يرفض الينوع الحيّ لينقر لنفسه آبارًا ذاتية هي من صنع رادته، فيسلك حسب كروياء قلبه حتى في الأمور الروحية.

والإنسان الجسداني، إذ يرفض عمل الروح فيه يستسلم لشهوات الجسد....

لعل الله كرر كلمة "آبار" مرتين، لأنهم حفروا آبارًا حسب رادتهم الذاتية لأرواحهم، وحفروا آبارًا أيضاً حسب شهوات جسدهم، فسقطوا في

الكروياء والشهوات معاً.

ووى آباء الكنيسة أن الإنسان يشوب من ينوع المياه الحية الذي وهبه السيد المسيح لكنيسته المقدسة، فمن يخرج عنها ويقبل المعمودية من غورها أو التعاليم الغريبة عنها إنما يشوب من الآبار الغريبة التي لا تضبط ماءً! يقول **القديس إيريناؤس** : [الذين لا ينعمون بالشركة معه لا يتمتعون بالحياة من ثديي الأم، ولا ينعمون بالينوع النقي الذي يصدر عن جسد المسيح، وإنما ينقرون لأنفسهم آبارًا مشققة من خنادق رُضية، فيشربون ماءً ملوثاً بالوحل، هاربين من إيمان الكنيسة لئلا يدانوا، ويحتقرون الروح لئلا يتعلموا] [67]. ويقول **القديس كبريانوس** : [بالرغم من أنه لا توجد معمودية أخرى، إذ هي معمودية واحدة، لكنهم يظنون أنهم قادرين على التعميد. لقد هجروا ينوع الحياة ومع ذلك يعدون بتقديم نعمة المياه الحية المخالصة. فالناس عندهم لا يغتسلون (من الخطية) إنما يتجمعون معاً. مثل هذا المولد (المعمودية) لا ينجب ولاذًا لله بل للشيطان، فإن ولادتهم باطلة وقبولهم للمواعيد ليس حقاً] [68]. وأيضاً: [بوة أخرى يحذر الكتاب المقدس قائلاً: تحفظ من المياه الغريبة ولا تشوب من ينوع ماء غريب (أم 9: 19 الترجمة السبعينية)...

كيف يقدر من هو خلج الكنيسة وغير قادرٍ على زع خطاياها الخاصة أن يعمد غوه ويهبه غوان خطاياها؟! [69].

هكذا قدم الله لكنيسته ذاته ينوع المياه الحية، خرجها لا ينعم الإنسان إلا بالآبار المشققة التي لا تضبط ماء.

ربنا يسوع المسيح هو الينوع الحيّ يفيض على الكنيسة فيفجر في ولادها ينابيع حية، ويصيرون هم أيضاً أنفسهم أنهلاً، لذا يقول المرتل: "الأنهار لتصفق بالأأيادي" (مز 98: 9)، ويعلق القديس جيروم ، قائلاً: [تشرب الأنهار من الينوع يسوع... هذه هي الأنهار التي تفيض خلال ينوع المسيح. إنه الينوع ونحن الأنهار، إن كنا بالحقيقة نستحق أن ندعى أنهلاً. المسيح هو الينوع والقديسون هم أنهار، والأقل تقديساً يدعون نهوات، والبعض مجرد سيول هذه التي تجف مياههم عند التجرية ^[70].

وروى القديس أمبروسيوس أن اليهود رفضوا السيد المسيح الينوع الحيّ فصلروا كالخزة التي وضعها جدعون حيث كانت وحدها جافة بينما كان على الأرض ظلّ (قض 6: 39)، حيث سقط اليهود في جحد الإيمان بالسيد بينما قبلت الأمم الإيمان به ^[71].

ومن ناحية أخرى روى القديس أمبروسيوس أن الله النار الآكلة (تث 4: 24) هو بعينه ينوع المياه الحية: "ربنا يسوع المسيح كالنار يلهب قلوب السامعين له، وهو ينوع المياه الذي يهب برودة. جاء يلقي نرًا على الأرض (لو 12: 49) ويهب مياه حية للعطاش (يو 7: 37-38) ^[72]".

❖ جاء في سفر رميا شهادة للآب كينوع: "تكوني أنا ينوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبلاً، آبلاً مشققة لا تضبط ماء" (2: 13). وفي موضع آخر نقوا أنهم قد تركوا الابن ينوع الحكمة، وأيضاً عن الروح القدس : "من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا... يصير فيه ينوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو 4: 14).

^[73]
القديس جيروم

❖ الله بالحق هو الينوع؛ ليت ذلك الذي يتوق إلى هذا الينوع يسكب نفسه تحته، فلا يتوك شيئاً فيه في ملكية الجسد، بل تفيض نفسه (بالحب) في كل موضع.

^[74]
القديس أمبروسيوس

❖ كثيرون عطشى: الأوار والخطاة أيضاً. الأولون عطشى إلى الحق، والآخرون إلى الملمات. يعطش الأوار إلى الله، والخطاة إلى الذهب.

^[75]
قيصريوس أسقف آرل

❖ إلى هذا النبع جاءت رفقه بجرتها لتملأها ماءً، إذ يقول الكتاب المقدس: "فترلت إلى العين وملأت جرتها وطلعت" (تك 24: 16). وهكذا أيضاً ترلت الكنيسة أو النفس إلى نبع الحكمة لتملأ جرتها وترفع تعاليم الحكمة النقية التي لم يرغب اليهود أن يرفعوها من الينوع الفائض. اصغروا إليه إذ يقول الينوع نفسه: "تكوني أنا ينوع المياه الحية" (2: 13).

تعطش نفوس الأنبياء إلى هذا الينوع، فيقول داود: "عطشت نفسي إلى الله الحيّ" (مز 42: 2-3)، لكي يروى ظمأه بغنى معرفة الله ويغسل دم الحماقة بمياه المجرى الروحية.

^[76]
القديس أمبروسيوس

❖ لا يأخذ المؤمن قطرة من علم الشيطان، الفلك والسحر وغير ذلك من العلوم المقلومة للتقوى في الله. إنما له ينابيعه، يشرب من ينابيع إسرائيل، ينابيع الخلاص، لا من بئر سيحون. إنه لا يترك ينوع الحياة ليكنز في الآبار المشققة (2: 13). إنه يعلن أنه يسير في الطريق الملوكي، طريق ذاك الذي قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو 14: 6). إنه طريق ملوكي إذ قال عنه النبي "اللهم إعطِ أحكامك للملك" (مز 72: 1). يليق بنا أن نتبع طريق الملك نون أن نميل من أي ناحية، لا إلى حقل ولا إلى الأعمال والأفكار الشيطانية.

^[77]
العلامة أوريجينوس

في أيام رميا ترك الشعب الله بنوع المياه الحية ونقروا لأنفسهم أبرًا لا تضبط ماءً. فقد تظاهر فوعن مصر بالصدافة، وأعلن رغبته في حمايتهم من آشور، لكنه في الحقيقة كان يريد أن يقتنصهم لنفسه ويبتلعهم، وذلك كسيده إبليس الذي يقدم طرفًا تبدو كأنها للخلاص وهي مهلكة وخبيثة. لهذا يقول **رُجمت عليه الأشبال، أطلقت صوتها، وجعلت أرضه خربه، أحرقت مدنه فلا ساكن، وبنو نوف وتحفيس قد شجوا هامتك** [14-15]. فبنو نوف (مفيس) وتحفيس هما مدينتان مصويتان يمثلان مملكة فوعن كلها، هذه التي اتكلت عليها لانقاذهم من آشور، فومجرت عليهم كالأشبال وحولت أرضهم خرابًا وأفقدت مدنها سكانها!

ولعل تكراره لكلمة "آبار" مرتين يشير أيضًا إلى تراجح الشعب في ذلك الحين بين اعتمادهم على ملك بابل ضد فوعن مصر، أو العكس، فوعيون في الحماية البشرية، يطلبون أن يوتوا من مياه الفوات أو نيل مصر عوض مياه الله الحية. يقول: **"أما صنعت هذا بنفسك إذ تركت الرب إلهك حينما كان مسوك في الطريق. والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه شيحور، ومالك وطريق آشور لشرب مياه النهر"** [17-18].

يقصد بمياه شيحور مياه النيل، إذ جاء في إشعياء: **"وغلثها زرع شيحور حصاد النيل على مياه كثرة فصلت متحة الأمم"** (إش 23: 3).
رى القديس جيروم [78] أن كلمة "شيحور" تعني "النهر الوحل المملوء طميًا"، وربما دعى نهر النيل هكذا بسبب ما يحمله من طمي في فترة الفيضان.

إن كانت مصر تشير إلى محبة العالم بسبب خواتها الكثيرة، وبابل تشير إلى الكورياء بسبب ما وصلت إليه من كرامة زمنية وسطوة، فإن المؤمن كثوًا ما ينسحب قلبه من الاتكال على عمل الله ليشبع شهوات جسده ويحقق محبته للأرضيات، أو بسبب روح الكورياء التي يثور فيه، وفي كليهما يحرم نفسه من الارتواء بالحق.

في الرسالة الفصحية لعيد القيامة عام 335م تطلع البابا أناسيوس إلى فريقيين يحتفلان بالعيد، فريق كالشعب القديم أراد أن توتوى نفسه من مياه النيل في مصر أو من مياه الفوات في آشور عوض أن توتوى من ينبوع الله الحية فصلوا في ظمًا أعظم، بينما رأى فريق آخر في المسيح المصلوب القائم من الأموات كل شبعه، فقال: **[أنتم تعلمون أن للخطية خزها الخاص أيضًا - خبز موتها - لهذا فهي تدعو محبي اللذة الذين بلا إواز، قائلة: "المياه المسروقة حوة، وخبز الخفية لذيق" (أم 9: 17)]**. من يلمسها لا يدرك أن الذين يرتبطون بالأمر الأرضية يهلكون مع الخطية.

لكن يا للأسف! حتى حينما يتطلع الإنسان إلى الشبع لا يجد ثمر خطايا مبهجًا، وكما تقول حكمة الله في موضع آخر: **"خبز الكذب لذيق للإنسان، ومن بعد يمتلئ فمه حصي"** (أم 20: 17). **"ولأن شفتي الوأة الأجنبية (الوانية) تقطران عسلًا، وإلى حين لذيق، لكن عاقبتها موة أكثر من الأفسنتين، وحادة أكثر من سيف ذى حدين"** (راجع أم 5: 3-4). فيأكل ويُسّر إلى حين، لكن بعد ذلك إذ يُقطع من الله يهلك. لهذا السبب يحاول النبي أن يحفظ الخطاة من الابتعاد عن الله، محوًا: **"والآن مالك وطريق مصر لشرب مياه النيل؟ ومالك وطريق آشور لشرب مياه الفوات؟"** [18] [79].

ثانيًا: رتباطها بالآلهة الباطلة جعلها باطلة:

ليس فقط فرضت الله بنوع المياه الحية لتطلب ما لذاتها، الآبار التي من عمل يديها، أو لتلتجىء حسب فوكها البشري للحماية بملك بابل أو فوعن مصر، وإنما سّر ضعفها أنها استعاضت عن الله الحي بالآلهة الوثنية الباطلة، فعوض اتحادها بالحي لتكون هي حية رتبطت بالباطل فتصير باطلة، إذ يقول: **"ساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً"** [5] ... وفي عتاب يقول: **"أين آلهتك التي صنعت لنفسك، فليقوموا إن كانوا يخلصونك في وقت بليتك"** [28] ... هذا هو سر ضعفها: رفضت الله لتقبل من هم ليسوا آلهة آلهة لها...

يقول الرب لها عن تركها له: **"يوبخك شرك، وعصيانك يودبك، فاعلمي وأنظري أن تركك الرب إلهك شر ومرّ وأن خشيتي ليست فيك"** [19]. لو دققنا في العبارة لرأينا الله يكشف لنا عن حقيقة كثيرًا ما تغيب عن ذهننا، أن الذي يويخ الإنسان شوه، والذي يؤديه عصيانه... حقًا يقوم الله بالتوبيخ وفي محبته يؤديه بحرم، ربما يبدو قاسيًا للغاية، لكننا لا نلوم الله بل أنفسنا فإن ما يحل بنا من توبيخ أو تأديب هو ثورة طبيعية للشر والعصيان.

ما يسمح به الرب لنا هو أن نجني القليل جداً من ثمر ما ارتكبته أيدينا، وما صنعناه بكامل حريتنا، لنزوع عنا الشر ولنوجع عن العصيان فيتوقف التوبيخ ولا يكون للتأديب موضع.

هكذا يجني الإنسان ثمر عمله، وكما يقول الأب ثيودور: "الذي يوقد شراً يهلك به" [80] ، "فإن كل إنسان بحبال خطيته يُمسك" (أم 5: 22)، وكما يقول الرب: "يا هؤلاء جميعكم القادحين نراً، المنتطقين بشوارٍ، اسلكوا بنور نركم وبالشار الذي أوقدتموه" (إش 50: 11). أما عمل هذه النار التي يقدها الأشرار فهو حرمانهم من الله، إذ تسحب قلوبهم من الله وتتوخ خشية الرب عنها، فتصير حياتهم مملوءة مرارة. هكذا يقول: "فأعلمي وانظري أن تركك الرب إلهك شر ومر وأن خشيتي ليست فيك يقول السيد رب الجنود" [19].

استخدم داود النبي تعبير "رب الجنود" عندما حور جليات الجبار (1 صم 17: 45) ليؤكد أن الله هو قائد المعركة، المدافع عن شعبه. وجاء في المزمور: "رب الجنود معنا... إله يعقوب ملجأنا" (مز 46: 7، 11). استخدم رميا النبي أيضاً هذا التعبير ليعلم أنه قائد المعركة لحماية شعبه، لكن إن رفضه شعبه صار الله لتخطيهم!

كشفت لها عن ضعفها بثلاث تشبيهات أخذها من الحيوانات والبشر والنباتات:

أ. وصفها كحيوانٍ جامحٍ لا يريد العودة إلى صاحبه [20].

ب. كزانيةٍ تملس الفساد علانية بلا خجل، على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء، أي في المواضع التي تتعبد فيها للبعل. وكأن عبادتها قد امتزجت بالرجاسات.

ج. ككرمةٍ منتقاةٍ ، لكنها قدمت عنباً لا نفع منه (ع 20، إش 5). يُشار إلى شعب الله في الكتاب المقدس بأربعة أنواع من الشجر: الكرمة والزيتونة والتينة والعوسج. وقد سبق لنا الحديث عن الكرمة والتينة أثناء راستنا لسفر هوشع. إن كانت الكرمة كما الخمر (عصير العنب) يشوان في الكتاب المقدس إلى الفوح الروحي، فإن عدم الاثمار أو إنتاج عنبردىء يعني فقدان الكنيسة (أو الشعب) روح الفوح بالرب ، واتسامها بالغم والتذمر الدائم. جاء مسيحنا ككرمة ليجمع منا أغصاناً (يو 15) تشهد لوجهه السلموي، وسلامه الإلهي الفائق.

لقد رفضت عروسه الارتباط به وأحلت البعل عوضاً عنه: "لأنه منذ القديم كسرت نيكوك وقطعت قيودك وقلت لا أتعبد، لأنك على كل أكمة عالية وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية" [20]. لقد قبلت البعل عريساً لها عوض رجلها فصلت زانية.

لماذا قيل إن إسرائيل قد اضطجعت زانية على كل مرتفع (أكمة عالية) وتحت كل شجرة مظلمة (خضراء) (2: 20؛ 3: 6)؟

يقول العلامة أوريجينوس : [لأنهم يتكلمون بتشامخ في علو، ويستخدمون البلاغة الزهرة. على كل الأحوال إنهم لا يعملون حسبما ينطقون] [81].

وإذ أراد تأكيد مسئوليتها عما تفعله، يقول لها: وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها، فكيف تحولت لي سروغ جفنة غريبة؟! [21]. وكأنه يقول لها: لقد خلقتك كلكِ حق بلا بطلان ولا فساد، زرعتك كرمة مختلثة من بذار طيبة، فلماذا تحولت إلى كرمة غريبة دنيئة؟! يعلق العلامة أوريجينوس على ذلك بقوله إن الله صنع لنا كل ما كان ممكناً أن يكون ممتعاً، لكننا نحن الذين أوجدنا الشر والخطايا لأنفسنا. لهذا يبدو النبي وكأنه يسأل من ملأت المرارة نفوسهم عوض الرقة أو الوداعة التي أودعها الله فينا، قائلاً: كيف تحولت لي سروغ جفنة غريبة؟ [إن ليس الموت من صنع الله، ولا هلاك الأحياء يسره. لأنه إنما خلق الجميع للبقاء. فمواليد العالم إنما كونت معافاة وليس فيهم سم مهلك ولا ولاية للجحيم على الأرض" (حك 1: 13-14) . إذا خرجت قليلاً عن الموضوع أقول: من أين إذاً جاء الموت؟ "بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم" (حك 2: 24).

لقد صنع الله كل ما يمكن أن يكون جميلاً لنا، ونحن خلقنا لأنفسنا الشر والخطايا.

يثير النبي تساؤلاً أمام هؤلاء الذين امتلأت نفوسهم بالمرارة المخالفة للنعوبة التي وضعها الله فيهم، فيقول: "فكيف تحولت لي سروغ جفنة

يقول: إن الله لم يصنع العوج، لكنه على العكس أعطى الجميع أرجلاً نشطة خفيفة الحركة، ثم حدثت علة جعلتهم يوجون!

خلق الله من البدء جميع الأعضاء سليمة، ثم حدثت علة جعلت بعض هذه الأعضاء تتألم.

هكذا أيضاً صنعت النفس على صورة الله، ليس فقط بالنسبة للإنسان الأول وإنما بالنسبة لكل إنسان، لأن الكلمات: "تعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا" (تك 1: 26) تمتد إلى كل البشر. وما يُقال عن آدم يُقال أيضاً عن جميع البشر. كان آدم يحمل في البداية "صورة الله"، ثم أضاف عليها بخطاياها

"صورة الترابي" (1 كو 15: 49) هكذا حدث مع كل البشر، فقد كانت صورة الله سابقة لصورة البشر.

"لقد لبسنا" ونحن خطاة "صورة الترابي". لنلبس إذاً بتوبتنا "صورة السموي"، عالمين رغم كل شيء أن الخليقة قد صنعت على صورة السموي.

تضع كلمات الكتاب المقدس هذا التساؤل أمام الخطاة؛ فيقول لهم الله بنعمة العتاب: "كيف تحولت لي سرور جفنة غريبة؟" فأنا "قد غرستك زرع حق كلها".

سبق لنا القول أن الله غرس نفس الإنسان مثل "كرمة جميلة"، لكن بتغوره وانحرافه، تحول إلى عكس ما أراد الخالق.

وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها"، وليس "زرع حق بعضها"، ليست زرع حق هنا وزرع رديء هناك، ولكنها "زرع حق كلها" كيف تحولت إلى مورة على الوغم من إنني خلقتك كلكِ بجمالك حق؟ كيف أصبحت كرمة غريبة؟ [82]

خلقها الله كرمة مقدسة له، لكنها اختزلت لنفسها أن ترفضه، فصلت "سرور جفنة غريبة"، لذا لا يدعوها "كرمتي" بل مجرد "كرمة"، هي رفضت انتسابه إليها كإله، وهو يرفض انتسابها إليه حتى تعود إليه مقدسة فيه. يقول القديس أغسطينوس: [إنه لم يقل كرمتي، فلو كانت كرمته لكانت صالحة، أما كونها رديئة فهي ليست له لذا فهي غريبة]. [83]

في العهد القديم "غرسه كرم سورق (كرماً مختزلاً)" (إش 5: 2)، أي غرس كرمًا من أفضل أنواع الكروم، كشعبٍ مختارٍ نال عهدًا مع الله، لكي يحمل "الحق" فيه، كقول الرب: "وأنا قد غرستك كرمة سورق زرع حق كلها، فكيف تحولت إلى سرور جفنة غريبة؟!" [12].

أما بالنسبة لكنيسة العهد الجديد فقد جاء "الحق" نفسه، كلمة الله المتجسد ليقدم نفسه كرمة يحملنا فيه أغصانًا حية تأتي بثمر كثير (يو 15: 5).

❖ عندما يقول: "أنا هو الكرمة الحقيقية" (يو 15: 1) يميز نفسه دون شك عن تلك التي وجه إليها الكلمات: كيف تحولت لي سرور جفنة؟" [21]، إذ كيف يمكن لكرمة حقيقية يُنتظر أن تصنع عنبًا فصنعت شوكًا؟!

❖ انتظرت أن تصنع ثمرًا فوجدت خطية.

[84] القديس أغسطينوس

❖ اشتقت أن تعطى (الكرمة) خرمًا فأخرجت شوكًا. ها أنتم ترون الإكليل الذي أترين به!

[85] القديس كيرلس الأورشليمي

لم يقف الأمر عند إفساد نفسها بنفسها باعتبارها إلهًا وعدم انتسابه إليها وانتسابها إليه، إنما حتى عندما رادت إصلاح نفسها اتكأت على نواحيها البشري عوض الرجوع إليه كمخلص لها. كأنها حتى في ندامتها يزداد انشفاقها عن الله الحقيقي لأنها عوض الاعتراف بخطاياها حاولت تبرير نفسها. لذا يقول لها: "فإنك وإن اغتسلت بنطرون وأكثرت لنفسك الأشنان فقد نُقشَ إثمك أمامي يقول السيد الرب" [22].

إذ تكون النفوس عنيدة للغاية يهدد الله بالعقوبة نون أن يفتح بابًا للرجاء، ليس لكي يسقطوا في اليأس، وإنما لكي لا يحولوا هذا الرجاء إلى استهانة واستخفاف. فعندما أرسل يونان النبي إلى أهل نينوى بدا في الحديث كأن لارجاء لهم في الخلاص من العقوبة، لكنهم إذ تابوا غفر لهم ودافع

❖ عندما يقول للمدينة: "فإنك وإن اغتسلت بنظرون وأكثرت لنفسك الإنسان فقد نقش إثمك أمامي" [22]، لم يقل هذا لكي ليلقى بهم في اليأس، وإنما ليثوهم للتوبة [86].

القديس يوحنا الذهبي الفم

ظنت أنها قاهرة بذاتها أن تغسل بالنظرون أو بالإشنان (صابون أو منظف)... ولم تترك أن هذا من عمل الخالق نفسه، هو وحده الذي يغسل النفس ويقدس الجسد! وكما يقول العلامة أوريجينوس:

[فلتنظر بعد ذلك إلى العبرة: "فإنك وإن اغتسلت بنظرون وأكثرت لنفسك الإنسان فقد نقش إثمك أمامي يقول السيد الرب".

هل معني هذا أن النفس الخاطئة تظن أنه باغتسالها بالنظرون المادي تضع نهاية لإثمها وخطيتها؟!]

هل يظن أحد أنه باغتساله بذلك العشب (الإشنان) الذي ينبت من الأرض يطهر نفسه، حتى تقول كلمة الله للكومة المتحولة إلى العبرة والتي

أصبحت غريبة: "فإنك وإن اغتسلت بنظرون وأكثرت لنفسك الإنسان فقد نقش إثمك أمامي يقول السيد الرب"؟]

لا، ولكن يجب علينا أن نعرف أن كلمة الله كَلِيّ القوة، قادر على شفاء الكل "لأن كلمة الله حي وفعال وأمضى من كل سيف ذي حدين" (عب 4: 12).

توجد إذاً كلمة عبرة عن نظرون ، وأخرى عبرة عن عشب ، كلمة بمجرد نطقها تتطهر الخطايا التي من فوع معين. ولكن كما أن كلمات النظرون والعشب لا تصلح علاجاً لكل الخطايا، إذ توجد خطايا تتطلب علاجاً آخر خلاف العشب والنظرون، قيل للنفس التي ظنت أن خطاياها يمكن أن تُغسل بالنظرون والعشب: "فإنك وإن اغتسلت... يقول السيد الرب".

أنظروا إلى الجروح: توجد جروح تُعالج بالرواهم والدهون، وأخرى تُعالج بالزيت، وأخرى بعصاوية وأربطة. هذه الأنواع من العلاج تكفي لشفائها، ولكن هناك جروح أخرى قيل عنها: "ليس فيه صحة بل جرح واحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت. بلادكم خربة. مُدنكم مُحرقَة بالنار" (إش 1: 6-7). نفس الشيء بالنسبة للخطايا: بعضها يؤدي إلى اتساع النفس هذه تحتاج إلى كلمة نظرون أو كلمة عشب لتنظيفها، وبعضها لا يمكن علاجه بهذه الطريقة لأنها تُعاني أكثر بكثير من مجرد الاتساع.

أنظر كيف أن الرب الذي يعرف أن يفوق بين الخطايا، يعلن في إشعياء قائلاً: "غسل السيد قذر بنات صهيون، ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق" (إش 4: 4).

قذر ودم؛ القذر "بروح القضاء" والدم "بروح الإحراق".

فإذا ارتكبت خطية، حتى ولو لم تكن "خطية للموت" (يو 5: 16)، فقد اتسخت؛ وسوف "يغسل السيد قذر بنات صهيون وينقى دم أورشليم من وسطها". وما نحتاجه نحن حينما نخطيء خطية أخطر ليس هو النظرون أو العشب وإنما نحتاج إلى "روح الإحراق".

لعلّي الآن قد عرفت ما هو سبب أن السيد المسيح يُعمد "بالروح القدس والنار" (لو 3: 16). ليس أنه يعمد إنساناً واحد بالروح القدس والنار، وإنما هو يعمد الإنسان البار بالروح القدس ، أما الإنسان الآخر الذي بعد ما يؤمن وبعد ما يكون مستحقاً للروح القدس، يخطيء من جديد، فإن الرب يغسله بالنار.

طوبى لمن اعتمد بالروح القدس ولا يحتاج أن يُعمد بالنار ، ومسكين جداً من يكون محتاجاً أن يعمد بالنار. ومع ذلك فإن يسوع المسيح يستطيع أن يعمد في الحالتين. مكتوب: "يُخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله" (إش 11: 1). القضيب للمُعاقبين والغصن للصالحين. كذلك فإن الله "تار آكلة" (عب 12: 29)؛ و"الله نور" (1 يو 1: 5) نار آكلة للخطاة، ونور للأوار والقديسين [87].

إذ حاولت تغطية خطاياها بتوروا لذاتها فضحها أمام نفسها، قائلاً لها: " أنظري طريقك في الوادي" [23]. هنا يقصد وادي بني هونم (2 مل

23: 10، إر 7: 31-32؛ 5-6: 19) الذي فيه كانوا يقدمون أطفالهم محرقات للأوثان. هذا يكشف كيف سيطرت عبادة الأوثان على قلوبهم وحياتهم،

فلم يملسوها لأجل منافع زمنية وإنما بلغ بهم الأمر إلى حرق أطفالهم كذبائح آدمية وهم يوقصون ويتهللون أمام الأصنام.

عاد موة أخرى يوبخها على تركها إياه وجريها وراء البعل الغريب، مؤكداً لها أنها باعته، وليتها باعته بثمان وإنما بلا ثمن، إذ لم تقتن من البعل شيئاً سوى الانحدار من الجبال العالية المقدسة والنزول إلى الوادي [23]. يقول لها: "أنظري طريقك في الوادي" [23]؛ لقد تركتي الحياة السمائية العالية، إذ أتوك البعل إلى السفليات وانحدر بك إلى الأرضيات. ولعله بقوله هذا يذكرها بما فعله في وادي هنوم حيث تقدم أطفالها الصغار ذبائح بشرية وضحايا للبعل (7: 31)، ففقدتهم بلا ثمن! في مرة يقول لها: "اعرفي ما عملت يا ناقة خفيفة، ضبعة في طريقها، يا أتان الفوا قد تعودت البرية، في شهوة نفسها تستنشق الريح" [23-24]. لقد صلت كأنثى الجمل التي بلا قائد لها، تتحرك بخفة وبغير توقف بلا هدف ولا نفع، تحوي في كل اتجاه متخبطة؛ وكالضبعة التي تحفر القبور لتأكل الجثث، رائحتها كريهة، جبانة بطبعها! صلت كأنثى الحمار الوحشي التي تعودت الحياة في وية القفر، ولا تستريح وسط الخوات والبركات، إنما تقضى كل وقتها تحوي وراء الذكور من هنا ومن هناك، تفقد هارغبته في الاشباع الجنسي أو أنها وراحتها. صلت تشتهي أن تستنشق الريح!

ماذا أخذت من تركها إلهها واهب الخوات وانجذابها إلى البعل، إلا فقدان إنسانيتها ولأولادها وتعقلها وكل بركة لتعيش هكذا هائمة كمن في البرية!

صلت في خطر كمن يسلك في أرض ووعة حافياً، وقد جف حلقه من الظمأ، ومع ذلك لا يريد أن يلبس نعلأولا أن يشرب ماء! "احفظي رجلك من الحفا وحلقك من الظمأ، فقلت باطل: لا، لأني قد أحببت الغباء ووراءهم أذهب!" [25].

يتوسل إليها أن ترجع ليحفظ قدميها من العثرة ويروي حلقها عوض الظمأ، لكنها في إصرار ترفض قائلة: "لا"، لأنها تظن أن جريها وراء الغباء مع التعرض للخطر والظمأ أفضل لها من التمتع بأحضان عيسها الإلهي ونوال بركاته المشبعة. لذا يبدأ بالتهديد بعد التوسل، قائلاً: "كحوي السارق إذا وجد، هكذا حوي بيت إسرائيل، هم وملوكهم ورؤسؤهم وكهنتهم وأنبيؤهم" [26]. يبقى السارق متهللاً بسوقته حتى ولو لم يستخدم المسروق، ويفتخر أنه استطاع أن يسوق ولم يدر به أحد، لكنه متى قبض عليه صار في حوي ولا ينفع الندم، هكذا فعل إسرائيل على أعلى المستويات من ملوك ورؤساء وكهنة وأنبياء لكنهم سيقضون يوماً أمام الله كالسارق في دار القضاء، وليس من يشفع فيهم، ولا من يستر على خزيمهم، لأنهم اختلوا العود (الأصنام الخشبية) أباً لهم، والحجر (الأوثان الحجرية) أمماً [27]، ورفضوا الله أباهم! تركوا القادر أن يخلصهم في يوم القضاء والتصقوا بمن يهلكهم ويهلك معهم!

في مرة يقول "حولوا نحوي القفا لا الوجه"، لقد رفضوا أبوتي واقتنوا لأنفسهم أباً وأمماً هما من الخشب والحجرة، تكوني أنا الخالق محب البشر ورتموا في أحضان الخليفة الجامدة بعدما تدنست!

وي العلامة أوريجينوس أن الأثوار يختفون عن وجه الرب إذ قيل: "حولوا نحوي القفا لا الوجه" [27]، أما الأورار فيقفون أمامه بثقة ليهبهم الحياة المقدسة (1 يو 3: 21)، قائلين مع اليسع النبي: "حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه" (2 مل 5: 16).

يليق بالحامل للعرش الإلهي وقد دخل إلى كمال المجد ألا يكون له ظهر (قفا)، بل يكون كله وجوهاً، وكله عيوناً دائم التطلع إلى الله بلا عائق. لذلك عندما أخطأ الشعب لله عاتبهم قائلاً: "حولوا نحوي القفا لا الوجه" [27]. التعبير الذي استخدمه أكثر من موة على لسان رميا النبي (7: 24، 18: 17، 32: 33).

ثالثاً: التعريج بين الفريقين:

قلنا أن سر ضعفهم هو تركهم ينوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آبار مياه ذاتية من عندياتهم. هذا من جانب ومن جانب الآخر تركوا أباهم الحي ليقبلوا العشتاروت الخشبي وهي إلهة الخصوبة الأنثى أباً لهم، أو من الإله الذكر الحوي أمماً لهم. إذ يقول: "قائلين للعدو أنت أبي وللحجر أنت ولدتي"

[27] . هنا نوع من السخرية، إذ يعلن لهم النبي أنهم فقنوا كل إرثك طبيعي وكل منطق بشوي، فجعلوا من الأنتى أبًا، ومن الذكر أمًا وولدًا لهم! إنهم لم

يفقنوا فقط قدرتهم على التمييز بين الله الحقيقي والآلهة الباطلة، وإنما حتى التمييز بين الذكر والأنتى، والأب والأم!

وأخرًا فإنهم حتى في وسط الضيق لا يرجعون إلى الرب بكل قلوبهم بل يعرجون بين الفيقين، يطلبون الله ليخلصهم أما قلبهم فملتصق بالبعل.

يقول "وفي وقت بليتهم يقولون قم وخلصنا، فأين آلهتك التي صنعت لنفسك؟! فليقوموا إن كانوا يخلصونك في وقت بليتك" [27-28].

انها ذات الكلمات التي سبق فوبخ بها آباءهم في عصر القضاة: "أنتم قد تركتموني وعبدتم آلهة أخرى، لذلك لا أعود أخلصكم، امضوا

واصروا إلى الآلهة التي اخترتموها، لتخلصكم هي في زمان ضيقكم" (قض 10: 13-14). يقول هذا عن حب، فإنهم إذ أركوا خطأهم ورجعوا إليه

يقول الكتاب: "ضاقت نفسه بسبب مشقة إسرائيل" (قض 10: 16) ... إنه ينتظر رجوعنا ولا يحتمل دموعنا!

6. ثمار خطاياها:

إذ كشف لها عن جوانب من سر ضعفها حدثها عن ثمار خطاياها، ألا وهي:

وَأولاً: صار الله بالنسبة لها كبرية أو رُض ظلام:

يقول الرب: "هل صوت برية لإسرائيل أو رُض ظلام دامس؟! لماذا قال شعبي: قد شردنا لا نجى إليك؟" [31]. كأن الله يعاتب شعبه قائلاً:

لماذا تهربون مني، هل رأيتموني برية تهربون منها، أو رُض ظلام تخافونها؟!

يعلق العلامة أوريجينوس [88] على هذه العبارة موضعاً أن الله يهب نوعين من العطايا، عطايا عامة وأخرى خاصة؛ فيهب نور الشمس

والهواء وكل الخوات الأرضية لكل العالم. إنه ليس بالبرية القاحلة بل صانع الخوات الذي يشوق شمس على الأثوار والصالحين، ويمطر على الأوار

والظالمين" (مت 5: 45). إنه ليس برُض ظلام دامس، وإنما "الله نور وليس فيه ظلمة البتة" (1 يو 1: 5) فبالنسبة للعطايا العامة يظهر الله بكونه واهب

الخوات للجميع والمشوق بنوره على الكل. أما بالنسبة للعطايا الخاصة مثل عطية الاستترة والبنوة الخ. فتنعطي للمؤمنين، أما غير المؤمنين يُحرمون

منها فيصير الله بالنسبة لهم برية ورُض ظلام دامس. إذ رفض إسرائيل الإيمان بالسيد المسيح، صار الله بالنسبة له هكذا، وكما قال الرسول بولس: "لأننا

رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون، لهؤلاء رائحة موتٍ لموتٍ ولأولئك رائحة حياة حياة" (2 كو 2: 15-16).

يقول العلامة أوريجينوس: ["هل صوت برية لإسرائيل أو رُض ظلام دامس؟"] [31].

في بداية هذا النص، يقول الرب أنه لم يكن برية لإسرائيل، ولا رُض ظلام دامس.. . فهل أصبح اليوم برية لإسرائيل، هل أصبح الآن رُض

ظلام؟ أم ماذا؟

عندما لم يكن لإسرائيل كذلك، هل كان للأمم في ذلك الوقت برية ورُض ظلام؟

إذا كان الله لم ولن يكن للجميع برية أو رُض ظلام، فلماذا إذاً يقول هذا الكلام لإسرائيل؟ لواجع أعمال الله الصالحة العامة والخاصة.

لا يمكن أن يكون الله "برية" لأحد وهو الذي "يشرق شمس على الأثوار والصالحين". ولا يمكن أن يكون رُض ظلام وهو الذي "يمطر على

الأوار والظالمين". كيف يمكن أن يكون رُض ظلام وهو الذي عمل النهار، وأيضاً أعطانا الليل للراحة؟

كيف يكون برية وهو الذي يعطي الخصوبة للأرض؟

كيف يكون برية وهو الذي يعول كل نفس، ويعطي للإنسان القوة والحكمة والذكاء، ويعطيه أيضاً في جسده "الحواس المدربة" (عب 5: 14)؟

إذاً، من وجهة النظر العامة لا يمكن أن يكون الله برية لأحد. أما من وجهة النظر الخاصة، فسوف أعود إلى موضوع إسرائيل وأقول: لم يكن

الله لهم برية ولا رُض ظلام عندما كانوا في مصر، فكان يصنع لهم العجائب ويعطيهم الآيات. لكن في كل مرة كانوا يتأخون فيها كانوا يجدون الله في

نظرم برية ورُض ظلام، مع أنه لا يمكن لله أن يكون كذلك.

مع ذلك، عندما لم يكن الله بؤية ولا أرض ظلام لإنوائيل، كان للأمم بؤية وأرض ظلام، ثم عندما تحول الله عن إسرائيل وأصبح بالنسبة لهم بؤية وأرض ظلام في نظهم، كثرت النعمة للأمم، وأصبح يسوع المسيح بالنسبة لنا ليس بؤية وإنما شعبًا وامتلأ؛ ليس أرض ظلام وإنما أرض خصبة. لأن "بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل" (إش 54: 1).

يوجه الله الوعيد لهؤلاء الذين لم يكن لهم أبدًا في يوم من الأيام بؤية أو أرض ظلام، فيقول لهم: لم أكن لكم بؤية ولا أرض ظلام، ولكن أنتم الذين قلتم "قد شردنا" (سوف لا يكون لنا إله) لا نجىء إليك بعد" [31]. هل كان ذلك يأسًا من شعب إسرائيل عندما قالوا: "لا نجىء إليك بعد، سوف لا يكون لنا إله؟" [89].

وي العلامة أوريجينوس أنه يؤم الثقة بين أعمال الله الصالحة العامة وأعماله الصالحة الخاصة. فهناك خوات يعطيها الله لكل الناس وإلى الأبد مثل شروق الشمس وسقوط الأمطار والأرض الخصبة. ومن وجهة النظر هذه لا نستطيع أن نقول أن الله يمكن أن يكون "بؤية". أما بالنسبة للخير الخاص الذي خص به شعب إسرائيل ثم سحبه منه، في هذه الحالة أصبح من وجهة نظهم بؤية. لكنه لم يكن كذلك أبدًا لأن ما أخذه من إسرائيل أعطاه للمسيحيين [190].

هذه هي أبشع صورة لثمر الخطية أن الله مصدر الحياة والنور يتحول بالنسبة للشوهر إلى بؤية قاحلة وأرض ظلام دامس، يهرب من الله كما من مصدر هلاكه! يصير الله بالنسبة له ثقلاً يربد الخلاص منه، كما يتخيله بعض الوجوديين المعاصرين الآن، يحسونه كابوساً لابد للإنسان أن يتحرر منه! وقد جاءت العبارة "قد شردنا" في بعض الترجمات "قد صرنا أولًا من الله" أو "قد صرنا سادة".

يدهش الله كيف يربد شعبه أن يتحرر منه مع أنه هو سر حياتهم واستلذتهم وشبعهم وزينتهم، لهذا يعاتبهم قائلاً: إن كانت العذراء تعتز بزينتها [التي هي عفتها فلا تحلها خلال الخداعات واللهو] (كما يقول الأب ميثوديوس [191])، والعروس لا تنتسى ثياب عرسها، فكيف نسيني شعبي أيامًا بلا عدد [32]؟! يقدم لهم العذراء والعروس مثالين، لأنه يتطلع إلى شعبه كعذراء عفيفة مُقدمة له يلبق بها ألا تفقد عفتها وبتوليبتها بخداعات العدو ولهو العالم، وكعروسٍ مقدسة له تجد في الله عريسها سر بهائها ومجدها المعلن في ثياب عرسها!

يقول: "لماذا تحسنين (تهندم نفسها) طريقك لتطلبين المحبة، لذلك علّمت الشروات أيضًا طرقك؟" [33]. عوض قبورك لي كسر زينتك السماوية مددتى يدك لزينة الخرجية، وعوض قبورك حبي الإلهي تطلبين محبة الأشرار، وتعلمين بناتك الشر! أيضًا في أذنيك وجد دم نفوس المساكين الأذكياء، لا بالنقب وجدته بل على كل هذه" [34]. فيما أنت تزينين نفسك بالزينة الخرجية لتطلبين محبين يصنعون الشر معك، إذا بالجريمة ملتصقة بأذيال ثيابك. ولما كانت الثياب رمزًا للجسد، فكانه يقول إن علامات الجريمة قد التصقت بكل جسدك حتى أذنيك. تدنس كل عضو فيه، وتلطخ بدم الفوائد الأبرياء الذين تظلمينهم. هذا الأمر لا يحتاج إلى بحث وتفتيح فهو معلن على أذيال ثيابك ومربط بجسدك، وواضح في حياة الجميع. (يفسر البعض عبارة "بل على كل هذه" بمعنى أن تلطخ الدم قد بلغ إلى كل هؤلاء الرؤساء).

ثانيًا: تبرير ذاتها:

لا تقف آثار الخطية عند الهروب من الله كما من الوية وأرض ظلام دامس لتربط بالشر والخطية في زينة خرجية، وإنما فيما هي ملطخة بدم الشر تبرير ذاتها، ولا تترك خطأها. "وتقولين لأنني تواتت لرد غضبه عني حقًا، هأنذا أحاكمك لأنك قلت لم أخطئ" [35]. هذا هو أبشع ما يصل إليهِ الإنسان، يشرب الإثم كالماء ولا يبوي، يرتكب الشر ولا واه شوا! بهذا يغلق الإنسان على نفسه داخل الخطية فلا تجد التوبة لها موضعًا فيه.

ثالثًا: يحطم مكاسبها الشروية:

إذ يرتمي الإنسان على الشر يظن أنه ينال شيئًا لم ينله في طريق البر. فمن محبة الله لنا أنه يسمح بتحطيم ما نلناه لنترك أن الشر غير قادر على تقديم شيء. هكذا إذ إنكأ شعبه ترة على ملك بابل وأخرى على فوعون مصر، جعله يخزي في بابل كما في مصر ليتكئ على صدر الله الأبدي القادر أن يهبط راحة.

"لماذا تركضين لتبدلي طريقك؟!"

من مصر أيضاً تخزين كما خزيت من أشور؛

من هنا أيضاً تخرجين ويداكِ على رأسك،

لأن الرب قد رفض ثقافتك فلا تتجحين فيها" [36-37].

لقد أبدلت ثقفتها فأحلت مصر عوض أشور لكي تحميها، لكنها كمن هي في مآتم قد مات من يعولها، فتضع يديها على رأسها لتندب من اتكلت عليه، لقد تحطمت كل خطتها البشرية. كما يشير وضع اليدين على الرأس إلى السبي، حيث غالباً ما يُقاد المسييون إلى أرض السبي بهذه الصورة.

ملخص الدعوى:

يمكن تلخيص الدعوى الموجهة ضد شعبه في الآتي:

- 1 . صاروا كالأصنام التي يتعبون لها، أي "صاروا باطلاً" [5].
- 2 . جاحنون، ينكرون أعمال الله محرهم ومخلصهم [6-7].
- 3 . نجسوا مواث الرب ورؤسه [8].
- 4 . فاقوا الأمم في الشر، إذ أبدلوه بآلهة باطلة [10-11].
- 5 . تشهد الطبيعة ضدهم [12].
- 6 . تركوا الينوع الحي وشبوا من ينابيع وُعون مصر وبابل [13-19].
- 7 . صاروا كحيوان جامح [20].
- 8 . صاروا كرائية وقحة [2].
- 9 . صاروا كرمة غير مثمرة [20].
- 10 . بررت مملكة يهوذا نفسها عوض الاعتراف بالخطأ [22].
- 11 . صاروا كناقاة بلا قيادة، خفيفة في تحركاتها [23].
- 12 . صاروا كأنثى الحمار الوى أفقدتها شهوتها اوانها [24].
- 13 . صلت كالسارق الذي ضُبط [26].
- 14 . فقدت المنطق فجعلت من الأنثى أباً ومن الذكر أمًا [27].
- 15 . نسيت نفسها كهروسٍ مزينة [32].
- 16 . معلمة للشر [33].
- 17 . سافكة دماء المساكين [34].
- 18 . أخوًا صلت مسبية، تضع يديها على رأسها [37].

من وحي إرميا 2

عجيب أنت حتى في دعوى الخصومة!

- ❖ عتابك عذب وحلو،
تبدأه في أذني لأنني أورشليمك!
تهمس في أذني حتى لا أنفضح!
تؤيدني مكرماً أمام الجميع،
حتى أمام ملائكتك وكل السمائيين!
- ❖ تبدأ عتابك بكلمات مشجعة عذبة،
تذكر لي أعمال محبة قديمة لكي تسندني،
تحسبني كصبيبة طلبتك عريساً لها!
تتجاهل أخطائي إلى حين لترفع نفسي!
عجيب أنت في حنوك وحكمة أبوتك!
- ❖ أعترف لك إنني لم أكن مختون الأذن!
لم أسمع لهمساتك الصريحة المملوءة حباً!
عانتبتي موة وموات،
وفي غباوتي لم أسمع لصوتك الحلو!
- ❖ عجيب أنت يا مخلصي،
تكتب دعوى الخصومة ضدي،
تفضحني أمام نفسي الخائنة لأترك أخطائي،
وفي هذا كله تترقب رجوعي،
تعفو عني، ولا تعاتبني بكلمة جرحه!
- ❖ صلت نفسي كثورٍ جامحٍ ضد صاحبه،
صارت كوانية تصنع الشر علانية،
صرت كرمة تُنتج عنباً لا نفع له!
- ❖ أعترف لك: أني تركتك أيها الحق الأبدي،
الت صقت بالشهوات الباطلة، فصرت باطلاً.
نجست جسدي الذي هو أرضك،
وأسأت إلى مواهبك لي!
- ❖ بررت أخطائي فتضاعفت خطاياي!
صرت هائماً بلا هدف،
تجاهلت بنوتي لك،

ونسيت زينتي كهروس مقدسة لك!

❖ عجيب أنت في دعوى الخصومة،

تصير قاضيًا ومحاميًا عني!

ماذا رد لك أيها العجيب في حبك؟!>>

الأصاح الثالث

الله يطلب عروسة

في الأصاح السابق كشف لنا الله عن سر الخصومة، الأمر الذي يكره كثراً، ليس فقط فيسفر لرميا بل في كثير من الأسفار المقدسة. فإن الله إن أدب يود أن يوضح سبب التأديب، حتى يحقق هدفه. فهو لا يؤدب ليظهر سلطانه كما يفعل الإنسان عندما يستحوز على سلطة، ولا لكي ينتقم، وإنما لكي يحلور ويحاجج حتى يرجع الإنسان إليه.

في الأصاح الثالث يعلن بوضوح رغبته في رجوع عروسه التي تتجست مع كثوين، وأفسدت الأرض، وقد سبق فطلقها، لكنه يضع خطة إلهية ليفتح أمامها باب التوبة، ويردها الله مكممة وممجة.

1 . العريس يطلب مطلقة الزانية [1-5].

2. خطة إلهية لعودتها [6-11].

3. طريق التوبة [12-14].

4 . بركات الرجوع إلى الله [15-25].

1 . العريس يطلب مطلقة الزانية:

كشف الله عن حبه اللانهائي نحو شعبه، ونحو كل مؤمن؛ قاتلاً: "إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصررت لرجل آخر، فهل يرجع إليها بعد؟! ألا تتنجس تلك الأرض نجاسة؟!".

أما أنت فقد زينت بأصحاب كثيرين،

لكن رجعي إليّ يقول الرب" [1].

يقول العلامة أوريجينوس:

[هذا نوع جديد من الصلاح، فإن الله يقبل النفس حتى بعد الزنا إن رجعت وتابت من القلب...

هنا يظهر الله كغيره، يطلب نفسك ويشتهي أن تلتصق به، إنه غير راضٍ. إنه يغضب مظهرًا نوعًا من الغوة عليك، لتعرف أنه يرحم

خلاصك! [92].

يصعب أن يتخيل إنسان أنه يود إليه مطلقة التي تركها بسبب زناها، هذه التي لم تخطئ عن ضعف مع شخصٍ ما أغواها، بل تهوى الخطأ مع

أصحاب كثيرين... تخطئ بغير حياءٍ، لها "جبهة امرأة زانية"... تخطئ بقوة وجبروت. ومع هذا كله يشاق رجلها أن تتوب وترجع إليه!

بدأ الله حديثه مع شعبه مشوًا إلى أحد قوانين الطلاق (تث 24: 1-4)، التي قدمها لشعبه لأجل ضعفهم. فإنه لم يسمح للرجل أن يقبل زوجته

هرة أخرى إن كانت قد طُفقت وصلرت لآخر.

يكشف هنا عن قانون الحياة الزوجية، موضحًا أن الزواج هو اتحاد سوي لا ينحل، أما إذا دخل طرف ثالث بينهما (إنسان زان) فينحل الرباط ولا يعود هرة أخرى. لا يطيق رجل ما أن يتزوج مطلقته الوانية، إذ تنتجس الأرض، أي يصير جسده (الأرض) نجسًا! أما الله فليس كزوج بشوي يطرد زوجته الخائنة، وإنما في حبه اللأنهائي وى النفس قد أبطلت اتحادها معه باتحادها مع أعدائه: إبليس وجنوده وأعماله الشريرة، فتحسبهم أصحابها... ومع هذا يدعوها: "رجعي إلي!"

يقول الأب ميثوديس : يتحدث عن هذه التي تعرض نفسها للفضاء مع قوات لكي تفسدها، لأن أصحابها هم إبليس وملائكته، الذين يخططون لتدنيس وإفساد جمال عقلا المتزن والبصوة السليمة، وذلك من خلال الحوار معهم، والرغبة في معايشة كل نفس مخطوبة للرب [93].

عجيب هو حب الله للإنسان، فمع معرفته بكل شر الإنسان وفساده، يفتح له باب الرجاء للعودة، قائلاً له: "هل يحقد إلى الدهر؟! أو يحفظ غضبه إلى الأبد؟! [5] . إنه يبقى يطلب رجوع النفس إليه... لا لأنه يود أن واهها حزينة متألمة نادمة على ما ارتكبتته من آثام، وإنما لأنه يطلبها عروسه المقدسة التي تجد لها موضعًا في أحضانها، أو ابنة تجد أواها يركض إليها ويرتمي على عنقها ويقبلها (لو 15). ما أعجب حب الله! إنه يعرفنا تمامًا في شونا فيصننا هكذا:

ولاً: كمطلقة تزوجت رجلاً آخر [1]: بحسب الشريعة الموسوية لا يجوز للرجل أن يرد مطلقته التي تزوجت بعد طلاقها، حتى إن طلقها الرجل الثاني أو مات (تث 24: 1-4).

ثانياً: لها أصحاب زناة كثيرون [1] . شتان بين فتاة تتعرض لإغواء شاب فتسقط، وبين عروس متروجة ترتدي في أحضان هذا وذاك بلا شبع... شهوة في الخطية وطلب الملذات!

ثالثاً : لم يبحث عنها الأثوار ليطلوها، بل تجرى في كل الطرقات تطلب الشر، ليس من طريق تعبر فيه إلا وتتركب فيه الخطية. "رفعي عينيك إلى الهضاب وانظري، أين لم تضطجعي؟! في الطرقات جلست لهم كأعوابي فيالبرية ونجست الأرض بزناك وشرك" [2].

رابعاً : تشهد الطبيعة لشرها، فبسببها "امتنع الغيث ولم يكن مطر متأخر" [3] . المطر المبكر في شوي أكتوبر ونوفمبر حيث يساعد على الفلاحة عند وضع البذار، أما المتأخر ففي شوي مارس وإبريل حيث يساعد النباتات على نضوج المحصول. عندما يصر الإنسان على الخطأ، معانداً وصية إلهه، تعانده الطبيعة التي خلقت لأجله، لتشهد أنه قد فسد وانحرف عن تحقيق رسالته، فلماذا تسنده وتخدمه?!

خامساً: لها جبهة زانية [3]، أي وجه نحاس لا يعرف الخجل أو الحياء. قديماً كانت النساء الفاسدات يضعن علامة على جباههن لكي يتعرف عليهن من يطلب الشر.

وى القديس يوحنا الذهبي الفم [94] أن ارتكاب أية خطية بدون حياء يجعل من الإنسان زانية لها جبهة زانية. وفي موضع آخر يقول: [يبديو أن استخدام هذا التعبير لا يناسب تلك المدينة فحسب، بل كل الذين يتطلعون ضد الحق بلا خجل [95].

سادساً : وى البعض في العبرة: "ألست من الآن تدعينني يا أبي؟! أليف صباي أنت! هل يحقد إلى الدهر؟ أو يحفظ غضبه إلى الأبد؟ ها قد تكلمت وعلمت واستطعت" [4-5] . قد اتكلت إسرائيل على أنها ابنة لله تمتد علاقتها معه منذ صباها حين كانت في مصر تحت العبودية... وكأنها

استغلت أوبة الله وحنانه فتكلمت كابنة لكنها عملت كعاصية وتممت العصيان بقوة وعنف. ظنت أن الله كالأب الأرضي يتغاضى عن الأخطاء، حتماً يتجاهل معاصيها. لم تترك أنه أب حقيقي أكثر حنائاً وتوفقاً من الأب الأرضي، لكنه لا يغير أحكامه حتى يغيروا سلوكهم، ويقدموا توبة ويطلوا الرجوع

إليه، إذ يعانونهم: " وقلت تدعينني يا أبي ومن ورائي لا توجهين" [19].

وى البعض في هذه العبرة كلمات عتاب تصدر من الله كأب يبعث فيهم الرجاء بالتوبة بالرغم مما بلغوه من انحطاط وفساد.

سابقاً : لم تقف عند حد الزنا والخيانة الزوجية لكنها مخادعة، لها شفتا الغش، تتطق بغير ما تعمل (3-5)، وهي مكروهة لدى الناس فكم لدى الله؟! الله لا يقبل صلوات الشفاه الغاشة، بل يطلب سكب النفس (1 صم 1: 15) وسكب القلب (مز 62: 8).

إذ قدم لنا الله هذه الصورة أكد لنا أمرين:

أ. بشاعة الخطية بكونها خيانة زوجية!

ب. لا تقوم المصالحة على كلمات اعتذار من جانبنا إنما على نعمة الله الغنية التي تتعدى الناموس، بعد خيانتنا له.

هذا ويُلاحظ أنه كثوًّا ما تكررت كلمة "رجع" *shuv* " في هذا السفر. فإن التوبة في حقيقتها ليست اعترافاً بالخطأ فحسب ولا هي امتناع عنه

فحسب، إنما هي رجوع إلى الله واتحاد معه!

2. خطة إلهية لعودتها:

يكشف الله ليهودا عن خطته لخلاصها معلناً أن مملكة إسرائيل (10 أسباط) سبق ففسدت وقد حنوها موة وموات وأخوًّا سمح لها بالسبي لكي

تتوب وتكون درساً عملياً ليهودا. لكن مملكة يهوذا (سبطان: يهوذا وبنيامين) عوض أن تتعظ فقد تركها قوًّا كاملاً بعد سبي إسرائيل لكي تتوب، إذا بها

هي أيضاً تخونه على منوال أختها... ربما لأنها اتكلت على أن الله لن يسمح بسبي مدينته أورشليم وخاب هيكله فيها. لكن سوعان ما يفتح الله باب

الرجاء لا أمام يهوذا وحدها بل أمام المملكتين معاً، بل وأمام كل الأمم بكونه مخلص العالم كله.

أحد أسباب التأديب هو أن يصير المؤدَّب مثلاً حياً أمام الخطاة:

"وقال الرب لي في أيام يوشيا الملك:

هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟..."

انطلقت إلى كل جبل عالٍ وإلى كل شجرة خضراء وزنت هناك،

فقلت بعدما فعلت كل هذه: رجعي إليّ؛ فلم ترجع.

فأت أختها الخائنة يهوذا.

فأيت أنه لأجل كل الأسباب إذ زنت العاصية إسرائيل فطلقتها وأعطيتها كتاب طلاقها لم تخف الخائنة يهوذا أختها بل مضت وزنت هي أيضاً.

وكان من هوان زناها أنها نجست الأرض، وزنت مع الحجر ومع الشجر.

وفي كل هذا أيضاً لم ترجع إليّ أختها الوانية يهوذا بكل قلبها، بل بالكذب يقول الرب.

فقال الرب لي: قد بررت نفسها العاصية إسرائيل أكثر من الخائنة يهوذا" [6-11].

ويلحظ في النص الآتي:

أ. يقول العلامة أوريجينوس: [ويديننا النبي هنا أن نعرف أن الشعب - كما جاء في سفر الملوك - قد فُسِّم في أيام رحبعام إلى مملكة مكونة

من عشر أسباط تحت حكم يوبعام، ومملكة أخرى مكونة من سبطين تحت حكم رحبعام (1 مل 12). مجموعة يوبعام دُعيت إسرائيل، وسبطا رحبعام

دُعيا يهوذا. واستمر هذا الانقسام إلى أيام النبي... إسرائيل التي ليوبعام وخلفائه أخطأت أولاً، أخطأت كثوًّا إذا قورنت بيهودا، حتى سمح الله لها أن

تُساق إلى السبي بواسطة الأشوريين، واستمر حتى الآن (وقت النبي) كما يقول الكتاب. بعد ذلك أخطأ أيضاً بنو يهوذا، وتم سبيهم إلى بابل. بعد كل تلك

الخطايا التي ارتكبتها إسرائيل، وقد علمت يهوذا بها، ورأت كيف أرسلتها إلى السبي، لم تستفد من هذا الدرس، بل على العكس أكثر من خطاياها،

حتى متى قورنت بخطايا إسرائيل نجد أنّها في إسرائيل أكثر من يهوذا.

كان على يهوذا أن تستخلص من ذلك درساً - لأنني طلقت إسرائيل وطردتها عند الأشوريين وأعطيتها كتاب طلاقها في يديها - ومع ذلك لم

تخف الخائنة يهوذا أختها" ، ولم تكتفِ برفض هذا الدرس، بل أضافت إلى خطاياها آثامًا أكثر، حتى بدت أن خطايا شعب إسرائيل بالمقلنة بخطايا شعب يهوذا كأنها بر وصلاح [96].

لقد تعددت إسرائيل العاصية على الرب علانية منذ نُصب عجلاً بربعام الذهبين حتى لا يشتاقي الشعب إلى هيكل الرب في أورشليم، كما أقام كهنة من غير سبط لاوي (1 مل 12: 28، 31)، وصنع عيداً في بيت إيل. لم نجد من ملوكهم من طلب الرب إلا مرة واحدة عندما اشتد الضيق بسبب الغزو الأرامي (2 مل 13: 4-5)، وبالفعل خلصهم الرب، "لكنهم لم يحيوا عن خطايا بيت بربعام الذي جعل إسرائيل يخطيء، بل ساروا بها ووقفت السرية أيضاً في السامرة"...

أمام هذا العناد العلني والمستمر عبر الأجيال سلمهم الرب للسبي الأشوري، فتروا أرضهم كما تترك المرأة المطلقة بيتها الزوجي.

أما خطية يهوذا الخائنة، فهي مع وجود بعض ملوك صالحين على خلاف إسرائيل، انشغلت مملكة يهوذا بالعبادة الظاهرية مع خيانة خفية، حيث كانت القلوب منصرفة إلى نجاسة الأمم.

عُرفت إسرائيل بالعصيان العلني ومقاومة عبادة الله، أما يهوذا فُعرفت بالخداع والكذب. وكما يقول العلامة أوريجينوس على لسان الرب: ألم تَهَبني (يهوذا) بعد كل ما فعلته بإسرائيل، ولم ترجع إليّ رجوعاً كاملاً، بل بالعكس رجعت إليّ بالكذب [97].

ب. وي العلامة أوريجينوس أن ما حدث قديماً مع مملكتي إسرائيل ويهوذا، بأن عصت الأولى وزنت الثانية، يمثل رمزاً لما حدث أيضاً مع اليهود في أيام السيد المسيح إذ عصوا المخلص ورفضوه، وما يحدث مع بعض رجال العهد الجديد حيث يتمسك بعض المسيحيين بالاسم نون الحياة الإيمانية الفعلية الروحية. وكأن ما ورد هنا هو توبيخ للمسيحيين الاسمين. [دعونا نرى ما هو القصد من وراء ما ورد هنا.

بدأت دعوة الأمم عند سقوط إسرائيل، فبعدما كرز الوسل لجماعة اليهود، قالوا لهم: "كان يجب أن تكلموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم" (أع 13: 46).

ويقول أيضاً الرسول العرف بهذا الموضوع: "بزلتم صار الخلاص للأمم لإغرتهم" (رو 11: 11).

إذن أخطاء هذا الشعب الكثيرة أدت إلى استبعادهم، كما أدت أيضاً إلى دخولنا إلى رجاء الخلاص، نحن الذين كنا "غرباء عن عهد الموعد، لا رجاء لنا" (راجع أف 2: 12).

كيف إذا حدث هذا الأمر؟ كيف بعدما وُلدت في أي موضع في العالم، وكنت غريباً عن أرض الموعد، أقف اليوم لأتحدث عن وعود الله، وأؤمن بالله الآباء إواهم وإسحق ويعقوب؟ بل وأكثر من هذا اقبل في داخلي يسوع المسيح الذي سبق أن تتبأ عنه الأنبياء؟

لنلاحظ هنا أن شعب إسرائيل هو هذا الذي كُتب عنه: "فطلقتها وأعطيته كتاب طلاقها". لقد طلق الله إسرائيل وأعطاه كتاب طلاقها. هذا يحدث بالنسبة للمتزوجين، متى صارت الزوجة مكروهة عند رجلها كما هو مكتوب في شريعة موسى، فإن الزوج يكتب لها كتاب طلاق فتُطلق، ويكون من حق الزوج الذي طلق امرأته الأولى بسبب سوء سلوكها أن يتزوج بأخرى.

هكذا بنفس الطريقة بعدما أخذ شعب إسرائيل كتاب طلاقه تم إهماله تماماً. أين هم أنبيؤهم؟ أين م عزاتهم بعد؟ أين هو ظهور الله لهم؟ أين العبادة والهيكل والذبائح؟ لقد طُوبوا من موضعهم.

إذن، أعطى الله إسرائيل كتاب طلاق، ثم نحن، (مملكة يهوذا، لأن المخلص جاء من سبط يهوذا، قدرجعنا إلى الرب، لكن يبدو أنه في أيامنا الأخوة سنشابه أيام يهوذا الأخوة، إن لم نصر فيحال أسوأ منها.

يبدو أن هذا هو وقت نهاية العالم فعلاً.

هذا يظهر بوضوح من كلمات السيد المسيح في إنجيله: "لكثرة الإثم تزد حبمة الكثوين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت 24:

12-13) . وأيضاً: "سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختلزين أيضاً" (مت 14: 24). هذا هو وقتنا الحاضر الذي يقصده المخلص بمجيئه الثاني، حيث اننا إذا بحثنا في العديد من الكنائس سوف لا نجد مؤمناً واحداً حقيقياً. "ولكن متى جاء ابن الإنسان ألعه يجد الإيمان على الأرض" (لو 18: 8). بالفعل إن حكمنا على الأوضاع حسب الحق لا العدد، ولو نظرنا إلى الأعماق الداخلية بدلاً من النظر إلى أعداد الناس المجتمعة نترك أننا لم نجد بعد مؤمنين أمناء. قبلاً وُجد مؤمنون حقيقيون، وذلك فيعصر الشهداء المزدهر. فعند عودة مواكب أجساد الشهداء إلى القبور كانت الكنيسة كلها تجتمع بغير خوف، وكان الداخلون إلى الإيمان حديثاً يتعلمون مبادئ المسيحية وهم يرون حولهم أجساد الشهداء، كما أن مؤمنين كثيرين كانوا يعترفون بإيمانهم حتى الموت بغير خوف، دون أن يوغروا عن إيمانهم بالله الحي. إذن، نحن نعرف أناساً رُوا أشياءً عجيبة فائقة.

وُجد مؤمنون قبلون لكنهم كانوا مؤمنين حقيقيين، اتبعوا الطريق الضيق الكوب المؤدي إلى الحياة. أما الآن فقد صرنا كثيرين من جهة العدد، لكن من غير الممكن أن يُوجد كثيرون منتخبون، لأن يسوع لا يكذب حين قال: "كثيرون يُدعون وقليلون يُنتخبون". فمن بين الجوع التي اتخذت الدين عملاً لهم بالكاد يوجد قليلون يصلحون للانتخاب الإلهي والتطويب. عندما يقول الله: "لقد طلقت أولاً إسرائيل بسبب خطاياها، وأبعدتها عني، ويهوذا لم ترجع إليّ بالرغم من معرفتها بما حدث لإسرائيل، فإنه يتحدث أيضاً عن خطايانا.

عند قراءتنا عن المصائب والأحوال التي حلت بشعب إسرائيل يؤمنا أن نرتعد، ونقول: "إن كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً" (رو 11: 21). إذا كان الذين يفتخرون بأنهم زيتونة حقيقية (رو 11: 24)، والذين هم متأصلون فيجنور إبراهيم وإسحق ويعقوب، قد قطعهم الله بلا شفقة، بالرغم من صلاحه وحبه للبشر، فكم بالحى بالنسبة لنا؟

"هوذا لطف الله وصوامته" (رو 11: 22)، فهو ليس لطيفاً بدون صوامته، ولا صلماً بدون لطف. لو كان الله لطيفاً فقط بدون صوامته لآردنا في احتقرنا للطفه وعدم مبالاةنا تجاهه. ولو كان صلماً بغير لطف لسقطنا في اليأس من جهة خطايانا. لكنه في الواقع بما أنه هو الله، فهو لطيف وصرم في آن واحد، أما نحن البشر فعلياً أن نختار: إما لطفه إذا رجعنا إليه، أو صوامته إن بقينا في خطايانا.

يحدثنا الله على لسان الأنبياء، قائلًا لنا: هل رأيت ما فعلت العاصية إسرائيل؟ يفهم إسرائيل هنا الشعب اليهودي. "انطلقت إلى كل جبل عال وإلى كل شجرة خضراء" [6]. إذا نظرت إلى الويسى الذي صعد إلى الهيكل في غور نون أن يوق صوه، أو ينشغل بخطاياها، بل يقول: "اللهم إني أشكر إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الرناة، ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسوع وأعشر كل ما أقتنيه" (راجع لو 11-12: 18)، فإنك تفهم أنه صعد إلى كل جبل عالٍ، بمشاعوه التي تستحق اللوم، وحبه للتفاخر والتباهي؛ كذلك صعد بالغور والكرباء إلى كل أكمة مرتفعة، وجاء تحت كل شجرة، ليست شجرة مثورة، إنما شجرة بها خشب فقط، إذ يوجد فرق بين الشجر للخشب والشجر المثمر. عندما نزرع أشجاراً للخشب فقط نزرع بنوراً غير مثورة بل عقيمة، ترمز إلى مجادلات الواطقة وحججهم ذات البريق الغاش المخادع غير الصالح لإقناع السامعين. فإذا تركنا أنفسنا وراء هذه المجادلات، إنما نذهب تحت كل شجرة للأخشاب.

"وزنت هناك.

فقلت بعدما فعلت كل هذه:

رجعي إليّ، فلم ترجع.

فأنت أختها الخائنة يهوذا (خيانة إسرائيل)."

هذا العتاب موجه إلينا نحن أيضاً، إذ نخطيء، ولا نفي بعهودنا مع الله. نحن الذين زوى ما حدث للذين فقنوا عهودهم مع الله مع كونهم من نسل إبراهيم، مع أنهم أخذوا الوعد.

يجب علينا إذا أن نتمسك بهذه الفكرة. بما أن هؤلاء قُطعوا من البركات ومن الوعود الإلهية، ولم ينفعهم كونهم من نسل إواهم، ماذا يكون حالنا إذا أخطأنا نحن؟! فإن الله يتوكلنا. يقول لهم المخلص: "لو كنتم ولاد إواهم لكنتم تعملون أعمال إواهم". كما يقول لهم القديس يوحنا: "لا تبتدؤوا تقولون فيأنفسكم لنا إواهم أباً، لأنني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة ولاداً لإواهم". يقصدنا نحن "هذه الحجارة"، أي قلوبنا الحجرية وقساوتنا نحو الحق. بالحقيقة أقام الله بقرته من الحجارة ولاداً لإواهم.

إذا جاء عبد جديد ليعلم صاحب المقول، أشتوى حديثاً يبدأ يتساءل ويستفسر: مَنْ من الخدم السابقين كان صالحاً في عيني سيده؟ ولماذا؟ ومن منهم كان شرواً في عيني؟ ولماذا؟ وبعد تفكير إذ يستمر في خدمة رب البيت يجتنب السلوك الذي أدى إلى طرد العبيد الأشرار وعقابهم، بينما إذ يعلم السلوك الطيب الذي اتبعه العبيد السابقين الذين صاروا مطوبين من سيدهم، تأخذ الغيرة ليحذو حذوهم.

نحن أيضاً كنا عبيداً، لا لله، بل للأوثان والشياطين. كنا وثنيين، ورجعنا إلى الله بالأمس أو أول أمس. إذن فلنقرأ الكتاب المقدس، ولننظر من فيه قد تيرر، ومن فيه قد دين، لكي نفتدى بالذين تيرروا، ونتحاشى السقوط في أخطاء الذين سلّموا إلى السبي وطروا بعيداً عن الله. التوبة الحقيقية هي أن نقرأ الكتب القديمة (العهد القديم) ونعرف الأوار ونفتدي بهم، ومن هم الخطاة وتجنب السقوط في أخطائهم. لنقرأ كتب العهد الجديد وكلمات الرسل. وبعد القراءة نكتب كل ما قرأناه في قلوبنا، ونطبقه في حياتنا حتى لا يُعطي لنا كتاب طلاق، بل نستطيع أن ننال الموات الأبدي، وعندما تخلص الأمم فإن إسرائيل (بقبولها الإيمان) حينئذ تستطيع أن تخلص، لأن "القسوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو 11: 25-26)، "ويكون أمة واحدة لإسرائيل" [98].

ج. يقول: "إنها نجست الأرض، وزنت مع الحجر ومع الشجر" [9].

حين خلق الإنسان على صورة الله ومثاله رأى الله كل الخليقة فإذا الكل "حسن جداً" (تك 1: 31). الإنسان كملك مقام على الخليقة الأرضية كما في القصر الملكي صاحب سلطان، نقي وظاهر في عيني الله. أما وقد فسد قلبه فتحطمت طبيعته كلها، تتجست حتى الأرض التي خلقت لأجله.

من أجل الإنسان وُجدت الحجارة أيضاً وكل الأشجار... أما وقد أقام من الحجارة تماثيل يتعبد لها، ومن الأشجار هياكل لمذابح الوثن حسب بهذا كمن يزني مع الحجارة والأشجار، ففسدت بسببه. الله لم يخلق الطبيعة لكي نتعبد بها ونتعبد لها، وإنما لكي نستخدمها فتشترك معنا في التسبيح لله! أحب الطبيعة الجامدة؟ استخدمها ولا تجعلها تستخدمك. استعدها ولا تستعبد لها. إن استخدمتها تبرك الرب معك، وإن استخدمتك تفسد أنت وهي معاً، وتصير نجسة معك في عيني الله!

د. واضح أن سفر لرميا كله هو دعوة للتوبة والرجوع إلى الله، فزاه هنا يكرر هذه الكلمة "رجعي" [7]. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم أن الله لا يحزن على خطايانا قدر ما يحزن على عدم رغبتنا في الرجوع عنها بالالتجاء إليه. إنه أب ينتظر ولاده، وعريس سموي يطلب عروسه. [الشور التي ارتكبتها لا تعطي الله قدر عدم رغبتنا في التغيير؛ لأن من يخطيء يكون قد سقط في ضعف بشري، أما من يستمر في نفس الخطية فإنه يبطل إنسانيته ليصير

شيطاناً. أنظر كيف يلوم الله على فم نبيه العمل الثاني أكثر من الأول [99].

ليته لا ييأس أي إنسان يحيا في الشر!

ليته لا يغفو أي إنسان يحيا في الفضيلة!

ليته لا يثق الأخير في ذاته، فغالباً ما يسبقه الأمانة.

ولا ييأس الأول، فإنه يستطيع أن يسبق الأخير...

إن رجعنا إلى محبة الله الغيرة لا نعود نذكر الأمور السالفة.

الله ليس كالإنسان، فإنه عندما نتوب لا يلومنا على الماضي، ولا يقول: لماذا كنتم غائبين كل هذا الزمان الطويل؟

ليتنا نقرب إليه كما يليق.

لنلتصق به في غوة.

لنسمر قلوبنا بخوفه! [100]

[101] لقد جاء كطبيب وليس كديان.

هـ. "لم ترجع... بكل قلبها بل بالكذب يقول الرب" [10].

كثيرون يظنون أنهم رجعون إلى الرب لا بالتوبة والاعتراف بل بتوير اخطائهم. لهذا يعلق القديس جيروم على العبرة السابقة، قائلاً: [ليتنا لا

نفقد بالسلام الفلغ ما قد حفظناه بالجهاد (الحرب الروحية) [102].

3 . طريق التوبة:

كثوًا ما يكرر الرب على لسان رميا النبي الكلمتين: "رجعي... اعرفي... [12-13].

"لكن رجعي إليّ يقول الرب" [1].

"فقلت بعدما كل هذه رجعي إليّ؛ فلم ترجع" [7].

" اذهب ونادِ بهذه الكلمات نحو الشمال وقل: رجعي أيتها العاصية إسرائيل يقول الرب. لا أوقع غضبي بكم لأني رؤوف يقول الرب. لا أحقد

إلى الأبد. اعرفي فقط إثمك أنك إلى الرب إلهك أدنبتِ وفرقتِ طرقك للغرباء تحت كل شجرة خضراء، ولصوتي لم تسمعا يقول الرب. رجعا أيها

البنون العصاة يقول الرب" [12-14].

"رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" [22]

تحدد العبريات الإلهية السابقة مفهوم التوبة في الخطوات التالية:

أ. التوبة هي قبول دعوة الله للنفس بالرجوع إلى محبوبها. فإن الله في حبه للنفس لا يتوقف عن النداء "رجعي إليّ". في أحلك لحظات الخطية،

وفي وسط قسوة قلوبنا يتطلع الله إلينا ينتظر صرخة قلب خفية، أو نظرة عين نوره، أو تنهدًا داخليًا، ليحملنا على الأنواع الأبدية. إنه يشناق إلى رجوعنا

وخلصنا ومجدنا أكثر من اشتياقنا نحن إلى خلاص أنفسنا. لكنه في محبته لا يريد أن يغتصب النفس بغير رادتها، فإنه يقدر حوية رادتها ويكرم

إنسانيتنا!

ب. اكتشاف شخص الله: "لأني رؤوف يقول الرب، لا أحقد إلى الأبد". كثوًا ما يشوه العالم صورة الله بإظهاره ديانًا قاسيًا، لا يتوقف بضعفنا...

يعيش في سمواته ولا يشعر بنا نحن في أرضنا. إنه رؤوف، يعين المجربين، ويسند طالبي الرجوع التائبين!

يؤكد الله اخلاصه وحبه، فقد تخونه عروسه، لكنه يبقى الإله الرجوع المخلص لها. يغضب لتأديبها، لكن ليست هذه هي كلمته الأخيرة، فإنه كما

يقول: "لا أحقد إلى الأبد".

ج. اكتشاف حقيقة ضعفنا: "اعرفي فقط إثمك". لتحكم النفس على ذاتها، وتعترف بإثمها، فتجد مخلصها الرؤوف يبررها. لا طريق للخلاص

دون اعتراف الإنسان بخطاياها، لأنه كيف يلتقي المريض بالطبيب ويتجاوب مع مشورته ما لم يشعر بمرضه! مسيحا هو مخلص الخطاة، نكتشف

خطايانا فنشعر بحاجتنا إليه!

إننا نحتاج إلى جلسات هادئة مع الله لكي يكشف روحه القدوس لنفوسنا ضعفاتها دون أن يفقدها رجاءها. يقول القديس يوحنا كاسيان: [بمقدار

ما يتقدم عقل الإنسان ويمتد نحو الصفاء والنقوة في التأمل يظهر له دنسه وعدم نقوته.

عندما يرى ذاته في مواجهة مرآة الطهارة الحقّة!

لأنه كلما ترتفع النفس إلى تلويا (تأمل) أعلى، وتمتد إلى الأمام، تتوق إلى أمور أعلى من التي نفذتها، حينئذ تتأكد من حقلة الأشياء التي تؤديها ونفاتها، لأن النظرة الحاذقة تكشف خبايا كثرة. والحياة التي بلا لوم تنشئ حزناً عميقاً على ما يوظ من الخطايا [103].

د. إواك أن كل خطأ في الحقيقة موجه ضد الله: "إلى الرب إلهك أذنبت" [13]. وكما يقول داود النبي في مزور التوبة: "لك وحدك أخطأت والشر قدامك صنعت" (مز 51)، حتى وإن كانت الخطية في الفكر لم تؤذ أحداً. لأن كل خطية هي كسر لوصية الله الذي يريدنا أن نتشكل على صورته ونصير على مثاله: "ولصوتي لم تسموا يقول الرب" [13].

هـ. اواكنا لموقفنا أو موكرنا كبنين، فإنه ما أصعب أن يهان الشخص من ابنه؟! "رجعوا أيها البنون العصاة" [14].

و. ثقتنا في المخلص كأبٍ قادر أن يشفي جراحاتنا، وبزوع عنا طبيعة العصيان: "رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" [22].

من هم هؤلاء البنون العصاة الذين يطالبون بالرجوع إلى الله؟

رى العلامة أوريجينوس أن المؤمنين قد صاروا أبناء الله، لكن أحياناً بعد تمتعهم بالبوة - خلال المعمودية - يعصون الله أبيهم، ومع هذا يدعهم إلى الرجوع إليه... أبواب التوبة مفتوحة أمام الجميع!

غلق أبواب التوبة أمام أي إنسان بدعة تقولها الكنيسة، وقد كتب آباء كثيرون في هذا الموضوع، منهم القديس كبريانوس الذي كتب مقالين عن التوبة موضحاً أن الكنيسة مثل عيسها عملها أن تحل نون أن تغلق الباب في وجه أحد [104]. واستخدم القديس جيروم بعض عبارات من سفر رميا (3: 29؛ 8: 4) في رسالته إلى مرسيلا ليوضح كيف تفتح الكنيسة أبوابها للتوبة كل يوم، بينما يغلق أتباع ماني باب الكنيسة أمام البعض لأخطاء معينة ارتكبوها [105].

يلق العلامة أوريجينوس على القول الإلهي: "رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" [22]، قائلاً:

"في بدء قراءتنا هذا اليوم، يقول الرب لبني إسرائيل: "تدعيني يا أبي، ومن ورائي لا ترجعين. حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل يقول الرب" [19-20]. بعدما قيل هذا الكلام الذي يخص إسرائيل يتوجه الروح القدس إلينا نحن أيضاً بني الأمم ويقول: "رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" [22]. فإننا نحن المقصودون بالناس المملوئين عصيانياً (جراحات). يمكن لكل واحد منا أن يقول: "نحن الذين كنا قبلاً، نحن أيضاً كنا غير مؤمنين، أغبياء، ضالين، عبيداً للشهوات والأهواء المتنوعة، نحيا في الشر والشهوة، مُبغضين ومبغضين بعضنا بعضاً، ولكن حين أظهر صلاح مخلصنا الله وحبه للبشر سكب رحمته علينا بنعمة الميلاد الجديد".

إذ ذكرت هذا القول للقديس بولس الرسول أحاول شرحه بأكثر وضوح. فإنه لم يقل "نحن الذين كنا قبلاً أغبياء" بل قال القديس بولس ابن إسرائيل الذي كان من جهة الناموس بلا لوم: "نحن الذين كنا قبلاً نحن أيضاً"، أي "نحن أيضاً بنو إسرائيل" "كنا غير مؤمنين، أغبياء". لم يكن بنو الأمم وحدهم أغبياء، ولم يكونوا وحدهم غير مؤمنين، ولا وحدهم خطاة، وإنما نحن أيضاً الذين استلمنا الشريعة كنا كذلك قبل مجيء السيد المسيح. بعد هذا الكلام الموجه إلى إسرائيل، قيل لنا نحن أبناء الأمم:

"رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم".

لكن قد يقول قائل: "إن هذا الكلام موجه إلى إسرائيل وها أنت تطبقه على الأمم".

إنني أوضح أنه عندما يوجه الله إلى إسرائيل حديثاً يختص بالتوبة والرجوع، لا ينتظر كثراً ليضيف كلمة "إسرائيل"، وإنما يبدأ بها في الحال، فقد

قيل بعد ذلك:

"إن رجعت يا إسرائيل يقول الرب،

إن رجعت إليّ،

وإن وُعت مكوهاك من أمامي، فلا تتيه.

وإن حلفت حيّ هو الرب بالحق والعدل والبر،

فتترك الشعوب به وبه يفتخرون" (4: 1-2).

إذا الفوة الأولى موجهة إلى أبناء الأمم والشعوب، ثم بعد ذلك إلى إسرائيل، لأنه القسوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملء الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل ، حسبما قال الرسول في رسالته إلى أهل رومية (رو 11: 25-26).

أنظر كيف يدعونا الله، إن رجعنا فلنرجع بالكامل، حيث يعدنا أنه إذ رجعنا إليه بالتوبة يشفي جراحاتنا (عصياننا) بالمسيح يسوع. ونحن أيضاً بلا انتظار ولا تأخير نجيب مثل إسرائيل ونقول: "ها قد أتينا إليك لأنك أنت الرب إلهنا" [22].

يقول الرب: "رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم"، ويجب بنو الأمم: "سنكون عبيداً لك أنت"، نحن الذين كنا قبلاً عبيداً للشيطان ولقوات الشر...

الآن بعدما دعوتنا للتوبة نجيب: "ها قد أتينا إليك" [22] ، لأننا لم نكن ننتظر إلا شيئاً واحداً: دعوتك.

إننا على عكس الذين دعوتهم قدموا لك أعذاراً، نحن إذ دعينا لم نعتذر.

هذا ما نجده فعلاً في أمثال الإنجيل، فإن الذين دُعوا أولاً كانوا يقولون واحداً بعد الآخر: "إني اشتريت حقلاً، وأنا مضطر أن أخرج وأنظره؛ أسألك أن تعفيني. وقال آخر: إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماضٍ لأمتحنها، أسألك أن تعفيني. وقال آخر: إني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء" (لو 14: 18-20).

ليس هذا هو أسلوبنا نحن أبناء الأمم، أن نُدعى فنعتذر.

لماذا نعتذر؟ ما هو هذا الحقل الذي يشغلنا؟ وأية زوجة تشغلنا؟ حقاً ماذا يمكن أن يشغلنا؟

إذن، إذ يقول الله لنا: "رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" ننظر إلى جراحاتنا، وإلى الوعد بالشفاء ونجيب حالاً، قائلين: "ها قد أتينا إليك، لأنك أنت الرب إلهنا".

لنتذكر اننا بهذه الكلمات نقيم عهداً مع الله، فلا نكون لآخر غوه؛ لن نكون ملكاً لأفكار الغضب، ولا لأفكار الكآبة، ولا

لأفكار الشهوة؛ لن نصير ملكاً للشيطان ولا لجنوده. بل بالعكس، دُعينا فأجبنا: "ها قد أتينا إليك".

لنثبت بأفعالنا أننا ملكٌ له وحده، ونضيف: "لأنك أنت الرب إلهنا". فإننا لا نعرف لأنفسنا إلهاً آخر. ليست البطن إلهاً لنا مثل الذين قيل عنهم:

"الذين آلهتهم بطونهم"، ولا الفضة ولا الطمع.

بؤمننا ألا نقيم إلهاً، ولا نؤله شيئاً مما يؤله الناس، لكن لنا إله الذي هو فوق كل شيء، الله الذي هو "إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلهم" (أف 4: 6). وبما أن شغلنا الشاغل هو حب الله، نقول: "ها قد أتينا إليك لأنك أنت الرب إلهنا" [106].

4 . بركات الرجوع إلى الله:

إذ يدعونا الله يكشف عن بركات الرجوع إليه مموجة بخطر البعد عنه.

يمكن تلخيص بركات الرجوع إليه في الآتي:

ولاً: يضمنا إلى كنيسته (صهيون الجديدة)

"لأني سُدت عليكم فأخذكم واحداً من المدينة، واثنين من العشيرة، وآتى بكم إلى صهيون" [14].

إن كانت الدعوة عامة موجهة إلى كل الشعب، لكنها أيضاً شخصية؛ في وسط رغبتة في اقتناء كل الشعب يقبل واحداً من وسط مدينة بأكملها أو

اثنين من عشيرة. أنه لا يحتقر نفساً واحدة راجعة إليه، ولورفضته المدينة كلها. ففي وقت ما كان العالم كله وثنياً ماعدا إرواهيم وسرلة زوجته، ومع هذا

دعاهما إليه ليقيم من نسلهما شعباً مقدساً وكنيسة طاهرة!

الله يطلب رجوعك إليه لكي يدخل بك إلى صهيون، كنيسة التي افتداها بدمه، يقيمك عضواً في جسده المقدس، ويؤهلك لشركة المراث الأبدية. إن فسد العالم كله، فهو لا زال ينتظرك باسمك ليُدخل بك إلى مجده.

لا نقل مع إيليا النبي في يأس: "قد تركوا عهدك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" (1 مل 19: 14)، فقد أبقي الله له سبعة آلاف كل الركب التي لم تجث للبعل وكل فم لم يقبله (1 مل 19: 18)... وإن كنت وحدك، فمن أجلك أنت مات المسيح ليخلصك.

ثانياً: يُرسل فعلة مقدسين له، لهم معرفة روحية:

وأعطيتكم رعاة حسب قلبي، فوعونكم بالمعرفة والفهم" [15].

حين يرجع الشعب إلى الله، يغير الله على كنيسة فرسلة رعاة حسب قلبه، لهم معرفة روحية وفهمًا صادقًا، يقودون الشعب بروح الله إلى الحياة السماوية.

لا تدن الخدام، فإن توبتك تحرك السماء عينها ليرسل فعلة مقدسين لخدمة البشرية! عوض إدانة الآخرين ندين أنفسنا، ونحسب قسوة قلب الخدام هي بسببنا... علامة غضب الله علينا، يسمح لهم بالخدمة لتأديبنا!

لعله من أهم صفات الخادم النقي، الذي له روح سيده، هو **تمتعه بالمعرفة والفهم**! يقدم موعى المعرفة للشعب، فلا يخدم بروح التسلط والعنف في جهالة وغبوة.

يحسب آباء مدرسة الإسكندرية "المعرفة" أعظم هبة يقدمها السيد المسيح لعروسه حين يرفعها بروحه القنوس إلى حجاله، حيث يكشف لها عن أسرار الكلمة، ويدخل بها إلى سر معرفته.

ثالثاً: الثمر المتكاثف:

"ويكون إذ تكثرون في الأرض في تلك الأيام يقول الرب... [16]."

كثيرون يظنون أن الرجوع إلى الله مضيعة للوقت وتحطيم للطاقات، ناظرين إلى الصلاة كأنها عمل باطل، والصوم حرماناً، والتساييح والعبادة الجماعية خسلة... ونسى هؤلاء في حياتهم عنصر "البركة". رجوعنا إلى الله يعني دخول "البركة" في وقتنا وكلماتنا وتصرفاتنا حتى الوهمية، فيصير كل ما في أيدينا مبركاً ومزاييد ثراً.

بسبب يوسف برك الرب بيت فوطيفار، وبسبب إواهم برك الله شعباً عبر الأجيال حتى بعد موته! وبظل بطرس الرسول أنقذ كثيرون من أرواح شورة، وبمناديل وعصائب بولس الرسول شفى كثيرون!

وجوعك تتبرك، بل وتصير بركة لمن هو حولك، بل ومثراً حتى بعد رحيلك!

رابعاً: يرجع إلينا بنفسه:

"لا يقولون بعد تابوت عهد الرب، ولا يخطر على بال ولا يذكرونه، ولا يتعهدونه، ولا يصنع بعد" [16].

بمعنى آخر يصير القاء مع الله لا خلال الرموز كتابوت العهد، وإنما يتحقق لقاء حق... يسكن الله وسط شعبه، ويبرك المؤمن حضرة الرب في أعماقه.

كان تابوت العهد بما يحويه من لوحَيّ الشريعة وقسط المن يشير إلى الحضرة الإلهية وسط شعبه، خاصة في فترة التيه فيالبرية وبداية الاستتار في أرض الموعد. الآن وقد جاء كلمة الله نفسه، الخبز النزل من السماء، لم تعد هناك حاجة إلى تأكيد الحضرة الإلهية... إنه يسكن وسط

خامساً: رجوع الأمم إليه:

لم تعد هناك حاجة إلى تابوت العهد لتأكيد الحضرة الإلهية، إذ صلت أورشليم - مدينة الملك العظيم - جذابة للأمم. يأتي البشر من كل أمة ولسان ليروا أورشليم العليا أماناً، يعيشون فيها، ويحملون سماتها، قائلين مع الرسول: "أجلسنا معه في السماويات" (أف 2: 6).

إذ يطلب الله رجوع شعبه القديم إليه يعلن لنبيه عن رجوع الأمم، وقبول الشعوب الإيمان به. **"ويجتمع إليها كل الأمم إلى اسم الرب إلى أورشليم، ولا يذهبون بعد وراء عناد قلوبهم الشرير" [17].**

مع توبتك تجتذب كثيرين إلى الرب وتدخل بهم إلى سمواته!

ضعفنا وشونا يقف عائناً في طريق خلاص الكثيرين، إذ يُجَدف على اسم الله بسببنا، أما رجوعنا القلبي والعملي إلى الله فيسحب الكثيرين إليه. نلاحظ هنا أن الله يرفع انظرهم من الرجوع من السبي كوكبة إلهية إلى ما هو أعظم، وهو رجوع الأمم من سبي الخطية وعدم الإيمان إلى كنيسة المسيح، أرض الموعد الجديدة.

سادساً: الشفاء من طبيعة الفساد العاملة فينا:

"رجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم" [22]. ويقول المونث التائب: "قلباً نقياً أخلقه فيّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي" (مز 51: 10).

الراجع إلى الله يشعر بعمل روح الله القدوس اليومي لتجديده المستمر، حتى يصير على مثال الله!

أخراً بعدما تحدث عن بركات الرجوع إلى الله أشار إلى خطورة العصيان والإصرار على العناد والتمسك بالشور، أو خيانة الإنسان أو الجماعة لله:

ولاً: "سُمع صوت على الهضاب بكاء تضرعات بني إسرائيل، لأنهم عوجوا طريقهم، نسوا الرب إلههم" [21].

في الموضع الذي كانوا يصنعون فيه الوجاسات، أي في الهضاب، يُسمع صوت نحبيهم، حيث يُساقون إلى السبي في مذلة.

لا تقدر الخطية أن تهيب الإنسان فحاً حقيقياً، بل تخوه إلى حين ليجد نفسه قد **فقد سلامه الداخلي وفرحه وحياته نفسها**. هذا هو ثمر الدخول في الطويق الموج ونسيان الرب إلها!

ثانياً: يدخل إلى الباطل لا إلى الحق:

"حقاً باطلة هي الآكام ثروة الجبال؛ حقاً بالرب إلها خلاص إسرائيل" [23].

هنا يقرن بين عبادة الأوثان على الآكام والجبال التي يحسبها الأشرار ثروة وغنى للنفس، حيث يجدون الطويق الواسع والحياة السهلة، وبين خلاص الرب إلها.

تُقدم العبادة الوثنية طويلاً سهلاً لكنها طويق باطلة، أما طويق الرب الضيق ففيه الخلاص الحق.

الوَجمة الحرفية لكلمة "آكام" هنا تعني "الخلاعة"، فهي تقدم ما هو باطل، أما الرب فيقدم لنا الحق.

وي العلامة أوريجينوس [108] أن الأمم كانوا يعبدون نوعين من الآلهة: يعبدون أناساً صلوا آلهة، هؤلاء يُرمز لهم بالآكام؛ ويعبدون آلهة يرونها هكذا بالطبيعة، هذه يُرمز لها بالجبال.

[الذين يتعبدون لهذه الآلهة لا يبركون أنها آلهة كاذبة، بل يظنون أن وحيها وحي حقيقي، وأنها تُقدم شفاءً حقيقياً، دون أن يبركوا الفرق بين

عمل الشيطان بقوة وآيات وعجائب كاذبة وكل خديعة الإثم في الهالكين (2 تس 2: 9)، وبين قوة الحق وعجائبه.

ما كان يفعله يسوع المسيح كان من عجائب الحق،

وما كان يفعله موسى أيضًا هو من قوة الحق (باسم الله)،

أما ما كان يفعله المصريون فكان آيات وعجائب كاذبة، وذلك كما كان يفعل سيمون الساحر الذي كان يُدهش شعب السامرة، حتى قالوا عنه:

هذا هو قوة الله العظيمة (أع 8: 10)، مع كونها قوات وآيات وعجائب كاذبة].

هذه هي خطورة الخطية، تُفقد الإنسان قوته على تمييز ما هو باطل أو كذب وما هو حق! تفقده روح التمييز الداخلي.

ثالثًا: الدخول إلى القوي والعار:

"وقد أكل القوي تعب آباءنا منذ صبا،

غنمهم وبقوهم،

بنيهم وبناتهم.

نضطج في خزينا ويغطينا خجلنا (ببرقع)،

لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا نحن وآباؤنا،

منذ صبا إلى هذا اليوم،

ولم نسمع لصوت الرب إلهنا" [24-25].

لا يقف عمل الخطية عند فقدان السلام الداخلي وتحطيم روح التمييز ليعيش الإنسان يتخبط، يظن الحق باطلاً، والباطل حقًا، الحياة الزمنية

خالدة، والسماء خيالاً، وإنما تدخل به القوي (*bosheth*) الذي يحطم كل تعب منذ صباه.

يقول سليمان الحكيم: "البر يرفع شأن الأمة، وعار الشعوب الخطية" (أم 14: 34). وعندما دخل الشعب أرض كنعان وقدموا عبادة مقدسة،

دُعي الموضع "الجلجال"، ويعني "الدوحجة" إذ دحج عنهم العار (يش 5: 9)، عار العبودية رمز الخطية.

لقد دعى شاول ابنه "إيشبوشث" (2 صم 2: 8)، أي "رجل العار"... هذا هو ثمر الخطية!

تكنم خطورة الخطية في كونها مخادعة. بينما تدفع النفس إلى القوي والعار، يفتخر البعض بها، ويحسبونها مجداً لهم... عوض أن يقفوا

فيخزي وعارٍ أمام الله، وقدام أنفسهم يعترفون بما حلَّ بهم بسبب خطاياهم. بمعنى آخر بالتوبة والاعتراف نضوب عار الخطية وخزيها بشعورنا بالخجل

والقوي والعار!

يقول العلامة أوريجينوس:

["وقد أكل القوي تعب آباءنا منذ صبا... [24]. يجب أن يكون هناك قوي حتى يأكل التعب الباطل والأعمال الكاذبة التي لآبائنا، فإنه بدون

القوي لن تُستهلك (تنتهي) هذه الأعمال الباطلة والكاذبة...]

يوجد خفاة ليس عندهم قوي ولا حياة من خطاياهم، إذ لا يدخلون منها. هؤلاء هم الذين فقنوا كل حس وأسلموا لكل نجاسة.

إنكم ترون بالفعل كيف تستعرض الشعوب الأممية أحياناً قائمة فسقهم وزناهم، ويفتخرون بها كما لو كانت أعمال بطولة، دون أن يدخلوا من

مملستهم هذه الأعمال، ودون أن يطلقوا عليها "خطايا". ما دام ليس عندهم "القوي" لن تُؤكل (تُحمى) خطاياهم.

بداية الصلاح هو الشعور بالخجل مما كنا لا نخجل منه قبلاً [109].

ما هو غنم الآباء وبقوهم الذي يأكله القوي؟

يقول العلامة أوريجينوس: يُطلق على التصرفات غير العاقلة التي يملسها الآباء غنماً وبقواً.

الخليقة غير العاقلة (الحيوانية) ليست مملوكة على النوام، إذ توجد كائنات غير عاقلة ملومة، مثل " غنم الآباء الذين أخطأوا ". وتوجد حيوانات مملوكة ومطوية، هذه التي يُقال عنها: "خوف يتسمع صوتي".

حينما يقول المخلص: "أنا هو الراعي الصالح" يؤمننا ألا نفهم ذلك بطريقة عامة كما يفعل الجميع، حاسبين أنه راعي المؤمنين وحدهم دون الخطة. إنما يؤمنني كخاطي أن أقبل السيد المسيح في داخل نفسي. أقبل الراعي الصالح في، الراعي الصالح القادر بعصارعايته أن يسيطر على تصرفاتي غير العاقلة، فلا يسمح لها أن تخرج كما تشاء وحيثما تشاء، لكنها تحت قيادة الراعي تصير تصرفات سليمة. "فلستم إذا بعد غرباء، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله" (أف 2: 19).

هكذا، إذا كان الراعي في داخلي فإنه يقود حواسي، فلا تخضع قط لفكر غريب؛ لا تخضع لوعون ولا لنبوخذنصر، وإنما للراعي

[110] الصالح!

إذن مادام يوجد في حياتي الداخلية كما في سلوكي غنمات ضاللة وبقر كثير شرد، بالتوبة الصادقة والاعتراف الصريح أشعر بالخرى فتؤكل الحيوانات الفاسدة، ليقم الراعي الصالح في غنمات مقدسة تحت رعايته الشخصية. كان لبني إسرائيل غنم وبقر، إذ كانوا يتكلمون ترة على وعون مصر وأخرى على ملك بابل... لنطلب راعي نفوسنا الحق، ولنحتمي فيه، فهو وحده قادر على رعايتنا وحمایتنا من كل تجرب عدو الخير القاتلة.

ماذا يُقصد بالبنين والبنات الذين يأكلهم الخري؟

كثوًا ما يفسر العلامة أوريجينوس **[111]** البنين كثمار النفس وأفكلها، والبنات كأعمال الجسد وأفكله... إذن بخري التوبة تؤكل أفكار النفس الفاسدة وأعمال الجسد الشروية، ليقم لنا الرب المخلص بروحه القدس ثوًا مقدسًا للنفس والجسد معًا!

ماذا يُقصد بالخل الذي يغطينا كما يبرقع؟

يقول العلامة أوريجينوس:

["تضطجع فيخزيننا ويغطينا خلنا (برقع)" [25].

اعتدنا أن نتحدث عن البرقع الموضوع على وجه الذين لا وجعون إلى الرب. بسبب هذا البرقع الموضوع على قلوبهم لا يفهم الخطاة حين يؤا موسى (2 كو 3: 15). لهذا نقول إن الخري هو هذا البرقع.

مادام لدينا أعمال الخري، يوجد عندنا البرقع دون شك، وذلك كما قيل في المزمور: "وخري وجهي قد غطاني (برقع)" (مز 44: 15).

أما الذين لا يملسون أعمالاً مخزية فلا يكون عندهم البرقع. هذا ما يقوله بولس الرسول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في رواة" (2 كو 3: 18).

إن كنا نريد أن نزع البرقع الناجم عن الخري فلنعمل الأعمال المجيدة، ولنضع كلمات المخلص هذه في أذهاننا: "حتى أن الجميع يمجون الابن كما يمجون الأب"، وكلمات بولس الرسول: "بتعدينا الناموس نهين الله".

في مقورتنا نحن أن نزع البرقع وليس في مقورة أحد غيرنا. فعندما كان موسى يتوجه إلى الله كان بالفعل يرفع البرقع.

لم يأمر الله موسى قائلاً له: غط نفسك بوقع، وإنما لمارأى موسى الشعب عاجزاً عن النظر إلى مجده وضع برقعاً على وجهه. ولم ينتظر

أيضاً أن يقول له الله في كل مرة كان يتحدث فيها معه: "نزع البرقع".

إذن كُتب هذا حتى ترفع أنت أيضاً بدورك بوقع أعمالك المخزية الذي وضعته على وجهك، وذلك متى اتجهت بنظرك إلى الرب؛ وإذ تزع

البرقع لا تعود تقول: "يغطينا خلنا (برقع)".

على سبيل المثال، عندما يستقر الغضب في نفوسنا، يكون مثل برقع موضوع على الوجه. وعندما نودد القول في صلاتنا: "قد أضاء علينا نور وجهك يارب" (مز 4)، نرفع البرقع، وننفذ ما يقوله الرسول: "قلّيد أن يصلي الرجال في كل مكان، رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال" (1 تي 2: 8). فإذا زعنا الغضب نكون قد رفعنا البرقع؛ وهكذا أيضاً بالنسبة لجميع الخطايا.

طالما وُجِدَت الخطايا في فكرنا يكون البرقع موجوداً على وجوهنا الداخلية بصورة تحجب عنا رؤية مجد الله المضيء.

الله لا يخفي عنا مجده، إنما نحن بوضعنا برقع الخطية على نفوسنا نحم أنفسنا

من رؤية مجد الله ^[112].

إذن بالتوبة والاعتراف نشعر بالخرى فنُزَع من داخلنا الحياة الحيوانية غير العاقلة، فيؤكل غنمنا وبقونا، ويسكن راعينا في القلب لوعى غنماً روحياً جديداً، ويقيم ملكوته فينا.

بالتوبة الصادقة يقدّس روح الله القدوس ولأدنا وبناتنا، أي أعمال النفس والجسد معاً، فيكون لنا الفكر المقدس والأحاسيس الملتهبة بنار حبه والتصرفات اللائقة كلّ لاد لله.

بالتوبة الصادقة يرفع روح الله عن قلوبنا برقع الخزي والعار فوزى مجد الله، ونترك أسوره الفائقة السملوية.

هذا هو طويق التوبة، الذي فيه نصوص، قائلين:

"لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا نحن وآباؤنا منذ صبا إلى هذا اليوم، ولم نسمع لصوت الرب إلهنا" [25].

يعلق العلامة أوريجينوس على هذه العبارة، قائلاً:

[هل يمكننا نحن أيضاً أن نقول كما قال هؤلاء: إننا أخطأنا؟ هذا يختلف عن القول: "لقد أخطأنا ونخطئ". فمن لا زال في خطيته لا يقول: "لقد أخطأنا".

لكن ينطق بهذا من أخطأ وقد تاب توبة حقيقية.

يوجد في الكتاب المقدس أمثلة كثيرة لأناس لم يعوبوا يخطئون، ومع هذا يقولون: "لقد أخطأنا، لقد تعدينا شريعتك"، كما جاء في دانيال. كذلك يقول داود النبي: "خطايا شبابي وجهلي لا تذكر".

فلنعترف إذن بخطايانا، ليس خطايا الأمس وأول أمس فحسب، وإنما تلك التي مرّ عليها 15 عاماً دون أن نكون قد ارتكبنا أية خطية خلال هذه السنوات الـ 15...

إن ذهبنا لنعترف بخطايا الأمس فقط نكون غير صادقين في توبتنا، "لأننا إلى الرب إلهنا أخطأنا نحن وآباؤنا منذ صبا إلى هذا اليوم"...

تستلزم الجراحات وقتاً قبل أن تُشفى، هكذا أيضاً بالنسبة للروح، فإن الرجوع الكامل النقي إلى الله يتطلب أيضاً بعض الوقت ^[113].

نختم حديثنا هنا عن التوبة والاعتراف بالعبارة الآبائية التالية:

❖ أول طويق التوبة هو إدانتنا لخطايانا ^[114].

❖ من يملس التوبة بعدما يخطئ يستحق تهنئة لا الحزن عليه، إذ يعبر إلى خورس الأوار ^[115].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لينتبه (الخاطئ) إلى خطورة الجرح،

ولا ييأس من عظمة الطبيب.

الخطية مع اليأس هي موت أكيد... ^[116]

من وحي لرميا 3

رجعي أيتها العروس إلى القنوس!

❖ رجعي... رجعي أيتها العروس إلى القنوس.

إنه يفتح أحضانه ليردك إليه،

لا يعاتبك أيتها الخائنة، بل يردك فوح عوسك!

❖ أي رجل يقبل زوجته الخائنة بعد طلاقها؟!

لقد خنتيه، إذ أقميت في داخلك آلهة غريبة!

صار لك في أعماقك أصحاب زناة كثوين.

جلست كما في الطرقات ولم تخجلي من زناك.

أحببتي يا نفسي العالم أكثر منه!

انشغلتني بأمور كثوة وتجاهلته!

صار المحبوب العجيب آخر الكل في عينيك!

هوذا الطبيعة الجامدة تشهد عليك!

❖ هوذا عويسك ينتظرك يا نفسي!

إن غضب، فزجوعك وخلصك!

دخل بك إلى صهيون السماوية، حجاله الأبدى!

يهبك كل ثمر روعي، ويقدم لك معرفة إلهية!

يجعلك وكة لكثوين!

ويقدم نفسه لك موانئاً!

يشفي طبيعتك ويجدها!

ماذا تطلبين بعد يا من حطمك الكوياء والعصيان!

❖ أنكري يا نفسي ماذا فعلت بك الخطية:

قدمت لك اللهو إلى حين لتبكي بورة بلا انقطاع!

أعطتك أموراً زمنية لكنك صرت أنت باطلة!

حولتك إلى الخوي كزوق على وجهك فلا توين بهاء مجد عويسك!

زينة العروس

أكثر عبرات هذا الأصحاح والأصحاحين التاليين، منظومة في العبرية شعراً، لذلك وجح أن تكون مجموعة خطب أو أقوال ألقاها النبي منظومة مقفاة، ليدفع الشعب إلى التوبة، ويحفظهم من الخطر المصّلت على رقابهم. إذ يطلب الله من شعبه الرجوع إليه، كاشفاً عن غيوته عليهم، وحبه الشديد نحوهم، يطلب إليهم ألا وجعوا إليه بفسادهم ورجاساتهم، وإنما أن يتوبوا بجمال داخلي كعروس سماوية مقدسة.

- 1 . التوبة وسيلة الترتين [1-2].
- 2 . التمتع بختان القلب [3-9].
- 3 . ترك الأنبياء الكذبة [10-12].
- 4 . إبراك خطة الله وقبول التأديب [13-18].
- 5 . قبول الأنبياء الحقيقيين [19-22].
- 6 . الشعب والاستئذة [23-29].
- 7 . ترك البر الذاتي [30-31].

1 . التوبة وسيلة الترتين:

يقول الأب شيريمون : [إنه يقطن أورشليم (النفس البشوية) بأهواة زانية تطلب رجلاً، ويقطن الله في محبته لنا بزوح يموت في حبه لعروسه... أشبه وجل يحرق بنار محبته لامرأته، وينوب لأجل حبه قرما واهما تستخف به وتستهيبن ^[117]].

إنه يلح في طلب رجوعها إليه، لكنه يطلبها رجوع مقدسة له، إذ يقول: "إن رجعت يا إسوائيل يقول الرب، إن رجعت إليّ، وإن وعت مكوهاتك من (فمك) من أمامي فلا تتيه" [1].

يطلب من عروسه أن تتخلى عن العبادة الوثنية، وعن جودها له. هذه هي المكروهات... يبغضها الله لأنها تحتل قلب الإنسان، وتغتصب ملكوت الله، وتفسد الحياة

الداخلية، فتجعل النفس في حالة تيه ، لا تعرف رسالتها ولا حتى تقدير الله لها.

لنترك كل صنم نُقيمة في القلب، وكل عبادة غريبة، وكل اتكال على فواع بشر، وكل رغبة في لضاء الناس وطلب مديحهم، وكل خطية بالفكر أو القول أو العمل... أي كل مكروه لدى الله. بهذا يتقبلنا الله عروساً مقدسة له، وفيينا يتبرك الكثيرون، إذ يجعلنا ليس فقط مُبركين بل بركة لغونا، يبيلكون الله العامل فيينا وفيهم وينالون بركته.

يقول العلامة أوريجينوس: [ما هي الأشياء التي يجب على إسوائيل القيام بها حتى تبرك الشعوب الله فيه؟

"إن وعت مكوهاته من فمه" [1].

ولكن ماذا يعني هذا؟

إن كل ما نقوله من شر هو مكروه في فمنا. فلننزع إذأ بزوع الشتائم، والكلمات الفلرعة، والكلمات العقيمة التي من شأنها إدانتنا، لأنه بكلامك

يطالبها ألا تحلف بالآلهة الوثنية بل به، تحلف **بالحق والعدل والبر** [2] . كان القسم قديماً علامة الثقة بالإله الذي يقسم الإنسان به، لهذا عندما كان الله يطلب من شعبه القسم باسمه كان يطلب أن يحفظهم من القسم بالآلهة الوثنية والإيمان بها.

يلق العلامة أوريجينوس على القول الإلهي: **وإن حلفت حيّ هو الرب بالحق والعدل والبر فتتبرك الشعوب به، وبه يفتخرون** [2]، قائلاً:
[لننظر إلى أنفسنا نحن الذين نحلف، ولنر كيف أننا لا نحلف **بالعدل** ، وإنما بدون عدل، حتى صرنا أقسامنا كثيرة على سبيل العادة، لا على سبيل الحق.

المشكلة هنا هي أن نتوك أنفسنا تُساق بواسطة الخطية، فنعتاد عليها. هذا ما ينتقده الرب بقوله: **وإن حلفت حيّ هو الرب بالحق والعدل والبر** .
أنا نعلم أن الرب قال لتلاميذه في الإنجيل: **وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا بالبتة** (مت 5: 34).

لندرس هذه الآية، ونضع الآيتين معاً. ربما يلزمنا أن نبدأ بالقول: **احلفوا بالحق والعدل والبر**، حتى إذا ما تقدمنا ونمونا في النعمة بعد ذلك نستعد ألا نحلف بالبتة، بل يكون لنا الـ "نعم" الذي لا يحتاج إلى تأكيد الأمور بالقسم، ويكون لنا الـ "لا" الذي لا يحتاج إلى شهادة إثبات أن الأمر ليس هكذا.
وإن حلفت حيّ هو الرب بالحق والعدل والبر .

بالنسبة لمن يحلف لابد ولاً ألا يكون كاذباً بل صادقاً، فيحلف **بالحق** . أما نحن البائسون فكثراً ما نُقسم كذباً بالباطل.
إن افترضنا أننا نحلف بالحق، فإن هذا القسم يخالف الشريعة، إذ يجب أن يكون **بالعدل** " بجانب أنه **بالحق** " ، لأنه إن افترضت أنني أحلف كعادة، ففي هذه الحالة لا يوجد عدل... لأننا نجعل من رب هذا الكون ومسيحه شاهداً على أمر ما. فما أهمية هذا الأمر حتى أُنحنى على ركبتي وأقسم؟... [119]

مما يدعو البعض إلى الدهشة أن يقدم النبي التّوام الشعب بالقسم باسم الرب الحيّ بالحق والعدل والبر علامة على التوبة. قد يبدو أن هذا الأمر تافه، لكن من يدرس الأمر في عمق يلاحظ أنه كاد الشعب كله والقيادات أن يعبوا الأوثان، فكان قسمهم باسم الآلهة الغريبة. فالقسم باسم الرب الحيّ علامة على ترك العبادة الوثنية. الأمر الثاني أن ما ينطق به الفم إنما هو من فضلة القلب. فالقلب النقي المستقيم ينطق بالحق والعدل والبر، لا يعرف إلا الصدق، وليس للكذب موضع! وكأن القسم هنا يكشف عن استقامة الإيمان مع استقامة السلوك.
في اختصار نقول إن التوبة كما يقدمها لنا هذا الأصحاب ليست ندامة ورجوعاً عن الرجاسات فحسب، إنما هي رجوع وإخلاص لله واتحاد معه، فتتمتع بالحق الإلهي والعدل والبر.

أما الوعد فهو: **"تتبرك الشعوب به، وبه يفتخرون"** [2] . ما هو هذا الوعد الإلهي إلا التمتع بغنى الحياة الجديدة وكمالها كعطية إلهية.
قُدّم هذا الوعد لأبائنا إواهم وإسحق ويعقوب (تك 12: 3؛ 18: 18؛ 26: 4) . وقد تحقق الوعد بمجيء السيد المسيح الذي به تتبرك شعوب العالم.

2. ختان القلب:

إذ كانت مملكة إسرائيل قد عصت الرب علانية، وأقامت العبادة الوثنية عوض عبادة الله الحيّ، لذا طالبها بزوع هذه العبادة المكروهة بكل رجاساتها (1-2) ، أما مملكة يهوذا فسلكت طريقاً آخر، وهي الزوج بين العبادة الحقيقية والوثنية. في المظهر يذهبون في الأعياد إلى أورشليم، يقدمون ذبائح وتقدمات للرب، ويمارسون العبادة في شكلياتها، ويتمسكون بحرفية الناموس، أما قلوبهم فمرتبكة بالوثنية. إنهم يعترفون بكونهم أهل الختان... بينما قلوبهم غير مختنتة. لهذا جاءت الوصية إليهم تؤمهم بالدخول إلى الأعماق، ليملسوا ختان القلب الخفي، ويهتوا بالمجد الداخلي.

"لأنه هكذا قال الرب لرجال يهوذا وأورشليم:

احرثوا لأنفسكم حرثًا، ولا تزرعوا في الأشواك.

اختتنوا للرب، واتّوا عرل قلوبكم يا رجال يهوذا وسكان أورشليم.

لئلا يخرج كنار غيظي فيحرق، وليس من يطفئ بسبب شر أعمالكم" [3-4].

جاءت الدعوة هنا إلى رجال يهوذا وأورشليم، وكما يقول العلامة أوريجينوس:

[أنني أتذكر ما قيل حديثاً حول المعنى الوزني ليهوذا وسكان أورشليم: فإننا نحن أيضاً، إذا أعطانا الرب هذه النعمة، سوف نكون سكان أورشليم. بما أنه "حيث يكون كثرك هناك يكون قلبك أيضاً"، فإن كان كثرتنا في السماء يكون قلبنا أيضاً في أورشليم السمائية، التي يقول عنها الرسول: **وأما أورشليم العليا التي هي أمانة جميعاً فهي حرة**" (غل 4: 26) [120].

يستحيل أن يُوجى ثمر روي إلهي ممن يزرعون في أرض قفر مملوءة بالأشواك الخائفة، إنما يجب أن تُشق بشوأة المحاث لتبكي تربة القلب القاسية... ففي مثل الزرع يقول السيد المسيح: "وسقط آخر على الشوك فطلع الشوك وخنقه" (مت 13: 7). وجاء في هوشع ضرورة حرث الأرض لزوع الشوك وزرع بذار البر: "زرعوا لأنفسكم بالبر، احصوا بحسب الصلاح، احثوا لأنفسكم حرثًا، فإنه وقت لطلب الرب حتى يأتي ويعلمكم البر" (12: 10).

إن كانت تربة قلوبنا مملوءة أشواكًا فبصليب ربنا يسوع المسيح تُحرث فتصير صالحة، يُزوع عنها الشوك بكونه الغولة. هذا هو ختان القلب الذي يربط بالصليب، ولا يختنق بأشواك هموم الحياة وملذاتها الباطلة.

يقول القديس أغسطينوس: [اقلوا التربة الصالحة بالمحاث، زلوا الحجرة من الحقل، ازرعوا الأشواك عنها...]

احنروا من أن تختنق البذار الصالحة التي زُرعت فيكم خلال جهادي (عاية القديس لهم)، وذلك بواسطة الشهوات واهتمامات هذا العالم.

كونوا الأرض الجيدة، وليأت الواحد بمئة والآخر بستين، وآخر بثلاثين [121].

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كما يُستخدم المحاث في الحقل فيقلب الأرض من أسفل لِيُعد مقدماً ملجأً آمنًا للبذار، حتى لا تنتثر على السطح، بل تختفي في رحم الأرض ذاتها، فتودع جنورها في أمان، هكذا يليق بنا نحن أيضاً أن نعمل، فنستخدم محاث الضيقات لحرث أعماق القلب. ينصحن نبي آخر، قائلاً: "مزقوا قلوبكم لا ثيابكم" (يؤ 2: 13).

لمزق قلوبنا، حتى متى وُجد فيها زرع شرير، أو فكر مخادع نفتلعه بجنوره، فنهيئ تربة نقيّة لبذار الصلاح.

إن كنا الآن لا نحرث الأرض البور، إن كنا لا نبذر الآن، إن كنا لا نرويها الآن بالدموع، مادام وقت ضيق وصوم، فمتى نلوم أنفسنا؟! هل يحدث هذا عندما نصير في يسر وتوف؟! مستحيل! فإن اليسر والتوف بوجه عام يقودانا إلى التواخي، كما تودنا الضيقة إلى الجهاد، تود الذهن الذي ضل بعيداً وصار هائماً يحلم بأمر كثرة [122].

رى العلامة أوريجينوس أن الحديث هنا ينطبق على المعلمين والكارزين، إذ يهتم بعضهم بتقديم العقائد الإيمانية خرج دائرة الخلاص العملي، فيكونوا كمن يقدمون بذرًا صالحة وسط الأشواك. إذ يقول:

[**احرثوا لأنفسكم حرثًا، ولا تزرعوا في الأشواك**] [3].

قيل هذا الكلام على وجه الخصوص للمعلمين والمبشرين؛ حتى لا ينطقوا بكلمات الإنجيل للسامعين قبل تهيئة حقول جديدة (محرثة) في نفوسهم. لأنهم متى هبوا حولاً جديدة في النفوس، ومتى أصبح الناس مُعدين لاستقبال التعاليم كما في الأرض الجيدة الصالحة، عندئذ يزرعون ليس في الأشواك.

على العكس، قمنا نحن بزرع بنور مقدسة قبل أن نُعد حولاً جديدة في عقول الناس، زرنا عقيدة الأب والابن والروح القدس، والقيامة، والعقاب والراحة الأبدية والناموس والأنبياء وغير ذلك من تعاليم الكتاب المقدس. أننا بهذا نخالف الوصية التي تقول ولأولاً: "**احرثوا لأنفسكم حرثًا**" أعوا

لأنفسكم حولاً جديدة، ثانياً: " لا تزرعوا في الأثواك".

قد يقول أحد السامعين: أنني لست أعلم، فهذه الوصية ليست لي.

ليكن! كن زرعاً (معلمًا) لنفسك، ولا تزرع في الأثواك، إنما أعدد حقلًا جديدًا من قطعة الأرض التي سلمها لك الرب. اهتم بهذه الأرض.

ابحث أين توجد الأثواك، أين توجد الهموم والاهتمامات المادية وإغواءات الغنى وحب الشهوة، وازرع في الحال تلك الأثواك التي في نفسك. ابحث عن

المحاث الروحي الذي قال عنه يسوع: "ليس أحد يضع يده على المحاث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله" (لو 9: 62). بهذا تكون قد أعددت حقلًا

جديدًا. بعد إعداد هذا الحقل، اذهب وخذ بذراً من المعلمين ومن الشريعة والأنبياء والكتابات الإنجيلية وكلمات الوسل، وزرعها في نفسك بتذكرها

وتففيها. ستبدو لك أن هذه البذار تنمو من تلقاء ذاتها، لكن الحقيقة أنها لا تنمو من مجرد تذكرك إياها، بل الرب هو الذي ينميها. "أنا غوست وأبلوس

سقى، لكن الله كان ينمي" (1 كو 3: 6) [123].

وى البابا أناسيوس في الكلمات النبوية: " احرثوا لأنفسكم حرثاً، ولا تزرعوا في الأثواك" [4] دعوة للجديفة في استخدام نعمة الله الغنية

المجانية، لأن طريق الكسلان كسباج من شوك (أم 15: 19). إنه يظن أن أرضه تنتج خزواً بلا عمل، فإذا بها تخرج له شوكاً...

لدينا وصية رسولية ألا تكون النعمة المعطاة لنا باطلة، الأمور التي كتب عنها القديس بولس إلى تلاميذه شخصياً، موصياً إيانا بها من خلالهم،

كقوله: "لا تهمل الموهبة التي فيك" (1 تي 4: 14).

يوجد مثل له ذات المعنى: "من يشتغل بحقله يشبع خزواً، أما طرق الكسلان فسباج من شوك" (أم 19: 12، 15). لذلك يحذرنا الروح القدس

ألا نسقط في مثل هذه الأمور، قائلاً: " احرثوا لأنفسكم حرثاً، ولا تزرعوا في الأثواك" [124].

"اخرثوا للرب واوعوا غرل قلوبكم" [4].

إذ يحرث الإنسان بصليب رب المجد يسوع داخل القلب ليزرع الأثواك، يتمتع بختان القلب الروحي الخفي، وكما يقول الرسول بولس موبخاً

المتكلمين على ختان الجسد الخرجي: "لأن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً، ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختانياً، اليهودي في الخفاء هو

اليهودي؛ وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان، الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو 2: 28-29).

يقول القديس أغسطينوس: [يتفق هذا مع قوله: "دعى أحد وهو مختون فلا يصر أغلف" (1 كو 7: 18)]. لقد كان يهودياً، ودعى مختوناً، لبيته

لا يطلب أن يصير أغلف، أي لا يعيش كمن هو ليس مختوناً. [125]

يقول العلامة أوريجينوس: [كان لابد أن يقول: "اخرثوا للرب". فإن الختان من الجانب الجسدي لم يقتصر على أهل الختان حسب شريعة موسى

وحدهم، وإنما ملسه أناس آخرون كثيرون. فكهنه الأوثان المصريون كانوا يخرثون لها (أي للأوثان)، فكان ختانهم للأوثان لا للرب، أما ختان اليهود

فكان يمكن أن يكون للرب.

إن كنا قد فهمنا معنى "اخرثوا للرب" بالمعنى الحرفي، فلننتقل إلى المعنى الرمزي حتى نعرف كيف يوجد بين المختونين من هم مختونون

للرب، وآخرون مختونون ليس للرب.

توجد عقائد أخرى بخلاف عقيدة الحق أي العقيدة الأرثوذكسية، هؤلاء الذين يعتمدون على الفلسفة. إنهم مختونون في أخلاقهم وقلوبهم

ويملسون ما يمكن أن نطلق عليه الاعتدال (الفضيلة)... هؤلاء مختونون ليس للرب، لأن ختانهم يتم بعقيدة كاذبة. ولكن حين تذهب إلى الكنيسة، وتتبع

تعاليمها الحق، فإنك لا تكون مختوناً فحسب وإنما تكون مختوناً للرب [126].

كما يقول العلامة أوريجينوس: [تُوجد غولة في القلب يجب زرعها.

الغولة هي خلقية منذ الولادة، يأتي الختان بعد ذلك؛ فما جاء بالولادة يزوع بالختان.

إذا كانت الوصية تقول غرل قلوبكم ، لابد أن يكون هناك في القلب شيء منذ الولادة يسمى غولة، يجب علينا زعه حتى نكون مختنتين من غولة قلوبنا.

إذا دققنا النظر في العبرتين: "لقد كنا بالطبيعة أولادًا في الغضب"، "جسد هذا الموت" الذي وُلدنا فيه، وإذا تأملنا في القول "ليس أحد ظاهراً من دنس ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض"، نستخلص كيف أننا ولدنا بخطايا وبغولة في قلوبنا.

إذا كان القلب الذي فينا هو الذي يحمل العقل، حيث توجد الأفكار، ومنه تخرج الأفكار الشروية، فإن من يزوع الأفكار الشروية يزوع أيضاً غولة القلب. أما من لا يزوع غولة قلبه (متجاوباً مع عمل الروح القدس فيه)، فليُنظر ما يتوعد به الله: "لئلا يخرج كنارٍ غيظي فيحرق وليس من يطفئ" [127].

إذن ليكن لنا ختان القلب الداخلي للرب، يقوم على عمل الروح القدس الذي يزوع غولة القلب ويهب ختانه، يُصلب الإنسان العتيق ويهبنا الجديد في مياه المعمودية.

العماد هو ختان القلب والروح، يعيشه المؤمن كل أيام حياته، ليعمل روح الله فيه بلا انقطاع، حتى يملس الحياة الجديدة المُقامة مع المسيح. هذه هي زينة العروس، الزينة التي يهبها لها الروح القدس في مياه المعمودية، والذي لا يتوقف عن تجميلها كل أيام غويتها، زينة الروح الداخلية... فلا تسمع التوبيخ: " وأنت أيتها الخربة ماذا تعملين؟ إذا لبستِ قَمَراً، تزينتِ بزينة من ذهب، إذا كحلتِ عينيكَ، فباطلاً تحسنين ذاتك" [30]. إذ نقبل عمل الروح القدس الناري فينا يلتهب قلبنا المختون بالحب الإلهي، أما إذا استعاد الغولة، أي أعمال الإنسان العتيق، فيحترق بنار غضب الله.

" لئلا يخرج كنارٍ غيظي، فيحرق وليس من يطفئ بسبب شر أعمالكم" [4].

يقول العلامة أوريجينوس : [يشتعل غضب الله مثل النار بالنسبة للذين لم يخنثوا له، هؤلاء الذين لم يزوعوا عنهم غرل قلوبهم. "وليس من يطفئ بسبب شر أعمالكم". طعام هذه النار هي الأعمال الشروية التي نملسها، فإن لم توجد أعمال شروية لا تجد النار لها مأكلاً! [128].

من لا يقبل عمل الروح الناري فيه يسقط في نار الغضب الإلهي، أي يسقط في هولة تجلبها أعماله الشروية عليه، كما جلبت خطايا يهوذا السبي بكل مدلته، هذا الذي يصفه رميا النبي بصورة قاسية حتى لم يعد يقدر أن يحتمل المنظر [10]... كان صوت التحذير مستوراً حتى لحظات السبي، إذ يقول:

"اخبروا في يهوذا وسمعا في اورشليم وقولوا،

اضربوا بالبوق (shophar) في الأرض،

نانوا بصوت عالٍ وقولوا:

اجتمعوا فلندخل المدن الحصينة.

رفعوا الواية نحو صهيون.

احتنوا. لا تقفوا. لأنني آتي بشرٍ من الشمال وكسرٍ عظيم.

قد سعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم.

خرج من مكانه ليجعل أرضك خراباً،

تخرب مُدُنكَ فلا ساكن،

من أجل ذلك تنطقوا بمسوح،

الطموا ولولوا،

لأنه لم يرتد حمو غضب الرب عنا.
ويكون في ذلك اليوم يقول الرب،
إن قلب الملك يُعدم وقلوب الرؤساء،
وتتحير الكهنة وتتعجب الأنبياء" [5-9].

الله القنوس الذي يطلب عروسه مزينة بالقداسة، إذ واهها تملس الشر الذي يدفعها إلى السبي ينزوها، ويبقى ينزوها حتى اللحظات الأخيرة، فإنه يشناق ألا تسقط في مورة السبي... لقد أرسل من يخوها، ويضربوا بأواق كلمته، ويناوا بصوت عالٍ، لعلهم يتكون القوى غير الحصينة ويدخلون إلى المدن الحصينة ويفعون راية صهيون؛ أي يدخلون بالتوبة إلى حصن إلهي ويحملون راية الكنيسة، راية الحب الإلهي، فيحتمون من الخطر. يسألهم: "لا تقفوا".... إذ يليق بالعروس أن تتحرك تجاه عريسها، تعلن حبها له عملياً، كما تحرك هو أولاً نحوها، باذلاً حياته لأجلها. إنه يكرر لها الدعوة بالتوبة حتى لا تسقط تحت التأديب القاسي.
يقول العلامة أوريجينوس : [كلمة الله تيقظ السامع، وتُعدُّه للحرب ضد الشهوات، وضد القوات الشريرة، وتهيئه أيضاً للولائم السمائية. إنها هنا بمثابة بوق.

"تأوا بصوت عالٍ، وقولوا:

اجتمعوا فلدخل المدن الحصينة" [5].

لا يريدنا الله أن ندخل إلى مدينة غير محصنة، بل إلى مدينة محصنة. فقد تحصنت كنيسة الله بالحق الذي في المسيح يسوع؛ هو نفسه حصنها، كما يقول داود النبي في الغمور: "الرب صخوتي وحصني ومنقذي" (مز 18: 2).
أنتم جميعاً الذين كنتم خلع صهيون "رفعوا الواية نحو صهيون (اهربوا إلى صهيون)؛ احتموا؛ لا تقفوا" [6].
أنتم الذين كنتم في تقدم ونمو احتموا في صهيون. "لأنني آتي بشر من الشمال وكسر عظيم". عند مجيء هذا الشر، من لا يحمي ويدخل المدن الحصينة، أي كنائس الله، يبقى خلعاً، يمسه الأعداء ويقتلونه.
من هو هذا العدو؟ لننظر إلى تكلمة الحديث: "قد صعد الأسد من غابته وزحف مهلك الأمم" [7]. هذا هو العدو الذي يجب أن نهرب منه. من هو هذا الأسد الذي يتبعنا؟ ينبهنا إليه القديس بطرس، قائلاً: "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقاً من بيتلعه هو، فقاوموه راسخين في الإيمان" (1 بط 5: 8-9).

يوجد أسد قد صعد من غابته؛ أين هي هذه الغابة؟ إنه سقط إلى أسفل. قول إلى أسفل الأرض، إلى أعماقها.
أنت إنسان، أعلى من الشيطان، لأنك أفضل منه على أي الأحوال، أما هو فهبط إلى أسفل بسبب فساده...
إنه يريد أن يدخل إلى رُضك، يريد أن يفتوس كل واحد منا...

بما أن الأسد قد صعد إليك ليهددك ويخرب رُضك، البس الموح وباك وتهد وتزوع إلى الله بالصلوات، فيهلك هذا الأسد، وتتخلص أنت منه، ولا تقع بين أنيابه.

يحاول هذا الأسد أن يصطادك عن طريق آذانك، إذ يلقي إليك كلمات كاذبة محببة إلى نفسك، فيجعلك تحيد عن طريق الحق.
يريد أن يلتهم قدميك، ويزعها من فوق رُض الحق.

تمنطق بمسوح، وأوق صنوك، ابك، واصوخ صوخت الحرب حينما ترى العدو يهددك، فيرتد حمو غضب الرب عنك، عندئذ تستطيع بكل هوء وطمأنينة أن تتصدى لكل هجمات الأسد، لأنك قد دخلت المدينة الحصينة [129].

في وسط الخطر يفتح الله باب الخلاص، معلناً أن غضبه لا يديم إلى الأبد. إنه يغضب لأنه يرى العدو قادماً كأسد ليفترسنا ونحن في تهلوننا لا

ندخل إليه كمدينة حصينة، ولا نقبله ملجأ لنا. يضرب كما يوق لكي فرج إليه فرج هو إلينا.

ختان القلب يُكسب النفس جمالاً في عيني عريستها السملوي، مما يثير عدو الخير ضدها، فتدخل في حرب روحية، متسلحة بروح التوبة والاتضاع مع الاتكال على إمكانيات عريستها... ومع كل موقعة تتمتع بنصوة جديدة، فزوداد جمالها بهاءً.

3. ترك الأنبياء الكذبة:

كان قلب رميا الرقيق يعنصر وهو وى: "قد بلغ السيف النفس" [10].

وى الشعب نائماً فقد ظنوا أن الله خدعهم وخذع مدينته المقدسة أورشليم، ظوه يتحدث على فم الأنبياء الكذبة، القائلين: "يكون لكم سلام" [10]. إنها كلمات الأنبياء المعسولة التي تعطي طمأنينة كاذبة ومؤقتة، يستطيب لها القادة العسكريون والدينيون مع الشعب، لكنها مجرد تسكين تدفع بهم إلى الخراب، وتدخل بهم إلى محاكمة الله لهم [14].

تقوم زينة العروس الداخلية على الشوكة مع الله، أساسها التوبة الصادقة وختان القلب. لا تعطي أذنًا للكلمات المهذئة للنفس إلى حين، الكلمات الطيبة اللينة، لكنها مخادعة، إذ تسمع "سلام، سلام، ولا سلام" (6: 14). هذه التي قال عنها الرب: "بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي؛ لم أرسلهم ولا أوتهم ولا كلمتهم، برؤيا كاذبة وعوافة وباطلٍ ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم... وهم يقولون: لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض، بالسيف والجوع يفنى أولئك الأنبياء، والشعب الذي يتنبأون له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جوى الجوع والسيف، وليس من يدفنهم هم ونسؤهم وبفهم وبناتهم، واسكب عليهم شوههم" (14: 14-16). هؤلاء "يتكلمون برؤيا قلوبهم لا عن فم الرب" (23: 26).

لترفض الكنيسة هذه الكلمات، ولتقبل كلمات الله النارية، حتى وإن بدت قاسية ومؤدة، لكنها هي نار إلهية قاهرة أن تهيئها كعروس مزينة لجلها (رؤ 21: 2).

زينة العروس لا السلام القائم على كلمات الكذب التي نستطيب لها، وإنما على كلمات الرب التي تتول على القلب كسيفٍ تبتتر كل أثر للغلة، وتحطم شوهه، ليعلن كمقدسٍ للرب ومسكنٍ لروحه القدس. لنقبل كلماته الجلحة، التي بجواحاتها تشفي جواحاتنا! إلى يومنا هذا لا زال النفس تتخدع لا بكلمات الأنبياء الكذبة الخرجين بل بالذين هم في داخلها، الأفكار الخطوة المخادعة، لتستكين للخطية وتضوب بالشوكة الإلهية والوصية عرض الحائط. مثل هذه النفس يبكى عليها السيد المسيح كما على أورشليم، قائلاً: "إنك لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أخفي عن عينيك، فإنه سنأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمتوسة ويحذقون بك ويحاصرونك من كل جهة، ويهدمونك وبنيتك فيك ولا يتوكون فيك حواً على حجرٍ لأنك لا تعرفين زمن افتقادك" (لو 19: 42-44).

بعدما يقدم الله تأديبه يحذر من العقوبة الأبدية... فقد سمح لهم بالسبي، لكن إن لم وجعوا يسقطون في دينونة أبدية، إذ يقول: "في ذلك الزمان يقال لهذا الشعب ولأورشليم: ريح لافحة من الهضاب في البرية نحو بنت شعبي، لا للتثنية ولا للتثنية. ريح أشد تأتي لي من هذه. الآن أنا أيضاً أحاكمهم" [11-12].

إنه يتحدث مع شعبه كابنته "بنت شعبي" أو ربما "ابنتى الشعب *my daughter-people*" (11: 8؛ 19، 21، 22)، مؤكداً مدى اهتمامه بالشعب المنتسب إليه كابنة له، وإن كانت تقابل حبه واهتمامه بالعصيان. لقد سمح لها بالسبي كريحٍ للتثنية، تفصل الحنطة عن الزوان، وبالتثنية كالنار التي تنقي الذهب والفضة... لكنه إذ يحل يوم الدينونة تصير العقوبة أبدية!

4. إواك خطة الله وقبول التأديب:

إذ ترفض النفس الكلمات الكاذبة لتقبل كلمة الله الحية تكتشف خطة الله من نورها، خاصة من جهة تأديبها. وكما يؤكد هذا السفر في أكثر من موضع أن ما يحل بيهودا من تأديبات خاصة السبي إنما هو بسماحٍ إلهي، لكنه هو ثمر طبيعي لشر يهودا، وكشف عن حقيقة طبيعة الخطية التي قبلها

شبه السبي القادم بصعود أسدٍ من غابته وزحف مهلك الأمم لتخريب الأرض [7]. موه أخرى يشبهه بهبوب ريح عاصفة سريعة التدمير:

"هوذا كسحاب يصعد،

وكزوبعة مركباته،

أسرع من النسور خيله،

ويل لنا لأننا قد أُخربنا" [13].

إنها صورة مؤلمة لهجومٍ عنيفٍ يثره العدو... يظهر كسحابٍ من يقدر أن يصعد إليه ليحلبه أو يمسه به؟! وكزوبعة عاصفة قادمة من

الصواء من يقدر أن يصددها؟! وكخيلٍ له سوعة النسور من يقف أمامها؟!

أليست هذه هي صورة حربٍ العدو للخير للنفس التي تسلّم ذاتها للشر، إذ يصعد الشر في القلب بروح الكروياء ليهورى بالإنسان إلى أعماق

الجحيم، فيكون كسحابٍ مخادعٍ لا يحمل مياه النعمة التي تروى الأرض فتقدم ثورًا، بل سحاب الكروياء وحب المجد الباطل. إنه كزوبعة عاصفة تفقد

النفس بصورتها الروحية وقدرتها على معرفة أسرار الله، وكالخيال الموعوع بعنف يحطم ويخرب، في سوعة النسور التي تخطف الفريسة وتتطلق بها.

ما يجل بنا من تأديبات إلهية هو بسماح إلهي، إذ يسمح لنا أن ننوق عربون ثمر الخطية لعننا وجمع عنها ونلتجئ إليه. لهذا يكمل حديثه، مقدمًا

علاجًا شافيًا للنفس:

"اغسلي من الشر قلبك يا اورشليم لكي تخلصي،

إلى متى تبيت في وسطك أفكرك الباطلة؟!" [14].

بالتأديب الإلهي تترك النفس حاجتها للغسل لكي تخلص، أي لتتعم بشوكة المجد... فتحمل جمال عيسها وبهاءه عليها.

هذا الغسل هو من نعمة الله الغنية، لكن الله لا يغسلها بغير رادتها، لذا يقول: "اغسلي". الأمر بين يديها، لها أن تسلّم ذاتها لروح الله القدس

فيغسلها، ولها أن تبقى في خطاياها وسط عنادها وعصيانها.

يقول الأب شيريمون : [في هذا كله إعلان عن نعمة الله، وحرية الإنسان، حتى متى رغب في السلوك في طريق الفضيلة يقف سائلًا مساعدة

الرب [130].

ووى الأب سيرينوس في هذه العبارة تأكيدًا لسلطان الإنسان على الخطية، إذ يقول:

[إذا ما جاهدنا كثيرًا ضد الاضطرابات والخطايا تصير هذه تحت سلطاننا، وفق رادتنا، فنحلب أهواء جسدنا (الثورة) ونهلكها، ونأسر حشد

خطايانا تحت سلطاننا، ونطرد من صدورنا الضيوف الوعيبين، وذلك بالقوة التي لنا بصليب ربنا، فنتمتع بالنصرة التي زاها في مثال قائد المئة روحياً

(مت 8: 9) [131].

يحدثنا القديس يوحنا الذهبي الفم عن الاغتسال الداخلي، فيقول: [إن تصلي بآيدٍ غير مغسولة هو أمر تافه، أما أن تصلي بذهنٍ غير مغسول فهو

أبشع الشرور. اسمعوا ما قيل لليهود الذين انشغوا بالدنس الخارجي: " اغسلي من الشر قلبك يا اورشليم... إلى متى تبيت في وسطك أفكرك الباطلة؟!"

[14]. ليتنا نحن أيضًا نغتسل لا بالوحد وإنما بماءٍ نظيف، بالصدقة لا بالطمع. لنحد عن الشر ونفعل الخير (مز 27: 27) [132].

ليغتسل قلبنا، الذي هو اورشليمنا الداخلية، فيقدر على معاينة الرب، ويقبله ساكنًا فيه، بل ويبيت، عوض أفكرك الباطلة التي استنوت واستراحت

فيه زمانًا طويلًا!

يعود فيذكرونا بأن التأديب قد أوشك حلوله قريبًا جدًا، إذ بلغ صوت القادمين جبل دان وانتقل بسوعة الرق إلى جبل إفايم [15] ليبلغ اورشليم

ذاتها. فلا مجال للتأخير بعد!

لا يليق بها أن تلوم الرب المؤدب أو تلوم أداة التأديب، بل تلوم نفسها، إذ يقول:

"لأنها تمردت عليّ يقول الرب.

طريقك وأعمالك صنعت هذه لك

هذا شرك، فإنه مرّ، فإنه قد بلغ قلبك" [17-18].

برادتك اخترت الشر والعصيان، فاحتلت الورلة قلبك عوض ملكوت الله الموح!

كما يقول: [لنغتسل نحن أيضًا لا بالوحل بل بماء لائق، بالصدقة لا بالطمع. لنترك الشر ونصنع الخير (مز 37: 27) [133]].

5. قبول الأنبياء الحقيقيين:

إن كان يليق بالعروس أن ترفض كلمات الأنبياء الكذبة المعسولة لتترك خطة الله لخلاصها من خلال التأديب، فتغتسل لا بالمياه بل بدوع

التوبة، فإن النبي لا يقف ناقلًا لكلمات الله فحسب وإنما كعضو في العروس يئن ويتوجع لآلامها.

لا يمكننا أن نظن في الأنبياء أو المعلمين أنهم ناقلون لكلمة الله فحسب، ومعلنون عن مشيئته الإلهية، ومصلون لأجل الشعب، وإنما هم رجال الله

المملئون حبًا... أعضاء في الجسد، يئنون وينوبون مع كل ألم! لهذا يقول رميا النبي:

"أحشائي أحشائي!

توجعني جوان قلبي!

يئن في قلبي.

لا أستطيع السكوت! [19].

هنا يكشف النبي عن حبه الشديد لشعبه. يتحدث لا كمعلم قاسٍ، ولا كمنذرٍ فحسب، وإنما يتكلم من خلال أحشائه الداخلية، إنها تنتزق، وجوان

قلبه تتوجع... أنينه الداخلي لا ينقطع، وهو يرسم أمامه صورة بلوى تلتحق بأخوى هذه التي ستحل بهم! كم كان يود ألا يحمل إليهم هذا النبا المرّ. لكنه لم

يمكن ممكنًا له أن يصمت، وهو وى الخطر يحل بهم. لقد شعر بالعجز، إذ لم يعد قادرًا أن يشفع فيهم، لكنه لا يقدر ألا يتألم ويتؤه لأجلهم!

حقًا أنه يقدم كلمة الله بكل صدق، لكنه وهو يقدمها يعلن أيضًا - إن صح التعبير - حزن الله على شعبه، فإنه ما كان يود لهم هذا المرّ الذي

جلوه على أنفسهم كثرة طبيعية لعصيانهم.

هذه هي إحساسات كل راعٍ صادقٍ في رعايته، إنه يصوخ مع صرخات الشعب بكونهم أحشاه وجوان قلبه... يئن مع أاناتهم ويشركهم فوحهم

ونموهم الروحي. يقدم أحشاه لتنتزق ثمناً لحبه لشعب الله!

هذا هو عمل الخطية، يُذيب قلب الشعب فينوب معهم قلب الراعي. عندما خان الشعب الله قيل: "ذاب قلب الشعب وصار مثل الماء" (يش 5:

7). هذا هو عمل الخطية. لقد حطمت الشعب كله وأفقده كل شجاعة وقوة وصوت قلبه كالماء يسيل وليس من يقدر أن يعين أو يسند. لهذا لا تعجب إن

كان رميا النبي إذ يرك فاعلية الخطية الورة يقول: "أحشائي أحشائي، توجعني جوان قلبي، يئن في قلبي، لا أستطيع السكوت، لأنك سمعت يا نفسي

صوت البوق وهتاف الحرب" [19]. وإذ حمل السيد خطايانا قال على لسان النبي: "كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي، صار قلبي كالشمع. قد ذاب في

وسط أمعائي" (مز 22: 14)، يا لبشاعة الخطية!

"سمعت يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب.

يكسر على كسر نُودي،

لأنه قد خربت كل الأرض.

بغثة خربت خيامي وشفتي في لحظة.

حتى متى رى الواية وأسمع صوت البوق؟! [19-20].

سمع النبي بنفسه لا بأذنيه، بروح النوة، ووقف على أحداث الحرب القادمة كأنه حاضر، يسمع ووى أمرًا لا تُحتمل. إنه لم يطق أن يتطلع إلى ذلك اليوم الوهيب.

إنه يصدق صوت الرب لنفسه الداخلية أكثر من تصديقه لأصوات تسمعها الأذن، وها هو يصف الخراب الحال على الشعب، ليقظ فيهم مخافة الرب المقدسة ويحفظهم من الدينونة بالتوبة.

رأى خرابًا يجلب خرابًا بلا توقف، كل يستدعى الآخر... وى أحداثًا مفاجئة متوالية تحل بالقوى (الخيام) والمدن (الشقق).

يقول النبي: "أحشائي أحشائي"، فقد استخدم اليهود أعضاء الجسم المختلفة للتعبير عن الخوات النفسية. كانت الأحشاء في نظهم مركزًا للعواطف، أو عرشًا لقواها، كما جاء في (إش 16: 11) "لذلك ترون أحشائي كعودٍ من أجل موب" وجاء في الرسالة إلى أهل كولوسي "أحشاء رحمة" (3: 12).

في مودة نفسه صوح نحو الله: متى تُزع هذه الكلثة؟ إلى متى وى الحوب ويسمع صوت البوق؟ يجيبه الله قائلاً بأن الأمر في أيديهم هم، فإن شرهم وغبوتهم وجهلهم للحق وإصراهم على الفساد هو السبب، ولا علاج إلا التوبة والرجوع إليّ، إذ يجيب النبي، قائلاً له: "لأن شعبي أحمق.

إياي لم يعرفوا.

هم بنون جاهلون وهم غير فاهمين.

هم حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون" [20].

اعتاد الله ألا ينسب الشعب إليه متى صار شرًا، لكن أمام مودة نفس النبي يقول "شعبي"... وكأنه يقول لإرميا النبي، إن كنت مُر النفس بروؤيتك ما يحل بهم، فإنهم شعبي، لا أود أن أقسو عليهم... هم ألقوا بأنفسهم في الفساد لأنهم لم يعرفوني معرفة الإله الذي يملك على القلب، ومعرفة المخلص المنقذ من الفساد، معرفة الصديق المحب... معرفتهم لي شكلية، لا معرفة الخوة الحية. إنهم جاهلون وغير فاهمين، يلقون أنفسهم بأنفسهم في العورة.

لقد وهبهم الحكمة لكنهم استخدموها في عمل الشر لا في الصلاح. أساعوا إليّ وإلى عطاياي لهم.

نخلص من هذا كله أن صرخات الأنبياء الحقيقيين ليست إلا صدى لصوت الله الذي لا يطبق فساد عروسه وغبوتها وجهلها، بل يطلبها عروسًا مزينة بحكمته ومعرفته الحية.

هذه هي الزينة التي يطلبها الأنبياء الحقيقيون لا الكاذبون.

يلقب القديس إكليمنضس الإسكندري المؤمن الحقيقي "غنوسياً"، أي صاحب معرفة: [يجب على الغنوسي أن يكون كثير المعرفة [134].

[الغنوسي الذي أتحدث عنه يبرك ما يبدو للآخرين غير مبرك، إذ يؤمن أنه ليس شيء غير مبرك لدى ابن الله، وليس شيء لا يمكن تعلمه.

الذي تألم حبًا فينا لا يخفي شيئًا من المعرفة اللازمة لتهدينا [135].

[يبدو لي أنه يوجد أمور ثلاثة في قوة الغنوسي:

أولاً: معرفة الأشياء؛

ثانيًا: تنفيذ ما يقترحه اللوغوس (الكلمة)؛

ثالثًا: القدرة على تقبل الأسوار المخفية في الحق [136].

6 . الشيع والاستنارة:

يجيب لرميا النبي مؤكداً أن الجهل هو سبب الخراب الذي يحل بالشعب، فإن ما يحل من تأديبات إنما يكشف عن الفواغ أو الخراب الداخلي للشعب كما للنفس، وأيضاً عن الظلمة الداخلية التي تفسد البصوة.

مارآه النبي هو انعكاس لما هو خفي في حياة الشعب.

نظرت إلى الأرض وإذا هي خربة وخالية،
وإلى السموات فلا نور لها.

نظرت إلى الجبال وإذا هي توتجف.
وكل الآكام تفتقلت.

نظرت وإذا لا إنسان،
وكل طيور السماء هربت.

نظرت وإذا البستان برية،
وكل مدنها نُقصت من وجه الرب من وجه حمو غضبه" [23-26].

التصوير الذي يقدمه لنا لرميا النبي هنا يذكرنا بما ورد في الأصحاح الأول من سفر التكوين حين كانت الأرض خربة وخالية، وكان الظلام سائداً، ولم تكن هناك حياة! يكرر النبي كلمة "نظرت" أربع مرات، وكأنه تطلع إلى العالم بجهاته الأربع (الشمال والجنوب والشرق والغرب)، فماذا رأى؟ رأى شبه عودة إلى ما قبل الخلق كما وردت في سفر التكوين:

أرض خربة وخالية،
ظلمة عوض النور،
رتجاف للجبال الثابتة،
هروب للطيور،

عالم قفر لا يسكنه إنسان وبلا نباتات! لقد أفسدت الخطية العالم الجميل المثمر الذي خلقه الله لأجل الإنسان. لقد حطم الإنسان نفسه وحطم معه الخليقة الأرضية!

ما هي الأرض إلا جمهور الشعب الذي كرس طاقاته للعبادة الوثنية ورجاساتها، فصاروا كل أرض خربة. وما هي السموات إلا القيادات الدينية والمدنية التي كان يجب أن تنير الطريق للعامة، لكنها صلت كسموات بلا نور، تبعث حالة من الضيق والكآبة.

وما هي الجبال إلا النفوس التي كان لها دورها القيادي الشعبي، يظن الكل أنهم راسخون كالجبال، فإذا بهم يوتجفون...

لعله قصد بالجبال والآكام المرتفعات التي بُنيت عليها المذابح الوثنية وقدمت عليها ذبائح للأصنام؛ عوض أن تحميهم، صلت وتوتجف وتتقلقل، تحتاج إلى من يسندها!

اختفاء كل إنسان إشارة إلى اختفاء كل تعقل حكيم، وهروب طيور السماء إشارة إلى فقدان الأمان، وتحول البستان إلى بوية علامة الخراب

الكامل...

إن كان إصوار الإنسان على الشر وعدم رغبته في التوبة والرجوع إلى الله يحرمه من عمل روح الله القدوس فيه، فإنه يعود إلى حال الأرض

قبل أن يوف عليها روح الله ليخلق منها عالماً جميلاً...

أقول ما أخرجنا إلى الرجوع إلى الخالق، ليعمل بروحه القدوس فينا:

عوض الأرض الخربة الخالية نجد عالماً جميلاً، بمعنى عوض الجسد بشهوته الفاسدة نتسلم جسداً مقدساً في الرب.

عوض السموات التي بلا نور تشوق فيها الشمس، بمعنى عوض النفس التي سادتها الظلمة يشوق شمس البر فيها.

عوض الجبال التي ترتجف والآكام التي تتقلقل زى ثباتاً وأماناً... بمعنى تتحول إمكانياتنا وقرانتنا ومواهبنا للبناء بقوة، لا زعوعها العالم كله!

عوض الفواغ حيث لا إنسان ولا طير، تمتلئ قلوبنا بالشركة مع القديسين والسمايين، فنجلس مع مسيحننا في السمويات.

عوض البرية تصير قلوبنا بستاناً مثيراً؛ ندعو مسيحننا أن يأكل من ثمر جنته التي فينا.

عوض هروب المدن من وجه الرب ومن وجه حمو غضبه، نجذب الكثيرين للتمتع بالحضرة الإلهية!

بمعنى آخر جمال العروس يمتد إلى تقديس الجسد والنفس والطاقت والمواهب... فتتمتع بشبعٍ روحي واستنزة روحية فائقة.

الله الذي يطلب شعبنا واستنزلتنا حين يؤدب يعطينا فرصة للروح إليه، إذ يقول: "خواباً تكون الأرض، ولكنني لا أفنيها" [27]. إنه يتوك بقية

يقدسها وينميها... إنه لا يود أن يُفنى، بل أن يُقدس ويبيني!ئلا بقوله: "لا أفنيها" يتهاون الشعب ويستغل براحم الله، عاد ليؤكد التأديب القاسي: "من أجل

ذلك توح الأرض، وتظلم السموات من فوق، من أجل أنني تكلمت قصدت ولا أندم ولا أرجع عنه" [28]، إنه لا يرجع عن تأديبه لهم ماداموا لا يرجعون

إليه...

7. توك البر الذاتي:

إن كان الله يطلب شعب العروس واستنزلتها، فإنه يؤكد عزها عن تحقيق ذلك بنفسها، فهي في حاجة إليه بكونه مصدر جمالها وشبعها

واستنزلتها:

"وأنت أيتها الخربة ماذا تعملين؟"

إذا لبست قمرًا، إذا ترينت بزينة من ذهب، إذا كحلت بالإنثمد عينيك، فباطلاً تحسنين ذاتك، فقد ذلك العاشقون" [30].

إن ظنت نفسها غنية تلبس القومز، وإن خرائنها مملوءة بالجواهر الذهبية، وجميلة تكحل عينيها بالإنثمد... تبقى مرنولة ليس من الله فقط بل حتى

من عاشقيها. لقد كحلت إزابيل الملكة الشروة عينيها بالإنثمد، وزينت رأسها، وتطلعت من الكوة... لكن ياهو قال للخصيان: اطوحوها، فسال دمها على

الحائط وعلى الخيل (2 مل 9: 30-33).

كانت النساء يكحطن أعينهن بالإنثمد لإراز اتساع العينين علامة الجمال في العالم القديم. هكذا فعل هذا الشعب، صار كاهوة تترين وتبرز جمالها

لأصحابها، فإذا بهم يصيرون قاتليها!

مسكين الإنسان الذي في جهاده الروحي ينكئ على وه الذاتي، يفقد كل جمالٍ داخلي بل ويصير قاتلاً لنفسه، ويسمع التوبيخ الإلهي: "لأنك تقول

إني أنا غني وقد استغنيت ولا حاجة لي إلى شيء، ولست تعلم أنك أنت الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان، أشير عليك أن تشوي مني ذهباً

مُصفي بالنار لكي تستغني، وثياباً بيضاء لكي تلبس فلا يظهر خوي عريتك، وكحل عينيك بكحل لكي تبصر" (رؤ 3: 17-18).

من وحي إرميا 4

لتعكس جمالك علي

❖ خلقتني عل صورتك ومثالك،

أيها الكلي البهاء!

بغبواتي وعصياني وخطاياي أفسدت طبيعتي!

ها أنا أعود إليك بالتوبة،

فيود لي روحك القنوس جمالي!

يعكس جمالاً على أعماقي،

فأستود صورتك،

وأنعم ببهاء مجدك داخلي!

❖ ما أسهل أن تمتد يد بشوية لختان الجسد،

لكن من يقدر أن يختن قلبي!

هوذا قلبي وأعماقي بين يديك،

اختتها بصليب حبك أيها الحبيب المخلص!

أزوع عني غول قلبي هذا الذي شوّه كل جمال في!

❖ هب لي أن أستخدم صليبك موائناً يهيء قلبي للزرع!

ينتزع عنه كل أشواك هموم العالم،

ويعده لقبول كلمتك الحية،

فأحمل ثمرًا: ثلاثين وستين ومائة!

أحمل مع جمال النفس الداخلي ثمر الروح الأبدي!

❖ استمع شعبك قديمًا لكلمات الأنبياء الكذبة المعسولة!

ظفوا أنهم في سلام،

ولم يُدركوا أن السبي على الأبواب!

هوذا أفكار الشر تلاحقني في داخلي!

أظنها مصدر لذة وسلام!

ولم أعلم أنها تقتل أعماقي وتسبي حريتي!

هب لي مع جمال النفس حريتها الداخلية أيها المحرر الحقيقي!

حرّرني من أفكار الخاطئة المعسولة،

واهبًا لي أفكرك المقدسة!

❖ هوذا يدك تمتد لتأديبي،

عرفني خطتك، فليس من يحبني مثلك؟

ليس من يشتهي جمال أعماقي مثلك؟

عجيب أنت أيها القنوس في حنوك!

وعجيب أيضًا أيها المخلص في تأديباتك!

❖ إن كانت أحشاء أولادك تحترق لأجل خلاص نفسي،

كم يكون بالأكثر حبك،
يا من وحدك بذلت ذاتك عني!
افتح عن عيني فرى أحضانك الملتهبة لأجلي!

❖ هب لي يارب أن أصوخ مع نبيك:

أحشائي! أحشائي
جوان قلبي توجعني!
لا أستطيع أن أصمت!
أعطني قلبًا محبًا لخلاص كل نفس!
يلتهب مع سقوط كل أحد،
ويئن مع أنين كل نفس!

❖ هبلي جمالاً داخلياً:

هب لي معرفتك يا قنوس، فلا أعيش في جهالة!
هب لي شعباً، فلا أعتاز إلى أحدٍ ولا إلى شيء!
هب لي استنارة، فأحمل بهاءك في داخلي.

❖ أعترف لك يا خالقي ومخلصي:

صار جسدي أرضاً خربة وخالوية،
حوّله إلى بستان يقدم ثمر الروح!
صلت نفسي سماءً لا نور لها،
اجعلها سمواتك تنعم بنور إلهي،
تقيم فيها ملكوتك الموح!

هوذا الجبال في داخلي ترتجف والأكام تتقلقل،

ثبت أعماقي فيك أيها الصخرة الحقيقية!

هوذا كل طيور السماء هربت من داخلي،

هب لي جناحي الروح فأطير وأستقر في أحضانك!

❖ أخوًا لقد بذلت كل الجهد لأجمل نفسي،

فتحطمت يداي بالبر الذاتي،

صوت أضحوكة أمام معويّ.

مدّ يدك أيها الكليّ الجمال،

نعمتك قاوة أن تسكب جمالك في!

أنت هو قوتي وتسبحتي وجمالي!

الأصاحح الخامس

سرّ التأديب

إن كان الله قد دعى عروسه لكي تتجمل له بالزينة الداخلية، ففي عتابٍ تسأله: " لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه؟" [9] لماذا يستخدم الله كلمته النزية المؤدبة بقسوة؟

الله كعريسٍ سملي يتجاوب مع عروسه بروح الحوار المفوح ، وكأب يوضح لأولاده سرّ معاملته معهم حتى لا يسقطوا في التذمر أو اليأس، ولا يظنوا أن الأمور تسير اعتباراً، إنما يليق بهم أن يتفهموا خطة أبيهم حتى يتقوا فيه ووجوا إليه.

1 . لم يجد بينهم بلّاً واحداً [1-2].

2 . لم يقبلوا التأديب الأولي [3-6].

3 . أساعوا استخدام عطاياه [7-9].

4 . قبلوا كلمات المخادعين [10-18].

5 . فقنوا البصوة الداخلية [19-24].

6 . اصطنأوا الآخرين [25-29].

7 . تجاوبوا مع الرعاة في الشر [30-31].

1 . لم يجد بينهم بلّاً واحداً:

إن كان الله هو الذي يتساءل أو نبيّه رميا عن إمكانية وجود شخصٍ واحدٍ يعمل بالعدل، فإن الأمر حقاً محزن للغاية.

"طوفوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها،

هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفح عنها؟!" [1].

إذ أراد إواهم أن يشفع في سنوم وعمورة قال الله: "أفتهلك البار مع الأثيم؟! عسى أن يكون خمسون بلّاً في المدينة. أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بلّاً الذين فيه؟!" (تك 18: 23-24). وإذ دخل معه في حوار طلب في النهاية أن يصفح عن المكان من أجل عشرة، لكنه لم يجد فيها عشرة أوار. أما هنا فالله يطلب أن يجد في أورشليم إنساناً واحداً عاملاً طالباً الحق لكي يصفح عنها. لم يجد إنساناً بلّاً بين القادة المدنيين والدينيين ولا بين العامة من الشعب!

كان يوسف الشاب الصغير الغريب بلّاً، من أجله برك الرب بيت فوطيفار، ومن أجله أنقذ مصر كلها والبلاد المحيطة بها من المجاعة.

يعبر إشعياء النبي عن حال الشعب وقد فقنوا كل قدسية: "لأن الصدق سقط في الشلوع، والاستقامة لا تستطيع الدخول، وصار الصدق معوماً، والحائد عن الشر يُسلب؛ فأى الرب وساء في عينيه أنه ليس عدل" (إش 59: 14-15).

حقاً إن كان الله يدعونا للشهادة لإتجيله، فإن حياتنا الإنجيلية المقدسة وسلوكنا ببر المسيح يرفع غضب الله عنا وعن عائلاتنا وعن كنائسنا وعن

بلادنا وعن العالم!

الله يطلب إنساناً لكي يصفح عن أورشليم. ترى من هو هذا إلا ابن الإنسان، الله الكلمة، الذي صار بالحق إنساناً لكي يذمه بكفر عن خطايا العالم

كله؟! "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار، هو كفلة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (1 يو 2: 1-2). هذا هو الشفيع الذي يسكن القلب "أورشليم الداخلية" فيصنع صلحاً للنفس والجسد بكل طاقتهما مع الآب. هذا الذي يوح به الآب ويطلبه قائلاً: "طوفوا وفتشوا في ساحاتها، هل تجدون إنساناً، أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق فأصفيح عنها؟! [1] . إنه ربنا يسوع المسيح المختبئ في أورشليمنا الداخلية الذي به ننال الصفيح عن خطايانا!

2. لم يقبلوا التأديب الأوّلي:

ربما يجيب أحد: كيف لا يوجد بار بينهم وهم يتعبون الله الحيّ؟ حقاً إنهم يعبدون الله الحيّ ويحلفون به، لكن عبادتهم غير مقبولة، ولا تيرهم. أولاً : لأنهم إذا ما حلفوا بالله الحيّ، يحلفون بالكذب [2] . لقد غضب لميا إذ رآهم يطلبون الله شاهداً وهم يكذبون. لقد ظنوا أن مجرد ذكر اسم الله يكون ورعاً وحماية لهم، وفاتهم أن هذا يزيد غضب الله عليهم، لأنهم يحلفون باسمه باطلاً. ثانياً : كانوا غير مستقيمين، يحلفون بالله الحيّ كما يحلفون بالآلهة الوثنية، إذ يقول في نفس الأصحاح: "كيف أصفح لك عن هذه؟! بنوك تركوني بما ليس آلهة" [7].

مما أحرز قلب الله أن الجميع - الفقراء والعظماء - قد أورا قبول التأديب الإلهي، وعض الرجوع إلى الله لدادوا قسوة، فصلرت وجوههم أكثر صلابة من الصخر.

"يلرب أليست عيناك على الحق (الأمانة)؟"

ضربتهم فلم يتوجعوا.

أفنيتهم وأورا قبول التأديب.

صلبوا وجوههم أكثر من الصخر.

أورا الرجوع" [3].

يقول النبي : "يلرب أليست عيناك على الأمانة؟"

قبل أن يتحدث عن التأديب يؤكد النبي أن الله في تأديباته كما في لطفه يتطلع إلى الأمانة . يريد "الإيمان" الحيّ عاملاً فينا، لنكون أمناء حقيقيين، فننعم بالحق.

إنه يتطلع إلى مؤمنيه كأحباء يستحقون التمتع بنظراته، أما الأشوار المصرون على شوهم فلا يستحقون التطلع إليهم.

يقول العلامة أوريجينوس: [كما أن "عيني الرب على الصديقين" (مز 33: 16) ، ويحول عينيه عن الظالمين، كذلك عيناه على الإيمان، ويحولها عن عدم الإيمان...]

يقول القديس بولس: "أما الآن فيثبت الإيمان والوجاء والمحبة، هذه الثلاثة، ولكن أعظمهن المحبة.

كما أن عيني الرب على الإيمان، فهما أيضاً على الوجاء، كذلك على المحبة.

وبما أن الروح هو "روح القوة والمحبة والنصح" (2 تي 1: 7)؛ إذن فعينا الله على القوة وأيضاً على النصح والحق، وباختصار فإن عيني الرب

على جميع الفضائل.

إن كنت بدورك تريد أن تضيء عينا الرب عليك، يؤمك أن تلبس الفضائل... فيقال عنك: "يلرب عيناك على كل شخص فاضل اقتنيته لك".

إذ تتبر عينا الرب عليك، تقول: "قد لتسم علينا نور وجهك يلب" (مز 4: 7) [137].

حين يُؤدب الرب يطلب أن فوج إليه فنملس الحياة الإنجيلية المقدسة، وننعم بنظراته الإلهية التي تشوق علينا بنور المعرفة. هذا هو هدف الله من تأديباته لنا، لكن الأثوار المصّرين على شوهم لا ينتفون من التأديبات، إذ قيل: "ضربتهم (جلدتهم) فلم يتوجوا".

يقول العلامة أوريجينوس:

[لننظر ماذا قيل بعد هذا عن الخطاة؟ "جلدتهم فلم يتوجوا".

حين تُضرب الأجساد الحية بالسياط المنظرة في هذا العالم يتألم المصروبون، إن رأوا أو لم يربوا. أما بالنسبة لسياط الله فالأمر غير ذلك، يتألم بعض المصروبين والبعض لا يتألمون.

هلم زى ماذا يعني التألم بواسطة سيات الله، وعدم التألم منها.

بأسون هم الذين لا يتألمون من سيات الله، ومطوبون هم الذين يتألمون منها. يقول سفر الحكمة في هذا الشأن: "وإنما كانوا يُجربون (يُنخسون) بهذه ليزكروا أوالك ويخلصوا سويًا لئلا يسقطوا في نسيان عميق فلا يتمكوا بمعونتك" (حك 16: 11). وأيضًا: "من يضع سوطاً لأفكلي، وختم الحكمة على شفتي، لكي لا يشفقوا على جهالاتي، وأهلك بسبب خطاياي" (راجع ابن سواخ 22: 27 ؛ 23: 2-3).

دقق النظر في هذه الكلمات: "من يضع سوطاً لأفكلي؟! " توجد سيات لضرب الأفكار. سيات الله تضرب الأفكار؛ حينما ينفود الكلمة بالنفس على جنب ويضغط عليها حتى يثور ضمورها على أخطائها التي ركتبتها، يكون قد ضربها بالسياط. إنه يضرب الإنسان المطوب، الذي يتألم من الضرب، لأن كلمات الله تؤثر على نفسه، ولا يلقي بالكلمات باستخفاف لأنها أخلته. أما إذا وُجد إنسان، يمكن أن يُقال عنه أنه عديم الحس، هذا يُقال عنه: "جلدتهم فلم يتوجوا" [3].

يُمكن أيضًا تفسير "لم يتوجوا" بطريقة أخرى.

توجد في الجسد بعض أعضاء قد تضمر وتموت... الفرق كبير بين الأعضاء الحية والميتة. فإذا قمنا بعلاج عضو حي يتألم الشخص، بينما إذا استخدم نفس العلاج لنفس الشخص بالنسبة للعضو الميت فإنه لا يشعر بشيء، لأنه بالنسبة له العضو ميت.

ما قلناه عن الجسد ينطبق على النفس، فهي أيضًا يمكن أن تكون ميتة في أعضائها فلا تشعر بضربات السيات مهما كانت شدتها. حتى إن استخدمت العذابات المخيفة لن تتأثر بها، بينما يمكن لنفس أخرى أن تتأثر وتتوجع.

يكون الإنسان أكثر حزنًا عندما لا يشعر بالألم الساقط عليه مما لو كان شاعوا به، فإنه وجو بالأحرى أن يتوجع عندما تحل به الآلام، لأن هذا دليل على أنه لا زال حيًا. إنه يحزن لعدم شعره بالضربات. فإن العبرة "يشتاؤون أن يكون للحريق مأكلاً للنار" (إش 9: 4)، تشير إلى الذين لا يتوجعون حين تحل بهم الجلادات، إن أركوا الفرق بين الذين يتوجعون والذين لا يتوجعون، يشتاؤون إلى الإحساس بحروق النار عن عدم الشعور بها.

[138]

وأيضًا عند الاقتراب من النار المعدة للخطاة رجون أن يشعروا بها عن عدم الشعور بها [138].

يلحق أيضًا على العبرة: "أفنيهم وأبوا قبول التأديب" [3]، قائلاً: [الله في عنايته ورحمته يقوم بعمله التطهيري من أجل خلاص النفس، ويذهب في هذا العمل حتى النهاية (الفناء) من جانبه. فإن كل ما يحل علينا من قبل العناية الإلهية يهدف إلى كمالنا، ومع هذا نحن لا نقبل التأديبات الإلهية التي تقودنا إلى الكمال] [139].

يُشبه الله بالمدرس الذي يقدم الدروس بالكامل، بإذلاً كل جهده لتعليم التلاميذ، بعضهم يقبل التعليم والآخرين يرفضون.

يلحق أيضًا نفس العلامة على العبرة: "صلبوا وجوههم أكثر من الصخر" [3]، قائلاً:

[لوجد بين الخطاة من يخجلون ويختبئون عند سماعهم كلمات التوبيخ، فيخضعون لها إذ تؤثر فيهم، كما يوجد من لا يخجلون من التوبيخ على تصرفاتهم وخطاياهم التي رتكوها، فيمكن أن يُقال عنهم: "صلبوا وجوههم أكثر من الصخر" [3]... لنطبق ذلك على النفس، آخذين في اعتبارنا أنها هي الوجه الذي قيل عنه: "(ننظر) وجهًا لوجه" (1 كو 13: 12). فالنفس أحيانًا تكون صلبة وقاسية أكثر من نفس فوعن، تقاوم الإنذرات، وترفض كل

ما يُقال لها، بدلاً من أن تترك ذاتها تتشكل من جديد خلال الإنذرات. [140]

من جهة رفض التأديبات الإلهية التي تعين النفس على تجميلها روحياً **وى النبي وجود فريقين:**

1 . فريق دعاه "المساكين" ، هؤلاء ليسوا مساكين بالروح، أي ليسوا مواضعين فينالوا ملكوت الله (مت 5: 3) ، إنما هم مساكين بسبب الجهل الروحي، لا يركون ما وراء التأديبات الإلهية من عمل إلهي، يتدمرون على الضيق ولا يتوبون. عن هؤلاء يقول لميا النبي: "إنما هم مساكين، قد جهلوا لأنهم لم يعرفوا طريق الرب قضاء إلههم" [4]. وكما يقول العلامة أوريجينوس: [لإن لميا قد عرف أن هذه الأشياء (التأديبات) تخص الذين لا يريدون أن يتعلموا والذين لا يفهمون شيئاً عن سياط الله. فإنه يقول بشأن موقفهم هذا: "إنما هم (نفوسهم) مساكين" [141].

2 . فريق آخر دعاه "العظماء" : إذ شعر بورة من جهة غير المتعلمين روحياً انطلق إلى أصحاب المعرفة، أي القيادات الدينية، ليتحدث معهم، فوجد الكبرياء عائقاً عن قبولهم تأديبات الرب. وكان المساكين يرفضون التأديب عن جهالة، والعظماء عن كبرياء... "انطلق إلى العظماء وأكلمهم لأنهم عرفوا طريق الرب قضاء إلههم. أما هم فقد كسروا النير جميعاً وقطعوا الربط" [5].

وى العلامة أوريجينوس أن الأشرار المساكين يرفضون فهم خطة الله للتأديب، لهذا يطلب من نبيه لميا أن يتحدث معنا نحن المسيحيين كعظماء، إذ يقول: [انطلق إلى العظماء (الأقوياء) وأكلمهم".

الذين هم عظماء وأقوياء في نفوسهم ذكروهم الكتاب بالتطويب.

عندما ينشغل إنسان بأعمال عظيمة، ويكون لديه طموحات ذات قيمة، ويضع باستوار أمام عينيه أهدافاً واضحة ليعيش دائماً بحسب الحق الصحيح، ولا يريد حتى أن ينظر إلى أي شيء تافه أو صغير، فإن مثل هذا الإنسان تكون عنده **القوة والعظمة** في النفس. أما هؤلاء الآخرون الذين كانوا "مساكين" فإنهم لم يسمروا لكلام الرب كما يقول النبي؛ ولكي تكون أكثر تدقيقاً فإنهم لم يسمروا لأنهم كانوا مساكين.

إذ قيل هذا الكلام لنا نحن أيضاً، فلنصل إلى الله حتى نأخذ من عنده **قوة وعظمة** تمكننا من الاستماع لتلك الكلمات المقدسة، عالمين أن الذين ينطقون بكلمات التوبيخ لا يخسرون شيئاً مثلما يخسر الذين يسمعون ولا يقبلون هذا التوبيخ، والذين يتهمهم لميا بأنهم مساكين في عقولهم

وأفكلهم [142].

إذ رفضوا تأديبات الرب، وأورا الرجوع إليه **سقطوا فريسة لعدو الخير** ، الذي يشبه أسد الوعر، وذئب المساء، والنمر الكامن حول مدنهم،

قائلاً:

"من أجل ذلك يضربهم الأسد من الوعر .

ذئب المساء يهلكهم .

يكمن النمر حول مدنهم .

كل من خرج منها يُقتوس، لأن ذنوبهم كثرت، تعاظمت معاصيهم" [6].

إذ زداد الجهلاء والمثقفون في عنادهم ومقاومتهم لإرادة الله لم يبق أمامهم إلا الهلاك الأكيد الذي لا مفر منه، وذلك بواسطة:

أ. الأسد: "يضربهم الأسد من الوعر" [6].

وُجدت الأسود في فلسطين حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وقد انقرضت. من أحب الأماكن لسكانها هناك هي الغابات والأحواش القائمة على

ضفتي الأردن (49: 19؛ 50: 44) ، كما وُجدت في جبل حرمون (نش 4: 8) ، وفي السامرة (2 مل 17: 25) ، وفي البرية الواقعة جنوب يهوذا (إش 30: 6).

كان صيد الأسود هو الرياضة المحببة لدى ملوك الآشوريين.

أُستخدمت أشكال الأسود في هيكل سليمان (1 مل 7: 29، 36)، وفي عرشه (1 مل 10: 19-20).

يُستخدم الأسد كرمز لرعاية الله وحواسنه لأولاده (رؤ 5: 5)، كما يُستخدم لغضبه (25: 30). أُستخدم أيضًا كرمز لإبليس المقتوس (1 بط 5: 8)، ولأنبياء الكذبة المهلكين (جز 22: 5) وللملك الغاضب (أم 25: 30).

من علامات السلام في الملك المسماني أن يربض الأسد والحمل معًا (إش 11: 7)، كما أن المخلوقات الحية الحاملة عرش الله تحمل شكل وجه أسد (جز 1: 10؛ رؤ 4: 7).

هنا - في هذا الأصحاح - يضوب الأسد من الوعر، يُهلك بلارحمة، قادمًا من البرية!

ب. الذئب: "ذئب المساء يهلكهم" [6].

يختلف الذئب في فلسطين عنه في أوروبا، وهو لا زال موجودًا فيها. يتصف الذئب بشدة الافتراس والشراسة (إش 11: 6؛ حب 1: 8)، يفترس الغنم (جا 13: 17؛ يو 10: 12). اعتاد أن يختفي في النهار ويخرج ليلاً يطلب فريسته، لذلك يقول: "ذئب المساء يهلكهم"، إشارة إلى حلول الهلاك ليلاً وهم في غير يقظة روحية. جاء في سفر صفيانيا: "لا يبقون شيئًا إلى الصباح" (3: 3).

إن كان الأسد أقوى من الذئب وأعنف منه، لكنه غالبًا مالا يفترس الإنسان مادام في حالة شبع، أما الذئب فتشوه، يفترس حتى وإن كان شبعًا. وكأن الله يريد أن يؤكد لهم أنهم يصيرون فريسة للعدو حتى وإن كان العدو في غير احتياج؛ إنه يفترس لمجرد غبته في الافتراس. أُستخدم الذئب أيضًا كمديح عندما برك يعقوب سبط بنيامين (تك 49: 27)، مشيرًا إليهم كالذئب في المهلة الفائقة حتى لا يعوزهم طعام.

ج. النمر: "يكنم النمر حول مدنهم" [6].

كاد أن ينقوض النمر من تلك المنطقة. كان موجودًا بسبب وجود الغابات الكثيفة؛ حاليًا يوجد ناورًا في بعض المناطق غير الآهلة بالسكان بلبان وشوقي الأردن.

يُشبه العدو بالنمر الذي ينتظر الغروب ليتربص للفريسة، سواء كانت إنسانًا أو حيوانًا. أحيانًا يربض ثلاثة أيام متوالية بلا حراك يتوعد الصيد في صمت موعبٍ قاتل.

يُعرف النمر بقوته (د 1: 7: 6)، وسوعة حركته (حب 1: 8)، لذا قيل أن الوحش البحري "شبه النمر" (رؤ 13: 2). هذا ويشير إلى عدم إمكانية التغيير من طبيعة الافتراس والعنف، إذ قيل: "هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه؟! (13: 23)". لكن إن دخل النمر إلى العضوية في الملكوت المسماني تتغير طبيعته، عندئذ "يربض النمر مع الجدي" (إش 11: 6).

في رسالة للقديس كيريلوس كيريانوس يتحدث فيها عن عدم التجلوب مع تأدييات الرب يقول: [هذا الضوبات حالة من عند الله، ولا توجد مخافة الرب! هذا اللطامات والجلدات من فوق ليست معنومة ولا يوجد رعب ولا خوف!]

كما يقول الأب غريغوريوس الكبير في كتابه عن الرعاية:

[هناك فرق بين أن تتصح الذين يخافون التأديب فيعيشون في نقوة، والذين يتقسون في الشر فلا ينصلحون حتى بالتأدييات].

[إنه يجلب علينا نار الضيقة لكي ينقينا من صدأ الذنائل، لكننا لا نتخلص من صدأنا بالنار مالم نترك الذنائل وسط الضيقة].

3. أساعوا استخدام عطاياه:

كشف لهم عن سبب تأديياته لهم:

ولاً : لأنه لم يجد في أورشليم إنسانًا برًا.

ثانيًا : عندما بدأ بالتأديب لم يستجب العامة الجهلاء ولا القادة المثقفون.

ثالثاً : لأنهم أساءوا استخدام عطاياهم... أشبعهم بالعطايا، فأخنوها ليقدموها أجرة الزنا. انطلقوا على مستوى جماعي يواحمون في بيت زانية، أي بطريقة علنية بغير حياءٍ، صاروا حصناً معلوفة سائبة تستخدم طاقتها للفساد.
إنه يعاتبهم:

"كيف أصفح لك عن هذه؟!..."

ولما أشبعتم زنوا، وفي بيت زانية واحوا.

صاروا حصناً معلوفة.

سهلوا كل واحد على امرأة صاحبه.

أما أعاقب على هذا يقول الرب؟!!

أو أما تنتقم نفسي من أمة كهذه؟! [7-9].

وي العلامة أوريجينوس الإنسان إذ تسيطر عليه الشهوات يصير كالحوانات العجמות، يفقد روح التمييز، بل وأحياناً يصير في حالة أدنى منهم، لأنه عندما تحبل أنثى الحيوانات تعرفن ألا تقوين من الذكور [143].

ما رُهب هذا الاتهام؟! هوذا الشعب الذي كان يجب أن يشهد لقداسة الله ويكون بركة لغوه من الشعوب قد صار فاسداً، يشبع بخوات الله فزني علانية، محتووا الوصية الإلهية، ومتجاهلاً حق أخيه، إذ يشتفي امرأة أخيه! أما يستحق هذا الشعب العقاب؟!!

ينطبق هذا الاتهام على المؤمنين الذين لهم اسم المسيحية ولا يملسون الحياة الانجيلية، فإنهم يستخدمون بركات الله وحبه لهم، لا للشهادة لمسيحهم وإنما للانغماس في الخطية. مثل هؤلاء لا يستحقون أن يُحسبوا بشواً بل "حصناً معلوفة". وكما يقول القديس أثناسيوس الرسولي:
[هؤلاء لا يمكن مقرنتهم بقديسي الله... إذ لم تعد أذهانهم تحمل صورة الله. إنما هم تافهون، يتولون إلى المستوى البهيمي، وقيادتهم للملذات بلا ضابط تُقرن بسلك الخيول الشهوانية (5: 8).

وبسبب خبثهم وجرائمهم وخطاياهم الرعبة يدعون: "أولاد الأفاعي" (لو 3: 7) [144].

يا للعجب! الله يريدنا بعطاياه الفائقة أن نصير أبناءه، نتشبه به، ونُحسب كملأنته، أما نحن فنسيء استخدامها لنحسب كحيوانات غير عاقلة شهوانية!

4. قبلوا كلمات المخادعين:

يعتبر الله قبولهم كلمات المخادعين وعدم تصديقهم إنذارته على السنة الأنبياء الحقيقيين خيانة للرب نفسه، تستحق التأديب كناية مطهرة، لكنها ليست للفناء، لذا يكرر تعبير "لا تفنوها" [10] و"لا أفنيكم" [18].

يوجه الله كلامه للعُدو المقبل، معلناً أنه وإن سمح له بالتمدُّير والتخريب، لكنه لن يسمح له بالفناء: "اصنعوا على أسورها واخربوا ولكن لا

تفنوها" [10].

يقول العلامة أوريجينوس : [يتمهل الله في إدانة الذين يستحقون العقاب، حتى يعطيهم الفرصة للتوبة. فهو لا يعاقب على الخطية في الحال، ولا يوقع الفناء بالخطي، بل يتمهل في العقاب. نجد مثلاً لذلك في سفر اللاويين، في اللعنات التي قيلت لتحل على الذين يخالفون الناموس، فبعد الإعلان

عن العقوبات الأولى قيل: "وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أريد على تأديبكم سبعة أضعاف" (لا 26: 18)... من هذا يتضح أن الله يوقع العقوبات ببطء شديد، لأنه يريد أن يقود الخطي إلى التوبة، بدلاً من دفع الثمن حالاً... فالفناء لا يحل وقت ارتكابهم الخطية، وإنما في وقت لاحق، حيث يوجد عقاب

للخطاة بعد الموت [145].

يعلق أيضًا العلامة أوريجينوس على إفاء الشعب قائلاً:

إمكنا أن نعترض، فبالوغم من تحقق السبي لم يتم فنؤها، وإنما تم الفناء الحقيقي للشعب عندما جاء ربنا يسوع المسيح.

في الواقع، طالما أن المخلص لم يقل لهذا الشعب: "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً"، فإن أورشليم لم تكن خربة؛ وإنما عندما بكى يسوع على أورشليم قائلاً:

"يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فواخها تحت جناحها ولم تريوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (لو 13: 34) ، عندئذ أصبحت أورشليم خربة. "ولقد أحيطت أورشليم بجيوش وكان خرابها قريب (لو 21: 20). ثم بعد سقوط هذا الشعب كان الخلاص لنا نحن الأمم.

لقد تم تأديبهم ولم يأت عليهم الفناء إلا عند مجيء السيد المسيح. لكنى أتساءل إن كان هذا يحدث معنا نحن أيضًا، وإن كانت هناك أنواع عديدة من التأديبات يمكن أن تحل بنا. يوجد من الناس من يكتفي بالضربة الأولى ولا يجرب الثانية، ويوجد آخرون يصلون إلى الضربة الثانية والثالثة بل وحتى إلى الرابعة. فإن العبرة: "أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف (ضربات)" تحمل شيئاً من الغموض: توجد ضربة أولى، ثم ثانية ثم ثالثة حتى السابعة لبعض الناس. فليس كل الناس يُضربون سبع ضربات، لكنني أعتقد أن البعض يُضربون بست ضربات والبعض بخمس والبعض بلربع والبعض بثلاث أو إثنتين أو واحدة. ويعلم الله وحده ما هو المقصود بهذه الضربات [146].

لعل قوله "أزيد العقاب سبعة أضعاف" في (لا 26: 18) يعني أن الله يعطي فرصة للتوبة بتأديب أولى، فإن لم تودع يسمح بتأديب مضاعف، وإلا تأديب ثالث أفسى وأبع وخامس حتى سبعة أضعاف قبل أن نسقط في الدينونة الأبدية.

إنه يتطلع إلى الكنيسة بكونها كرمه الخاص، يسمح لها بالتأديب لكن ليس بالإبادة، فيسمح للعدو أن يصعد على أسوار الكرمة ويقطع أغصانها التي صلت غريبة عنه، متغربة عن طريقه الملوكي، لكنه يتوك الأصل لعله ينبت أغصاناً مقدسة مثورة.

"أوعوا أفنانها (أغصانها)، لأنها ليست للرب.

لأنه خيانة خانني بيت إسرائيل وبيت يهوذا يقول الرب.

جدحوا الرب وقالوا: ليس هو،

ولا يأتي علينا شرٌّ، ولا نوى سيفاً ولا جوعاً" [10-12].

لقد أنكروا الرب أو جحوه بعدم تصديقهم تهديداته على لسان أنبيائه... إنهم يقولون: "ليس هو"، لا لأنهم ملحنون ينكرون وجوده، لكنهم ملحنون بعدم قبولهم كلماته، وعدم الثقة في كلمات أنبيائه.

يعبدون الرب في رياء إذ لا يسمعون لصوته في سلوكهم العملي، قائلين: "في قلوبهم: إن الرب لا يُحسن ولا يُسيء" (صف 1: 12).

ماذا يفعل الرب بهم إذ قبلوا خداع الأنبياء الكذبة ولم يصدقوه؟

ولاً : إذ ينطق الأنبياء الكذبة بالباطل يصيرون هم باطلاً، كالويح الذي لا يوم، يهب فيختفي... يصيرون خيالاً. والآنبياء يصيرون ربحاً، والكلمة ليست فيهم؛ هكذا يصنع بهم" [13]. يختفون سريعاً ويظهر بطلان كلماتهم لأن كلمة الرب ليست فيهم.

ثانياً: يجعل كلامه نراً في قم نبيه رميا، تحرق الشعب كالحطب فتأكلهم [14]. لو أنهم كانوا ذهباً أو فضة أو حجرة كريمة لصوتهم النار أكثر بهاءً ونقوة، لكن لأنهم حطب وعشب وقش تحرقهم!

يقول العلامة أوريجينوس [على أي الأحوال، للنار قوة مضاعفة: بالواحدة تنير وبالثانية تحرق [147]]. السيد المسيح نفسه جاء إلى العالم نراً يحرق إبليس وملائكته (لو 13: 27؛ مت 25: 41). كما يقول إن الذي يُعلم في كنيسة الله بالتوبيخ والانتهاز فقط يكون نراً تحرق ولا تنير، أما إذا

كشفت أسوار الناموس وناقش الأسوار الخفية فقط فيكون نراً تنير ولا تحرق. لهذا يليق أن يمّوج نور المعرفة بلهيب خفيف من الحزم.

ثالثاً:

يسمح بسببهم بواسطة أمة بعيدة قوية لا يعرفون لسانها، ولا يفهمون ما تتكلم به، أمة تتكلم بلغة غريبة، لغة العنف والقسوة والاستعباد

بغير حوار أو تفاهم!

سمات هذه الأمة تكشف عن طبيعة الخطية التي تسبب النفس:

أ. أمة من بُعد [15] : حين ترفض النفس وصية إلهها القريب إليها جداً، وكلمته الساكن فينا، نخضع للخطية الغريبة عن طبيعتنا والمعادية لنا.

ب. أمة قوية، أمة منذ القديم [15] : الخطية خاطئة جداً وقتلاها أقوياء، تحلب البشرية منذ القدم.

ج. أمة لا تعرف لسانها [15] : لا يمكن التفاهم معها، قانونها الظلم والعنف وعدم التفاهم.

د. جعلتهم قير مفقوح [16] : غايتها التدمير والموت.

هـ. كلهم جباوة [16] : عملها الحرب الدائمة ضد أولاد الله.

و. يا كلون حصادك وخزوك الذي يأكله بنوك وبناتك، يأكلون غنمك وبقرك، يأكلون جفنتك وتينك" [17] عملها إفساد كل ثمر للنفس (البنون) وللجسد (البنات)، تحطيم كل الإمكانيات ليعيش الإنسان في هوع وحرمان حتى الموت.

ز. يهلكون بالسيف مدنك الحصينة [17] : يفقد الإنسان الملجأ والحسن، ليعيش كطريدٍ وهربٍ في خوفٍ دائمٍ وقلقٍ مستمرٍ، فتتحطم نفسه

تماماً.

هذا كله ثروة قبول كلمات الأنبياء الكذبة المنادين بالسلام، والناطقين بالناعمات كذباً وخداعاً!

ما حدث مع الشعب قديماً يحدث حالياً حيث ننصت إلى روح التهول والاستهتار، روح الأنبياء الكذبة، فنسقط تحت سبي الخطية عوض

التجاوب مع تأديبات الله التي تحتنا على التوبة والرجوع إليه.

5 . فقتوا البصيرة الداخلية:

إذ قبلوا كلمات الأنبياء الكذبة الناعمة سقطوا تحت التأديب الإلهي، أي في السبي، وعوض أن يكتشفوا خطاياهم ويقدموا توبة صلوا في عمى

روحي يهتمون الله بالعنف والقسوة.

"ويكون حين تقولون: لماذا صنع الرب إلها بنا كل هذه؟"

تقول لهم: كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغباء في أرض ليست لكم" [19].

فقتوا البصيرة الروحية، فحسبوا عدل الله ظلماً وقسوة، لهذا أوضح لهم عدالته. لقد تركوه وعبدوا آلهة غريبة. هذه هي شهوة قلوبهم، أن يعبدوا

الأوثان وينعموا بالرجاسات، لهذا سلمهم إلى الأرض الغريبة ليتمموا شهوة قلوبهم، وكأن السبي هو ثروة فساد قلوبهم.

أعطاهم أرض الموعد وحسبها "أرضهم"، لكنهم إذ تركوه يُحرموا مما وهبهم، فلم يعد لهم موضع في أرضهم. من جانب آخر كما يقول أحد آباء

الروية: [من لا يصلح في موضع فالموضع نفسه يطرده]. وكان الله وهبهم أرضاً مقدسة، وإذ أساعوا إليها طردتهم هي منها، إذ لم تعد أرض الموعد تحتل

رجاساتهم.

يقول العلامة أوريجينوس:

[كان بنو إسرائيل يمتلكون الأرض المقدسة، والهيكل، وبيت الصلاة. كان يجب عليهم أن يقدموا عبادتهم لله، لكنهم خالفوا الشريعة والوصية

الإلهية، وعبدوا الأوثان، كانوا يستقبلون عندهم الأوثان من دمشق كما هو مكتوب في سفر الملوك، وقبلوا أوثاناً أخرى في الأرض المقدسة. وبما أنهم

كانوا يستقبلون الأوثان الأمامية في أرضهم، استحووا أن يطرحوا في بلاد الأوثان، وأن يهبطوا إلى حيث تُعبَد الأصنام. لذلك قال الرب لهم: "كما أنكم

تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغباء في أرض ليست لكم". أي أن كل إنسان يتخذ له إلهاً من أي شيء كان، فهو بذلك يعبد

هل تُؤَلِّهُ المأكولات والمشروبات؟ بطنك هي إلهك.

هل تحسب فضة هذا العالم وغناه خيراً عظيماً؟ المال هو إلهك . قال عنه السيد المسيح أنه سيد الذين يحبون الفضة، حينما قال: "لا تقدر أن تعبوا الله والمال، ولا يقدر أحد أن يخدم سيدين".

الذي يُقدِّر المال ويُعظِّم الغنى حاسباً أنه الخير، والذي يُجلِّس الأغنياء في صفوف الآلهة ويحتقر الفقراء، يؤله المال.

إذا كان يوجد في أرض الله، التي هي الكنيسة، أناس يعبدون آلهة غريبة بتأليهم لأشياء حقرة، فسوف يُطردون إلى أرض غريبة، هناك في تلك الأرض الغريبة يعبدون آلهتهم التي كانوا يعبدوها وهم في داخل الكنيسة! فيُطرح الإنسان الجشع خرجاً، خرج الكنيسة! ويُطرح الإنسان النهم خرجاً، خرج الكنيسة! [148].

بعد أن شرح لهم عدالته بدأ يعاتبهم، قائلاً:

"اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعميم الفهم،

الذين لهم أعين ولا يبصرون.

لهم آذان ولا يسمعون" [21].

وكما جاء في إشعياء النبي "تسمعون سمعاً ولا تفهمون، وتبصرون إبصاراً ولا تعرفون" (إش 6: 9). (راجع أيضاً مت 13: 14-15). لقد فقنوا البصيرة والقوة على الاستماع، ليس من جهة تأديبات الرب فحسب وإنما من جهة الكلمة المتجسد، المسيا المخلص، عوض الارتناء في أحضانه اتهموه أن به شيطان. وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [إنهم يبصرون كيف يخرج الشياطين ويقولون به شيطان، يبصرون القائمين من الأموات ولا يسجنون له، بل يفكرون في قتله]. كما يقول القديس إيريناؤس : [إنهم مُصابون بالعمى بسبب عدم إيمانهم بالله، يتطلعون إليه فلا يرونه، فهو بالنسبة لهم كأنه غير موجود؛ ذلك كما أن الشمس - خليقته - تصيب ضعاف البصر فلا ينظرون نورها، أما الذين يؤمنون به ويتبعونه فيهب آذانهم (أعينهم) استترة أكمل وأعظم] [149].

كما في عدم الإيمان فقد الشعب بصره وسمعه، هكذا بالإيمان يتمتع أولاد الله بالتطويب الإلهي: "طوبى لأعينكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت 13: 11-16).

دعاهم الله جهلاء أو أغبياء، قائلاً "أيها الشعب الجاهل والعميم الفهم" [21]. هذه هي السمة الرئيسية التي اتسموا بها، فقد صاروا كنبال (1 صم 25) الذي اسمه يعني "الغبي"، وقد احتقر داود النبي وسلك ببخلٍ عظيم. يُقال عنهم: "أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب" (أم 1: 7).

في جهلهم فقنوا الفهم [21]، تركوا الله وعبدوا آلهة غريبة [19]، فصاروا يعشقون ما يبغضه الله، ويبغضون ما يحبه.

في جهلهم فقنوا الحق الإلهي، لا يرونه ولا ينصتون إليه [21].

في جهلهم أيضاً فقنوا خشية الرب ومخافته [21]. لم يفعلوا كأيوب عندما دخل الله معه في حوار، إذ قال: "لذلك رُفض وأندم في التواب والرماد" (أي 42: 6). لم يتجاوبوا معه!

في جهلهم لم يدركوا أن الذي يتحدث معهم هو ذاك الذي وضع للبحر حدًا (أم 8: 29).

وقف النبي في دهشة، فقد بلغ عمى بصوتهم وصمم آذانهم لا أن يسهلوا كالخيل المغلوفة السائبة [8] فحسب، وإنما انحطوا أكثر من الطبيعة الجامدة، فلا يرون كيف يقف البحر عند الحدود التي وضعها له الرب. عرف البحر حدوده فلا يتعداها ولم يعرف الإنسان ناموسه، لهذا يعاتبهم الله قائلاً:

"إيأي لا تخشون يقول الرب؟

ولاً ترتعدون من وجهي أنا الذي وضعت الرمل تخوفاً للبحر، وتتعج أمواجه ولا تتجاوزها؟" [22].

لم يضع الشعب لنفسه حدودًا، وعض الطاعة كالبحار والرمال وكل الطبيعة صار لهم "قلب عاصٍ ومتمود؛ عصوا؛ ولم يقولوا بقلوبهم لنخف الرب إلهنا الذي يعطي المطر المبكر والمتأخر في وقته، يحفظ لنا أسابيع الحصاد المفروضة" [23-24].

ليس فقط البحار والرمال لها قانونها الذي تخضع له، وإنما الأمطار المبكرة التي تسقط بعد بذر الحبوب والأمطار المتأخرة التي تساعد على نضوج المحاصيل تخضع للأوقات والأمنة الموضوعه لها، فيأتي الثمر المتكاثر ويعيد الإنسان مبتهجًا بالحصاد ، أما الإنسان فيفرض الطاعة لله! ربما تشير مياه البحار هنا إلى الاضطهاد القائم ضد الكنيسة، الذي تثر أمواجه وتيراته ضدها. أمارب الكنيسة الجامع المياه فلا يمنع الضيق لكنه يضبط سطوته ويحول مولته إلى عنوبة تستحق أن تُجمع في زق كشيء ثمينٍ وتُحسب كنوزًا ثمينة (مز 33: 7).

❖ بينما كان البحر قبلاً في هياج بلا ضابط، إذا بولته تتوقف... لأن ذلك الذي غلب في الوصل، والذي وضع للبحر حدًا... جعل فيضانه (تيلاته) تلتقي مع بعضها البعض لتتحطم الواحدة الأخرى.

القديس أغسطس

هذا هو المطر الذي وعد السيد المسيح تلاميذه أن يرسله إليهم من عند الأب علامة حبه لهم واهتمامه بهم، وكما جاء في الأمثال: "في نور وجه الملك حياة، ورضاه كسحاب المطر المتأخر" (أم 16: 15). ويقول هوشع النبي: "خروجه يقين الفجر، يأتي علينا كالمطر، كمطر متأخر يسقي الأرض" (هو 6: 3). ويسألنا زكريا النبي أن نطلب هذا المطر المتأخر ليعمل في حياتنا: "اطلوا من الرب المطر في وأن المطر المتأخر، فيصنع الرب بروقًا، ويعطيهم مطر الويل، لكل إنسان عشبًا في الحقل" (زك 10: 1). هذا هو عطية الله العظمى: "نخف الرب إلهنا الذي يعطي المطر المبكر والمتأخر في وقته، يحفظ لنا أسابيع الحصاد المفروضة" [24].

6. اصطابوا الآخرين:

أحد أسباب التأديب أنهم نصوا الشباك والفخاخ للآخرين لاصطيادهم حتى يغتوا ويصيروا سمناء، لكن شوهم لم يجلب عليهم إلا الغضب الإلهي والخسرة. ويلاحظ في شوهم هذا الآتي:

أ. شوهم ليس ثرة ضعف بشوي، أو تحقق بطريقة لارادية، إنما جاء نتيجة خطة منظمة وإصدار مُسبق، إذ يقول: "لأنه وُجد في شعبي أشرار، يرددون كمنحنٍ من القانصين، ينصبون أشراكًا يمسون الناس" [26].

ب. خططوا لاستعبادهم وتحطيم حرية الناس: "مثل قفص ملآن طيورًا هكذا بيوتهم ملآنة موكًا" [27]. لقد خلقت الطيور لتطير في السماء، لا لتحبس في قفص، هكذا رأوا استعباد الناس الذين خلقهم الله أحرارًا.

إن كانوا قد نصوا الشباك واصطابوا أناسًا وأغلقوا عليهم في عبودية كالطيور في قفص، فليس غريبًا أن يشربوا من ذات الكأس، حيث تنصب الأمم التي حولهم لهم الشباك، ويقربونهم في عبودية إلى السبي، فيصيرون كطيور حُومت من الحرية.

حقًا كم تكون نفس المسيحية مؤنة حينما يرى في أرض السبي الطيور تغرد وهي هائمة في الجو تنتقل حينما تريد، بينما يعيش هو في مذلة مسلوب الحرية، لا يقدر أن يرجع إلى بلده!

ج. لا يقفوا عند ارتكاب الشر وإنما يوجهون كل طاقاتهم لاصطياد الناس بمكر كي يسقطهم في الخطية.

د. وي البعض أن كلمة "بيوتهم" هنا تشير إلى أنهم وضعوا خطة محكمة ومنظمة وهم في بيوتهم. بدت هذه الخطة ناجحة إذ امتلأ القفص طيورًا، ولم يدروا أنهم إنما ملأوها موكًا وخداعًا يحطم حياتهم وسلامهم وحرمتهم. بمعنى آخر بالمكر والخداع ظفوا أنهم غلبوا واغتوا ولم يدركوا أنهم إنما اقتوا في داخلهم خطية المكر التي هي "حرمان" و "بطلان".

"من أجل ذلك عظمووا واستغفوا،

سمنوا، لمعوا (ألمس الشعر)،

أيضاً تجاوزوا في أمور الشر" [27-28].

ظنوا أنهم صاروا عظماء أصحاب سلطان، أغنياء لا يعزهم شيء، سمناء مملتون صحة، لامعين أو ملسوا الشعر أي مملتون جمالاً، ولم يبركوا أنهم في واقع الأمر جمعوا لأنفسهم شراً عظيماً. هذا هو ما اقتوته، لأن الأمور السابقة تتغير وتنتهي ويبقى القلب فاسداً بالشر.

هـ. فقفوا كل رحمة واملأوا ظلماً وقسوة قلب.

"لم يقضوا في الدعوى، دعوى اليتيم.

وقد نجحوا.

وبحق المساكين لم يقضوا" [28].

7 . تجاوبوا مع الرعاة في الشر:

صار الجرح دامياً لا علاج له حتى "صار في الأرض دهش وقشعروة" [30].

اشترك الشعب مع القيادات الدينية في هذا الشر. "الأنبياء يتنبأون بالكذب، والكهنة تحكم على أيديهم، وشعبي هكذا أحب".

وُجِدَت خطايا مشوكة اشترك فيها الأنبياء الذين أعلنوا الكذب عوض الحق، والكهنة الذين حكموا لا حسب شريعة الرب بل حسب سلطانهم الذي

سُلم إليهم فأساءوا استخدامه. أحب الشعب الكذب والفساد إذ وجد الفوصة للملذات الجسدية والوجاسات. جاءت تصورات القيادات الشووية متجاوبة مع

قلب الشعب الفاسد.

من وحي إرميا 5

تأديباتك أعذب من تملق المخادعين!

❖ أعترف لك يا إلهي ومخلصي الحبيب،

ليس في أورشليمي الداخلية حق أو بر!

لتدخل أيها البار فيها، فأنعم بالصفح.

بدمك الثمين أغتسل، وبورك أتبرر أيها القنوس!

❖ إني لست مستحقاً أن تتطلع إليّ،

لكن من أجل صلاحك اغرس فيّ برك فاستحق نظراتك.

تطلع إليّ وأدبني بسيطر حمتك لا بغضبك.

هب لأعمائي أن تتوجع فتتوب وتصوخ إليك.

ليبكتني روحك القنوس فأدرك سرّ تأديبك ليّ.

أعترف لك يا سيدي إني كثراً ما لا أشعر بالآلام تأديباتك،

ولا بمهابة يوم الدينونة!

فقدت نفسي كل إحساس، صلت مبيته!

أقمها أيها المخلص فتشعر بالأوجاع وتخشى دينونتك!

❖ ازوع عني الجهالة والكروياء أيها الحبيب!

ففي جهلي ظننتك قاسياً!

وفي كروياي رفضت تأديباتك المخلصة!

❖ في القديم استمع الشعب لكلمات الأنبياء الكذبة الناعمة فسقطوا في السبي،

وأنا في جهالتي أنصت إلى روح التهون والاسترخاء،

فسقطت في سبي الخطية العرة.

أذلتني الخطية بعنف،

وابتلعتني كقبرٍ مفوحٍ،

حطمت طاقاتي ومواهيبي،

أفسدت كل ما في داخلي.

ازوع عني روح الترف الكاذب، فأعود إليك يا مؤدبي الصالح!

❖ سببتي الخطية إذ سلمت نفسي إلى الفساد،

طردني البر لأنني بلادتي اشتهيت الوجاسات!

أعمت الخطية بصوتي عن رؤياك وسدت آذاني عن سماع صوتك.

لنتثر أمواج الضيقات عليّ حتى أبصرك وأسمع لصوتك!

❖ عرف البحر حدوده فلا يتجاوزها.

وعرف المطر المبكر والمطر المتأخر وقتهما،

أما أنا ففي عمى بصوتي تجاهلت حدودي،

تمردت وعصيت ولم أخفُ خالقي!

❖ أعترف لك بطمعي وأنانيتي.

نصبت الشباك لغري كي أغتني، فإذا بي أسقط فيها.

ملأت القفص طيوراً مسلوبة الحرية ففقدت حريتي الداخلية.

ظلمت وقسوت فإذا بي أجمع لنفسي دينونة.

أعترف لك طالباً عونك!

ليعمل روحك القنوس في!

⏪

الأصحاح السادس

أقرب التآديب

يختم الله حديثه على لسان نبيه وهو يحدثهم في الأذن عن اقتراب موعد التأديب الناري. إذ أشاع المخادعون نوات كاذبة، قائلين: "سلام سلام" [14] ، يحفونهم الله من الاستسلام لهذه الكلمات المخادعة، مؤكداً كذبهم واقتراب موعد التأديب. إنه يقدم وصفاً نبوياً عن خواب أورشليم الذي تم بعد ذلك في أيام رميا نفسه. إنه يعلن أن العدو على الأبواب، ويحفونهم مرة تلو الأخرى، مؤكداً أنه لا طريق للهروب إلا التوبة فيتحدث عن:

- 1 . العدو على الأبواب [5-1].
- 2 . شر أورشليم هو السبب [8-6].
- 3 . أذنتهم غلفاء [15-9].
- 4 . توكمهم طريق الآباء [17-16].
- 5 . تقدماتهم بلا طاعة [25-18].
- 6 . إصروهم على الشر [30-26].

1 . العدو على الأبواب:

وقف رميا النبي كرقيب يضرب بوق كلمة الله، وجرس الخطر معلناً أن العدو على الأبواب، قائلاً:

"اهربوا يا بني بنيامين من وسط أورشليم،

واضربوا بالبوق في توع،

وعلى بيت هكاريم رفخوا علم نار،

لأن الشر أشرف من الشمال وكسر عظيم" [1].

أ. إن كان الشعب الجاهل قد أصيب بعدم الفهم، وحرموا من البصيرة والقوة على الاستماع لصوت الرب (5: 21) كما رُح عنهم خوف الرب وخشيته (5: 22)، ولم يعرفوا لأنفسهم حدوداً أو ناموساً كالبحر والأمطار (5: 23-24)، وصاروا بلا حصاد أو ثمر (5: 21)، واقتنوا لبيوتهم الداخلية مكوّاً وخداعاً (5: 27) وقد ظنوا أنهم عظماء وأغنياء وأصحاء ومملوئين جمالاً (5: 27-28)، هوذا الآن يفقدون سلامهم وحريتهم.

في الأصحاح الرابع يطلب منهم أن يهربوا من القوى إلى أورشليم ليحتموا فيها (4: 6)، لكن إذ اقترب الخطر جداً لم تعد أسوار أورشليم قاهرة على حمايتهم، لهذا يسألهم أن يهربوا من أورشليم ليختفوا في كهوف الجبال.

وي البعض أنه بقوله "بني بنيامين" لم يقصد كل أهالي أورشليم، إذ لم يكن جميعهم من سبط بنيامين، لكن النبي نفسه عاش في أرض بنيامين (1: 1)، أو ربما وجّه الحديث إليهم لأنهم كانوا أقل فساداً من الباقين، وقد وفوا إلى أورشليم من القوى مؤخوفاً، فلم يوغلوا في الفساد كما أوغل أهل المدينة الأصليين.

ذكر "توع" و "بيت هكاريم" كلاهما في الطريق جنوب أورشليم ويمكن أن ينظروهما سكان العاصمة، وهما في طريق الهروب أمام زحف العدو القادم من الشمال. وهناك يوجد كثير من الأودية والكهوف (1 صم 22: 1).

"توع"، موطن عاموس النبي (عا 1: 1)، تبعد حوالي 12 ميلاً جنوب أورشليم، وحوالي 5 أميال جنوب بيت لحم.

"بيت هكاريم" مكان يناسب رفع العلم، إذ يبلغ علوه أكثر من 800 متراً، وقد جاء ذكره في نحما (3: 4). مرفوع في الطريق نحو بيت لحم، تسمى حالياً رامه راحيل *Ramat Rahel* (نح 3: 14).

ب. إنهم يسقطون تحت تأديب ناري، إذ يقول "رفخوا علم نار"، علم كلمة الله الناري التي تحرق الأشواك بينما تتقي الذهب والفضة من الشوائب. إنها تحطم الخطية وتطهر الخاطي إن قبلها فيه وتجاوب معها بالتوبة.

ج. يتحقق هذا التأديب الناري بخطة إلهية محكمة وليس محض صدفة كما يظن البعض، إذ يقول: "قدسوا عليها حرباً [4]. وكان هجوم البابليين على أورشليم هي "حرب مقدسة" في عيني الرب، لا لينتصر شعبه على أعدائهم، بل ليسقطوا تحت التأديب لعلمهم يتقدسون، بعد أن كانوا متمسكين بالشر. كأن الله يدعو الشعب الغريب أن يكرسوا وقتهم وطاقتهم وكل إمكانياتهم لمحاربة شعبه، الأمر الذي - إن صح القول - ليس سهلاً بالنسبة له، إذ هو محب لشعبه.

كثراً ما يسمح الله للأشوار أن يثوروا على أولاده، فيظن الأشوار أنهم بقوتهم يغلبون وينجحون، ولا يدركون أن ذلك بسماع إلهي لبنيان أولاده المحبوبين لديه.

ربما يعني بالتقديس إحواء طقوس دينية من تقديم ذبائح وغوها قبل الهجوم. ففي القديم كان الأمم يستدعون المنجمين لمرافقة الجيش وأخذ التورات. وكان الله الغيور على مجده يسمح للوثنيين أن يقدموا ذبائح ويمسوا طقسهم ويُجج طويقهم مؤقتاً، حتى يظنوا أن آلهتهم قد غلبته... يسمح بهذا كله إلى حين ليؤدب شعبه، ثم يعود فيؤدب الوثنيين أنفسهم!

د. بقوله "إليها تأتي الوعاة وقطعانهم ينصبون عندها خياماً حواليها وعون كل واحد في مكانه" [3] يقصد أن أورشليم العظيمة تتحول إلى موعى غنم، حيث تأتي البلاد المحيطة بها والشاماتة بغنمها، فتجدها خراباً بلا بيوت، ينصبون فيها خيامهم كما في بوية قفر، ووعون كل واحد غنمه في طمأنينة وشماتة!

ربما يُقصد بالوعاة هنا قراد العدو الذين يسوقون جنودهم ليصنعوا بالمدينة كما يصنع الغنم بعشب الحقول، يأكلون كل ما يجدونه ولا يتوكلون فيها موضع عشب أخضر، كما جاء في إشعياء: "بالسهام والقوس يؤتي إلى هناك، لأن كل الأرض تكون شوكة وحسكاً، وجميع الجبال التي تُنقب بالمعول لا يؤتي إليها خوفاً من الشوك والحسك فتكون لسوح البقر ولدوس الغنم" (إش 7: 25). هـ. تأديب علني ومستمر، يتحقق في وسط النهار ويستمر حتى الليل.

"قوموا فنصعد في الظهيرة.

ويل لنا لأن النهار مال،

لأن ظلال المساء امتدت،

قوموا فنصعد في الليل ونهدم قصورها" [5].

كان الهجوم ليلاً أو شاداً، لا يُستخدم إلا في حالات نادرة جداً، أما العدو فقد هجم في الظهيرة وتحقق النصر. دخلوا المدينة فلم يهتموا أن يهدؤوا بالليل بل قاموا بهدم القصور والحصون ليصيروا في مأمن من العودة إلى حرب جديدة في النهار القادم.

ماذا يعني الصعود في الظهيرة، إلا أن الله يسمح بالتأديب علانية حيث يشوق على النفس بتأديباته كما يبرأه وتوقفه. وكان التأديب هو علامة اهتمام الله بنا وليس تجاهله لنا أو قسوته علينا. مع كل ضيقة يمكن للنفس أن تتوب فتتمتع بإشراقات شمس البر عليها. على أي الأحوال إن لم يستطيعوا أن يهاجموا المدينة في النهار فالليل يجلب لهم النصوة الأكيدة.

في نفس الوقت يقول: "ويل لنا لأن النهار مال" [5]. ماذا يعني هذا إلا أن ما حل بنا من تأديبات إنما هو لوفضنا شمس البر فمال بنا النهار لنعيش تحت ظلال الخطية وظلمتها.

أعطى للعدو الشيرير أن يقتحم أعماقنا التي صلت ليلاً دائماً، ويهدم قصورنا التي كان يليق بها أن تكون مملكة لله ومسكناً لروحه القوس.

لنتنا نقبل خلال حب الله وتأديباته سكناه فينا وإشراقاته علينا، فنسمع صوت الرسول القائل: "وأما أنتم أيها الاخوة فلستم في ظلمة... جميعكم أبناء

نور وأبناء نهار؛ ليس من ليلاً ولا ظلمة" (1 تس 5: 4-5).

2. شر أورشليم هو السبب:

وراء كل هذا شر أورشليم التي إن أصوت عليه يجفوها الله ويجعل أرضها خربة غير مسكونة [8]، كقول السيد المسيح: "ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمتوسة ويحدهون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتكون فيك حواً على حجر لأنك لم تعرفي زمان افتقادك" (لو 19: 41).

يبدو كأن الله يُشرك الأعداء في استعدادهم للهجوم على أورشليم، إذ قيل:

"لأنه هكذا قال رب الجنود.

اقطعوا أشجاراً،

أقيموا حول أورشليم مترسة هي المدينة المعاقبة.

كلها ظلم في وسطها" [6].

إنه "رب الجنود" الذي يستطيع بقاته السماوية أن يحطم العدو، لكنه عوض أن يحطمه يأمره بأن يهاجم مدينته التي ملأها شعبه بالظلم. طالبهم بقطع الأشجار وإقامة مترسة حول المدينة لتعوق جيش يهوذا عن مواجهة العدو. ولعل أيضاً قطع الأشجار التي حول أورشليم يعني بها تحويل المنطقة إلى قفر تحرم من أشجارها المثمرة أو التي تستخدم للظل، كما يعني أنه عند الضرورة يشعلون النوان حول المدينة كلها، فيصير الشعب كما في أتون، لا مفر منه.

يصف الله شر أورشليم، قائلاً:

"كما تتبع العين مياهها هكذا تتبع هي شوها.

ظلم وخطف يُسمع فيها.

أمامي دائماً مروض وضوب" [7].

شوها كالعين الذي يفجر الماء بلا توقف، هكذا لا تعرف أورشليم لشوها نهاية... إنها مصدر شرٍ مستمر. تقدم العين ماءً متجدداً بغير توقف، ويصدر عن أورشليم شروراً جديدة واختراعات في الفساد.

إن قصد بالعين "البئر" فتكون أورشليم محتضنة شوها في داخلها كما تحتفظ البئر بمياهها.

"تأدبي يا أورشليم لئلا تجفوك نفسي،

لئلا أجعلك أرضاً غير مسكونة" [8].

يلق العلامة أوريجينوس قائلاً:

[عندما يريد أن يكون رحيماً يقول إنه غير راضٍ وفي غضبٍ...]

إن فهمت هذه الكلمات، فإنها صوت الله الرؤوف عندما يغضب، والغيور عندما يجلب الآماً وضربات، فإنه "يجلد كل ابن يقبله" (عب 12: 6)

[150].

3. أذنهم غلفاء:

هكذا قال رب الجنود:

تعليلاً يعللون كجفنة بقية إسرائيل.

رَدَّ يَدِكَ كَقَاطِفِ إِلَى السَّلَالِ" [9].

يكرر دعوة الله "رَبِّ الْجُنُودِ" ليؤكد أن هزيمة أورشليم ليس عن ضعف أو عجز في القوة الإلهية، إذ هورب الجنود، الذي تخضع له السماء والأرض بكل ما فيهما كجنود له، إنما ما حلَّ هو بسبب غلف آذانهم وعدم الاستماع له.

إن كان شعبه يشبه كرمة، فإن العدو إذ قطف عنبها عاد إليها مرة ومرة لكي يعللها تعليلاً، أي يفتش فيها لعله يجد ما قد تبقى، حتى يتركها عقيمةً تماماً! لا يترك فيها بقية ما!

جاءت الوصية الإلهية: "وكرمك لا تعلله، ونثار كرمك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه" (لا 19: 10). فإذا كسروا الوصية وكانوا يعللون كرومهم ويلتقطون نثرها ولا يتركونها للمسكين والأغنياء يتركهم الله ككرم يعللهم الأعداء ولا يتركون فيها ثملاً قط... بل يصيرونها خراباً.

لقد اتسخت آذان الكل بالخطية فصلرت غلفاء، ليس من يقدر أن يسمع صوت الرب أو يستجيب لوصيته.

"ها إن أذنهم غلفاء فلا يقدر أن يصغوا.

ها إن كلمة الرب صلت لهم عزاً.

لا يُسرون بها" [10].

يوبخ العلامة أوريجينوس اليهودي الحرفي الذي يرفض التفسير الرمزي للكتاب المقدس قائلاً:

إخفاً عظيم موجه إليكم.

يقدم إليكم اتهامكم: أنتم غلف في آذانكم،

ولماذا عندما تسمعون هذا لا تستخدمون موسى لآذانكم وتقطعونها؟...

اقطعوا آذانكم، اقطعوا الأعضاء التي خلقها الله لاستخدام الحواس وثرينة الإنسانية، فإنكم بهذا تفهمون الكتاب المقدس [151].

إذ تصير الأذن غلفاء لا يستعذب الإنسان صوت الرب بل يحسبه عزاً. يحسب وصية الله مخجلة، والتدين ضعفاً، والطاعة لله خوعاً

واستسلاماً. هكذا لا يختبر الإنسان عنوبة الكلمة الإلهية كقول النبي: "بوائضك أتلدذ" (مز 119(118): 16)، "شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب

وفضة" (مز 119(118): 71).

"وتتحول بيوتهم إلى آخرين،

الحقول والنساء معاً،

لأني أمد يدي على سكان الأرض يقول الرب" [12].

هذه إحدى ثمار العصيان، كما جاء في الشريعة: "تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها؛ تبني بيتاً ولا تسكن فيه، تغوس كوماً ولا تستغله" (لا 28: 30).

ما هو هذا البيت الذي يبنيه ولا يسكن فيه إلا الاستقار الذي يطلبه للنفس لكنها لا تجدراحة مادامت خلج مسيحها؟!

وما هي المرأة التي يخطبها فيأخذها آخر إلا الحرمان من المعينة أو الشعور بالوحدة والغزلة؛ ليس من يقدر أن يسنده ويشركه آلامه

ومشاعوه؟!

وما هي الحقول التي يسلبها الآخرون إلا طاقات الإنسان ومواهبه وقدراته التي تحطمها الخطية، فلا تكون لبنانيه بل لهدمه؟!

أما كيف نهوب من هذه المرأة؟! يقول الرب: "لأني أمد يدي على سكان الأرض" [12]. لنصر سكان السماء فلا تمتد يد الرب علينا بل إلينا

ولحسابنا. ما دام قلبنا مرتبط بالتواب نصير زاباً ونفقد حياتنا، أما إن صونا بروح الله القدوس سمائيين فنصير سماءً يسكننا السموي القدوس إلى الأبد.

سبق فأعلن أنه لم يجد بلواً واحداً في أورشليم فيصيح عنها (5: 1)، ويعلن هنا أن التأديب جماعي، يسقط تحته الأطفال والشبان والشيوخ،

الرجال والنساء، الأنبياء الكذبة والكهنة.

إن كان الله يقدم الشفاء من الجراحات بأدوية التوبة، فإن الأنبياء الكذبة يتظاهرون كأطباء، يعالجون الجراحات بالكلمات الكاذبة الناعمة، قائلين: "سلام سلام" [14] . مع أن الواقع: "لا سلام" [14] . يخطئون تشخيص المرض ليخدعوا المرضى، فعوض الشفاء يصير الجرح خطأً، يؤدي إلى الموت والهلاك الأبدي.

وى البعض أن كلمات الأنبياء الكذبة هنا إنما تعني تقديم راحة نفسية للقادة والشعب، الذين اهتموا بالإصلاح الظاهري وتقديم تقدمات وذبائح مع انغماس في عبادة الأوثان ورجاساتها، قائلين: "سلام سلام" ما دام الله يُعبد ويُقدم له ما جاء في الشريعة، أما القلب ونقوة الحياة وقدسيتها فهي أمور لا قيمة لها.

4 . تركهم طريق الآباء:

"هكذا قال الرب:

قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة،

أين هو الطريق الصالح،

وسيروا فيه،

فتجبروا راحة لنفوسكم" [16].

يؤكد ضرورة العودة إلى طريق الآباء، مقلنين حياتنا بحياتهم لئلا نكون قد انحرفنا عن الطريق الملوكي، وكما جاء في سفر النشيد إذ تسأل النفس مسيحا: "إخبرني يا من تحبه نفسي أين رعى؟ أين تبيض عند الظهيرة؟" (نش 1: 8)، فيجيبها: "أخرجي على آثار الغنم وراعي جداءك عند مساكن الراجعة".

يسألهم الرب أن يقفوا وسط ما يحل بهم من خرابٍ، لا ليندوا حالهم، بل أن واجعوا أنفسهم. ليتطلعوا إلى مصدر الشر الحقيقي، ألا وهو انحرافهم عن الحق، حتى وجعوا فوجع الرب إليهم، لذلك يقول لهم:

أ. قفوا على الطرق... أي كرسوا وقتاً للتأمل ومراجعة النفس لئلا تكونوا قد انحرفتم عن الطريق الملوكي.

ب. انظروا... أي تمتعوا بالبصوة الداخلية أو استنزة الروح.

ج. اسألوا... أي لا تعتمدوا على فكركم الذاتي، بل أطلوا مشورة الآباء لتتركوا "الطريق الصالح" الذي سرت فيه الكنيسة الأولى، طريق السيد المسيح الذي يدخل بالكنيسة إلى حضن أبيه.

د. سيروا فيه ... لا تكفي مراجعة النفس ولا استنزة القلب ولا طلب المشورة الروحية، إنما يلزم أن يتحول ذلك كله إلى حركة حب، سير

مستمر بلا توقف تحت قيادة الروح القدس. لهذا يكرر الرسول بولس كلمة "اسلكوا".

"اسلكوا بالروح" (غل 5: 16)؛

"اسلكوا في المحبة" (أف 5: 2)؛

"اسلكوا كأولاد النور" (أف 5: 8)؛

"اسلكوا فيه (في يسوع الرب)" (كو 2: 6)؛

"اسلكوا بحكمة" (كو 4: 5).

"قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة" [16].

يعلق القديس جيروم على هذه العبارة قائلاً:

توجد طوق كثوة، تعود إلى الطويق الواحد... خلال الطوق الكثوة نجد الطويق الواحد. هذا الفكر ذاته في الإنجيل (مت 13: 46) في شكل آخر وخلال رمز في مثل التاجر الذي له لآلىء كثوة باعها واشتوى لؤلؤة وحيدة ثمينة.
قف بجوار الطويق، أي لا تكن مالكا للآلىء كثوة.
قف في الطويق، واسأل عن طويق الرب الأبدي. ما أجمل الأبدية!
لا تظن أنه بمجيء المسيح قد انتهى الناموس والأنبياء بل لاحظ حسنا. قف بجوار الطوق: لتضع ثقة كاملة في طويق واحد عوض الطوق الكثوة، بل بجوار الطوق، اسأل عن طويق الرب الأبدية [152].

[قف كما يقول رميا في أكثر من طويق حتى تأتي إلى الطويق الحقيقي الذي يقود إلى الآب [153].

❖ أصدقائي الأعزاء، من يقدر أن يقودنا، إلا ذاك الذي تودون اسمه معي، ربنا يسوع المسيح، القائل: "أنا هو الطريق" (يو 14: 6).

إنه ذاك الذي كتب عنه القديس يوحنا أنه "يحمل خطايا العالم" (يو 1: 29). إنه هو أيضا الذي يطهر نفوسنا كما أخرجنا لرميا: "قفوا على الطرق وانظروا واسألوا... عن الطريق الصالح (البار) وسيروا فتجربوا تطهروا لنفوسكم".

[154] البابا أناسيوس

مرة أخرى إن كان الله قد سمح لهم بالتأديب الناري، فهو لا زال يطلب بنيانهم لا هلاكهم. إنه يقيم لهم رقبيا يضوب بالبوق ليدخلوا لا في معركة ظاهرة بل معركة القلب.

5. تقدماتهم بلا طاعة:

إذ لم يصغوا إلى صوته الإلهي، ولا قبلوا خوة آباءهم في معاملات الله معهم استدعى الله الشعوب الوثنية وكل أمم الأرض لتشهد عليهم:
"ذلك اسمعوا يا أيها الشعوب،

واعرفي أيتها الجماعة ما هو بينهم.

اسمعي أيتها الأرض:

هأنذا جالب شوا على هذا الشعب ثمر أفكلهم،

لأنهم لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها" [18-19].

هكذا استدعى الله الأمم الوثنية لتشهد كيف استحق شعبه المتمرد التأديب الناري كثمر طبيعي لأفكلهم وعصيانهم وكسورهم العهد معه. ربما

استدعاء الأمم هنا يشير إلى أن شعبه قد اندفع إلى الشر حتى تيرر الوثنيون متى قورنوا بهم!

احدى علامات الطويق الخاطئ الرئيسية أو الانحراف عن طويق الآباء الملوكي هو عدم الإصغاء لصوت الرب وشريعته والاهتمام فقط بتقديم

تقدمات وذبائح للرب.

"لم يصغوا لكلامي وشريعتي رفضوها.

لماذا يأتي لي اللبان من شبا؟

وقصب النروة من أرض بعيدة!؟

محرقاتكم غير مقبولة،

وذبائحكم لا تذل لي" [19-20].

لا يريد الله اللبان وقصب النروة ولا المحرقات والذبائح، إنما يطلب الطاعة النابعة عن الحب. يبذلون كل الجهد فيأتون باللبان من شبا وقصب

الزفرة من أرض بعيدة بينما يتجاهلون نقوة قلوبهم و قدسية حياتهم الداخلية.

الله يطلب اللبأن الداخلي، أي الصلاة الداخلية التي تُرفع كرائحة بخور في السمويات، وقصب الزفرة الداخلي. إنه يطلب محركات داخلية حيث تقدم النفس حياتها ذبيحة مقدسة ملتهبة بالحب الإلهي، وذبائح مقدسة حيث تبذل ذاتها، خلال اتحادها بالمسيح الذبيح، مؤنمة مع الرسول: "من أجلك نُمات كل النهار؛ قد حُسبنا مثل غنم للذبح" (رو 8: 36).

مصدر اللبأن للعالم القديم هو شبا (إش 60: 6؛ حز 27: 22)، وهي تقع في جنوب غربي شبه الجزيرة العربية بقرب مَرَب.

إذ انشغل شعبه بالمظاهر الخرجية من تقديم لبان وقصب نرورة وذبائح دون نقوة القلب واستقامة السلوك، أي لم تعبر الحياة التعبدية الظاهرة عن صدق ما بالداخل لهذا يقول الرب لهم: "هأنذا جاعل لهذا الشعب معوثات، فيعثر بها الآباء والأبناء معاً، الجار وصاحبه بييدان" [21]. ما هي هذه العوثات التي يقدمها الله إلا من عمل أيديهم و "ثمر أفكلهم" [19]؟! فيثوبون من كأس العصيان التي ملأوها برادتهم، ظانين أن الله عنيف وقاس لأنه سمح لأمة وثنية أن تسببهم وتحطم مدنهم وهيكلمهم!

6 . إصولهم على الشر:

يكشف الله عن حبه الشديد لهم مع مودة نفسه لأجلهم، إذ يدعوهم "ابنتي - شعبي" قائلاً:

"يا ابنة شعبي تنطقي بمسح وتروغي في الرماد،

نوح وحيد اصنعي لنفسك مناحة مؤمة،

لأن المغرب يأتي علينا بغتة" [26].

ما أصعب على الإنسان أن يجد ابنته قد فقدت وحيدها، هكذا رى الله شعبه الابنة المحبوبة لديه قد فقدت وحيدها فجأة الذي هو حياتها، فصلت تكلى توح بلا انقطاع.

حقاً يحزن مسيحننا على المؤمن الذي بسبب الخطية يفقد خلاص نفسه، وحيدته التي قال عنها السيد المسيح: "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟! (مت 16: 26).

يُختم الأصحاب بتقييم لشخص النبي لميا وأمانته في تقديم الرسالة الإلهية، مع إصوار الشعب على العصيان، فصلوا رصاصاً يفنى بالنار وفضة مرفوضة. لقد رفضوا كلمة الله الفضة المحصنة بالنار وقبلوا خداعات الأنبياء الكذبة، الفضة المغشوشة، فصلوا هم أنفسهم فضة مرفوضة.

في قوله "احترق المنفاخ من النار، فنى الرصاص" [29]، يُشبهه لميا بمن يمتحن المعادن بالنار، والتأديب بالمنفاخ الذي يلهب النار، والشعب بالرصاص. فقد بذل النبي كل الجهد مستخدماً كلمات الله للتأديب بطريقة نارية، فاشتدت النار جداً حتى احترق المنفاخ، لكن للأسف لم يكن الشعب ذهباً أو فضة حقيقية بل كان رصاصاً يفنى!

تستجيب المعادن للنار الممتحنة لها فتنتقى من الشوائب، أما شعب الله فلا يستجيب للنار الإلهية بل يُصر على شوه، إن لم يرد عناداً، فيدخل إلى الموت! لم يجد الله وسط أورشليم كلها قطعة فضة يستخلصها بنار تأديباته، إنما صار الكل رصاصاً. وقد سبق لنا الحديث في سفر الخروج كما في سفر زكيا عن الرصاص بكونه رمزاً للخطية التي تنقل النفس فتتزل بها إلى أعماق المياه لتغوص ولا تقوم (حز 15: 10؛ زك 5: 7).

❖ يوح الله عليهم لأنه قدم لهم التطهير بالنار، ولم ينتقوا، متصلين في خطاياهم، فيبكيهم في شخص أورشليم التي تغلفت بالصدأ، إذ يقول: "ضعها

فرغة على الجمر ليحمر نحاسها ويحرق فينوب قفوها فيها ويفنى زنجرها. بمشقات تَعبت ولم تخرج منها كثرة زنجرها. في النار زنجرها. في

نجاستك" (حز 24: 11-13).

[155]

الأب ثيودور

حوّل رصاصي إلى فضة!

- ❖ لئنم لرميا في أورشليمي الداخلية،
يضوب ببوقه و يرفع علم نار في قلبي،
لأرى العدو قادماً لتحطيم نفسي الثمينة!
يقطع الأشجار ليحولني إلى أتون نار،
ويجعلني قوفاً بلا ثمر.
أترك بالحق أن العدو على الأبواب،
من يقدر أن يخلصني سواك؟!
- ❖ أعتوف لك إني أنا علة هلاكي،
أذني صلرت غلفاء، لم أستطع بعد أن أميز صوتك، وأنصت إلى وصيتك.
توكت طريق آبائي الملوكي.
انشغلت بالتجربة والعلرة، ولم أتطلع إلى أعماقي لأنك شوي.
انشغلت بشكليات العبادة ولم أبال بقدسية حياتي.
قدمت ذبائح وتقدمات، أما قلبي فمغلق تماماً.
يا لشقاوتي!!!
- ❖ صوت رصاصاً لا فضة!
أفنت النوان حياتي ولم أنتق.
من يحول رصاصي إلى فضة،
فأنتظر وأتقدس بنار روحك القدس؟!



الأصحاحات 7-10

عتاب علني

في باب بيت الرب

جاء الحديث السابق (2-6) (أشبه بهمسٍ في الأذن في هوء، لأن الله يبدأ تحذواته لنا سواً حتى نوجع إليه دون أن يوح مشاعرنا، أما إن

أصرنا على عدم الاستماع إليه، فيكون هرحنا خطأ، ويحتاج الأمر إلى توبيخٍ علني. لهذا تبدأ هذه الأصحاحات بدعوة الله لإرميا النبي أن يقف في باب بيت الرب (7: 1)، ويتحدث مع الشعب كما مع القيادات علانية وبكل صراحة، الأمر الذي كلف رميا النبي الكثير، إذ شعرت القيادات بالفضيحة وفكرت في التخلص منه عدة مرات.

لسنا نوري علة اجتماع الشعب في الهيكل في ذلك الحين، إن كان بسبب الاضطرابات التي نشأت عن قوب قدوم العدو، أو للاحتفال بعيد.

في الأصحاح الثاني حدثهم عن سرّ الخصومة؛

وفي الأصحاح الثالث أكد أنه إنما يعاتب ليطلب عروسه مقدسة حتى في تأديبه لها؛

وفي الأصحاح الرابع كشف لنا عن سرّ الزينة الداخلية لعروسه المقدسة؛

وفي الأصحاح الخامس تحدث عن عمل الكلمة النري في النفس بكونه مصدر القداسة والجمال الروحي.

وفي الأصحاح السادس يعلن أن وقت التأديب قد اقترب جدًا فلا يليق بهم أن يسمعوا للكلمات المعسولة التي يقدمها الأنبياء الكذبة.

أما الأصحاحات [7-10] فهي "عتاب في الهيكل"، أي يوبخ علانية لا لأجل الفضيحة في ذاتها وإنما بسبب قسوة قلب الإنسان الذي يرفض الاستماع للكلمة السرية الهادئة. أما موضوع العتاب فهو: "التقديس الداخلي".

»

الأصحاح السابع

تقديس البيت الداخلي

إذ جاء الشعب مع القيادات الدينية إلى بيت الرب بأجسادهم دون قلوبهم، يتنمون بتسابيح للرب بينما انخرقت حياتهم لحساب النجاسات الوثنية، بدأ الرب يعلن لهم عن الحاجة إلى تقديس القلب الداخلي بكونه هيكل الرب، الذي لأجله أقيم هيكل أورشليم. لذا كشف الرب عن شكلياتهم في العبادة والتي تتلخص في الآتي:

1. تسابيح بلا عمل [1-7].
2. عبادة بلا قداسة [8-11].
3. عدم الاعتبار بشيئوه [12-15].
4. طلب صلوات الغير بدون توبة [16].
5. تقدمات وذبائح لله والأوثان معًا [17-28].
6. موثاة على رفض الله بيته [29-32].
7. موثاة على رفض الله شعبه [33-34].

1. تسابيح بلا عمل:

"الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب، قائلاً:

قف في باب بيت الرب ونادِ هناك بهذه الكلمة، وقل:

اسمعوا كلمة الرب يا جميع يهوذا الداخلين في هذه الأبواب لتسجدوا للرب.

أصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع" [1-2].

كان القديس لرميا في موقف لا يُحسد عليه، فقد جاءت الدعوة من قبل الرب أن يقف في باب بيت الرب ليحدث الجماهير المحتشدة التي جاءت لتلمس طقوس العبادة دون روحها، والتي لا تريد أن تسمع كلمة توبيخ أو نقد. كان من بين هذه الجماهير نون شك كهنة عناثوث الذين يحمل أغلبهم ذكريات الطفولة والصلاة مع لرميا، وهم يتركون حوائه وإمكانية إثارة الشعب ضددهم لمخالفتهم الشريعة.

[156]:

يمكننا تصور موقف لرميا النبي والجو المحيط به وهو يقف ليوبخ الجماهير ويطلب التوبة هكذا

كانت الجماهير متلهلة لحركة إصلاح الهيكل الذي لم تمتد إليه يد منذ أكثر من 250 عامًا. في وسط هذه البهجة الجماهيرية وقف لرميا، يكاد يكون وحده، يهاجم الإصلاح الخرجي غير المتكئ على تغيير القلب والسلوك الروحي الحي. كان لرميا في نظره الرجل الناقد اللاذع، الذي يحول

البهجة إلى غم، وعوض مدح القائمين بالعمل يهاجم الكل.

بينما كان حلقيارئيس الكهنة يتعاون مع مشير الملك وكاتبه شافان في جمع التوعات والتقدمات للإصلاح إذا بلرميا يؤكد الحاجة إلى تقدمه

القلب لا المال. وبينما كان البنؤون والنجارون وكل العاملين في الإصلاح يسمعون كلمات الإطراء من كل أحد، إذا بلرميا النبي يبكت ويؤنب.

الكل يتحدث عن التقدم في البناء والإصلاح بؤح واعزاز ولرميا النبي يطلب التوبة الصادقة والفوح والبكاء حتى لا يطردهم الموضع الذي لا

يستحقونه، إذ يقول على لسان الرب: "اصلحوا طرقكم وأعمالكم فأسكنكم في هذا الموضع" [2].

هم يظنون أنهم قد رُضا الله بإصلاح الهيكل، وكأنهم دائنون له بهذا العمل الجبار الذي لم تملسه أجيال سابقة بينما يهددهم لرميا النبي بالطرد

منه بل ومن كل الأراضي المقدسة لأنهم غير مستحقين للسكنى فيها بسبب شوهم.

بدأ الإصلاح الداخلي بالدعوة إلى تحويل التسييح من كلمات منطوق بها إلى حياة مُعاشه وسلوك... حياة مفرحة متلهلة في الداخل مع استعذاب

للوصية الإلهية.

يقول: "لا تتكلموا على كلام الكذب قائلين:

هيكل الرب،

هيكل الرب،

هيكل الرب هو" [4].

لعل هذه العبرة كانت قرأً يتغنى به كل القادمين إلى العيد، حاسبين أن دخولهم الهيكل سند لهم دون حاجة إلى التوبة والسلوك الروحي

المقدس.

إن لم يهتموا بإصلاح الهيكل الداخلي تتحول التسابيح والترايم حتى في بيت الرب إلى "كلام كذب"، لأنهم ينطقون بغير ما يعيشون.

ظن يهوذا أن مجرد وجود بيت الرب في وسطهم يكفي لحمايتهم واستمرار هراحم الله؛ ولعلمهم تقبلوا هذه العقيدة مما ورد في إشعياء النبي عن

سنحريب الطائش المتعريف إنه لن يقدر أن يهدم خيمة الرب: "عيناك تريان أورشليم مسكنًا مطمئنًا، خيمة لا تنتقل، لا تقلع أوتادها إلى الأبد، وشيء

من أطنابها لا ينقطع" (إش 33: 20).

حينما صلى سليمان في بيت الرب مع الشعب بنقلوة قلب جاءه صوت الرب: "قد سُمعت صلاتك... قدست هذا البيت الذي بنيتَه لأجل وضع

اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناى وقلبي هناك كل الأيام" (1 مل 9: 3). في نفس الوقت حوهم من الاتواف عن السلوك في وصاياها أو تركه وعبادة

الأوثان مهددًا: "البيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي، ويكون إسوانيل مثلأوهراًة في جميع الشعوب، هذا البيت يكون عورة. كل من يمر عليه

يتعجب ويصفر ويقولون: لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت؟! (1 صم 9: 7-8).

اعتمد الكهنة والأنبياء على قول سليمان "إنما قد بنيت لك بيت سكن مكاناً لسكانك إلى الأبد" (1 مل 8: 13) ونوة إشعيا النبي أن صهيون لا تسقط أبداً (إش 33: 20) كانوا مقتنعين ان لميا النبي مخوع تماماً، وكانوا يحرضون الشعب ضده.

هنا يحفهم النبي: "لا تتكلموا على كلام الكذب، قائلين،

هيكل الرب، هيكل الرب، هيكل الرب هو،

لأنكم إن أصلحتم إصلاحاً طرقكم وأعمالكم.

إن أجريتم عدلاً بين الإنسان وصاحبه.

إن لم تظلموا الغريب واليتيم والأرملة...

فإني أسكنكم في هذا الموضع" [4-7].

يمثل الهيكل حضوة الله وسط شعبه لتقديسهم، فإن تمسكوا بوجود البيت دون الاهتمام بتقديس حياتهم يفقد البيت مفهومه، بل ويتحول من بيت تسبيح إلى "مغرة لصوص" [11]، وهو ذات التعبير الذي استخدمه السيد المسيح حين طرد باعة الحمام والصيرفة من الهيكل (مت 21: 13). في التسبحة نقول: "السلام للكنيسة بيت الملائكة"، إذ فيه يجتمع الله معنا في حضوة ملائكته، كما يشير القول إلى المؤمنين المتشبهين بملائكته. لهذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

ليشتهي الله أن يحل وسط شعبه فيقدسهم، لكن إن رأوا أن يعيشوا في غلاظة قلوبهم بلا توبة لا يحتملوا حلوله في وسطهم. وكما قال الرب لموسى: "قل لبني إسرائيل أنتم شعب صلب الرقبة، أن صعدت لحظة واحدة في وسطكم أفنيتمكم" (خر 33: 5).

ويتحدث القديس جيروم عن هيكل الرب الداخلي الذي يمكن للمؤمن أن يقتنيه أينما وجد، بينما كثير من سكان أورشليم والأراضي المقدسة حرموا منه.

❖ يليق بالذين يقولون: "هيكل الرب، هيكل الرب" (7: 4) أن يصغوا إلى كلمات الرسول: "أنتم هيكل الرب" (2 كو 6: 16)، والروح القدس "ساكن فيكم" (رو 8: 11). الوصول إلى البلاط السموي سهل سواء من بيطانيا أو أورشليم، لأن "ملكوت الله داخلكم" (لو 17: 21). أنطونيوس وطغمة الرهبان الذين في مصر ومصيصة وبنس وكبادوكية ولرمنيا لم يروا أورشليم قط، لكن انفتح لهم باب الفردوس. الطوبوي هيلاريون، مع أنه مواطن فلسطيني وقاطن هناك، لم ير أورشليم إلا يوماً واحداً. إذ كان قريباً من الأماكن المقدسة لم يشأ أن يهمل رؤيتها، وفي نفس الوقت لم يود أن يحد الله بأماكن محدودة. [157]

القديس جيروم

فتح حديث رميا النبي الباب للأنبياء الذين جؤا بعده ليتحدثوا عن هيكل جديد للرب له ملامح جديدة، فقد شغل هذا الموضوع ذهن حزقيال النبي في التسع أصحاحات الأخوة (40-48)، خاصة الأصحاح (47: 1-12). رأى بيتاً للرب يقوم على مياه المعمودية ينعم سكانه بروح النوة لله، يولون فيها بالروح القدس، أما أبعاده فتقاس بالألف فراع إشارة إلى السمة السماوية، وقد عُرس على هذه المياه أشجار كثوة جداً من هنا وهناك، ولأد الله القديسون، ويكون السمك كثراً جداً. هذه المياه هي سرّ شفاء وحياة كل من يأتي النهر إليه (حز 47: 9). وعلى النهر ينبت على شاطئه من هنا ومن هناك كل شجر للأكل لا يذبل ورقه ولا ينقطع ثوره. كل شهر يبكر لأن مياهه خرجة من المقدس، ويكون ثوره للأكل وورقة اللواء" (حز 47: 12). ويتحدث زكريا النبي عن بيت جديد حيث تخرج مياه حية من أورشليم إلى المشرق والمغرب "ويكون الرب ملكاً على كل الأرض" (زك 14: 9).

تحدث السيد المسيح عن جسده كهيكل مقدس أقامه في ثلاثة أيام (يو 2: 18-22)، فيه نقوم لنحيا عابدين بالروح والحق. كما تحدث مع المرأة السامرية عن هيكل جديد لا يرتبط بالسامرة أو أورشليم (يو 4: 21)، وكشف لنا يوحنا الحبيب عن الهيكل السموي (رؤ 22).

2. عبادة بلا قداسة:

أوضح النبي أنه لكي ينعم الشعب ببركات بيت الرب يؤمهم أن يصلحوا الطريق الذي يسلكونه، مجرين العدل بين الإنسان وصاحبه [5]، وأن يقدموا عمل المحبة خاصة للغريب واليتيم والأرملة [6]، وألا يسفكوا دم الأبرياء [6]، وأخيراً ألا يعوجوا بين الفريقيين، قائلاً: "أتسرقون وتقتلون وتترنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبلع وتسرون وراء آلهة أخرى لم تعرفوها ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دُعي اسمي عليه وتقولون قد أنقذنا؟!!" [8-10].

هيكال الرب هو القصر الملوكي، مركز ملكوت الله الذي هو ملجأ للأمل والأيتام والغرباء، سخي بالنسبة لكل نفس محتاجة وموولة. فإن ملس الشعب العنف والقسوة يحسبون خراج الهيكل حتى إن دخلوه بأجسادهم وقدموا عطايا وتقدمات وذبائح!

❖ كان هذا الهيكل جميلاً وعجيباً مقدساً، لكن حين فسد الذين يستعملونه صار محتوياً ومرفولاً وندساً، حتى دُعي قبل السبي "مغلة لصوص" ... وسُلم بعد ذلك في أيدي الواوة الفاسدين النجسين. [158]

القديس يوحنا الذهبي الفم

3. عدم الاعتبار بشيلوه:

بعد أن أوضح لهم إفسادهم لبيت الرب، مقدماً الدلائل التالية:

أ. يسبحون الله بأفواههم بكلمات كاذبة ويجدّفون عليه بقلوبهم وسلوكهم [4]،

ب. يظنون أنهم قادرون على خداع الله، إذ حولوا بيته إلى مغلة لصوص [11].

ج. حولوا بيته من جماعة مملوءة حباً ورحمة وقداسة إلى جماعة قاسية ظالمة [6].

عاد ليؤكد لهم أنه وإن كان طويل الأناة لكنه لا بد أن يعاقب، مقدماً بذلك ما حدث مع "شيلوه" مثلاً.

"إذهبوا إلى موضعي الذي في شيلوه الذي أسكنت فيه اسمي أولاً وانظروا ما صنعت به من أجل شر شعبي إسرائيل" [12].

إنه ليس تهديداً مجرداً، فما حدث مع شيلوه مركز العبادة وموضع الفوح الذي تحول إلى خراب، سيحدث أيضاً مع الهيكل.

شيلوه مدينة في شمال بيت إيل شرقي الطريق الصاعدة من بيت إيل إلى شكيم (نابلس) (قض 21: 19)، تبعد حوالي 17 ميلاً شمال أورشليم،

ربما هي التي تسمى الآن سيلون. اختلها الرب مؤلاً للتابوت وخيمة الاجتماع لمدة حوالي 300 عاماً، وفيها قسم يشوع البلاد على الأسباط (يش 18:

1، 8-10)، وفي عهد القضاة كان الشعب يجتمع سنوياً في شيلوه للعيد. قرر ولاد عالي الكاهن أخذ التابوت معهم من شيلوه وخرجوا للحرب، لكنهم

خسروا المعركة وضاع التابوت (1 صم 4: 1) ولم يعد بعد إلى شيلوه كما هو واضح من (1 صم 21: 1). نُقل التابوت إلى أورشليم بعدما أخذه

الفلسطينيون في الحرب ثم أعانوه إلى قوية بعليم. وكانت شيلوه خربة في أيام رميا وفي أيام القديس جيروم (راجع 26: 6).

4. طلب صلوات الغير بدون توبة:

كانت الشفاعة عن الشعب جزءاً حياً من عمل الأنبياء والكهنة، فصموئيل النبي يقول: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة

من أجلكم" (1 صم 12: 23). وفي المصفاة إذ هاج الفلسطينيين عليهم قالوا لصموئيل: "لا تكف عن الصواخ من أجلنا إلى الرب إلهنا فيخلصنا من يد

الفلسطينيين (1 صم 7: 8). وأيضاً موسى كان يشفع في شعبه حتى قال الرب له: "أتركني ليحمني غضبي عليهم وأفنيهم، فأصوّك شعباً عظيماً" (خر 32:

10).

صلوات القديسين تسند النفس المجاهدة الواغبة في التوبة، أما إذا أصوت على عنادها فلا نفع لها، إذ يقول الرب لإرميا النبي: "وأنت فلا تُصلِّ

لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليّ لأني لا أسمعك" (7: 16؛ 11: 14). الله الذي قال: "أحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (2 مل 19: 34) في أيام حزقيا الملك البار، لم ينطق بهذا في أيام الشر المتكاثر حين أسلم المدينة لنبوخذنصر. تظهر شكلية العبادة في الاعتماد على صلوات القديسين المنتقلين والمجاهدين دون أي رغبة في التوبة والندامة. وأنت فلا تصلي لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليّ لأني لا أسمعك" [16] (11: 14).

لقد استفاد يعقوب المجاهد من صلوات أبيه إذ يقول للابن: "ولا أن إله أبي كان معي لكنت الآن قد صوت فرغاً" (تك 31: 42). كما يقول الله عن نفسه: "أحامي عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسي ومن أجل داود عبدي" (2 مل 19: 34). قال هذا حين كان حزقيا البار ملكاً، لكنه لم يقلها في أيام الشر حين أسلم المدينة لنبوخذنصر.

في هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [إن كنا مهملين لا نستطيع أن ننال خلاصاً ولا بمساعدة الآخرين... أقول هذا لا لكي نكتفي بطلبات القديسين إنما لكي أوقف إهمالكم واكتفاءكم بالنقّة في الآخرين وأنتم مطروحوحون على ظهوركم [159]. كما يقول: [ما أعظم بركات صلوات القديسين إن كنا أيضاً نعمل [160].]

لا يمنح الله لرميا من تقديم الصلوات عن الشعب، فإنه يُسر أن يجد قلوباً مفتوحة بالحب تصلي للغير في غير أنانية، لكنه يؤكد له أن هذه الصلوات ليست بذية قيمة بالنسبة للشعب ما لم يُقدم الشعب نفسه توبة.

5 . تقدمات وذبائح لله والأوثان:

يبدو أن رميا النبي قد تأثر جداً عندما طالبه الله: "لا تصلي لأجل هذا الشعب ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة ولا تلح عليّ لأني لا أسمعك" [16]، فتساءل: "لماذا يرب؟" وجاءت الإجابة صريحة وواضحة: "أما ترى ماذا يعملون في مدن يهوذا وفي شولع أورشليم؟ الأبناء يلتقطون حطباً، والآباء يوقدون النار.

والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكاً لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكي يغيطونني" [17-18].

غاية العائلة هو الحب والتعاون ليعيش الكل بروح الله في الأحضان الإلهية، لكن الخطية شوهدت هذه الغاية حتى صار الأعضاء في العائلة الواحدة يدفعون بعضهم بعضاً إلى الهلاك الروحي.

هذه الصورة التي أوضحها الله على فم رميا النبي لا تزال قائمة في عائلات كثيرة حيث يدفع الآباء والأمهات ولأدهم وبناتهم إلى البعد عن حياة الشوكة مع الله في المسيح يسوع ربنا، بل أحياناً يؤموهم بالسلوك غير اللائق تحت حجة الخوف على ولأدهم من الرغبة في التكويس الكامل لخدمة الله وعبادته في أية صورة من الصور.

كان الكعك على شكل نجم ذي ثمان أطراف رمزاً لآلهة السموات (49: 19).

هكذا تحولت العائلات (الكنايس الصغرة) عن هدفها لا للخدمة لله بل لمقاومته. لكنهم في الواقع كانوا يقاومون أنفسهم، إذ يقول:

"أفأياي يغيطون يقول الرب؟

أليس أنفسهم لأجل حوري وجوهم؟

لذلك يقول السيد الرب:

ها غضبي وغيطي ينسكبان على هذا الموضع على الناس وعلى البهائم وعلى شجر الحقل وعلى ثمر الأرض فينتقدان ولا ينطفئان" [20].

❖ يريدنا أن ننتقم لأنفسنا من معاصينا، بهذا لا تحلّ نعمته علينا.

لهذا السبب يهدد على الوام بالعقوبة، لكيما بالخوف يحطم الاستخفاف، وعندما يكون التهديد وحده كافياً أن يحلّ الخوف فينا لا يسمح الله لنا أن ندخل في الضيقة عملياً [161].

القديس يوحنا الذهبي الفم

لا تسيء الخطية إلا إلى فاعلها، تسكب من طبيعتها عليه، فيحمل الخزي والعار وتحلّ الخسرة على الناس والبهائم والأشجار والمحاصيل. تحلّ على النفس البشرية (الإنسان) وعلى الجسد (البهائم) وعلى مواهب الإنسان وقواته (النباتات)، تحطم طبيعته وإمكاناته! في الأصحاح الرابع أعلن أنه إن رجع إسرائيل يكون سر بركة للشعوب الأخرى حيث تتوبك الشعوب بالله وبه يفتخرون (4: 2) ... وعلى العكس هنا يعلن أنه إن سقط الشعب في الشر يحلّ غضب الله لا على الناس فحسب بل وعلى البهائم وشجر الحقل وثمر الأرض. هكذا قد يكون الإنسان سرّ بركة للآخرين أو سرّ لعنة حتى للخليفة الجامدة التي خلقها الله من أجله.

كانوا يقدمون الذبائح والتقدمات وفي نفس الوقت يتجوزون كل وصايا الله ويجرون وراء آلهة غريبة [9]، وكان الذبيحة فريضة لإرضاء الله دون طلب الله نفسه. لقد فقدت الذبيحة والمحرقة كل معني روحي في حياتهم، لهذا يوبخهم قائلاً: "ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمًا" [21]. لقد فقدت محرقاتكم وذبائحكم طبيعتها كتقدمة للرب وصلت في نظري لحمًا لا آكله، تأخوه من قدامي وتأكلوه أنتم فلا حاجة لي به، أو كما سبق فقال بإشعياء النبي: "لماذا لي كثرة ذبائحكم... أتخمت من محرقات كباش مسمنات، وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر" (إش 1: 11).

إن كانت الذبيحة هي سرّ المصالحة مع الله لكي يجد الإنسان له موضعاً في حضنه بالمسيح الذبيح، فما قيمتها إن قدمت مع إصوار الإنسان على عدم المصالحة وعدم الرغبة في الدخول إلى حضن الله؟! لهذا يعاتبهم قائلاً: "لأني لم أكلم آباءكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبحة، بل أوصيتهم بهذا الأمر، قائلاً: اسمعوا صوتي فأكون لكم إلهًا وأنتم تكونون لي شعباً..." [22-23]. هذا العتاب بعينه قاله على لسان عاموس النبي: "هل قدمت لي ذبائح وتقدمات في الوية أربعين سنة يا بيت إسرائيل؟! (عا 5: 25). رفض الذبيحة ليس بسبب شرّ فيها، وإنما بسبب شرهم.

❖ إذ لم يؤمنوا سلوا في الفهم الخاطئ للشريعة، يفسرون الأمور حسب فهمهم وليس حسب فهم الكتاب المقدس. وبطريقة ريائية تفسد النصوص الواضحة للكتاب... لهذا حوهم بلميا... فإنهم إذ ظهروا أنهم يحفظون الفصح كانوا عاجزين عن أن يُعبروا عن الفرح والبهجة، كما قال رميا: "وأبطل من مدن يهوذا ومن شولع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس" (7: 34)... لهذا فإن هذه الذبائح والتقدمات لن تُسر الله، ولا طلبتها الكلمة الإلهية منهم. [162]

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ هذا تفسوي، وإنني أرجو في الرب أن يمنحني بصلواتكم ألا أكون بعيداً عن الحق. بيدولي أن الله لم يعط وصاياه وشوائعه بخصوص الذبائح عندما أخرجهم من مصر في الحال. ولا ذلك الذي قدم الشريعة عني بالمحرقات في ذاتها هكذا، إنما كان ينطلع إلى ما ترمز إليه وما تشير إليه: "لأن الناموس له ظل الخوات العتيدة" (عب 10: 1) وأن هذه الفوائض "موضوعة إلى وقت الإصلاح" (عب 9: 10). لهذا السبب لا يعالج الناموس موضوع الذبائح مع أنه يحوي وأمر خاصة بها. [163].

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ لا يقبل منكم الذبائح، ولا أمركم بتقديمها عن احتياج إليها إنما بسبب خطاياكم.

القديس يوستين الشهيد

❖ ماذا يقول؟ "لأني لم أكلم آباءكم بهذه الأمور يوم أخرجتهم من أرض مصر، بل أوصيتهم: لا يحمل أحد فوكاً في قلبه ضد أخيه" (7: 22-23، زك

العلامة أوريجينوس

❖ إذا كنا غير فاقدي الذكاء فعلياً إن نفهم مقاصد الله وصلاحه... إنه يقول: "الذبيحة لله قلب متواضع" (مز 50: 19)، والقلب المنسحق عطر للرب الذي خلقه. [165]

رسالة يوناياس

❖ أخشى لئلا يُقال عنا نفس الشيء: "انظر ماذا يفعلون؟ ليس من يطلب أمور المسيح، بل الكل يطلب ما لنواتهم. أطفالهم يجرون نحو الدنس، وأبؤهم يجرون نحو الطمع والنهب، ونسلؤهم إذ لا يرجعون أزواجهن عن مغريات العالم وأباطيله يلهوا شهواتهم للعالم. [166]

القديس يوحنا الذهبي الفم

عرف رميا النبي والكاهن أن الله أمرهم بتقديم ذبيحة الفصح في مصر قبيل خروجهم، كما قدم شوائع خاصة بالذبايح في الشريعة الموسوية؛ بل وأدرك اليهود خلال التقليد الشفوي منذ آدم وما بعده: إواهم وإسحق ويعقوب عن ضرورة تقديم ذبايح دموية، فلماذا يقول هنا: "لأنني لم أكلم آبائكم ولا أوصيتهم يوم أخرجتهم من أرض مصر من جهة محرقة وذبيحة" [22] ؟ أوضح ذلك بتكملة الحديث أنهم سلكوا بروح العصيان ولم يسموا لأنبيائه وكانوا غير مستعدين للاستماع، فحُسبت وصية تقديم المحرقات والذبايح بلا قيمة، إذ يقول:

"لم يسموا ولم يميلوا أذنه، بل ساروا في مشورات وعناد قلوبهم الشرير، وأعطوا القفا لا الوجه.

فمن اليوم الذي خرج فيه آبؤكم من أرض مصر إلى هذا اليوم أرسلت إليكم عبيدي الأنبياء مبكراً كل يوم ومرسلاً؛ فلم يسموا لي، ولم يميلوا أذنه، بل صلوا رقابهم. أساعوا أكثر من آبائهم. فتكلمهم بكل هذه الكلمات ولا يسمعون لك، وتدعوهم ولا يجيبونك... باد الحق وقطع عن أفواههم" [24-28].

في عناد قلوبهم وغلف أذانهم أعطوا الله القفا لا الوجه. وقد سبق لنا في وراستنا لسفر حزقيال أن نتفهم هذه العبرة. فالإنسان الروحي يتشبه بالشاروبيم المملوء أعيناً، كله وجوه، وليس فيه قفا. بمعنى أنه لا يقدر أن يعطي القفا لله أو لأخيه، أي لا يحمل كراهية خفية أو ظاهرة ضد خالقه ومخلصه ولا ضد إخوته.

6 . مراثاة على رفض الله بيته:

"جوي شعوك واطرحيه،

ورفعي على الهضاب مراثاة،

لأن الرب قد رفض ورنل جيل رهوه" [29].

يطلب النبي من يهوذا أن تجز شوها، كما تفعل النساء قديماً في حالة الحزن الشديد؛ فإن كان شعر المرأة هو جمالها وإكليلها، فإنها إذ تجزه

تعلن عن مِرارة نفسها، حيث حُرمت من جمالها وتحقيق رسالتها. كان جَزَّ الشعر كعلامة للحنن يملسه الرجال أيضًا كما النساء (أي 1: 20، مي 1: 16).

جاءت الكلمة العبرية للشعر "nezer" تشير إلى النذر كما إلى الإكليل [167]. فإن كان حلق الشعر يشير إلى كسر النذر بالنسبة للذير الذي يكوس حياته للوب (عد 6: 2-8؛ قض 16: 15-22)، فإن مملكة يهوذا وقد تدنست بعبادتها للأوثان وعصيانها المستمر لم تعد أمة مقدسة نذوة الوب، فلا حاجة لبقاء شعورها، بل تخوه. إنها غير أهلٍ للنذرو لا لإكليل المجد.

عوض مملستها للتسبيح للوب كندوة له، ترفع مراثاة، لأن الوب قدرفض ورنل جبل رحوه [29]، لأنهم نجسوا بيته إذ "وضعا مكواتهم في البيت" [30]. جاءت كلمة "مكوات" *siqqus* "حوالي 28 موة في العهد القديم، غالبًا ما تشير إلى عبادة التماثيل، وإن كانت أحيانًا تشير إلى كل ما يمس العبادة الوثنية من رجاسات مثل ركاب الأونا كوج من العبادة. هكذا انحط الشعب في ذلك الوقت فأقاموا الأوثان في بيت الوب كما فعل منسى الذي "بنى مذابح في بيت الوب... ووضع تماثيل السرية التي عمل في البيت" (2 مل 21: 3، 7)، ورتكوا الفحشاء هناك تحت اسم التكريس للوب.

ومن ناحية أخرى بنوا مرتفعات توفة في وادي هنوم (جهنم) جنوب أورشلين. كانت النوان فيها لا تنقطع، حيث يلقي الناس البقايا والعوادم. في هذه المرتفعات كانت تُقدم ذبائح بشوية (2 مل 23: 10). يقدم الناس أبناءهم وبناتهم ويحرقونهم بالنار تقدمة للإله مولوك لذا يهدد الوب أورشلين انه يجعل منها "توفة" التي تعني بالعبرية أي "موضع نار" تحرق فيها أجساد الكثرين (19: 13، 30: 33). وادي الرباية حاليًا، وكان الحد الفاصل بين نصيبي يهوذا وبنيامين وقد أخذت جهنم اسمها عن "ابن هنوم" أو "جى هنوم" حيث يتعرض الأثوار للنار الأبدية.

7. مراثاة على رفض الله شعبه:

إن كان الإنسان يرتكب الخطية من أجل لذات الجسد والبهجة الزمنية، فإن الله في محبته يسمح له أن يُحرم من هذه الأمور ليبرك أن الخطية موة ومحطمة للنفس والجسد. وقد عبّر عن ذلك بقوله:

"وتصير جثث هذا الشعب أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مؤعج.

وأبطل من مدن يهوذا ومن شولع أورشلين صوت الطرب وصوت الفرح،

صوت العريس وصوت العروس،

لأن الأرض تصير خرابًا" [23-24].

ما هي هذه الأرض الخربة إلا جسد الإنسان الذي تحرمه الخطية من التمتع بسكنى العريس السلمي فيه والاتحاد معه، واقتناء ملكوته الداخلي

المفوح، والشوكة مع القديسين والسمايين!؟

❖ الجاحدون ينحرفون عن الصلاة والشكر، ويحرمون أنفسهم من الفرح الناجم عنهما. لأن الفرح والبهجة يُنوّعان من أفواههم. "نعم فإن أعياد الأثوار هي ويلات.

❖ [168] إذ يعزل الجاحدون الصلاة والشكر يحرمون أنفسهم من ثمر الفرح.

البابا أنثاسيوس الرسولي

❖ يخوّعون أعيادًا (1 مل 12: 32-33)، لكن النتيجة هي أيام للحنن أكثر منها للبهجة. إذ "لا سلام قال الوب للأثوار" (إش 22: 48). وكما قيل لنا: "وأبطل صوت الطرب وصوت الفرح من أفواههم" (7: 34) نعم، باطلة هي أعياد الأثوار [169].

حول مراثي إلى تسبحة فوح!

- ❖ أعتف لك يا إلهي،
كثوًا ما أسبحك بفتي وأما قلبي فتقيل.
افتح شفتي لألهج بحبك،
وحول حياتي إلى تسبحة فوح!
لتكن أنت قوتي وتسبحتي،
فأنعم بعرون سمواتك!
- ❖ كثوًا ما قدمت عطايا وتقدمات،
لكني أحجت عن أن أقدم ذاتي ذبيحة حب ومحرقة لك!
دنست أورشليمي الداخلية،
وأفسدت هيكلك في أعماقي.
توبني فلا أكون كشيلوه التي خربت،
ولا كالهيكلي الذي تحطم واحترق!
- ❖ إني أستشفع في صلوات أنبيائك ورسلك وكل قديسيك،
لكن ليس في رخوة قلب،
ولا بدون توبة!
- ❖ إني أقيم مراثاة على نفسي المحطمة،
لكنك بروحك القنوس تحول مراثي إلى تسبحة فوح!



الأصاح الثامن

شكالية في حفظ الشريعة

إذ شاهد لرميا النبي الجوع المحتشدة في أورشليم قادمة لتملرس لبيتورجيات التسبيح ولمساهمة في تكاليف إصلاح الهيكل وتقديم ذبائح، قادمة في تشامخ وفوح من أجل الهيكل الذي أصلوه حديثًا، يلتمسون صلوات الأنبياء والكهنة حزن للغاية، لأن عبادتهم حملت الشكل نون الروح. كما عاد بفكره إلى وادي هنوم لوى الأطفال القادمين مع والديهم للعبادة هناك يُقدمون ذبائح للوثن... تحرق الأمهات أطفالهن! هذا هو موضوع الأصاح السابق، أما هنا فيركز على موضوع "كتاب الشريعة" الذي وُجد أثناء إصلاح الهيكل وقُدّم للملك. تهلل الكل بوجود السفر نون الاهتمام بالاستماع العملي

لما ورد فيه. ظنوا أن مجرد حفظ كتاب الشريعة في الهيكل فيه كل الحماية، حتى وإن احتفظوا بعبادتهم الوثنية وملسوا رجاساتها.

1 . الخلط بين كلمة الله والعبادة الوثنية [1-3].

2 . حفظ الشريعة بدون التوبة [4-12].

3 . حفظ الشريعة بدون ثمر الروح [13-17].

4 . الحاجة إلى المسيح الكلمة [18-22].

1 . الخلط بين كلمة الله والعبادة الوثنية:

تلامس رميا بروح النبوة مع كلمات السيد المسيح: "دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات" (مت 19: 14).

بينما كان يشاهد الشعب قادمًا بأطفاله إلى الهيكل ليعنوا بهم إلى "ابن هنوم" يقدمون بعضهم للقتل أو الحرق باسم الوثن. لقد اختاروا لأنفسهم ولأولادهم العرلة عوض الفوح الحقيقي، والموت عوض الحياة.

انحرف الكل: الملوك والرؤساء والكهنة والأنبياء الكذبة والشعب وعبوا الآلهة التي بلا حياة واهبة الموت عوض الله الحي واهب الحياة. وها

هو يقدم لهم الله سؤال قلبهم، إذ يقول:

"في ذلك الزمان يقول الرب

يخرجون عظام ملوك يهوذا وعظام رؤسائه وعظام الكهنة وعظام الأنبياء وعظام سكان أورشليم من قبورهم،

ويبسطنونها للشمس والقمر ولكل جند السموات التي أحبها والتي عبوها والتي ساروا وراءها والتي استشاروها والتي سجنوا لها.

لا تجمع ولا تدفن بل تكون دمنة (روتًا) على وجه الأرض.

ويختار الموت على الحياة

عند كل البقية الباقية من هذه العشيرة الشريفة الباقية في كل الأماكن التي طردتهم إليها يقول رب الجنود" [1-3].

تهللكل بوجود سفر الشريعة التي يعتزون بها حرفيًا بغير روح، يهتمون بنسخها بكل دقة، ويغسلون القلم لتطهره قبل كتابة اسم "يهوه"،

ويحسبون عدد الحروف حتى لا يخطئوا في كلمة، ويضعون الشريعة في الهيكل، ولا يلمسها من كان دنسًا. ومع هذا كله كانوا يعبدون الأوثان ليس تحت

ضغط العدو، ولا عن جهالة، لكنهم أحبوها وعبوها وسلوا وراءها واستشاروها وسجنوا لها. شعروا أنها مشبعة ومفوحة ومرشدة لهم تستحق كل عبادة

وسجود! والعجيب في الأمر أنه لم يكن ذلك عن احتياج مادي أو لطلب الكرامة، فقد عبدها الملوك والعظماء والكهنة الخ. الذين لا ينقصهم شيء ما.

ما هو ثمر ذلك؟

أ. الذين عبوها وهم أحياء تُخرج عظامهم بعد الموت لتُنبسط للشمس والقمر وجند السماء التي تعبوا لها، فيصيرونها في عارٍ وخرى حتى بعد

موتهم.

العدو الذي عبوا آلهته ينكل بهم، حيث يُخرج عظام الكل من القبور ويلقي بها في الطريق للتشهير والإهانة، إذ كان الوثنيون يعتقدون أن إهانة

عظام الموتى تجرح نفوس الواقدين، وتدمير بقايا الأموات وعظامهم يُلقى بهم في بحر النسيان [170].

بمعني آخر الكل أخطأوا: الذين كانوا في عصر رميا ومن سبقهم، لذلك تحل الإهانة حتى بالأموات [171].

هم اختاروا الآلهة الميتة عوض الإله الحي، لذا يحل بهم الموت، ويحل بهم العار حتى بعد موتهم.

ب. صلت عظام الكل - الملوك والعظماء والكهنة والأنبياء والشعب - ملقاة "كدمنة على وجه الأرض"، أي كالروث أو بقايا الحيوانات، وهذا

لا يحمل فقط معني الإهانة، وإنما تدنيس الأرض. فمن يفسد حياته باعتراف الله مُدسسه تصير حتى عظامه دنسة ونجسة لا يطبق الناس رؤيتها أو لمسها،

أما من ينقدس بروح الله فتتقدس عظامه لتتقيم أمواتًا كما حدث مع يشع (2 مل 13: 21)، وينقدس ظله ليشفي المرضى كما حدث مع بطرس الرسول (أع 5: 15) وتتقدس حتى المناديل والخوق التي على حواشاته لتخوج الشياطين كما حدث مع بولس الرسول.

ج. إخراج العظام من القبور وبسطها أمام الكواكب إنما يعني توبيخًا من الله الذي تركه وهم أحياء، كأنه يسأل عظامهم إن كانت تقدر أن تتعبد لها؟! أما مؤمنوه فستقوم عظامهم وتشترك أجسادهم نفوسهم العبادة السملوية الملائكية.

د. كان اهتمام الغزيين بنيش القبور عادة قديمة، غايتها سلب كل ما وُضع مع الواقدين من معادن ثمينة وحجارة كريمة وأوان قيمة الخ [172].
هـ. يقول " هذه العشيرة الشريفة " [3]، وكأنه بهذا التأديب المرّ يؤكد الله لهم أنهم أشرار ليس فقط في تسابيحهم بلا عمل، واهتمامهم بالتقدمات والذبائح بلا روح، والانشغال بالهيكل الخرجي دون الداخلي وإنما أشرار حتى كأسوة واحدة!
و. وسط هذا العار والورلة يشتهي الكل الموت فلا يجدونه، إذ قيل: "ويختار الموت على الحياة" [3]. وكما جاء في سفر اليرميا: "كانت قتلى السيف خوارًا من قتلى الجوع" (ير 4: 9)، وقال يوحنا النبي: "موتي خير من حياتي" (يوحنا 4: 8).

في اختصار يمكننا أن نفرن بين الارتباط بكلمة الله الحية وليس بالكلمة في حرفيتها مع اعوال الكلمة الإلهي نفسه هكذا:

- ★ ينال المؤمن سؤل قلبه، ويتمتع بالمكافأة حسب أعماله، الأول يرتبط بالكلمة الحية فيحيا بها ومعها، والثاني يرتبط بالباطل فيصير باطلاً.
- ★ تهب كلمة الله الحية شوكة مجد أبدى، والتخلي عن الله يهين حتى عظامنا بعد الموت، فيجعلها أشبه بالروث الملقى في الزاب.
- ★ تقدس كلمة الله النفس والجسد حتى الخليقة الجامدة.
- ★ كلمة الله غنى، والتخلي عنها يحث للصوص على سلب حتى قبورنا.
- ★ كلمة الله يجعلنا أهل بيت الله، وتركها يجعلنا عشيرة شرة.
- ★ كلمة الله تعطي رجاءً، وتركها يبث روح اليأس، فيشتهي الإنسان الموت ولا يجده.

2. حفظ الشريعة بدون التوبة:

بعد أن تحدث عن خطورة الاهتمام بالكتاب المقدس (الشريعة) لحفظه في الهيكل دون الالتصاق بالله وحده يؤكد أيضًا خطورة قبوله في غير

توبة أو الرجوع إلى الله، إذ يقول:

"وتقول لهم هكذا:

هل يسقطون ولا يقومون؟

أو يريد أحد ولا يرجع؟

فلماذا يريد هذا الشعب في أورشليم رتدادًا دائمًا؟!

تمسكوا بالمكر.

أبوا أن يرجعوا" [4-5].

يبدأ الحديث بالجمع "يسقطون"، ويكمل بالفرد "يرتد"، لعله أراد تأكيد أن الله ينتظر رجوع الشعب كله كائنة واحدة له، كما يتوقب توبة كل عضو في الجماعة، أي يطلب التوبة الجماعية كما التوبة الشخصية. فكما انغمس الشعب كله في الشر، وأحب كل عضو منهم الخطية هكذا تكون أيضًا التوبة. وي بعض المفسرين اليهود أن صيغة الجمع هنا تشير إلى الشعب وصيغة المفرد إلى الله، وكأن تفسيرهم هو هذا: "هل يعود الشعب إلى الله بعد سقوطهم، ولا يرجع الله إليهم؟!"

وي البعض أن ما جاء بصيغة الجمع يشير إلى الجانب السلبي وما جاء بصيغة المفرد يشير إلى الجانب الإيجابي، وكأن التفسير هو: هل يسقط

الشعب في الشر ويبقى في سقوطه نون قيام؟! هذا هو الجانب السلبي، أما الإيجابي فهو: هل يرتد أحد إلى الله ولا يجد الله راجعاً إليه؟!

هكذا يؤكد رميا النبي الاتّوام بالتوبة كعمل رئيسي في تمتعنا بالشريعة، فإننا وإن سقطنا يتّوقب الله قيامنا، وإن عاد قلبنا إليه نجده ينتظونا ليحملنا

فيه.

يطلب الله عودتنا إليه باستمرار، بل ونمونا في الشركة معه، وذلك بفضل نعمته العاملة فينا، ولكن ليس بغير رادتنا، لأن الله يقدر الحرية

الإنسانية.

وكما يقول **الأب شيريمون** : [أن الله يبدأ معنا ما هو صالح، ويستمر معنا فيه، ويكمله معنا. وذلك كقول الرسول "الذي يقدّم بذراً للزرع وخزراً

للأكل سيقدم ويكثر بذركم وينمي غلات بركم" (2 كو 9: 10). هذا كله من أجلنا نحن، لكي باتضاع نتبع يوماً فيوماً نعمة الله التي تجذبنا. أما إذا قومنا

نعمته بوقبة غليظة وأذان غير مختونة (أع 7: 51)، فإننا نستحق كلمات النبي رميا القائل " هل يسقطون ولا يقومون؟! أو يرتد أحد ولا يرجع؟! فلماذا

رتد هذا الشعب في أورشليم رتداداً دائماً؟! تمسكوا بالمكر، أيها أن يرجعوا؟!"] [173]-[4]5.

في رقة عجيبة يؤكد لنا النبي أن الله ينتظونا نون أن يعاتب على الماضي، إذ يقول: "فلماذا رتد هذا الشعب في أورشليم رتداداً دائماً؟!"] [5].

في دهشة يعاتب: كيف احتمل هذا الشعب كسر الشريعة والتغوب عن الله مصدر حياته على اللوام؟ ألا يليق به أن يرجع إليه؟!

ظن البعض أنه إن سقط إنسان مؤمن لا يمكن أن يقوم، وكتب **القديس أمبروسيو** كتاباً عن قيام الساقطين من المؤمنين قمت بتوجمته تحت

عنوان "التوبة"، كما فند **القديس يوحنا ذهبي الفم** ذلك في مقاله الأول لثيودور الساقط.

❖ السقوط في ذاته ليس بالأمر الخطير، بل يكمن الخطر في البقاء منوطاً بعد السقوط، وعدم القيام مرة أخرى. فالجبن والكسل يخفيان نية الضعف

الخلقي تحت حجة اليأس [174]...

❖ ليتنا نحن الساقطون لا نياس بل نقول: " هل يسقطون ولا يقومون؟!"] [4] ... فإنه يوجد من ارتفع من هاوية الشر إلى السماء، ومن المسلح

والأوركستوا إلى طقس الملائكة، وملسوا فضيلة عظيمة كهذه حتى أنهم صاروا يخرجون شياطين ويصنعون عجائب أخرى [175].

❖ نصيحتنا ليست هي عن عدم السقوط بل قوة الساقطين على القيام.

لنقم ثانية حتى إن كان الوقت متأخراً،

أيها الأطباء، لنقم ونقف!

إلى متى نبقي مطروحين رُضاً؟!

إلى متى نبقي سكرى بالوغبة المتوايدة للأمر الزمنية؟

[176] إنها فرصة مناسبة الآن لنقول "إلى متى اتكلم واشهد؟" هكذا صار كل الناس صمّ حتى بالنسبة للتعاليم الخاصة بالفضيلة، بهذا امتلأوا شروراً.

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ الكل سقطوا، وهم لا يباليون بالقيام.

لهذا فإن نصيحتنا لا تخص عدم السقوط، بل قوة الساقطين على القيام.

لنقف مرة أخرى أيها الأحباء، مهما طال بنا السقوط.

[177] لنقف مرة أخرى، لنقف بكرامة!

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ أن تسقط هذا ليس بالأمر الخطير، وإنما الخطورة أن تبقى منبسطاً بعد السقوط نون أن تقوم ثانية، وأن تقوم بدور الإنسان الجبان والبليد وتستمر في

[178]

حالة عجز بسبب اليأس ...

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا تياس من الخلاص. اذكر كيف جاء في الكتاب المقدس إن الساقط يقوم، والضال يرجع، والمجروح يُشفي، والذي هو فريسة للحيوانات الضلالية يفلت، والذي له خطاياهُ يُغفر له...
إنه وقت للاحتمال وطول الأناة والشفاء والتصحيح.
هل تعثرت؟ قم.

هل أخطأت؟ كف عن الخطية. لا تقف في طريق الخطاة (مز 1: 1)، بل اهرب منها. عندما تتغير تنهد فتخلص. فإن الجهاد يجلب الصحة والعرق الخلاص [179].

القديس باسيليوس

❖ في حديث الأب شيريمون عن حماية الله يقول: [إنه لا يريد أن يهلك أحد أصاغه، فكيف لا نكون مجدفين إن كنا نتصور أنه لا يريد كل البشر أن يخلصوا بل بعضهم؟! فالذين يهلكون إنما يهلكون بغير رادته [180].
❖ لأنه بحق يريد رحمة لا ذبائح (هو 6: 6، مت 9: 13).
السماء، والملائكة هناك، توح بتوبة إنسان (لو 15: 7، 10).
لتوح أيها الخاطيء، ها أنت ترى إني أوح بعودتك [181].

العلامة ترنتليان

أما العائق عن رجوعهم فهو "المكر" الذي تمسكوا به، أو خداع الأنبياء الكذبة الذي عوض أن يحثوهم على التوبة سلموهم إلى التهاون، إذ قيل:
"برؤيا كاذبة وعوافة وباطلٍ ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم" (14: 14).
لقد فقد الشعب إزانه ليمرس كل منهم هواه كفسٍ نائرٍ في وسط المعركة دون ضابط له [6]؛ بل صاروا يناقضون الطبيعة ذاتها. فالطيور تعرف بالطبيعة موعد رجوعها إلى وطنها، أما هم فيهجرون الله ولا يعرفون للتوبة والرجوع موعدًا. أفقدتهم الخطية "المعرفة" و"الحكمة" و"الحق"، فسلكوا في الكذب.

هذا ما عبر عنه النبي مؤكدًا أنهم أكثر جهالة من الطيور:

"بل اللقلق في السموات يعرف مياعده،

واليمامة والسنونة المزرقرة حفظتا وقت مجيئهما.

أما شعبي فلم يعرف قضاء الرب.

كيف تقولون: نحن حكماء وشريعة الرب معنا؟!

حقًا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتابة الكاذب" [7-8].

تعرف الطيور والحيوانات مواعيدها بالغريزة وتحتمها، وأما شعب الله الذي هو تاج الخليقة الأرضية كلها فلا يعي نداء خالقه، ولا يبرك "قضاء" الرب، أي خطته الإلهية نحو شعبه. بهذا فقوا روح الحكمة والمعرفة.

يكشف لنا القديس يوحنا الذهبي الفم كيف انحطت حياتنا وطبيعتنا، فصرنا أقل من الحيوانات والطيور. لكن مسيحنارفعنا من هذه المذلة

بصعوده ووهبنا التمتع بسمواته، إذ يقول:

[انظروا إلى طبيعتنا كيف انحطت ثم ارتفعت. فإنه ما كان يمكن النزول إلى أكثر مما تول إليه الإنسان، ولا يمكن الصعود إلى أكثر مما ارتفع

إليه المسيح... ويوضح بولس ذلك إذ يقول: "الذي قول هو الذي صعد أيضًا". أين قول؟ إلى أقسام الأرض السفلي؛ وصعد إلى "فوق جميع السموات" (أف 4: 9-10)...

إننا لم نكن سوى زابًا ورمادًا... لقد صونا أكثر غباء من الحيوانات غير العاقلة، فقد صار الإنسان يُقرن بها و صار مثلها (مز 48: 21؛ إش 1: 3)...

أنظروا كيف صونا أكثر غباءً من الحمار والثور (إش 1: 3)،

ومن طيور السماء واليمامة والسنونة [7]...

صونا تلاميذًا للنمل (أم 6: 6)...

أكثر جمودًا من الحجرة (إش 6: 2)،

نُشِبَّه بالأفاعي (مز 58: 5)...

نُدعى أبناء إبليس (يو 8: 44)...

هكذا صار انحطاطنا وعدم استحقاقنا!!!...

لكن اليوم ارتفعت طبيعتنا فوق كل خليفة.

اليوم استعاد الملائكة من فقوهم منذر من بعيد!

اليوم رُؤوا طبيعتنا في العرش الإلهي تتلأأ في جمال أبدى ومجد سومدي! [182].

❖ لتتعلم من هذه الحيوانات وأمثالها أن نسلك في الفضيلة، وتجنب الشر بالأمر المضادة [183].

القديس يوحنا الذهبي الفم

هنا أول إشارة للكتابة كفتة خاصة مسؤولة عن تفسير الشريعة [184]. يظهر من (1 أي 2: 55) أن الكتابة كانوا منظمين على أساس عشائر أو

أسر معينة، وفي (2 أي 34: 13) كان لهم دورهم الحوي في أيام يوشيا. على أي الأحوال كان لهم نشاطهم في وقت مبكر عن هذا، يقومون بكتابة

السجلات الرسمية لمملوك إسرائيل ويهوذا، ويمسكون حساباتهم، كما كان بعضهم ينسخون التوراة، وكان لهم عملهم التعليمي. خلال تعاليمهم الخاطئة

يحولون الحق الكتابي إلى الكذب، يهتمون بالتوراة ككتاب دون الاهتمام بالله نفسه.

استلموا الشريعة، ووجدت بين أيديهم، لكن طمعهم أعمى عيون قلوبهم، فصاروا في ظلمة الجهل التي حلت على كل الطبقات وكل الأعمار:

الصغير والكبير، الكاهن والنبى والشعب.

بجانِب عبادتهم للأصنام وكسورهم للوصية يلجأون إلى خداع أنفسهم بنوات كاذبة. فعوض التوبة يطلبون من الأنبياء والكهنة سلامًا كاذبًا

وخداعًا، لهذا ظهر أنبياء يتتباون ليس حسب أمر الله إنما حسبما رُضى أهواء الناس، وبادت الشريعة عن الكاهن والمشورة عن الشيوخ. هؤلاء يقولون

"سلام سلام ولا سلام" [11].

بينما كان الأنبياء الكذبة يتكلمون بالناعامت (إش 30: 10)، لكي يهدئوا مخاوف الشعب، ويكسوا القيادات لصفهم على حساب الحق، كان

الأنبياء ينطقون بالحق ولو كان جرحًا.

كلمات الأنبياء الكذبة أعطتهم طمأنينة خادعة إلى حين، فحسبها الكل نواءً لراحاتهم. "ويشفون كسر بنت شعبي على عثم، قائلين: سلام سلام

ولا سلام" [11]. ومن جانب آخر زعت عنهم روح الحياء والخجل حتى إن ارتكبوارجاسة.

هل خزوا لأنهم عملوا رجسًا؟

بل لم يخزوا خزيًا ولم يعوفوا الخجل.

لذلك يسقطون بين الساقطين في وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب" [12].

في اختصار قبلوا كلمة الله في حرفها بدون التوبة فصاروا في جهالة:

أ. يسقطون ويستسلمون بغير توبة ورجوع [4-5].

ب. صاروا كالخيل الثائرة بلا ضابط في وسط المعركة [6].

ج. نقضوا الطبيعة وخالفوها، فصاروا أخط من الطيور [7].

د. قبلوا كلمات الكتبة الكاذبة [8].

هـ. انشغلوا بالبرج القبيح فضلوا عن الحق [10].

و. قبلوا خداع الأنبياء الكذبة [11].

ز. ففقا الحياء في خزيهم [12].

3 . حفظ الشريعة بدون ثمر الروح:

إذ قبلوا الشريعة الإلهية بدون التمتع بالتوبة صلت كلمة الله بالنسبة لهم عقيمة وبلا ثمر. صاروا أشبه بكرم بلا عنب وشجرة تين بلا ثمر،

فاستحقوا اللعنة واقتلاعهم من حقل الرب:

"وَعَا أَوْعَهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ.

لَا عِنَبَ فِي الْجَفْنَةِ،

وَلَا تِينٌ فِي التَّيْنَةِ،

وَالْوَرَقُ ذَبِيلٌ،

وَأَعْطَيْهِمْ مَا يَزُولُ عَنْهُمْ" [13].

ينزعها من انتسابها له بكونها كرمته وتينته. فالنفس التي لا تلتصق بإخوتها حول خشبة الصليب كما تجتمع حبات العنب معاً، والتي ترفض أن تلتقي معهم حول غلاف الوحدة العذب كما يحدث لبذار التين الرفيع، تفقد انتسابها للكومة أو التينة، ولا تُحسب عضواً في كنيسة المسيح، ولا تتمتع بخلاصه.

إن كان الورق يشير إلى مظاهر الخدمة والعبادة، فحتى هذه المظاهر تذبل وتزول عنهم، كقول السيد المسيح للشجرة غير المثمرة: "لا يأكل أحد

منك ثمراً بعد إلى الأبد" (مر 11: 14)، "وفي الصباح إذ كانوا مجتازين رؤوا التينة قد يبست من الأصول" (مر 11: 20).

يصف النبي كيف انتزع الله كرمه، أو كيف سلّم شعبه للسبي هكذا:

أ. باطلاً حاول شعب يهوذا أن يحمي نفسه من العدو، إذ يقولون:

"لماذا نحن جلوس؟

اجتمعوا فلندخل إلى المدن الحصينة ونصمت هناك.

لأن الرب إلهنا قد أصممتنا" [14].

أرخوا أن الخطر قد حلّ بهم فقررُوا الدخول إلى المدن الحصينة، لا ليستعنوا للمقاومة، بل في خيبة يصمتون أمام هذا الحدث الرهيب الذي

سمح به الرب لهم لتأديبهم، ينتظرون لحظات الموت وهم في رعب. تتحول مدنهم الحصينة إلى مقابرٍ جماعية!

ب. قدم الله لهم الكأس التي ملأها لأنفسهم، كأس سم الخطية المرّ والمميت: "وَأَسْقَانَا مَاءَ الْعَلْقَمِ لِأَنَّا قَدْ أَخْطَأْنَا إِلَى الرَّبِّ" [14]. ولعله قصد

بذلك الماء الذي يُقدم للزوجة الخائنة لامتحان أمانتها لرجلها (عد 5: 11-31)، فإن ثبتت خيانتها تُقتل.

ج. فقوا السلام الذي وعدهم به الأنبياء الكذبة: "انتظرونا السلام ولم يكن خيراً" [15]. تأكلوا أن الرجاء الذي قدم لهم كان كالسواب المخادع.

د. فقوا تسكين الجراحات الذي قدمه الكذبة لهم كشفاء، وحلّ عوض راحة الضمير رعب وخوف: "وزمان الشفاء وإذارعب" [15].

هـ. جاء العدو بعنف شديد حتى سُمعت حممة خيله في أورشليم عندما دخل العدو في دان، وهي الحدود الشمالية للبلاد التي دخل منها العدو

(حاليًا منطقة الهولان)؛ وعند صوت صهيله رتجت كل الأرض [15]، لأن العدو ضخم للغاية.

و. جاء عوهم ليأكل ويلتهم مفترسًا كل من يلتقي به: "فأثاقوا وأكلوا الأرض وملاها، المدينة والساكنين فيها" [16].

ز. ضوبة لا علاج لها، كسم الحيات التي لا تُرقى . "لأني هأنذا مرسل عليكم حيات أفاعي لا تُرقى فتلدغكم يقول الرب" [17]. في القديم

"رسل الرب على الشعب الحيات المحرقة فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون" (عد 21: 6)، وقد "صنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية فكان

متى لدغت حية إنسانًا ونظر إلى حية النحاس يحيا (عد 21: 9). أما وقد أصر الشعب على المقاومة ففي هذا التأديب رسل حيات أفاعي لا تُرقى.

4. الحاجة إلى المسيح الكلمة:

أدرك النبي رميا ما وصل إليه الشعب في علاقتهم بالشريعة، إنهم يحفظونها دون توقف عن العبادة الوثنية، فيخلطون الحق بالباطل [1-3]،

يقولونها دون تقديم توبة واشتياق نحو الرجوع إلى الله [4-12]، يعترفون بها دون أن يحملوا ثمر الروح [13-17] فامتلاً قلبه هولرة، وبدأ يتساءل: ما

هو الحل؟ أما من نواء لهذا الشعب؟ أما من طبيب يهتم بهم؟

عبر عن هولرة نفسه، قائلاً:

"من مفوج عني الحزن؟

قلبي في سقيم" [18].

هكذا لم يقف رميا شامئًا في ذلك الشعب الذي لم يسمع له، بل وقلومه بشدة، إنما كان يئن مع أناتهم، إذ أدرك بروح النبوة ما سيحل بهم في

السبي. هذا هو روح الحق المملوء حبًا الذي به يشعر رميا أن جراحات شعبه إنما هي جراحاته هو، تنزق جسده، وتحطم حياته. لقد اهترت نفسه فيه

جدًا، فقال "أخذتني دهشة"، أي حلّ به رعدة في أعماقه. كأنه يتشبه بمخلصه الذي دخل إلى البستان يحمل آلامنا في جسده، صرخًا: "نفسى حزينة جدًا

حتى الموت".

لم يقف رميا النبي متوجًا، لكنه دخل مع شعبه إلى أتون الألم، تنزق قلبه تمامًا، قائلاً: "قلبي في سقيم" [18].

يليق بنا كغرباء على الأرض أن نهتم بالغرباء، وكأناس معرضين للسقوط تحت الضيق أن نسند المتضايقين، إذ يقول الرسول: "اذكروا المقيدين

كأنكم مقيدون معهم، والمذلين كأنكم أنتم أيضًا في الجسد" (عب 13: 3). لا نشركهم بالوثاء المجرود بل بالحب العامل، نشعر بالشوكة الحقيقية مع كل

عضو. "فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه" (1 كو 12: 26)؛ "فوحًا مع الفوحين وبكاءً مع الباكين" (رو 12: 15). هذه الشوكة

عاشها أولاد الله في العهدين القديم والجديد، فيقول رميا النبي وهو وى شعبه منسحقًا بسبب السبي رغم مقاومة الشعب له: "من أجل سحق بنت شعبي

انسحقت، حزنت، أخذتني دهشة" [21]، ويقول الرسول: "من يضعف وأنا لا أضعف، من يعثر وأنا لا ألتهب؟! (2 كو 11: 29). وتظهر شوكة الحب

العملي في كلمات آباء الكنيسة المحبين، فيقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ليس شيء أحب إليّ أكثر منكم، لا، ولا حتى النور! إنني أود أن أقدم بكل

سرور عيني ربوات العوات وأكثر - ما أمكن من أجل توبة نفوسكم!... إنني أحبكم، حتى أنوب فيكم، وتكونون لي كل شيء، أبي وأمي وإخوتي

وولادي].

سمع النبي بروح الحب صوت شعبه في أرض السبي يستغيثون وليس من محبب:

"ألع الرب ليس في صهيون؟

أو ملكها ليس فيه؟! ...

أليس بلسان (نواء) في جلعاد [185]؟

فلماذا لم تُعصب بنت شعبي؟! [19-22].

لم يستطع رجال العهد القديم أن يتمتعوا بالإجابة على هذه الأسئلة إلا قلة قليلة خلال الرموز والظلال، لذا كانوا يصرخون: "مضى الحصاد، انتهى الصيف، ونحن لم نخلص" [20]. إذ كان الفلاحون يتوقعون في ذلك الحين أن يحصدوا الحنطة في الفترة ما بين شهري إويل ومايو، وإن لم تأتِ

الحنطة بحصاد يتوجون حصاد العنب والتين والزيتون الخ. في الصيف. لكن عبر وقت الحصاد وانتهى الصيف وليس من ثمر! أي رجاء لهم بعد؟

رجاؤنا في السيد المسيح القائل: أنا هو البلسان، أنا هو الطبيب! "من أجل سحق بنت شعبي انسحقت، حزنت، أخذتني دهشة" [21]. وجدنا

الإجابة في مسيحنا الذي بصليبه انسحق لوردنا من سبي الخطية، ويدخل بنا إلى أورشليمه السماوية، ويقمنا ملوكًا وكهنة لله أبيه.

يقدم لنا مسيحنا طرق علاج كثرة:

❖ إنكم تجدون بالحق طرق علاج كثرة من الشر في الكتاب المقدس، أدوية كثرة تخلصكم من النوار وتود لكم الصحة،

أسوار الموت والقيامة،

عبوات الدينونة المرعبة والعقاب الأبدي،

تعاليم التوبة وغفوان الخطايا،

وتوضيحات بلا حصر عن الندامة مثل الوهم (المفقود)، والخروف (الضال)، والابن الذي أنفق ماله مع الزواني، الذي كان ضالاً ووُجد، وميتاً

فعاش (لو 15).

لبيتنا لا نستخدم طرق العلاج هذه بطريقة شريرة، وإنما لنستخدمها لشفاء نفوسنا. فكر في يومك الأخير [186] ...

القديس باسيليوس

من وحي إرميا 8

بشريعتك أتلذذ

❖ عرفت شريعتك وحفظتها منذ حداثتي،

عرفتها بفكري وعقلي،

هب لي أن أختوها بقلبي وحياتي!

أخطأت إذ لم أتوقها في سلوكي،

هب لي أن تكون لذتي وحياتي ومرشدي!

❖ خرج شريعتك كل ما فيّ يتدنس،

حتى عظامي بعدر قادي تصير في عارٍ وخرى!

بشريعتك تتقدس كل حياتي،

حتى أكلي وشربي وملبسي وكل عظامي!

❖ عجيبة هي شريعتك... هبني أن ألتصق بها!
أتحذ بها فأحيا، ولا يقدر الموت أن يحطمني!
أقدس بها، ففتبلك نفسي مع جسدي وعظامي!
أغتنى بها، ولا يقدر لص ما أن يسلبني كزي!
تضمني إليك، فأصير عضواً في العائلة السماوية!
تفتح لي أبواب السماء، فلن يقدر الموت أن يحطم رجائي!

❖ لتحملي كلمتك إلى التوبة، فارجع إليك،
ولا أصير في غبوتي كخيل جامح في وسط المعركة!
لا أقبل كلمات الخطية الناعمة،
بل في حياء وخجل أعترف لك بأثمي!

❖ شريعتك كشفت لي عقمي وهرارة خطيبي.
لم أجد لي حصناً من خطاياي سواك،
ولا من يزع عني ماء العلقم سوى صليبك،
ولا من يرد لي السلام إلا قيامتك.
ولا من يهيني الشفاء من خطاياي إلا نعمتك،
ولا من يخلصني من العدو الشرير المقترس إلا قوتك.

تعال يا مخلصي الصالح،
فقد لدغنتي الحية المحرقة،
انقذني، خلصني، ورفع غضبك عني!

❖ أنت يا مخلصي هو الكلمة الإلهي!
أنت هو بلسم جلعاد الذي يشفي جراحاتي!
أنت طبيب النفس والجسد!
لتعصب أعماقي، ولتهبني الشفاء،
فلوجد معك إلى الأبد!

<<

الأصاح التاسع

مرثاة على الجميع

رأينا في الأصحاح السابق كيف كاد قلب رميا النبي أن يتمزق بسبب ما سيحل على شعبه من تأديبات قاسية مع إصوار الشعب على عدم التوبة. وما هو هنا يدعو إلى إقامة مراثاة على شعبه بسبب ما بلغ إليه من شكلية في عبادته وحرفية في حفظه للشريعة بلا ثمر روحي:

1. بكاء النبي الدائم [1-2].

2. عدم مبالاتهم بحالهم:

أ. انشغلوا بالمكر [3-9].

ب. صاروا في فؤاغ [10-11].

ج. رفضهم الشريعة [12-16].

3. الدعوة لإقامة مراثاة على صهيون [17-22].

4. الله واهب الحكمة والمعرفة [23-24].

5. الدينونة بلا محاباة [25-26].

1. بكاء النبي الدائم:

"يا ليت رأسي ماء وعيني ينوع دموع فأبكي نهلاً وليلاً قتلى بنت شعبي" [1].

لم يكن أمام رميا النبي الذي توجعت أحشؤه في داخله، وكادت جواران قلبه أن تتهار إلا أن يبكي بولرة، ويود أن يبقى باكياً بغير توقف حتى يعمل روح الله لتبكيك الشعب واعترافهم بخطاياهم فيعودون إلى الرب.

هذه هي مشاعر كل مؤمن حقيقي، يبرك ما للدوع الصادقة من قدسية في عيني الله، من أجل خلاص نفسه ومن أجل خلاص إخوته.

إذ رأي القديس باسيليوس كيف تسللت الهرطقات إلى قلوب البسطاء تفجرت ينابيع عينيته، قائلاً:

❖ إنى أبكي أياماً كثرة على الشعب الذي انسحب للهلاك خلال التعاليم الثروة، فإن أذان البسطاء قد ضلت واعتادت أن تسمع الشورور الهرطوقية.

[187] القديس باسيليوس

وفي حديث القديس يوحنا الذهبي الفم لصديقه الساقط ثيودور يقول:

❖ إنه وقت مناسب لي أن أنطق بهذه الكلمات الآن.

نعم، بل وأكثر مما كان في أيام النبي. فإن كنت لا أحزن على مدن كثرة، أو كل الأمم، لكنني أحزن على نفسٍ تولى أمم كثرة كهذه، بل

وأثمن منها.

إننى لا أحزن لأجل دمار مدينة أو أسر الأشرار لها، بل لأجل تدمير روحك المقدسة... وهلاك الهيكل الحامل للسيد المسيح وإبادته... هذا الهيكل

أقدس من ذلك (هيكل العهد القديم)، فإنه لا يتألق بذهبٍ أو فضةٍ بل بنعمة الروح القدس، وبدلاً من تابوت العهد وتمثالي الشاروبيم يوجد في القلب السيد

المسيح وأبوه والبل اقليط.

[188] القديس يوحنا الذهبي الفم

ويعلق القديس جيروم على هذه الآية بقوله: [إنه في هذا المعني، يتحدث النبي مع خدام الكنيسة، داعياً إياهم حوائطها وواجها، قائلاً لكل

منهم: "أيها الحائط، لتترف الدوع" (روا 2: 18) [189].

أعطى النبي سبباً لبكائه في (2: 10): "لا تبكوا ميئاً، ولا تتدوه. ابكوا ابكوا من يمضي، لأنه لا يرجع بعد فوى أرض ميلاده".

ويصوخ القديس بولينوس أسقف نولا إلى الله كي يفجر في قلبه الحوي ينوع دوع لا يتوقف، فيبكي على ماضيه وينتخب أعماله السابقة،

حاسبًا هذه الدوع بنوع تقوي.

❖ من يقدر أن يمدني بينوع مجري الدوع، لأنتحب أعمالي وأيامي؟ فإنني محتاج إلى نهر لأبكي الضوبات القاسية التي استحقها من أجل حياة قضيتها في الخطية!

[\[190\]](#) القديس بولينوس أسقف نولا

هنا يقدم لنا رميا النبي مفهومًا جديدًا للراحة، إذ يجد تغويته وسلامه في جديته في العمل، وإن كلفه ذلك تحويل عينيه إلى ينوع دوع. لقد كان رمزًا للسيد المسيح الذي قيل عنه: "من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب مستهينًا بالخرى" (عب 12: 2). راحتنا وسرورنا في آلامنا من أجل إخواننا! وكما جاء في إشعياء النبي: "لأجعل لناحى صهيون، لأعطيهم... دهن فوح عوضًا عن الوح" (61: 3).

يربط بعض الغربيين بين الروحانية والفردية *individualism*، ويرون في رمياتنا "الفردية الدينية" وذلك لهجومه على الشكلية في العبادة الجماعية، وتركزه على الإصلاح الداخلي وختان القلب والأذن، إلا أن عباراته هنا (8: 18، 9: 1) تكشف عن خطأهم [\[191\]](#)، فإنه يبكي نهلاً وليلاً قتلى بنت شعبه، طالبًا الإصلاح الروحي الجماعي، والتوبة الجماعية دون عزلها عن توبة كل عضو في الجماعة.

كان بكاء الرجال علانية أمام الآخرين معيب، ففي أفضل وضع يُحسب علامة عن الضعف [\[192\]](#). لكن رميا قبل أن يُنسب إليه الضعف من أجل خلاص شعبه.

"ياليت لي في البرية مبيت مسافرين،

فأتوك شعبي وأطلق من عندهم،

لأنهم جميعًا زناة جماعة خائنين" [\[2\]](#).

في رقة شديدة حمل رميا النبي أخطاء شعبه في قلبه وفكره وكل أحاسيسه، فتفجرت فيه بنابيع دوع لا تتوقف وتتهادت داخلية مؤدة. كان في هذارمزًا للسيد المسيح، العبد المتألم، الذي حمل أخواننا، لكن شتان ما بين رميا النبي والسيد المسيح. فالأول بحب صادقٍ احتمل إلى حين لكنه كاد أن ييأس، فطلب الهروب إلى البرية، بعيدًا عن كل أحد، يبكي ويئن! أما مسيحننا فحمل أخواننا وأوجاعنا، ولم يشته الهروب، بل قول إلى بوية حياتنا ليبقى وسطنا حتى يحمل على كتفيه كل نفس يمكن أن تتوب وترجع إليه، قائلاً: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت 28: 20).

لقد قول إلى عالمنا، وحلّ بيننا كواحدٍ منا، وحين ارتفع إلى السماء لم يهرب منا، بل حملنا معه لكي نشاركه أمجاده!

لنحمل روح السيد المسيح، ولنشته أن نوجد وسط الشعب - مهما كان شرمهم - لكي نحمل آلامهم، ونبكي على ضعفاتهم، طالبين بيقين الإيمان وقوة الرجاء عمل الروح القدس فيهم.

ليتنا لا نهرب من طريق الصليب، ولا نخف من الأوجاع.

ولعل رميا النبي مع محبته الشديدة لشعبه وانسكابه في بذل حقيقي لذاته من أجلهم خشى أن يبقى معهم، يتلوث بسلوكهم الشرير، فيحل غضب

الله عليه معهم، لأنهم "جميعًا زناة جماعة خائنين" [\[2\]](#).

هذه هي الخطية الخطوة التي يركز عليها الأنبياء "الخيانة الزوجية"، بمعنى رفض النفس الاتحاد مع خالقها لتتحد مع عدو الخير، فتفوح بالشر

وتفتخر به، وكما يقول البابا أثناسيوس الرسولي:

❖ يوبخهم على شرمهم وكذبهم، وبسبب أعمالهم الشريرة، إذ يجرون من شرٍ إلى شرٍ، أما السبب الذي لأجله قدم اتهامًا أنهم غير أوار فهو أنهم لم يعرفوا الرب وغير أمناء.

[\[193\]](#) البابا أثناسيوس الرسولي

إن كانت بساطة الحب تحتاج إلى جهاد، لكنه جهاد العنوبة الذي يعطى راحة للنفس والجسد معاً، أما المكر فإن بدي سهلاً لكنه يقدم تعباً ومرة للنفس والجسد معاً، والعجيب أن الإنسان يرفض الراحة الداخلية ويطلب لنفسه أن يتعلم الشر والخبث بجهد وتعب مرّ.

بقوله: "لأن كل أخ يعقب عقباً *aqob yaqob*" [4] ربما يشير إلى قول عيسو عن أخيه يعقوب: "إلا إن اسمه دعي يعقوب، فقد تعقبني الآن موتين: أخذ بكوريّتي وهوذا الآن قد أخذ بركتي" (تك 27: 36). يعطى هنا مثلاً لاساءة تفسير الكتاب المقدس، فيعقوب تعقب أخيه فأخذ بكوريته بأكلة عدس وبركته بتقديم طعام لأبيه اسحق، وقد دفع ثمن خداعه، إذ خدعه ولاده زماناً هذا مدته حتى فقد بصره. أما هذا الشعب فتعقب كل واحد أخاه، لا لينال بركة أو بكورية، وإنما ليمارس الظلم والعنف والخداع لأجل حبهم في الشر ومباهاتهم به.

تعوا لكي يستقروا وسط مرة المكر، ويجعلوا منه مسكناً دائماً لهم، وكأنهم يرفضون بساطة الحق، ليعيشوا في مكر الباطل، أو يرفضوا السكنى في الله والوجود في أحضانه، ليستقروا في قلب إبليس الكذاب والمخادع. بهذا ففقا معرفة الرب، إذ قيل:

"مسكنك في وسط المكر.

بالمكر أبوا أن يعرفوني يقول الرب" [6].

ماذا يعني فقدانهم معرفة الرب؟

عدم إواكهم أن الله محب حتى في تأديباته، أما الأشرار فمبغضون حتى في قبيلاتهم.

"لذلك هكذا قال رب الجنود:

هأنذا أنقيهم وأمتحنهم.

لأنني ماذا أعمل من أجل بنت شعبي؟

لسانهم سهم قتال يتكلم بالغش.

بفمه يكلم صاحبه بسلام،

وفي قلبه يضع له كميناً" [7-8].

❖ نُحتمل جراحات الأعداء بأكثر سهولة من مدهانة الساخرين المملوءة مكرًا... قيل "كلام النمام مثل لُقْمِ حوّة فيقول إلى مخادع البطن" (أم 26: 22).... "الرجل الذي يطوب صاحبه ببسط شبكة لرجليه" (أم 29: 5).

[196] الأب يوسف

❖ الفم هو مصدر كل شر، بالأحرى ليس الفم بل الذين يسيئون استخدامه. فمنه تصدر الشتائم والإهانات والتجديف وما يثير الشهوات والقتل والزنا والسراقات، هذه جميعها مصورها إساءة استخدام الفم.

[197] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ إن صُنّت لسانك يا أخي يهيك ندامة في القلب، فترى نفسك. وهكذا تدخل إلى الفوح الروحي. أما إذا غلبك لسانك - فصدقتي فيما أقوله لك - فإنك لن تقدر أن تهرب من الظلمة.

[198] القديس مار إسحق السرياني

فقوا معرفتهم للوب بلسانهم الغاش، الذي يكلم صاحبه بالسلام وهو يخطط له في قلبه لهلاكه، الأمر الذي تجسم بصورة بشعة في يهوذا الذي كان تلميذاً للوب، وملتصفاً به حسب الجسد، لكنه لم يعرفه كرجٍ ومخلصٍ، فأسلمه بقبلة غاشة.

❖ لم يكن أحد مجرمًا في حق واهب الحياة أكثر قسوة من ذاك الذي تقدم باحترام مملوء خداعًا وتكريماً فاسدًا مقدمًا قبلة حبٍ غاشة، هذا الذي قال له الرب: "يا يهوذا أبقيلة تسلّم ابن الإنسان؟!!" (لو 22: 48)...

ثانياً: صاروا في فُاغ:

"على الجبال أرفع بكاءً ومراثاة،

وعلى مواعى البرية ندباً،

لأنها احترقت،

فلا إنسان عابر،

ولا يُسمع صوت الماشية.

من طير السموات إلى البهائم هربت، مضت.

وأجعل أورشليم رُجماً ومآوي بنات لوي،

ومدن يهوذا أجعلها خواباً بلا ساكن" [10-11].

السبب الثاني لعدم مبالاتهم بحالهم هو الدخول إلى حالة فُاغٍ داخلي. فالنفس لا تشبع من الله خالقها، وتحمله كسماء وعرش له. تفقد تقدوها لخالصها، ولا تترك حقيقة مركها، فتعيش كوعى احترق، يصير خواباً لا يعوره إنسان ولا يُسمع فيه صوت ماشية، ولا يهيم فيه طير. إنما يسكنه بنات لوي.

لقد صعد لميا على الجبال، أي على شريعة الله ومن هناك تطلع إلى الولاية، فوجد مراعيها قد احترقت بنوان الشهوات وحلّ بها خواب، فرفع صوته وبكى، مقدماً مراثاة على شعبه الذين دخلوا إلى حالة فُاغ.

الشير تتحول أورشليمه إلى رُجم [11]، عوض أن يكون قلبه مدينة الله المقدسة، يصير أشبه بمكان مهجور دنس، يُشتم فيه رائحة الموت. عوض أن تكون موعى للغنم، أي حظوة الخواف المقدسة التي تضم شعب الله، تصير مآوي لبنات لوي [11]، وهي حيوانات أكبر من الثعلب وأصغر من الذئب، دائماً تعوي؛ تتسم بالوحشية مع المكر والخداع، وتومز لعدو الخير إبليس وملائكته. وتصير مدن يهوذا خواباً، تحطم مواهب الإنسان وقدراته.

في اختصار يفقد الإنسان عقله ونفسه وجسده وقدراته ومواهبه ويدخل في حالة فُاغ:

أ. يحترق موعى قلبه بنار الشهوات، عوض إقامة راعي النفوس في داخله.

ب. ليس فيه إنسان، أي يفقد عقله الروحي ووعيه وآوانه.

ج. لا يُسمع صوت ماشية فيه، حيث يخسر حتى وكات الجسد.

د. تهرب منه طيور السماء، إذ لا تقدر نفسه أن ترتفع بروح الوب كما بجناحي حمامة إلى السماء.

هـ. تتحول أورشليمه الداخلية، أي قلبه، إلى رُجم مملوء دنساً.

و. يسكنه عدو الخير بمكوه وخداعه (بنات لوي).

ز. تتحطم مواهبه وقدراته (مدن يهوذا).

يقدم هنا مراثاة عن خواب أورشليم بسبب شوها. وقد كانت هذه العادة قائمة في أيام القديس جيروم [200].

يقول القديس أغسطينوس : [أورشليم الأرضية هذه هي ظل أورشليم السماوية]. [201] لقد اختار الله أورشليم بكونها الموضع الذي يسكن فيه اسمه (1 مل 11: 13، 2 مل 21: 4)، المدينة المقدسة التي يقطن فيها عرش الله (3: 16 إرخ)، وعلامة لحلوله وسط شعبه، لذلك حينما يؤدب شعبه يهدد

بندموها وخوابها (9: 11 ، 13: 9، 27؛ حز 4، 5، مي 3: 12). تحدث عنها الأنبياء كمركز للعمل المسياني، إليها يعود كل الأمم (إش 2: 2 الخ، 66: 18-20، مي 4: 1-3، حج 2: 7 الخ). وفي العهد الجديد أعلن السيد المسيح عن اشتياقه لخلاص المدينة، وقد صلت في الكنيسة الأولى بعد حلول الروح القدس موكبًا للمسيحية، فيها يلتقي الوسل والتلاميذ. لكن أنظار المؤمنين كانت بالأكثر تلتقى نحو أورشليم العليا (غلا 4: 26، عب 12: 22، رؤ 14: 1، رؤ 21) كغاية عبادتهم.

ثالثاً: رفضهم الشريعة:

"من هو الإنسان الحكيم الذي يفهم هذه؟

والذي كلمه فم الرب فيخبر بها؟

لماذا بادت الأرض واحتوت كبرية بلا عابر؟

فقال الرب: على تركهم شريعتي التي جعلتها أمامهم،

ولم يسمعوا لصوتي

ولم يسلخوا بها" [12-13].

من يرفض كلمة الله النورية التي تحرق أشواك الخطية، وتلهب القلب بنيران الحب الإلهي، وتجعل منه خادماً لله بنار سماوية، تشتعل فيه نيران

الشهوات، فتحوله إلى بوية خربة!

3 . الدعوة لإقامة مراثاة على صهيون:

لا يقف لميا النبي وحده يؤتى هذا الشعب، وإنما يطلب الله منهم أن يدعوا النادبات والحكيما ليرفعن مراثاة وينرفن الدعوى عليهم:

"هكذا قال رب الجنود:

تأملوا وادعوا النادبات فيأتين،

ورسلوا إلى الحكيمات فيقبلن،

ويسوعن ويرفعن علينا مراثاة،

فتترف أعيننا دموعاً وتفيض أجفاننا ماء" [17-18].

يقول رب الجنود: "تأملوا" [17] . لا طريق للتوبة بدون "التأمل" ، أي وقفة النفس قليلاً لتراجع نفسها عن كل تصرفاتها الماضية. أما دعوة

النادبات والحكيما فتشير إلى واسة كلمة الله مصدر التوبة والحكمة العلوية.

يريد الله كل إنسان أن يأتي ويؤتى صهيون ويبيكي عليها. لعله يقول إن كانت عيوننا قد جفت وقلوبنا قد غلظت فلنلجأ إلى إخواننا الروحانيين

ليسندوننا، نتعلم منهم حياة التوبة ونطلب صلواتهم عنا. إن أمكننا أن ندعو كل الخليفة لكي تسندنا بالصلاة إلى الله الذي يعيننا بفيض نعمته.

❖ أيتها التلال نوحى، أيتها الجبال اندي!

لندعو كل الخليفة لتشركننا بالوجدان بسبب خطايانا... لنلجأ إلى الملك الذي هو من فوق. لندعوه فيعيننا.

فإن كنا لا نطلب عوناً من السماء لا تكون لنا تغوية نهائياً فيما نحن قد سقطنا فيه.

[2021] القديس يوحنا الذهبي الفم

حينما نعيش مع التائبين نتعلم التوبة، وحينما نطلب رثاء الغير علينا نوثى نحن لحالنا، ونتعلم ونعلم إخواننا وأولادنا أيضاً البكاء على الخطية، إذ

يقول:

"بل اسمعن أيتها النساء كلمة الرب، ولتقبلن آذانكن كلمة فمه،

وعلمن بناتكن الوثائية، والموأة صاحبتهما الندب" [20].

أما علة الوثاء فهو إيراكنا أن الموت قد دخل إلى أعماقنا من خلال كوى الحواس، ليحطم قصورنا الداخلية المقامة لملكوت السموات.

"لأن الموت طلع إلى كوانا،

دخل قصورنا،

ليقطع الأطفال من خرج،

والشبان من الساحات" [21].

يجعل من الموت شخصًا يدخل إلينا، كما فعل إشعياء إذ جعل منه طرفًا يقيم معه الإنسان عهدًا "لأنكم قلتم قد عقدنا عهدًا مع الموت... وبمحي عهدكم مع الموت" (إش 28: 15، 18).

يدخل الموت إلينا خلال الحواس (الكوى)، ويسيطر على القلب، أي في قصورنا التي هي مسكن ملك الملوك. يقتل الأطفال الذين يلعبون في الخرج، أي يبيد الأثواق المقدسة للشوكة مع إلها، أو البدايات الطيبة للحياة الفاضلة في الرب التي لم تتأصل بعد فينا، كما يقتل الشبان من الساحات، أي يهلك حتى الأثوياء الذين كان يؤمهم أن يحلوا روحياً في الساحات.

في هذا يوبخهم على عبادتهم للإله بعل *Baal* الذي كان يكره النواذ، لأنه حسب الأساطير الكنعانية دخل بعل عليان *Baal Aliyan* في معركة ضد *Yamm* ، وإذ انتصر عليه أراد بناء قصر ضخم جداً، فاقترح عليه المهندس أن يوجد به نافذة، فقاوم الفكرة أولاً ، لكنه عاد فقبلها. خلال هذه النافذة قفز إليه الإله موت *Mott* ، إله الموت والعالم السفلي وسيد كل قوى التخريب، أخطر عدو للبعل عليان.

يصور الموت هنا أنه يصعد إلى النواذ ويدخل القصور ويقتل الأطفال والشباب في الشوارع وميادين المدينة، وهو تصوير مقابل الخلاص الذي به تمتلئ الشوارع بالشوخ، والأطفال يلعبون هناك (ك 8: 4-5).

يعود فيصور الموت في الحقول حيث الجثث تكون كواقى الحيوانات التي لا تجد من يجمعها ليدفنها. وكأن الموتى قد ملأوا القصور المهذمة والشوارع والميادين والحقول.

يدخل الموت إلينا خلال الحواس (الكوى):

❖ لنا خمسة شبابيك: النظر، السمع، التنوق، الشم، اللمس...

إن نظرت إلى امرأة لأشتهيها، لرتكب الزنا في قلبي، فيدخل الموت من خلال شباك النظر الذي بي...

إن كان صوت قيثارة أو رغن أو مزمار، يدخل الموت إلى النفس خلال حاسة السمع.

أيضاً أن لمست شيئاً ناعماً، يكسر مقاومة جسدي يدخل الموت خلال اللمس، وهكذا على نفس الخط [203].

❖ فتح دانيال نوافذه على أورشليم (7: 10)، فهل تحفظ نوافذك مفتوحة فقط تجاه النور لكي يدخل منها وترى الرب؟! لا تفتح تلك النوافذ التي يقول

[204] عنها النبي: "الموت يدخل في نوافذنا" (9: 21).

القديس جيروم

❖ لأنه ما هي الحاجة أن يُغلق باب قلبك أمام العويس؟

لُيُفتح للمسيح، ويُغلق أمام الشيطان، كالقول: "إذا صعد عليك روح ذلك الذي له قوة لا تترك مكانك" (رؤ 3: 20).

احتفظ دانيال في عليته بنوافذه مفتوحة نحو أورشليم، إذ لم يستطع أن يبقى أسفل (دا 6: 10).

أترك نوافذك مفتوحة، لكي ترى مدينة الله.

لا تفتح تلك النوافذ التي قيل عنها: "الموت يأتي خلال نوافذك" (9: 21).

[205] القديس جيروم

❖ يحربنا الشوير بمصادر في داخلنا، فيجلب علينا الموت من الكوى، كما يقول الكتاب المقدس، أي خلال الحواس.

[206] القديس غريغوريوس النزيوى

4 . الله واهب الحكمة والمعرفة:

لئلا يظن الإنسان أن التوبة هي عمله الذاتي أو أنه بحكمته ومعرفته ينمو روحياً أكد الرب:

"لا يفتخر الحكيم بحكمته،

ولا يفتخر الجبار بجبروته،

ولا يفتخر الغني بغناه،

بل بهذا يفتخرن المفتخر:

بأنه يفهم ويعرفني إني أنا الرب الصانع رحمة وقضاء وعدلاً في الأرض" [23-24].

جاء هذا الحديث إجابة على التساؤل الذي وُجِهَ ضد كلمات لرميا النبي: ماذا ينقصنا ونحن نفتتن الحكمة والقوة والغنى؟

في لغة مشابهة يتكلم النبي حزقيال عن أن الفضة والذهب التي يفتخر بها الإنسان لا تقيد شيئاً فيقول "يلقون فضتهم في الشوارع وذهبهم يكون

لنجاسة لا تستطيع فضتهم وذهبهم إنقاذهم في يوم غضب الرب. لا يشبعون منهما أنفسهم ولا يملأون جوفهم لأنهما صرا معزة إثمهم" (حز 7: 19).

يقتبس الرسول بولس هذه الآية ويطبقها في الرسائل إلى أهل كورنثوس (1 كو 1: 31، 2 كو 10: 17). ففي الأولى يقارن بين صليب

السيد المسيح والفلسفة أو الحكمة الإنسانية؛ فصليب المسيح هو قوة الله وحكمة الله للخلاص وقد صار ربنا يسوع المسيح لنا حكمة وواً وقداً وفداءً،

بهذا يهدم الرسول أساس افتخارهم بالناس، فإنهم في غباوتهم يقولون أنا لبولس وأنا لأبُلوس وأنا لصفاء؛ وكأن مصدر خلاصهم وحياتهم الناس. وفي

الرسالة الثانية يتألم الرسول مما سمعه عن أعمال المعلمين الكذبة المتعرفين، فإن من يظن أنه أفصح من غيره يكون بهذا قد افتخر بنفسه ونسى الرب.

لقد افتخر الأنبياء الكذبة بحكمتهم المخادعة، والقادة العسكريون بجبروتهم وقوتهم، وتصادموا مع لرميا النبي الناطق بالحق الإلهي، وحسوا حكمة الله

التي نطق بها جهالة.

هذه التسبحة تمجد حكمة الله وفهمه ومعرفته، الأمور التي يحسبها غير الروحانيين غبوةً وجهالةً، متكلين على حكمتهم البشوية وخبرتهم

الشخصية ومعرفتهم العقلية البحتة خرج داوة الإيمان والإعلان الإلهي. لهذا ففي رسالية السبعين رسولاً قيل: "تهلل يسوع بالروح وقال: أحمداً أيها

الأب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال. نعم أيها الأب، لأن هكذا صلت المسوة أمامك" (لو 10: 21).

ويقول الرسول بولس: "لأنه إذ كان العالم في حكمة الله لم يعرف الله بالحكمة استحسنت أن يخلص المؤمنين بجهالة الكورة... لأن جهالة الله أحكم من

الناس... اختار الله جهال العالم ليحرق الحكماء" (1 كو 1: 27-21). هكذا إذ أساء الإنسان إلى الحكمة التي وهبها الله إياها ظن حكمة الله جهالة...

5 . الدينونة بلا محاباة:

الله خالق الكل يدين الجميع بغير محاباة، إذ قيل:

"ها أيام يقول الرب وأعاقب كل مختون وأغلف،

مصر ويهوذا وأوم وبني عمون وموآب وكل مقصوصي الشعر مستدواً الساكنين في البرية،

لأن كل الأمم وكل بيت إسرائيل غلف القلوب" [25-26].

الخلفية وراء هذا النص هي العقيدة التي في ذهن اليهود أن ختان الجسد يفصل بين من يُنسب للحق ومن يُنسب للباطل. حقاً إن الختان هو علامة الدخول في عهد مع الله (تك 17: 9-14) وغيابه علامة العدوة لله (1 صم 17: 26، 36)، لكن هنا يُبرز أن ختان الجسد في ذاته لا يحمي الإنسان من غضب الله.

إن كان الكل قد سقط تحت الدينونة، الغلف حسب الجسد (الأمم)، والغلف حسب الروح أو القلب (اليهود)، لهذا يحتاج الكل إلى المخلص. يقول العلامة أوريجينوس: [يقول حزقيال النبي: "... الغريب أغلف القلب وأغلف اللحم لا يدخل مقدسي" (حز 44: 9) ... هنا إشارة إلى أنه مالم يُختتن الإنسان في القلب والجسد لن يدخل هيكل الله].^[207]

ذكر مصر في مقدمة القائمة لأن كثيرين من الشعب والقادة ظنوا أنها المنقذ من آشور أو بابل فيما بعد، هذا ومن جانب آخر فإن المصريين كانوا يملسون الختان حسب الجسد، لكنه ليس ختان للرب بل للأوثان، فهل يستطيع الختان أن يخلصهم؟! الدعوة هنا لقبول المخلص وممارسة التوبة عامة للجميع، لليهودي لأنه وإن كان مختون الجسد لكنه أغلف القلب [26]، وللأممي لأنه أغلف جسدياً وقلبياً.

رأد الله من شعبه ألا يتمثل بشيء مع الشعوب الوثنية، فمن عادات بعض الشعوب **يقص الرجال شوههم** ويبقون جزءاً في شكل سطح مستدير وسط الرأس لرضاء لألهتهم، لذلك دعاهم الوحي " **مقصوصي الشعر مستديراً** ". كانت هذه العادة تشير إلى تكريس الإنسان لعبادة آلهة معينة وثنية، أما مكوسوا الوب أو النذيريون فلا يعلو موسى رأسهم. بدون الرأس يفقد الشعر جماله وقيمه. كأن كل نفس تعتول مسيحها تكون كشوة رأس سقطت عن مصدر حياتها لا تستحق إلا الإلقاء في سلة المهملات. أما بقاء شعر اللحية فيشير إلى كرامة الكهنوت، فالمسيحي إذ يدخل مياه المعمودية يصير كاهناً روحياً بالمفهوم العام، يليق أن يحافظ على شعر لحيته الوجيهة أي سلوكه بما يليق كابن لله وكاهناً له.

من وحي إرميا 9

هب لي يرب دموعاً مقدسة!

- ❖ هبلي يارب ينوع دموع مقدسة،
فلتفع على جبل شويعتك، في وسط الوبية،
أكتشف خطاياي وخطايا إخوتي،
فأبكي نهلاً ولبلاً!
- ❖ أبكي لساني الذي يحمل سماً معسولاً،
يتكلم بالسلام مخادعاً، وقلبي غير مقدس!
ضع يرب حرساً لفمي وباباً حصيناً لشفتي!
قدّس كلماتي المنطوق بها والخفية!
فلا أدين أحاً، ولا أشي بأحد!
- ❖ انطلق الموت إلى أورشليمي،
تسلق خلال الكوى،

قتل أطفالى وشبانى!

حولها إلى بوية قاحلة ومقورة دنسة!

لم يعد يعبر بها إنسان،

ولا رعى فيها حيوان،

ولا يطير في سمائها طير!

من ينقذنى منه إلا أنت، يا واهب القيامة!؟

❖ قدس كوى نفسى، وحراس جسدى،

فلا يدخلها موت بعد،

ولا تصير أورشليمى رجماً،

بل مقدساً لك أيها القنوس!

❖ هبلى دموغاً مقدسة،

فأبكى بروح الرجاء!

أنتحب فى يقين عمل نعمتك يا مخلص العالم!

<<

الأصحاح العاشر

العودة إلى الله

بهذا الأصحاح ينتهى القسم الخاص بالعتاب العلنى فى داخل الهيكل.

إن كان فى الأصحاح السابع يتحدث عن تقديس البيت الداخلى، وفى الثامن عن عدم الاتكال على حفظ الشريعة حرفياً، وفى التاسع يقيم مراثاة

على ما وصلوا إليه، فى العاشر يتحدث عن العودة إلى الله.

1 . ترك الوثنية الباطلة وقبول الإله الحق [1-16].

2 . الخروج عن الأراضيات [17-22].

3 . قبول تأديبات الرب [23-25].

1 . ترك الوثنية الباطلة:

أول وسيلة للعودة إلى الله هو ترك الوثنية الباطلة [1-2]، رفض ما هو باطل وقبول الإله الحق [10].

أبرز أن الله فريد، وعظيم، ومهوب، سيد الطبيعة، ورب التاريخ، بينما عبادة الأوثان مجرد وهم، حيث يرتعب عابوها من ظواهر الكواكب السماوية كما من قطعة خشب من عمل أيديهم، يقيمونها تمثالاً يتعبون له، فى حقيقتها أشبه باللعين (خيال المقاتاة) التى يحركها الفلاح أينما أراد ليخيف الطيور، وهى فى حقيقتها ليست إلا عصا جامدة، يضع عليها الفلاح ملابس بشرية.

"هكذا قال الرب: لا تتعلموا طريق الأمم.

ومن آيات السموات لا ترتعوا،

لأن الأمم ترتعب منها...

أما الرب الإله فحق؛

هو إله حي وملك أبدي.

من سُخْطه ترتعد الأرض ولا تطيق الأمم غضبه" [10-1].

جاءت كلمة "تتعلموا" في العويية *itlmadu* وتعنى "تصيرون تلاميذاً". وكأن العبادة في الحقيقة هي تلمذة، حيث يحمل التلميذ روح معلمه، فمن

يتعلم للباطل يحمل روح

البطلان، ومن يتعلم للسيد المسيح الحق، يحمل روحه وحقه فيه.

إن كانت العبادة الوثنية قد أنوعت من الأرض إلى حد ما، لكنها لا تزال تُملس في حياة الكثيرين. عندما يتعبد إنسان ما للمال أو محبة المجد الباطل أو العلم أو حب السلطة، متجاهلاً احتياجات نفسه إلى التعرف على الله والاتصاق به، يبحث بطريق أو آخر أن تشبع نفسه، فيقيم في هيكل الرب الداخلي آلهة غريبة عاجزة عن أن تشبع حياته وتتطلق بها إلى السموات. إنها تشبه الشجرة التي يقطعونها من الوعر، يقيم منها النجار بآلاته تمثالاً، ويؤنونها بالذهب الذي يجلبونه من أوفاز والفضة من ترشيش [208]، يتعبون لها وهي عاجزة حتى عن الحركة، بل تحتاج إلى مسامير لتثبيتها وعدم

سوقتها، وإلى أناس يحملونها، لا تقدر أن تتكلم. يسافر الإنسان إلى ترشيش لكي يجلب فضة يطهرنها، وإلى أوفاز يشوي ذهباً لؤنونها. يلبسونها الإسمانجوني والأرجوان ليقدمونها في شكل ملوكي. لكنها مع كل ما تحمله من شكل جميل ومعادن نفيسة ومظهر ملوكي إلا أنها شجرة جافة، وقطعة

خشب لا قيمة لها: "أدب أباطيل هو الخشب!" [8]، وكما يترجمها البعض "تمثال خشب، تعليم لا قيمة له!".

إنها تماثيل لا حياة فيها ولا جنوى منها، تحتاج إلى من يعينها، لا أن تعين عابديها.

لا وجه للمقلنة بين الله وبين الآلهة الأخرى، إذ يقول: "ليس مثلك!" [6].

أ. "أما الرب الإله فحق" [10] ؛ من يلتصق به يصير حقاً ولا يدخل إليه البطلان، لهذا يقدم لنا السيد المسيح نفسه قائلاً: "أنا هو الحق" (يو 14: 6)، نفتتبه فنحمل الحق فينا، ولا يقدر الباطل أن يتسلل إلينا. أما من يلتصق بالآلهة الباطلة أو يتعبد لمحبة الأضرىيات فيصير باطلاً، ولا يطبق محبة الحق (2 تس 2: 10).

ب. "إله حي" [10] ؛ كائن نتعامل معه في علاقة شخصية، نجد في الله الآب أبينا الذي يحملنا في أحضانه، ويتعامل معنا كبنين له، ونلتقي بالكلمة عريس نفوسنا الذي يُناجينا ونناجيه، وبروحه القنوس ساكناً فينا، يقدسنا ويقودنا ويخبرنا بكل ما لابن الخ. هذه هي علاقتنا بالله الحي.

ج. "ملك أبدي" [10] ؛ علاقتنا بالله ليست على مستوى زمني مؤقت بل علاقة دائمة إلى الأبد. يملك فينا لا ليسيطر علينا وإنما ليقيننا ملوكاً، يهبنا شركة سماته فنصير خالدين ونعيش معه في مجده الملوكي إلى الأبد. أما من يعترل الله، فتصير نفسه مُستعبدة، تذللها الخطية وتحطم رادتها.

د. "إذا أعطى قولا تكون كثرة مياه في السموات والأرض" [13] . قوته ليست استواضاً لسلطانه، وإنما لخبر خليقته، يهب النفس (السماء) والجسد (الأرض) كثرة مياه، أي فيض روحه القنوس (يو 7: 37-39)، ليجولنا في مياه المعمودية من القفر إلى فودوس مثمر!

وكما يقول القديس كيرلس الأورشليمي: [المياه هي بدء العالم، والأردن هو بدء الإنجيل] [209]. ويقول العلامة توتليان: [لقد أنجبت المياه الأولى حياة، لا يتعجب أحد إن كانت المياه في المعمودية أيضاً تقدر أن تهب حياة] [210].

قديمًا "قال فكان"، إذ خلق العالم كله بكلمته، والآن يعطي قولا، أي بكلمته يهبنا روحه القنوس الذي يجدد خلقتنا بنعمته. إنه خالقنا الذي يجدد خلقتنا! وكما يقول الموتل "هو صنعنا وله نحن شعبه" (مز 100: 3).

ه. "صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من خزائنه" [13]، أي قدم للإنسان كل احتياجاته المنظورة (البروق والمطر) وغير المنظورة (الريح

يروق فينا فيهبنا روح الاستنلة، ونكتشف أسوار حب الله وإمكانياته. ويهبنا عطية روحه القوس كريح تهب حيث تشاء ولا نعرف من أين تبدأ ولا إلى أين تنتهي (يو 3: 18).

يحدثنا مار يعقوب السروجي عن بروق الاستنلة قائلاً:

[المعمودية هي ابنة النهار، فتحت أبوابها فهرب الليل الذي دخلت إليه الخليفة كلها!

المعمودية هي الطريق العظيم إلى بيت الملكوت، يدخل الذي يسير فيه إلى بلد النور! [211]

و. "من لا يخافك يا ملك الشعوب؟! لأنه بك يليق" [7]. إن كانت الشعوب قد قاومتها وقلبت الأوثان آلهة عوضاً عنه، لكنه يبقى في حقيقة الأمر "ملك الشعوب". هو "ملك العالم كله"، رانوا أو لم يربوا، نوح إليه كملكٍ موح، قائلين: "ليأت ملكوتك"، أما المقاومون فيخشون ملكوته ويوتعبون من سلطانه!

ز. "من سخطه ترتعد الأرض ولا تطبيق الأهم غضبه" [10]. إن كان الله بالنسبة لمؤمنيه كله عنوبة، يدخل معهم في عهد أوي، ويقدم إمكانياته لخالصهم وبنيانهم، ففي عدله أيضاً لا تستطيع الأرض أن تقف أمامه، ولا تطبيق الأهم غضبه! لا يحتمل الأثوار الالتقاء معه، لأنه كيف يمكن للظلمة أن تطبيق النور؟! أو للباطل أن يشترك مع الحق؟!!

ح. الله هو المدافع عن شعبه بكونه "رب الجنود اسمه" [17]. لذا يليق بشعبه كجنود تحت قيادته ألا يخافوا الآلهة الأخرى، هذه التي "في وقت عقابها تبديد" [15].

ط. الله واهب القوة والحكمة والفهم لأولاده المقدسين فيه. للعلامة أوريجينوس تعليق جميل على العبارة: "صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته، وبفهمه بسط السموات" [12]. وي أن من بين سمات الله ثلاث: القوة والحكمة والفهم.

يهب القوة لجسدنا الزابي (الأرض)،

والحكمة لنفوسنا (المسكونة التي يقطنها الثالوث القوس)،

والفهم لإنساننا الداخلي الذي على صورة آدم الثاني (السموات)، إنه يقول:

[لنأخذ هنا ما يمكننا أن نطلق عليه ثلاث صفات من سمات الله، وهي: قوته وحكمته وفهمه. ينسب النبي إلى كل منها عملاً خاصاً: للقوة الأرض؛ للحكمة المسكونة؛ للفهم السموات.

يقول: "صانع الأرض بقوته، مؤسس المسكونة بحكمته وبفهمه بسط السموات".

بما أننا رُض، أي تَاب، لأنه قيل لآدم: "أنت تَاب"، فإننا نحتاج إلى قوة الله. وبدون قوة الله لا نستطيع أن نقوم بأي عمل يفوق قوات

الجسد، لكننا ما أن نميت الأعضاء الأرضية، نقوم بالأعمال التي توافق رادة الروح، يقول الرسول: "الروح يमित أعمال الجسد".

إذا طبقت هذا الكلام "صانع الأرض بقوته" على الأرض الحقيقية، تجد في سفر أيوب: "أين كنت حين أسست الأرض... من وضع قياسها؟!... أو من مد عليها مظلماً. على أي شيء قوت قواعدها أو من وضع حجرزاويتها؟!". (أي 38: 4-6). أي أن قوة الله هي التي حافظت على الأرض في توازن كاملٍ وعجيبٍ.

انتقل أيضاً إلى المسكونة. إنني أعرف ما هي النفس المسكونة وما هي النفس الخالية. إذا كانت النفس لا تحمل الله، إذا كانت لا تحمل السيد المسيح الذي قال: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه ناتى وعنده نصنع مؤلاً" (يو 14: 23)، وإذا كانت لا تحمل الروح القدس، فإنها تكون خالية. لكنها تكون مسكونة حينما تكون ممتلئة من الآب والابن والروح القدس. توجد أمثلة عديدة في الكتاب المقدس، لوجود الآب والابن والروح القدس في نفس الإنسان.

يطلب داود النبي في زمور التوبة من الآب أن يمنحه هذه الأرواح:

و"روح مدبر عضدني"،

"روحًا مستقيمًا جدده في أحشائي"،

"روحك القدوس لا ترعه مني".

من هم هؤلاء الأرواح الثلاثة؟ الروح المدبر هو الآب، الروح المستقيم هو السيد المسيح الابن، والثالث هو الروح القدس.

قلنا هذا لكي نوضح أن المسكونة لم تخلق إلا بحكمة الله. وذلك بما أن: "الحكمة تجعل الحكيم أقوى من عشرة حكام في المدينة"، وأيضًا: "لأن

مزوى الحكمة والتأديب شقي. إنما رجؤهم باطل وأتعابهم بلا ثروة وأعمالهم لا فائدة فيها" (حك 3: 11)، كما يقول سفر الحكمة لسليمان.

وأيضًا، بما أن المسكونة قد أسست بحكمة الله، فليكن لنا نحن أيضًا الاشتياق أن يقيم الرب ويؤسس مسكونتنا التي ربما تكون قد سقطت. لأن

هذه المسكونة التي لنا قد سقطت حينما جننا في موضع الفساد ^[212]، وسقطت حينما أخطأنا وابتعدنا عن الرحمة والحق، وكانت محتاجة أن تؤسس.

الله هو الذي "أسس (أعاد تأسيس) المسكونة". فإذا أخذت كلمة المسكونة بمعناها الحرفي المادي، ابحت كيف يمكن أن نقول أن الله قد أعاد

تأسيس المسكونة. هل سقطت المسكونة قبل ذلك حتى يعيد الله تأسيسها؟ أما إذا أخذت كلمة المسكونة بالمعنى الذي أشرت إليه قبلاً، وهو النفس

البشرية، فإن كل من يوجد في هذه المسكونة يحتاج حتمًا إلى إعادة تأسيس. وإلا لما احتاج أحد إلى إعادة تأسيس لو لم يكن قد سقط قبل ذلك.

من المؤكد أن كل الذين في هذه المسكونة سقطوا بسبب الخطية ثم أقامهم الرب وأعاد تأسيسهم. "إن الجميع ماتوا في آدم" هكذا سقطت

المسكونة، واحتاجت أن تؤسس ثانية حتى أنه "في المسيح الجميع يحيون" بذلك نكون قد قدمنا تفسيرًا مزدوجًا للمسكونة. لقد أوضحنا من جهة كيف أنه

في كل إنسان تكون نفسه إما مسكونة أو خالية، ومن جهة أخرى أوضحنا معنى إعادة تأسيس المسكونة نفسها.

"وبفهمه بسط السموات". لم يختبر لميا كلمة أفهم مع السموات اعتبارًا. تجد في سفر الأمثال العبرة: "الله في حكمته أسس الأرض وهياً

السموات بفهمه". إذاً يوجد عند الله فهم لن تستطيع أن تجده في أي موضع سوى في المسيح يسوع. فإن كل الصفات الإلهية تتمثل في السيد المسيح: هو

حكمة الله؛ وهو قوة الله؛ وعدل الله؛ والقداسة؛ والخلاص؛ وهو كذلك فهم الله. فمع كونه واحدًا مع الآب في الجوهر، إلا أنه يحمل أسماء متعددة تشير

إلى أشياء مختلفة.

إنك لا تتسوّع نفس المعنى بخصوص السيد المسيح حينما تنتظر إليه بكونه الحكمة وحينما تنتظر إليه بكونه العدل.

وعندما تنتظر إليه بكونه الحكمة تفهم من ذلك علمه بالأشياء الإلهية والإنسانية.

وعندما تنتظر إليه بكونه العدل تفهم من ذلك قدرته على إعطاء كل ذي حق حقه.

وإذا نظرت إليه بكونه القداسة فإنك تفهم من ذلك قدرته على تقديس كل المؤمنين بالرب والمكرسين له.

وبنفس الطريقة أيضًا سوف تتركه بكونه الفهم، فهو العالم بالخير والشر وبما هو ليس خورًا ولا شرًا.

يوجد فصل بين الذين يسكنون السماء أو الذين يلبسون الإنسان السموي وبين الشر، لأن الله في بسطه للسموات فصل بين الأشياء الفاسدة

والأشياء الصالحة، حتى لا يتدنس الإنسان البار الذي يُعتَبَر سماءً. لذلك قيل: "وبفهمه بسط السموات".

كيف إذاً تم بسط السموات؟ الحكمة هي التي تبسطها. تشير هذه الآية إلى كيفية بسط السموات بواسطة الحكمة: "لقد بسطت كلامي وأنتم لم

تنتبهوا إليه".

الأمر هنا يتعلق ببسط الكلام ^[213]. بهذه الطريقة تم بسط السموات. وقد قيل أيضًا في الزمور: "الباسط السموات كشفة (كخيمة)" (مز

103: 2). كذلك نحن أيضًا، فإن نفوسنا التي كانت قبلاً منكشمة، سوف تُبسط حتى تستطيع أن تستقبل حكمة الله.

زجع الآن إلى موضوعنا. فقد قلنا أن السموات خلقت بالفهم. وأن الذين لبسوا الإنسان السموي هم أيضًا سموات.

في الواقع إذ قيل للخاطيء: "أنت تواب وإلى التواب تعود"، أفلا يمكننا بالأولى أن نقول للبار: "أنت سماء وإلى السماء تعود"؟

كما يُقال أيضًا للإنسان التوابي الذي يحمل صورة الإنسان التوابي: "أنت تواب وإلى التواب تعود"، أفلا يقال لك إذا كنت تحمل صورة الإنسان السموي: "أنت سماء وإلى السماء تعود؟" وكل إنسان منا له أعمال سماوية وأخرى أرضية. الأعمال الأرضية هي التي تؤدي إلى الأرض لأنها تحمل الطبيعة الأرضية، مثل ذلك الذي يكنز في الأرض بدلاً من أن يكنز في السماء. وعلى العكس، فإن أعمال الفضيلة تؤدي إلى المواضع التي تحمل نفس طبيعتها إلى السموات، فالإنسان الذي يكنز في السماء هو الذي يحمل صورة السموي [214].

ي. يهب الله نفوسنا أيضًا من مياه الروح القدس، إذ قيل "إذا أعطى قولا تكون كثرة مياه في السموات" [13]، كأنه إذ يقيم ملكوته في داخلنا يجعلنا سمواته التي تفيض بثمر الروح حتى على الآخرين.

ك. يصعدنا الله كسحاب من أقاصي المسكونة، أي يجتذبنا من أواخر الصفوف كما من أقاصي المسكونة، لا ليضعنا في مقدمة الصفوف، بل يصعدنا كسحابٍ مرتفع، ننضم إلى سحابة الشهود القديسين (عب 12: 1). يقول العلامة أوريجينوس:

[إننا نتساءل: كيف يصعد الله السحاب من أقاصي الأرض؟] [13] قلنا قبل ذلك أن القديسين كانوا سحابًا. لأن العبرة: "لقد بلغت حقوقك إلى السحاب" لا يمكنها أن تنطبق على السحب التي بلا نفس، ولكن حقوق الله تبلغ إلى السحب التي تنصت إلى أوامر الرب وتعرف أين تُسقط مطرها وأين تمنع المطر.

توجد سحب يأمرها الله أن تمطر أو لا تمطر، وهي التي كتب عنها في إشعياء "سوف أمر السحاب ألا يسقط عليها مطرًا". أما بالنسبة للسحب المادية في هذا العالم، فإذا لم يكن هناك مطر فإن هذا لا يعني أن الله يأمر السحاب ألا يمطر على تلك البلاد، إنما سبب عدم نزول المطر هو عدم ظهور أية سحابة، كما هو مكتوب في سفر الملوك: ففي وقت الجفاف لم تظهر أية سحابة، ولكن حينما كان يجب أن يتزل المطر بحسب كلام إيليا ظهر السحاب في السماء وأعطى مطر.

يوجد سحاب آخر يصدر إليه الأمر ألا يمطر حينما تكون النفس غير مستحقة للمطر، وهو ما نقول عنه الآية: "سوف أمر السحاب ألا يسقط عليها مطرًا". إذا كل قديس يمثل سحابة. كان موسى النبي سحابة، وكسحابة كان يقول: "أنصتي أيتها السموات فأتكلم ولتسمع الأرض أقوال في. يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي" (تث 32: 1-2). لو لم يكن موسى سحابة لما استطاع أن يقول ذلك. كسحابة يقول أيضًا: "كأطل على الكلد، وكالوابل (الثلج) على العشب. إنني باسم الرب أنادي". وبنفس الطريقة يقول إشعياء كسحابة: "إسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم" (إش 1: 2). ولأن إشعياء كان سحابة وكان يدعو جميع الذين يتنبأون معه "سحابًا"، قال في نبوته: "سوف أمر السحاب ألا يسقط عليها مطرًا".

إن كنا قد فهمنا من هم السحاب، فلننتقل لرى كيف أن الله "يصعد السحاب من أقاصي الأرض؟"

كيف "من أقاصي الأرض؟"

يقول المخلص: "إذا أراد أحد أن يكون أولاً فيكون آخر الكل وخادمًا للكل" (مر 9: 35). فهم بولس الرسول هذه الوصية وأصبح الأخير في هذا العالم، فيقول: "إنني أرى أن الله أبرزنا نحن الواسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت، لأننا صرنا منظرًا للعالم للملائكة والناس" (1 كو 4: 9). فإن قام أحد بتنفيذ وصية المخلص السابقة ووضع نفسه الأخير في هذا العالم يصبح سحابة. لا يصعد الله السحاب من وسط عظام هذه الأرض، ولا من وسط الحكام والرؤساء، ولا من وسط الأغنياء، لأنه: "طوبى للمساكين بالروح فإن لهم ملكوت السموات". رأيت الآن كيف أن الله يصعد السحاب من أقاصي الأرض؟ وبالتالي إن أردنا أن نصير سحابًا تبلغ إليه حقوق الرب، فلنصر آخر الكل، ولنقل بأفعالنا واستعدادنا: "فإنني أرى أن الله أبرزنا نحن الواسل آخرين". وحتى إن لم أكن رسولاً، فإنه يمكنني أن أجلس في الصف الأخير حتى أن الله الذي يصعد السحاب من أقاصي الأرض يصعدني أنا

أيضًا [215].

ل. يهبنا بوق الروح القدس الناري، ويغنيينا من خزينة خزائنه، وكما يقول العلامة أوريجينوس:

[صنع بروقًا للمطر] . يقول خواء الطبيعة أن البروق تحدث نتيجة لاحتكاك السحب ببعضها ببعض. نفس ما يحدث على الأرض بالنسبة للأحجار؛ فإذا ضربنا حجرين ببعضهما البعض تتولد نرًا، أيضًا حينما تصطدم السحب ببعضها أثناء العاصفة يحدث البروق. لذلك أيضًا غالبًا ما تكون البروق مصحوبة بالزجاج التي تمثل صوت التصادم بين السحب: فالرعد يحمل صوتًا، والبروق يحمل ضوءًا ونورًا. إن كنت قد فهمت هذا، تأمل الآن السحاب الروحي.

كان موسى سحابًا، وكان يشوع بن نون سحابًا، فماذا حدث؟ تحدثت هذه السحب فيما بينها، ومن كلماتهم تولد البروق. كان لميا سحابًا، وكان بلوخ سحابًا، ثم تحدثا مع بعضهما فجاءت البروق من كلماتهم معًا. ويمكنك إذا استطعت أن تستخرج من الكتاب المقدس أمثلة مشابهة عن كيفية حدوث البروق. ففي العهد الجديد أيضًا: بولس وسلوانس كانا سحابتين، وعندما تقابلا ظهرت بروق الرسالة [216].

إذًا فإن الله "صنع بروقًا للمطر وأخرج الريح من خزائنه".

هل الرياح الأرضية موجودة في خزائن؟ كيف يمكننا أن نقول ذلك إن كنا في واقع

الأمر لا نعرف ما هي مكونات أو طبيعة هذه الرياح التي تهب على الأرض؟ ومع ذلك فتوجد خزائن للريح، أي خزائن للأرواح: "روح الحكمة والفهم، روح الإرشاد والقوة، روح العلم والرحمة، روح مخافة الرب" "روح القوة والمحبة والنصح"، ويمكنك أنت أيضًا من خلال الكتاب المقدس أن تكون وتعد قائمة لهذه الرياح (الأرواح). هذه الأرواح موجودة في خزائن (كنوز)، فما هي هذه الكنوز؟ "فيه توجد الكنوز الخفية للحكمة والمعونة". إذًا هذه الخزائن موجودة في السيد المسيح: ومنه أيضًا تخرج هذه الرياح، هذه الأرواح، لتصنع من الواحد حكيمًا، ومن الآخر مؤمنًا، ولتعطي لثالث معرفة، ولرابع محبة الله: "فإنه لوحد يعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح الواحد" (1 كو 12: 8).

نحن أيضًا بنعمة الله، لنأرجع أن نبلغ إلى هذه الخزائن. حيث توجد خزائن عديدة، فربما يكون هناك أماكن راحة مختلفة في خزائن الله، تبعًا للصف الذي سوف توجد فيه في القيامة من الأموات [217]. هذا ما أريد أن أقوله: ستكون القيامة من الأموات بحسب الصفوف، لأن الرسول يقول: "كل واحد إلى صفه (مكانه) الخاص".

بما أن هذه الصفوف لا تكون مختلطة بلا نظام، فإن هذا الصف سيكون في خزينة من خزائن الله، والصف الآخر في خزينة أخرى لله، وهكذا الثالث والرابع. جميع هذه الخزائن توجد في خزينة واحدة، لذلك يقول بولس الرسول: "فيه توجد الخزائن الخفية للحكمة والمعونة". كما أنه بامتلاكى اللآلئ الكثيرة استطعت من خلالها (ببيعتها) أن أحصل على اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن، هكذا أيضًا يمكنني أن أبلغ إلى خزينة الخزائن، إلى رب الأرباب وملك الملوك، حينما أصير مستحقًا لوال الأرواح الخرجة من خزائن الله، لأنه "أخرج الريح من خزائنه" [218].

هذا هو الإله الذي معرفته تقدم للنفس حكمة سماوية، أما عدم التعرف عليه فيجعلها في بلادة أو غلوة، لذا يقول: "بلد كل إنسان معرفته" [14]. يكاد كل الأنبياء يشيرون إلى هذه الخطية وهي عدم معرفة الشعب لله (إش 1: 3؛ هو 4: 1، 6، ميخا 4: 12، عا 3: 12). يقصد بالمعرفة هنا العلاقة الشخصية القوية والعميقة مع الله عقليًا، وعاطفيًا، وسلوكيًا.

يقول العلامة أوريجينوس:

["بلد كل إنسان من معرفته" أو (صار كل إنسان جاهلاً من المعرفة) [14].

إن كان كل إنسان قد صار جاهلاً من المعرفة، وبما أن بولس إنسان، فقد صار جاهلاً من المعرفة لأنه لم يكن يعلم إلا بعض العلم ويتنبأ بعض التنبؤ، صار جاهلاً من المعرفة، لأنه لم ير إلا في موآة، في لغز (1 كو 13: 9، 12). لم يبرك ولم ير من الأشياء إلا جزءًا صغيرًا جدًا [219].

[المعرفة التي كانت عند بولس لو قرنت بالمعرفة الأخرى التي في السموات، أي المعرفة الكاملة، تصبح جهلاً. لهذا السبب بلد كل إنسان من

معرفته [220].

لنلتصق بالله ونسلك كؤلاد له، منصتين لقول الرسول بولس: "فأقول هذا واشهد في الرب أن لا تسلكوا فيما بعد كما يسلك سائر الأمم أيضاً ببطل ذهنهم، إذ هم مظلمو الفكر ومتجنبون عن حياة الله بسبب الجهل الذي فيهم بسبب غلاظة قلوبهم" (أف 4: 17-18). هذا ما عناه لرميا النبي هنا! في ختام مقلنته بين عبادة الله الحيّ وعبادة الأوثان يؤكد أن الله لا يغير على مجده كمن هو في حاجة إلى من يتعبد له أو يمجده، وإنما لأجلهم هم. فإن كانوا قد خانوه إنما خانوا أنفسهم، لأنهم يحرمون أنفسهم من الله نصيبهم وأن يكونوا نصيبه! إنهم فقوا معرفة الله العملية في حياتهم فقوا معرفتهم لأنفسهم كمواث الرب وجنوده. لهذا يوبخهم: **"ليس كهذه نصيب يعقوب، لأنه مصوّر الجميع، وإسرائيل قضيب موآته؛ رب الجنود اسمه"** [16]. كثوًا ما يتحدث الكتاب المقدس عن الله كنصيب شعبه (عد 18: 20؛ تث 32: 9، روا 3: 24) وتغنى بذلك المُسبحون (مز 16: 5؛ 37: 26؛ 119: 57؛ 142: 6).

2 . الخروج عن الأرضيات:

يصور هذا القسم الهزيمة بواسطة العدو القادم بجيشه من الشمال كما لو حدث زلزال (اضطراب [22]) اهتوت له الأرض، ويوضح تأثوه على الشعب، والمفهوم اللاهوتي لهذه الهزيمة. للروح إلى الله لا يكفي ترك الوثنية، وإنما يتطلب انتراع محبة الأرضيات من قلوبهم. الارتباط بالأرض يحول الإنسان بكليته إلى أرضٍ ورتابٍ.

"اجمعي من الأرض حزمك أيتها الساكنة في الحصار" [17].

هنا تصوير للأمر الذي يصدر للأسوى أن يحمل كل منهم الضروريات جدًا في حزمة ليضعها على رأسه، ويسير الكل مقيدين إلى السبي. هكذا يخرج الكل كعبيد يحملون من أمتعتهم القليل في مذلة، بينما يستولى الجيش الغالب على أفر ممتلكاتهم وأثمنها! هكذا الإنسان الذي قبل بلادته أن يكون أسوأ لمحبة العالم، يخرج كما من العالم في مذلة، لا يحمل من كل ما اقتناه وتعبّد له إلا القلة القليلة أو العدم ليخرج من العالم كأسير في مذلة وعارٍ! كأنه يقول: إن كنت تشعرون أنك في حصار مرّ، وتحت التأديب، فالحل بين يديك. فك أوتادك من الأرض، اقطعي ربطك منها، لكي يرتفع القلب مع الله في سمواته.

"لأنه هكذا قال الرب:

هأنذارام من مقلاع سكان الأرض هذه الموة (في هذا الوقت عينه)، وأضيق عليهم لكي يشعروا" [18].

لقد انتهى وقت الإنذارات المتكررة، وجاء وقت التأديب، لهذا يلقي الله بشعبه في السبي كمن يُلقى بحجر من مقلاع، كأنه بلا قيمة، ويذهب بلا رجعة!

هذا هو حال كل نفس ترتبط بالأرض لا بخالقها، يحملها الخالق كما بمقلاع ليلقى بها خولج الأرض التي أوجدها لأجلها! من يتعبد للأرضيات عرض تقديم الشكر لواهبا يفقد حتى هذه الأرضيات!

تعاذب مملكة يهوذا المنهولة بنبيها الذين حطموها وهربوا، ورعاتها الذين صلروا في بلدة، قائلة:

"خيمتي خربت وكل أطنابي قُطعت،

بنيّ خرجوا عني وليسوا.

ليس من يبسط بعد خيمتي ويقيم شقيقي" [20].

أخشى أن ينطبق علينا قول رميا النبي [20]، بعدما نصير في الرب خيمة مقدسة نعود فنخربها، ونقطع رباطها، فيتحول البنون العاملون لحساب الخيمة إلى طاقات للهدم. خراب الخيمة يشير إلى هلاك الجسد الذي خلقه الله صالحًا ليكون مع النفس مسكنًا لروحه القدس. هو انحرف الإنسان ككل عن الحياة السماوية اللاتقة به إلى حياة أرضية. لذا يقول الرسول بولس: "ولا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي رادة الله الصالحة الموضية الكاملة" (رو 12: 2).

3. قبول تأديبات الرب:

"عرفت يرب أنه ليس للإنسان طريقه،

ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته.

أدبني يرب، ولكن بالحق لا بغضبك لنلا تفنيني" [23-24].

كان رميا النبي مقتنعًا بأن الشعب كان يمكنه - إن رُاد - أن يصحح خطأه، لكنه لم يرد ذلك، فصار خطأه بلا علاج.

لكي نوجع إلى الرب يؤرنا أن نفهم تأديبات الرب، فنصوخ: "أدبني يارب لكن بالحق لا بغضبك..."

يليق بنا أن نؤمن أن ذلك الذي خلق العالم لأجلنا من حقه أن يوجهنا، ويملك علينا، لا ليتسلط علينا، وإنما لكي يشكّلنا، فنحمل صورته، ونصير على مثاله، ونتأهل أن نكون أولادًا له، نوث ملكوته ونشترك في أمجاده الأبدية.

إنه يحزن على الإنسان الذي يرفض أن يقبل الله موائًا له، ويقدم حياته نصيبًا للرب، إنما يطلب غير الله نصيبًا. إنه يعاتبه، قائلاً: "ليس كهذه

نصيب يعقوب، لأنه مصوّر الجميع، وإسرائيل قضيب موأته، رب الجنود اسمه" [16].

كان الله يؤكد أنه حتى في تأديباته لا يطلب ما لنفسه بل ما لبنيان شعبه ومجده.

في ذهن رميا النبي يحتاج الضعف البشري إلى العون الإلهي لمساندته، حيث يعجز الإنسان بذاته أن يستمر في مقاومته للشر وأن يسلك بالبر

كل أيام حياته لذلك يقول: "القلب أهدع من كل شيء وهو نجيس، من يعرفه؟! (17: 9).

ولعله يقصد أن الإنسان أشبه بالطين في يد الخراف الذي يشكل الطين حسب الصورة التي في ذهنه (إر 18، إش 45: 9-13).

تستخدم كلمة "أدبني" *yissar* في مواضع كثيرة في العهد القديم عن العقوبة التي تُقدم للإصلاح أو التعليم، وليس كمجرأة حسب جرم الخطأ

لتحقيق العدالة. إذ يوجد نوعان من العقوبة: واحدة خلال الرحمة للتعليم "الذي يحبه الرب يؤدبه وكأب بابت يسر به" (أم 3: 12)؛ والثانية خلال العدل

للقصاص وهي مدورة: "القصاص مُعد للمستهزئين" (أم 19: 29).

هذا وتستحق كل الأمم غير المؤمنة العقوبة كما تستحق مملكة يهوذا أيضًا ذات العقوبة لأنها:

أ. لا تعترف الرب... عرفت مملكة يهوذا الرب بفكوها لا بحياتها.

ب. لم تُدع باسمه... صلت مملكة يهوذا أيضًا تدعو الحجر والخشب آلهة لها.

ج. تأكل أولاده ويففهم ويخربهم، إذ ثرت مملكة يهوذا على رجال الله واضطهدتهم.

من وحي رميا 10

من يروى ظمًا نفسي!؟

❖ من يروى ظمًا نفسي!؟

من ينير ظلمتي؟!

إلا أنت يا شمس البر، يا نور حياتي!

❖ اعولتك يا حبيب، فعانيت من الشعور بالغولة والحومان!

تركتك يا حياتي، فاقتحم الموت أعماقي!

تجاهلتك يا قوتي، فامتأرت عباً!

صوت كالقدامى في جهالة أخشى حركات الكواكب وظواهر السماء!

في غبوة أخشى الطبيعة التي خلقتها لأجلي!

صوت كطير يخشى اللعين (خيال المقاتة)!

❖ لتتوق في داخلي، فأستتير وأتوق على أسورك!

لتمطر في قلبي، فتجعل منه فودوساً مثوياً!

ليهب ريحك، فامتلى بفيض نعمتك!

❖ لقد تحطمت خيمتي، وانحلت رباطاتها!

قل كلمة، فتصير خيمتي بيتاً مقدساً لك!

وتتحول لرضي الداخلية إلى سمواتك!

قل لي: أنت سماء وإلى سماء تعود!

❖ أعترف لك إنني زاب، وإلى زاب أعود،

الآن حولني بتأديبات محبتك إلى سمواتك!

اجعني مسكناً لك، ولتسكن أنت في!

كن نصيبي، وأكون أنا نصيبك يا شهوة قلبي.

❖ أنت صانع الأرض بقوتك،

جسدي هو أرضك محتاج إلى قوتك!

يتقدس بروحك القنوس فيعيش في قوة ومجد!

أنت مؤسس المسكونة بحكمتك،

نفسى الخاوية تود أن تصير مسكونة،

تسكنها أيها الثالوث القدوس،

فتحمل حكمة إلهية فائقة!

أنت باسط السموات بفهمك،

من يحول زابي إلى سماء غيرك؟!

لا تقل لي: "أنت زاب وإلى زاب تعود".

لكن بنعمتك وفهمك أيها القنوس قل:

أنت سماء وإلى سماء تعود!

فهمك حوّل رآبي إلى السماء!

❖ تعطى قولاً فتكون كثرة مياه في السموات،

تأمر نفسي التي أقمته لك سماءً،

فتفيض من ثمر الروح،

تسكب حباً ووداعة ونقوة كمطر على أرض الغير،

تحول الوري إلى بساتين بفضل نعمتك في!

❖ تجتذني يا إلهي كما من أقاصي الأرض،

تضمني كما من أواخر الصفوف،

لا لتقيمني في أوائل الصفوف فحسب،

بل تجعل مني سحابة نوة ترتفع فوق الأرضيات!

حقاً: أنت الذي تصعد السحاب من أقاصي الأرض!

❖ فيك نلتقي معاً كسحاب روحي،

تخرج منا رعود وبروق،

رعود صوتك الإلهي الساكن فينا،

وبروق نورك الفائق أيها الساكن في نور لا يُدنى منه!

نعم تدخل بنا كما إلى خزينة خزائنك،

وتفتح أمامك أبوابها فنعرّف من فيض غناك،

وننعم برياح عملك القنوس!

بك نغتنى أيها الغني السموي!

❏

الأصحاحات 11-20

صواع إرميا النبي

إرميا 11-20

في الأصحاحات [7 إلى 10] يعلن الله عن ضرورة الإصلاح الداخلي، فإنه لا يقبل عبادتهم من أصوامٍ وتسابيحٍ وتقدماتٍ وذبائحٍ دون نقلة القلب والحياة المقدسة في الرب. أما هذا القسم (11-20) فيحتوي على منطوقات نبوية تكشف عن الرسالة الخاصة بهزيمة الجيش وما يلحق البلاد من دمار. غالباً ما تُطَق بها في أيام الملك يهوياقيم (605-598 ق.م.) [221].

شملت هذه النوات وراثي، إذ كانت نفس النبي موهبة، يصلح بين حبه الشديد لشعبه وتطلعاته النبوية الخاصة بهلاكهم بسبب الشر. لقد رأى شعبه الذي نشأ وتوغل خلال العهد الإلهي الذي قدم لهم بواسطة موسى على جبل حوريب بسيناء ينهار بسبب كسره للعهد. يقوم هذا العهد على اختيار الله لشعبه ورغبته في السكنى في وسطهم والالتصاق بهم لتقديسهم، فيصبرون خاصته، ويقدم نفسه نصيباً لهم ومخلصاً وسنداً وشعباً لكل احتياجاتهم، مقابل هذا يلتزم الشعب بالأمانة والإخلاص في عبادتهم وسلوكهم ليتموا رادة الله فيهم بالطاعة لوصيته المملوءة حباً!

في الأصحاحين (11، 12) يوضح الله سر غضبه على خطاياهم ألا وهو نقضهم للعهد معه. فهو يريد أن تكون معاملته مع شعبه على مستوى الأب مع بنيه، والعريس مع عروسه المحبوبة لديه، الساكنة معه في بيته [15]، وليس كسيدٍ أمرٍ ناهٍ.

انصب نور الأنبياء، خاصة في العصور المظلمة على القيام بدور الوسطاء، يشفعون في الشعب بطلب مراحم الله ورفع غضبه عنهم، بكونهم ممثلين لهم. أما النبي الذي لا يكشف بوضوح خطة الله وإرادته، بل يدهن القيادات أو الشعب ليكسب ودهم أو مالهم، ولا يشفع فيهم، فهو نبي كذاب! أصالة النوة جعلت رمياً في صواع مَرَّ بين صواحته ووضوحه في الكشف عن غضب الله على شعبه وما يلحق هذا من تأديبات قاسية تكاد تدورهم وبين قيامه بدور الممثل للشعب أمام الله يشفع بقلبه الذي ينوب كالشمع ودموعه التي لا تجف! هكذا كان قلب رمياً النبي يتمزق [222]!

<<

الأصاحاح الحادي عشر

العهد المكسور

يعتبر هذا الأصحاح مقدمة لهذا القسم، فيه يعلن أن الله وشعبه قد التزما بعهدٍ، فيه يقدم الله نفسه إلهاً لهم، يحميهم ويغنيهم، لكن ليس بدون التزم من جانبهم.

1. كسر العهد الإلهي [1-17].

2. ما لحببتي في بيتي؟! [15-17].

3. اعترافات رمياً [18-20].

1. كسر العهد الإلهي:

إذ قرن في الأصحاح السابق بين عبادة الله الحي والعبادة الوثنية عاد بذاكرتهم إلى العهد الإلهي الذي قطعه الرب مع شعبه، حين دخل موسى في شركة مع الله لمدة أربعين يوماً، وقد التحف بسحابة القداسة السماوية وهو على قمة جبل سيناء. في ذلك الوقت لم يقف الرب عند عقوبتهم من عبودية مصر، وإنما أكد لهم أنه يحقق لهم مواعيده لآبائهم، حيث يعطيهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً [5]. الآن بعد أن تمت المواعيد الإلهية، وعاش الشعب في أرض الموعد زماناً هذه مدته، صدر عليهم الحكم الإلهي بتأديبهم، وطردهم من الأرض ليعيشوا تحت السبي في مذلةٍ وعارٍ، لأنهم فضلوا عنه عبادة البعل. لقد أعطاهم فرصاً كثيرة لعلمهم يتوبون فلا يستوجبون السقوط تحت التأديب. أما وقد أصروا على عدم التوبة فحنماً يُؤدبون، وإن صرخوا لا يُسمع لهم، لأن صواخهم غير صادرٍ عن شعور بالخطأ، ولا لطلب التوبة، وإنما لمجرد إنقاذهم من التأديب. لقد رضوا ضمائرهم وبطونهم بتقديم ذبائح لله، لا للمصالحة معه وتجديد العهد معه، ولا لإعلان حبهم له.

بعد قرون طويلة تكرر الأمر في كنيسة كورنثوس حينما أساء الشعب استخدام الإفخريستيا وما يليها من وجبات الأغابي، إذ قيل: "فحين تجتمعون معاً ليس هو لأكل عشاء الرب، لأن كل واحد يسبق فيأخذ عشاء نفسه في الأكل، فالواحد يجرع والآخر يسكر. أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا؟ أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم؟!" (1 كو 11: 20-22).

"الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب قائلاً:

اسموا كلام هذا العهد،

وكلّموا رجال يهوذا وسكان أورشليم" [1-2].

وى البعض أن النبي يشير هنا إلى الملك يوشيا والشوخ الذين أكنوا ولاءهم للعهد المُقام بين الله وشعبه على جبل حريب بسيناء، العهد الذي سُجّل في وِج (كتاب)، وُوجد في الهيكل أثناء الإصلاح، وقد رتبوا به وتعهدوا أن يتموا كلماته المكتوبة (2 مل 23: 3). فالحديث هنا موجه إلى مندوبين من قبل الملك.

وى العلامة أريجانوس أن الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب هو الكلمة الإلهي، إذ يقول:

[[إذا تأملنا في قصة مجيء ربنا يسوع المسيح كما وصفتها الكتب التلخيصية، كان مجيئه في الجسد مرة واحدة فقط خلالها أثار العالم كله: "الكلمة صار جسداً وحل بيننا". كان بالفعل "النور الحقيقي الذي ينير لكل إنسان آتياً إلى العالم، كان في العالم، وكوّن العالم به، ولم يعوفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله".

مع ذلك يجب أن نعرف أنه جاء أيضاً قبل ذلك، وإن لم يكن بالجسد. جاء في كل واحدٍ من القديسين! كما أنه بعد مجيئه المنظور بالجسد يأتي إلينا أيضاً الآن.

إن كنت تريد دليلاً على هذا، انصت إلى هذه الكلمات: "الكلام (الكلمة) الذي صار إلى رميا من قبل الرب قائلاً: اسموا".

ما هي إذاً تلك الكلمة التي صلت إلى رميا أو إلى إشعياء أو حزقيال أو إلى غوهم من الأنبياء، من قبل الرب، إلا الكلمة الذي كان عند الله منذ البدء؟ بالنسبة لي، لا أعرف كلمة أخرى للرب إلا التي قال عنها يوحنا الإنجيلي: "في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله". يجب علينا أيضاً أن نعرف هذا: كان مجيء الكلمة أيضاً على مستوى شخصي. لأنه ماذا يفيدني إن كان الكلمة قد جاء إلى العالم، بينما أنا لا أحمله؟ لكن على العكس، حتى لو لم يكن قد جاء بعد إلى العالم كله، وكنت أنا مثل الأنبياء، يجيء إليّ الكلمة. أقول مؤكداً أن السيد المسيح جاء إلى موسى وإلى رميا وإلى إشعياء وإلى كل واحدٍ من الأوار، وأن الكلمة التي قالها لتلاميذه: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" تحققت بالفعل قبل مجيئه. كيف كان هؤلاء الأنبياء أن ينطقوا بكلام الله إن لم يكن كلمة الله قد جاء إليهم؟...

ماذا نسمع نحن أيضاً من هذا (الكلمة) الكلام؟

"اسموا كلام هذا العهد وكلّموا رجال يهوذا وسكان أورشليم".

رجال يهوذا هم نحن، لأننا مسيحيون، وجاء المسيح من سبط يهوذا. إذا كنت قد أوضحت من خلال الكتاب المقدس أن كلمة يهوذا يُقصد بها السيد المسيح، فإن رجال يهوذا في هذه الحالة لن يكونوا اليهود الذين لا يؤمنون بالسيد المسيح، وإنما نحن كلنا الذين نؤمن به.

يخاطب الكلمة رجال يهوذا" و "سكان أورشليم".

يتعلق الأمر هنا بالكنيسة، لأن الكنيسة هي مدينة الله، ومدينة السلام، وفيها يوّاءى ويعظم سلام الله المُعطي لنا، إذا كنا نحن أيضاً أبناء سلام.

"اسموا كلام هذا العهد وكلّموا رجال يهوذا وسكان أورشليم".

فتقول لهم هكذا قال الرب إله إسرائيل.

ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم".

مَنْ الذي يسمع أفضل لكلام العهد الذي أمر الله به الآباء؟ هل الذين يؤمنون به، أم الذين - بحسب الأدلة الموجودة عندنا - لا يؤمنون حتى بموسى حيث أنهم لم يؤمنوا بالرب؟ يقول لهم المخلص: "لو كنتم آمنتم بموسى لآمنتم بي أنا أيضاً، لأنه تكلم عني في كتبه، ولكن إن كنتم لا تؤمنون بكتاباته، فكيف تؤمنون بكلامي؟" إذاً لم يؤمن هؤلاء الناس بموسى، أما نحن، فبايماننا بالسيد المسيح، نؤمن أيضاً بالعهد الذي أُقيم بواسطة موسى، أي

"ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد" [3].

هزيمة الشعب (أو انهيار أورشليم) لا تعني أن الله قد نقض العهد، وإنما هي إعلان إلهي عن عدم وفاء الشعب بشروط العهد، فسقطوا تحت اللعنة، كما جاء في سفر التثنية: "ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها" (تث 27: 26)، "إن لم تسمع لصوت الرب إلهك لترخص أن تعمل بجميع وصاياه وفوائضه التي أنا أوصيك بها اليوم تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتركك... يجعلك الرب منهزمًا أمام أعدائك. في طريق واحدة تخرج عليهم، وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قلقًا في جميع ممالك الأرض" (تث 28: 15، 25). إنها دعوة موجهة إليهم لمراجعة أنفسهم وتجديد الميثاق معه بالزامهم بالحياة الأمينة والعبادة الحية، أو بمعنى آخر الطاعة للوصية.

يؤكد رميا النبي هولاء أن الشعب هو كاسر العهد بفشله في الطاعة لله، مقدمًا الشهادة الواضحة لذلك في كل مدينة، بل وفي حياة كل فرد حيث انتشرت عبادة الأوثان بينهم، إذ يقول: "لأنه بعدد مدنك صلت آلهتك يا يهوذا، وبعدد شوارع أورشليم وضعت مذابح للقوي للتبخير للبعل" [13]. صار الأمر خطأً للغاية، ولا مجال لإصلاحه إلا بقيام عهدٍ جديدٍ، وقد جاء هذا كمركز لنوة رميا الذي يفتح باب الرجاء (31: 31-34). يتحدث هنا عن اللعنة التي يسقط فيها من لا يسمع كلام العهد الإلهي... هذه اللعنة حلت بالبشرية، لأنه لا يوجد من لم يكسر وصية إلهية؛ فجاء السيد المسيح يحمل عنها هذه اللعنة، وكما يقول الرسول: "المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب "ملعون كل من عُلق على خشبة" (غلا 3: 13، تث 21: 23).

يشوح لنا العلامة أوريجينوس كيف حمل مسيحن اللعنة عنا قائلًا إن لدائرة اللعنة مدخلين، أحدهما كسر الوصية أو نقض الناموس، وقد دخلت منه البشرية كلها، لأن الكل زاغوا معًا وفسدوا وأعزهم مجد الله (مز 14: 3؛ 53: 3، رو 3: 12). والباب الثاني هو التعليق على خشبة (تث 21: 23)، وقد دخل منه السيد المسيح ليلتقي بنا هناك، لا عن طريق كسر الناموس، وإنما عن طريق التعليق على خشبة. لكن اللعنة لم تحتلمه، ففجورها وكسر متريسيها، وحملنا معه من دائرة اللعنة إلى مجد ولاد الله المبركين.

❖ ها أنتم ترون كيف يوهن (الرسول بولس) أن الذين يلتصقون بالناموس هم تحت اللعنة، إذ يستحيل عليهم أن يتموه (غلا 3: 10-11)، ثم كيف جاء الإيمان يحمل قوة التحرير...

مادام الناموس عاجزًا عن أن يقود الإنسان للبر، فالإيمان هو العلاج الفعال الذي يجعل ما كان مستحيلًا بالناموس ممكنًا (رو 8: 3)... استبدل المسيح هذه اللعنة بلعنة أخرى "ملعون كل من عُلق على خشبة" (تث 21: 23). إن كان من يُعلق على خشبة ومن يتعدى الناموس كلاهما تحت اللعنة، وكان من الضروري لذلك الذي يحرر من اللعنة أن يكون حوًا منها، إنما يتقبل لعنة أخرى، لذلك قَبِلَ المسيح في نفسه هذه اللعنة الأخرى لكي يحررنا من اللعنة... لم يأخذ المسيح لعنة التعدي، بل اللعنة الأخرى، لكي يتنوع اللعنة عن الآخرين. "على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" (إش 53: 9). إذ بموته خلص الأموات من الموت، هكذا بحمله اللعنة في نفسه خلصهم منها.

[224] القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ كما أن المسيح بذاته لم يصير لعنة، إنما قيل هذا لأنه أخذ على عاتقه اللعنة لحسابنا، هكذا صار جسدًا لا يتحوّله إلى جسدٍ، إنما إتخذ جسدًا من أجلا وصار إنسانًا.

[225] البابا أثناسيوس الرسولي

❖ صار خطية ولعنة لا لحسابه بل لحسابنا... صار لعنة لأنه حمل لعناتنا.

[226] القديس أمبروسيوس

"ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد" [3].

كأنه يقول يسقط تحت اللعنة من يكسر الناموس حتى إن كان مختونًا بالجسد، لأنه غير مختون الأذن. من ليس له الأذن المختونة يسمع بأذنيه الخلجيتين، فيكون لذلك صدى على النفس في الداخل، ولا يستجيب لكلمات العهد. أما من له الأذن المختونة فإنه يسمع ما يقوله الروح للكنائس (رؤ 3: 6). مثل هذا ليس فقط يُعْتَق من اللعنة، لعنة عدم الطاعة، وإنما يتمتع بالحياة المطوّبة، حياة الطاعة في المسيح يسوع الذي تمّ العهد الجديد بدمه، واهبًا إيانا روح الطاعة.

إن كانوا قد سقطوا في اللعنة بسبب عدم الطاعة للعهد، فإن العيب ليس في الناموس بل في عدم ختان آذانهم، أما العهد فليس ثقيلًا، والوصية ليست مستحيلة. العهد ممكن وعذب، يحمل الملامح التالية:

وَأولاً: عهد حرية

يقول: "يوم أخرجتهم من أرض مصر" [4] ، أخرجتهم من العبودية ليعبثوا بؤف وبهجة قلب (خر 5: 1). هو عهد خروج إلى حياة الحرية والفرح، فلماذا يكسرونه؟! هل يريد الإنسان العبودية؟! هذا هو العجب في الإنسان، فإنه كثيراً ما يرفض وصية الله موضوع فرحه وبهجة قلبه، لبيذل كل جهده وطاقاته وأمواله في الفساد، ويعيش في مرارة العبودية الداخلية!

يقول العلامة أوريجينوس:

«إذًا لا تقع هذه اللعنة علينا نحن، وإنما تقع على أولئك الذين لم يسمعوا كلام العهد الذي أمر الله به الآباء، "يوم أخرجتهم من أرض مصر من كور الحديد".

نحن أيضاً، أخرجنا الله من أرض مصر ^[227] ، ومن كور الحديد، خاصة إذا فهمنا ما هو مكتوب في سفر الرؤيا، أن الموضع الذي صُلب فيه الرب يُدعى روحياً سنوم ومصر (رؤ 11: 8). إذًا إن كان يدعى روحياً مصر، فمن الواضح أنه لو فهمت ما هو مقصود بالبلد التي تُدعى روحياً مصر والتي كنت تعيش فيها قبلاً، تكون قد خرجت من أرض مصر، ويُقال لك أيضاً بعد ذلك: "اسموا صوتي واعلموا به حسب كل ما أمركم به" ^[228].

ثانياً: عهد راحة

غاية هذا العهد أن يُخرجهم كما من كور مصر، من وسط النوان ليدخل بهم إلى ندى راحته. عتقهم من المسخرين العنفاء، لا ليعيشوا في رخوة بلا عمل، إنما لينالوا بركة العمل. بمعنى آخر خرجوا من كور المسخرين ليقبلوا العمل لحساب الله حسب رادته، لا كتقّل يلتزمون به كرهاً، بل بركة من قبل الله. إذ يقول: "واعلموا به حسب كل ما أمركم به" [4]... يستبدل عمل السخرة المرّ بالعمل لحساب الله الممتع!

"يقول كلام هذا العهد الذي أمرت به آباءكم يوم أخرجتهم من أرض مصر من كور الحديد، قائلاً: اسموا صوتي" [4-5].

كور الحديد هي فرن ترتفع فيها الحرارة جداً لصهر الحديد، الأمر الذي لا تحتاج إليه كثير من المعادن. بينما يُمكن صهر النحاس في درجة حرارة 800 ف، لا يُصهر الحديد إلا عند درجة 1535 ف.

استخدم حزقيال النبي ذات التشبيه، قائلاً: "من حيث إنكم كلكم صرتمز غلاً، فلذلك هأنذا أجمعكم في وسط أورشليم؛ جمع فضة ونحاس وحديد وورصاص وقصدير إلى وسط كور لنفخ النار عليها لسكبتها كذلك أجمعكم بغضبي وسخطي وأطوحكم وأسبلكم، فأجمعكم وانفخ عليكم في نار غضبي فتسبكون في وسطها" (حز 22: 19-21).

يشبه خروجهم من مصر كمن يخرج من النار، من كور الحديد، لا ليعبثهم بأنه خلصهم من النار، وإنما بعد إخراجهم يطلب الدخول معهم في العهد. كأن الله لا يستغل ضيقتهم ليأمر وينهي، وإنما ليدخل معهم خلال الحوار الودي في عهد أوي مملوء حباً. في هذا العهد يقدم نفسه إلهاً منسوباً

لؤلؤاده: "فتكونوا لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً" [4]

هنا نلاحظ أنه عندما يتفاهم مع شعبه يدعوه: "شعبي" ويدعو أعيادهم "أعيادي"، وسبوتهم: "سبوتي"، لكن إذ يصرون على العصيان يقول لموسى: "شعبك".

❖ ما دامت مصر هي كور حديد (11: 4، تث 4: 20) فهي تشير رمزياً إلى كل مجالٍ لرضي.

يليق بكل من يهرب من شر الحياة البشوية دون أن يحترق بالخطية أو يمتهن قلبه بالنار ككورٍ أن يقدم تشكرات ليس بأقل من الذين يُختبرون بالنار كندى [2291].

[230] العلامة أوريجينوس

❖ يوجد وعد من الرب للذين يسمعون كلامه أنهم إذا فعلوا كل ما أمرهم به: "تكونوا لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً". ليس كل شعب يُدعى شعب الله يكون بالفعل شعباً لله. ألم يقل الله لذلك الشعب الذي كان يتظاهر بأنه شعب الله: "إنكم لستم شعبي" لأنهم: "أغاظوني بإله آخر، أغاظوني بأصنامهم، فأنا أيضاً أعظهم بأمة أخرى... غيبة".

أصبحنا نحن الآخرون شعباً لله، وقد أعلن بر الله للشعب الذي سيأتي (سبولد)، أي للشعب القادم من الأمم. في الواقع وُلد هذا الشعب فجأة، وقد قيل في النبي: "هل يُولد شعب مرة واحدة؟!" ، نعم وُلد شعب مرة واحدة حينما جاء المخلص، وحينما آمن خمسة آلاف رجل في يومٍ واحدٍ بالإضافة إلى ثلاثة آلاف نفس في يومٍ آخر. يمكننا أن نرى شعباً بأكمله مولوداً من كلمة الله يسوع المسيح. فقد وُلدت العاقر التي لم تكن قبلاً تُتجب، والتي قيل عنها: "تؤلمي أيتها العاقر التي لم تلد. أشيدي بالترنم أيتها التي لم تتمخض، لأن بني المتوحشة (المتوحدة أو الوحيدة) أكثر من بني ذات البعل" (إش 54: 1)، إنها وحيدة ، لأنها كانت محرومة من الشريعة ومن الله، أما الأخرى ذات البعل، أي الأمة اليهودية، فكانت كما هو معروف تتخذ من الشريعة الإلهية زوجاً لها.

بماذا إذا يعدني الرب؟ "فتكونوا لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً". إنه ليس إلهاً للجميع، وإنما فقط للذين يهبهم نفسه مجاناً كإله لهم. كما قال لأحد الآباء: "أنا هو إلهك"، وقال لآخر: "سأكون إلهك"، وقال أيضاً عن آخرين: "سأكون لهم إلهاً". متى نصل نحن أيضاً إلى أن يكون الله إلهاً لنا؟ إن كنت تريد أن تعرف من هم الذين يكون الرب إلهاً لهم، يعطيهم شرف إضافة أسمائهم إلى اسمه، انظر قوله: "أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب". وقد علق السيد المسيح على هذا بقوله: "ليس هو إله أموات بل إله أحياء". من هو الإنسان المائت؟ الخاطيء، أو من لا يحمل في داخله الله القائل: "أنا هو الحياة"، وكل من يعمل الأعمال المائتة ولم يتب عنها حتى الآن.

إذاً، بما أن الله ليس إله أموات بل إله أحياء، وبما أننا نعرف أن الإنسان الحيّ هو الذي يحيا بحسب كلام السيد المسيح ووصاياهم ويكون دائماً ثابتاً فيه، فلو رُدنا أن يصير الرب إلهاً لنا، نترك أعمال الموت، حتى يتم لنا وعده: "فتكونوا لي شعباً وأنا أكون لكم إلهاً لأقيم الحلف الذي حلفت لأبائكم أن أعطيهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً". تأمل هذه الكلمات، فإن الرب يتحدث هنا كما لو لم يكن قد أعطاهم بعد هذه الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً. في الواقع الأرض التي أخونها ليست هي التي كان يقصدها الله حينما قال " أرض تفيض لبناً وعسلاً" ، وإنما الأمر يتعلق بلرض أخرى قال عنها الرب في تعاليمه: "طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض".

[231] العلامة أوريجينوس

ثالثاً: عهد يلتزم به الله بقسم

لم يأت هذا العهد مصادفة، ولا يمثل أمراً ثانوياً، لكنه موضوع يهبهم الله نفسه، فيقيم نفسه شاهداً على العهد بقسم. لم يقم خليفة سماوية أو أرضية للشهادة، ولا اتئمتهم على ذلك، بل أقسم بذاته أن يحقق وعده، قائلاً: "لأقيم الحلف الذي حلفت لأبائكم... [5]" ، ليبث فيهم روح الثقة أنه يحقق لهم وعده الصادقة والأمانة.

رابعاً: عهد مباورة بالحب

يقول: "مبورا" [7] ، وكأن الله هو المبادر بالحب، وهو الذي يبكر لتوقيع الميثاق، إنه لا يتأخر في تحقيق مواعيده. إن كان يتأخر فلأجل إعطائنا فرصة لرجوعنا إلى نفوسنا، ومراجعتنا لحساباتنا، وعودتنا إليه حتى لا نهلك، وكما يقول القديس بطرس: "لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع إلى التوبة" (2 بط 3: 9).

أمام هذا العهد الإلهي العجيب المملوء حباً وحنواً انحنى لرميا وأسه، بل وبكل كيانه ليردد مع آياته "أمين يرب" [5]. هذا ما سبق أن نطق به الشعب حين سمع بركات الطاعة للوصية وقبول العهد، ولعنات العصيان وكسر العهد (تث 27). في خضوع انحنى لرميا ليقبل من يد الله تأديباته لشعبه حتى إن بدت قاسية.

"فأجبت وقلت: آمين يرب" [5].

ما أعجب شخصية لرميا الوقيقة كل الوفة خاصة نحو شعبه، إذ جوان قلبه توجعه، ورأسه ينوع ماء لا يجف من أجل ما حلّ بهم، وقد جاءت كلمة الرب إليه تعلن تأديباته الحزمة، فكانت كمنارٍ موقدة محصورة في عظامه لا يطيقها (20: 9)، كان لابد أن ينطق بها، وفي تسليمه الكامل واوراكه لواحده الله الكلي الحب قال: "أمين يرب" [5] ، وهو يتوقع خراب شعبه المحبوب لديه جداً.

لا نعجب إن رأينا الكنيسة المنتصرة قد اقتنتت نفس الروح، هذه التي تثربت على دروس الحب، بل اقتنتت في داخلها مسيحها كلي الحب، فإنه إذ دان الله الزانية العظيمة التي أفسدت الأرض بزناها وانتقم لدم عبيده من يدها ودخانها يصعد إلى أبد الأبد، صوخت قائلة: "أمين هليلويا" (رؤ 9: 1-3).

نحن أيضاً إذ نصلي في كل يوم، قائلين من كل قلوبنا: "لنكن مشيبتك كما في السماء كذلك على الأرض" تتحول صلواتنا إلى تسبحة مستورة، خلالها يلهج قلبنا وفكرنا بالتسبيح: "أمين يرب!"

يقول العلامة أوريجينوس:

[إجابة على قول الرب: "ملعون الإنسان الذي لا يسمع كلام هذا العهد"، يقول النبي: "فأجبت وقلت آمين يرب"، ما معنى كلمة آمين يرب؟ أي: "أمين يرب أن الذي لا يسمع كلام هذا العهد يصير ملعوناً".

"فقال الرب لي: ناد بكل هذا الكلام في مدن يهوذا وفي شوارع اورشليم (وخرج اورشليم)" - إننا ننادى بكلام الرب حتى للذين هم في الخرج لندعوهم إلى الخلاص - "قائلاً: اسمعوا كلام هذا العهد واعملوا به... فلم يسمعو... ولم يصنعوه. وقال الرب لي: توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان اورشليم".

ألا يجب علينا نحن بالأولى أن نتوب عن خطايانا، نكوننا رجال يهوذا، أي رجال السيد المسيح، كما سبق لنا القول.

حيث يوجد بيننا أناس خاطئون وأناس يسلكون حسب الباطل، قال النبي: "توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان اورشليم" "قد رجعوا إلى آثام آبائهم الأولين"...

لم يقل مجرد "آثام آبائهم" فقط، وإنما أضاف كلمة الأولين . قلنا أن هذا الكلام موجه لنا وللخطاة الموجودين بيننا. كيف يرجع هؤلاء الخطاة لا إلى آثام آبائهم فقط، بل إلى آثام آبائهم الأولين؟ أليس لأن لنا نوعان من الآباء، منهما نوع فاسد. قبل أن نقبل الإيمان كنا ولأدًا للشيطان، كما يوضحه الإنجيل "أنتم من أب هو إبليس" ، وعندما آمننا صونا ولأد الله. ففي كل مرة نخطئ، نوجع إلى آثام آبائنا الأولين.

لكي نوضح أن آباءنا نوعان استعين بالزمور 45 ، حينما يقول: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أذنيك وانسي شعبك وبيت أبيك" ، إذ يقول لها: "اسمعي يا ابنتي" فهو أوهها، كيف إذا يقول أب لابنته "انسي بيت أبيك"؟ لأن الآباء نوعان.

انسي بيت أبيك، أي أبيك الأول؛ إذا عدت للخطايا بعد أن تكوني قد نسيتي بيت أبيك الأول، تكونين أنت المقصودة بهذه الآية: "قد رجعوا إلى

آثام آبائهم الأولين".

قلت كان الشيطان أبانا، قبل أن يصير الله أبانا - إن لم يكن الشيطان أبانا حتى الآن - هذا نوضحه أيضاً من رسالة القديس يوحنا: "من يفعل الخطية فهو من إبليس (مولود من إبليس)" (1 يو 3: 8). وبما أن كل من يفعل الخطية مولود من إبليس، فإننا كنا مولودين من الشيطان عدة مرات حسب كل مرة نخطئ فيها.

مسكين الإنسان الذي يولد من الشيطان بلا توقف، وطوبى لمن يُولد من الله باستتار.

لا أقول إن البار يولد من الله مرة واحدة فقط طوال حياته، إنما يولد من الله باستتار في كل عمل صالح يقوم به...

وعندما أوضح لك بخصوص المخلص، كيف أن الأب لم يلد الابن بطريقة تجعله (أي الابن) يحتاج أن يولد منه مرة أخرى بعد ذلك، إنما يلد باستتار، هكذا أيضاً بالنسبة للإنسان البار.

لوى ما يخص مخلصنا: إنه يشع مجدًا ، إشعاع المجد لم يحدث (لم يولد) مرة واحدة للأبد، وإنما طالما يتولد منه النور، فإن مجد الرب يشع باستتار. مخلصنا هو حكمة الله؛ والحكمة هي "إشعاع النور الأبدي". فإذا كان المخلص مولودًا باستتار من الأب، هكذا أنت أيضاً إذا كان عندك روح التبني، فإن الله يلدك باستتار في المسيح يسوع عند كل عمل من أعمالك وعند كل فكر من أفكارك. هكذا بميلادك تصير ابناً لله بلا توقف، مولوداً في المسيح يسوع الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبد. أمين. [232].

"لأني أشهدت على آبائكم إسهاداً يوم أصعدتهم من أرض مصر إلى هذا اليوم مبكراً، ومشهداً، قائلاً:
اسموا صوتي.

فلم يسموا ولم يميلوا أذنهم،

بل سلكوا كل واحد في عناد قلبه الشرير.

فجلبت عليهم كل هذا العهد الذي أمرتهم أن يصنعوه ولم يصنعوه" [7-8].

يعود بذاكرتهم إلى بدء إقامة العهد، حيث خانه الشعب منذ اللحظات الأولى، حين قول موسى من الجبل يحمل معه لوحى العهد اللذين كتبهما الله بإصبعه. عوض السحابة المقدسة السماوية التي عاش فيها موسى أربعين يوماً قول إلى جو فاسدٍ حيث وجد الشعب يتعبد للعجل الذهبي، يسجدون له وينبحون (خر 23: 7-8). عوض الموسيقى السماوية المبهجة للنفس سمع صوت غناء ورقص (خر 32: 18-19)، فلم يحتمل ذلك... رتجفت يداه "وطرح اللوحين من يديه وكسوهما في أسفل الجبل" (خر 32: 19). هكذا أعلن موسى النبي عن خيانتهم للعهد منذ اللحظات الأولى، وها هو رميا يشهد على أبنائهم أنهم سلكوا طريق آبائهم: خيانة العهد.

لعله أيضاً قصد بأبائهم أولئك الذين سلكوا في الشر قبل إصلاح يوشيا.

"توجد فتنة بين رجال يهوذا وسكان أورشليم" [9].

كسوهم للعهد ليس عن ضعفٍ مؤقت، ولا ثرةٍ إغواءٍ خلجي، لكنه عن فتنةٍ أو خطةٍ مُحكمةٍ وإصرار، وها هم يتشبهون بأبائهم الأولين في عصيانهم وكسوهم للعهد.

أدى عدم الطاعة إلى "كسر العهد" ورثاً، لهذا حلت بهم الشرور كثرٍ طبيعي لا عوَالهم الله الذي لم يتدخل إلى حين حتى يكتشف الشعب عجز الأوثان عن إنقاذهم، ويبركوا أنها آلهة باطلة لا حول لها ولا قوة. حتى رميا نفسه كني صار عاجزاً عن الشفاعة عنهم.

"هأنذا جالب عليهم شرًا لا يستطيعون أن يخرجوا منه، ويصرخون إليّ فلا أسمع لهم..." [11].

مع عجزهم عن الهروب من الضيقة (الشر) التي سقطوا فيها صرخوا لله لا للروح إليه بالتوبة، وإنما لمجرد مساندتهم، لهذا قيل "ويصرخون

لإيّ فلا أسمع لهم" [11]. تركهم يلجأون إلى الآلهة الغريبة ليبركوا عجزها، لهذا لم يسمع لهم، ولا سمح لإرميا النبي أن يشفع فيهم. "وأنت فلا تُصلِّ

لأجل هذا الشعب، ولا ترفع لأجلهم دعاء ولا صلاة، لأني لا أسمع في وقت صواخهم إلي من قبل بليتهم" [14]. سبق فطلب منه ألا يصلي لأجلهم ولا يلح عليه (7: 16). وقد رأينا أن الله يسر بأن يرى قلب لرميا متسعاً بالحب، وألا يكف عن الصلاة بلجاجة من أجل شعب الله. لكنه يريد تأكيد أن الأمر قد صدر بتأديبهم، وهو لخوهم وخلصهم، فلا يطلب النبي رفع التأديب عنهم.

❖ قال لإرميا: "لا تُصلِّ لأجل هذا الشعب... لأني لا أسمع"، لا ليقف صلاته (لأن الله يتوق مشتاقاً إلى خلاصهم)، إنما لكي وعيهم. وإذ رأى النبي ذلك لم يتوقف عن الصلاة [233].

القديس يوحنا الذهبي الفم

يظهر ذلك بوضوح بقوله: "من قبل بليتهم" [14]؛ كأن الله لا يرفض صلواتهم أو طلباتهم، ولا صلوات النبي عنهم، لكن يؤم تركوها على توبتهم ورجوعهم إليه، ونموهم روحياً، لا عن رفع البلية عنهم!

أظهر النبي شدة آلامه، إذ حلت به حالة احباط شديدة، لأنه عجز عن أن يدفع عن شعبه ما يحل بهم من انهيار، ولأنه غير قادر على الوساطة بالصلاة عنهم في هذا الأمر كما فعل موسى النبي قبلاً (تث 18: 15-22)، ليس عن ضعف في لرميا، وإنما لإصوار الشعب على العصيان. لقد تمررت نفس النبي حتى لعن يوم ميلاده (20: 14).

2. ما لحبيبي في بيتي؟!

رفض الاستماع للشعب كما للنبي في أمر ما لا يعني رفضه لشعبه، فهم بالنسبة له "المحبوبة" التي يريد أن تقيم في بيته، لا أن تندسه وتخربه. في وسط هذا المر يعاتبها مذكراً إياها بمرورها الذي نالته خلال العهد الذي تحطمه بولادتها، قائلاً لها:

"ما لحبيبي في بيتي؟!

قد عملت فظائع كثيرة،

واللحم المقدس قد عبر عنك.

إذا صنعت الشر حينئذ تبتهجين" [15].

إن كنت تعثرين بالهيكل المقدس أنه في أورشليم، فإنك وأنت المحبوبة لي قد عملت فظائع كثيرة، من إقامة مذابح للأوثان وأصنام، ومملسة الوجدات، وتقديم الأطفال محرقات للأوثان. هذا من جانب، ومن جانب آخر عوض تقديم الذبائح قدمتي لحمًا. إذ يقصد باللحم المقدس الذبائح التي تُقدم في الهيكل، فإنها ليست في عينيه ذبائح للمصالحة أو محرقات حب، بل هي لحم للأكل، كما سبق فقال: "ضموا محرقاتكم إلى ذبائحكم وكلوا لحمًا" (7: 21). وعوض التوبة عن هذه الشرور تبتهجين وتفخرين بالشر! يكمل عتابه لمحبوبته، قائلاً:

زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمك.

بصوت ضجة عظيمة أوقد نراً عليها فانكسرت أغصانها؛

ورب الجنود غرسك قد تكلم عليك شراً من أجل شر بيت إسرائيل وبيت يهوذا الذي صنعه ضد أنفسهم ليغيظوني بتبخروهم للبعل" [16]-

[71].

الضجة العظيمة هنا هي ضجة الجيوش المعادية المجترة البلاد. إنه في مرارة يؤدبها كما بناه.

كان تشبيه الشعب زيتونة خضراء جميلة غرسها الله بنفسه مألوفاً، حيث كان شجر الزيتون مغروساً في دائرة الهيكل. مصدر هذا التشبيه هو

(مز 52: 10)، وقد اقتبسه الرسول بولس في (رو 9).

هذه التي غرسها الرب تحترق بنارٍ لأنها اعتولته ورفضت عمله فيها.

إن كان الله لا يسمع لها ولا للنبي لرميا من أجل رفع التأديب، فإنه يقدم هنا الحجة تلو الحجة:

أ. إن الشر صادر لا عن شعبٍ غريبٍ ليس له خوة معه، بل عن حبيبته التي اقتناها لنفسه. فالإنسان لا يبالي كثرةً بالشر الصادر عن غريبٍ أو عدوٍ، لكنه يُجرح حين يصدر ممن اقتناه لنفسه حبيباً! وكما جاء في سفر زكريا عن السيد المسيح الذي جرحته أمته، أو جرحه تلميذه: "جُرحت بها في بيت أحبائي" (زك 13: 6).

ب. الشر موجه إلى مقدساته، إلى بيته الذي فيه كان يجب أن يتقدسوا، إذ يقول: "ما لحبيبتني في بيتي؟! [15]. من يقدر أن يعبر عن شونا حينما ندنس هيكله الذي في داخلنا، فنحول إنساننا الداخلي من ملكوته إلى مركزٍ للخطية والشر، وعض النور تحتله الظلمة!؟

ج. إنه ليس بالشر العابر نتيجة ضعف، إنما "قد عملتِ فظائع كثيرة" [15]. خطايا عن عمد، وغبة شديدة، وبكثرة! إنها ليست مجرد ضعفات نصوص منها، لكنها فظائع كثيرة نصمم عليها!

د. أفسدت العبادة التي كان يجب أن تكون سرّاً مصالحة مع الله، لتصبح أكلاً وشوياً؛ عوض الذبائح قدمت لحمًا للأكل [15].

هـ. عوض التوبة عما تركته تبتهج وتفتخر بشوها: "إذا صنعتِ الشر حينئذٍ تبتهجين" [15].

و. أفسدت عمله فيها، وحولت الجمال والإثمار إلى قبحٍ وعقمٍ. إذ يقول " زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمك... رب الجنود غرسك" [16-17]. أعطاه اسمًا جميلاً، وقدم لها إمكانية الإثمار بوفرة، غرسها ببمينه، لكنها في شواها أصوت أن تدنس اسمها، وتعيش بلا ثمرٍ روعي.

ز. تخضع الطبيعة له، فتأتي الزيتون بثمارٍ كثيرة على كل فروعها، ورقها دائم الاخضرار العام كله، تُقدم طعامًا ودواءً زيت الزيتون، أما هي فعقيمة وجافة، جائعة ومويضة.

ح. أخوًا فإنها تفعل ذلك لا لبهجتها فحسب وإنما لإغاظة الرب. قدم لها الحب والخير، فودت عليه بالبغضة والشر، بهذا قدمت الشر لنفسها لا لله. "قد تكلم عليك شوا من أجل شر بيت إسرائيل وبيت يهوذا الذي صنعه ضد أنفسهم ليغيظوني بتبخوهم للبعل" [17]. فما تكلم به الرب عليهم إنما هو ثمر طبيعي للشر الذي صنعه ضد أنفسهم.

تكررت العبارة "تكلم الله عليهم بالشر" ست مرات في رميا (16: 10؛ 26: 19؛ 35: 17؛ 36: 31؛ 40: 2)، كما جاءت مرة في (1 مل 22: 23).

3 . اعترافات لرميا (11: 18، 12: 6) : [234]

يدعو البعض هذه العوائق الشخصية لرميا (11: 18، 12: 6) "اعترافات لرميا" وإن كان البعض واهما "شكوى لرميا".

وي البعض أن اعترافات شملت الآتي: (11-18، 12: 6؛ 10-12، 15-21؛ 9-10، 14-18؛ 18: 18-23؛ 20: 7-12، 14-18). ويضيف عليها البعض العبارات: (4: 21-19؛ 8: 23-18؛ 10: 23-19؛ 13: 17؛ 14: 17-18).

ينفرد رميا النبي بين الأنبياء في حفظه مجموعة من الصلوات تقدم نظرة غير عادية عن حياة النبي الداخلية، كما لم يقدم أي سفر نوي مجموعة من الشكوي مثل هذا السفر. حقًا لقد عانى الأنبياء من الشعب، لكنهم لم يقدموا تفاصيل مثل رميا:

صوخ موسى النبي إلى الرب قائلاً: "ماذا أفعل بهذا الشعب؟! بعد قليل وجمونني" (خر 17: 4).

وقيل عن صموئيل الذي تألم من الشعب الراض له: "وصوخ إلى الرب الليل كله" (1 صم 15: 11)، لكننا لا نعرف بماذا كان يصوخ.

واشكى إيليا النبي الشعب لله فقال: "قد غوت غوة لرب إله الجنود، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا ميثاقك، وقتلوا أنبياءك

بالسيف، فبقيت أنا وحدي، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها" (1 مل 19: 10).

وعبر إشعياء النبي عن مورة نفسه من جهة الشعب بعبارة فريدة: "إلى متى أيها السيد؟" (إش 6: 11).

وى بعض الدارسين أن اعترافات رميا بصيغة الود نطق بها باسم الشعب كله، تعبر عن مورة نفوسهم وسط الآلام، إذ كانوا يستخدمونها في العبادة الجماعية.

إن كان رميا النبي قد عبّر في اعترافاته عن مورة نفسه لكن لا يمكننا قبول ما واه بعض الدارسين أن رميا قد ظن أن الله لم يفِ بوعده بخصوص حمايته، إنما جاءت عبراته كبعض عبارات داود النبي التي يبدو كمن يطلب النعمة لنفسه، وقد سبق لنا الحديث عنها في شرحنا لسفر الزامير. إنها تعبر عن مشاعوه البشوية كإنسان له ضعفاته يئن من شدة الألم نون أن يفقد ثقته في الله مخلصه. كما أنه لا يطلب نعمة شخصية، إنما يطلب تأديباً لمقاومي كلمة الله التي يعلنها النبي. وأن ما نطق به هو نوات تتحقق كثرة لشروهم.

يبدأ رميا النبي اعترافاته، قائلاً:

والرب عرفني فوفت.

حينئذ أريتني أفعالهم" [18].

كشف له الرب عن المؤامرة التي دبها لهلاكه، كشفها له ذلك الذي سبق فأكد له وهو بعد ولد: "لا تخف من وجههم لأنني أنا معك لأنفذك يقول الرب" (1: 8). كشف له الرب عن خطتهم وأفكلهم وكلماتهم وأعمالهم من نحوه كما عن قلوبهم وما في أعماقهم، لأنه هو فاحص الكلى والقلب [20]. كأنه يقول إن كانوا في خداع قد خططوا سوءاً لقتلي، لكن في واقع الأمر خدعوا أنفسهم لأنهم لم يتركوا أن الله فضح خطتهم لي، وما فعلوه ليس لهلاك بل لهلاكهم. ذلك كما انخدع فوعن عندما خطط لإبادة إسائيل بقتله الأطفال الذكور، وانخدع هيرودس حينما ظن أنه قادر على منع ظهور المسيا المخلص بقتله أطفال بيت لحم الذكور.

بمعنى آخر حسابات الأثوار خاطئة وخطوة، لا على حياة الغير، بل على حياتهم، لأنهم لا يبركون إمكانيات الله الفاحص الكلى والقلب، والعلف بكل الأسوار الخفية، والقادر على تحويل شروهم لبنيان ملكوت الله. يعلق العلامة أوريجينوس على العبارة السابقة مؤكداً أن الله وحده هو المعلم.

[إذا كان الكلام الموجود في الناموس والأنبياء والأناجيل والرسول، هو كلام الله، فإن من يتعلم من هذا الكلام، يجب أن يخص الله بلقب "معلم". لأن الذي يُعَلِّم الإنسان المعرفة هو الرب، كما جاء في (مز 93: 10).

يؤكد المخلص أنه يجب ألا نعطي لقب "معلم" لإنسان على الأرض: "فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد هو المسيح" (مت 23: 8-9). في الواقع، الأب الذي في السموات هو الذي يُعَلِّم: إما بنفسه، أو بالابن السيد المسيح أو بالروح القدس، وأيضاً بواسطة بولس أو بطرس أو أي من القديسين الآخرين، بشروط أن يأتي روح الرب وكلمته ليُعَلِّمًا. لماذا قلت ذلك؟ لأن النبي يقول بالتحديد: "والرب عرفني فوفت" أو "عرفني يرب فأعرف". لأنني لن أعرف شيئاً إذا لم تُعرفني أنت.

عرفت لأنك عرفتني "فحينئذ" سرى "أفعالهم"، وأفهم سلوكهم ونياتهم [235].

لم يعرف رميا النبي أعمالهم فقط، وإنما ما هو أعظم عرف موبه الجديد، أنه صار رمزاً لحمل الله الذي يُساق للذبح من أجل خلاص الغير، فيترنم قائلاً:

وأنا كخروفٍ داجنٍ يُساق إلى الذبح،

ولم أعلم،

انهم فكروا عليّ أفكلاً، قائلين:

لنهلك الشجرة بثمرها،

ونقطعه من أرض الأحياء،

فلا يُذكر بعد اسمه" [19].

كلمة "خروف" في العبرية هنا استخدمت 116 مرة في العهد القديم، كلها فيما عدا خمس حالات استخدمت كذبيحة، لذلك ترجم البعض كلمة "يساق إلى الذبح" أو "يساق كذبيحة" مع أن الكلمة العبرية تعنى الذبح العادي [236].

حسوه حملًا وديعًا، يقتلوه فلا يُذكر بعد اسمه، ولم يتركوا أنه رمز للسيد المسيح الذي يقتله يملك على القلوب، ويزوق بصليبه الصك الذي كان علينا ويجرد الوداسات والسلطين ويشوهم جهلًا ظافرًا بهم في صليبه (كو 2: 15). صار رمزًا للسيد المسيح الذي قيل عنه: "الرب وضع عليه إثم جميعنا؛ ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جليها فلم يفتح فاه. من الضغطة ومن الدينونة أخذ؛ وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء، أنه ضوب من أجل ذنب شعبي" (إش 53: 6-8).

يقول العلامة أوريجينوس:

[يتكلم السيد المسيح عن نفسه: "وأنا كخروفٍ داجنٍ يساق إلى الذبح ولم أعلم". لم يذكر ما هو الشيء الذي لا يعلمه. فهو لم يقل: "ولم أعلم الخير" أو "ولم أعلم الشر" أو "ولم أعلم الخطية"، وإنما قال فقط: "ولم أعلم". بذلك ترك لك مهمة البحث عن الشيء الذي لم يعلمه. لكي تعرف ذلك الشيء، تأمل هذه العبارة: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا" (2 كو 5: 21). معرفة الخطية معناها السقوط فيها، تمامًا مثل معرفة الحق أي مملسته. من يتحدث عن الحق ولا يملسه لا يعرف الحق [237].

صار رمزًا للسيد المسيح، ليس فقط كحملٍ سيق إلى الذبح، ولكن كشجرة أيضًا يطلب الأشرار إهلاكها. بحسب الترجمة السبعينية "لنهلك الشجرة بجسدها" [19]. إذ قيل عن السيد المسيح: "اصلبه. اصلبه". طلبوا أن يهلكوه بالجسد على شجرة أو على الصليب. رأوا قطعه، قائلين: خير أن يموت واحد عن الشعب.

يقول العلامة أوريجينوس:

["إنهم فكروا عليّ أفكلًا قائلين: هلم نلقى خشبًا في خزه".

إن كان اليهود قد صلوه، هذا أمر مفروغ منه، ونحن نعلمه بكل تأكيد؛ ولكن كيف نربط بين هذا الأمر وبين العبارة: "إنهم فكروا عليّ أفكلًا قائلين: هلم نلقى خشبًا في خزه". إنه موضوع يصعب فهمه!

خبز السيد المسيح هو الكلمة والتعاليم التي نتغذى بها، وحينما آه اليهود يُعلم بين الشعب رأوا أن يفسدوا تعاليمه بصليبهم إياه، فقالوا: "نلقى خشبًا في خزه". إضافة صلب السيد المسيح إلى تعاليمه هي بمثابة إلقاء خشبٍ في خزه. حينما اجتمع هؤلاء الناس فيما بينهم ليتآمروا عليه قالوا: "هلم نلقى خشبًا في خزه".

أما أنا فلي أيضًا - إلى جانب ذلك - رأي مختلف وهو: أن الخشب الملقى في خزه جعل هذا الخبز أكثر قوة وفاعلية. أذكر مثالاً لذلك من شريعة موسى: العصا "الخشب" المطووعة في المياه المرة جعلتها عذبة (خر 15: 25). هكذا حينما أضيفت "خشب" حب السيد المسيح إلى تعاليمه جعلت خزه أكثر عذوبة ورقة. بالفعل قبل أن ضيف "الخشب" إلى "خزه"؛ أي في فترة تعاليمه التي سبقت الصليب، لم تبلغ أقواله إلى أقصى المسكونة (مز 19: 5). لكن بعدما أخذ الخبز قوة من خلال "الخشب" المطروح فيه، بلغت أقوال تعاليمه إلى كل المسكونة.

كان الخشب قديمًا رمزًا لمحبة السيد المسيح التي بها صار الماء المرّ عذبًا، لأنني أعتقد أن الناموس إذا لم يُفهم بالمعنى الروحي يكون "ماءً مرًا"، لكن بمجيء خشب صلب السيد المسيح ومجيء تعاليمه، أصبح ناموس موسى عذبًا وحلوا [238].

ونقطعه من أرض الأحياء، فلا يُذكر بعد اسمه" [19].

ظنوا أن بقتله يقطعونه (السيد المسيح) من أرض الأحياء ، فينساه العالم، ولا يُذكر اسمه بعد، ولم يتركوا أنه القيامة واهب الحياة، وأن بفعلهم هذا حوّل السيد أرضنا - وادي الموت - إلى أرض الأحياء، حيث اختبرنا قيامة النفس، القيامة الأولى، أو الحياة الجديدة في المسيح يسوع. يلاحظ أن تعبير "أرض الأحياء" لم يُذكر في سفر لرميا سوى هنا، وقد ورد في مواضع أخرى في العهد القديم 13 مرة.

استحقوا - كشجرة زيتون - أن تُحرق أغصانها الجافة التي بلا ثمر، لكنهم حكموا عليه أنه شجرة يجب إهلاكها، ولم يتركوا أنه بالشجرة التي يصدر عنها العفو، وينالون بر المسيح فيهم، يصيرون أغصاناً روحية ثابتة فيه.

العجيب أن حمل الله سبق فاخبرنا: "ها أنا أرسلكم كغنم في وسط ذئاب" (مت 19: 16)، تأكلنا الذئاب لتقطع ذوانا أو ذكوى مسيحننا من أرض الأحياء، فإذا بالذئاب تتحول إلى خواف وديعة. كم حوّل الشهداء بدمائهم أو بشهادتهم للإنجيل العمل نفوس مضطهدينهم إلى ملكوت سموي؟! عوض أن يقطعهم الأشرار من أرض الأحياء تحولوا هم إلى حملان وديعة وانتقلوا من أرض الأموات إلى أرض الأحياء، يسكنها بر المسيح واهب الحياة! يقول العلامة أوريجينوس:

[يضيفون بعد هذا القول: "ونقطعه من أرض الأحياء فلا يذكر بعد اسمه". قال عن ذلك: "إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" (يو 12: 4). لو لم يكن قد صُلب المسيح ومات لبقيت حبة الحنطة وحدها ولم تكن الجوع قد أثمرت منه وتبعته. أما موته فأعطى ثمراً تتمثل في جميع المسيحيين. إذا كان الموت قد جاء بكل تلك الثمار، فكم تكون بالأكثر القيامة؟! [239].

رفع لرميا قلبه نحو الله، قائلاً:

"فيلب الجنود القاضي العدل، فاحص الكلى والقلب،

دعني رى انتقامك منهم،

لأني لك كشفت دعوي" [20].

سبق لنا الحديث عن طلبه الانتقام.

يدعو الله "فاحص الكلى والقلب" [20]، أي يعرف شخصية الإنسان في أعماقها (الكلي) ومشاعره (القلب). تشير الكلى إلى الشخصية بأسرها الخفية، لأنها العضو الأعمق في الجسم، والمحمية بالعظام، كثراً ما ترتبط بالقلب (17: 10؛ مز 7: 10؛ 26: 2).

❖ نضع ثقنتنا فيه، إذ يعرف العواطف التي في خبايا نفوسنا عندما تتناغم معاً لكي ترضيه بكونه حاضراً في كل عقل وواقبه ويتعهده، إذ هو فاحص

القلوب والكلى (مز 7: 9، إر 11: 20، 17: 10، رو 8: 27، رؤ 2: 23).

[240] العلامة أوريجينوس

"ذلك هكذا قال الرب عن أهل عناثوث الذين يطلبون نفسك قائلين:

لا تتنبأ باسم الرب فلا تموت بأيدينا.

لذلك هكذا قال رب الجنود:

هأنذا أعاقبهم.

يموت الشبان بالسيف،

ويموت بنوهم وبناتهم بالجوع،

ولا تكن لهم بقية،

لأني أجلب شراً على أهل عناثوث سنة عقابهم" [21-23].

يحاول الأشرار منع أولاد الله من الشهادة للحق، "قائلين: لا تتنبأ باسم الرب فلا تموت بيدنا" [21]. وكما حدث مع القديسين بطرس ويوحنا إذ

"دعوها وأوصوها أن لا ينطقا البتة ولا يُعلما باسم يسوع. فأجابهم بطرس ويوحنا وقالوا: إن كان حقًا أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فأحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بماريأنا وسمعنا" (أع 4: 18-20). هكذا حاول أوبوؤه - أهل عناثوث - منعه من الشهادة للحق، وقد أصروا على قتله، فإذا بهم يفقدون بنوهم وبناتهم بالسيف كما بالهوج!

يقول العلامة أوريجينوس:

ليؤخذ اسم "عناثوث" بالمعنى الرمزي، وهو يشير إلى اليهود. "عناثوث" بحسب ترجمة الأسماء العبرية تُترجم "مختار". كان الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، وكان ملكوت الله أيضًا عندهم. بخصوص هذا الملكوت تحققت الكلمات: "إن ملكوت الله يُوزع منكم ويُعطى لأمة تعمل أنتم له" (مت 21: 43). في هذا أيضًا تحققت الكلمات أن "أهل عناثوث" الشعب المختار، "يطلبون نفسه"، ليس نفس رميا، إنما قيل عن السيد المسيح.

"الذين يطلبون نفسك، قائلين: لا تنتبأ باسم الرب". لقد منع اليهود السيد المسيح من أن يعلم، "فلا تموت بأيدينا. لذلك هكذا قال رب الجنود: هأنذا أعاقبهم. يموت الشبان بالسيف ويموت بنوهم وبناتهم بالهوج". إنهم لم يهلكوا بالسيف في عهد رميا وإنما الآن، بعد الخراب، حلّ الهوج عليهم، ليس جوعًا إلى الخبز ولا عطشًا إلى الماء، بل لسماع كلمة الرب (عا 8: 11). لم تعد تُقال بعد لهم العبارة التي كثُرًا ما تكررت: "هكذا قال رب الجنود". فالهوج يتمثل في أنه لم تعد توجد عندهم نيات ولا حتى تعاليم. فقد رُعت كلمة الرب من عندهم، وتحققت الكلمات: "فإنه هوذا السيد رب الجنود يوزع من أورشليم ويهوذا السند والوكن، كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب. القاضي والنبي والوفاة والشيخ. رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاقد بالوقية" (إش 3: 1-3).

لم يعد أحد من بينهم يستطيع أن يقول: "كبناء حكيم قد وَضَعْتُ أساسًا" (1 كو 3: 10). لقد مضى البناعون وعيروا إلى الكنيسة، ووضعوا السيد المسيح "أساسًا" لها، ووُلادهم أيضًا بنوا عليه ^[241].

من وحي رميا 11

عوض لعنة الناموس

دخلت بي إلى حضن أبيك!

❖ طوباك يا موسى،

رتفعت على جبل سيناء لتقضي أربعين يومًا وسط سحابة القداسة،

تسمع تسابيح السمائيين،

وتقبل لوعي العهد من يد خالقك!

تولت متهللاً، فقد وقَّع الله عهدًا مع شعبه،

أعلمه بحب شديد وقسم!

أقسم بذاته لا بخليقته السماوية أو الأرضية.

أي عجب أعظم من هذا؟!

❖ تولت إلى أسفل الجبل:

عوض سحابة القداسة، رأيت رجاسة ورقصًا!

عوض تسابيح السمائيين، سمعت أغانٍ فاسدة!

وعوض الالتقاء مع الله، شاهدت العجل الذهبي!
لم تحتل المنظر، فألقيت بلوحي العهد فانكسروا،
معلنًا عن خيانة الشعب للعهد منذ اللحظات الأولى،
وسقوطه تحت لعنة الناموس!

❖ هذا هو حالي وحال اخوتي!

لقد كسرتُ العهد، وعصيت الوصية الإلهية!
فقدت ختان القلب والأذن،

فلم أعد قاورًا على سماع الكلمة الإلهية!
وأغلق عليّ في لعنة كسر الناموس!

❖ قبل تجسّدك أيها الكلمة الإلهي قدمت ذاتك لأنبيائك!

صوّرتَ أيها الكلمة مع لرميا، تعمل فيه!
لتأت إليّ ولتسكن في أعماقي!

لثبّم عهدك الجديد معي!

فأصير بحق من رجال يهوذا وسكان أورشليم!

أنتسب للأسد الخرج من سبط يهوذا،

وتصير أورشليم العليا موطني إلى الأبد!

❖ تولت إليّ يا قنوس،

دخلت معي إلى اللعنة لا بكسر الوصية، إذ أنت هو كلمة الله،

لكنك قبلت اللعنة، إذ علقت على الصليب!

دخلت معي، إذ صوت لعنة لأجلي، حاملاً لعناتي في جسّدك،

حطمت دائرة اللعنة وفجّرت أبوابها،

حملتني فيك، وانطلقت بي إلى سمواتك،

عوض اللعنة دخلت بي إلى البركة!

❖ في عتاب الحب تتاجيني.

ما لحبيبتني في بيتي؟!

قبلتني مسكنًا مقدسًا لك،

وجعلتني محبوبتك، تتحد معك، وتنعم بشركة مجدك!

لكنني عملت فظائع كثيرة،

أسأت إلى مقدساتك في داخلي،

وعوض ذبيحة الصليب عشت في لهوٍ وملذات.

أي عذر أقدمه لك يا مخلصي!؟

❖ أقمتني زيتونة جميلة مغروسة في بيتك،

عوض ثمر الروح حملتُ ثمار شهوات الجسد،

واستحقت أغصاني التي التهبت بنار الشهوة نار التأديب!

من ينفذني من نوان الشر إلا نوان روحك القدوس!؟

من يرد لي جمالي وثري فيك إلا نعمتك يا قدوس!؟

اعترف لك إني خنت عهدك،

هب لي أن تجده في داخلي يا من حملت اللعنة عني!

احملي إلى حضن أبيك واحفظني فيك!

❖ ما أعذب عهدك يا شهوة قلبي،

أخرجتني لا من عبودية فعون، بل من عبودية إبليس،

وقدمت لي لا أرضاً تفيض عسلاً ولبناً،

بل حضن أبيك، فردوساً أبدياً.

دخلت بي إلى الراحة عوض السخرة،

راحة صليبيك واهب القيامة،

راحة شوف العمل معك بروح الجدية العذبة.

تبكر إليّ وتشتاق أن أبقى معك في العهد الجديد الذي قدمته بدمك الثمين.

هب لي أن أتمسك بعهدك،

أعطني أن أستعذب وصيتك،

امنحني الأذن المختونة فلا أعود أخون العهد بعد!

❖ أعترف لك أيها الأب القدوس!

رجعت إلى آثام آبائي الأولين العصاة!

رجعت إلى عمل إبليس وملائكته الذين تبئوني في الإثم!

لأتوك بيت أبي وأحوي وراءك

اقبلني ابنًا لك عوض عدو الخير!

حررني أيها الأب لأختبر بنوتي لك كل يوم!

لتبقى بنوتي لك عاملة في لا يحطمها الشوير!

«

الأصاح الثاني عشر

أعداء في الداخل

كانت جوان قلب لرميا توجهه من أجل شعبه الذي خان العهد الإلهي، وطلب قتل لرميا نفسه حتى لا يسمعا لصوت الله. كان يشناق أن رجوا إلى الله بالتوبة فيخلصوا مما سيحل بهم، لكنهم عوض الاستماع إليه قاومه حتى أهل بيته.

1 . لماذا تُنجح طريق الأشرار؟ [1-4].

2 . كبرياء الأردن [5-6].

3 . تدمير موث الله [7-13].

4 . تدمير جوان يهوذا [14-17].

1 . لماذا تُنجح طريق الأشرار؟

"أبر أنت يلزب من أن أخاصمك.

لكن أكلمك من جهة أحكامك.

لماذا تُنجح طريق الأشرار؟

اطمأن كل الغادرين غواً.

غوستهم فأصلوا،

نموا وأثمروا ثمراً" [1-2].

تشبه هذه الكلمات ما ورد في المزمور 37 ، حيث تعجب داود النبي كيف ينجح الإنسان الثوير في طريقه، لكنه عاد فاكتشف أنه كعشب يظهر قليلاً ثم يجف. أما البار كالشوة يبدو جافاً في الشتاء لكن يحل الربيع ويظهر الثمر المتكاثر، إذ يقول: "لا تغز من فاعلي الشر... فإنهم مثل العشب سرياً يجفون، ومثل بقول الخضوة عاجلاً يسقطون" (مز 37: 1-2). ويعلق القديس أغسطينوس على ذلك بقوله: [إنهم بلا قيمة، يعيشون على سطح التربة ولا يضربون بجنورهم في الأعماق. من ثم فهم (كالعشب) الأخضر في الشتاء، حين تبدأ شمس الصيف تحمي يذبلون. الآن فصل الشتاء، لم يظهر مجدكم بعد، لكن إن كان لمحببتكم الجنور العميقة كأشجار كثرة في الشتاء، يمضي الصقيع ويحل الصيف، يوم القضاء، حيث تذبل خضوة العشب ويظهر مجد الأشجار].

وى البعض أن السبب في إثرة هذا التساؤل في هذا الأصحاح أنه في عام 809 ق.م عندما سمع يوشيا الملك الاحتجاجات الشديدة التي وُجّهت إليه قول بجيشه لمهاجمة نحو فوعون مصر الذي كان يسير في الطريق المحاذي للشاطئ لاحتلال أرض الفوات، وكان قد احتل قوة وعسقلان وغوهما من المدن الفلسطينية. التحم الجيشان في مجنون عند سفح جبل الكومل، فانهار جيش يوشيا سرياً، وأصيب الملك بجرح مميت (2 أي 35: 23). نُقل إلى مركبة ثانية، وسوعان ما مات في هدومون. حزن عليه الشعب كله، حتى صار ذلك مثلاً ومقياساً لشدة الحزن (ك 12: 11-12). استغل الحزب المناصر للعبادة الوثنية موت يوشيا، قائلين: ماذا تجدي الديانة التي لا تستطيع أن تنجي أعظم مناصر لها من كرثة كهذه؟! هنا نطق النبي بكلمات الموتل آساف (مز 73): لماذا تُنجح يلزب طريق الأشرار؟

وى البعض أن هذه الكلمات نطق بها لرميا النبي حين دخل في رتباكٍ شديدٍ، فقد وعده الله منذ بداية الطريق أن يجعل منه مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض (1: 18)، لكنه ها هو يلى الأشرار ينجحون ويردهرون، بينما يدخل هو في سلسلة من المتاعب والضيقات، لهذا وقف أمام الله يصلي إليه بل يعاتبه بقلبٍ منفتحٍ، في صراحة كاملة... دخل معه كما في ساحة القضاء يقدم احتجاجات المحبة.

يلاحظ في هذه الاحتجاجات الآتي:

ولاً: بقوله " أبر أنت يرب من أن أخاصك" [1]، يبدأ احتجاجه بروح الاتضاع، معلناً منذ البداية أنه يتكلم من موقع اليقين أن الله بار، لا يخطيء، لكن أحكامه تبدو غير واضحة. فالأمر مجرد تساؤل وعتاب حب، يطلب فيه النبي أن ينير الله ذهنه ليبرك حكمته فيما يحدث. اقتبس النبي العبرة عن (مز 119: 137): "بار أنت يرب وأحكامك مستقيمة".

إن عدنا إلى النص نلاحظ أن الكلمة العبرية لـ "أبر" [1] تعني "بِرًا" و"بريئًا"، وهي التي استخدمت في (أم 24: 24) للتعبير عما يحدث في ساحة القضاء. وكان الله في محبته قد أصدر أمره بتأديب شعبه مقدماً حيثيات حكمه، لا لكي نقبل الحكم كأمرٍ حتمي، وإنما لندخل معه في حوارٍ ونحاججه. هذه هي لغة تعامل الله معنا، لغة الحوار. أما نحن فباتضاع نصوص: "أبر أنت يرب من أن أخاصك" [1]، أو كما يقول الرسول بولس: "ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن من عرف فكر الرب؟! أو من صار له مشوراً؟! (رو 11: 33-34).

لعل النبي يقول: "قدرت شكواي للقضاء، لكنني اكتشفت أنك وىء!" هنا لا يظهر الله كقاضٍ بل كمتهمٍ، تتهمه النفس البشرية حينما تسقط في مورة الضيق فتعود وتكتشف خطأها. هكذا يتقدم الديان إلينا كمتهمٍ، تركاً لنا فرصة اتهامه لندخل معه في حوارٍ مفوح، ونجد الفوصة لنتبرر به من أخطائنا. وكان الديان البار يصير متهمًا، لكي يتمتع المتهم الحقيقي بالواعة.

خلال هذه المحاكمة اكتشف النبي خطأه، إذ ظهر أن الشعب مستحق للتأديب، بل وللموت، وأدرك ما قيل عن هذا الشعب: "لأن هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني" (إش 29: 13). هؤلاء هم العراوون الذين يقدمون بكلماتهم ما ليس في قلوبهم، أو الذين ينطقون بكلمات الرب ولا يقبلون رادته في حياتهم. عن هؤلاء يقول السيد المسيح: "ليس كل من يقول لي يرب يرب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل رادة أبي الذي في السموات" (مت 7: 21). بهذا عرف النبي لماذا يؤدبهم الله.

ثانيًا: واضح ان لميا النبي قدم تسؤلاته في لقاءٍ خاصٍ مع الله وليس علانية، إذ يقول: "لكن أكلمك من جهة أحكامك" [1]. هنا روح الانفتاح والصراحة مع الحكمة؛ فإنه يليق بنا إن عبر بنا فكر عتاب مع الله ليكون ذلك في صلواتنا الخاصة وصرخاتنا الخفية، في حوة قلبنا الداخلية، حتى لا نُعثر البسطاء، ولا يُسيء الآخرون كلماتنا!

كن صريحًا مع الرب إلهك في لقائك الشخصي معه، وتحدث معه لكي يُعلن لك أحكامه، فتشهد له علانية في الوقت المناسب!
ثالثًا: واضح من حوار لميا السوي مع الله بشأن أحكامه أوران، يبرك لميا أن الله لديه الإجابة على تسؤلاته، وأنه مصمم أن يتعرف عليها ليكتشف حكمة الله ويعرف رادته الإلهية وخطته من نوره، لهذا يقول: "أبر أنت يرب من أن أخاصك" [1]. بمعنى آخر يليق بالمؤمن ألا يخجل من أن يسأل الله بكل صراحةٍ ووضوحٍ وبلح في السؤال، لكن في ثقةٍ ويقين أن الله لديه الإجابة، ولن يبخل بها عليه، يقدمها له في الوقت المناسب.

رابعًا: إن كان لميا يتعجب كيف ينجح الأثوار، لكن لا يخفي عليه أنهم غادرون غورًا، وأن هذا الغدر يُعطي نجاحًا مؤقتًا ومزيفًا يليه هلاك وتدمير، كأنهم يغترون بأنفسهم لا بالله ولا بالناس: "لماذا تُنجح طريق الأثوار؟! اطمأن كل الغادين غورًا" [1].

خامسًا: بينما يطمئن الغادرون ويظنون أنهم ناجحون ومثمرون ونامون بقدرتهم وحكمتهم وتخطيطهم البشوي، إذا بالنبي يؤكد سلطان الله حتى على هؤلاء الغادين، فإنه ما كان يمكنهم أن ينالوا هذا النجاح المؤقت إلا بسماح إلهي، إذ يقول:
"غوستهم فأصلوا،

نموا وأثمروا ثورًا" [2].

ظاهرة خطوة! لقد تأصلوا، أي صلت لهم جنور، ونموا وأثمروا، لكن ليس من ذاتهم، لأن الله هو الذي "غوسهم" ليأثروا بثمرٍ روجي صالح، واهبًا إياهم إمكانيات جبلة للعمل لحساب ملكوته، فإذا بهم يسيئون استخدام هذا الغوس وهذه الإمكانيات. ما لديهم من طاقات استخدموها للشر والتحطيم هي عطايا مقدسة أفسوها برادتهم البشوية.

إنها ظاهرة خطوة، يظوم الأثوار مواهبهم بقوة، ويعملون بكل نشاط، فينمون في الشر بلا توقف، مجاهدين بروح الغدر والخداع، بينما يهمل

أبناء الملوك المواهب والإمكانات الممنوحة لهم. وكما قال السيد المسيح "ابناء هذا الدهر أحكم من ابناء النور في حيلهم" (لو 16: 8).

سادسًا : إن كانوا غادرين، وإن كانوا قد أسلوا استخدام طاقاتهم ومواهبهم وإمكاناتهم، فعلة ذلك كله الرياء . يقتربون إلى الله بفهمهم خلال العبادة، خاصة الصلوات والتسابيح، أما كلامهم الخفي وقلوبهم أو إنسانهم الداخلي مع مشاعرهم فبعيدة عن الله: "أنت قريب في فهمهم وبعيد من كلامهم" [2]. كأن الرياء هو وراء كل فساد في حياتهم، إذ لهم صورة التقوى وينكرون قوتها (2 تي 3: 5).

وى العلامة أوريجينوس أن هذه العيلة تنطبق على الواطقة، إذ يقول: ["أنت قريب من فهمهم وبعيد من كلامهم" ، يعرفون جيدًا أن ينطقوا اسم يسوع، لكنه ليس في داخلهم لأنهم لا يعرفون به بإيمان صحيح [242].

سابعًا : مقابل هؤلاء الرائيين الذين ينطقون بغير ما يبطنون يقدم النبي نفسه كإنسانٍ ينطق بما يبطن، ويحمل في مظهره ما في أعماقه، وأن الله نفسه الفاحص الكلي والقلوب يشهد بذلك، إذ يقول: **وأنت يرب عرفنتي رأيتني واختبرت قلبي من جهتك" [3].**

إذ عاش رميا مع الله بروح الإخلاص بعيدًا عن الرياء استحق أن يكون موضوع معرفة الله ورؤيته. بمعنى آخر يتمتع رميا بأن يعرفه الله معرفة المحبوب لديه والصديق الملاصق له، وأن ينعم بنظرات حبه واهبة السلام.

إن كان الله قد عوّف رميا ما يحمله الناس من خداع وما يقدمونه من أفعالٍ شوية ضده (11: 18)، ففي المقابل يعرف الله أعماق رميا وواها ويختوها بنفسه. ترجع هذه المعرفة إلى ما قبل خلقته، إذ جاءت كلمة الرب: **"قبلما صورتك في البطن عرفتك" (1: 5).**

ثامنًا : إذ كان رميا النبي نقيًا في أعماقه، مخلصًا في تصرفاته، ما يتكلم به بلسانه يكشف عما في أعماقه، لذا كان نقيًا حتى في غضبه. إن غضب يشهد للحق الإلهي ويطلب توبة الساقطين ونموهم روحيًا. كيف يكون ذلك وهو يقول:

"أفرزهم كغنم للذبح،

وخصصهم ليوم القتل" [3].

في شهرهم ظلوا قتله، فصار **"كخروفٍ داجنٍ يُساق إلى الذبح" (11: 8).** صار ذبيحة حب لأجل الله ولأجل اخوته، فتحول شهرهم إلى خيرٍ، وها هو يطلب لهم أن يغفروا للذبح. ربما يتساءل البعض: لماذا يطلب النبي رميا ذلك لشعبه؟

لا يمكن تجاهل مشاعر النبي الباكي الرقيقة نحو شعبه، ونوبان كيانه الداخلي واعتصره لأجلهم، فإنه لم ينس قط أنه راعٍ، لا يشتهي البلية (17: 16) بل يطلب ما لصالح قطع الله. فلماذا كان يطلب النعمة لنفسه؟

أ. تكشف كلمة الله عن الضعف البشري، فمع ما حمله النبي من حبٍ إلا أنه في لحظات ضعفه لم يحتمل الضغط المستمر ومقاومة الشعب له على مستوى القيادات الدينية، كما على مستوى رجل الشلوع، بل حتى أسرته وأهل قريته خططوا للخلاص منه. إنه إنسان له ضعفاته، أماربنا يسوع الذي غفر لصالبيه في أمر لحظات الألم (لو 23: 34)، فهرب مؤمنيه إمكانية الحب للأعداء والصلوة للمسيئين إليهم كما فعل اسطفانوس (أع 7: 60).

ب. طلب النعمة لتأديب أسرته، لأنهم مستوجبون الموت. مارسوا العبادة بما يخالف الناموس، وحسوا شركة رميا في اصلاحات يوشيا للهيكل في أورشليم خيانة لهم. من جانب آخر، فإن عائلته وأهل قريته شعروا أن نواته هيجت الشعب كله ضدهم، وأنهم صاروا في نظر الشعب في كل البلاد خونة للوطن بسببه، إذ أكد حدوث السبي، لذلك ثاروا ضده. فالانتقام الذي يطلبه إنما هو تأكيد أن الله - بالنسبة له - ولأقبل أسرته وفوق كل علاقات بشوية.

ج. ربما لم يكن بعد قد أورك رميا مفهوم الألم وتأثوه في خلاص الآخرين، لأنه لم تكن بعد قد ظهرت آلام مخلصنا، فكان يوكه الألم.

د. ربما خشى النبي رميا من بطء قصاص الأثوار، فهو يتعجل التأديب، ليس للانتقام، وإنما لكي يعطى طمأنينة للأوار.

هـ. ما يطلبه من انتقام ليس رغبة داخلية في طلب الشر من نوره، إنما نية عما سيحل بهم لأنهم قالوا له: **"لا تتنبأ باسم الرب" (11: 21).**

تاسعًا : أصيب النبي بحالة إحباط بسبب طول أناة الله على الأثوار :

ألا تذكر كيف دعوتك ووعدتك إنني أكون معك!؟

فلماذا يتسرب اليأس إلى قلبك؟

لقد دخلت المعركة المقدسة بقلبٍ نقي، لكنها فوق إيراكك، لا تعرف أبعادها. انتظر لثوى دوري، ولا تتعجل النتائج في حياتك، وفي حياة الشعب الذي زاه الآن شورًا ومقلومًا لك ولي. إنك حتى الآن قد "جريت مع المشاة فأتعبوك"، لكنني أجعلك تبلى الخيل. أنت الآن في أرض السلام نسبيًا، إنني أسندك حينما تدخل في الأخوان الشديدة التي تجتاح الأرض ككروياء الأردن.

هذه معاملات الله معنا، لا يدفعنا دفعة واحدة لنبري الخيل، بل يختوننا أولاً بالحوى مع المشاة. لا يسمح لنا أن نلتقي بنهر الأردن في حالة فيضانه لمواجهة تيلاته ولججه، بل أن نُعرب أولاً في أرض السلام وسط أحبائنا.

تكرر تعبير "كروياء الأردن" أربع مرات في العهد القديم (49: 19؛ 50: 44؛ 11: 3).

من الناحية الروحية ينبغي ألا نوثي فوق ما ينبغي (رو 12: 3)، أي ليعرف كل إنسان قامته الروحية. كمثال لا نملس ونحن بعد في بداية الطريق للتدريب الروحية التي اختوها النساك في نهاية طريقهم، بل نسلك بحكمة الروح. يؤمننا أن نبدأ الطريق مع المشاة، وعندما ننجح ندخل في مبرة مع راكبي الخيل. إن كنت منبسطًا على الأرض في ضعفٍ وأنت بعد لم تدخل المعركة، ماذا تفعل في كروياء الأردن؟

التظوف حتى في الطريق الروحي خطير، إذ يؤمننا أن نعلم على نعمة الله التي تبيننا في هوء وبكلمة، وليس بانفعالات عاطفية عنيفة. يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم عن هذا المبدأ وهو أن لا يوتني الإنسان فوق ما ينبغي، حاسبًا إياه رأس كل الفضائل، داعيًا إياه "اتضاع

الفكر"، قائلاً:

[هنا يقدم لنا الرسول بولس (رو 12: 3) أم كل الأعمال الصالحة، أي اتضاع الفكر، مقتديًا بسيدته. فعندما صعد على الجبل وأخذ يقدم نسيجًا من الوصايا السلوكية قدم في المقدمة هذا البنوع، قائلاً: "طوبى للمساكين بالروح" (مت 5: 3). هكذا أيضًا بولس إذ يعبر من الجوانب التعليمية إلى الجوانب العملية يحدثنا عن الفضيلة بطريقة عامة، سائلًا إيانا أن نقدم (نواتنا) ذبيحة عجيبة (رو 12: 1). وإذ يقدم صورة خاصة بها بدأ بالاتضاع كما من الرأس، مخوًا إيانا: "لا يوتني فوق ما ينبغي، بل يوتني إلى التعقل" (رو 12: 3).

يعني القول: لقد تسلمنا حكمة، لا لنستخدمها لكروياننا، وإنما لنكون متعقلي الفكر. يقول هذا لا نكون منحطين في الفكر، بل متعقلين، قاصدًا بالتعقل هنا الفضيلة العاقلة والصحية في الذهن].

بمعنى آخر، يقول الله لإرميا إن كنت تتساءل: لماذا تُتجح طريق الأشوار؟ فلتعلم أنك لا تزال في بداية الطرق الضيق. لكنني أكون معك وأرتقي بك وسط الآلام، فنكتشف أسوار محبتي ومعاملاتي معك ومع شعبي.

ثانيًا : قدم الله التسؤلات السابقة عوض إجابته على السؤال مباشرة، ليؤكد له أنه يعلم تمامًا ما بلغه إرميا من تعبٍ ومرارة، لكنه ليس منسيًا أمام الله. سيعطيه غلبة على المشاة، ويدخل به إلى المبرة بين راكبي الخيل، وسيتوقع به من نصوة إلى نصوة. بمعنى آخر يؤكد له الله اهتمامه به حتى وإن ثلثت في نفسه تسؤلات تبدو كأنها عن ضعف إيمان.

كأن الله يقول له: أنا أعرف أنك ولد كما سبق فاعترفت (1: 6)، هادئ الطبع، ذو قلبٍ رقيق، لا تحتمل الضربات العنيفة، اعلم إنني لن أتراك. إنني لست مثل إخوتك وأهل بيتك الذين يغترون بك حتى إن نالوا وراءك بصوتٍ عالٍ وتكلموا معك بالخير [6]. إنني أشركك مشاعرك، وأورك ضعفاتك، حتى وإن كنت عاجزًا عن مبرة المشاة، أو في معركة على أرض السلام.

بهذا لا يعاني إرميا من الشعور بالوحدة والعزلة أو الشعور بالنقص أو الفشل، لأن الله رافقه حتى وإن فرقه العالم كله!

ثالثًا : نشتم من هذه الكلمات تأكيد الله لإرميا ألا يحكم قبل الوقت . فإن انتظر وى حكمة الله وأيضًا عدله المموج بالحب والرحمة!

رابعًا : كأن الله يسأل نبيه إرميا ألا يضطرب بمنثل هذه الأسئلة وهو يتطلع إلى بني قومه يقاومونه ويغترون به، فإنه مُسل لخدمة الشعوب كما

سبق فأخوه: "جعلتك نبياً للشعوب" (1: 5). بمعنى آخر كأن الله يقول له: إنني أتعجب أنك تتساءل في هذه الأمور الصغرة، وأنا أرسلتك لخدمة الشعوب. عوض الانشغال بهذه التسؤلات احرص على تتميم رسالتك العظيمة التي انتمنتك عليها. لترفع بنعمتي فوق الأمور التي تشغل بني البشر وذلك بإواكك لمركك الجديد الذي قدمته لك.

خامساً: بقوله "إخوتك أنفسهم وبيت أبيك" [5] يقصد كل أهل عناثوث (إخوته)، خاصة الأقرباء جداً إليه (بيت أبيه). كأنه يقول له: لماذا تحتج عليّ قائلاً: لماذا تُنجح الأشرار؟ إن كنت أطيل أناتي عليهم فلا تنسى أنهم إخوتك وبيت أبيك حتى إن غدروا بك! أنا أحزرك منهم لكنني أؤدبهم لأخلصهم، فهم أقربواك!

يترجم البعض كلمة "عالٍ" [6] بـ "سكان" أو "ممتلىء سكوًا"، فالكلمة العبرية ترجمتها الحرفية هي "وزن ثقيل" أو "ممتلىء" (خاصة بالسُكر)... لهذا وي البعض أن المعنى هنا هو أن أقرباء لميا كانوا يسخرون به كإنسان ممتلىء سكوًا، كما حدث مع التلاميذ حين قبلوا عطية الروح القدس، إذ قيل عنهم إنهم سكرى (أع 2: 13)، كما قيل هكذا عن حنة عندما كانت تُصلي بقلبٍ منسحقٍ (1 صم 12-15). هكذا كان أقربواؤه ترة يسخرون به، وكان في هذاربواً للسيد المسيح الذي اتهمه أقربواؤه حسب الجسد أنه مختل العقل (مر 3: 21)، وترة يحاولون خداعه بكلمات معسولة، كما قبل يهوذا سيده مسلماً إياه للموت!

3 . تدمير موات الله:

في هذا الأصحاح والأصحاح التالي توجد سبع مجموعات من النوات، ست منها عن انهيار أورشليم، وواحدة (11: 14-17) عن جوان يهوذا، قيلت غالباً في أيام يهوياقيم (609-598 ق.م).

أ. نوة أولى (12: 7-13): ضد أورشليم موات الله.

ب. نوة ثانية (12: 14-17): نوة عن الأمم المجاورة.

ج. نوة ثالثة (13: 1-11).

د. نوة رابعة (13: 12-14).

هـ. نوة خامسة (13: 15-17).

و. نوة سادسة (13: 18-19).

ز. نوة سابعة (13: 20-27).

جاءت النوة الأولى تركز على إسرائيل بكونه الموات الخاص لله، فمنذ البداية قيل: "إن قسم الرب هو شعبه، يعقوب حبل نصيبه" (تث 32: 9). قدم الله لهم أرضه - أرض الموعد - نصيباً، وقبلهم هم نصيباً له. لكنهم افسدوا أرضه فصاروا مستحقين الطرد منها، وفقنوا سمتهم كمواتٍ للرب. هكذا ربط بين الشعب والأرض إذ يقول: "قد تركت بيتي، رفضت مواتي، دفعت حبيبة نفسي ليد أعدائها... رعاة كثيرون أفسدوا كرمي... خربت كل الأرض" [7، 11].

وي العلامة أوريجينوس أن المتحدث هنا هو الكلمة المتجسد الذي قول إلى أرضنا ليدفع حياته في يد الأعداء ذبيحة لخلصنا، إذ يقول: ["قد تركت بيتي. رفضت مواتي. دفعت حبيبة نفسي ليد أعدائها" [7]. لاحظ إذاً أن ذلك الذي هو في "صورة الله" (في 2: 6) جالس في السموات، وأنظر إلى بيته الذي يفوق السموات. لو أردت أن ترى أيضاً ما هو أعظم وأعلى من ذلك، فإن بيته هو الله "إلني في الآب" (يو 14: 11).

"لقد ترك أباه وأمه" (مت 19: 5)، وترك أورشليم السماوية وجاء إلى الأرض، قائلاً: "قد تركت بيتي. رفضت مواتي".

كان مواته في الواقع في الأماكن التي توجد فيها الملائكة والصفوف التي توجد فيها القوات المقدسة.

لكنهم حينما ملأوا كيل (كأس) آبائهم، لم يكتفوا بقتل الأنبياء واضطهاد الأوار، قتلوا أيضًا مسيح الرب، فتمت بشأنهم الكلمات: "هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا" (مت 23: 37)، وهكذا فإنه "بسبب" السيد المسيح تحملوا هذا المصير وخربت كل رُضهم.

إذا أردت أن تفهم الكلمات: "خربت كل الأرض بسببي"، بطريقة أكثر سمواً، انظر كيف خربت الأرض التي في داخلك حينما جاء السيد المسيح. ففي الواقع قد خربت حينما قمنا بإماتة الأعضاء الأرضية، فلم تعد الأرض التي في داخلنا تنتج الأعمال الأرضية، ولم تعد توجد عند البار أعمال الجسد التي هي فسق، نجاسة، شهوة، زنا، سحر الخ. يقول المخلص أيضًا من جهته: "أتظنون إنني جئت لأعطي سلامًا على الأرض؟! كلا، أقول لكم بل انقسامًا" (لو 12: 51). قبل مجيء المسيح لم يكن هناك انقسام على الأرض، لأن لم تكن للجسد شهوات ضد الروح ولم يكن للروح أن تشتهي ضد الجسد. لكن عندما جاء إلينا المخلص وعرفنا ما هي أعمال الجسد وما هي أعمال الروح، بهذه المعرفة حدث الانقسام الذي فصل بين الجسد "الأرض" والروح. ستتحقق الكلمات "خربت كل الأرض" حينما نحمل في جسدنا إماتة الرب يسوع، وحينما لا نحيا بحسب الجسد بل بحسب الروح، وحينما لا نزرع شيئًا في الجسد إنما نزرع كل شيء في الروح حتى لا نحصد فسادًا من الجسد، إنما نحصد بالروح حياة أبدية [246].

زرعوا حنطة، وحصنوا شوگا،

أعبوا ولم ينتفعوا،

بل خزوا من غلاتكم من حمو غضب الرب" [13].

زرعوا حنطة، لأن معهم شريعة الرب، كلمة الله الحية، لكنهم حصنوا شوگا لأنهم لم يقدموها بالمفهوم الروحي، ولا عاشوا فيها، بل تمسكوا بالحرف، فعض الحنطة حصنوا شوگا.

يقول العلامة أوريجينوس:

إقبل للخطاة: "تزرعون حنطة وتحصدون شوگا" [13].

لأنهم حتى إن كانوا يعرفون كلمات الله ويؤدونها، إلا أنهم لا يعرفونها المعرفة الصحيحة ولا يعيشون بها ولا يؤمنون بها، بل ينطبق عليهم القول "تزرعون حنطة وتحصدون شوگا". وينطبق هذا الكلام بصفة خاصة على الهواطة الذين يؤون الكتاب المقدس ويحصدون شوگا، ليس شوگا من الكتاب المقدس نفسه، إنما من طريقتهم في الفهم والتفسير [247].

4 . نبوة عن الأمم المجاورة:

في وسط الظلام الدامس يشوق الله على البشرية بنور الوجود، ليس فقط على شعبه، بل وعلى الأمم المجاورة إن عانوا إليه بالتوبة.

إن كان الله يؤدب فهو لا يطلب عذاب البشرية بل نومهم، إذ هو "محبة"، لذا يقول: "عرفت الأفكار التي أنا مفكر بها عنكم أفكار سلام لا شر" (29: 21).

هكذا يبعث الله روح الوجود في لرميا، طالبًا منه عوض التساؤل: "لماذا تُنجح طريق الأشرار؟ [1]، أن يتطلع إلى المستقبل لوى شعبًا جديدًا من كل الأمم والشعوب يتمتع بالحياة الجديدة، حيث يتحول الأمم إلى الإيمان، كما حولت الأمم شعب الله إلى عبادة البعل. يكشف الله لرميا الذي جعله نبيًا للشعوب (1: 5) عن كنيسة العهد الجديد حيث يملك الله ومسيحه على الأمم (رؤ 11: 5). بهذا أعطى الله لرميا قوة ودافعًا للعمل بنظرة مستقبلية موحية.

من وحي لرميا 12

لماذا تُنجح طريق الأشرار؟

❖ اسمح لي يا خالقي أن احاجبك مع النبيين داود وإرميا:

لماذا تُنجح طويق الأثوار؟!؟

لماذا زى الأثوار متأصلين ونامين ومثمرين،

وولادك يئنون وسط الآلام؟!؟

❖ أعترف لك بحبك يا جابلي،

سمحت أن تدخل في المحاكمة وأنت ديان البشوية كلها.

أنت أبر من أن أخاصمك.

لكنني أدخل معك في مضطجعي لأتساءل سواً.

نفسي موة؛ من يهبها الراحة غورك؟!؟

نفسي تتساءل؛ من لديه الإجابة إلا أنت؟

❖ الآن عرفت لماذا تُنجح طويقهم،

تطيل أناةك عليهم لعلهم يتوبون،

عرفت أنهم مولؤون... لكنك ستؤدب وتنتظر رجوعهم إليك.

❖ علمت أن شكواي تكشف عن ضعفي.

إنني عاجز عن مبلارة المشاة،

إنني في بدء طويق الألم لا أحتمل غدر الأثوار.

علمني أن أنتظر، ولتربني فأبلي الخيل.

انبطحت في ضعف وأنا بعد في أرض السلام،

علمني أن أنتصر في معركة الآلام كما في كوياء الأردن،

عندئذ لا أتساءل بل أرك سر طول أناةك.

❖ لماذا اشتكي الأثوار؟!؟

وهم اخوتي وبيت أبي؟!؟

لنظل يرب بالأكثر أناةك عليهم!

هم أكثر حاجة إلى حبك وراحمك لتقتبهم لك!

اجتنبهم باللفظ كما بالتأديب أيها العجيب في حكمتك!

❖ لماذا اشتكي الأثوار؟!؟

إنهم بيتك المرفوض لأنهم دنسوه!

هم موائك الذي ردلته لأنهم نجسوه!

هم حبيبة نفسك التي سلمت نفسها بشوها لعوها!

إنهم يحتاجون إلى رثاء حتى إن تأصلوا ونموا!

❖ لماذا اشتكي الأشرار!؟

إنهم لم يقصدوني بل قصدوك أنت في!
صاروا كأسدٍ في البرية زُرُون ضدك.
صاروا كضبعة نهمّة لا تكف عن الاقتراس،
صاروا كطيرٍ جرحٍ يجتمع معاً حول الطير الصغير يأكلونه كما في وليمة!
صاروا كمن في خواب!
كان يليق أن أبكيهم حتى على ما بدا عليهم من نجاح.

❖ لماذا اشتكي الأشرار؟

إنهم غرسك، لكنهم أساعوا عطاياك.
لقد نموا وأثمروا، لكن لحساب ملكوت الظلمة.
لقد أفسدوا كل مواهبك.
جدد طبيعتهم وردهم إليك،
فإنك لا زال تنتظر خلاصهم!
استحق معهم التأديب،
وأتوقب عودتي وعودتهم إليك يا حامل خطية العالم كله!

<<

الأصاح الثالث عشر

مثلا المنطقة والزق الممتلئ خمرًا

طلب الله من رميا النبي أن يملس عملاً ما كوسيلة إيضاح يقدم بها نوساً للشعب كما لإرميا نفسه، كما قدم له مثلاً كان شائعاً وسط اليهود، من خلالهما يرد الله على تساؤل رميا السابق: لماذا تُنجح طريق الأشرار؟ (12: 1)، وفي نفس الوقت يوضح أن ما سيحل بالشعب من تأديب علته شورهم، خاصة الكورباء، مؤكداً المبدأ الكتابي: "قبل الكسر الكورباء".
استخدام العمل الرمزي لم يكن بالأمر الغريب بالنسبة لإرميا، وقد اعتاد الشعب في العهد القديم أن يسمع صوت الله خلال أعمال رمزية.
وجد رميا متاعب وهو يُجري المشاة، الآن ها هو يُبلي الخيل (5: 12)، يقف أمام الملك والملكة ويعلن موثاة الرب عليهما، متحدثاً عن فقدان مملكة يهوذا مجدها.

1. منطقة من كتان [1-11].

2. مثل الرقاق الممتلئ خمرًا [12-14].

3. دعوة للتوبة [15-21].

4. ثمار الشر [22-27].

1. منطقة من كتان:

"هكذا قال الرب لي:

اذهب واشتر لنفسك منطقة من كتان وضعها على حقوك،
ولا تدخلها في الماء...

فصار كلام الرب إليّ ثانية قائلاً:

خذ المنطقة التي اشتريتها التي هي على حقوك،
وقم انطلق إلى الفوات واطورها هناك في شق صخر...
وكان بعد أيام كثرة أن الرب قال لي:

قم انطلق إلى الفوات *Perath* وخذ من هناك المنطقة التي أمرتك أن تطورها هناك.

فانطلقت وحفرت وأخذت المنطقة من الموضع الذي طموتها فيه،

وإذا بالمنطقة قد فسدت لا تصلح لشيء.

فصار كلام الرب إليّ قائلاً...

هكذا أفسد كبرياء يهوذا وكبرياء أورشليم العظيمة" [1-9].

كيف أمكن للنبي أن يسافر من أورشليم أو عناثوث إلى نهر الفوات بالوواق ذهاباً وإياباً مرتين حيث تبلغ المسافة بينهما حوالي 350 ميلاً في الشمال الشرقي من عناثوث، أي تقطع الرحلتين معاً حوالي 1400 ميلاً؟ خاصة وأنه لا توجد هناك صخور يخفي فيها المنطقة، إنما يؤمّه أن ينطلق إلى شمال كركميش ليجد صخوراً [248].
وي البعض أن الكلمة هنا *Perath* ربما يُقصد بها ينبوعاً في وادي فوح يُدعى "عين فوح" يبعد حوالي أربع كيلو موات شمال شرقي عناثوث (يش 8: 23) [249]، فإن نطق كلمة "فوح" *Parah* والفوات *Perat* متشابه [250]. وحسب آخرون أن الحديث هنا رمزي لم يُملس عملياً، أو أنه مجرد رؤيا.

يلاحظ في هذا المثل الآتي:

ولاً: يشبه الله شعبه بمنطقةٍ جديدةٍ مُشَوَّاهٍ يلصقها النبي على حقويه دون أن يمسه ماء. وكما يقول الله نفسه: "لأنه كما تلتصق المنطقة بحقوي الإنسان، هكذا ألصقت بنفسي كل بيت إسرائيل وكل بيت يهوذا يقول الرب ليكونوا ليشعباً واسماً وفخراً ومجداً لكنهم لم يسموا" [11]. هكذا يقتني الله لنفسه الكنيسة - إسرائيل الجديد - لتكون منطقة ملتصقة به أو ثوبه الذي يرتديه. هذا الثوب الذي صار أبيضاً كالنور في لحظات تجلي رب المجد (مت 17: 2)، لأن بداخله شمس البر!

مسيحنا يود أن يسكن فينا كنوبٍ له، فيُنيرنا ويقدسنا، نشهد لبهائه ومجده وقداسته!

❖ ثيابه هي الكنيسة، لأنه إن لم يمسه من يرتديه تسقط. في هذا الثوب كان بولس كما لو كان هُذباً، إذ قال عن نفسه: "لأنني أصغر الوسل" (1 كو 15: 9). في موضع آخر يقول: "لأنني آخر الوسل". الهدب في الثوب هو آخر وأقل شيء فيه، لذلك فإن المرأة التي كانت تعاني من ترف الدم إذ لمست هذب ثوب المسيح برئت، هكذا الكنيسة التي جاءت من الأمم صلت صحيحة خلال تعاليم بولس الرسول.

أي عجب في الإشارة إلى الكنيسة بالثوب الأبيض إن سمعت إشعياء النبي يقول: "إن كانت خطاياكم كالقومز تبيض كالثلج" (إش 1:

[251]!؟(18

القديس أغسطينوس

❖ إن رأيت إنسانًا ليس فقط له فهم عميق للاهوت يسوع، إنما يفسر كل تعبيرٍ إنجيلي، فلا تتردد في القول بأن ثياب يسوع قد صلت بيضاء كالثلج [252].

العلامة أوريجينوس

❖ إن كنا نحن ثوب المسيح، فإننا نلبس عريه بإيماننا. انظره معلقًا عريانًا على الصليب بسبب حسد اليهود وغبلوة الأمم (1 كو 1: 23)، ومع ذلك فإنه يلتحف بإيماننا وبمعرفةنا ومدىنا...

نحن ثوب المسيح، حينما نلتحف باعترافنا بالإيمان، فإننا بدورنا نلتحف بالمسيح [253].

القديس جيروم

وروى القديس جيروم في هذا الحدث نوبة ليس فقط عن السبي البابلي وإنما عن رفض اليهود للإيمان بالسيد المسيح، الذي يفقدونهم بكونهم منطقتهم الكتانية التي فسدت بجودها، فيقتني لنفسه منطقةً أخرى من الأمم يرتديها ولا يبقى عريانًا.

❖ شعب الله ملتصقون به كما تلتصق ملابس الإنسان بجسده. لكن لأن هذه المنطقة السامية التي التحف بها الرب قد رُعت وأُقيت على الجانب الآخر من نهر الفوات ووُضعت في نوبة صخرة، وقد فسدت، فإن هذا الشعب قد سباه الأثوريون، فماذا يفعل الرب؟ إنه لا يبقى عريانًا، لا يمكن أن يبقى بلا منطقة، لا يبقى بلا غطاء. إذ ضاع الشعب الأول صنع لنفسه ثوبًا من الأمم [254].

القديس جيروم

سرّ بياض الثوب كالنور ونقاوته كالثلج هو السيد المسيح الذي يرتديه، أما إذا خُلع الثوب عنه، وطُمر في الزاب، فلا يحمل إلا الطبيعة الزاوية الفاسدة، وتظهر فينا الظلمة والفساد.

ثانيًا: يقول العلامة أوريجينوس:

[حينما يضع النبي المنطقة على حقيقه يمثل الله الذي يحمل شعبه: "ألصقت بنفسي هذا الشعب يقول الرب". صار الشعب مثل المنطقة بالنسبة لله. لماذا صار مثل منطقة الله على حقيقه؟ لنوأ في سفر حزقيال ونعرف كيف أن الله ينتزل بطريقة أو بأخرى إلى المستوى المادي ليناسب فكر الإنسان، وكيف أنه من حقيقه إلى تحت منظر نار، ومن حقيقه إلى فوق منظر عقيق؛ ونحاول بعقلنا أن نفهم ما هو السبب في أن الجزء الذي من حوي الرب إلى تحت منظر نار (حز 1: 27) [255].]

ثالثًا: طلب الله من رميا أن يشوي لنفسه منطقة جديدة من الكتان، وأن ينطلق بها إلى الفوات ويطوها.

ماذا كانت مشاعر رميا حين وجدها قد فسدت؟! بلا شك كانت نفسه موهة، اشواها بفضته، وألصقها بحقيقه إلى لحظات، وتكلف مشقة السفر إلى الفوات أكثر من موهة. وأخوًا وجدها فاسدة لا تصلح لشيء! إنها ثمينة في عينيه! فكم بالأكثر تكون النفس ثمينة في عيني الله الذي اقتناها لنفسه بعد أن خلقها وأوجد كل العالم لأجلها، ولأجل خلاصها أرسل الناموس والأنبياء وأخوًا تجسد الكلمة الإلهي وقدم دمه الثمين ثمنًا لتجديدها وخلاصها؟! أترك رميا أنه ما كان ينبغي عليه أن يتساءل حتى في داخل نفسه: لماذا تُتجح طريق الأثوار؟! إنها نفوس ثمينة هلكت، يتوقب الله خلاصها بكل وسيلة.

رابعًا: إن كان الله قد جعل شعبه كمنطقة تلتصق به، فإن المنطقة تضم بقية الملابس معًا حول حوي الشخص. وكأن الله يريد من أولاده الذين يلتصقون به أن يضموا الآخرين معًا في الرب. غاية الله من اختيار شعبه أن يجتنوا كل الأمم ليصيروا ثيابًا ملتصقة بالرب.

خامسًا: طمر المنطقة الجديدة في الزاب يكشف عن افساد إمكانياتنا وموهبنا بطوها، أي عدم استخدامها لحساب ملكوت الله.

إخفاء المنطقة في صخرة يشير إلى حالة الوعب التي حلت بيهودًا، فعوض الاشتياق نحو الالتقاء به كمخلص وعريس للنفس يهرون منه في

خوف، طالبين الاختفاء في شقوق الصخور. عندما سقط آدم وحواء في العصيان هرباً من وجه الرب ليختفيا (تك 3: 8). كما قيل في سفر إشعياء: "ادخل إلى الصخرة واختبيء في التّواب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته. ويدخلون في مغاير الصخور وفي حفائر التّواب من أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته عند قيامه لوعب الأرض... ليدخل في نقر الصخور وفي شقوق المعازل من أمام هيبة الرب..." (إش 2: 10، 19، 21).
والعجيب أن السيد المسيح يقدم نفسه "الصخرة" التي فيها نختفي ونحتمي، حيث فيه ننتبرر ولا نُدان! نسمعه يقول: "هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة" (خر 33: 20-21). هناك نتمتع مع موسى النبي بروؤية بهاء المجد الإلهي.

سادساً: ربما قصد نهر الوات على وجه الخصوص ليشير إلى خطر الكلدانيين روحياً ومادياً على شعب الله، إنه يوضح كيف يُفسد السبي البابلي هذا الشعب ويحطمه.

سابعاً: أوره الله ألا يضع المنطقة في الماء، ليوضح رفض الشعب التطهير، أو عدم قبولهم المعمودية التي فيها يتمتعون بالموت والدفن مع المسيح ونوال الحياة الجديدة المُقامة. إن كانت المنطقة من الكتان تشير إلى النقولة، لكن هذه النقولة تفسد بدون الشوكة مع المسيح المصلوب القائم من الأموات والتمتع بعمل الروح القدس النزلي غافر الخطايا. وكما يقول الرسول: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبته بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تي 3: 5-6).

❖ كان ضرورياً أن يصنعوا بواسطة المياه لكي يصيروا أحياء، فإنهم لا يستطيعون أن يدخلوا ملكوت الله ما لم يخلعوا حالة الموت التي كانت لهم قبلاً... قبل أن يحمل الإنسان اسم "ابن الله" يكون ميتاً، لكنه إذ يتقبل الختم يُلقى عنه حالة الموت ويتمتع بالحياة.
الختم إذن هو الماء الذي يتولون فيه أمواتاً ويصنعون أحياء! [\[256\]](#)

الأب هرمانس

❖ مغبوط هو سرّ الماء الذي لنا، فبغسل خطايا العمى الذي أصابنا مبكراً نتحرر وندخل إلى الحياة الأبدية. [\[257\]](#)

العلامة ترتليان

❖ يُعطى الروح القدس للذين يؤمنون ويولدون ثانية بغسل التجديد. [\[258\]](#)

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ بواسطة غسل الميلاد الجديد والتجديد بالروح القدس نصير أبناء الله. [\[259\]](#)

القديس باسيليوس الكبير

المعنى الحرفي لعدم وضع المنطقة في الماء هو تأكيد أن المنطقة نظيفة جديدة لا تحتاج إلى غسلٍ بماء.
ثامناً: بالنسبة للمنطقة (بالعبرية *ezor*) (وى البعض أنها منطقة كتانية حول الوسط كان يرتديها الكهنة والأشرف الأغنياء، وقدر فرض بعض الدارسين هذا المعنى وقالوا إنها تعني *waistcloth* عبلة عن لباس *skirt* داخلي حول الحوقين يبلغ إلى منتصف الفخذين. [\[260\]](#)

يعلل البعض استخدام المنطقة كرمز ليهودا بأن لم يزوج (16: 2)، فلو أنه تزوج لاستخدم رمز العروس المتحدة بعيسها كما فعل هوشع، لذلك أراد تأكيد التصاق الشعب بالله كالتصاق الإرار بالجسد.

أما خامتها فمن الكتان، كثياب الكهنة (خر 28: 39). كانت ثياب هرون الكهنوتية للمجد (خر 28: 2). كأن الله أقام شعبه أمة كهنوتية أو ملكوتاً كهنوتياً مجداً، لكنها بعصيانها فقدت السمة الكهنوتية ودخلت إلى العار. [\[261\]](#) خاصة بجدها رئيس الكهنة الأعظم وأسقف نفوسنا ربنا يسوع المسيح.

[\[262\]](#) ستائر الهيكل أيضاً ولباس الملوك من الكتان. فإن كانت مملكة يهوذا قد انكثت على وجود الهيكل في أورشليم، وعلى أن سبط يهوذا

ملوكي، فهودا يرفض الله هيكله الذي تدنس، ويؤزع عن يهوذا السمة الملوكية حتى يأتي ابن داود ملك الملوك ويقوم هيكل العهد الجديد ويجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه (رؤ 1: 6).

تاسعاً: طلب منه طرهما بجوار الوات (أو عين فوح)، أي بجوار المياه المجانية التي تشير إلى عطية الروح القدس الواهبة التجديد والتقديس. وكأنه لا عذر لنا على فسادنا، لأن فيض النعمة الغنية مُقدم لنا مجاناً، وليس ببعيد عنا!

ربما قصد بالمياه أيضاً ما يفعله البابليون بهم، إذ قيل: "هوذا السيد يُصعد عليهم مياه النهر القوية والكثيرة، ملك أشور وكل مجده، فيصعد فوق جميع مجريه، ويعوي فوق جميع شطوطه، ويندفع إلى يهوذا. يفيض ويعبر. يبلغ العنق، ويكون بشط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل" (إش 8: 8-7).

فإن كان أشور (أو بابل) قد انطلق بكل قوته ليقوق يهوذا، إنما إلى حدود معينة، إذ لا يسمح له بهلاكها لأنها أرض عمانوئيل. بمعنى آخر يسمح الله بالتأديب، فتحل التجرب كالسيل الجرف لكي تبلغ أعناقنا، لكنه يحفظ الرأس (إيماننا بالسيد المسيح رأس الكنيسة) فوق سيول التجرب حتى لا يفنى إيماننا فنهلك (لو 22: 32).

تحدث لرميا النبي عن ضوب فوعن لغوة مشبهًا جيشه بالسيل الجرف الذي يملأ المدينة، ويقوق الساكنين فيها (2: 47).

عاشراً: لا نجد أية عجلة تفتح باباً للوجاء في العودة من السبي، لأن غاية المثل هو الكشف عن خطورة كبرياء يهوذا وأورشليم، وأنه لا مجال لتحطيم هذا الكبرياء سوى مذلة السبي البابلي. فُتح باب الوجاء في مواضع أخرى كما في (29: 10-14)، إذ لا ينطق النبي بكل الحقائق في وقت واحد، إنما حسبما يناسب بنيان الجماعة أو النفس البشرية في ذلك الوقت. [263]

2 . مثل الرقاق الممتلئ خمرًا:

"هكذا قال الرب إله إسرائيل:

كل زقٍ يمتلئ خمرًا... [12].

رأينا في تفسير لرميا (12: 6) أن الكل كانوا يسخرون بلرميا، ينادون وراءه بصوت عالٍ (أو يسخرون به قائلين: يا ممتلئ سكرًا). هذا هو منطق العالم أن كلمة الرب أو الوصية هي أفيون الشعوب، كما ادعى الشيوعيون... أو أن السلوك بالروح هو سُكر أو هروب من الواقع العملي، ولم يبركوا أن الخطية هي المسكر الذي يحطم عقل الإنسان ويفقده وعيه، فيثور ضد إخوته، بل أحياناً ضد الوالدين أو الأبناء. الخطية خاطئة جداً، تحطم وتهلك... لهذا حينما يقول الرب: "لا أشفق ولا أتأف ولا أرحم من إهلاكهم" [14]؛ إنما يعني أنه يسلمهم إلى شهوة قلوبهم، ويتركهم لإرادتهم الشريرة فيتحطمون، لأن الله يقدس الحرية الإنسانية ولا يُؤم أحداً بالشركة معه. وكما يقول الرسول بولس: "لأنهم لما عرفوا الله لم يمجوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم واطلم قلوبهم الغبي... لذلك أسلمهم الله أيضاً في شهوات قلوبهم إلى النجاسة لإهانة أجسادهم بين نواتهم" (رو 1: 21-24).

يشبه حال الشعب بالزق الذي امتلأ خمرًا، وقد سبق لنا الحديث عن الخمر في الكتاب المقدس بكونه رمزاً لروح القدس الذي يملأ حياة الكنيسة ويهب قلب كل عضو مقدس في جسد السيد المسيح، غير أن الخمر هنا لا يشير إلى فوح الروح القدس، وإنما إلى فاعلية الخطية في حياة الجماعة كما في قلب الإنسان. فكما يُشار إلى السيد المسيح بالأسد الخارج من سبط يهوذا بكونه الملك الذي يخلص شعبه هكذا يُشبه إبليس بالأسد من أجل ثواسته وطبيعته المفترسة، هكذا الخمر يشير إلى ثمر الروح القدس الموفح كما إلى ثمر الخطايا المحطم. "فتقول لهم هذه الكلمات، هكذا قال الرب إله إسرائيل: كل زقٍ يمتلئ خمرًا، فيقولون لك أما تعرف معرفة أن كل زقٍ يمتلئ خمرًا؟! [12].

يفضل البعض الترجمة السبعينية: "وإن قالوا لك: أما تعرف... عوض: "فيقولون لك".

وللعلمة أوريغينوس تعليق جميل على هذه العبارات، إذ يقول:

[فيقولون لك: هل نحن جاهلون حتى لا نعرف أن كل زقٍ يمتلئ خمرًا؟]

إذا كان هؤلاء الناس قد أجابوا هكذا متمسكين بالحرف، ومتظاهرين أنهم يعرفون أن كل زقٍ يمتلئ خمرًا، فهم في ذلك مخطئون، لأنه ليس صحيحًا أن "كل زقٍ يمتلئ خمرًا". توجد زقاق تكون مملوءة زيتًا أو أي سائلٍ آخر، ويوجد منها أيضًا ما زال فرغة. إذا هم مخطئون، ومع ذلك يجيبون: "هل نحن جاهلون حتى لا نعرف أن كل زقٍ يمتلئ خمرًا".

سنشرح هذه الإجابة كالاتي: إن كان يوجد بين الزقاق واحد يمكن أن يقال عنه إنه زقٍ جيد سُميلاً بخمر تتناسب جودته، وهكذا الزق الفاسد يملأ بخمر تتناسب فساده.

نجد في الكتاب المقدس أمثلة عن أنواع الخمر المختلفة، فعن الخمر الوديئة الفاسدة يقول: "لأن من جفنة سدوم جفنتهم، ومن كروم عمورة عنبهم، عنب سم، ولهم عناقيد مرارة، خمرهم حمة الثعابين وسم الأصلال القاتل" (تث 32: 32-33). وعن الخمر الجيدة يقول: "يا لكأسك ربيًا" (مز 23: 5). كما ندعون الحكمة للشرب من كأسها، قائلة: "هلموا كلوا من طعامي واشربوا من الخمر التي مزجتها" (أم 9: 5).

يوجد إذاً خمر سدوم ويوجد أيضًا خمر الحكمة. يُقال كذلك: "كان لحبيبي كرم على أكمة خصبه" (إش 5: 1). الكرم الذي يزرعه الله يسمى كرمة سوري (2: 21) لأنها كرمة مختلطة وجميلة المنظر. ويوجد أيضًا كرمة عند المصريين ضربها الله، إذ قيل: "أهلك بالورد كرومهم، وجمزهم بالصقيع" (مز 77: 47).

تأمل إذن، أن كل الناس في استطاعتهم الآن أن يمتلئوا بالخمر، من أجل ذلك أسميهم زقًا، وأقول أن الشرب منهم يمتلئ بخمر كرمة سدوم، وخمر المصريين، وخمر أعداء إسرائيل، بينما البار منهم بخمر من كرمة سوري، وبالخمر التي كتب عنها "يا لكأسك ربيًا".

يمكننا أيضًا أن نطبق هذه الكلمات على الوديئة والفضيلة حتى نفهم أن كل زقٍ يمتلئ خمرًا، لكن ينبغي أيضًا أن نعرف ما هي عواقب الوديئة وعواقب الفضيلة: عقوبات للوديئة، وبركات ووعود للفضيلة!

لنوضح الآن من خلال كلمات الكتاب المقدس كيف أن العقوبات وأيضًا الوعود يشار إليها بالخمر: يقول الرب لإرميا: "خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب الذين أرسلك أنا إليهم إياها، فيشربوا ويترنحوا ويسقطوا" (25: 15-16). أشار هنا إلى العقاب بخمر السخط وإذا أردت أن ترى أيضًا كأس البركة التي يشربها الأوار، يمكننا أن نكتفي بكلام سفر الحكمة: "اشربوا الخمر الى أعدتها لكم". تأمل أيضًا السيد المسيح حينما صعد في عيد الفصح إلى العلية الكبوة المعدة ليحتفل بالعيد مع تلاميذه، وأعطاهم كأس الخمر قائلاً لهم: "اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكوري"، ثم قال أيضًا: "وأقول لكم إنني من الآن لا أشرب من نتاج الكومة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي" (مت 26: 37).

لاحظ إذاً أن الوعد هو "كأس العهد الجديد"، والعقاب هو "كأس خمر السخط"، حيث يشرب كل واحد بما يتناسب مع أعماله سواء الصالحة أو الشريرة.

[264] "كل زقٍ" سواء كان جيدًا أو فاسدًا سوف يمتلئ بالخمر التي تتناسب طبيعته.

وي البعض أن المثل الشعبي: "كل زقٍ يمتلئ خمرًا" [12] يعني أن مملكة يهوذا كالأق لا عمل له إلا أن يمتلئ بخمر غضب الله! هنا الخطورة، حيث يفقد الإنسان كل رسالة إيجابية خوة ليصير كأنه جاء إلى العالم ليحمل الغضب الإلهي، وليحطم الواحد الآخر! بمعنى آخر ليست الخطية أمرًا عارضًا في حياته، إنما هي أمر حوي وأساسي، تشغل كل فكوه وأحاسيسه وتملك على قلبه وكل أعضاء جسده، وتسيطر على تصوفاته الخفية والظاهرة.

ماذا في داخل الكأس؟

"هأنذا أملأ كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كرسيه والكهنة والأنبياء وكل سكان أورشليم سكرًا"

وأحظهم الواحد على أخيه،

الآباء والأبناء معاً يقول الرب" [13-14].

صار الرؤساء والشعب كرقاق مملوء خوراً، عوض أن يُستخدم للوح صار للسكر. اقتتاهم الله ليكونوا شعباً خاصاً به، يُنسبون إليه وهو إليهم، مصدر فخرٍ ومجدٍ [11]، لكنهم صلوا سكوى بالغضب الإلهي، لا يصلحون إلا للدمار.

لعله يقصد بالخمير الجيد الناموس، والجماعة كرقاق امتلاً بمعرفة الناموس، لكن رياءهم أفسد مفاهيمهم للناموس. فالناموس جيد، هم أساءوا استخدامه فصار لهم خمير غضب الله عوض خمير الناموس الموفح، إذ سقطوا في الكرياء وهلكوا.

وى البعض أن كلمة رُقاق" في العبرية "nebel" تقرب من كلمة "جاهل" أو "ضيق الأفق" *nabal*. وكأن المثل اليهودي "إن كل رقاق يمتلئ" يشير إلى أن الملوك والكهنة والأنبياء الكذبة مع الشعب قد صلوا أغبياء يمتثلون من خمير غضب الله [\[265\]](#).

لعل أخطر ما في الأمر أنه ليس فقط صلت القيادات الدينية والمدنية مثلاً سيئاً أمام الشعب إنما صار الآباء يسقون أبناءهم مسكواً، فيقدمون لهم السكر عوض التعقل، ويفقد الآباء كرامتهم وتعقلهم حتى في نظر أبنائهم. هذا بالنسبة للسكر بواسطة خمور هذا العالم، فماذا إن أسكروهم بخمير غضب الله؟!

في داخل الكأس ثمر الخطية أو العقاب الإلهي عن الخطية بكونه ثوراً طبيعياً، هذه يشوبها الخطاة بلا محاباة، إن كان الإنسان ملكاً أو كاهناً أو نبياً أو واحداً من الشعب. مركز الإنسان أو عمله الزماني أو الكنسي لن يعفيه من المسؤولية، بل يُخضعه بالأكثر إلى ضوابطٍ أشد. وكما قال الرب: "من يعرف كثراً يُضرب أكثر".

ويعلق العلامة أوريجينوس على النص الذي بين أيدينا قائلاً:

[بسبب الخطاة الموجودين في أورشليم في ذلك الوقت وفي اليهودية، يوضح لِمَا ما هو نوع الخمر الذي يملأ الله به الرقاق أي الخطاة... الله الذي يعاقب لا يشفق على أحد، حتى إذا أخطأ النبي يملأ بجميع تلك التهديدات التي دُكرت، لن ينقذه من العقاب اسم "تبي". أيضاً ليس من يُدعى كاهناً ويبدو أن له رجة أعظم وأعلى من الشعب يمكنه أن ينال اشفاقاً من الله حتى لا يعاقبه فيها على خطاياها.

إذا أخطأ أحد من بين الكهنة - أقصد الكهنة المسيحيين - أو من بين اللاويين الذين يقودون الشعب - أقصد بهم الشمامسة - فإنه يُعاقب. لكن توجد أيضاً بركات خاصة بالكهنة يمكننا أن زأها بنعمة الرب عندما نقرأ سفر العدد، حيث تُذكر هذه البركات فيه.

"كل سكان هذه الأرض والملوك الجالسين لداود على كروسيه والكهنة والأنبياء وكل سكان أورشليم" يقول الرب أنه يملأهم سكواً، وسوف "أحظهم الواحد على أخيه الآباء والأبناء معاً يقول الرب". لنفهم هذا أيضاً هكذا: أن الله يُجمَع الأوار ويُوق (يحطم) الخطاة. لم يفوق الله الناس حينما كانوا يعيشون في المشوق (تك 10: 30)، أما عندما ارتحلوا عن المشوق وتحولوا عنه، وقال بعضهم لبعض: "هلم نبين لأنفسنا مدينة ووجارأسه بالسماء" (تك 11: 4) قال الله عنهم: "هلم نزل ونبلبل هناك لسانهم"، فتلبلت ألسنتهم وتبدوا على وجه كل الأرض (تك 11: 9). هكذا أيضاً بالنسبة لشعب إسرائيل، طالما كانوا لا يخطئون كانوا متجمعين في اليهودية، لكن إذ بدوا يخطئون تفرقوا وتبدوا كل واحد منهم في مكان من الأرض.

يؤمننا أن نعلم أنه يحدث شيء مماثل بالنسبة لنا جميعاً. توجد كنيسة في السماء حيث جبل صهيون ومدينة الله الحي، أورشليم السمائية، هناك يجتمع كل المختلرين والمطوبين في شركة بعضهم مع بعض، بينما يحصل الخطاة على عقابٍ إضافي يتمثل في عدم وجودهم مع بعضهم البعض. إنني أعرف ملوكاً في هذا العالم يحبون استخدام "النفي إلى الجزر" كعقابٍ، وحينما يخطئ إنسان في مملكتهم، يقومون أيضاً بنفي عائلته إمعاناً في عذابه وعذابها، وفي النفي يقومون بتفريق وتشتيت أواد العائلة: الزوجة في مكان، والابن في مكان، والابن الآخر في مكان، حتى أنه في وسط الكلثة، لا تستطيع الأم أن تظمن على ابنها، ولا يستطيع الأخ أن ينعم بصحبة أخيه. لك أن تتخيل شيئاً كهذا بالنسبة للأشوار. يجب عليك أيها الخاطي أن تنوق هذه العولة الشديدة الآن التي يوقعها الله بك، حتى تترد عن طريقك فتخلص. ونفس الشيء بالنسبة لك أيضاً، فإنك لا تعاقب خادمك أو ابنك لمجرد

لكل هذه الآلام.

كذلك الله، فإنه لا يملس سلطة لمصلحة إنسانٍ واحدٍ، وإنما لصالح العالم أجمع. يدير ما في السموات وما على الأرض وما في كل مكان. يعمل لمصلحة كل العالم وجميع الكائنات؛ ويعتني أيضًا بمصلحة الفرد بشروط ألا تتعرض وألا تكون على حساب مصلحة الجماعة. من أجل ذلك أعدت النار الأبدية وأعدت أيضًا جهنم والظلمات الخرجية، ليس لأجل الإنسان المعاقب وحده، بل ولمصلحة الجميع.

إذا أردت أن أذكر لك مثلاً من الكتاب المقدس يشهد أن معاقبة الخطاة من أجل نفع الآخرين وتعليمهم، حتى ولو كنا يائسين من شفاء هؤلاء الخطاة أنفسهم، فإليك ما يقوله سليمان الحكيم في سفر الأمثال: "اضرب المستهزئ فيتذكى الأحمق" (أم 19: 25). لم يقل أن الذي يُضوب هو الذي يتذكى ويعود إلى عقله بسبب الضربات، إنما الأحمق بسبب الضربات الواقعة على المستهزئ يكف عن التمادي في حماقته ويصير عاقلاً. يتغير حينما يرى عقاب الآخرين. وكما أن سقوط إسواثيل كان فيه خلاص الأمم، كذلك أيضًا فإن عقاب البعض يكون فيه خلاص الآخرين. من أجل ذلك يقول الله في صلاحه: "لا أشفق ولا أتأف ولا أرحم من إهلاكهم" [267].

ما هو الارتباط بين المثئين: المنطقة التي طمرت والزق المملوء خمرًا؟

كلاهما فساد، ولا يمكن بعد استخدامهما، الأول يشير إلى الكوياء محطم الإنسان، والثاني إلى السكر بالخطية وعدم التعقل الروحي أو مراجعة النفس والتوبة... هذا ما يسببه كوياء الإنسان وتشامخه، إذ يظن في نفسه حكيماً وهو مخمور! لعله استخدم المثئين ليشير بالأول إلى جسد النفس لعمل السيد المسيح وبالتالي جدها روحه القنوس. إن كان السيد المسيح يُشار إليه بالصخرة (1 كو 10: 4) والروح القدس بالسكر الروحي (أع 2: 13-21)، عوض المسيح الصخرة يختبئ الإنسان في صخور هذا العالم فيصير بالمنطقة الفاسدة، وعوض السكر بروح الرب يمتلئ بخمر غضب الله!

3. دعوة للتوبة:

"اسمعوا واصغوا،

لا تتعظموا لأن الرب تكلم" [15].

إذ يتكلم الرب يليق بيهوذا أن يحمل الأذن المختونة، فيسمع ويصغي لله بروح الطاعة، لا أن يتجاهل صوت الرب في كوياء وعصيان. هكذا يكشف النبي عن خطورة الكوياء، فإنه لا يعود يصير مصوراً للوح أو الشبع، بل للبكاء والحزن [17] بسبب ما يحوه من دمار.

يلق العلامة أوريجينوس قائلاً:

[يريدهم أن يسمعوا وأن يصغوا (بميلوا بأذانهم)، لا يكفيه أن يسمعوا فقط أو أن يصغوا فقط. كما يأمرهم ألا يتعظموا، يعلمهم ما يجب أن

يفعلوه.

ما هو إذا السماع؟ وما هو الإصغاء؟...

"اصغوا": أي تقبلوا الكلام في آذانكم؛ و "اسمعوا": أي تقبلوا الكلام في أذهانكم. بما أنه توجد في الكتاب المقدس بعض الكلمات الغامضة

والأسوار الخفية كما توجد أيضاً بعضها ظاهر وبسيط في فهمه، أظن أنه بالنسبة للكلمات الغامضة قيل: "اسمعوا"، وللبسيطة قيل "اصغوا".

بعد أن نكون قد سمعنا وأصغينا، يوصينا قائلاً: "لا تتعظموا" لأن "كل من يرفع نفسه ينضع" (لو 14: 11، 18: 14). حينما يقول المخلص لنا:

"تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجوارحوا لنفوسكم" (مت 11: 29)، يعلمنا ألا نتعظم. لأنه إلى جانب شرور الناس الكثيرة، فإن هذه الخطية

(التعظيم) منتشرة بيننا: تلة نتعظم ونفخر بدون أي سبب، وتلة من أجل شيء لا يستحق أي تعظم بالهوية، وتلة من أجل أن ما فعلناه يستحق بعض التعظيم، حتى في ذلك تعظما يصير مؤدياً لنا...

يوجد أناس يفتخرون بكونهم أبناء حكام وفي قوتهم إزال بعض الكهنة من درجاتهم الكهنوتية، مثل هؤلاء يتعظمون ويفتخرون من أجل أمور تافهة لا طائل من ورائها، وبالتالي لا يوجد أدنى سبب لتعظيمهم هذا.

ويوجد من يفتخرون بأن لهم سلطان على إعدام الناس، ويفتخرون بأنهم قد حصلوا على ما يسمونه "توقية" تمكنهم من الإحاطة برؤوس الناس. مجد هؤلاء الناس يكون في خزيمه (في 3: 19).

آخرون يفتخرون بغناهم، ليس الغنى الحقيقي، بل الأرضي. وغوهم يفتخرون لأن لهم متول جميل مثلاً، أو راضي شاسعة. كل تلك الأشياء لا تستحق حتى أن تكون موضع اعتبار، ولا يليق بنا أن نفتخر بأي شيء منها.

لكن يبدو لي بالنسبة لنا اننا ن تعظم ونفتخر بأننا حكماء، أو أننا منذ عشرة سنوات مثلاً لم نقرب من الميزات الجسدية والشهوات، أو لم نقرب منها منذ الطفولة؛ أيضاً بحمل القيود في أيدينا من أجل السيد المسيح، هذه الأشياء تدعو للتفاخر بحق. لكن حتى هذه الأشياء أيضاً، إذا حكمنا عقلاً بالحق، نجد أنه ليس لنا أن نتعظم أو نتفاخر بها.

كان لبولس موضوع به يتعظم، أي رؤيته مناظر الرب وإعلاناته (2 كو 12: 1) ورؤى (أع 16: 10)، وعمل قوات وعجائب (رو 15: 19) واحتمال الآلام من أجل المسيح، ومن أجل الكنائس التي أسسها في غيرته لبناء كنيسة في كل موضع حيث لم يكن اسم المسيح معروفاً (رو 15: 20). كل هذه تمثل موضوعاً للتعظيم. بحسب الأشياء الخرجية الظاهرة التي تدعو للفخر، يبدو افتخار بولس الرسول أورياً طبيعياً بالنسبة للناس؛ مع ذلك بما أنه من الخطر عليه أن يتفاخر حتى بتلك الأشياء، فإن الأب في رحمته، كما أعطاه تلك الرؤى، أعطاه أيضاً على سبيل الأمانة به، ملاك الشيطان ليلطمه لثلاث يرتفع. من أجل هذا توضع بولس إلى الرب ثلاث مرات أن يفلقه، فأجابته الله: "تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل" (2 كو 12: 7-9). إذاً يجب علينا ألا نتعظم ولا نتفاخر بشيء، لأن الكورنثوسيين يصاحبه السقوط، كما يقول الكتاب: "قبل الكسر الكورنثوسيين وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم 16:

[268] 18).

يطالبنا ألا نتعظم بل نعطي لله مجداً حتى لا نتعثر على جبال الظلمة... لنمجد الله لا بالكلمات بل بالحياة العملية، بالسلوك المتواضع في غير كورنثوس، وبالحياة المقدسة المنوة بالرب، فلا يكون للظلمة موضع فينا، ولا نتعثر! بالاتضاع الذي هو اتكال حقيقي على الله نكون جبلاً منورة لا مظلمة. يقول العلامة أوريجينوس:

[لؤى ماذا يوصينا الله أن نعمل: "اعطوا الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً، وقبلما تعثر أرجلكم على جبال العتمة فتنتظرون نوراً". يريد أن من يعطي الرب مجداً، يعطيه في وجود النور، لأن مجد الرب لا يمكن أن يعلن حينما يأتي الظلام...

"اعملوا ما دام النور فيكم". النور موجود فيكم، طالما تحمل في داخلك السيد المسيح الذي قال عن نفسه "أنا هو نور العالم". طالما هذا النور موجود فيكم اعطوا مجداً للرب؛ لكن اعلم ان الظلام يمكن أن يأتي، يجب ألا تنتظر حتى يحل هذا الظلام، بل اعطوا مجداً للرب قبل مجيئه.

ربما يمكننا أن نفهم بوضوح هذا الموضوع إذا استعنا بكلام السيد المسيح: "اعملوا ما دام نهار، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل؛ يقصد بالنهار وقتنا الحاضر، وبالظلام والليل انتهاء العالم وفناءه بسبب عقاب الأشرار.

يقول عاموس النبي: "ويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب هو ظلام لا نور؟! (عا 5: 18). إذا عرفت كيف يكون الحزن والشقاء عند هلاك العالم، سيصيب الحزن تويباً معظم الجنس البشري الذين يعاقبون على خطاياهم، عندئذ تعرف أن الجو يصير معتماً ومظلماً فلا يستطيع أحد أن يمدد الله. لأن الله أوصى الأورار قائلاً: "اذهب يا شعبي. ادخل إلى بيتك، واغلق عليك بابك، اختبئ قليلاً أو كثوراً حتى ينتهي حمو غضبي".

نلاحظ أيضاً في تلك الكلمات أن الرب يقول: "قليلاً أو كثوراً"، قليل بالنسبة لله، لكنه ليس كذلك بالنسبة للإنسان. كما يجب أن نعلم أيضاً أن الأشياء تكون قليلة وكثيرة بالنسبة للمخلوقات. أخذ مثلاً على هذا: بالنسبة للحيوانات قد تكون كمية الطعام قليلة إذا ما قيست بحجم أجسامهم أو كبرة بالنسبة لقوتهم على الأكل. كذلك ما يبدو قليلاً بالنسبة للإنسان البالغ يكون كثوراً بالنسبة للطفل. هكذا كل زمان الحياة الإنسانية، حتى بالنسبة لشيوخ مسنين،

ما هي إلا فتوة قصوة بالنسبة للعصر الحالي. نفس الشيء في علاقتنا بالله، فإن ما هو قليل بالنسبة لله يكون في نظونا وبالنسبة لنا كثراً، والقليل عنده يماثل عصوراً بأكمله عندنا.

"اعطوا الرب إلهكم مجداً". كيف يمكننا أن نعطي الرب إلهنا مجداً؟ لا نعطي الرب إلهنا مجداً بمجرد توديدنا بعض الكلمات والأصوات، إنما إذا أردنا تمجيده، فلنمجده بأعمالنا.

مجده بضبط النفس،
مجده بعمل الخير، بالحق، بالشجاعة والصبر والاحتمال،
مجد الله بالقداسة وكافة الفضائل الأخرى...

الإنسان البار يمجّد الله، والشويزر يهين الله؛ وذلك كما في حالة نوحخذ نصر، فلقد هدم هيكل الرب ودنسه، وبتعديده للناموس أهان الله، كما يقول الرسول [269].

ما هي جبال العتمة التي تعثرت فيها أرجلهم؟

لقد شبه الله الأثوار بمنطقة الكتان التي فسدت، وبالزرق الممتلئ خوراً، وهنا يتحدث عنهم كجبال مظلمة. سبق وأينا في سفر حزقيال أن الله يدعو شعبه "جبال إسرائيل"، الجبال التي بلقائها مع الله استلرت به نور العالم، والآن إذ تعظمت في عيني نفسها صلت جبالاً مظلمة، لأنها اعتولت عن سر استلرتها.

يميز العلامة أوريجينوس بين جبال العتمة والجبال المقدسة في حديثه عن بلعام، إذ يقول إن بالاق قد جاء به إلى جبال الفتور، إلى خداعات الشياطين، لكن الرب نقله إلى جبال الله، إلى قمة الجبال (أس الصخور عد 23: 9)، وإلى التلال المقدسة؛ هناك رى شعب الله، ويدرك أسوره، [لأن إسرائيل (الروحي) يقع على الجبال المرتفعة وعلى التلال العالية، أي يعيش حياة فاضلة وصعبة، حيث لا نستطيع بسهولة أن نكون جدوين بالتطلع إليها أو إيراكها، ما لم نتسلق المرتفعات وقمم المعرفة، لهذا لم يلعبه الله. إن حياته عالية ومرتفعة، وليست دنيتة أو منحنة. لكن يبدو لي أن الله لا يقول هذا عن إسرائيل حسب الجسد، بل عن ذلك الذي يسير في الأرض وسيرته في السموات (في 3: 20) [270].

["اعطوا الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً وقبلما تعثر أرجلكم على جبال العتمة". توجد جبال معتمة وجبال مضيئة، لكن بما أن النوعين هم جبال، فالإثنان أيضاً مرتفعان. تتمثل الجبال المضيئة في ملائكة الله والقديسين، والأنبياء، وموسى "الخدم" ورسول السيد المسيح، كل هؤلاء الجبال مضيئة، وأعتقد أن هذه هي التي كُتبت عنها في الزامير: "أساساته في الجبال المقدسة".

ما هي الجبال المعتمة؟ الذين يقيمون مرتفعات ضد معرفة الرب (2 كو 10: 5). الشيطان جبل معتم، ورؤساء هذا العالم المَجَنَّدون للتدمير والاهلاك أيضاً جبال معتمة؛ وحينما قال الرب لتلاميذه: "لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل" يقصد به جبلاً معتماً وهو الشيطان. لأنه حينما أثرت المناقشة بين السيد المسيح وبين تلاميذه بخصوص الشيطان الذي كان في الصبي، وحينما سأل التلاميذ المخلص قائلين: "ماذا لم نقدر نحن أن نخرجه؟" أجابهم: "لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل - أي لهذا الشيطان الذي تتناقشون بخصوصه - انتقل من هنا إلى هناك فينتقل". انتقل من هنا، أي من هذا الصبي، "إلى هناك" أي إلى مكانه الطبيعي في الهلوية. إذ الذين يتعثرون لا يتعثرون على الجبال المضيئة إنما على جبال العتمة حينما يذهبون مع الشيطان وملائكته.

" فتنظرون نوراً"؛ إذا ما أعطيتم الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً وقبلما تعثر أرجلكم على جبال العتمة . مما لا شك فيه، حتى إن حَلَّ الظلام، تنتظرون نوراً، هذا النور يصحبكم.

قد يقول أحد الحاضرين: حتى هؤلاء الذين تعثر أرجلهم على جبال العتمة ينتظرون نور رحمة الرب بجانب تلك الجبال المعتمة. هذا أيضاً هو

[271]

تفسير الكلمات: "فتنتظرون نوراً" .[

بكى رميا النبي شعبه الذي اختار بكويائه الظلمة طويلاً له، إذ يقول:

"اعطوا الرب إلهكم مجداً قبل أن يجعل ظلاماً،

وقبلما تعثر أرجلكم على جبال العتمة،

فتنتظرون نوراً،

فيجعله ظل موت،

ويجعله ظلاماً دامساً؛

وإن لم تسمعوا ذلك فإن نفسي تبكى في أماكن مستورة من أجل الكبرياء،

وتبكي عيني بكاءً، وتترف الدوع،

لأنه قد سبى قطيع الرب" [16-17].

يقصد بظل الموت *Sal-mawet* في العهد القديم الظلام الشديد، وتترجم أحياناً "الظل العميق" كما في (مز 23: 4).

يدخل رميا إلى أماكن مستورة متضعة ليقدم الدوع من أجل قطيع الرب الساقط تحت سبى إبليس... إن كان قلبهم قد أصيب بالعمى فلا يبركون أنهم ينحدرون إلى الظلمة، إذا بقلب رميا يتمزق حزناً عليهم.

أترك رميا النبي أنه لم يبقَ أمام القلب المُصاب بعمى الكوياء إلا بصيص من النور، يتبدد حتماً إن أصر القلب على عرفته، فيصير في

الظلمة يتخبط وليس من منقذٍ بعد! لقد جاءت اللحظات الحاسمة والخطوة بعدها لا ينفع الندم!

كان يليق بهم وقد انحرفوا إلى طريق الظلمة، أن وجعوا إلى الرب يطلبونه نوراً لهم. لكنهم عوض التوبة نصوا فحاشاً في الظلام يصطاون

بها نفوس الأوار، فإذا بهم يسقطون هم فيها. هذه هي خوة داود النبي الطويلة مع شاول الملك الذي سيطرت مملكة البغضة ضد داود على قلبه، فكوس

بقية أيام حياته وكل قراته وإمكانياته بل وإمكانيات مشرويه لهدم داود وقتله، فإذا به يُلقى بنفسه في الهاوية، ويؤداد داود مجداً وبهاءً أمام الله والناس.

المعنى الحرفي للأماكن المستورة هو أن رميا اضطر إلى الاختفاء من وجه الملك الذي رفض حكمة الرب.

ما هذه الأماكن المستورة إلا أحشاء السيد المسيح محب البشر، ففيه إذ تدخل النفس لا تكف عن نرف الدوع من أجل خلاص كل العالم! لقد

دخل الرسول بولس هذه الأماكن المستورة إذ يقول: "لأنني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم بدوع كثرة لا لكي تحزنوا، بل لكي تعرفوا المحبة التي

عندي ولاسيما من نحوكم" (2 كو 2: 4).

وي العلامة أوريجينوس ^[272] أن رميا يبكي في أماكن مستورة ، فقد خبأ الرؤساء والقيادات النبوات التي تشهد للسيد المسيح، فصار الناس

في ظلمة عوض النور. كما يقول:

[وإن لم تسمعوا بطريقة مستورة، ستبكي أنفسكم أمام الشدة". من بين الذين يسمعون، يوجد من يسمعون بطريقة مستورة ويوجد من لا يسمعون

بطريقة مستورة. ما هو إذاً السمع بطريقة مستورة إلا ما تقوله الآية: "بل نتكلم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور

لمجدنا" (1 كو 2: 7). عندما اسمع الناموس، إما اسمعه بطريقة مستورة أو لا اسمعه بطريقة مستورة. فاليهودي مثلاً لا يسمعه بطريقة مستورة؛ لهذا

يُختتن بطريقة ظاهرية، غير عالم أن اليهودي في الظاهر ليس هو يهودياً ولا الختان الذي في الظاهر في اللحم ختناً" (رو 2: 28)، أما الذي يسمع

ويفهم الختان بطريقة مستورة فيكون مختتناً في الخفاء". وإذا كان اليهود قد قتلوا السيد المسيح قديماً، وهم مسئولون حتى يومنا هذا عن موته، فإن هذا

حدث لأنهم لم يسمعوا الناموس ولا الأنبياء بطريقة مستورة.

كذلك أيضاً بالنسبة لموضوع حفظ السبت، توجد بعض النساء حتى يومنا هذا لا تسمعن كلام الله بطريقة مستورة فهن لا يفعلن أي شيء في يوم

السبت، كما لو كان السيد المسيح لم يأت إلينا ليحملنا من حافية الناموس إلى كمال الإنجيل.

لذلك حينما نقول الناموس والأنبياء نحذر لئلا تقع تحت عاقبة النبوة التي تقول: **وإن لم تسمعوا بطريقة مستترة ستبكي نفسك أمام الشدة.** إذا قوأننا أمثال السيد المسيح الموجودة في الإنجيل أمام إنسان من خارج الكنيسة لا يسمع بطريقة مستترة، لكن إن كان السامع هو أحد الوسل أو أحد أبناء الكنيسة، فإنه يقترب من السيد المسيح ويسأله ويتناقش معه حول غموض المثل، فيقوم السيد المسيح بتفسير المثل له: فيصبح هذا المستمع من السامعين بطريقة مستترة وبالتالي لن تبكي نفسه.

لماذا لم يقل الرب: **"ستبكون إن لم تسمعوا بطريقة مستترة"** وإنما قال: **نفسكم سوف تبكي**؟ يوجد بكاء خاص بالنفوس وحدها. لعل السيد المسيح أوضح لنا هذا النوع من البكاء حينما قال: **"هناك يكون البكاء"** وأيضًا: **"ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون"** (لو 6: 25). يتحدث عن البكاء الذي يهددنا به النبي هنا حينما يقول: **"إن لم تسمعوا بطريقة مستترة ستبكي نفسك أمام الشدة"**، لأنه حينما تأتي عليكم الشدة ستبكون و"ستتفرغ عيونكم الدموع لأنه قد سبي قطيع الرب"... [\[273\]](#).

وى العلامة أوريجينوس [\[274\]](#) في العبارة **"إن لم تسمعوا في الخفاء"** [\[17\]](#) أن مجد الإنسان خفي، معطيًا مثالًا لذلك موسى النبي الذي كان يغطي وجهه بوقع إذ تمجد. ويقول داود النبي: **"أظهرت ليغوامض حكمتك"** (مز 50).

أما وقد بكى لميا بعورة على قطيع الرب الذي يسقط تحت السبي، فإنه يقدم موراثة على الملك الشاب والملكة أمه، فإنهما لن يخلصا من هذا المرّ، ولا يهربان منه.

قل للملك والملكة:

اتضعوا واجلسا، لأنه قد هبط على رؤسكما تاج مجدكما،
أغلقت مدن الجنوب، وليس من يفتح.
سببت يهوذا كلها، سببت بالتمام" [\[18-19\]](#).

يشير العددان [\[18-19\]](#) إلى سبي الملك الشاب يهوياقيم إلى بابل عام 598-597 ق.م. جاء في (2 مل 24: 8-17) ومعه أمه الملكة نحوشتا (2 مل 24: 8، 15)، حيث عانت يهوذا المتكورة من صفة قوية، وضاع رجولها.
جاءت هذه الموراثة قصوة تناسب الملك الذي لم يدم ملكه سوى ثلاثة شهور [\[275\]](#). كان في الثامنة عشرة من عوره عند موت والده يهوياقيم، ولكن بعد ثلاثة شهور سبي إلى بابل. بعد سنوات (سنة 562 ق.م) حرر لكن لم يُسمح له بالعودة إلى بلاده (52: 31-34؛ 2 مل 25: 27-30). سقط التاج عن رؤسهما وضاع من بين أيديهما الملك. واضح هنا أنه كان للملكة الأم نور رئيسي في إدارة المملكة في يهوذا، وكان لها سلطانها في أيام الملك آسا حتى تخلّص منها (1 مل 15: 13).

حين حلّت الكثرة لم يجد الملك وأيضًا الملكة لهما ملجأ في منطقة الجنوب أو مدن نجب *Negeb* (القسم الجنوبي من يهوذا) المعروفة بخصوبتها ومدنها الكثيرة، لأن جيوش الغزيين عزلت أورشليم عن مدن الجنوب حتى لا يجد سكان أورشليم مجالاً للهروب؛ أو لأن هذه المدن إذ أوتكت الخطر الذي حلّ بأورشليم أغلقت أبوابها وخشت أن تفتحها حتى لقيادات يهوذا عند هروبهم. من الجانب التاريخي هدبت آوم مدن نجب ألا تقبل اللاجئين من أورشليم حتى يملك الغزون تمامًا. فعلت هذا إما لمصلحتها الشخصية حيث أرادت خراب يهوذا، أو لحساب البابليين، وقد وُجدت نقوش [\[276\]](#) تؤكد ذلك . وى البعض أن هذه المدن كانت مخزنًا للملك، لذلك حاصوها الأعداء لمنع وصول مؤونة إلى أورشليم أثناء حصلها.

يصور النبي ما حلّ بأورشليم بواسطة بابل:

"رفوا أعينكم وانظروا المقبلين من الشمال."

أين القطيع الذي أعطى لك، غنم مجدك؟

ماذا تقولين حين يعاقبك وقد علمتهم على نفسك قوادًا للرياسة؟

أما تأخذك الأوجاع كأمراة ماخض؟" [20-21].

بعد تقديمه موثاة على ما حلَّ بالملك وأمه الملكة بدأ يتحدث عن أورشليم كراعية وحلوسة لقطيعها الممجد، فقد صلت بلا قوة لتحمي شعبها، قطيع الرب! يطالبها أن ترفع عينها لتوى أين قطيعها، فقد أقتيد إلى السبي، وتُركت أورشليم خرابًا. عوض الاهتمام بقطيع الرب أقامت بشوها من البابليين قوادًا للرئاسة، يفترسون حملانها! صلت كأمراة ماخض، لا تلد ابناً أو ابنة توح به أو بها، إنما تلد قيادات من الأعداء تحطم شعبها! عوض أن تلد حملاً تحتضنه تلد ذنبًا يفترس بنيتها!! أو كما قيل في هوشع: "أوايم تطير كرامتهم كطائر من الولادة ومن البطن ومن الحبل" (هو 9: 11)، أي صلت أورشليم عقيمة لا تحبل، رحمها بلا ثمر، بلا أبناء! هذه هي مسئوليتها! إنها لم تعد بالراعية ولا الحلوسة لخواف الرب بل بشوها تقدم لهم ذئابًا تفترسهم!

4. ثمار الشر:

وإن قلت في قلبك:

لماذا أصابتنى هذه؟

لأجل عظمة إثمك هُتِك ذيلك وانكشف عنفًا عقباك" [22].

يشير النبي هنا إلى تسؤلات الشعب المتكررة: لماذا أصابتنا هذه الويلات؟ والجواب المتكرر: هو ارتكابكم الشر، ورجوعكم عن الرب، وإصوركم على عدم التوبة. فالشر ليس من الله إنما مصوره رادتكم الشريرة.

أخطر ما وصل إليه هذا الشعب ليس السقوط في الخطية، فإن الله يعلم ضعف الإنسان، ويشتاق أن يخلصه من كل خطية ولا يدينه عليها، إنما الإصوار على ارتكاب الشر، فيثوبون الإثم كالماء، ولا يشعرون بما هم عليه. يصيرون كالعريس الذي لا يبالي بالمعرض ولا يشعر بخطورته، بالتالي لا يجد حاجة للذهاب إلى طبيب. مع كثرة الإثم ارتكابه بلا انقطاع صاروا يعترضون على تأديبات الله كأنها ظلم، حاسبين أنفسهم أولًا!

سبق فلوضح خطورة الكرياء، هنا يبرز خطورة الكذب (بما يقصد به الاتكال على الآلهة الكاذبة) والرجاسات (التي تلام العباداة الوثنية). بقوله "هتِك ذيلك" يعني أنها صلت علية، وفي ذلك رمز للشهوات الجسدية في إباحية وبعنف، حيث تكشف عورتها للشر (لا 8: 6-19؛ 20: 17؛ تث 23: 1؛ 27: 20؛ إش 47: 3؛ نا 3: 5). كذلك كشف العقب بعنف يرمز إلى الرغبة الشهوانية الجامحة.

وي البعض أن هذا التصوير يعني به أن أورشليم صلت كأمراة فاسدة، عوت الخطية عورتها وكشفت جسدها في غير حياء! يبرز هنا خطورة الشر، فإنه يفسد طبيعة الإنسان، فيلتصق به الشر ليصير كجلد الكوشي أو رقط النمر، لا تتغير. الله لن يغلق باب موامحه، لكن إسوائيل في كبريائه تحولت حياته إلى عصيان مستمر وخيانة له.

بقوله: "هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه؟!" [23] لا ينفى الحرية الإنسانية في اختيار طريق نون الآخر، فقد جاءت كل الكتابات النبوية تؤكد حرية الاختيار، بل ولميا النبي نفسه إذ يدعوهم إلى التوبة يؤكد ذلك، إنما هذا النص يعني أمرين:

ولاً : ممرسة الخطية خاصة إلى فترات طويلة وبصورة جماعية تمثل ضغطاً شديداً على الإرادة فتسلبها حريتها، وتفقدتها قوتها على الاختيار.

ثانياً : الحاجة إلى عون إلهي أو إلى النعمة الإلهية لتقديس الإرادة وردّها إلى الحرية الداخلية المسلوبة.

كمثال يتحدث القديس جيروم عن إصوار شاول على تعقب داود للخلاص منه وإصوار داود على الاحتمال بطول أناة؛ قائلاً: "[هل يغير الكوشي جلده أو النمر رقطه؟!" [23] ... هذا ما يقوله داود (أيضاً في الزمور السابع) فكما أن الكوشي لا يقدر أن يغير جلده، هكذا لم يستطع شاول أن يغير

شخصيته. لقد سقط بين يديّ موتين، وكان في استطاعتي أن أقتله. كان يمكنني أن أسفك دمه. لقد أردت أن أغلبه باللطف، لكن رادته الشوية بقيت غير منزهة. كما لا يقدر الكوشي أن يغير جلده، هكذا لا يستطيع شاول أن يغير خبثه [277].

الله وحده يقدر أن يغير طبيعتنا ويجدها لذلك يقول القديس جيروم : [الخصي الأثيوبي غير جلده بالرغم من قول النبي، وهو يؤا العهد القديم وجد ينوع الإنجيل (أع 8: 27-39)].

وى *John Guest* ما لهذا المثل من أثر على الثقافة الغربية قائلاً بأن لميا صار مشهوراً بسببه [278].
إذ بلغوا هذا الحد، فامتوجت طبيعتهم بطبيعة الشر، وصلرتا كأنهما طبيعة واحدة، جاء الثمر الطبيعي لذلك وهو: التحطيم!
'فأبددهم كقشٍ يعبر مع ريح البرية.

هذه وُعتك، النصيب المكيل لك من عندي يقول الرب،
لأنك نسييتني، واتكلت على الكذب.
فأنا رفع ذليلك على وجهك،
فأوى خزيك،
فسفك، وصهيلك، ورذالة زناك على الآكام، في الحقل،
قدرأيت موهاتك.
ويل لك يا أورشليم، لا تطهرين.
حتى متى بعد؟! [24-27].

يشبه الغزو البابلي بالريح الشديدة التي تهب فتحملهم كالقش في وسط البرية، ليس من يهتم بهم!
من جهة يوضح أنه هو الذي يبدهم، لأن هذا هو نصيبهم الذي اختاروه. كالوا لأنفسهم الباطل، فصلوا باطلاً.
يعود فيكرر الله لشعبه أن ما حلّ بهم ليس محض مصادفة، ولا لقوة بابل العظيمة، إنما لشر رادتهم التي اختارت هذا النصيب. ومن جهة أخرى إنهم قش، ليس بينهم حنطة، تهب الريح لتعصف بالقش وتفزه عن الحنطة... فلا لوم على الريح بل على يهوذا التي لم يوجد فيها حنطة في ذلك الحين.

لئلا تقول هذا نصيبي قد حتمه عليّ الرب، يؤكد بها : "لأنك نسييتني، واتكلت على الكذب" [25]. وى البعض أن كلمة "كذب" *seqer* تعني هنا بعض الآلهة الوثنية، ربما يكون البعل [279].

إذ يُحسب الكذب زناً روحياً، له خطورته، حتى دُعي إبليس بالكذاب وأب الكذابين (يو 8: 44)، لهذا فإن ثوة زناها الروحي أن تدخل في الفضيحة وُرفع ذيلها، فتظهر عرية، لعلها تخجل فتنوب.
عبّر عن الرجاسات الوثنية بالفسق والصهيل ورذالة الزنا، تملس هذه الأمور علانية على التلال وفي الحقول المفتوحة، هناك حيث العبادة الوثنية.

أخوًا إذ رأي الغزو قد صار على الأبواب صوخ موجياً توبتهم، قائلاً: "حتى متى بعد؟! [27].

من وحي لميا 13

لاختفي فيك يا صخرة حياتي!

لأسكر بخمر روحك القنوس!

- ❖ قبلتني كثوبٍ يلتصق بك،
فأصير أبيضًا كالنور،
لأنك أنت شمس البر، صخرة حياتي!
لأختفي فيك، فأقدس وأتمجد يا اكليل حياتي!
- ❖ صوت كازوق المملوء خورًا،
امتألت أعماقي بسخطك من أجل كبرياء قلبي!
لتزع عني خمر غضبك،
وليسكن روحك القنوس فيّ،
فأسكر بحبك ولا أطلب آخر غيرك يا شهوة قلبي!
- ❖ حملني عصياني إلى جبال العتمة!
اظلمت عينا قلبي، فلم أعد أعاين بهاءك!
أحاط ظل الموت بي...
من ينقذني غيرك يا مخلصي؟
- ❖ احملني إلى جبالك المقدسة،
إلى كلمتك واهبة الإستلرة،
راك تظلل بجناحيك عليّ،
تقيمني من ظل الموت إلى ظلال صليبك واهب الحياة!
توفعني إلى القمم العالية فأعاين سمواتك،
واشتهي شوكه أمجادك!
- ❖ لتقم ميراثه على أعماقي،
فقد تحطم ملكي وأنزع عوي.
من يقيمني ملكًا إلا أنت يا ملك الملوك؟!
من يجعلني كاهنًا روحياً سواك يا أسقف نفوسنا؟!
من يودني من السبي،
ويدخل بي إلى العرش،
إلا أنت يارب الجنود؟!
❖ أخيرًا أعترف لك:
لقد فسدت طبيعتي،

وصوت كالنمر يمتلئ جلدي رقطاً.
لتغير طبيعتي، ولتجددها بروحك القنوس!
أنت وحدك خالقي،
تقدر أن تعيد خلقتي،
وتمجدها فيك وبك يا إكليل نفسي!

«

الأصاحح الرابع عشر

التأديب بالقحط

والحاجة إلى مياه الروح

يتحدث النبي في الأصحاحين 14، 15 عن قحط طويل الأمد سمح به الرب للتأديب، مع سقوط تحت السيف والأوبئة والسبي كثمر طبيعي لعصيان الشعب الذي دخل مع الله في ميثاق ولم يف بتعهده.
صوخ الشعب لكن الله لم يستجب، لأنهم طلبوا الخلاص منه نون رجوع إلى الله وبغير توبة صادقة، فصلرت طلبتهم رديئة (بع 4: 3)، خاصة أنهم استمعوا لخداع الأنبياء الكذبة.
رفض الله صلواتهم حتى يكتشفوا القحط الداخلي الذي حلّ بنفوسهم، فقد كانت صلواتهم منصبة على رفع القحط، إذ حزنوا على فقدانهم الخوات الزمنية، لا على فقدانهم الله مصدر الخوات.
واضح من هذا الأصحاح أن رميا النبي أترك أن رسالته الأولى هي أن يشفع في شعبه أمام الله، لكن هناك حاجة إلى عمل الروح القدس (مياه المعمودية) وإلى تكييت الروح القدس حتى بالتوبة تُشفي حواشيتهم، ويُوع عنهم القحط الروحي.
يُسمى البعض هذا الأصحاح "ليتورجية القحط"، وضعها رميا النبي لكي يصلحها الشعب كما كل مؤمن في المناسبات بروح التوبة الجماعية والروح إلى الله. إن كانت لم تُملس في عصوره كما ينبغي، لكنها بقيت ليتورجيا للتوبة يعيشها المؤمن في عصور لاحقة [280].
أخوًا فإن الله سمح بالقحط كتأديب مبدئي أو ترويجي، حتى إذا لم يسموا للصوت الإلهي يسمح بالسبي كخطوة تالية.

❖ القحط والتطلع إلى العصر المسياني

1. القحط ودعاء الشعب [1-12].

2. مسئولية الأنبياء الكذبة [13-16].

3. حوار بين الله والنبي [17-22].

❖ [281] القحط والتطلع إلى العصر المسياني:

لكي نتفهم هذا الأصحاح يليق بنا أن نترك أن العصر المسياني في ذهن الأنبياء الذي طال انتظار العالم له هو عصر غني بالمياه الفيضة. رآه إشعياء النبي كعصر أمطار يحول البرية إلى حقول مثمرة (إش 44: 3 الخ.)، وزكيا النبي أنه عصر المياه المطهّرة (زك 13: 1)، ويوثيل أن المياه

هي وراء القداسة (3: 18)، وخرقيال أنه سر غسل النفس الداخلية (16: 9)، كما يختم حديثه عن هيكل العهد الجديد بوصفه للمياه المقدسة النزلة من تحت عتبة البيت نحو المشوق من الجانب الأيمن للبيت عن جنوب المذبح (47: 1-12). إذ يتحدث هنا عن القحط كتأديب إلهي لشعب يصير على العصيان، يوضح بطريقة غير مباشرة الحاجة إلى الأمطار الإلهية، إلى عطية الروح القدس الذي يلدنا في مياه المعمودية ولأدًا لله، ويقود حياتنا، حتى يخرج بنا من برية هذا العالم إلى خوة الحياة الفردوسية، حيث نحمل ثمر الروح.

كان الجفاف خاصة في منطقة الشرق الأوسط يمثل حالة موت بالنسبة للمجتمعات البشرية، له أزه على كل الطبقات: الشعب ككل والأشراف والخدم أو العبيد كما على الفلاحين؛ على الحيوانات حتى حيوانات الوبية؛ على الجو نفسه حيث الحر القاتل في فترة الظهيرة في الصيف، وعلى العشب والنباتات... هذا ما يوضحه هذا الأصحاح. ولما كان المطر هو عطية إلهية لذا لاق بالإنسان عندما يدخل في حالة قحط أن واجع حساباته ليبرك علاقته بالله خالقه، لا ليطلب المطر بل واهب المطر، فيصير كل شيء بين يديه.

1. القحط ودعاء الشعب:

"كلمة الرب التي صلت إلى إرميا من جهة القحط" [1].

يتحدث النبي عن قحط يحل بيهودا كتأديب إلهي، ويتكرر الأمر في الأصحاح 17، لذا وى البعض أن النبي نطق بالنبوءات الولدة في هذه الأصحاحات الأربع (14-17) أثناء فترة القحط الذي حلّ في أواخر أيام يهوياقيم وفي أيام خليفته. يظهر من صيغة الجمع في اللغة العبرية لكلمة "القحط" أن مدة القحط كانت طويلة الأمد كما حدث في أيام إيليا النبي (1 مل 17، يع 5: 17).

بعد فترة وجيزة من حكم يهوياقيم، عاد فوعون نحو إلى مصر، وكانت نيفوى في طريقها إلى السقوط، بينما كانت بابل تؤايد عظمة لتقضي على نيفوى وتتافس مصر، وتسبى يهوذا؛ كان السوس ينخر في عظام شعب يهوذا، إذ تدنس بشورٍ لا حصر لها. اكتسحت البلاد حالة قحط شديدة للغاية كآخر إنذار إلهي بالخراب العاجل القادم قبل السبي.

حلّت الكآبة بالبلاد، إذ فقد الشعب الأمطار العروة التي تتدفق من الجبال خلال الأنهار وتملأ الينابيع، فاحتوت الراعى الخضواء وذبلت النباتات. أرسل الأغنياء عبيدهم يطلبون ماءً بلا جنوى، وكان يليق بالكل أن يلجأوا إلى الله بالتوبة ليفتح أمامهم أبواب مراحمه، حتى لا يفرق مجد الرب بيته كما تنبأ خرقيال.

جاء وصف القحط هنا يكشف عن حال النفس التي ترفض مياه الروح القدس التي أعلن عنها السيد المسيح: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب؛ من آمن بي كما قال الكتاب تحوى من بطنه أنهار ماء حي" (يو 7: 37-38). قيل هنا:

"تاحت (جفت) يهوذا،

وأبوابها ذبلت،

حزنت إلى الأرض (اسودت إلى الأرض)،

وصعد عويل أورشليم" [2].

جاء هذا النص في العبرية في تسع كلمات قدمت لنا القحط في أبشع صورة.

أ. الكلمة العبرية الأولى تحمل معنيين: "تاحت" و"جفت"، فتظهر مملكة يهوذا كسيدة توح بسبب ما حلّ بها، وكحقل جاف تشققت أرضه بسبب الحرمان من المياه. تاحت للأسف لا على خطاياها، بل على امتناع المطر وحلول القحط. إنها صورة للنفس التي تذللها الخطية، فتفقد فوحها الداخلي لحرمانها من مياه الروح، وتعيش في حالة كآبة داخلية وفقدان للسلام. تتحول جنتها إلى برية قاحلة، بلا ثمر روحي! يليق بمثل هذه النفس أن توح على خطاياها فتستدر حب الله وتتقبل عطية الروح المبكت واهب السلام، والذي يحولها إلى فردوسٍ مثمر.

ب. أبوابها ذبلت ، أو صلت هزيمة تثن من الضعف الشديد، لأن شعبها خرج إلى بلاد أخرى يبحثون عن ماء يشربونه أو عن خبز يأكلونه. يُقصد بالأبواب هنا مدن يهوذا، فقد انهزلت أبواب أسورها الحصينة، لأن شعبها صار في حرج شديد لا يقدر حتى على الحياة... فما الحاجة لأبواب حصينة تحميه وهو يموت جوعاً وظمأ في الداخل.

هذا هو حال النفس وقد حُرمت من الشبع بكلمة الله، فهزلت جداً، وفقدت تقديس حراسها "أبواب النفس والجسد" ، فصلت مفتوحة لكل فكر شيرير، ونظرة بطالة، وإحساسٍ فاسد.

كان الشوخ عادة يجتمعون عند أبواب أسوار المدن للفصل في قضايا الشعب والتشاور الجاد معاً فيما لحق بالشعب ككل، أما وقد تحولت إلى أماكن اجتماع الرجال للتسلية والترف، ذبلت هذه الأبواب. إنها تمثل حالة النفس المدللة التي يُقال عنها: "وأما المتعممة فقد ماتت وهي حية" (1 تي 5: 6).

ج. "خزنت إلى الأرض"، أو بحسب الترجمة الحرفية "سودت الأرض"، أي زادت ثياب الحداد السوداء الطويلة (ورا 2: 10) ، فصلت أبواب المدينة أشبه بأشباح خرجة من الجحيم! صلت أبواب صهيون، ليست أبواب ملكوت الله الموح، بل أبواب الجحيم، حيث العويل غير المنقطع، أو أبواب الموت التي يقول عنها الموتل: "ياراعي من أبواب الموت، لكي أحدث بكل تسايحك في أبواب ابنة صهيون مبتهجاً بخلاصك" (مز 9: 13-41). ما أخطر أن تتحول أبواب ابنة صهيون من مصدر بهجة بخلاص الرب إلى أبواب عويلٍ مستمرٍ وهلاكٍ وموتٍ!

هذا العويل هو مزيج من الصوخت الموة بسبب الحرمان من الشواب والطعام، والصواخ إلى الله ليخلصهم من هذه الكلثة، لكنها صوخت صلاةٍ غير مقبولة، لأنهم لا يهتمون بخلاص أنفسهم إنما يطلبون المطر.

وَأشرفهم رُسَلوا أصاغوهم للماء.

أَتوا إلى الأَجباب فلم يجنوا ماءً.

رجوا بأنيتهم فرغة.

خزوا وخجلوا وغطوا رؤوسهم [3].

إذ حلَّ القحط لم يفكر حتى الأشواف - أصحاب السلطة - في الأكل، وإنما في ماءٍ للشرب. يُمكن للإنسان أن يحتمل الجوع أكثر من العطش. لقد رُسَلوا أصاغوهم ، هنا الكلمة العويية تعبر عن الخدم الذين هم غالباً ما يكونوا صغلاً في السن وأقل في المركز الاجتماعي [282] ، فإنهم أسوع وأقدر على البحث عن الماء وحمله.

حملوا وأني سادتهم وانطلقوا إلى حيث مصادر المياه من أحواض أو برك، لكنهم رجوا بها فرغة. لم يثر الأشواف عليهم، بل أصيبوا بحالة إحباط إذ ملأهم العار والخزي، ربما لشعرهم بالضعف الشديد. لم يعد في سلطانهم أن يجنوا كأس ماء يشربونه بعد أن كانوا يعيشون في توفٍ ولهو، لا توفٍ مخزنهم من الخوات وأنيتهم من الخمر... الآن لا يجنون كوب ماء!

يحل بهم العار، إذ يشعرون أن بركة الرب إليهم قد فلقنتهم، وأنه قد بدأت سلسلة من الكارث لا يُعرف نهايتها. ولعلمهم صاروا في حزي لأنهم شعروا بضرورة الانسحاب من العالم الذي لم يعد يقدم لهم الحياة بل الموت جوعاً وعطشاً! أما تغطية الرأس [3-4] فعلامه على الوعب والحزن، كما فعل داود حين هرب من وجه ابنه أبشالوم (2 صم 15: 30).

"من أجل أن الأرض قد تشققت،

لأنه لم يكن مطر على الأرض.

حزي الفلاحون، غطوا رؤوسهم [4].

صلت أرض الموعد التي تفيض عسلاً ولبناً جافة ومشققة، تكشف عن رؤوس سكانها التي صلت جامدة كالنحاس والحديد، إذ قيل "وتكون

سماؤك التي فوق رأسك نحاساً، والأرض التي تحتك حديدًا" (نت 28: 23). هكذا يتحول الإنسان بكلية كما إلى أرض حديدية لا تقدم ثوراً، وبلا حياة! إذ نشعر بالحاجة إلى المياه نتطلع إلى عمل الروح القدس خاصة في مياه المعمودية، لنترك كيف نخرج بها من حالة الفقر إلى التمتع بالحياة الفردوسية، وكما خاطب **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** طالبي العماد، قائلاً:

إنكم خرج الفودوس أيها الموعوظون.

إنكم تشركون آدم آباكم الأول في نفيه!

الآن يُفتح الباب وتعودون من حيث خرجتم [283].

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين الفودوس الذي عاش فيه الإنسان الأول والسماء التي يعيشها فيها المؤمن بالعماد بعد أن صار قوفاً فيجد أنه صار في حالة أعظم مما كان عليها آدم. جاء في مقلنته:

[لا ينطق الله هنا (ليخلق) في الفودوس، بل في السماء. فإن ما يحدث لا يتم على الأرض، بل ينقلك إلى السماء في حضرة الملائكة.

يرفع الله نفسك إلى فوق ويصلحها، ويقدمها بجوار عرشه الملوكي...

يقيمك الله لا لتحفظ الجنة، بل لتصير مواطناً سماوياً.

لا تعود تبصر أودية أو أشجاراً أو ينوعاً، بل تتال الوب نفسه، وتختلط بجسده العلوى الذي لا يقدر الشيطان أن يقرب إليه... فإنك مادمت لا

تتول إليه لا يقدر هو على الصعود اليك، لأنك في السماء! إنه لا يقرب إلى السماء! [284].

يُلاحظ أن كلمة "تشفتت" في العبرية تعني "رتعبت"، وكأن الإنسان سيد الخليقة الأرضية صار في حزي، وفقدت الأرض التي يقف عليها

أوانها، إذ صلت مرتعبة.

أما كلمة "الفلاحون" هنا فمقتبسة عن اللغة الأكادية وهي لا تعني الفلاحين العاملين في أرضهم، إنما طبقة الفلاحين العاملين كأجراء في مستوى

اجتماعي منحط في ذلك الحين. هؤلاء اشتركوا مع العظماء في الحزي، وغطى الكل رؤوسهم في عارٍ. سرّ علم أنهم صاروا بلا عمل، إذ حرموا من

عطية الله التي قيل عنها: "سواقي الله ملائنة ماءً، تهبئ طعامهم، لأنك هكذا تعدها" (مز 65: 9).

يوضح النبي كيف صلت الخليقة كلها تئن وتتوجع بسبب فساد قلب الإنسان وكوباء قلبه (رو 8: 22)، إذ يقول:

"حتى أن الإيلة أيضاً في الحقل ولدت وتركت،

لأنه لم يكن كلاً.

الفؤاء وقفت على الهضاب تستنشق الريح مثل بنات لوى.

كلت عيونها، لأنه ليس عشب" [5-6].

خرجت الحيوانات عن طبيعتها بسبب القحط، وما حلّ بها من آلام:

أ. تعيش الإيلة في الغابات بعيداً عن الإنسان، أما وقد حلّ بها الجوع والظمأ تجاسرت وذهبت في حقل مقوح، هناك تلد، لكنها لا تستطيع أن

تقدم لبناً لصغورها، لأنها لا تجد ما تأكله أو تشوبه، هناك تترك صغورها في غير مبالاة لتبحث عن طعامٍ أو شوابٍ... لقد خرجت عن حنان الأمومة

الغوي.

ب. الفؤاء أو الحمار الوحشي أيضاً لا يعيش إلا في اللوري، لكنه تحت ضغط الجفاف الشديد والحر القاتل انطلق إلى الهضاب العالية لعله

يجد هواءً رطباً على المرتفعات. صار يلهث (يستنشق الريح) كما تفعل بنت لوى أثناء حر النهار الشديد. هنا الكلمة العبرية لاستنشاق الريح تعني أن

يلهث الكائن وهو يلد أثناء تعب المخاض، أو يلهث وهو يموت. هكذا صلت الحيوانات تلهث كأنها تموت!

أصاب عيونها الضعف الشديد، إذ "كلت عيونها" [6]، وقد أستخدم هذا التعبير في (مز 69: 82؛ 119: 82، 128؛ أي 11: 20؛ 17: 5،

هوا 2: 11؛ 4: 17) ليشير إلى ضعف العين الشديد وهي تتوقب معونة تبدو مستحيلة. هنا في هذا العبارة تعني أن علامة الموت قد ظهرت حتى على

العينين اللتين كلتا جدًا لتفقدنا البصيرة بغير رجعة!

إذ اشتد التأديب بالشعب جدًّا ولم يسموا لصوت الله، تحدث معهم خلال الطبيعة المحيطة بهم:

الأرض المرتعبة المشققة،

والحيوانات الفاقدة لنواميس الطبيعة حتى الأمومة،

واللهث في انتظار لحظات الموت،

وفقدان البصيرة تريجيًّا!

ما أبشع الخطية في حياة الإنسان المعقول إلهه مصدر صلاحه وحياته واستنارته!

هذه هي حالة النفس التي أصابها القحط، المحرومة من مياه الروح القدس، فإنها تصير أرضًا مرتعبة ومشققة، لا تحمل سلامًا داخليًا ولا ثمر

الروح! تصير كالإيلة التي تحت ضغط الظمأ الشديد والروع القاتل تفقد حتى غاؤها الطبيعية، فتقدم صغورها للهلاك بغير مبالاة. تصير كالحمار

الوحشي الذي تحت قسوة الجفاف الشديد ينطلق نحو الهضاب العالية لعله يستنشق هواء رطبًا، تذبل عيناه جدًّا إذ يستسلم للموت وهو يفقد بصيرته!

هكذا يفعل القحط الروحي بالنفس، أما في مياه المعمودية فتتعم النفس بعمل الروح القدس القادر أن يهب النفس حياة جديدة مُقامة، وسلامًا فائقًا

وثورًا متكافئًا وعبودية لتتبع ناموس المسيح الفائق واستنارة داخلية. في هذا يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

[يُدعى (العماد) "استنارة". هكذا دعاه القديس بولس قائلاً: "لكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعدما أُرتم صوتكم على مجاهدة آلام كثرة" (عب

10 : 32) [\[285\]](#)].

[بالمعمودية لم يجعلنا ملائكة ولا رؤساء ملائكة، بل أبناء الله المحبوبين لديه...!

إذ تذكر هذا اظهر حياتك مستحقة لحب ذلك الذي دعاك.

اظهر مواطنك لذلك العالم (السموي)، والكرامة التي أعطيت لك.

أعلن بوضوح أنك مواطن في المدينة السموية.

لا تهتم بالأرضيات، فإن كان جسدك لم ينتقل بعد إلى السماء إلا أن رأسك ماكنث هناك في الأعلى [\[286\]](#)].

بعد أن وصف النبي القحط القادم كتأديب أولي لكي يكتشف الشعب ما بلغ إليه قدم النبي باسم الشعب كله صلاة قصوة أشبه بموثاة، من أجل

كلثة خاصة بالأمة كلها، قدمها كشفيعٍ ونائبٍ عن الشعب، فيها يعترف بخطايا الشعب، طالبًا وراحم الله، نصها الآتي:

"وان تكن آثامنا تشهد علينا يارب،

فأعمل لأجل اسمك.

لأن معاصينا كثرت.

إليك أخطأنا.

يارجاء إسرائيل مخلصه في زمان الضيق.

لماذا تكون كغريب في الأرض؟!

وكمسافرٍ يميل لبييت؟!

لماذا تكون كإنسانٍ قد تحير؟!

كجبارٍ لا يستطيع أن يخلص؟!

وأنت في وسطنا يرب،

وقد دُعينا باسمك.

لا تتركنا" [7-9].

يعترف لرميا النبي عن خطايا الشعب كأنها خطايا الشخصية. بهذا حمل نوبة عن السيد المسيح الذي حمل خطايا العالم على الصليب، حيث يقول: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟! (مت 27: 46).

هذه مشاعر الحب الحقيقي التي يليق بكل مؤمن أن يتمتع بها، حيث يتألم مع آلام كل عضو، مصلياً لأجل الآخرين كما لأجل نفسه، حاسباً سقوط الغير كأنه سقوط له. وكما يقول القديس بولس: "اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم" (عب 13: 3).

موتاة رائعة، لو أنها قدمت من الشعب لتغير التاريخ كله. قدمها لرميا عن الشعب، لكن لم تخرج من أعماق قلب الشعب. ربما حفظها البعض وكرروها بلسانهم دون قلبهم... لهذا لم يستجب الرب!

ما نفعها إذن؟ انتفع بها لرميا نفسه، وتوكل هو ومن حوله، كما قدمها مثلاً حياً للتوبة عبر الأجيال ينتفع بها الكثيرون.

يبدأ الموتاة بالاعتراف بالخطية، فإنه إذا ما تمت محاكمة لا حاجة إلى شهود، فإن آثامنا تشهد ضدنا: أفكرنا وكلماتنا وتصرفاتنا تقف كخصم ضدنا.

مقابل هذا الشاهد نجد "اسم الله" مدافعاً عنا، فهو رجاء الشعب. يقصد بقوله "من أجل اسمك" أي لأجل كرامتك ومجدك (يش 7: 9؛ إش 48: 11-9). بالنسبة للعوانيين "الاسم" غالباً ما يُعنى به سمة الشخص الأساسية [287].

هنا الكلمة العبرية المتوجمة "رجاء" تعني "رجاء" في (عز 10: 2)؛ و"أماناً" في (1 أي 29: 15)، وأيضاً بمعنى "بركة ماء" كما في (حز 7: 19). كأن الله يصير بالنسبة لهم ينوع مياه يزع عنهم حالة الجفاف. يُقدم ذاته لنا شعباً حسب احتياجاتنا.

أما دعوة الله كمخلص لشعبه [8] فهو أمر تقليدي وشائع (هو 13: 4):

"لأنني أنا الرب إلهك، قنوس إسرائيل مخلصك" (إش 43: 3)،

"أنا أنا الرب وليس غوي مخلص" (إش 43: 11).

ووى البعض أن الكلمة هنا تحمل معنى "الشفيع" عن شعبه، و"المدافع" أو "المحرر".

أما قوله "في زمن الضيق" فنُفهم أيضاً بمعنى "في زمن القحط"! حينما تشتد التجربة ويدخل الإنسان كما في مجاعة، لا يجد من يشفع فيه إلا الله

مخلصه، الذي لا يقدم له حلاً خرجية بل يقدم نفسه ينوع مياه حية وغنى وشعباً وراحة للنفس، فنتغنى قائلة: "الرب اعني فلا يعوزني شيء" (مز

23: 1).

يقول: "لماذا تكون كغريب في الأرض؟

وكمسافرٍ يميل لبييت؟" [8].

يُشبه الله بمسافر يطلب ملجأ ليقضي ليلة أثناء تجواله. وكأن لرميا وهو يقدم الموتاة يعاتب الله مخلص شعبه قائلاً: أليس شعبك هذا هو نصيبك،

وأرضك، وبيتك المقدس؟ فلماذا تسير كمن هو غريب عنهم، تطلب ملجأ لك خرج بيتك؟ هل تحوّل بيتك إلى جحيم لا تطيقه، فتهرب منه كمن هو في

وسط بوية يطلب مكان راحة لمدة ليلة؟!

إننا لسنا غرباء عنك، ولا أنت بغريبٍ عنا، لا تنقصك الحكمة فتكون كإنسانٍ في حوة، ولا القوة فتكون كمن لا يقدر أن يخلص. حضوتك وسط

شعبك أكيدة، وقد دُعي اسمك علينا فلا تتركنا. إننا نتمسك بك يا مخلصنا!

لعل لرميا النبي يشرك موسى النبي الذي وقف يشفع في الشعب حين ظلوا رجمه مع هرون، فؤاد الله أن يببدهم ويقيم من موسى شعباً أكبر

وأعظم (عد 14: 12)، إذ قال الرب: "فإن قتلت هذا الشعب كرجلٍ واحدٍ يتكلم الشعوب الذين سمعوا بخبرك قائلين: لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم قتلهم في القفر" (عد 14: 15). كأن رميا النبي يقول للرب: إن كنت اعترف باستحقاق الشعب للتأديب القاسي، لكن إذلالهم بواسطة أمة غريبة كالبابليين حيث يصيرون كمسافرٍ بلا مبيت يُنسب إليك، فتحسب أنت هكذا، لأن ما يحدث لشعبك ينسبه الأمم إليك شخصياً، فيظنون أنك عاجز عن إنقاذهم وحمائتهم وإشباع احتياجاتهم.

جاءت إجابة الرب على المراثاة التي قُدمت باسم الشعب:

"هكذا أحووا أن يجولوا.

لم يمنوا أرجلهم، فالرب لم يقبلهم.

الآن يذكر إثمهم ويعاقب خطاياهم.

وقال الرب لي: لا تُصل لأجل هذا الشعب للخير" [10-11].

نجد حورًا مشابهًا بين الله والشعب في الرؤيتين اللتين سجلهما عاموس النبي (عا 7: 1-6)، غير أننا نجد في عاموس الله يستجيب للصلاة ويُوع التأديب، أما هنا فالتأديب يحل بالشعب والحيوانات، مع تأكيد حتمية التأديب على المعاصي المرتكبة [10].

يتحدث الله مع شعبه في صيغة الغائب، قائلًا: "هذا الشعب"، وليس "شعبي"، إذ ينسحب الله من الانتساب إليهم، لأنهم خانوا العهد، بهذا فقوا سمتهم كشعبٍ دخل مع الله في ميثاق، أي فقوا حقهم في الحوار المباشر معهم كطرفٍ في العهد الإلهي.

أحووا أن يجولوا... هنا كلمة "يجولوا" تشير إلى الأشجار التي تحركها الرياح يمينًا ويسارًا، أو إلى ترحل الإنسان المخور الذي فقد أوانه (إش 29: 9). هكذا صلوا يتحركون من هنا وهناك بلا هدف ولا أوان، يجولون بعيدًا عن الله الطويق الحق. ليس لهم ضابطولا التوام، فيسلكون طويق الإثم، لهذا استحقوا التأديب.

لقد أحووا التجوال لا الاستقرار في حضن الله، ظانين أن حريتهم وسعادتهم خلج الحب الإلهي. هؤلاء يتطلعون إلى الاتحاد مع الله حومانًا من الحرية وكتبًا وفقدانًا للملذات! يسلكون طويق الابن الضال الذي ترك بيت أبيه، لكن بقي قلب الأب ينتظر عودته ليرد له كوامته ويشبعه! هنا يعود فيكرر الله طلبته لإرميا للمرة الثالثة ألا يُصلي لأجل الشعب كي يرفع الله عنهم التأديب. تكرر الطلب يؤكد أن رميا لم يكف عن الصلاة من أجل الشعب، وكان ما سأله الله إياه لم يكن أومًا عصاه النبي، إنما هو إعلان عن عدم استجابة الصلاة في هذا الأمر (رفع التأديب) بالذات.

2. مسئولية الأنبياء الكذبة:

"حين يصومون لا أسمع صواخهم،

وحين يصعدون محرقةً وتقدمة لا أقبلهم،

بل بالسيف والجرع والوبأ أنا أفنيهم" [12].

ليس فقط يسأل رميا ألا يُصلي لأجلهم، وإنما يرفض أصوامهم وذبائحهم وتقدماتهم (غالبًا ما يقصد بها الحنطة والدقيق والكعك كما جاء في لاويين 2)، لأنهم يقدموها طلبًا للعتق من التأديب، وليس للالتصاق به؛ يخافون الحرمان من الوصيات ولا يهتمون بحرمانهم من الله، فإنه لا يطلب صلوات الفم والأصوام والتقدمات ما لم تقترن بالتوبة الصادقة والشوق الحقيقي للالتصاق به، والطاعة لوصيته، والتسليم الكامل لإرادته الإلهية.

❖ ها أنتم ترون كيف لا يعتبر الله الصوم صالحًا في ذاته، إنما يصير صالحًا وسلوًا متى اقترن بأعمال أخرى... وفي ظروف معينة لا يحسب الصوم باطلاً بل ومكروها ^[288].

الأب ثيونس

التأديب بالسيف والجوع والوبأ ثالث مرتبب معاً، تكرر 13 مرة في رميا، كما تكرر في حزقيال (14: 21) وإشعيا (51: 19) الخ. وهم علامة اللعنة التي تحل بالشعب في فساده (تث 7: 12-16؛ 32: 23-25)، وأعطى لداود النبي أن يختار التأديب بإحدى هذه الثلاثة عندما أخطأ (2 صم 24: 13) ووى W. Holladay أن هذا الثالث وُجد في التقليد اليهودي الشفوي قبل رميا [289].

إذ يتحدث رميا على لسان الشعب يكمل حوره مع الله كمن يُعطي عوناً للشعب أنهم خُدعوا بواسطة الأنبياء الكذبة.

أفقلت: آه يا سيد الرب (اطلع)

هوذا الأنبياء يقولون لهم:

لا ترون سيفاً ولا يكون لكم جوع،

بل سلاماً ثابتاً أعطيكم في هذا الموضع.

فقال الرب لي: بالكذب يتنبأ الأنبياء باسمي.

لم أرسلهم ولا أمرتهم ولا كلمتهم.

برؤيا كاذبة وعوافة وباطلٍ ومكر قلوبهم هم يتنبأون لكم" [13-14].

اتسم هؤلاء الأنبياء بالخداع والكذب، يخدعون حتى أنفسهم، فيظنون أفكلهم الخاصة بهم هي رادة الله. بينما ينطق رميا النبي بالحق الإلهي، ولو كان مؤلماً غير مقبولٍ من الشعب. يتكلم الأنبياء الكذبة بالباطل، إذ ينطقون بالناعمات لإراحة ضمائر الخطة. الأول يتحدث بلسان الرب ويعلم بأمانة عن رادته وخطته وتأديباته، أما الآخرون فيتكلمون من عندياتهم.

"لذلك هكذا قال الرب عن الأنبياء الذين يتنبأون باسمي وأنا لم أرسلهم،

وهم يقولون: لا يكون سيف ولا جوع في هذه الأرض،

بالسيف والجوع يفني أولئك الأنبياء.

والشعب الذين يتنبأون له يكون مطروحاً في شوارع أورشليم من جوى الجوع والسيف.

وليس من يدفنهم هم وبنوهم وبناتهم.

وأسكب عليهم شؤهم" [15-16].

ولاً : أخطأ الأنبياء الكذبة لأنهم يخدعون الآخرون ولو بكلمات معسولة لإراحة ضمائرهم.

ثانياً : يتنبأون باسم الله الذي لم يرسلهم، فمن جانب يدعون كذباً أنهم مرسلون منه، ومن جانب آخر ينسبون لله ما يقولونه كذباً.

ثالثاً : كلماتهم المعسولة ليس فقط تعجز عن تقديم راحة صادقة للشعب، وإنما هم أنفسهم أيضاً يهلكون.

رابعاً : إن كان المنتمون لهم مخدوعين لكنهم ليسوا أرياء، لأن الله أرسل لهم أنبياء يشهدون للحق الإلهي، فهم بلا عذر. لقد قبلوا وهم عميان أن

يقفادهم عميان، فسقط الكل في حوة التأديب الإلهي. عندما حذر السيد تلاميذه والشعب من الفريسيين قال لهم: "هم عميان قادة عميان. وإن كان أعمى

يقود أعمى يسقطان كلاهما في حوة" (مت 15: 14). يليق بالمؤمن أن يكون له روح التمييز ليبرك النبي الحقيقي من المخادع.

خامساً : لا يقف التأديب عند الأنبياء الكذبة والشعب، لكن حتى المدينة المقدسة تتجسس بجثث الموتى الملقاه في شوارعها بلا دفن.

سادساً : الهلاك على مستوى أسوأ، فالتأديب يلحق بالرجل كما بالوأة، وبالوالدين كما بالأبناء.

3. حوار بين الله والنبي:

في الحوار بين الله والنبي رميا بخصوص ما يحل بالشعب من تأديبات بسبب شرورهم نلاحظ الآتي:

ولاً: ليس فقط الخليفة تثن بسبب القحط، وإنما يشتركها رميا النبي نفسه، ليس حزناً على الخسائر المادية، وإنما على ما بلغه الشعب من قحط روعي من جهة كلمة الله وقبول رادته.

وتقول لهم هذه الكلمة:

لتنرف عيناى دموغاً ليلاً ونهلاً ولا تكفا،

لأن العنواء بنت شعبي سحقت سحقا عظيماً بضربة موجعة جداً" [17].

أمر الله رميا أن يكف عن الصلاة من أجل الشعب بخصوص رفع التأديب عنهم، لكننا لم نسمعه يأمره بالكف عن البكاء من أجلهم، بل بالعكس زاه هنا يطلب من رميا أن يكون بكؤه علانية، وأن يعلن للشعب أنه لن يتوقف عن البكاء ليلاً ونهلاً، بكاء من يئن لأجل عوائه الوحيدة المنسحقة جداً بضربة موة للغاية. كأن الله يعتز بهذه الدوع، لأنها تعبر عن المشاعر الإلهية خلال نبيه. فهو وإن أدب لا يطلب لشعبه السحق العظيم بل الفوح المجيد بالتوبة والرجوع إليه.

هذا ومن جانب آخر فإن دوع النبي تشهد عن وداعة النبي، ينطق بالحق الإلهي لا في تشامخ وعجرفة كالأنبياء الكذبة بل بروح الاتضاع والانسحاق، مع مشكلة الشعب الآمهم.

اشتبهى رميا أن تتحول رأسه إلى ماء وعيناه إلى ينوع دوع لبيكي نهلاً وليلاً (9: 1). يبدأ بالنهار ويكمل بالليل، رى أعمالهم نهلاً فيبيكهم، ويعود بالليل إلى مخدعه ليصلي بدوع من أجلهم. أما بالنسبة لله، إذ يتحدث عن دوع رميا فيقول "ليلاً ونهلاً"، ففي عينيه دوع الصلاة من أجلهم لها الأولوية عن دوعه في النهار وهو واهم يخطئون.

لا يكفي أن نبكي أعباءنا، بل أن نُصلي حتى في الخفاء بدوع عنهم؛ هذا أعظم وأثمن في عيني الله!

ثانياً: هلاك عام في الحقول كما في المدن، بين الشعب كما بين الأنبياء الكذبة.

"إذا خرجت إلى الحقل فإذا القتلى بالسيف،

وإذا دخلت المدينة فإذا المرضى بالرجع،

لأن النبي والكاهن كليهما يطوفان في الأرض ولا يعرفان شيئاً" [18].

وكما جاء في (تث 28: 6): "ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل".

وى البعض في العبرة الأخوة "يطوفان في الأرض (حيث) لا يعرفان شيئاً" إن النبي والكاهن إذ رفضا رادة الرب هنا صار مصوهما الجحيم، يطوفان هناك حيث لا توجد "المعرفة" بل يكونا في "جهالة"، ووى البعض أن هذه النبوة تحققت بسبي يهوذا حيث أقتيد الأنبياء والكهنة إلى أرض لا يعرفون عنها شيئاً.

ثالثاً: اكتشاف الرجاء الباطل الذي قدمه الأنبياء الكذبة بروح الخداع.

"هل رفضت يهوذا رفضاً؟!

أو كرهت نفسك صهيون؟!

لماذا ضربتنا ولا شفاء لنا؟!

انتظرنا السلام، فلم يكن خير،

وزمان الشفاء فإذا رعب" [19].

كنايبٍ عن الشعب الذي أعماه الأنبياء الكذبة بخداعاتهم يحلور الله متعجبًا كيف يرفض الله يهوذا، وتكوه نفسه صهيون، ويضرب بلا شفاء، يوزع السلام ويسمح لهم بالوعب. كانت حجج الأنبياء الكذبة أن الله سلّم إسرائيل لأشور لأنها انشقت عن مملكة يهوذا وعن السبط الملوكي، وحرّموا أنفسهم من أورشليم التي تمثّل صهيون. أما بالنسبة ليهوذا فليس من ضربات بلا شفاء، ولا من رعب، بل صحة وسلام، لأنها تضم السبط الملوكي وتحتضن أورشليم مدينة الله حيث الهيكل والعبادة القانونية.

رابعًا: يستدر رميا النبي وراحم الله، معترفًا بخطاياهم وخطايا آبائهم كأنها خطاياهم الشخصية، إذ يقول:

"قد عرفنا يا رب شونا، إثم آبائنا،

لأننا قد أخطأنا إليك" [20].

عندما يشير إلى آثام الآباء لا يعني أن الإنسان يجني ثروة آثامهم، إنما هنا تأكيد أن الخطية متأصلة فيهم عبر الأجيال، وأنه توجد خطايا جماعية عاش الكل فيها جيلًا بعد جيل.

يتوسل رميا إلى الله، ليس متكلاً على بر ذاتي، ولا على عبادة ما، وإنما على الآتي:

أ. لأجل اسم الله القنوس:

"لا ترفض لأجل اسمك" [21].

حينما يُذكر اسم الله يُعني به الله نفسه، هذا واضح في صلاة السيد المسيح الوداعية: **وَعَرَفْتَهُمْ اسْمَكَ وَسَأَعْرِفُهُمْ، لِيَكُونَ فِيهِمْ الْحُب الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يو 17: 26)** . اكتشف المونل قوة اسم الله كمصدر قوة وفوح:

"لأننا على اسمه القنوس اتكلنا" (مز 33: 21).

"رفعوا بنا اسمه جيعًا" (مز 34: 3).

"باسمك نوزل كل الذين يقولون علينا..." (مز 44: 5).

"باسمك نعرّف إلى الدهر" (مز 44: 8).

"يبتهج بك محبوا اسمك" (مز 5: 11).

"لنم لإسمك أيها العليّ" (مز 9: 2)

"ما أمجد اسمك في كل الأرض" (مز 8: 1).

ب. لأجل كرسي مجده:

"لا تهن كرسي مجدك" [21].

كرسي مجد الله هو السماء كما جاء (إش 66: 1)، غير أن النبي يدرك أن الله يُريد أن يقيم ملكوته في صهيون الروحية، في وسط شعبه حين يتقدس، فيقال: "الله جلس على كرسي قدسه" (مز 47: 8). ويجلس الله في النفس المقدسة كما في عرشه، وكما يقول الأب أنثيموس الأورشليمي: [كرسي الله هم الصديقون، الذين لأجل طهرتهم يستريح الله فيهم]. [290]

ج. من أجل الميثاق الذي أقامه الله مع شعبه:

"اذكر. لا تنقض عهدك معنا" [21].

د. لأنه الخالق وحده:

"هل يوجد في أباطيل الأمم من يمطر؟!"

أو هل تعطي السموات وابلاً؟!"

أما أنت هو الرب إلهنا؟!"

فترجوك لأتلك أنت صنعت كل هذه" [22].

إن كان الله قد سمح بالجفاف، فهو الخالق المهتم بخليقته، هو واهب المطر. ليس من يقدر أن يخلصهم من القحط إلا الخالق نفسه. الله الذي أجاب بنارٍ من السماء في أيام إيليا التهمت الذبيحة وكل المياه التي حولها، يستطيع أن يجيب بمطرٍ من عنده. وكما يقول زكريا النبي، "اطلوا من الرب المطر في وأن المطر المتأخر، فيصنع الرب بروقاً ويعطيهم مطر الويل" (زك 10: 1).

خامساً: حوار رميا النبي مع الله يشبه ما ورد في إنجيل (لو 13: 6-9) بين الكوام وصاحب الكرم، إذ توسل الأول لأجل التينة التي لم يجد فيها ثوراً، قائلاً له: "يا سيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً، فإن صنعت ثوراً وإلا ففيما بعد تقطعها".

من وحي رميا 14

إنك لا تُسر بجفاف بريتي

❖ إنني أعلم يا سيدي أنه بسبب خطاياي حلّ بي القحط!

لقد صرّتُ فارتّ، وجفت ينابيع دموعي.

فقدتُ سلامي الداخلي وفوحي فيك.

وتحوّل فودوسي إلى بوية جافة!

❖ لرتعبت نفسي وامتألت عويلاً عوض الفوح ببهجة الخلاص!

ليس عويل التوبة المملوء رجاءً فيك!

إنما هو عويل الصرخات الموءة اليائسة!

❖ أصابني العار والخزي،

من يرد لي كوامتي ويهيني مجدداً؟!

كلت عينايا من الحزن... فقد ترقبتنا الموت الأبدي!

من يهيني الاستئزلة ويبعث في الحياة المُقامة؟!

❖ إنني أعلم يا سيدي أنك لا تُسر بجفاف بريتي!

ليعمل روحك في داخلي كينابيع مياه حية!

يفضح جفاف بريتي ويبيكتني على خطيئتي!

يحول بريتي إلى فودوسٍ مبهجٍ مملوء من ثمر الروح!

ليصلب أعمال إنساني القديم ويهيني أعمال الإنسان الجديد!

ليحملني كما بجناحي الحمامة إلى حضن الأب السلمي!

ليفتح بصوتي ولتشوق بنور وجهك علي!

ردّ لي كرامتي ولتمتعني بعيون المجد الأبدي!

❖ أعترف لك إنني مستحق أن يحل بي القحط،

لكن نعمتك عجيبة وغنية،

وروحك القنوس واهب التوبة والتقديس!

متى أنطلق من البرية الجافة إلى فردوسك المقدس يا مخلصي؟!!

❖ أخوًا أعلن بحق إنني أخطأت أنا وكل بيت آبائي!

ليس لي ما يسندني إلا اسمك القدوس الذي دُعي علي.

لا ترفضني، فإني أحتفي فيه، لأنني على اسمك اتكلت.

أذكر أنك قبلتني كرسياً لمجدك،

فلتقدسني ولتسرح في داخلي!

لقد كتبت ميثاق حبك العملي بدمك الثمين،

فلتعمل إذن فيّ يا مخلصي الحبيب!

<<

الأصاح الخامس عشر

الشفاعة المرفوضة

يكمل هذا الأصاح الحديث عن التأديب بالقحط، حيث يؤكد الرب حتمية هذا التأديب بسبب إصرار الشعب مع القادة على الشر، رافضاً كل

شفاعة عنهم، حتى إن قدمها موسى وصموئيل النبيين.

❖ القحط والتطلع إلى العصر المسياني.

1 . الشفاعة المرفوضة [1].

2 . التأديب [2-9].

3 . انهيار نفسية رميا إلى حين [10].

4 . الله يسند نبيه [11].

5 . سبي الشعب [12-14].

6 . تعزيات وسط الآلام [15-18].

7 . الله يشدد رميا النبي [19-21].

1 . الشفاعة المرفوضة:

ثم قال الرب لي:

وإن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب.

اطرحهم أمامي فيخرجوا" [1].

نحن نعلم أن شفاعته النبي لدى الله من أجل الشعب كانت عملاً أساسياً في حياته، لذا أراد الله تأكيد صدق نية لميا بالرغم من عدم قبول شفاعته في أمر رفع التآديب، لأنه وإن تشفع موسى وصموئيل النبيين لن تُقبل شفاعتهما في ذلك الحين، ولن يُسمح للشعب أن يقف أمامه. كأن عدم قبول شفاعته لميا ليس علتها ضعف في شخصه أو في عمله، وإنما في إصرار الشعب على عدم التوبة.

ذكر المزمور (99: 6) موسى وهرون وصموئيل كشفعاء عظماء يستجيب الله صلواتهم.

قدم لنا العهد القديم موسى شفيعاً في (خر 32: 11-14؛ 20: 34؛ 32: 30؛

عد 10: 19-13؛ 14: 19-13؛ تث 9: 26-29). كما قدم لنا صموئيل النبي شفيعاً في (1 صم 7: 5-11؛ 12: 19-25). قيل: "قدعا

صموئيل الرب فأعطى رعوذاً ومطراً في ذلك اليوم، وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جداً. وقال جميع الشعب لصموئيل: صل عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت... فقال صموئيل للشعب: لا تخافوا... وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (1 صم 12). هكذا امتزجت صلواته وشفاعته بتعليمه لهم ليعيشوا حسب العهد الإلهي.

لم يكن هذان النبيان شفيعين فحسب، بل كانا أيضاً وسيطيين في إقامة عهد بين الله والشعب. [291]

ذكر هذين النبيين له معنى خاص بالنسبة لميا النبي، إذ كان يُنظر إليهما كنموذجين حيين لخدمته، حاسباً نفسه خلفاً في سلسلة الأنبياء. [292]

وُصف لميا في سفر المكابيين الثاني كشفيحٍ دائم: "فأخوهم أيضاً برؤيا قدرآها وهي موثوق بها، فتشجروا جميعاً. وهذه هي الرؤيا أن أحد رؤساء الكهنة، وهو شريف كريم صالح وفصيح، ومنذ حدثته منكب على كل فضيلة، وقد ظهر يمدّ يديه مستشفعاً لأجل الشعب. ثم ظهر شخص آخر بثياب فاخرة وبهيئة جميلة. فقال رئيس الكهنة إن هذا هو لميا نبي الله، وهو محب لإخوته يشفع دائماً لأجل الشعب والمدينة المقدسة" (2 مك 15).

من محبة الله لهم أنه لا يشفق عليهم إلى حين، ولا يقبل شفاعته الأنبياء عنهم حتى يود غضبه، لأنه يريد خلاصهم الأبدي بالروح إليه أولاً. إنه لا يطلب أن يرفع التآديب المؤقت مهما بدا قاسياً، إنما يريد مجدهم الأبدي.

الله الذي يُسرُّ يوحدتنا وصلاتنا لبعضنا البعض يرفض أحياناً حتى شفاعته قديسيه متى رأى فينا تهلوناً بخلاصنا، فإنه لا يستطيع إنسان ما أن يفتدينا. وكما يقول الموتل: "الأخ لن يفتدي، فهل يُفتدي إنسان؟" (مز 49: 7). حقاً إننا نُصلي لأجل بعضنا البعض، ونطلب صلوات القديسين عنا، لكن بروح الالتقاء مع المخلص نفسه كفادٍ وحيِّدٍ وفريدٍ.

❖ يوجد بعض الناس يتكلمون على أصدقائهم، وآخرون على فضائلهم (قوتهم)، وآخرون على غناهم. هذه هي عرفة البشوية التي لا تتكل على الله... "الأخ لن يفتدي، فهل يخلص إنسان؟" هل تتوقع إنساناً يفتديك من الغضب القادم؟! [293]

القديس أغسطينوس

❖ لا تتطلع إلى أخٍ لخلصك... بل إلى الإله المتأنس يسوع المسيح، هو وحده قادر أن يقدم فدية لله عنا جميعاً... دم ربنا يسوع المسيح المقدس والتمين جداً، الذي سفكه لأجلنا جميعاً...

ليس لأنه سكن بيننا "في شبه جسد الخطية" (رو 8: 3)، تظن أن ربنا إنسان مجرد؛ وتفشل في ملاحظة قوة لاهوته. إنه لا يحتاج إلى تقديم فدية لله عن نفسه،... فإنه "لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه غش" (1 بط 2: 21). [294]

القديس باسيليوس الكبير

❖ وكما قال أيضًا النبي معلناً ذات الشيء: "الأخ لن يفتدى، فهل يُفتدى إنسان؟ كلا، حتى وإن كان موسى أو صموئيل أو لميا. اسمع كمثالٍ ما يقوله الله في هذا الأمر الأخير: "لا تصل لأجل هذا الشعب، فإنني لا اسمع لك". ولماذا تتعجب إنني لا أسمع لك، وإن وقف موسى وصموئيل أمامي" [1] لا أقبل طلباتهم عن هؤلاء الناس. نعم، إن توسل حزقيال يُقال له: وإن وقف فوح ودانيال وأيوب فإنهم لا يخلصون... وإن توسل البطرك إواهم لأجل المصابين بعوض مُستعصى شفاؤه ولا يمكن تغوهم فإن الله يتركه ويذهب في طريقه (تك 18: 33) حتى لا يقبل صوخته لأجلهم. مرة أخرى إن فعل صموئيل ذلك يُقال له: "لا تتح على شاول" (راجع 1 صم 16: 1). وإن توسل أحد من أجل أخته وكان الأمر غير مناسب يسمع ذات الإجابة التي قيلت لموسى: "ولو بصق أبوها بصقًا في وجهها" (عد 12: 14) [295].

❖ أوضحنا بإسهاب إننا بحسب آفات الله ومحبتته يؤمننا أن يكون لنا رجاء الخلاص في أعمالنا البلية (بنعمة الله) دون حسابان لأبائنا وأجدادنا وآباء أجدادنا، أو أقبائنا وأصدقائنا وعائلتنا وجواننا، لأن "الأخ لا يفتدى، فهل يُفتدى إنسان؟" ... لقد استجّدت الخمس عذرى زينًا من رفيقاتهن ولم يحصلن على شيء. فالإنسان الذي دفن وزنته في الأرض يبدي أعزلاً لكنه يُدان [296].

القديس يوحنا الذهبي الفم

سبق أن تحدثنا عن طلب صلوات أو شفاعات الغير بدون التوبة في تعليقنا على (7: 16؛ 11: 14). إذ يتحدث العلامة أوريجينوس [297] عن قوة الصلاة، وى في ارتباط شخص صموئيل النبي بموسى النبي هنا يحمل معه ذات التوبة، هذا الذي أدركت والدته أنها عاقر والتجأت إلى الله بالصلاة فوهبها إياه. يعلن هذا الحديث الإلهي عن عجز البشرية في التشفع في الخطاة حتى يأتي السيد المسيح. جاء في سفر حزقيال: "وطلبت من بينهم رجلاً يبني جدلاً ويقف في الثغر أمامي عن الأرض لكيلا أخرجها فلم أجد" (حز 22: 30). لقد جاء ربنا يسوع المسيح، الإنسان الكامل، الذي وقف في الثوة يشفع في البشرية، وكما جاء في إشعياء: "وأى أنه ليس شفيع، فخلصت نراعه لنفسه ووه هو عضده" (إش 54: 16). يقول الرسول بولس: "وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء" (رو 15: 8). الآن إذ يرفض الله شفاعة أنبيائه عن الشعب يقول: "أطرحهم أمامي فيخرجوا" [1]. إنها تقابل قول إيليا النبي وتلميذه إيشع: "حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه" (1 مل 17: 1؛ 18: 15؛ 2 مل 3: 14؛ 5: 16)، حيث يعني وجودهما أمام الله الذي يهبهما حضوته كسر قوتهما؛ يثبتهما ويهبهما حالة القيام بغير انطراح أو سقوط. أما هذا الشعب وقد لربطت بألهة غريبة، ووضع ثقته فيها، ومسوته في الشهوات الجسدية والوجاسات، فلا يستحق الوقوف بل يبقى مطروحاً بلا عون، ويُطرد من الحضرة الإلهية... "لأنه أية خلطة للبر والإثم؟! وأية شوكة للنور مع الظلمة؟! وأى اتفاق للمسيح مع بليعال؟! (2 كو 6: 14-15).

في القديم وهب الله شعبه الخروج *exodus*، لكي يخرجوا من عبودية فوعن منطلقين إلى الأرض التي تفيض عسلاً ولبناً، حيث الشعب والحرية. الآن يطودهم من أمامه فيخرجوا *exodus*، لكنه خروج من حالة الحرية والشعب إلى العبودية لإبليس وشوروره وإلى الواغ.

2. التأديب:

"ويكون إذا قالوا لك: إلى أين نخرج؟

أنتك تقول لهم:

هكذا قال الرب:

الذين للموت فإلى الموت،

والذين للسيف فإلى السيف،

والذين للجوع فإلى الجوع،

والذين للسبي فإلى السبي" [2].

يتساءل الشعب: "إلى أين نخرج؟"، لا في انتظارٍ إلى إجابة، ولا رغبة في تصحيح الموقف، إنما في فزع من التذمر.

يتم التأديب في إحدى الصور الأربع التالية: الموت أو السيف أو القحط أو السبي [2]. هذه الصور تكشف عن عمل الخطية:

أ. أجرة الخطية موت (رو 6: 23؛ تك 2: 17؛ يع 1: 15)، "كما أن البر يؤول إلى الحياة، كذلك من يتبع الشر فإلى موته" (أم 11: 19).

بل تكابنا الخطية نغزل أنفسنا عن القديس مصدر حياتنا، فندخل إلى الموت، الذي أبطله السيد المسيح بصليبه واهب القيامة (1 كو 15: 26).

ب. نسقط تحت سيف كلمة الله (عب 4: 12) الذي يضرب قلب المؤمن ليحطم الخطية ويوح القلب بجراحات الحب. أما غير المؤمن فتصير

كلمة الله التي للحياة هي بعينها للموت، يحطمه السيف، فيفقد سلامه الداخلي.

ج. بالخطية تدخل النفس في مجاعةٍ وقحطٍ لا إلى الخبز المادي، بل إلى كلمة الله، فلا تجد شيئاً في الكلمة ولا عذوبة، وكما قيل: "هوذا أيام

تأتي يقول السيد الرب أرسل جوعاً في الأرض، لا جوعاً للخبز ولا عطشاً للماء، بل لاستماع كلمات الرب؛ فيجولون من بحرٍ إلى بحرٍ، ومن الشمال

إلى المشرق يتطوّحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها؛ في ذلك اليوم تذبذب العطش العذرى الجميلات والفتيان" (عا 8: 11-13). هكذا تفقد النفس

جمالها ونضوة شبابها لتدخل في قبحٍ وعجزٍ دائم!

د. أخيراً بالخطية نسقط تحت سبي إبليس، نفقد حرية مجد أولاد الله. لهذا جاء السيد المسيح ليُنادي للمسيبين بالعتق، ويقتنيهم لنفسه مسبيين لا

للعبودية، بل لحبه الفائق، وكما يقول الرسول: "سبي سبياً وأعطى الناس كرامات" (أف 4: 8)، واهباً إياهم شركة الأُمجاد الأبدية، حرية مجد أولاد الله

(رو 8: 21).

اختيار رقم 4 للتأديب يحمل معنى رمزياً، إذ يشير إلى الزاب أو إلى الأرض بكونها ذات أربع اتجاهات (شوق وغرب وشمال وجنوب)، وكأن

ثمر الخطية هو أن يصير الإنسان رُضاً، لا يقدر أن يختبر السمويات.

وأوكل عليهم أربعة أنواع يقول الرب:

السيف للقتل،

والكلاب للسحب،

وطيور السماء ووحوش البرية للأكل والإهلاك.

وأدفعهم للقلق في كل ممالك الأرض" [3-4].

كأن الإنسان الذي يقبل الخطية في حياته يصير فريسة لأربعة أمور:

فريسة للموت مع بشاعة الألم حيث تضربه الخطية كما بالسيف.

فريسة للمهانة والقوي، حيث تسحبه الكلاب على الزاب، إذ يلتصق القلب بالزّاب ويصير زاباً عوض تمتعه بالملكوت السموي. وكما قيل:

"عار الشعوب الخطية" (أم 14: 34).

فريسة لطيور السماء، أي تفترسه الشياطين، خاصة شيطان الكرياء.

أخيراً يصير فريسة لحيوانات البرية التي تشير إلى شهوات الجسد، فتحطمه الشهوات ولا يقدر أن يقاومها.

إذ يسقط فريسة للموت الروحي، ويفقد الكرامة الحقيقية، وتنهشه الشياطين، وتحطمه شهوات الجسد لا يجدرراحة أو استقراً، بل يصير في قلقٍ

في كل ممالك الأرض! يصير مثل قايين الذي بسبب خطيته صار تائهاً على وجه الأرض.

هذه الأنواع من التأديب تشير إلى معاناة جسدية واجتماعية ونفسية. فالسيف يشير إلى المعاناة الجسدية، حيث يُقتل الجسد، أما سحب أجسادهم

المينة بواسطة الكلاب ونهشها بواسطة طيور السماء وحيوانات البرية فيشير إلى المهانة الاجتماعية، حيث تشترك الطيور والوحوش في تحطيم كل ذكوى لهم! كان الدفن في مقابر الأسوة فيه تكريم للميت، أما أن يُترك الميت للكلاب والطيور والوحوش ففيه مهانة بالغة. وأخوًا المتاعب النفسية إذ يُدفعون للقلق في كل ممالك الأرض.

شعر القديس أغسطينوس بالوجع والعطش، فلجأ إلى الله واهب الشعب والسلام، مناجيًا إياه:

إلهي... لقد جعلت نفسي قاوة على أن تسع جلالك غير المحدود، لئلا يكون لها شيء يقدر أن يملأها سواك!...

إلهي... إنك صنعتنا لأجلك... لذلك يبقى قلبنا مضطربًا، قلقًا، عديم الراحة على النوام حتى يستريح بك [298].

ربما يتساءل البعض: لماذا يسلمهم الله للهلاك؟ فيجيب:

"من أجل منسى بن حزقيا ملك يهوذا،

من أجل ما صنع في أورشليم" [4].

كان حزقيا رجلاً صالحًا، طهر الهيكل من الرجاسات الوثنية، لكن توارى ابنه عرش يهوذا سنة 693 ق.م وهو ابن اثنتي عشرة سنة، واشتهر في أول ملكه بنشر العبادة الوثنية والرجاسات مع العنف وسفك الدماء، فصار الشعب أشر من الأمم (2 مل 21: 2-9). ذكر على وجه الخصوص لأنه كان أشر ملوكهم، أو لأنه ملك أكثر من غيره، فلم يُنسَ بعد في أيام رميا (2 مل 21: 10-15).

هنا تظهر خطورة القائد، متى تتجسس قلبه أفسد المجتمع، فتصير الصلوات (بغير التوبة) مرفوضة، حتى إن قدمها موسى أو صموئيل أو رميا. لقد حلَّ غضب الله على الجماعة التي أفسدت القيادة الشريرة.

إن كان النبي قد ألقى بالضوء على خطايا الملوك وعائلاتهم لكنه أكد مشاركة الشعب لهم في خطاياهم، ومسئوليتهم المشتركة معهم، لم يُوجد إنسان واحد بار في يهوذا (5: 1)، فلا يستطيع أحد أن يحتج بأنه هو شخصيًا لا يستحق التأديب. اشترك الكل في الرجاسات والارتداد عن الإيمان بقبولهم العبادة الوثنية جنبًا إلى جنب مع عبادة الله الحي. اشترك الكل في عار الأمة، إذ هم ورثون لأمة قاومت الله منذ بدايتها (2: 5 الخ) [299].

"فمن يشفق عليك يا أورشليم؟

ومن يعزيك؟

ومن يميل ليسأل عن سلامتك؟" [5].

هذا هو عمل الخطية الذي زاه واضحًا في حياة البشرية، الشعور بالغرلة والوحدة. ليس من يقدر أن يشرك الإنسان مشاعوه الحقيقية ولا من يعزيه، حتى وإن اجتمع حوله المئات أو الألوف وربما الملايين؛ حتى وإن نال شهرة عالمية أو كرامة فائقة... ففي أعماقه لا يجد من يعزيه ويسأل عن سلامته أو يحييه. هذا ما دفع بعض الممثلين المشهورين الذين نالوا شعبية تقدر بالملايين إلى الانتحار. لأنهم إذ يفقدون الله مصدر تغريتهم وسلامهم يدركون أن كل من هم حولهم لا يستطيعون أن يهيوهم شعبًا داخليًا، أو سلامًا حقيقيًا أو يحبونهم بإخلاص.

هذا هو علة وايد نسبة المرضى نفسيًا حتى في البلاد المتقدمة، بالرغم من تكاتف كثير من القوى لإشباع كل احتياجات الإنسان اقتصاديًا وعلميًا واجتماعيًا ونفسيًا... لكن يبقى أمر واحد وهو الاتحاد مع القنوس واهب السلام.

يتساءل رميا النبي: "من يشفق عليك يا أورشليم؟" [5]. إن كنت لا تشفقين على نفسك، بل سلمتي أعماقك للسيف والوجع والسبي... قبلتي

الموت والعار والمذلة، فمن يشفق عليك؟ من يقدر أن يعزيك؟ من يهتم بك ويسأل عن سلامتك؟ تأتي الإجابة كما في أغلب الأسئلة الواردة في هذا السفر: "المسيا المخلص!"، هو وحده يشفق على الخاطي، ويهتم به ويعزيه، ويود له سلامه بعمل صليبه. لم يعد أحد يشفق على أورشليم، أعدوها يشمتون فيها، وأبنؤها يهلكون، وأصدقؤها يهرون أمام فادحة الخطر الذي لحق بها.

لا تنتظر يا عزوي أحدًا يشفق على أورشليمك الداخلية، إلا الله الأب الذي أحبك وأسلم ابنه الوحيد للصليب لأجل خلاص نفسك، فتترنم مع

الرسول قائلاً: "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟! (رو 8: 32).

من يشفق عليك إلا السيد المسيح مخلصك، وكما يقول الرسول: "من هو الذي يدين؟ المسيح هو الذي مات، بل بالأحرى قام أيضاً، الذي هو أيضاً عن يمين الله الذي أيضاً يشفع فينا" (رو 8: 34). إن التقيت معه الآن بالتوبة تشفق على نفسك. لا تنتظر أباً أو أمّاً أو أخاً أو صديقاً يهتم بخلصك، بل التق به، لأن نفسك ثمينة في عينيه، أعظم من كل العالم! من يعزبك ويهبك السلام الداخلي إلا الروح القدس المؤي، بيكتك على خطية ويقدم لك الغوان، يصلحك مع الأب في استحقاقات دم المسيح!

يلق العلامة أوريجينوس على هذه العبارة قائلاً:

[فريد أن نفهم جميع تلك الكلمات المملوءة وعيداً لأورشليم:

'فمن يشفق عليك يا أورشليم؟!

ومن يعزبك؟!

ومن يميل ليسأل عن سلامتك؟!

أنت تركتني يقول الرب.

إلى الوراء سرت، فأمد يدي عليك، وأهلكك.

مللت من الندامة.

وأترهم بمفواة في أبواب الأرض.

أثكل وأبيد شعبي".

لقد وَصَعْتُ هذه الكلمات في مرق، وهو محاولة التوفيق بين صلاح الله ورفضه الرحمة لشعبه.

أقدم مثلاً: لو أن ملكاً حكم على إنسان في مملكته بأنه عدو له، فإنه لا يليق بأي شخص أن يُظهر تعاطفاً مع ذلك العدو أو يبدي أية شفقة عليه، إذا فعل ذلك حُسب هذا إساءة إلى الملك وإلى أحكامه.

إذا فهمت هذا المثل، أنظر إذن إلى الإنسان المحكوم عليه من قبل الله من أجل خطاياه الكثيرة، ولاحظ أنه لا يحصل على أية شفقة من الملائكة، رغم أن وظيفة هؤلاء الملائكة هي خدمة الطبيعة البشرية ونجدها وإنقاذها. لأنه ليس أحد من الملائكة حين يرى أن الله هو القاضي، وأن الذي حمى غضبه هو الخالق، وأن الخطايا وصلت إلى درجة أؤمت الله - إن صح هذا التعبير - الصالح على توقيع الحكم ضد الخاطيء... أن يشفق ولا أن يحزن ولا أن يطلب الرحمة أو السلام من أجل إنسانٍ مثل هذا.

نفترض فعلاً أن أورشليم هذه - لأنها هي المقصودة بالمعنى الحرفي - هي التي أخطأت تجاه السيد المسيح، وعظمت خطاياها أمامه، حتى قال لها: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة الموسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع ولأدك كما تجمع الدجاجة فآخها تحت جناحها ولم تزيوا. هوذا بينكم يتوك لكم خواباً" (مت 23: 37). وأن أورشليم هذه، هي التي أهملت وتوكت من الله. وأن الملائكة الذين لم يتوقفوا عن مساعدة أورشليم، والذين من خلالهم سلّمت الشريعة لموسى، تركوا أورشليم وقالوا: إن خطاياها أصبحت عظيمة؛ لأن شعبها قتلوا السيد المسيح ووضعوا عليه الأيدي. وحينما كانت خطاياهم قليلة كان في إمكاننا أن نتشفع وأن نطلب من أجلهم، وكان في استطاعتنا أن نشفق على أورشليم، لكن الآن وبعد هذه الجريمة "من يشفق عليك يا أورشليم؟" قد أخطأت أورشليم خطية، من أجل ذلك صلت رجسة " (روا 1: 8).

نعم لنفترض أن أورشليم هذه هي التي قيل لها: "فمن يشفق عليك يا أورشليم ومن يعزبك؟" يجب علينا نحن أيضاً ألا نشفق على أورشليم ومصائبها، ولا نحزن على ما أصاب شعبها، لأنه: "تولتهم صار الخلاص للأمم (لنا) لإغرتهم" (رو 11: 11).

انتقل من التفسير الحرفي إلى التفسير الروحي، مُطبَّعاً ما قيل لأورشليم على النفس البشرية. بعدما أخذت التعاليم الإلهية أصبحت أورشليم، التي

كانت قبلاً تُدعى "يبوس"... ثم تغير اسمها فيما بعد إلى أورشليم. يقال أن "يبوس" ترجمتها "مئوسة بالأقدام". إذن، يبوس "النفس المدوسة بالأقدام" من قرات العدو، تغوت وأصبحت أورشليم "رؤية السلام". بعدما صلت يبوس أورشليم ^[300] أخطأت. إن "دست بأقدامك" دم السيد المسيح الذي للعهد الجديد، وإن سقطت في خطايا عظيمة، يقال عنك: "من يشفق عليك يا أورشليم ومن يعزيك"، طالما وصَلتَ إلى حد خيانة مسيحك. كل واحدٍ فينا حينما يخطئ، خاصة الخطايا الجسيمة، يخطئ ضد السيد المسيح نفسه. "فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدس به دنساً ولزوى بروح النعمة؟ (عب 10: 29). فإن دست ابن الله واستهنت بروح النعمة، من يشفق عليك ومن يعزيك؟ ومن يميل ليسأل عن سلامتك؟ إنه ابن الله، الذي خانته الخطاة، هو نفسه الذي سأل عن سلامنا؛ فمن من بعده يستطيع أن يتشفع من أجل سلامنا؟ لنترك جيداً أن "الذين استنبهوا مرة، وذاقوا الموهبة السماوية، وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقرات الدهر الآتي، وسقطوا لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه" (عب 6: 4-6). متى أركنا تلك الكلمات وفهمنا معناها، يؤمننا أن نعمل كل ما في وسعنا لئلا يُقال عنا نحن أيضاً: "من يشفق عليك يا أورشليم؟ ومن يعزيك؟ ومن يميل ليسأل عن سلامتك؟" ^[301].

أنتِ تركتيني يقول الرب.

إلى الوراء سرتِ،

فأمد يدي عليك وأهلكك.

مللت من الندامة" [6].

إن كان الله قد أخرجها من حضوته لتتقبل ثمر فعلها: الموت أو السيف أو الجوع أو السي، فإنه لم يفعل هذا من عنده، إنما هي تركته وسرت مزاجعة عنه، وقد طال انتظره لرجوعها وأخوًا سلمها لوغبتها، فسقطت تحت المرّ.

لئلا يظن أحد أن الله يعاقب الشعب كله من أجل خطايا منسى الشخصية بوجه حديثه إليهم كعروسٍ له، قائلاً: "أنتِ تركتيني" [6]. لقد تحالفتي مع منسى وشركتيه شوه... وانتظرت عودتكِ لكنكِ تشبثتي بترككِ إياي.

يترجم البعض "أنتِ تركتيني" هكذا "أعطيتني الفقا" ^[10]، حيث تحمل معنى رفض سلطان الله عليها.

بتركها الرب سرت كالعروس الخائنة التي تسير وراء رجلها مزاجعة عنه، لا تويد الالتقاء أو الاتحاد معه. يُستخدم تعبير "الرجوع إلى الوراء" عن العدو المنهزم (مز 9: 4؛ 56: 10)، وكأنها دخلت في عدوة ضد الله فتركته، وأصابتها الهزيمة، وتقهرت إلى الوراء.

يمد الرب يده أو يبسطها لكي يحتضن النفوس الساقطة الراجعة إليه، يبسطها على الصليب ليضم العالم كله إليه، ويحمله إلى حضن أبيه كشعبٍ مقدسٍ وأمةٍ ملوكية تنعم بشركة المجد الأبدي. أما إن أصوت النفس على عنادها فيصير مدّ يد الرب لهلاكها عوض خلاصها، لأنها ترد الحب بالبعوضة وطول أناة الله بالاستهانة.

يقول العلامة أوريجينوس:

"أنتِ تركتيني يقول الرب، إلى الوراء سرتِ".

لأن مدينة أورشليم - التي جعلنا نتذكر كل اليهود - تركت الرب، فقد قيل لها: "إلى الوراء سرتِ".

كان هناك وقت فيه سرت أورشليم إلى الأمام وليس إلى الخلف، أما حالياً فهي تسير إلى الوراء: "ورجوا بقلوبهم إلى مصر". أما بالنسبة لمعنى

السير إلى الوراء أو الامتداد إلى ما هو قدام، فنشرحه كالاتي:

الإنسان البار ينسى ما هو وراء ويمتد إلى ما هو قدام؛ أما الذي يوجد في وضع مضاد للإنسان البار فإنه يتذكر ما هو وراء ولن يمتد إلى ما

هو قدام. ويتذكره لما هو وراء يرفض سماع السيد المسيح القائل لنا: "فلا يرجع إلى الوراء ليأخذ ثوبه". يرفض سماع السيد المسيح حين يقول: "تذكروا

أرواً لوط". يرفض سماع السيد المسيح القائل: "الذي يضع يده على المحاوث وينظر إلى الوراء لا يصلح لملكوت الله". وفي العهد القديم مكتوب أيضاً

أن الملائكة قالوا للوط بعد خروجه من سدوم: "لا تنتظر إلى ورائك ولا تقف في كل الداوة. اهرب إلى الجبل لئلا تهلك" (تك 19: 17). "لا تنتظر إلى ورائك" امتد دائماً إلى ما هو قدام؛ لقد تركت سدوم، فلا تنتظر إذن إليها؛ لقد تركت الشر والخطية فلا تعود بنظرك إليهما؛ ولا تقف في كل الداوة. حتى إذا أظعت الأمر الأول "لا تنتظر إلى ورائك"، هذا غير كافٍ لإنقاذك إن لم تطع الأمر الثاني أيضاً: "لا تقف في كل الداوة".

إن بدأنا التقدم والنمو الروحي، يجب علينا ألا نتوقف في حدود داوة سدوم، بل نتخطى تلك الحدود ونهرب إلى الجبل. إن رُدت ألا تهلك مع أهل سدوم فلا تنتظر أبداً إلى ما هو وراء، ولا تقف في داوة سدوم، ولا تذهب إلى أي مكانٍ آخر سوى الجبل، لأنه هناك فقط يمكننا أن نخلص؛ الجبل هو ربنا يسوع الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبدين. آمين [302].

رى العلامة أوريجينوس في مد يد الرب إشارة إلى تجسد الكلمة، حيث مد الأب يده، أي أعلن عن ذاته بتجسد ابنه، مدها بالحب ليحتضن العالم كله بذبيحته الفريدة.

هكذا بالتجسد يمد الله يده لنا، فنقول مع القديس يوحنا: "إن الحياة أظهرت وقدرأينا ونشهد ونخوكم بالحياة الأبدية التي كانت عند الأب وأظهرت لنا" (1 يو 1: 2). بيده المبسوطة ينال المؤمنون الخلاص بينما يهلك الآثوار المصممون على عدم الإيمان، إذ قيل: "لؤلؤ رائحة موتٍ لموتٍ، ولؤلؤك رائحة حياة لحياة" (2 كو 2: 16). وكما قال السيد المسيح لغير المؤمنين: "لو لم أكن قد جننت وكلمتهم لم تكن لهم خطية، وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم" (يو 15: 22).

أخوًا إذ فرضوا يده الممدودة قال: "مللت من الندامة" [6]. وقد جاءت كلمة "مللت" بمعنى "تعبت"، كأن الله قد انتظر طويلاً لعلهم يرجعون، مشبهًا نفسه بالعريس الذي يمد يده لعروسه الخائنة متوقبًا عودتها، وقد طال انتظره جدًا.

لعل تعبته يشير إلى أنه في انتظره لم يكن في موقفٍ سلبي، بل بذل كل الجهد لودها إليه كمن تعب، لأنه وى هلاكها القادم حيث تلقى نفسها بنفسها فيه. فهو وإن سمح بتأديبها لكنه يتعب إذ يريد راحتها وفرحها وسلامها ومجدها وخلصها الأبدية.

وى البعض أن بقوله "مللت من الندامة" [6]، يعني أن الله قد ملّ من ندامة الشعب الباطلة، إذ يتوردون متذبذبين بين الانغماس في الشر والدعاء لله.

تأكيده "أمد يدي عليك" [6] يوضح أن ما سيحل عليها من أسر البابليين لها لا يرجع إلى قوة بابل وإنما إلى سماح الله لهم بذلك لتأديبها. فالسبي ليس ثروة معوكة بين بابل ويهوذا، إنما هو ثروة سقوط وانحلال مملكة يهوذا واعوالها إلهارب الجنود، مصدر قوتها. وصفها كعروس خائنة مؤاجعة أو كمن جعل من نفسه عنواً لله فتقهقر، ومع ذلك يعمل الله لرجوعها، قائلاً: وأُنزِهم بمرواة في أبواب الأض.

أثكل وأبید شعبي.

لم يرجعوا عن طرقهم.

كثرت لي زاملهم أكثر من رمل البحار.

جلبت عليهم على أم الشبان ناهبًا في الظهيرة.

أوقعت عليها بغتة عدة ورعبات.

ذبلت والدة السبعة،

أسلمت نفسها.

غربت شمسها إذ بعد نهار.

خرزيت وخرزلت.

أما بقيتهم فللسيف أوقعها أمام أعدائهم يقول الرب" [7-9].

لا يستبعد أن تكون عبلة "أبواب الأرض" إشارة إلى مجدون بكونها الرابية الشمالية الغربية من البلاد، دخل فيها وخوج منها جيوش كثرة عبر التاريخ.

أ. يشبههم بالمحصول الذي ليس فيه حنطة بل كالكش ، متى قام الزراع بتثريتهم يحملهم الريح ويبددهم العاصف، هكذا تبدوا إلى بابل في السبي. لا يزيهم في الحقول بل "في أبواب الأرض"، ماذا يعني هذا؟ من كان حنطة يستحق الدخول إلى أبواب صهيون الحقيقية، ليكون في بيت الرب، أما من كان قشاً فيدخل في أبواب الهلوية (إش 38: 10).

ب. يشبهه مملكة يهوذا بسيدة رفضت أن تكون ابنة لله، ففقدتها وصار كمن هو محروم من ابنته. تفقد هي أيضاً رجلها وبنيتها وتُحرم منهم، فتصير رملة وتكلى.

في الميثاق المبرم مع إواهم ويعقوب كان الوعد أن نسلهما يكون كرمل البحر (تك 22: 17؛ 32: 13)، الآن وقد حقق لهما الوعد كسر الشعب الميثاق وتعوض الشباب للموت فصلت راملهم أكثر من رمل البحر.

ج. لا يحدث ذلك تدريجياً إنما دفعة واحدة في وقت الظهيرة، حتى تصير الأم التي لها سبعة شباب رملة، تفقدهم معاً فتنتهي الموت، تصير لها الظهيرة ظلاماً، وكأن النور يفرق عينيها.

إذ يشير رقم 7 إلى الكمال، هذا يعني أنها أنجبت كل ما يمكن من الأولاد ولم تعد لديها قوة بعد على الإنجاب، ومات الكل معاً، خاصة وأنها فقدت رجلها وتولمت. هذا ما حوّل ظهوتها إلى ظلمة!

جاء في تسبحة حنة أم صموئيل: "حتى أن العاقر ولدت سبعة، وكثرة البنين ذبلت" (1 صم 2: 5). وكان إنجاب سبعة بنين يحمل علامات البركة (4: 15)، وبالتالي فقدانهم في وقت الظهيرة يحمل معنى اللعنة.

لعله يقصد أيضاً بالظهيرة أن الأرملة تفقد أولادها وهم في ظهيرة عوهم، أي وهم شباب ناضرون، أو لأن نيوخذنصر سبي يهوذا وهو شاب في ظهيرة عوه. هذا وقد سبها بقوة كما في الظهيرة ولم يأت كلسي خائف في الليل.

بقوله: "غربت شمسها إذ بعد نهار" [9] تشير إلى حالة الحداد التي صلت فيها مملكة يهوذا، فقد لبست النساء الملابس السوداء بعد قتل الرجال والأولاد، حيث صار الكل رامل، فصلت المدن في وسط النهار كأنها ليل داس، لا يرى فيها غير السواد.

3. انهيار نفسية رميا إلى حين:

شعر رميا النبي بالضعف الشديد، فمن جهة كانت كلمة الله كئيباً في قلبه، لم يحتمل بركة مشاعوه ما سيحل بشعبه من قحطٍ ودمارٍ، وحين التزم أن ينطق بها ظنه الشعب أنه قاسى القلب، عنيف، غير وطني. هنا انتهى رميا لو لم يُولد.

ويل لي يا أمي،

لأنك ولدتي إنسان خصام،

وإنسان واع لكل الأرض.

لم أقرض ولا أقرضوني،

وكل واحد يلعني" [10].

يلق العلامة أوريجينوس على العبارات السابقة، قائلاً:

أما بالنسبة للكلمات: "ويل لي يا أمي..."، فإنني أعتقد أن تلك الكلمات لا تناسب أي نبي آخر ولا توافقه مثلما تناسب رميا. لم تبدأ نوبة معظم

الأنبياء إلا بعد زمن معين، فبعدما تايوا ورجعوا عن خطيبتهم أقامهم الله ليتنبأوا، أما لرميا فكان يتنبأ منذ طفولته. ويمكننا أن نستعين بمثال من الكتاب المقدس؛ إن إشعياء لم يسمع من الله تلك الكلمات: "قبلما صورتك في البطن عرفتك وقبلما خرجت من الرحم قدستك. جعلتك نبياً للشعوب" (1: 5)، كما لم يقل إشعياء للرب: "إني لا أعرف أن أتكلم لأني ولد" (1: 6). بل حينما رأى الرؤية التي يقول عنها في نبوته، نظر وقال: "ويل لي إني هلكت لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عيني قدرأتا الملك رب الجنود" (إش 6: 5)، ثم يقول بعد ذلك: "فطار إليّ واحد من السواقيم وبيده جرة... ومس بها فمي وقال إن هذه قد مست شفتيك فانثُرْ إثمك وكُفِّرْ عن خطيتك". إذن بعدما ارتكب إشعياء الخطايا ثم تاب عنها أصبح مستحقاً أن يأخذ الروح القدس ويتنبأ. تجد أشياء مشابهة بالنسبة لأنبياء آخرين. أما لرميا فلم يكن مثلهم: كان لا زال في المهد حينما أخذ روح النبوة وتنبأ منذ الطفولة. لذلك عنه قيل: "ويل لي يا أمي لأني ولدتني إنسان خصام وإنسان وواع لكل الأرض".

لكن يقول أحد المفسرين الذين سبقوني في تفسير هذا النص كان لرميا يوجه هذه الكلمات ليس لأمه حسب الجسد، وإنما للأُم التي ولدت الأنبياء. من هي التي ولدت الأنبياء إلا حكمة الرب؟ ذكر الإنجيل كذلك أبناء للحكمة: "والحكمة تيررت من جميع بنيتها" (لو 7: 35). إذاً مكتوب: "ويل لي يا أمي (الحكمة) لأني ولدتني إنسان خصام (محكوم عليه)". فمن أنا حتى لا أولاد إلا ليكون محكوماً عليّ وأكون مُخاصماً من الناس بسبب عتابي ولومي لهم، وبسبب تعاليمي التي أعلمها لكل سكان الأرض؟ [303].

ويل لي يا أمي

حديثه هنا لا يستؤم أن والدته كانت على قيد الحياة، وأنه يخاطبها، إنما يعلن بطريقة مجزية كيف أنه إن كان قد دُعي للخدمة وهو بعد في الأحشاء (1: 5) رُفض أيضاً منذ البداية. إنها صرخة ليست موجهة إلى أمه بل إلى الله الذي دعاه للخدمة. يصور لنا لرميا النبي كيف عاش في جور هييب، فقد تحالف الأنبياء الكذبة مع الكهنة ضده، وأثاروا الملك وكل القيادات حتى الشعب ضده، فضاقت نفسه فيه، وحسب يوم ميلاده كأنه يوم ويل.

إنسان وواع لكل الأرض

صار لرميا موضع زاع العالم الذي حوله، ليس من يسنده ولا من يقبل كلمات الرب التي ينطق بها إلا تلميذه وكاتبه بلوخ وربما قلة قليلة جداً تكاد تضيع وسط التيارات المضادة. شعر أن الكل يلغوه بدلاً من أن يبيلكوه، ليس من ينطق بكلمة بركة لأجل اخلاصه! دخلوا معه في خصومة، وقدموا ضده اتهامات لمحاكمته. كان لرميا رجل سلام لكنه إذ نطق بالحق تحول إلى رجل خصام، لأنه لم يكن ممكناً أن يداهنهم على حساب خلاص نفوسهم وشركتهم مع الله.

هذا هو إحساس الكثيرون عندما يخدمون الرب، فيجئوا عدو الخير قد هيّج العالم الذي حولهم ضدهم! ما حدث لإرميا رجل السلام يحدث لمن يكرز بإنجيل السلام، وكما يقول السيد المسيح: "لا تظنوا إني جئت لألقى سلاماً على الأرض؛ ما جئت لألقى سلاماً بل سيقاً. فإني جئت لأفوق الإنسان ضد أبيه، والابنة ضد أمها، والكنتة ضد حمايتها. وأعداء الإنسان أهل بيته" (مت 10: 34، 36؛ لو 12: 49، 51).

إن كان لرميا قد هدد بالتأديبات الإلهية، لم يتكلم من واقع إنسان يعيش في حياة متروفة مدللة، وإنما كرجل الآم وأتعب، إنه مُجرب يعرف مورة الألم.

غير أننا نجد في هذه العبرة ظلاً لموقف السيد المسيح الذي وُلد كإنسان وهو ابن العلي، فهاجت الممالك ضده، وتآمر الملوك والرؤساء معاً، وتحالفت قوى القيادات على قتله وأثاروا الشعب طالبين صلبه... حيث "اللغة" (تث 21: 23؛ غل 3: 13). رأي الموتل بعين النبوة ثورة العالم ضد السيد المسيح، فقال: "لماذا رتجت الأمم وتفكرت الشعوب في الباطل. قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً، على الرب وعلى مسيحه" (مز 2: 1-2). في هذا يحمل لرميا ظل السيد المسيح الذي قيل عنه: "لأنه في ما هو قد تألم مُجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب 2: 18).

ليذهب أطباء الأجساد إلى المرضى حتى إلى فاشهم ولا يكفون عن بذل كل جهدهم، كما تتطلب منهم مهنة الطب، ليشفوا المرضى. وهم في ذلك يرون مناظر فظيعة ويلمسون أشياء تثير الاشمزاز؛ وأمام أوجاع الآخرين لا يحصدون لأنفسهم سوى الأخزان؛ حياتهم غير مستوية أبدًا. لا يوجنون أبدًا مع أناس أصحاء، وإنما دائمًا مع المجروحين والمفلوجين والمصابين بالقروح والصدئ والحميات وكل أنواع الأمراض. إن أردنا أن نمرس الطب، علينا أن نقوم بكل ما تتطلبه منا هذه المهنة التي اخترناها، نقوم بها بدون اشمزاز ولا إهمال عندما نلتقي بأي نوع من أنواع المرضى الذين ذكرناهم...

31 (لو 5: ما يقاسيه الأطباء من المرضى المعاندين، يقاسيه أيضًا الأنبياء والمعلمون من الذين لا يريدون أن يشفوا. ورجع سبب كراهية الناس لهم إلى فضهم علاجًا يخالف ما يتمناه المرضى، يمنعون عنهم اللذات والشهوات التي يريدونها، لذلك يُصِرُّ هؤلاء المرضى في عنادهم على عدم أخذ الأدوية المناسبة لموضعهم. يهرب المعاننون من الأطباء، بل وكثيرًا ما يسيئون إليهم ويهينونهم ويشتمونهم ويفعلون بهم كل ما يمكن أن يفعله الأعداء. يغيب عن ذهنهم أن الطبيب يأتي كصديق وليس كعدو. لا يرون سوى الجانب المؤلم من نظام العلاج واستخدام المشوط، نون أن يروا النتيجة التي تعقب الألم. يكهون الأطباء كما لو كانوا لا يحملون إليهم سوى الآلام، ولا ينظرون إلى هذه الآلام كمرحلة من مراحل الشفاء.

كان ذلك الشعب الذي يسمى نفسه شعب الله مريضًا، مصابًا بكل أنواع الأمراض. أرسل الله إليهم الأنبياء مثل الأطباء، أحدهم لرميا. وجه لرميا عتابه للخطاة راغبًا في رجوعهم عن طرقهم. كان ينبغي أن ينصتوا إلى هذه الكلمات، لكنهم اتهموا النبي أمام القضاة والحكام، فكان متورطًا في قضايا مستورة، اتهمه هؤلاء الذين كان يقوم وعابيتهم، أي الذين كان يوجه لهم كلمات نبوته، لكنهم لم يُشَفُوا بسبب عنادهم. أمام كل هذا كان لرميا يقول: "فقلت لا أدكوه ولا أنطق بعد باسمه، فكان في قلبي كنارٍ محرقة محصورة في عظامي" (20: 9).

مرة أخرى يقول حينما روى نفسه دائم التعرض للقضايا وللاهانات والشكوى وشهادات الزور: "ويل لي يا أمي لأني ولدتني إنسان خصام". يريد أن يقول عن نفسه، أنه بدلاً من أن يدين الناس على خطاياهم، إذا به يُدان ويحكم عليه، وبدلاً من أن يقاوم وينزع صار هو نفسه "إنسان زاع لكل الأرض" [304].

[لا أستطيع أن أجد تفسيرًا لكلمتي: "لكل الأرض". لم يصِر لرميا إنسان زاع بالنسبة لكل الأرض، إلا إذا قلنا أن "كل الأرض" يقصد بها كل أرض اليهودية، لأن نوبة لرميا لم تصل إلى كل الأرض حينما كان يتنبأ. لكن أليس من الأفضل أن نفعل كما فعلنا في أجزاء سابقة، فنطبق هذا الكلام على السيد المسيح بدلاً من لرميا؟ توقفت في البداية عند الكلمات التي تقول: "أنظر. قد وكنتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم، وتهلك وتنقض، وتبني وتغرس"، لم يفعل لرميا شيئاً من هذا كله، وإنما السيد المسيح هو الذي قلع ممالك الخطية وهدم أعمال الشر، وأقام بدلاً منها مملكة الحق والعدل في نفوسنا. هكذا أيضًا تصلح هذه العبارة لتطبيقها على السيد المسيح أكثر منها على لرميا، ففي نظري يوجد العديد من العبارات التي يمكن تطبيقها على المخلص، لاسيما تلك العبارة التي نحن بصدها "إنسان زاع لكل الأرض" [305].

لم أقرض ولا أقرضوني

رأد السيد المسيح أن يقوض البشرية حياته ويقترض حياتهم، يدخل معهم في ميثاق حب، يقبلونه موائناً لهم، ويقبلهم نصيباً له، لكنهم رفضوا هذا الميثاق، وعوض الحب صار "كل واحدٍ يلعني" [10].

ربما يقصد بقوله "لم أقرض ولا أقرضوني" [10] ، أنه لم يدخل معهم في معاملات مادية، التي غالبًا ما تسبب زاعات حتى بين الأقرباء والأصدقاء، لكنهم خصموه بلا سبب. ليس لديه زوجة ولا أولاد لكي يتروك لهم موائناً، إنما زهد كل شيء، مع هذا كانوا يلعونه!

يلق العلامة أوريجينوس على العبارة : "لم أقرض ولا أقرضوني" أو "لم اصنع صلاحًا ولم يفعل لي أحد صلاحًا"، قائلاً:

إيما أن الموضى لم ينصقوا إليه حينما نصحهم كطبيب، قال: "لم أفعل صلاحًا" ، وبما أنه كان يقوض أمواله الروحية، ولم يريد الذين كان يتوجه إليهم ليعمل معهم الخير وليجعلهم مدينين له بما يسمونه منه الإصغاء إليه، قال: "لم أقرض ولا أقرضوني"^[306].

لوجود في الواقع نصان مختلفان لتلك الآية: ففي النسخ التي تتطابق مع النص العوي: "لم أقرض ولا أقرضوني"...

كان لرميا يركز بالكلمة، لكن لم ينصت أحد إلى كلامه. كان مثل طبيب يبدد أويته بسبب عناد مرضاه الذين لا يريدون اتباع علاجه ولا أخذ أويته.

كطبيب يقول: "لم أفعل صلاحًا ولم يفعل لي أحد صلاحًا". ربما ووجع سبب التناقض في هذه الآية (لأن رميا فعل صلاحًا) إلى شعور الحب والود الذي يحمله الإنسان الذي عمل معه الصلاح تجاه الإنسان الذي عمل له هذا الصلاح. ينتج عن هذا أن الذي يركز بالكلمة يأخذ هو أيضًا صلاحًا من كلمته (أي يحصل على حب السامعين له). وكما هو مكتوب: "طوبى لمن يتكلم مع أذنٍ تسمع". أعظم صلاح يمكن أن يجنيه المعلم من السامعين له هو أنهم ينمون ويتقدمون حتى يكون له ثمر فيهم (رو 1: 13). إذ لم يحصل لرميا على ذلك الثمر (الصلاح) من اليهود، قال: "لم يفعل لي أحد صلاحًا". يوجد أيضًا صلاح آخر يمكن أن يحصل عليه كل معلم متى كان تلاميذه أذكاء. إذ يمكن للمعلمين أن يصبحوا أكثر قوة وتتأقلم تعاليمهم بواسطة الناس إذا كان السامعون أذكاء ولا يكتفون بمجرد سماع التعاليم إنما يتفاعلون معها ويسألون أسئلة ويستفسرون عن كل جوانب التعاليم التي يسمعونها.

لنفس نفس الآية من النسخ الأكثر صحة "لم أصر مدينًا لأحد ولا صار أحد مدينًا لي". الإنسان الذي يعطي الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، الخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام (رو 13: 7)، والذي يؤدي جميع واجباته بصورة لا تجعله مدينًا لأحد، والذي يكرم والديه كما يليق، ويكرم إخوته كما يليق بهم، ويكرم أولاده والأساقفة والكهنة والشامسة والأصدقاء ويعطي لكل إنسان كرامته، مثل هذا الإنسان يمكنه أن يقول "لم أصر مدينًا لأحد". أما عبارة "ولا صار أحد لي مدينًا" أفسوها كالتالي:

يقول لرميا: كنت أبحث عن مصلحتهم، كنت أحاول أن أعطيهم الغنى الروحي، أما هم فلم يقبلوا كلامي، بل رفضوه حتى لا يصيروا مدينين لي، بذلك "ولا صار أحد لي مدينًا".

بذلك يكون من الأفضل للسامع أن يقبل المال الروحي المُقدم من المعلم وأن يكون مدينًا ، عن ألا يكون مدينًا ولا يستفيد من التعاليم^[307].

4. الله يسند نبيه:

شدد الرب لرميا، مؤكدًا له أنه تكفيه نعمته، ففي الضعف يتبين قوة الله. إنه فتيلة مدخنة يحولها الله إلى نار ملتبهة، وقناة صغيرة يجعل منها ينابيع مياه حية. بهذا يجعل منه الحديد الذي من الشمال، والنحاس الذي لا يقوى إنسان على كسوه [11-14].

"إن قال الرب: إنني أحلك للخير.

إنني أجعل العدو يتزوع إليك في وقت الشر وفي وقت الضيق" [11].

يتوَجَّمها البعض: "قال الرب: "إنني أقسم، إنني أسلحك حسنًا"، أي أقدم لك سلاحًا تغلب به في المعركة التي أقامها الشعب ضدك، وصلوا كأعداء يطلبون نفسك. لا يعني هنا سلاحًا ماديًا، إنما هو سلاح رُفوي، حيث يشعر الشعب بحاجته إلى لرميا الذي طالما رأوا التخلص منه. ويتوَجَّمها آخرون: "إنني خدمتك حسنًا".

ربما تساءل لرميا: إن كان شعبي الذي لأجله أسكب كل حياتي ذبيحة حب، ومن أجله أبكى نهلاً ولبلاً ويتوجع قلبي وتتن أحشائي قد دخل معي في خصام وصار يلعنني، فماذا يفعل بي العدو (بابل)؟ جاءت الإجابة من قبل الرب أن العدو سيتزوع إليه وقت السبي ويعامله بكل لطف أثناء الضيق.

هذا ما حدث إذ طلب نيوخذنصر من القائد أن يعامل النبي بكل لطفٍ، ويترك له حرية الاختيار إن كان يبقى في بلده أو يذهب مع المسيبين.
إذ تتحقق النبوة ويبرك الشعب الذي دخل في عدوة مع رميا خطاهم، يلجأون إليه، طالبين صلواته عنهم.

هل يقول السيد المسيح: "ويل لي...؟"

يقول العلامة أوريجينوس:

[ويل لي يا أمي لأني ولدتني إنسان محكومًا عليه وإنسان تواع لكل الأرض". لا يستطيع أي نبي أن يقول "لكل الأرض". مع ذلك أعرف أنا سًا
يحبون ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، ويشفقون عليه من الكلمات السابقة ولا يقبلون أن تكون هذه كلمات الرب ينطق بهذا. من أجل ذلك رأيت من
اللام توضيح أنه ليس بالأمر الغريب أن يقول ابن الله "ويل لي" [308].

[يجب أن نتحدث أولاً بشأن القول "ويل لي"، لأنها تبدو في نظر البعض غير ملائمة للسيد المسيح: أيمن للمخلص الذي يشفق على الآخرين أن
يقول "ويل لي"؟ نوضح ذلك بشواهد من الإنجيل لا يمكن أن تنطبق على أحد سوى السيد المسيح.

كلمات الرثاء "ويل لي" ما هي إلا لإنسان يبكي، وقد بكى المخلص على أورشليم... قائلاً: "يا أورشليم يا أورشليم... الخ."

من الواضح أن نفس الشيء قاله المخلص في هذه الفتوة: "ويل لي لأني صوت كجنى الصيف، كخصاصة القطاف، لا اعتقد للأكل، ولا باكورة
تينة اشتتها نفسي. قد باد التقى من الأرض وليس مستقيم بين الناس، جميعهم يكمنون للدماء" (ميخا 7: 1-2)، جاء في وقت الحصاد ليحصد قمحًا، فلم
يجد سوى مجموعة من الخطاة الذين نموا وكثروا.

نطق السيد المسيح بكلمات مشابهة حينما تحدث مع الآب قائلاً: " ما الفائدة من دمي إذا تولت إلى الحوة (إلى الجحيم)" (مز 30: 9)، لماذا
فعلت كل هذا الصلاح مع بني الشر؟

ما الذي فعلوه ليستحقوا دمي الذي سفك من أجلهم؟

ما الفائدة من دمي ومن نزولي؟!

لقد تولت من السماء وجئت إلى الأرض وسلمت نفسي للفساد فلبست جسدًا بشويًا، فما هي الأعمال الصالحة التي عملها الإنسان حتى يستحق
كل ذلك؟

"ما الفائدة من دمي إذا تولت إلى الحوة؟! هل يحمك الزاب؟! هل يخبر بحقك؟!"

في جميع هذه الأقوال نجد تشابهًا بينها وبين ما قاله المخلص: "ويل لي يا أمي لأني ولدتني"، لا يقول ذلك بوصفه الإله أو المخلص، بل يقوله
كإنسان.

نفس الشيء حينما يقول: "ويل لي يا نفسي، قد باد التقى من الأرض". كانت نفسه نفسًا بشوية، لهذا اضطربت (يو 12: 27)، وحننت (مت
26: 38)، لكن الكلمة الذي كان في البدء عند الله لم يضطرب، ولا يمكن أن يقول عن نفسه: "ويل لي". لأن كلمة الله لا يموت أبدًا، الذي يموت هو
الجسد الذي أخذه [309].

لماذا قال النبي: ويل لي يا أمي؟

رى العلامة أوريجينوس إنها دعوة لكي نتألم مع الأنبياء فنطوب معهم!

[الذين يطوبون الأنبياء ويتمنون أن يكون لهم نصيب معهم يؤمهم أن يتألموا في الاعلانات النبوية ليكتشفوا سمو النوات والأنبياء. عندما
يتألمون في ذلك يقتنعون أنهم لو عاشوا حياتهم بنفس المقاييس التي اتبعها الأنبياء - رغم قسوتها بالنسبة لهم في هذه الحياة - يتمتعون بالراحة والتطويب
مع هؤلاء الأنبياء.

توجد في الكتاب المقدس مواضع كثيرة يمكننا أن نجد فيها ما يدل ويشهد على سمو مكانة الأنبياء وقوتهم وحرمتهم ويقظتهم وروحهم النشطة، وزى أنهم لا يضطربون حينما يقعون في تجارب أو متاعب وذلك بسبب حرمتهم واستقلالهم الداخلي، فيوصفهم أنبياء يقولون كلمة الله، ويوبخون الناس ويلومون الخطاة بكل صراحةٍ وبكل حزمٍ، حتى إن بدى هؤلاء الخطاة أقرباء وعنفاء جداً. يمكننا أن نجد هذه الدلائل والشهادات في مواضع عديدة، فإننا نجد في آيات هذا اليوم أيضاً بعضاً من تلك الدلائل.

عاش لرميا النبي في وسط خطاة كثيرين جداً، والدليل على ذلك حدوث السبي في عهده. لقد أُنذر كثيرين ووبخ كثيرين ووجه كلامه إلى كثيرين وبسبب هذا كل حُكمٍ عليه من كثيرين، مما جعل كلماته تأخذ هذه النعمة.

لنبدأ إذن بكلمات النبي نفسه لوى هل يوجد عنده القوة والنشاط والحرية واليقظة والحوارة وغوها من الصفات التي ينبغي أن تتوفر في النبي.

ويل لي يا أمي، لأنك ولدتني إنساناً محكوماً عليه وإنسان وُاع لكل الأرض: يقول النبي: آه يا أمي، لماذا جئت بي إلى العالم كرجلٍ محكومٍ عليه ورجل وُاع أمام كل الناس الذين على الأرض؟

هذا النبي مثله مثل إشياع والأنبيا الآخرين، كان عليه أن يتمم وظيفته كنبى: يعلم وينذر ويوبخ. ويترتب على قيامه بهذه الوظيفة وإدانتته للخطاة وحكمه عليهم أنه هو نفسه يُحكم عليه ويُحاكم مع الخطاة.

إن كان يجب علينا أن نذكر كل ما الشعب بالأنبياء، فالإيكم هذه الأمثلة: لقد رجما واحداً، وقتلوا آخر بين الهيكل والمذبح، ونشروا ثالثاً، أما لرميا فألقوه في جبٍ لأنه كان ينورهم. أيضاً مخلصنا الذي سلك بالأخص مثل الأنبياء، بل وأفضل منهم، إذ هو رب الأنبياء فعلا به هكذا. إن كان السيد المسيح قد جُلد وصُلب وأُسلم من اليهود ومن رؤسائهم ومن رئيس هذا العالم، فلأنه قال لهم: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيين الرئاسيين" وظل يردد هذه الكلمة "ويل لكم" في كل مرة يوبخهم على شيء. نحن أيضاً، إن أردنا أن نصل إلى التطويبات التي وُعد بها الأنبياء نسلك مثلهم، بحيث أننا من كثرة كلامنا وإنذارنا للخطاة ووقوعنا تحت الحكم بسببهم نقول: "ويل لي يا أمي، لأنك ولدتني إنساناً محكوماً عليه وإنسان وُاع لكل الأرض".

مع ذلك فإن هذه الكلمات يمكن أن تكون أكثر ملائمة إذا اعتدنا أن المخلص هو الذي نطق بها. إن افترضنا أن النبي هو الذي نطق بها لن تكون صحيحة تماماً بل تحمل شيئاً من المبالغة؛ فهو لم يصر إنسان وُاع "لكل الأرض". أما بالنسبة لمخلصنا لوى أن ربنا ومخلصنا يقف أمام الآب ليُحاكم معنا كلنا نحن البشر؛ خصوصاً بسبب تلك الكلمات: "لكي تتبرر في أقوالك وتغلب إذا حوكت". نعم لقد حوكم مع كل الناس. وأقول أيضاً: حوكم وفُحص هو أيضاً ووقف أمام الحكم لكي يدافع عن الحق، لا ليدين أو يتهم أحداً [310].

مسيحنا يُحكم عليه فينا

يقول العلامة أوريجينوس:

[**لأنك ولدتني إنسان خصام (محكوم عليه) وإنسان وُاع لكل الأرض.**] أنظر إذاً إلى الشهداء في كل مكان كيف حُكم عليهم ووقفوا أمام القضاة، ترى كيف أن السيد المسيح هو الذي كان يُحكم عليه في كل واحدٍ من هؤلاء الشهداء. لأنه هو الذي يُحكم عليه في هؤلاء الذين يشهدون للحق (يو 18: 37). من أجل ذلك ترضى أن تكون مُتَّهماً ومحكوماً عليك حينما واه يقول إنك لست أنت المسجون بل أنا، لست أنت الجائع، بل أنا. "لأنني جعلت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فأويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إليّ" (مت 25: 36).

يكفي أن يُوضع إنسان مسيحي تحت الحكم، ليس بسبب أخطاء شخصية، وإنما لأنه مسيحي، عندئذ يُحكم على السيد المسيح لا عليه، بذلك أصبح السيد المسيح بالفعل إنساناً محكوماً عليه وإنسان وُاع لكل الأرض".

في كل مرة يُحكم على إنسانٍ مسيحي يُحكم على السيد المسيح نفسه وليس فقط في قضايا من هذا النوع (أي الشهادة للحق). نفترض أن مسيحياً أتهم ظلماً بأي شيء وحُكم عليه باطلاً، ففي ذلك يكون السيد المسيح هو الذي حُكم عليه باطلاً [311].

عدم الإيمان هو حُكم على المسيح

يقول العلامة أوريجينوس:

[لأنك ولدتني إنسانًا محكومًا عليه وإنسان وراع لكل الأرض". إليك أيضًا طريقة أخرى لفهم هذه الآية.

من من الناس لا يحكم على عقيدة المسيحيين؟

من من الشعوب لا يتفحصها بأساليب معقدة؟

من من اليهود واليونانيين لا يتحدث عن المسيحيين؟

من من الفلاسفة ومن من الناس لا يتناقش في أمر المسيحية؟

السيد المسيح محكوم عليه ومقضي عليه في كل مكان، البعض يدينوه في حكمهم والبعض لا يدينوه. بالنسبة للذين لا يدينوه من السهل عليهم

قبوله؛ يفتحون له الباب فيدخل (رؤ 3: 20)، وبالتالي يؤمنون به. إن لم يقبله الناس عند سماعهم عن التعاليم المسيحية، فإن عدم قبولهم له ما هو إلا إدانة

للسيد المسيح واتهام ضده بأنه يُضل الناس ولا يقول الحق، طالما لا يؤمنون بتعاليمه.

جميع الذين يرفضون أن يؤمنوا به يحكمون عليه ويدينوه، وجميع الذين تساورهم الشكوك من جهته - دون أن يرفضوا الإيمان - يتزلزلون

بشأنه.

إذا حملت صورة السموي وخلعت عنك صورة الترابي ، لن تكون بعد ترابًا تدينه، ولا أرضًا يُدان فوقها، لن تكون أرضًا ينزل عونه

عليها [312].

قوة الله ترداد وتضعف فينا

يقول العلامة أوريجينوس:

[وكل واحد يلغني" أو "ضعفت قوتي أمام الذين يلغونني".

يقول بولس الرسول عن المخلص إنه قد صُلب عن ضعف (2 كو 13: 4). كما يقول أيضًا إشعياء النبي عنه: "يلرب من صدق خونا؟! ولمن

استعلنت نواع الوب؟! نبت قدامه كوخ وكعوق من أرض يابسة. لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهيه. محتقر ومخول من الناس.

رجل أوجاع ومختبر الحزن وكُمسّر عنه وجوهنا، محتقر فلم نعتد به. لكن أزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصابًا مضرورًا من الله

ومذلولًا، وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه وبجراحاته شُفينا" (إش 53: 1-5). حمل ضعف خطايانا وحملنا نحن

أيضًا، جاء إلى الذين يلغونه، وحينما قل من السموات ضعفت قوته أمام الذين يلغونه ، لأنه كما يقول الرسول: "أخلى نفسه آخذًا صورة عبد" (في 2:

7).

"ضعفت قوتي أمام الذين يلغونني".

أحاول بنعمة الرب أن أقدم تفسوًا أوضح لتلك الآية وأفضل مما سبق. "كان النور الحقيقي الذي ينير لكل إنسان آتيًا إلى العالم" (يو 1: 9). ابن

الله هو النور الحقيقي الذي ينير لكل إنسان آتيًا إلى العالم، وكل إنسان عاقل ينتمي إلى هذا النور الحقيقي، غير أن كل البشر عاقلون. كل البشر ينتمون

إلى الله الكلمة، لكن بعضهم رى أن قوة المخلص زادت والبعض الآخر واها ضعفت.

لو نظرت إلى نفسٍ وقعت فريسة للشهوات والخطايا رى قوة المخلص تضعف، بينما لو نظرت نفسًا بلرة وتقية، رى قوة المخلص تثمر فيها

من يومٍ إلى يومٍ؛ حينئذ يمكن تطبيق ما قيل عن السيد المسيح، على النفوس البلرة: "وكان يسوع ينمو في الحكمة والعمر والنعمة أمام الله وأمام الناس".

يقول الكلمة ابن الله: "ضعفت قوتي أمام الذين يلغونني". إذا لعن أحد الابن الكلمة ينال عقابه على هذه اللعنة وعلى انتقاده تعاليم السيد المسيح،

ويتمثل هذا العقاب في أن قوة السيد المسيح تضعف عند هذا الإنسان، بل وتُتَوَجَّع منه تمامًا. والعكس صحيح، إذا بَلَكَت السيد المسيح وقبَلته تنمو قوته وتزيد فيك [313].

مسيحنا الشفيع في مضايقيه

يقول العلامة أوريجينوس:

["فلتأت يرب، إذا سلوكوا بالاستقامة، ألم أقف أمامك في وقت شدتكم؟" (LXX 11 : 15).

"فلتأت يرب": ما هي هذه التي تأتي؟ نضيف بقدر استطاعتنا بعض كلمات بعد "فلتأت" لتوضح معنى الآية. نقول: "يرب، إذا سلوكوا بالاستقامة فلتأت فيهم القوة التي ضعفت عندهم حينما لعنوني" ، حتى بعدما نطقوا بالشر عليّ ثم تابوا، يسلكون في الطريق المستقيم ويتبعونه.

يبرر موقفه حينما يتحدث عن الذين ينطقون عليه شراً: "ألم أقف أمامك في وقت شدتكم؟" وقف السيد المسيح أمام الآب وقدم نفسه كفلة لخطايانا (1 يو 2: 2)، وتشفع من أجلهم في وقت شدتكم. إنه لا يقف أمام الآب بعد انتهاء شدتنا، بل أن " المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار" (رو 5: 6). "ألم أقف أمامك في وقت شدتكم وفي وقت ضيقتهم لأنقذهم من أمام وجه العدو" : حتى في وقت ضيقتهم، وقت تعرضهم لمواجهة العدو، وقفت أمامك لكي أدافع عنهم.

ومن هو هذا العدو إلا "إبليس خصمنا" (1 بط 5: 8)، الذي يضايقنا؟

من الواضح أنه في وقت عدوة الشيطان للإنسان وقف مخلصنا أمام الآب وصلى وطلب من أجلنا نحن المأسورين حتى يفقدنا من عبودية

العدو [314].

توع الثروات (الكنوز) عنهم

يقول العلامة أوريجينوس:

[سواء كانت هذه الكلمات خاصة بالمخلص أو بلميا، لأن لميا يمكن أن ينطق أيضاً بهذا الكلام ويصلي من أجل الشعب في وقت شدتكم، فإن الرب يجب بعدها على الشعب المُتهم من قِبَل النبي أو من قِبَل السيد المسيح، قائلاً: "هل يكسر الحديدُ الحديدَ الذي من الشمال والنحاس" أو "إن قوتك هي مثل الحديد والنحاس"، صلبة وعنيدة وجامدة؛ مثل هذه القوة تقطع وتقسم، لأنها ليست قوة لفعل الخير.

"ثروتك وخرائتك أدفعها للنهب لا بثمن بل بكل خطاياك" [13]. ما هي ثروات الخطاة التي يدفعاها الله للنهب في مقابل كل خطاياهم؟ هل الثروات التي يجمعونها على الأرض؟ كل إنسان في الواقع يكتز لنفسه، إما على الأرض إن كان إنساناً شرواً، أو في السماء إذا كان إنساناً صالحاً، كما يخبرنا الإنجيل (مت 6: 19-20). هل يقول لهذا الشعب: إنه بسبب خطاياك أدفع خرائتك وثوراتك للنهب ، قاصداً بتلك الثروات الأنبياء مثل رميا وإشعيا وموسى؟! لقد زوع الله هذه الكنوز عن هذا الشعب، وقال من خلال السيد المسيح: "إن ملكوت الله يُزوع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثلمه" (مت 21: 43). هذه الأمة هي نحن، فقد دفع الله ثروات هذا الشعب (الأنبياء) إلينا.

هم أَسْتَوَمُوا على أقوال الله أولاً (رو 3: 2)، ثم أَسْتَوَمْنَا نحن من بعدهم على هذه الأقوال؛ فقد زُعت منهم وأُعطيت لنا. كذلك يمكننا أن نقول أن عبلة: "ملكوت الله يُزوع منكم ويُعطى لأمة تعمل أثلمه" التي قالها المخلص تحققت فيه. ليس أن الكتاب المقدس زُوع منهم، بل أنهم حالياً لا يملكون الناموس ولا الأنبياء لأنهم لا يفهمون ولا يُركون المكتوب فيه. توجد عندهم الكتب، لذلك فإن ملكوت الله الذي يُزوع عنهم هو "معنى الكتب المقدسة". إنهم لا يهتمون بمعرفة أي شوح للناموس والأنبياء، لكنهم يقعون نون فهم. وبمجيء السيد الرب تحققت بالفعل النبوة التالية: "فقال إذهب وقل لهذا الشعب اسمعوا سمعوا ولا تفهموا وأبصروا إبصروا ولا تعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب" (إش 6: 9-10؛ مت 13: 14-15). كما تحققت أيضاً نبوة إشعيا: "فإنه هوذا السيد الرب الجنود يزوع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن، كل سند خبز وكل سند ماء. الجبار ورجل الحرب، القاضي والنبي،

والعواف والشيخ، رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصنائع والحاذق بالرؤية" (إش 3: 1-3). كل هذا قد زعه الله منهم ودفعه لنا نحن الذين جننا من الأمم...

يقول: "لا بثمن بل بكل خطاياك وفي كل تخومك"، كأنه يقول لهذا الشعب: أن خزانك وثروتك أدفعها للنهب بسبب خطاياك التي ملأت كل تخومك، لأنه لا يوجد مكان عند هذا الشعب لم يمتلئ بالخطية. كيف لا تمتلئ كل تخومهم بالخطايا وهم الذين قتلوا الحق، بما أن السيد المسيح هو الحق، وقتلوا الحكمة، بما أن السيد المسيح هو الحكمة، وقتلوا العدل، بما أن السيد المسيح هو العدل؟ بحكمهم على ابن الله بالموت فقنوا كل ذلك الحق والحكمة والعدل. وحينما قام رب المجد يسوع من بين الأموات لم يظهر أبدًا للذين قتلوه... إنما ظهر فقط للذين آمنوا به، ظهر لهم وحدهم حين قام من الأموات. **وأعبرك مع أعدائك (وأخضعك للعبودية في وسط أعدائك) في أرض لم تعرفها، لأن نرا قد اشتعلت بغضبي تودد عليكم" [14].** لقد أخضع هذا الشعب بالفعل للعبودية في وسط أعدائه وفي أرض لم يعرفها. وبعد كلام التهديد هذا الموجه للشعب، يواصل رميا أو السيد المسيح صلته ويضيف إلى أقواله السابقة هذه الكلمات: "أنت يلب عرفت. أذكرني وتعهدني وانتقم لي من مضطهدي. بطول أناتك لا تأخذني" أو "لا تكن طويل الأناة عليهم" (LXX).

يمكن أن يكون رميا هو الناطق بهذا الكلام، بما أنه اضطهد من الذين كان يعاتبهم، وكان مكروهاً من الذين لم يقبلوا الحق. ويمكن أيضاً أن يكون مخلصنا هو المتكلم حيث اضطهد أيضاً من هذا الشعب.

ثم يضيف **ولا تكن طويل الأناة عليهم**، ماذا تعني هذه الكلمات؟ لقد كُنْتَ دائماً طويل الأناة أمام خطايا هذا الشعب، ولكن أمام كل هذه الجرائم التي تحروا وتكورها ضدي، فلا تكن طويل الأناة عليهم.

بالفعل لم يكن الله طويل الأناة. لو نظرت إلى تزيخ عذاب هذا الشعب، أي تزيخ سقوط أورشليم وخوابها، وإلى الطريقة التي توك بها الله هذا الشعب لأنهم قتلوا السيد المسيح، تترك أن الله لم يستخدم **طول أناته** مع هذا الشعب! أو إذا شئت فاستمع إلى هذا: أنه منذ السنة الخامسة عشرة لملك طيبليرس قيصر (أي منذ بداية عمل السيد المسيح وكرزته) (لو 3: 1)، وحتى وقت خواب الهيكل، لم يمض سوى 42 سنة فقط! وكانت تلك الفترة بمثابة "وقت" منحه الله للتوبة، خاصة توبة بعض الناس من ذلك الشعب، وهم اليهود الذين دخلوا إلى الإيمان بعد رؤيتهم للآيات والعجائب التي صنعها الرسل [315].

5. سبي الشعب:

"هل يكسر الحديد الحديد الذي من الشمال والنحاس؟

ثروتك وخزانك أدفعها للنهب،

لا بثمن، بل بكل خطاياك وفي كل تخومك،

وأعبرك مع أعدائك في أرض لم تعرفها،

لأن نرا قد أشعلت بغضبي تودد عليكم" [12-14].

وى البعض أن الحديد الذي من الشمال هو المستورد من منطقة البحر الأسود، وهو من نوع جيد، يُستخدم في صنع الأسلحة. كأنه يقول لمملكة يهوذا بكل قياداتها وشعبها: إن كنتِ تظنين إنك كالحديد، لكنك لا تقترين أن تقفي أمام بابل التي جعلتها كحديد قوی ونحاس. لا تستطيعين الوقوف أمام تأديبات الرب. لا تتفعل قوتك ولو كانت كالحديد، ولا ثروتك أو خزانك، فإنها تُنهب بيد العدو... خطاياك تدفعك إلى يد العدو لتساقى إلى أرض السبي، إلى أرض غريبة لم تعرفها من قبل... هذا كله لأنك إقتنيت نار غضبي عوض نار محبتي!

حينما يسلم الإنسان نفسه للخطية يفقد حتى ثروته وخزائنه، أي الفضائل الطبيعية، "لأنه كل من له يُعطى فيزداد، ومن ليس له فالذي عنده يُؤخذ

منه" (مت 25: 29). من يتوك الله يتوكه الله للنهب فيفقد كل ما لديه.

عمل الخطية هو أنه يسحبنا من أرضنا إلى أرض السبي، يتوَعنا عن أرض الحق لندخل إلى مذلة العبودية التي لا تعرف إلا العنف والكذب والخداع.

بقوله: "هل يكسر الحديد الذي من الشمال والنحاس؟" [12] يعني أن نير بابل الذي وضعه على عنق يهوذا من الحديد لا يُمكن كسوه... غير أنه في الوقت المناسب يعطيهم الرب رجاءً في كسر النير، إذ قال حنانيا النبي لإرميا النبي: "هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً: قد كسوت نير ملك بابل" (28: 2). كما أخذ حنانيا النبي النير عن عنق لرميا وكسوه، وتكلم أمام كل الشعب قائلاً: "هكذا قال الرب: هكذا أكسر نير نيوخدنصر ملك بابل" (28: 10-11). في البداية لم يسمح بكسر النير لتأديب شعبه إلى حين، لكنه لا يتوك شعبه هكذا، إنما يعطيهم الفرصة ليتمتعوا وجاء الخلاص وتحروهم من السبي البابلي.

وى البعض أن "الحديد" هنا يشير إلى رميا في يأسه [316]، فقد جعله الله أسوار نحاس ضد كل الأرض (1: 18) لكنه إذ سقط في اليأس المرّ صار كالحديد، فهل يظن أنه يستطيع أن يجابه بحديد يأسه الحديد الذي من الشمال والنحاس. وكأن الله يؤكد له أن اليأس لن يُقدم له حلاً للمشكلة، بل الالتقاء مع الله.

فقدت مملكة يهوذا ثروتها وحرّانها هذه التي تدنست وجاسات وثنية، أما لرميا فكان الرب نفسه هو ثروته وكنوزه لا يقدر عدو ما أن ينهبها منه.

سنعود إلى الحديث عن الثروة والحرّان فيما بعد إن شاء الرب (راجع تفسير إر 17: 3).

6. تعزيات وسط الآلام:

"أنت يرب عرفت."

اذكري وتعهدني وأنتقم لي من مضطهديّ.

بطول أناتك لا تأخذني.

إعرف احتمالي العار لأجلك.

وجد كلامك فأكلته،

فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي.

لأني دُعيتُ باسمك يرب إله الجنود" [15-16].

كان لرميا النبي في حاجة إلى تعزيات سماوية وسط المرّ الذي يعيش فيه، إذ كان محصوراً بين تطلعه إلى شعبه وهو يسقط تحت تأديبات قاسية وربما إلى هلاك أبدى إن أصر على شوه، وبين مقاومة الكثرين له.

أما تعزيات الله فمصورها الآتي:

أ. أنه موضوع معرفة الرب

يقول: "أنت يرب عرفت" [15].

في وسط الضعف نشعر كأن الأمور تسير اعتباطاً بلا خطة، لكن لرميا أترك بإيمانه أن الله يعرف كل شيء، وليس شيء خفياً عنه. حياته وحياة البشرية كلها في يد ضابط الكل، الذي يعرف كيف يحول حتى المرّ إلى عنوبة.

"أنت يرب عرفت" [15].

أنت يلزب تعرف مالا يخطر ببال أقرب الناس إليّ،

وما لا أجسر على النطق به،

وما أتحاشى أن رُدده حتى في أعماق نفسي.

أنت تعرف حبي لك ولشعبك.

أنت تعرف مودة نفسي ونوبانها لأجل خطايا بنت شعبي.

أنت تعرف إنني أحترق بنار كلمة التأديب.

أنت تعرف ضعفي وعجزِي التام عن تحقيق رسالتي!

ماذا أفعل إن تركتني أعمل بطاقتي ومشاعري البشوية؟!

ب. موضوع تذكر الله ورعايته

"اذكرني وتعهدي وأنتقم لي من مضطهدي" [15].

كثيرًا ما يشعر الإنسان بالغولة، وإهمال الكل له، وعدم مشركة أحد له، لكن يكفيه أن يجد الله نفسه يذكره ويتعهده ويدافع عنه ضد مضطهديه.

يقصد بالمضطهدين هنا الأنبياء الكذبة الذين يدفعون الشعب إلى الهلاك. أما بالنسبة لنا فزى في المضطهدين، ليس أبناء البشر، بل عدو الخير

وأعماله الشريرة وحيله الخبيثة.

في وسط آلامه ربما عانى لرميا إلى حين من الشعور بالغولة، مع إحساسه أنه منسى من أحبائه، وموضع سخريّة الأشرار. لكنه في يقين

الإيمان يُشبع الله كل احتياجاته: يذكره ويتعهده وينتقم له.

الله الذي عرفه وهو في البطن ويذكره وتعهده و قدسه للعمل كنبى بين الشعوب يبقى يذكره ويتعهده وينتقم له حتى في أحلك اللحظات، ليس انتقامًا

من أعداء شخصيين بل من مقاومي الحق الإلهي.

في الأصحاح العشرون زى فشور الكاهن يضرب لرميا ويضعه في المقطورة، ولكن مسكين فشور الذي صار اسمه "مبور مسا بيب" (20):

(3) أي المخيف لنفسه ولحبيبه! ما فعله لم يُعب لرميا بل رتد على نفسه وعلى محبيه المساعدين له في مقاومته لكلمة الرب.

ما نريد تأكيده أن الله يتذكرنا ويتعهدهنا ويعمل بنا إن كنا به لا نرتعب ولا نخاف، لأنه هو عامل بمؤمنيه المتكئين عليه وسط تيلات العالم.

التذكّار هنا لا يعني مجرد تذكّار لأحداث ماضية، إنما هو استوداد للأحداث الماضية بطريقة عملية معاصرة. وكأن لرميا يطلب من الله أن يذكر

من الماضي ما يعرفه عن لرميا ليعمل في حياته الحاضرة ويُنجح رسالته.

والتعهد هنا يعني "الافتقاد"، وهو افتقاد إلهي لا ليدين بل ليخلص خدامه العاملين حسب مسوته.

ج. طول أناة الله

لا يحمل لرميا النبي كواهيّة ضد إنسان، وإن طلب النعمة إنما يشتهي تأديب مقاومي الحق لأجل توبتهم ورجوعهم إلى الله... يشعر لرميا

بضعفاته، لذلك لا يتحدث من موقع المعلم المتكبر أو الذي يشعر ببر ذاتي، إنما من مركز الإنسان المحتاج إلى طول أناة الله، فيقول: "بطول أناةك لا

تأخذني" [15].

في لحظات الضعف واليأس صوخ لرميا: "ويل لي يا أمي، لأنك ولدتيني إنسان خصام" [10] ، لكنه إذ يكتفي بالله ويطلب منه أن يذكره

ويتعهده... أي يعطيه قوة للعمل لحساب ملكوته يسأله ألا يتعجل أخذه من العالم حتى يحقق رسالته التي ائتمنه الله عليها، قائلاً: "بطول أناةك لا تأخذني"

[15].

لنطلب شركة العار والآلام!

يقول العلامة أوريجينوس:

["عرف احتمالي العار لأجلك" [16] أو "اعرف إنني شُتِمْتُ من أجلك من الذين يرفضون كلامك" (LXX) . لنفتوض أن النبي هو الذي يتكلم، بالفعل كان محتوًا من الناس بسبب ما كان يتكلم به، إذ كان الخطاة يرفضون سماعه؛ لذلك قال : "صوت للضحك كل النهار" (20: 7) . كان يُشتمُّ من أجل الكلام الذي كان يقوله الرب على لسانه، وكان يُصلي بسبب هذه الشتائم الواقعة عليه لكي ينفذه الله ويساعده، قائلًا: "عرف إنني شُتِمْتُ من أجلك من الذين يرفضون كلامك". يضيف أيضًا طالبًا من الله: "أفْهم" [15] (LXX) . نفترض أن رميا هو الذي يقول "أفْهم"، وإن كنت أعتقد أن هذه الكلمة توافق بالأكثر السيد المسيح، حيث تحققت طلبته، فكان فناء عظيم لمنطقة أورشليم وللشعب، بعدما تأمروا على المخلص وقتلوه .

إذ تألم الأنبياء كثيرًا بسبب توبيخاتهم للشعب، ويكونهم سواء الكلمة حينما ينطقون بما يأمرهم به الله، من الضروري أن نذكر السامعين ما هي حياة الأنبياء، وما هي الوعود التي أخونها، وأيضًا نُذكرُكم أن الاختيار متروك لنا، فإن أردنا أن نكون لناراحة في أحضان هؤلاء الأنبياء، يجب علينا - على قدر استطاعتنا - أن نعمل الأعمال التي عملوها .

ماريد أن أقوله لكم يتلخص في الآتي: كثيرًا ما نقول في صلواتنا: يا الله القوي، اعطنا أن تكون لنا شركة (نصيب) مع الأنبياء، اعطنا أن تكون لنا شركة مع رسلك، لكي نوجد مع ابنك الحبيب يسوع المسيح. لكننا لسنا نترك ماذا نطلب، لأن هذا الكلام معناه: يرب اعطنا أن نتألم كما تألم الأنبياء، اعطنا أن نكون مكروهين مثلهم، اعطنا أن نبشر بكلمات يضطهدنا الناس بسببها، اعطنا أن نسقط في مؤامرات كثرة كما حدث للرسول. فإنه لا يليق بنا أن نقول: "اعطنا يرب شركة مع الأنبياء"، ونحن لا نتألم مثلهم ولا نريد أن نتألم. لا يليق بنا أن نقول: "اعطنا يرب شركة مع رسلك"، ونحن غير مستعدين أن نقول بكل صراحة مع بولس الرسول: "في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجن أكثر، في الميئات مرارًا كثرة" (2 كو 11: 23).

إذ نريد أن يكون لنا نصيب مع الأنبياء، لننظر إلى حياتهم، وإلى ما قاسوه من أتعاب وآلام بسبب توبيخاتهم للشعب؛ رُجموا، نشروا، جروا، ماثوا قتلاً بالسيف، طافوا في جلود غنم وجلود مغزى، معتزين، مكرويين، مذلين، تائهين في ولى ومغاير وشقوق الأرض" (عب 11: 37-38).
إن لا عجب إن تعرضنا إلى الافتراء والبغضة والاتهامات الباطلة، إن أردنا أن نحيا حياة الأنبياء. لا بد أن نحتمل كل ذلك بفرح، فلا نتدمروا نتكلم بالشر على الذين طردونا أو على الذين أصدرنا الأوامر باضطهادنا. فإن الرسول، هؤلاء الأبطال المدهشين الذين قاسوا آلاف الأتعاب من أجل الحق، كانوا يقولون: "لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح" (2 كو 12: 10).

يمكننا أن ننوق هذا السرور، لو أركنا فقط أن كل هذه الاضطهادات التي نتحملها هي من أجل المسيح وحده، ولو عرفنا أن سبب هذه الضيقات التي نتعرض لها هو السيد المسيح، وأنا نقدم أبطالاً للحق، يحكمون علينا لأننا سواء كلمة الله (أف 6: 20). لنحاول نحن جميعًا، على قدر استطاعتنا، أن نحيا حياة الأنبياء والرسول، دون أن نهرب من الأتعاب، لأنه لو هرب المصلوع من أتعاب المنافسة لن يتمتع بإكليل النصة ^[317].

د. كلمة الله المفرحة

وسط الآلام المؤرة، ومع إراكه لكلمة الله التي تودب كان رميا في يقين أنها مصدر فرحة وبهجة قلبه، إذ يقول: "وُجد كلامك فأكلته، فكان كلامك لي للفرح ولبهجة قلبي، لأني دُعيت باسمك يرب إله الجنود" [16] . كلمة الله تهب رجاءً يوح القلب.

أكل رميا النبي كلام الرب، إذ سبق فأعلن أن الله وضع كلامه في فمه (1: 9). يشير الأكل هنا إلى قبول الكلام أو قبول الدعوة للخدمة قولاً تامًا، لذا لم يقل "تنوقته" بل "أكلته" . اتحد بكلام الله فصار واحدًا معها، أو صلت الكلمات الإلهية جزءًا لا يتجزأ منه. جاء في سفر التثنية: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان" (8: 3) . ويقدم لنا إشعياء النبي كلمة الله طعامًا وشوابةً للنفس (إش 11)، وصدر الأمر لحرقبال النبي أن يأكل الورد الذي أعطاه الله إياه فكان في فمه كالعسل حلوة (حز 2: 1-3).

قيل عن الإنسان **المرح** : "مثل المجنون الذي يرمي نرًا وسهامًا وموتًا، هكذا الرجل الخادع قريبه ويقول: ألم ألعب أنا؟!" (أم 26: 18). هكذا من يخدع أخاه تحت ستار الزواج يلقي بنارٍ في قلبه ليحرق ويبدد، ويصوب سهامًا لنفسه فيقتلها ويفقد كل حياة!

استخدمت كلمة **الزوا** ح بالعبرية عن النساء اللواتي لعبن وقلن "ضوب شاول أوفه ودلودريرواته" (1 صم 18: 7)، فكن يسخرن بالملك شاول مما أثار فيه حمية الحسد وفكر جديدًا في قتل داود. هذا هو عمل الزواج القاتل والمثير للمتاعب!

ورد في زكريا (8: 5): "وتمتلئ أسواق المدينة من الصبيان والبنات **لاعين** في أسواقها"، فالزواج من سمة الصبيان لا الناضجين. مجلس **الملحين** يعني مجلس المستهزئين بخلاصهم، في القيادات اليهودية في أيام السيد المسيح كانوا مجالس ملحين. مجلس **الملحين** هم جماعة الأنبياء الكذبة الذين نطقوا بغير الحق، وظنوا في ذلك بهجة وسلامًا، أما لرميا الناطق بالحق فبقى وحده، إذ تركه الجميع وحسوه متشائمًا... أدرك غضب الله على شعبه فامتلاً حزناً!

من أجل يد الله جلس لرميا وحده وامتلاً بغضب الله، ويقصد بيد الله هنا الإعلان النووي أو الكشف عن خطة الله... وكأن يد الله قد امتدت لتكشف لإرميا عن الحق الإلهي الذي رفضه الشعب، وما سيحل بهم من تأديبات كأنها حلت به هو شخصيًا. إنه يردد مع الموتل: "لأن سهامك قد انتشبت في، وقرلت عليّ يدك. ليست في جسدي صحة من جهة غضبك. ليست في عظامي سلامة من جهة خطيبي" (مز 38: 2-3).

"جلست وحدي لأنك قد ملأني غضبًا" [17]

سبق أن رأينا في (12: 6) أن عائلته قد دعت: "مملوء سكرًا"، وها هو يقول لهم: "إنني لست مملوء سكرًا، بل مملوء بالغضب الإلهي، أحمله عنكم. إن ما يسكرني ليس الخمر بل رؤيتي للغضب الذي تسقطون تحته".

"جلست وحدي" [17].

يرى العلامة أوريجينوس في هذه العبارة دعوة كتابية لكي تكون لنا الحياة الممونة الفريدة!

["جلست وحدي" [17]. ينبغي أن نتعلم من هذه العبارة عندما تكون هناك جماعة من الخطاة لا تحتل أن ترى إنسانًا تقياً يعيش في حياة التقوى، لهذا يليق بالإنسان أن يهوب من محفل الوديلة، يفعل مثل لرميا الذي قال: "جلست وحدي"، ومثل إيليا الذي قال: "يلرب قتلوا أنبيائك وهدموا مذابحك وبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي" (رو 11: 3).

لكن إذا نظرت بطريقة أعمق إلى كلمات "جلست وحدي"، ربما تجد لها تفسيرًا أكثر عمقًا يليق بها.

عندما نحيا مثلما يحيا جميع الناس، ولا تكون لنا حياة مستقلة خاصة وممونة بالنسبة لباقي الناس، لن نستطيع أن نقول: "جلست وحدي"، إنما نقول: "جلست مع أناس كثيرين". لكن - على العكس - إذا أصبحت حياتي ممونة بحيث يصعب على الناس تقليدها، لا يستطيع أن يشابهني أحد لا في أعمال ولا في عقيدتي ولا في حكمتي، عندئذ يمكنني أن أقول "جلست وحدي". إذن يمكنك أن تقول هذه الكلمات، حتى ولو لم تكن كاهنًا أو أسقفًا وليس لك أية رتبة كنسية، ذلك حينما تحيا الحياة التي تمكنك من أن تقول: "جلست وحدي" [319].

قوله: "جلست وحدي لأنك قد ملأني غضبًا" [17]، ينطبق على السيد المسيح الذي دخل البستان وحده ليحمل غضب الله عنًا، إذ يقول لتلاميذه "وتتكوني وحدي... كما يقول: "نفسى حزينه جدًا حتى الموت". جلس وحده في البستان لأنه حمل خطايانا على كتفيه. لنتشبه به فندخل معه في البستان وحدنا لكي نثن من أجل سقطات كل أحد، ونحسبها سقطاتنا فنقول:

"جلست وحدي لأنك قد ملأني مرة" [17] (LXX).

يقول العلامة أوريجينوس:

["لأنني قد امتلأت مرة" [17]. إن كان الطويق المؤدي إلى الحياة ضيق وكرب (مت 7: 14) لا يمكنك أن تتمتع بأية عذوبة الآن، بل عليك

أن تمتلئ بعبارة في هذه الحياة. ألا تعلم أن عيدك يُحتفل به على أعشاب مؤبة؟ يقول الكتاب المقدس أنه حينما تحتفل بالعيد لا بالعهد الإلهي أن تأكل فطواً على أعشاب مؤبة (خر 12: 8). ماذا يعني الكتاب حينما يؤكد انه للاحتفال بأي عيد خاص بالرب لا بالعهد الإلهي من أكل الفطير على أعشاب مؤبة؟ هلموا نبحث هذا الموضوع. موضوع "الفطير" سبق أن شرحة لنا بولس الرسول عندما قال: "إذا لنعيد ليس بخموة عتيقة ولا بخموة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق" (1 كو 5: 8). ينبغي أن يكون التفسير الذي أضيفه موافقاً ومناسباً لتفسير الرسول ومكماً له. يجب عليك أن تفهم ما هي الأعشاب المؤبة ، حينما تربط بينها وبين كون الفطير "فطير الإخلاص والحق"؛ فبمجرد أن يكون عندك إخلاص وحق تجد أمامك أعشاباً مؤبة، وتأكل مع الأعشاب المؤبة فطير الإخلاص والحق.

ينطبق هذا على بولس الرسول: فلأنه كان يأكل فعلاً فطير الإخلاص والحق، بسبب ذلك كان يأكل أيضاً "الأعشاب المؤبة".

كيف كان ذلك؟

قال: "أفقد صوت إذا دعوا لكم لأنني أصدق لكم؟! (غلا 4: 16). كيف كان يأكل أيضاً الأعشاب المؤبة؟ كان يأكلها كالاتي: "في كدٍ وتعبٍ، في أسهارٍ موراٌ كثوة، في هرعٍ وعطشٍ الخ." (2 كو 11: 27-28). ألا يعتبر ذلك كله "حقاً" مع أعشاب مؤبة؟ أو فطواً على أعشاب مؤبة؟ تقول الشريعة: "كلوا فطواً مع أعشاب مؤبة" ولم نقل: "كلوا فطواً مع أعشاب مؤبة حتى تمتلؤوا وتشبعوا"؛ لذا فإن النبي قد فعل أكثر مما تتطلبه الشريعة، فهو يقول: "لقد امتلأت مورة" "ولم يقل: "قد أكلت مورة"، أي: قد أخذت نصيبي من المورة بما فيه الكفاية [320]."

لماذا كان وجعي دائماً؟!

[لماذا يكرهوني ويغضبون على دائماً؟] (LXX) لقد عانى لرميا من مضايقات كثيرة، وتألّم بسبب الذين لم يربوا أن ينصتوا للحق والذين كانوا أقوى منه هنا على الأرض فقط، لأن ملكوت الله ليس من هذا العالم بل من فوق. كما يقول المخلص: "لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود" (يو 18: 36). إذا الذين كانوا يضايقون النبي كانوا يضايقونه في هذا العالم فقط. انظروا أيضاً الشهداء: يجلس القاضي على مقعده على منصة الحكم ليحكي ويحكم وهو في غاية الراحة، بينما يقف الإنسان المسيحي الذي "يحاكم السيد المسيح فيه"، وقد "امتأ مورة" وهو موضوع تحت رحمة إنسانٍ غير عادل ليحكم عليه [321].

لماذا كان وجعي دائماً؟!

وجرحي عديم الشفاء؟! يابى أن يشفي!

أتكون لي مثل (جدول مياه) كاذب، مثل مياه غير دائمة [18].

كثراً ما استخدم لرميا النبي اصطلاحات طبية، فقد شعر بخطورة المرض الذي أصاب شعبه (6: 7؛ 8: 21-22؛ 20: 12، 15)، مظهراً تعاطفاً شديداً معهم.

والآن يشعر بالجراحات قد أصابته هو، ربما بسبب شدة اضطهادهم له، فصار مريضاً وجريحاً، جرحه عديم الشفاء...

إنه لا يعاتب الشعب الذي اضطهده، وإنما في مورة نفسه ودالة الحب يعاتب الله الذي أرسله للخدمة، قائلاً له: "لماذا؟" ربما في جسرة يعاتبه: "أتكون لي مثل كاذب، مثل مياه غير دائمة"... فقد سخر به الكل، وبدى كأنه قد هُزم مع أن الله وعده بالنصرة والحماية الدائمة... بقوله "مثل" يؤكد لرميا أن الله لم يخذعه ولن يكون كمجوى ماء كاذب، لكن هكذا ظهر الله في عيني أعداء لرميا الذين عيروه. هذا ويمكن القول بأن ما نطق به لرميا هنا إنما نطقه باسم الشعب وهو يعاني من السبي، مؤكداً لشعبه أنه لا يشمت فيهم بل يحسب جراحاتهم جراحاته وأوضاعهم أوضاعه.

كأنه يقول: لن ينتهي وجعي إلا بانتهاء آلامكم، ولن يُشفى جرحي ما لم تُشفَّ جراحاتكم. هذا ما عبر عنه الرسول بولس قائلاً: "من يعثر وأنا لا

التهب؟! من يضعف وأنا لا أضعف؟! "وقد عبر القديس يوحنا الذهبي الفم عن هذا الحب العجيب نحو الغير، قائلاً:

[لا نعجب من الرسول بولس في إقامته الميت، ولا تطهوه الأبرص، إنما نعجب من قوله: "من يضعف وأنا لا أضعف؟! من يعثر وأنا لا

ألتهب؟!"] (2 كو 11: 21).

لو كان في قرتك صنع آلاف المعجزات، فإنها لن تعادل هذا القول... كلماته هذه أثنى من اللآلئ [322].

جرح عديم الشفاء

يلق العلامة أوريجينوس على العبرات السابقة، قائلاً:

[**جرحي عديم الشفاء.**

من أين يأتي الشفاء؟"] [18].

الذين يضايقونني بضوئوني، وجرحي عديم الشفاء.

يمكن أن تكون هذه العبرة نوبة عن صلب السيد المسيح، كما يمكن أن يكون المقصود بها كل الأوار الذين يتحمل السيد المسيح فيهم جرحاً عديم الشفاء. أو يمكن أن يكون المقصود هو رميا النبي نفسه لأنه قاسى أتعاباً وآلاماً كثرة. يمكن أن يطبق النص على جميع هذه الحالات.

من أين يأتي الشفاء؟" إن كان السيد المسيح هو الذي يقول ذلك، فهو يتنبأ بذلك عن قيامته من الأموات بعد الجرح العديم الشفاء.

"لقد صرت لي مثل مياه مضللة وغير مخلصنة" [323].

7 . الله يشدد رميا النبي:

يجيب الله علي رميا بخصوص الأسئلة السابقة، قائلاً:

"إن رجعت رُجعت فتقف أمامي،

وإذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون.

هم يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم" [19].

إن كان رميا النبي قد شعر أن جرحه دائم وبلا شفاء، فإن الله يقدم له الحل أو الدواء، وهو: "إن رجعت رُجعت فتقف أمامي" [19].

كأنه يقول له: أنت لي، ولك حق الوقوف أمامي لتمتع بحضوتي وتحمل قوتي، لكنك بأفكار اليأس واجعت عني قليلاً... رجع إليّ، فإن مكانك

ينتظرك، أشتاق أن أراك واقفاً أمامي، تتم رسالتك التي دُعيت إليها وتتمتع بإكليلك الذي أعدته لك.

تمس هذه الإجابة حياة كل مؤمن راجع عن الله في ضعفٍ أو بسبب خطيته، لكن يبقى الله يدعوه للعودة إليه، فإن له موضعه في حضن الآب.

بلا شك لم يراجع رميا عن رسالته تماماً، فقد عاش مخلصاً لها، لكن ربما مورت به لحظات ضعف كإنسان.

إن كان جرح رميا في الواقع هو جراحات الشعب، حاسباً كل ما يسقط تحته شعبه كأنه هو ساقط تحته، لذا يمكن تفسير قول الرب هنا هكذا. إن

كنت تشعر بأن جراحات الشعب هي جراحاتك التي بلا شفاء، فإن توبتهم ورجوعهم كأنها توبتك ورجوعك أنت، لتقول مع العرتل: "يود نفسي، يهديني

إلى سبل البر من أجل اسمه" (مز 23: 3).

هذا هو سر تغزية رميا: رجوع الناس إلى الله وحملهم روح الإواز بين ما هو ثمين وما هو مرنول، أي التمييز بين كلمة الله (الحق) وكلام

الأنبياء الكذبة، بهذا يقفون أمام الله وتصير أفواههم كفم الله نفسه، فيحسب كأن رميا نفسه قدرجع إلى الله وصار كفم الله، يحمل كلمته كسفيرٍ له، يتحدث

باسمه ويعلن رادته.

يقول الله لرميا: "إن رجعت رُجعت فتقف أمامي" [19] ، يصير رميا كرئيس بيت إواهم الذي رجع إليه ومعه رقيقة زوجة لإسحق ابنه. هكذا

يريد الله منّا أن نعود إليه دائماً حاملين معنا عروساً مقدسة لإسحق الحقيقي، ربنا يسوع المسيح.

يقول العلامة أوريجينوس:

[لأن الجراحات لا تبقى علي النوام إنما تعبر وتنتهي ، "لذلك هكذا قال الرب: إن رجعت رُجعك فتقف أمامي" . هذه العبرة موجهة إلى الذين يدعهم الرب إلى التوبة والرجوع إليه. لكن يبدو لي أن هناك شيئاً من الغموض في كلمة "أُجعك". فإنه ما من أحد "يرجع" إلى موضع لم يكن موجوداً فيه من قبل، لكن رجاء الشخص أو الشيء يكون إلى مكانه الطبيعي. فعلى سبيل المثال، حينما يُبتر أحد أعضاء جسمي يحاول الطبيب أن يعمل له عملية رجاء وإعادة إلى مكانه الأصلي. كذلك حينما يوجد مثلاً إنسان خرج وطنه، لأسباب عادلة أو ظالمة ثم يصدر الأمر بوجعه، فإنه يرجع إلى بلده. كأن الله يقول لنا هنا، نحن الذين بعدنا عنه: أنه إذا رجعنا إليه فسوف يرجعنا إلى مكاننا الطبيعي معه. هذه إذاً هي كلمات الوعد الإلهي لنا. وكما هو مكتوب في سفر أعمال الرسل: "إلى أرضنا رد كل شيء، التي تكلم عنها الله بعم أنبيائه القديسين منذ الدهر" (أع 21: 3)، ولإلهنا المجد الدائم إلى أبد الأبد. آمين ^[324].

وإذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون" [19].

إخراج الثمين من الموزول يعني إخراج نفوس مقدسة مبررة كانت قبلاً موزولة بسبب خطاياها، فإنه ليس أعظم من أن يهتم إنسان بخلص إخوته ويحولهم من الانحطاط بالخطية إلى التمتع ببر المسيح.

❖ لكي تعرفوا كم هو أمر عظيم أن ترحب خلاص الآخرين جنباً إلى جنب مع خلاصك اسمع ما يقوله النبي في شخص الله: وإذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون" [19] . لكن ما هو هذا؟ من يقود قريبه من الخطأ إلى الحق أو من الشر إلى الفضيلة، مثل هذا الإنسان يتشبه بي قدر ما تسمح القوة البشرية... إنه يخلصهم من أنياب الشيطان ^[325].

❖ إن تحدثت لأجل تصحيح قريبك يكون لك لسان كلسانه (المسيح) والله نفسه يقول: وإذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون" [19]. عندما يكون لسانك مثل لسان المسيح، عندما يكون فمك مثل فم الأب، عندما تصير هيكلًا للروح القدس. أي كرامة تعادل هذه الكرامة؟! حتى إن كان فمك مصنوعاً من الذهب أو الحجرة الكريمة فهل يتلأماً مثل الآن، عندما يشع زينة الوداعة. ماذا نشتهي أكثر من فم لا يعرف أن يشتم بل يتروى علي أن يبيلك ^[326]؟

❖ تأملوا أية كرامة يسمو إليها من يحسب خلاص أخيه ذات أهمية قصوى، فإن مثل هذا الإنسان يتشبه بالله قدر إمكانية قوة الإنسان. اسمع ما يقوله الله خلال نبيه: "إذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون" [19] . ما يقوله هو أن من له غرة علي خلاص أخٍ ساقطٍ في طرق الإهمال، من يسوع ويخلص أخاه من أنياب الشيطان، مثل هذا الإنسان يمتثل بي قدر ما تستطيع القوى البشرية. ماذا يعادل هذا؟ هذا أعظم من كل الأعمال الصالحة. هذا هو قمة كل فضيلة ^[327].

القديس يوحنا الذهبي الفم

❖ لا يقف شيء ما مقابل النفس ولا حتى العالم كله.

فإن قدمت كزواً بلا حدود للفقاء، فلا يسلى هذا العمل تغيير نفسٍ واحدة. هكذا يقول الله: "إذا أخرجت الثمين من الموزول فمثل فمي تكون"

[19].

^[328]

يا له من عمل صالح عظيم أن تترفق بالفقاء، ولكن ليس شيء يعادل انتراهم من الخطأ. من يفعل هذا يمثل بولس وبطرس .

❖ أية بركة لا يجتنيها ذلك الشخص الذي ينفع نفوساً كثيرة يشفيها من الآن حتى مجيء المسيح!؟

^[329]

أقم حصنًا ضد الشيطان، فإن هذه هي الكنيسة .

❖ إن تحدثت بما فيه إصلاح قريبك تتال لسانًا كذاك اللسان (لسان الله) [330].

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأجعلك لهذا الشعب سور نحاسٍ حصينًا،

فيحربونك ولا يقرون عليك،

لأني معك لأخلصك وأنقذك يقول الرب.

فأنقذك من يد الأشرار،

وأفديك من كف العتاة" [20-21].

هنا يقدم الله لإرميا وعودًا بتجديد قوته. في رميا (1: 18) أقامه الله مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس، وهنا يجعل منه سور نحاس حصينًا لا تستطيع زوابع الأشرار أن تصدمه، ولا مقاومتهم أن تفوه. إنه ليس فقط ينقذه وإنما يفديه، أي يدفع عنه الدية ليحرره. هكذا يعطي الله لإرميا ضمانًا لسلامه ولحريته، بل ولمساندة الآخرين.

إن كان الله قد أقام رميا النبي لبيكت الخطاة فليذكر رميا أنه هو نفسه محتاج إلى الخلاص والفداء!

هذا ومن جانب آخر حين أعلن رميا لله إيمانه أنه يذكره ويتعهده وينتقم له من مضطهديه [15]، جاءت الإجابة الإلهية: "أنقذك من يد الأشرار، وأفديك من كف العتاة!"

كأن الله يجيبه: لا تتطلع إلى إمكانياتك البشرية المجردة، ولا تنظر علي أعدائك، بل إلى عملي معك وبك وفيك... إنني أنقذك من يد الأشرار وأفديك من كف العتاة.

يحدثنا سفر رميا النبي عن الرب بكونه الفادي من كف العتاه (15: 21) والولي الذي له حق الفكاك (31: 11)، الولي القوي (50: 34). يذكرنا بالدور الذي قام به بوعز الذي قام بواجبه نحوراعوث، حيث قام وهو الولي بالفكاك، فتزوجها وأنجب منها وقدم من ممتلكاته لها ولنسلها. ويلاحظ في الولي الذي يقوم بالفكاك الآتي:

أ. الولي الذي له حق الفكاك ذو قوابة. هكذا وهيناربنا يسوع المسيح حق القوابة له، إذ اشترك معنا في اللحم والدم نظرونا (عب 2: 14).

ب. أن يكون قاورًا أن يفدى ويخلص، وقد دفع ولينا دمه الثمين فداء عنا (مز 49: 8، كو 8: 9، مز 13: 46).

ج. لم يشتر بوعز الموات فحسب بل اشترى راعوث، لا لتصير له جلية بل عروسًا تشركه حياته، مكانها في أعماق قلبه. بهذا لم تعد الأرملة غريبة الجنس (الموابية) التي تلتقط من الحقل، وإنما العروس المتحدة معه التي تسكن في قلبه. صار لها لا سنابل الحق التي كان الحصابون ينسلونها لها، بل الحصاد كله، وصاحب الحصاد نفسه. صار بوعز غناها وثروتها. هكذا صار لنا مسيحنًا غنانا.

د. يلتزم الولي بالحماية، فهو يفدي مواته بالقوة (إش 63: 1-6؛ رؤ 14: 14-20)، هكذا يربط مسيحنًا العدو ويخلصنا من العدو من قبضته (مت 12: 29) .

من وحي رميا 15

اذكرني، تعهدني، خلصني من العدو!

❖ ما أعجب صلوات قديسيك وأنبياك،

لكنها لن تشفع لي مادمت أعطيك القفا لا الوجه.

إن شفع في موسى أو صموئيل أو لرميا،

لا أنتفع شيئاً ما لم أرتّم عند صليبك!

❖ أعرّف لك إنني أستحق كل تأديب،

فالخطية قتلتنني، ودخلت بي كما إلى القبر.

ضوب السيف في قلبي فحُوت جرحاً مميتاً،

أصابني الورع، لأن بدونك لا تشبع نفسي.

صوت كجثة ملقاة في الطويق،

افترستها الشياطين كطيورٍ محلقة في السماء،

ونهبته حيوانات البرية بغير رحمة.

سخرت بي الكلاب إذ سحبتني كما في الزّاب.

❖ من يشفق عليّ يا إلهي؟!!

من يقّس أورشليمي الداخلية لإروحك القنوس؟!!

من يعزيني ويسأل عن سلامتي إلا أنت يا مخلصي؟

تركنتك... لكن مد يدك وردني إليك.

إجذبني وراءك فنحوى!

❖ صوت كزملة فقدت رجلها وكل أبنائها السبعة في يومٍ واحد،

تحولت ظهرتها إلى ظلامٍ دامس.

غطى الحزي وجهها، وفقدت كل رجاءٍ لها!

❖ تعال يا عريس نفسي،

تمم وعودك في،

اذكري... ليس من يسأل عنى غورك!

تعهدني... ليس من يفتقدني سواك!

قدم لي كلمتك... فهي وحدها بهجة قلبي!

احفظني من مجلس الملحين،

هب ليكل جدية واهتمام بالخلاص!

❖ الهب قلبي بنار حبك،

فأخرج من العرنول ثميناً،

ومن الخطاة ولأدًا لك،

وذلك بفعل كلمتك يا قنوس.

ضع كلمتك في فمي،
استنوقها، بل وأكلها فأشبع بها،
ويصير فمي مثلك!
عجيبة هي أعمالك يا مخلصي!
❖ لنقم من ضعفي سور نحاسٍ لا يُقاوم،
كن أنت حصني فلا يقدر العدو عليّ.
أفدني بدمك الثمين من كف إبليس العاتي!



الأصحاح السادس عشر

منعه من الزواج

إذ كانت الكلثة التي ستحل بالشعب مؤبة للغاية طلب منه ألا يتخذ لنفسه إمرأة ولا يكون له بنون ولا بنات، لكي لا يقيم في بيت خاص به [1]-4، ولا يذهب إلى بيت حزن [5-7]، أو بيت وليمة [8-9]، بسبب السبي الذي يحل بالشعب. بهذا صلت حياة رميا امرأة وى من خلالها الشعب صورة عملية لما سيحل بهم من تأديبات إلهية وحرمان! وكأن الله قدم لرميا نفسه وسيلة أيضاً، يشهد بكلماته كما بسلوكه عن حكم الله عليهم. سيحل بالموضع ميتات ولا يوجد من يندب أو يدفن ولا من يغوى، وتنقطع أيام الفرح تماماً، فلا يُسمع صوت عريسٍ ولا صوت عروسٍ. وقد قدم للشعب تعليلاً لحرمانهم من الفرح والتغرية، ليعود فيفتح أمامهم باب الرجاء، لا بالفرح بعودتهم من السبي، وإنما بتمتعهم بالخلاص في العصر المسياني.

- 1 . حياة لرميا امرأة لحياة الشعب [9-1].
- 2 . اعتوال الحياة اليومية [10-13].
- 3 . خروج جديد [14-15].
- 4 . الفرح بالخلاص المسياني [16-21].

1 . حياة لرميا امرأة لحياة الشعب:

ثم صار إليّ كلام الرب، قائلاً:

لا تتخذ لنفسك امرأة ولا يكون لك بنون ولا بنات في هذا الموضع،
لأنه هكذا قال الرب عن البنين وعن البنات المولودين في هذا الموضع،
وعن أمهاتهم اللواتي ولدنهم،
وعن آبائهم الذين ولوهم في هذه الأرض:
ميتات أمراض يموتون،
لا يُندبون ولا يُدفنون،
بل يكونون دمنة على الأرض،

وبالسيف والجوع يفنون،

وتكون جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض" [1-4].

وي Holladay أن الآيات [1-9] تمثل قطعة شعرية، فيها يتحدث الله مع رميا بخصوص حياته وحياة الشعب [331].
آية 1 مقدمة.

آية 2 أمر الله لإرميا : لا تتزوج.

آية 3 توير الله عن الشعب: بخصوص الوالدين والأبناء.

آية 4 توير الله عن الشعب: بخصوص الموت والدفن.

آية 5 منع لإرميا من قبل الله: عدم المشركة في الجنزات.

آية 6 توير الله عن الشعب: ليس من يحزن على الموتى.

آية 7 توير الله عن الشعب: لا يحزن أحد على ميتة ولو كان أحد والديه.

آية 8 منع لإرميا من الله : عدم المشركة في الولايم.

آية 9 خطاب موجه من الله للشعب: لا صوت للووح، ليس من عوس!

وقد حمل الشعر تنسيقاً (*Symmetrical patern*) فإن وضعنا حرف "أ" عن الحديث بخصوص رميا، "ش" بخصوص الشعب يكون تنسيق الآيات من 2 إلى 9 هكذا: ا ش ش؛ ا ش ش؛ ا ش ش؛ ا ش ش.

كما يلاحظ أنه في الآية 3 عندما تحدث عن الموت أخذ تنسيقاً شعرياً خاصاً، وذكر البنين، البنات، البنات، البنين [332]، كما ذكر "في هذا الموضع" (مذكر) ثم "في هذه الأرض" (مؤنث).

امتنع كلا من رميا النبي والرسول بولس عن الزواج، لكن أهدافهما كانت مختلفة. امتنع رميا النبي عن الزواج بأمر إلهي لكي لا تكون له زوجة وأبناء، أما بولس الرسول فامتنع اختيلاً لكي يكس كل وقته وطاقاته للعبادة وخدمة الكلمة (1 كو 7: 7، 26، 32-34). امتنع رميا عن الزواج حتى لا تعيش زوجته في مورة حين يُقتل الأبناء بالسيف أو يُسبون إلى بابل، أما بولس الرسول فامتنع عنه لأن الوقت مقصر فلا يود أن يهتم كيف يرضي امرأته، بل كيف يرضي الرب.

بأمر إلهي تزوج هوشع امرأة زانية، سواء كانت قد ارتكبت الزنا أو عبت الأوثان (يكون عبادة الأوثان زناً)، سواء كان زواجاً حقيقياً أو مجرد رؤيا أو زواً. أما رميا النبي فبأمر إلهي مُنع من الزواج حتى لا يكون له أبناء. الأول أعلن عن مدى فساد الشعب في علاقته بالله إلهه، والثاني أعلن عن ثرة هذا الفساد. الأول كشف عن خيانة الشعب لله، والثاني عما سيحل بهم من هلاك، حيث تتوَمل النساء وتصير كل منهن تكلي. الأول بحياته يعلن عن شوق الله إلى شعبه لوجع إليه ولكن بدون خيانة زوجية، أما الثاني فيعلن بحياته عن حالة الموت التي تحل بالشعب بإصوره على الخطية.

يظن البعض أن رميا سبق أن تزوج وماتت زوجته بعدما أنجبت، وقد منعه الله من الزواج الثاني، بينما رى آخرون أنه منعه من الزواج في عناووث فقط، إذ قال له: "في هذا الموضع" [1]، وسمح له بالزواج في موضع آخر [333].

على أي الأحوال إذ سلم الأنبياء الحقيقيون حياتهم بين يدي الله تكلم بها على ألسنتهم وخلال حياتهم، فكانوا يتنبأون بالعبارات النبوية والرؤى والأمثال كما بحياتهم، نذكر على سبيل المثال:

زواج هوشع زانية (هو 1-3) يكشف عن خيانة الشعب لله ولتكا به الزنا الروحي بعبادة للأوثان وما يتبعها من رجاسات.

عدم مشركة حزقيال في جنزة زوجته (حز 15-24: 27) حيث لم ينف عليها دمعة ولا نطق بكلمة حزن يعلن عن تدمير الشعب، العروس

[334]

المحبة لدى الله، دون أن نجد من يبكيها .

عائلة إسماعيل (إش 7، 8) تشهد للأحداث الخاصة بالشعب. فدعى ابنه الأول شلّياشوب (تعني البقية ستوجع)، ليؤكد أن المسيبين من يهودا رجعون. ودعى الابن الثاني مهوشلال حاز (يعني أسوع إلى السلب أو بادر إلى النهب) ليؤكد أن أشور قادم سويحاً ليسلب آرام وينهب إسرائيل منقداً أورشليم، وفي نفس الوقت ينذر شعب يهودا لاتكاله على أشور، لا على الرب [335].

❖ كان إيليا بولاً،

وكان كثير من أبناء الأنبياء بتولين.

قيل لإميا: "لا تأخذ زوجة"، فإنه إذ تقدس في الرحم أمر ألا يأخذ زوجة، لأن وقت السبي كان قد اقترب.

يقول الرسول نفس الشيء بكلمات أخرى: "أظن أنه لأجل الضرورة الحاضرة حسن للإنسان أن يكون هكذا" (1 كو 7: 26). أية ضرورة هذه

التي تتوع أواح الزواج؟ إنه قصر الوقت، فيكون الذين يتزوجون كأنهم لا يتزوجون (1 كو 7: 29) [336].

القديس جيروم

كانت الأسوة الكبيرة في الشوق بوجه عام تُحسب ميلكة من قبل الله (تك 22: 17؛ مز 127: 3-4)، كما يُحسب عدم الإنجاب عراً وعلامة على غضب الله (تك 30: 1؛ 1 صم 1: 6-8)، والغزبية أو البتولية أمراً يسبب حزناً (قض 11: 37). امتناع شاب مثل إميا عن الزواج أمر مثير، لم يحدث بناء على رغبته وإنما طاعة لله واقتناعاً بأن نهاية يهودا كانت قد اقتربت جداً [337].

بقوله: "ميتات أمواض يموتون" [4]، يعني معاناتهم من أمواض كثرة بسبب الحروب بوجه عام، خاصة أثناء الحصار، كما بسبب الجوع، وأيضاً معاناتهم من الآلام والمتاعب، مع حالة من اللعب تؤدي بهم إلى الموت.

يُعتبر عدم دفن الموتى وترك الجثث لكي تأكلها طيور السماء ووحوش البرية من أبشع أنواع اللعنات التي يسقط تحتها الإنسان (نت 28:

26) [338]، يزيد لها لعنة أنهم لا يجدون من يندبونهم أو يبكون عليهم.

يمكن تصور المنظر هكذا أن الشوارع تمتلئ بالجثث بغير مبالاة، فتتوك طعاماً للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة ولا يوجد من يبكي

الموتى، لأنه لا يوجد من هو حي.

"لأنه هكذا قال الرب:

لا تدخل بيت النوح، ولا تمض للندب، ولا تُرهم،

إلني وعت سلامي من هذا الشعب يقول الرب الاحسان والبراحم" [5].

طلب منه ألا يدخل بيت النوح *marzeah*، هذه الكلمة ظهرت مرة أخرى في (عا 6: 7) فقط، وهي من أصل *Ugaritic* تشير إلى اجتماع

ديني لغرض جنازي، فيه تُقدم مائدة في صالة حيث الشرب بشوابة مع تصرفات منحلة [339]. تُستخدم في الأرامية عن ولائم الجنزلات [340]. لكن

هنا كما في عاموس لا تستخدم بنفس الصورة التي كانت لدى الأمم.

انسحاب إميا النبي حتى عن المشركة في ولائم الجنزلات يشير إلى انسحاب الله نفسه ورجاله عن حياة الشعب الذي أعطاه القفا لا الوجه.

يسحب الله عنهم أربعة أمور [5]:

أ. يسحب سلامه، هنا كلمة "سلام" في معناها الواسع تعني أن تكون كل الأمور على ما وام. تفقد الجماعة أوانها وتدخل في حالة لرتباك

روحي واجتماعي ومادي ونفسي، كما يدخل كل عضو فيها في لرتباك على كل المستويات.

ب. يسحب انتسابه إليهم، فلا يصيروا شعبه بل يدعهم: "هذا الشعب"، فيفقدون مصدر حياتهم وفرحهم وغناهم ومجدهم وحريرتهم.

ج. يسحب عنهم إحسانه، أي حبه وبركاته لهم، لأنهم لا يقبلوا هذا الحب ولا يتجاوبون مع بركاته ونعمه.

د. يزع عنهم مواحمه، فلا يشفق ماداموا مُصرين على العنف ولا يعرفون الرحمة.

بانسحاب لرميا عن الحياة العامة يعلن انسحاب الله نفسه بسلامه وإحساناته وراحمه فيسقطوا تحت اللعنة والحومان والأمراض والقرى والموت!
"قيموت الكبار والصغار في هذه الأرض.

لا يِدْفنون ولا يندبونهم ولا يخمشون أنفسهم ولا يجعلون قوّة من أجلهم" [6].

هذه عادات خاصة بالحنن تمنعها الشريعة لأنها مرتبطة بعبادة الإله الكنعاني موت *Mot* (تث 26: 14؛ حز 8: 14؛ لا 19: 27-28؛ تث 21: 5؛ تث 14: 1). فكان الناس يخمشون أنفسهم أو يرحون أنفسهم ويحلقون شعر رأسهم تمامًا وأيضًا للحية، الأمر الذي يبدو أنه قد انتشر في إسرائيل على نطاق واسع (41: 5؛ 47: 5؛ 48: 37؛ إش 15: 2؛ 22: 2، حز 7: 16؛ ميخا 1: 16 الخ). هنا لا يصدر المنع كوصية، لأنه سبق فأوصاهم بذلك حين قدم لهم الشريعة، إنما يعلن عدم مشركتهم في الجنزات حيث اعتادوا على ممرسة هذه العادات الوثنية. جاءت الكلمتان "يدفنون ويندونهم" في صيغة الجمع بينما "يخمشون ويجعلون قوّة" في العبرية في صيغة المفرد، ربما لأن الدفن والندب تقوم به الجماعة، أما الخمش وجعل القوّة فيقوم بها أكثر الأموات قربي كئانب عن الكل.

ولا يكسرون خزواً في المناحة ليعزّوهم عن ميت،

ولا يسقونهم كأس التعزية عن أب أو أم" [7].

لا زال هذه العادة قائمة في مصر، خاصة في المدن الصغيرة والقوى، وهي أن يقدم المعزون طعامًا، خاصة الخبز، وبعض أنواع الشرب كالقهوة، علامة المشركة والمحبة، حيث يلتزم أهل الميت بالأكل والشرب بدلاً من الامتناع عنهما كعلامة على الحزن الشديد، كما حدث مع داود الذي أصر على عدم الأكل حتى الغروب عند موت ابنه أبشالوم (2 صم 3: 35). وأيضًا كوع من المشركة في اطعام القادمين من مناطق بعيدة من الأقرباء، فيقوم الجوان بإعداد الطعام لأقرباء الميت.

في الطقس اليهودي المتأخر كان يُقدم كأس تعزية، وهو كأس خمر خاص يشوبه رئيس الخزان.

يذكر سفر طوبيا (4: 17) تقديم طعام للموتى، يوضع في القبر، وقد وُجد في مقابر للعوانيين أطعمة توضع مع الموتى.

وي البعض أن عادة إحضار الطعام تقوم على النظرة إلى بيت الميت أنه دنس لذا يُعد الطعام خلجًا ثم يُحضر الأكل [341]. جاء في سفر

هوشع: "إنها لهم كخبز الحزن، كل من أكله يتنجس، إن خزّوهم لأنفسهم، لا يدخل بيت الرب" (هو 9: 4).

ولا تدخل بيت الوليمة لتجلس معهم للأكل والشرب" [8].

جاء "بيت الوليمة" هنا مقابل "بيت الحزن"، كما جاء في (جا 7: 22)، غالبًا ما يُقصد به الاحتفال بالعوس.

هنا يمنع من مشركة أهل الوليمة في أواحهم، فلا يدخل ليجلس معهم يأكل ويشرب، لكنه قد يدخل لكي يعلن كلمة الله ويحثهم على التوبة قبل أن يحل بهم التأديب. بمعنى آخر يطالبنا الله ألا نجاهل إنسانًا على حساب الحق الإلهي وخلص نفوسنا أو نفوس الآخرين. لنشرك الخزانى والفوحين، لكن من خلال الحق الإلهي ليتمموا رادة الله، فلا نشركهم بالأكل والشرب والكلمات المعسولة، إنما لكي نضع خلاص الله وتتميم رادته أمام أعيننا.

"لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل

هأنذا مُبطل من هذا الموضع أمام أعينكم وفي أيامكم

صوت الطرب وصوت الفرح،

صوت العريس وصوت العروس" [9].

هنا نبلغ إلى جوهر هذه القطعة الشعبية حيث يتحدث الله مع شعبه مباشرة.

تحولت البلاد التي رفضت الله الحيّ إلى أشبه بمقوّة لا يُقام فيها ولائم مفرحة، ولا يُسمع فيها صوت طوبٍ روحي ولا هواسيم زواج. إنها حالة النفس التي يريد الرب أن يقيم فيها ملكوته، ملكوت الفرح الحقيقي، مملكة النور، فإذا بها تصر أن تكون مملكة الظلمة والحرارة الفارقة لكل بهجة قلب!

هنا يؤرّمنا إلا نتجاهل موقف رميا النبي الذي يتقبل حكمة الرب بتسليم كامل نون تساؤل: إلى متى يكون هذا؟

2 . اعوَال الحياة اليومية:

'ويكون حين تُخبر هذا الشعب بكل هذه الأمور أنهم يقولون لك:

لماذا تكلم الرب علينا بكل هذا الشر العظيم؟

فما هو ذنبنا؟ وما هي خطيتنا التي أخطأنا بها إلى الرب إلهنا؟

فتقول لهم:

من أجل أن آباءكم قد تكوني يقول الرب،

وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبوها وسجدوا لها،

وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوها،

وأنتم أسأتم في عملكم أكثر من آباءكم...

فأطردكم من هذه الأرض إلى أرض لم تعرفوها أنتم ولا آباؤكم،

فتعبدون هناك آلهة أخرى نهلاً ولبلاً حيث لا أعطيكم نعمة" [10-13].

هذه العبارات [10-13] في الواقع هي موناة صغيرة في شكل أسئلة [10] يتبعها نطق بحكم على شعب يهوذا [11-13].

من الجانب الأدبي تستخدم هذه الطريقة في مواضع أخرى [342] مثل (تث 29: 21-27، 1 مل 9: 8-9)، حيث تستخدم ثلاثة عناصر:

أ. سؤال بخصوص حكم يصدر.

ب. إجابة وتوضيح أن الحكم التأديبي بسبب جود الشعب.

ج. توير عن الكلثة التي بسببها أثير التساؤل.

أصيب ضمير هذا الشعب بالعمى فلم يعد يرى الحق؛ كما حلّ به الموت. ولم يعد يترك حكمة الله، فدخلوا في تساؤلات تكشف عن عجزهم عن أن يسموا ويفهموا ويطيعوا [12]. كما يكشف عن محاولة تروهم لأنفسهم وإلقاء اللوم على الله عوض الاتضاع أمامه والاعتراف بخطاياهم. ومع هذا فإن الله في طول أناته لم يغضب بل أجاب على تساؤلهم، إذ يريد دائماً الدخول في حوار مع الإنسان، والكشف عن الحق أمامه لأجل توبته، لكي يدركوا أن الله ليس بالأمر الناهي.

يجيب الله على سؤال الشعب هكذا:

أ. العقاب قادم لأن آباءهم تركوه (2: 5، 13).

ب. إن ما يفعلوه ليس بأفضل مما فعله آباؤهم، بل أشر.

ج. لم ينتفخوا بخرة آباءهم ومعاملات الله معهم.

هذا لا يعني أن الله يدينهم من أجل آباءهم، وأنهم بلا عذر، إنما لأنهم سلكوا في ذات الطويق فصلت الخطية تمثل خطية جماعية تجتاز عبر

العصور.

غاية هذا القسم تأكيد أن العقوبة تتناسب مع نوع الخطأ، فقد عبوا الآلهة الغريبة، لذا استحقوا أن يطردوا إلى بلادٍ غريبةٍ ليعبثوا هناك. لقد سحب الله الحقيقي يركته عنهم وفقد الشعب الأمان.

حينما نصر على خطايانا، تطردنا خطايانا من الموضوع الذي نحن فيه كأبناء الله. نُطرد من النور ومن الحضن الإلهي والمعرفة الإلهية لنخرج إلى أرضٍ لا نعرفها، أي إلى الظلام وعدم المعرفة. تفقد النفس سعادتها التي تجدها في المعرفة الإلهية والخدمة الإلهية واختبار الحب الإلهي. بقوله "تهلاً وليلاً" يعلن أنهم يملسون عبادتهم للآلهة الأخرى برادتهم، حتى في الليل، حيث لا يؤمهم أحد بذلك.

3 . خروج جديد:

"ذلك ها أيام تأتي يقول الرب:

ولا يقال بعد حيّ هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض مصر،

بل حيّ هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الأراضي التي طردهم إليها،

فأرجعهم إلى أرضهم التي أعطيت آباءهم إياها" [14-15].

تكرر هذا القول في (23: 7-8) مع اختلاف بسيط.

يعلن الله هنا عن أمرين:

أ. أن التأديب أو العبودية في أرض السبي أكثر مرة مما كان في أرض مصر، حتى يكاد يفقد الناس رجاءهم في العودة إلى أرضهم. لذا عند عودتهم لا يعوونوا يذكروا عمل الله معهم حين حررهم من مصر، بل عمله معهم حين حررهم من السبي.

في مصر جاءت العبودية تدريجياً، أما في بابل فجاءت دفعة واحدة، وبطريقة غير متوقعة.

في مصر كان لهم أرض جاسان خاصة بهم، أما في بابل فلم يكن لهم أرض خاصة بهم، بل كانوا في وسط البابليين الذين كانوا يقومون باحتفالات للآلهة الوثنية ومواكب نصوة كغالبين على إله إسرائيل، وذلك لإغاضة المسيبيين.

في مصر كانوا خدمًا نافعين للمسخرين لهم، أما في بابل فكانوا موضع كراهية كمسيبيين.

ب. يقدم لهم أيضاً رجاءً أنهم سيعودون من السبي في خروجٍ جديدٍ، حتى متى سقطوا تحت قسوة التأديب لا ييأسوا، ولا يظنوا أن السبي هو

النهاية، وإنما هناك عودة إلى أرض الموعد.

تعبير "حيّ هو الرب" هو قسم كان يملسه اليهود يشيرون به إلى الله إله الخروج من مصر (خر 3: 8، 17؛ 17: 3؛ 32: 1، 4، 6، 7، 8، 23 الخ.) لكن إذ يختبروا خروجاً جديداً يغيرون صيغة القسم.

4 . الفوح بالخلص المسياني:

بعد أن تحدث عن الفوح بالعودة من السبي، دخل بنا إلى الفوح الحقيقي في العهد الجديد حيث قدم لنا السيد المسيح كلمة الخلاص خلال تلاميذه

ويكمل هذا الفوح بالأكثر عندما تحملنا الملائكة إلى اللقاء مع الرب في اليوم الأخير، إذ يقول:

"هأنذا أرسل إلى جرافين (صيادي سمك) كثيرين يقول الرب فيصطادوهم،

ثم بعد ذلك أرسل إلى كثيرين من القانصين (صيادي حيوانات) فيقتنصوهم عن كل جبل وعلى كل أكمة،

ومن شقوق الصخور.

لأن عيني على كل طرفهم.

لم تستتر عن وجهي،

ثم بعد ذلك أرسل إلى كثيرين من القانصين فيقتنصونهم عن كل جبل وعن كل أكمة".

إذ تتغير السمكة التي امسكها تلاميذ الوب، لتكف عن الحياة في البحر وتحيا في الجبال، فلا تحتاج بعد إلى صيادين يسحبونها من البحر، وإنما إلى نوع آخر من الصيادين اسمهم قانصين "يقتنصونها عن كل جبل وعن كل أكمة" [16] [343].

الصعود على الجبال المقدسة

إن أردت أن يأخذك القانصون احذر من أن تقضي حياتك مختبئاً في هذه الأرض وعائشاً في التراب، بل ابحث عن الجبال. اصعد إلى الجبل الذي تجلي عليه السيد المسيح.

اصعد إلى الجبل الذي قيل عنه: ولما رأي الجوع صعد إلى الجبل، ولما جلس تقدم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلمهم قائلاً طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، وبقية التطويبات التي علمها لهم السيد المسيح على هذا الجبل [344].

[ثم أرسل بعد ذلك إلى كثيرين من القانصين فيقتنصونهم عن كل جبل وعن كل أكمة ومن شقوق الصخور] . غير مسوح لئلا القانصين أن يصطاونوا إلا على "الجبال" وعلى "الآكام" وفي "شقوق الصخور". كيف أفسر "شقوق الصخور"؟
رجع إلى سفر الخروج وابحث فيه عن تفسير لذلك؛ أجد أن موسى النبي حينما أراد أن يرى الله، قال له الوب هذه الكلمات ليحبب على طلبه: "هوذا عندي مكان، فتقف على الصخرة، ويكون مني اجتاز مجدي إني أضعك في نوة من الصخرة وأسترك بيدي حتى أجتاز. ثم أرفع يدي فتنتظر ورائي، وأما وجهي فلا أرى" (خر 33: 21).

إذا فهمت ما هي هذه الصخرة وما هي هذه الفتحة أو النوة الموجودة فيها عالمًا كيف أن الذي يقف على الصخرة وينظر من خلال النوة التي فيها يمكنه أن يرى الله لأمكنك أن تفهم ما هي الصخور العديدة وما هي شقوقها.
ما هي إذن تلك الصخرة الفريدة من نوعها؟ "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح (1 كو 10: 4)"، وأيضاً: "وأقام على صخرة رجلي" كما يقول الزمور (40: 2).

ما هي إذا النوة الموجودة في الصخرة والتي تمكنا من رؤية ما وراء الله (فتنتظر ورائي)؟

الصخرة هي السيد المسيح، والنوة الموجودة فيها هي التجسد الإلهي، لأنه بمجيء السيد المسيح في الجسد أمكننا أن ننظر ما وراء الوب، أي الابن الكلمة.

إلى الآن لم نتكلم إلا على صخرة واحدة ونوة واحدة فقط، لذا انتقل من نوة الصخرة إلى شقوق الصخور. فإنه بالنظر إلى جماعة الأنبياء أو الوسل أو الملائكة القديسين، يمكنني أن أقول أن كل المتشبهين بالسيد المسيح، يصيرون صخوراً كما أنه هو أيضاً صخرة. وكما أن المخلص له نوة يمكننا من خلالها أن نرى ما وراء الوب، كذلك أيضاً كل واحد منهم، يصنع في نفسه نوة أو شقاً يمكننا من رؤية الله، ذلك من خلال "كلماتهم" التي توشدنا إلى الوب. فموسى قدم لنا الناموس، وإشعياى قدم لنا نبوته، وإرميا قدم لنا كلمات أخرى للوب. لكن إذا حدث وكان المتكلم هو ملاك كما تقول الآية: "الملاك الذي يتكلم في"، ففي هذه الحالة أيضاً يكون عندي "صخرة" و"نوة"، ورأى الله من خلال كلمات (نوة) الملاك (الصخرة).

أحتاج إلى مثال لأوضح كيف يمكننا أن نرى الله عن طريق ملاك. مكتوب في سفر الخروج: "وظهر له ملاك الوب بلهب نارٍ من وسط عُلَيْقَةٍ، فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار والعليقة لم تكن تحترق"، ثم بعد ذلك، لم تقل له الكلمة: "أنا ملاك من عند الوب"، وإنما: "أنا إله إواهم إله إسحق وإله يعقوب" (خر 3: 6).

إذن في هذه الحالة يظهر الله في صورة ملاك، وبالتالي يمكن رؤيته عن طريق الصخرة التي هي الملاك، كذلك عن طريق النوة التي هي كلمات الملاك له.

إذ تجهل متى يرسل الله إليك القانصين، يجب عليك ألا تقول أبداً من على الجبال، ولا تتوك الآكام، ولا تخرج من شقوق الصخور، لأنك إن وجدت خرجاً، يُقال لك مثل أهل العالم الموجودين خرجاً باستتار: " يا غبي، هذه الليلة تؤخذ نفسك منك، فهذه التي أعدتها لمن تكون؟" يُقال لك نفس هذا الكلام إذا قلت في نفسك: " أهدم مخزني وابني أعظم منها، وأهل لنفسي: يا نفسي كلي وشربي لك خوات كثرة تكفيك لسنين كثرة". رأيت إذن كيف أن الإنسان الذي يعيش أسفل "الجبال" وأسفل "الآكام" وخرج "شقوق الأرض" يخطئ حتى في تقوده للخوات، حاسباً أن تلك الأشياء التي على الأرض خوات. يظن أن القمح وكثرة الأشياء الأرضية تسمى خوات، ولا يترك أن الخوات الحقيقية لا توجد في الأرض التي تزرعها وإنما في السماء، ولأنه حسب أن الخوات موجودة في الأشياء الأرضية ظل يكثر كنزاً على الأرض. لكن إذا اتبع أحد قول السيد المسيح وكنز كوزه في السماء، فلن يُقال له: "يا غبي، هذه الليلة تؤخذ نفسك منك"، بل يأخذه القانصون من على الجبال أو من على الآكام أو من بين الصخور ليقوده إلى حيث الراحة الأبدية في أحضان القديسين والأنبياء وكل المطوبين في المسيح يسوع. " لأن عيني على كل طرفهم"، أي طوق الأوار الذين نتحدث عنهم. فإن عيني الرب موكدة على كل طرق الناس الذين يعيشون على الجبال وعلى الآكام وبين شقوق الصخور. "لم تستر عن وجهي" أو "لم يختبئوا من أمام وجهي"، أي أن الأوار لا يختبئون من أمام وجه الرب، أما الأثوار فيختبئون.

سمع آدم بعدما كسر الوصية صوت الرب يتمشى في الجنة فاخْتَبَأَ، أما الأوار فلا يختبئون، بل تعطيهم الحياة المقدسة في الرب ثقة يستطيعون من خلالها أن يقفوا أمامه، لأنه "إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه" (1 يو 3: 21-22).
بالوغم من أن آدم قد أخطأ إلا أن خطيئته لم تكن خطية فظيعة، لهذا اختبأ من أمام وجه الرب، أما قايين فكانت خطيئته أكبر بكثير، إذ قتل أخاه، فماذا فعل؟ "خرج قايين من لدن الرب" (تك 4: 16). بالنظر إلى الحالتين نجد أن الاختباء من وجه الرب "يكون من أجل شرٍ أقل. في الواقع "الاختباء" دليل على خزي الإنسان من خطيئته.

إذاً فإن الأوار "لم يختبئوا من أمام وجهي". حدث بعد ذلك أن هُلب الأوار سقطوا في بعض الخطايا، ثم قام الصيادون المُسلون من قبل الله بانتشالهم خراج خطاياهم أي من البحر. حتى لا يظن هُلب الأوار أن انتشالهم مرة أخرى من الخطية وصعودهم ثانية إلى "الجبال"، ورجع إلى وهم أو قداسهم أو استحفاقهم يذكرهم الكتاب ويذكرنا نحن أيضاً بخطايانا السابقة، فيضيف قائلاً: "ولم يختفِ إثمهم من أمام عيني" [17] [345].
يقول القديس جيروم أن اليهود المعاصرين له يفسرون صيادي السمك أنهم الكلدانيون، وصيادي الوحوش هم الرومانيون. غير أنه يمكن القول عن صيادي السمك أنهم المصريون الذين رتبوا بالنيل، وأن صيادي الوحوش هو البابليون، فإن كانت مملكة يهوذا تلة تلجأ إلى فوعن ضد بابل أو العكس، فإنه لن ينقذها هذا أو ذاك بل الرجوع إلى الله. وكأن رميا النبي يحوهم من الاعتماد على فواع بشر.

وَأَعاقب إثمهم وخطيئتهم ضعفين،

لأنهم دنسوا أرضي،

وبجثت مكرهاتهم ورجاساتهم قد ملأوا مواتي" [18].

وي البعض أن الكلمة العبرية *misneh* التي تترجم عادة ضعفين *double* يمكن أن تفهم بمعنى معادل *equivalent*. هذا التعادل يحدث بأنهم دنسوا أرض الله بالآلهة التي بلا حياة، وكأنها جثث ميتة، لذا سقط عابوها في الموت وألقيت جثثهم على الأرض لتدنس الأرض عينها التي دنسوها أثناء حياتهم بعبادتهم للأوثان (راجع إش 47: 6).

يقول العلامة أوريجينوس: [إن كلمة "وَلَا" موجودة هنا فعلاً في موضعها الصحيح، لأن جزاء الإثم يكون "وَلَا" ثم يأتي من بعده جزاء الخير. فإن الله لا يوزع الجزاءات بالترتيب العكسي. لأنه لو كان قد أعطى جزاء الخير وُلَاً لكان يجب أن تتوقف أعمال الخير حتى يمكننا أن نعاقب على الإثم. لكنه يُجري الآن عن الخطية، حتى إذا انتهت الخطايا، تنتهي أيضاً عقوباتها، وبعد ذلك يجري الله عن أعمال الخير. كذلك تجد في الكتاب المقدس أن الله يتحدث "وَلَا" عن الأشياء التي تبدو أكثر حرناً ثم يذكر بعد ذلك الأشياء الأفضل منها: "أنا أميت وأحيي، سحقت وإني أشفي" (تث 32: 39). "لأنه

هو يروح ويعصب، يسحق ويده تشفيان" (أي 5: 18). لذلك فالإنسان الذي يفهم هذه الكلمات ويدرك معنى "عقاب الخطية أولاً" يمكنه أن يقول مع الموتل: "يلب من يسكن في مسكنك، من يحل في جبل قدسك؟ السالك بلا عيب، والفاعل البر، والتكلم بالحق في قلبه، الذي لا يغش بلسانه ولا يصنع بقربيه سوءاً، ولا يحمل تعبير على جوانه. فاعل الشر مرنول أمامه. ويمجد الذين يتقون الرب" (مز 14) [347].

يقدم الله تعليلاً لتأديبهم، قائلاً: "لأنهم دنسوا رضى" [18].

ينسب الله القنوس لنفسه هذه الأرض التي وهبها لشعبه، لذا لاق بهم أن يسلكوا فيها كما يليق بصاحبها القنوس، فتكون أرضاً مقدسة، وتصير لهم آمناً، وتقدم لهم احتياجاتهم، حسب وعده الإلهي: "تتعلمون فوائضي وتحفظون أحكامي وتعملونها لتسكنوا على الأرض آمنين، وتعطي الأرض ثورها، فتأكلون للشعب وتسكنون عليها آمنين" (لا 25: 18-19).

يليق بكل ما ينسب للقنوس أن يكون مقدساً: ملائكته وكل الطغمت السمائية، المؤمنون به، هيكله، الأواني المستخدمة فيها، المذبح الخ. حتى الأرض التي يقدمها لشعبه! ويحسب الله كل تدنيس أو إفساد لقدسية هذه الأمور إهانة موجهة إليه شخصياً! بمعنى آخر كل استهتار في بيت الرب الذي دُشن باسمه القنوس؛ كل تهاون بالهيكل المقدس، كل تدنيس لجسدك الذي هو هبته لك كهيكل لروح القنوس... إنما هي خطية موجهة ضد الله. كثراً ما يتساءل بعض الشباب: لماذا يحسب الله الفكر الشوهاني خطية؟ أو لماذا يُعتبر الزنا خطية مادامت برضى الطرفين وليس من يصيبه ضرراً في المجتمع؟ الإجابة أن فكرك كما جسدك وجسد الغير هو مركز ملكوت الله القنوس، حتى الفكر الخفي الشير إن قبلته بتهاونٍ ووَاحٍ فيه إساءة إلى مقدسات الله. عندما يمر بك فكر شير قل لنفسك: "لا تدنس أرض الرب المقدسة!"

ربما يقول الله عن شعبه: "لأنهم دنسوا رضى" [18] ، يمكننا أن نفهم لماذا طلب الله من رميا التوقف عن مشركة الشعب في كل شيء. الأرض التي تدنست لا تستحق أن يقيم فيها رجل الله عائلة تستقى فيها، ولا أن يشرك الشعب في ولائهم سواء في الأخوان أو الأواح، بل يعزل كل شيء! هكذا إذ ندنس أرض قلوبنا نُحرم من الحضرة الإلهية ومن شركة القديسين والسمائيين حتى نعود بالتوبة فنقدس بعمل روح الله القنوس، نتحد مع الآب في ابنه، وتكون لنا شركة مع القديسين وننعم حتى بالعبادة مع السمائيين.

"يلب عوي وحصني وملجأي في يوم الضيق،

إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون:

إنما ورث آباؤنا كذباً وأباطيل وما لا منفعة فيه.

هل يصنع الإنسان لنفسه آلهة وهي ليست آلهة؟!

لذلك هأنذا أعرفهم هذه المرة،

أعرفهم يدي وجبروتي، فيعرفون أن اسمي يهوه" [19-21].

يختتم هذا الأصحاح بقطعة شعرية رائعة تتحدث عن خلاص الشعب من السبي، وفي نفس الوقت عن خلاص الأمم وقبولهم الإيمان فتكون لهم معرفة حية بالله مخلصهم.

يكشف رميا النبي عن عظمة خلاص الله، الأمر الذي يشد انتباه كل الأمم فيدركوا ان ما حدث لم يكن عن قوة بابل عندما سبت يهوذا ولا عن ضعفها عندما تحرر الشعب كله (إسائيل ويهوذا)، وإنما هي خطة الله ضابط التاريخ، في يده كل أمور البشرية.

يقوم الله بدور المدرس ليعلم الأمم بطلان العبادة الوثنية ويكشف لهم عن نفسه وعن قنوته واسمه لكي يختبروا الحياة معه.

يُلقب الله: "عوي (قوتي)، "حصني"، "ملجأي"، وهي عبارات وردت في الزوامير (18: 3-4؛ 28: 1-7؛ 59: 11، 18-19) وفي مواضع

أخرى تعبر عن الثقة في الله العامل في حياة ولاده.

لم يكن حلمًا لدى رميا النبي أن تأتي الأمم من كل أطراف الأرض لتعترف ببطلان آلهتهم الوثنية، وتتوقف على الرب وعلى يده القوية وعلى

اسمه، إنما كان ذلك نوبة عن الخلاص التي تتحقق بمجيء المسيا مخلص العالم كله.

هنا نلاحظ تكرار كلمة "أعرف" ثلاث مرات، ربما إشارة إلى التمتع بالإيمان الثالوثي.

أعلن إشعياء النبي عن هذا الحدث العجيب قائلاً: "عزوا عزوا شعبي... صوت صلخ في البرية: أعنوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلاً لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير الموج مستقيماً والواقيب سهلاً، فيعلن مجد الرب وراه كل بشر جميعاً، لأن فم الرب تكلم" (إش 40: 1-5). وقد اقتبس القديس مرقس هذا القول النبوي في بدء إنجيله (مر 1: 15).

ويعلق القديس أغسطينوس على كلمات لرميا النبي: [هوذا الآن يحدث هذا؛ هوذا الأمم تأتي من أقاصي الأرض إلى المسيح تنطق بأمر كهذه نزعة عنها عبادة الأوثان!]. [348]

يقول العلامة أوريجينوس: [هلموا لئى ماذا تقول النبوة عنا: 'يلرب عوي وحصني وملجأى في يوم الضيق، إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون: كاذبة هي الأصنام التي عبدها آبؤنا ولا يوجد فيها منفعة'] [19]. جاءت الأمم من أطراف الأرض. كيف "من أطراف الأرض"؟ يوجد على الأرض أناس أولون ويوجد أيضاً أناس آخرون. فمن هم هؤلاء الأولون؟ أولون على الأرض وليسوا أولين على كل شيء؟ هم حكماء هذا العالم وأغنيؤه. ومن هم الآخرون؟ واختار الله أدنياء العالم والمزوى وغير الموجود ليبطل الموجود" (1 كو 1: 28). إذاً "تأتي الأمم من أطراف الأرض". كأنه يقول: إن تلك الأمم مكونة من الأدنياء والمزوى بهم والجهال والناس الآخرين على الأرض.

'ويقولون: إنما كاذبة هي الأصنام التي عبدها آبؤنا ولا يوجد فيها منفعة': ليس أن يوجد أصنام صادقة عكس الأصنام الكاذبة المذكورة في الآية، إنما يقصد بها الأصنام عموماً، التي بطبيعتها كاذبة ولا يوجد فيها منفعة. [349]

"هل يصنع الإنسان لنفسه آلهة وهي ليست آلهة؟!

لذلك هأنذا أعرّفهم هذه المرة،

أعرّفهم يدي وجبروتي، فيعرفون أن اسمي يهوه" [20-21].

يقول العلامة أوريجينوس: [هل يصنع الإنسان لنفسه آلهة؟!] [20]. لا يصنع الناس لأنفسهم آلهة من خلال التماثيل والأصنام فقط، لكنك تجد أيضاً أناساً يصنعون لأنفسهم آلهة من خلال أوهامهم وتصوراتهم (الفلاسفة والهاطقة). عموماً جميع الذين يصنعون لأنفسهم آلهة أخرى غير الرب، وخلقاً أخرى مخالفة لترتيب العالم الذي أخبرنا به الروح (روح الله) ومخالفة للعالم الحقيقي، كل هؤلاء يصنعون لأنفسهم آلهة، ويعبدون عمل أيديهم. إذن كل الذين يصنعون لأنفسهم آلهة من الأصنام والذين يصنعونها من تصوراتهم الشخصية، يرفضهم الرب إذ قيل:

"إذا صنع الإنسان لنفسه آلهة إذا فهي ليست آلهة.

لذلك هأنذا أعرّفهم هذه المرة أعرّفهم يدي وجبروتي".

"هذه المرة"، ماذا يقصد بـ "هذه المرة"؟ يقصد بها المجيء التالي للرب، خاصة لأنه يضيف بعد ذلك: "فيعرفون أن اسمي يهوه" [350].

من وحي لرميا 16

دنسوا لرضي

❖ هذه هي شكواك في كل العصور:

"لأنهم دنسوا لرضي!"

منعت رميا من أن يقيم أسوة،
تكون له زوجة وولاد،
وأن يشترك في ولائم الجنرات والأفواح،
لأنه يعيش في أرض لا تستحقه!
هوذا رميا يبكي، وجوان قلبه توجعه،
يريد أن تتقدس أرض الله التي تدنست!

❖ أحجل من أن أحذتك يا إله رميا،
قلت إلى أرضي لتقيم ملكوتك المقدس في داخلي،
قدمت لي دمك الثمين خلاصًا،
وتوثي دومًا لضعفاتي!
تريد أن تضميني إليك،
فأصير أهل بيت الله،
أنعم بشركة القديسين،
وبالتسبيح مع كل طغمة السمائيين!

قدس أرضي، ففي غبلوتي دنستها برادتي!

❖ حسب مواعيدك الصادقة
هب لي خروجًا جديدًا،
ليس خروجًا من عبودية ووعون،
ولا خروجًا من سبي بابل،
بل تحررًا من سلطان الخطية الجبلة!
حررني... قدسني... يا غوي وحصني وملجأي!

❖ هب لي معرفتك الحقّة يا قنوس،
فانجذب إليك ويجري معي كثيرون نحوك!
ضمنا إلى ملكوتك أيها القنوس،
ورد لأرضك قدسيتها!
حول أرض قلبي إلى سمواتك!
عوض الظلمة التي حلت في أشرق بنورك عليّ.
تعال أيها الرب يسوع،
أرضك في داخلي تترقب حلولك!
نعم، تعال يا مخلصي القنوس!

هوذا نفسي وفكري،
جسدي وأحاسيسي،
قلبي وكل أفكاري،
قد صلت أرضك المقدسة!
تعال، واستلم أرضك فيّ، فلا تتدنس!
روحك القدوس هو مقدسها وحرسها والعامل فيها!

<<

الأصحاح السابع عشر

خطايا يهوذا

بين الحين والآخر يكشف الله لنا لا عن خطورة الخطية وفعاليتها فحسب، وإنما يعلن عنها في تفاصيلها كما عن أثرها في أعماق الإنسان وطبيعته، حتى نحذر منها فنهرب إليه، بكونه الطبيب والنواء، يستطيع وحده أن يجدد طبيعتنا ويهبها الشفاء!

1. الخطية المحتملة للقلب [1-4].

2. الاتكال على نواع بشر [5-8].

3. القلب نجيس! [9-10].

4. الارتباط بالأضيات [11-13].

5. الله مخلصنا منها [14-18].

6. كسر السبت [19-27].

1. الخطية المحتملة للقلب:

قبل أن يحدثنا عن أهم الخطايا التي سقط فيها هذا الشعب، والتي نسقط نحن فيها بصورة أو أخرى صور لنا خطورة هذه الخطايا بكونها تحتل القلب نفسه الذي كان يؤرم أن يكون هيكلًا لله، وتحت على قرون المذبح الداخلي، فتوح رائحة الدنس فينا عوض رائحة المسيح الذكية.

"خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد،

وأس من الماس،

منقوشة على لوح قلبهم،

وعلى قرون مذابحهم" [1].

يقول العلامة أوريجينوس:

توجد نوة أخرى، لا أوى كيف أنها غير موجودة في الترجمة السبعينية لكننا نجدتها في النسخ الأخرى، خاصة وأنها موجودة في العبرية.

هذه النوة مليئة بالتعاليم الهامة والضرورية، التي إن طبقناها في حياتنا يمكننا أن نقودنا إلى التوبة. إليكم كلماتها: "خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد

وأس من الماس منقوشة على لوح قلبهم" [1]. يمكننا أن نلجأ إلى التفسير السهل فنقول إن "الخطايا المكتوبة" هي خطايا شعب اليهود.

لكننا إن دققنا النظر كما وضعنا قبل ذلك فإن كلمة "يهودا" يُقصد بها السيد المسيح، لذلك تصبِح "خطية يهودا" هي خطيتنا نحن الذين نؤمن أن السيد المسيح جاء من سبط يهودا.

إن رُدت أيضا تفسيرًا آخر لتلك الآية، يمكننا القول بأن النبي يقصد هنا **يهودا الاسخريوطى الخائن** ، بذلك تقول النبوة عنه: "خطية يهودا مكتوبة بقلم من حديد، وأس من الماس منقوشة على لوح قلبهم"، ولكن جاءت كلمة "قلوبهم" بصيغة الجمع لا تلائم حالة يهودا الخائن. ألا تنطبق هذه النبوة علينا نحن بالأكثر؟ لقد أخطأنا وخطيتنا لم تُكتب خرجًا عنا، إنما في قلوبنا، كُتبت بقلم من حديد وأس من الماس. سنتثبت التجربة أن الخطايا التي نرتكبها نُكتب في داخلنا بمجرد أن نرتكبها. كما لو كانت "علامة" الخطية تُنقش في داخل نفسي لمجرد إنني ارتكبتها. لو كانت خطيتي قد كُتبت بالحبر، لاستطعت أن أمحوها، ولكن ها هي قد كُتبت بقلم من حديد وأس من الماس، وكُتبت كذلك في قلبي، لكن إذا ما وقفت لأحاكم في اليوم الأخير، تتحقق النبوة القائلة: "لأنه ليس مكتومًا إلا سيظهر ولا خفيًا إلا سيعلم". سيتم الكشف عن قلبي لأقف عريًا أمام الجميع، حيث يقرأ الكل علامات الخطايا المكتوبة بقلم الحديدي وأس الماس التي ستكون ظاهرة لجميع الناس. كُتبت عن ذلك: "إذًا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب" (1 كو 4: 5)، لمن سيُظهِر؟ ليس لنفسه، لأنه هو العرف كل الأشياء قبل أن تكون، إنما سيُظهر آراء القلوب للناس الأتقياء الذين بنقائهم يستطيعون أن يروا خطايا الناس الذين أخطأوا، حتى "يستيقظون إلى العار للإرواء الأبدي" (دا 12: 2).

ليحفظنا رب جميع الأشياء لكي نستيقظ ونقوم في اليوم الأخير بالمجد الذي للمسيح يسوع، الذي له المجد والقدرة والسلطان إلى دهر الدهور

آمين [351].

تحمل الخطية القلب نفسه، وكما يقول القديس أمبروسيو: [تُوجد الخطية في موضع النعمة، لكن الخطية تُكتب بقلم أما النعمة فبالروح]. تُسجل الخطايا التي نرتكبها في داخلنا لأننا نرتكبها بإرادتنا، وعلامة تسجيلها ليس فقط أنها تُعلن في يوم الرب، وإنما تظهر أيضًا حينًا إذ يسيطر فينا الشر، ويجد إبليس عدو الخير له فينا موضعًا، يصير له الحق أن يعمل فينا عوض السلطان الذي صار لنا وبه ندوس عليه تحت أقدامنا. بل تكابنا الخطية نفقد سلطاننا الداخلي، خاصة على الأفكار والأحاسيس. في هذا يقول الرسول بولس: "أفكرهم فيما بينها مشتكية أو محتجة" (رو 2: 15).

ماذا يعني بقلوبهم [1] هنا؟

الكلمة العبرية التي تُترجم هنا "القلب" يمكن أيضًا ترجمتها "العقل" أو "الإرادة" ، ويقصد بها القوة الموكية داخل الإنسان التي توجهه ليأخذ قراراته. وأيضًا بالنسبة للجماعة تعني أصحاب السلطة الذين يعطون قراراتهم [352]. القلب هنا يعني إرادة مملكة يهودا، إذ سبق فقال: "أزوعا غول قلوبكم يارجال يهودا وسكان أورشليم" (4: 4)، كما قال: "اغسلي من الشر قلبك يا أورشليم" (4: 14). ملك الشر عميقًا في قلوبهم، وسيطر على إرادة الجماعة كلها، لهذا صلت الحاجة إلى عهد جديد يمس أعماق القلب، ويقدم الإرادة الداخلية، ويجدد الطبيعة البشرية. عن هذا العهد يقول: "ها أيام تأتي يقول الرب، وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهودا عهدًا جديدًا... اجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا" (31: 31-33). ما دامت تخرج الخطية من أعماق القلب ومن خلال الإرادة، فالحاجة إذن إلى عهد جديد لا تُكتب فيه الشيعة على ألواح حجرية بل تخترق الأعماق الداخلية.

بلغت الخطية قلب مملكة يهودا، إذ احتلت أورشليم مدينة الله المقدسة، وبلغت قلبها، وتعلقت بقرون المذبح بكونها قلب المذبح، أو أقدس موضع فيه (لا 16: 18، عا 3: 14)، هذا الذي من خلاله تتم المصالحة بين الله والشعب، ويتمتع الشعب بقوة الله وإمكاناته (القرون)، فصلت منقوشة بألة حديدية خاصة بالنحت، هذه التي لا يليق أن تمس مذبح الله (تث 27: 5؛ خر 20: 25). بإصوّرهم على الشر استخدموا آلهة رأسها من الماس ليسهل عملية الحفر أو النقش.

الاتهام بحق خطير لأنه يمس حياة الشعب كله في علاقته بالله، كما يمس المقدسات الإلهية، وأيضًا العمل الكهنوتي! قدم الله لشعبه لوحَيّ الشريعة منقوشين على حجارة بأصبعه الناري (خر 32: 6)، وجاء تجاوب الشعب مناقضًا لذلك، إذ قدموا خطيتهم منقوشة على مذبح الوب. هو يقدس قلوبنا الحجرية ليعمل منها مقدسًا له، ونحن في شرنا ندنس حتى مقدساته.

يفسر كثير من الدارسين ما ورد في هذا القسم (17: 1-4) على أنه يخص خطايا جنسية وإباحية ورجاسات. لما كانت الخطية الرئيسية التي ارتكبتها مملكة يهوذا - حسب سفر رميا - هي الخيانة الزوجية أو الرنا الروحي، لهذا يفسر البعض عبارة: "خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد، وأسس من الماس منقوشة على لوح قلبهم وعلى قرون مذابحكم" [1]، هو انهم كانوا ينتحون على المذابح خاصة قرونها الأربعة الأعضاء الجنسية للذكر ويتعبون لها... صورة بشعة **للاحطاط الأخلاقي والرجاسات التي بلغها الشعب علانية**، حيث كانوا يملسون ما يُدعى بعبادة الذكر *Phallic worship*.

"كذكر بنينهم مذابحهم وسوراهم عند أشجارٍ خضرٍ على آكام مرتفعة" [2].

السرية هي عمود خشب مستقيم يُثبت على الأرض بجوار المذبح، وهو يمثل إلهة الخصوبة، هذه التي من أجلها وبخ الله شعبه قائلاً: "قائلين للعود أنت أبي" (2: 27)، كوع من السخرية، لأنها مؤنث ويخاطبونها كأبٍ لا كأم، أي فقنوا روح التمييز الطبيعي.

وي *R.E. Clements* [354] أن إقامة السوري مرتبط بطقوس خاصة بالخصوبة، إذ كانوا يتطلعون إلى الخصوبة والممرسات الجسدية كأمرين يمسان قوة الحياة السرية، لهما أثرهما حتى على محاصيل النباتات وإخصاب الحيوانات. هذه القوة تصدر عن ممرسات بين الآلهة والإلهات، وإن ممرسة الرجال والنساء ومشركتهم في هذه الطقوس تعطيهم قوة الحياة.

لعله لهذا السبب كانت الرجاسات تملس بجوار مذابح مقامة تحت كل شجرة خضراء على أكمة مرتفعة، لكي تقدم الآلهة الخصوبة للنباتات والحيوانات كما للإنسان.

لا يقف الأمر عند خصوبة النباتات والحيوانات، وإنما هذه الممرسات - في ذهنهم - تهبهم قوة للصواع ضد قوى الموت السرية غير المنظورة. وكان الخصوبة والجنس يمثلان حياةً أو موتًا، بقاءً أو دمارًا! لهذا لا نعجب إن رتبنت المذابح والسوري بالممرسات الدنسة والرجاسات كطقس ديني، كما يظهر من (2 مل 23: 5-7). أما ثمر ذلك فهو:

"يا جبلي في الحقل،

أجعل ثروتك كل قرانك للنهب

ومرتفاتك للخطية في كل تخومك،

وتتوأ بنفسك عن موائك الذي أعطيتك إياه،

وأجعلك تخدم أعداءك في أرضٍ لم تعرفها،

لأنكم قد أضرمتم نراً بغضبي تتقد إلى الأبد" [3-4].

على ضوء ما سبق الإشارة إليه بخصوص ارتباط الوثنية بالرجاسات وي بعض الدارسين مثل *Holladay* أن الثروة والقران هنا إشارة إلى أعضاء الذكر بشيء من السخرية، حيث كان معتقدتهم هكذا. إذ عبوها صار الخواء من ذات النوع، حيث خصى الأعداء رجالهم العظماء حتى لا ينجوا وألادًا يمكن أن يفكروا في العودة إلى أرض الموعد كمواثٍ لهم، بل يبقى المخصيون عبيدًا لسادتهم، الأمر الذي يمس وجودهم ذاته. هكذا لم تهبهم عبادتهم قوة الإنجاب ومقاومة الموت بل انهيلًا وتحطيمًا وموتًا!

2 . الاتكال على نواع بشوي:

أول خطية تهاجم الإنسان هي اعوالة الله مصدر حياته متكلًا على فواعه البشوي أو الأنواع الأخرى.

يتحدث النبي ضد الذين لا يرون في الله أنه ينوع حي، بل يشقون لأنفسهم أبولًا أبولًا لا تضبط ماءً (2: 13). إنهم يجرون وراء سواب يحمل مياهاً خادعة (15: 18). الآن يطالبهم الله بالتوبة، موضحًا لهم أن من يتكل على فواعٍ بشوي لا على الله يصير صواء قواء بلا ثمر. أما من يُصر على الاتكال على الله حتى في لحظات الضيق فسيأتي بثمر حتى في وقت الجفاف أو القحط.

سنة الجفاف لا تقدم ماءً لغير المتكلين على الله كما للمتكلين عليه، لكن الفلر أن الأولين يجفون كالوعر ويصيرون كقشٍ بلا ثمرٍ أو كلرُضٍ مملحة أو حجرية، أما الآخرون فبالإيمان تمتد جنورهم لتمتع بالمياه الخفية وتقدم للساق والأوراق احتياجاتها فلا يتوقف الثمر.

" هكذا قال الرب:

ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان،

ويجعل البشر (الجسد) فواعه وعن الرب يحيد قلبه...

مبلك الرجل الذي يتكل على الرب وكان الرب متكله" [5، 7].

لعله لهذا الهدف يسمح الله لنا بالضيقة حتى تتبدد أماننا كل الأنواع البشرية ونجد الله هو الملجأ الوحيد لنا. وكما يقول القديس جيروم: [أتريد أن يسمع لك الرب متحنًا؟ أدعوه وأنت في الضيق فيجيبك مترفقًا. فإنه لا يقدر الإنسان أن يدعو الرب لمعونته إلا وهو في الضيق، حيث يكون فواع الإنسان بلا قيمة].

يقدم الله لنا ذاته لكي نفتننه سر هرة وشبع فلا نعتاز إلى شيء، أما إذ وضعنا ثقنتنا في أنفسنا أو طاقاتنا أو خواتنا الماضية أو سلطاننا أو اقربائنا أو أصدقائنا، أي نتكل على الجسد، ينسحب الله منا ونسقط!

❖ يليق بنا أن نعتمد على الله وحده وليس على أحدٍ غوه، حتى إن قيل إنه جاء من فردوس الله، كما يقول بولس: "إن بشوناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشوناكم فليكن أناثيما" (غلا 1: 8) [355].

العلامة أوريجينوس

❖ لينسحب الإنسان من ذاته، لا لينحط إلى أسفل!

لينسحب الإنسان من ذاته ليلتصق بالله [356].

القديس أغسطينوس

❖ لتتحدث الآن عن الآية الموجودة في الأصحاح السابع عشر، والتي تقول: "ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل الشر فواعه" (17: 5).

هذه الكلمات تساعدنا وتمكننا من الرد على الذين يعتقدون أن المخلص كان إنسانًا ولم يكن أبدًا ابن الله، لأنه إلى جانب حوائم الناس، فإن بعضًا منهم تجرأوا أن يقولوا إن "الوحيد الجنس والكائن قبل كل الخليقة" ليس هو الله.

"ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان"، يمكنني أن أقول إنني لا أتكلم على إنسان؛ فحينما أتكلم على السيد المسيح، لا أعرفه كإنسانٍ (موجود معي بالجسد)، لكنني أعرفه بكونه الحكمة والعدل، بكونه الكلمة الذي به كل الأشياء خلق ما في السموات وما على الأرض، ما وى وما لا وى.

بالرغم من أن المخلص يشهد ويؤكد أن ما أخذه كان جسدًا بشويًا إنسانيًا، وبالرغم من أنه كان إنسانًا بالحقيقة، إلا أنه لم يعد إنسانًا في وقتنا الحاضر. لأنه وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد" (2 كو 5: 16). أنا نفسي، بالسيد المسيح، لم أعد بعد إنسانًا، فهو يؤكد لنا: "أنا قلت أنكم آلهة وبني العلي تُدعون".

"ملعون الرجل الذي يتكل على الإنسان ويجعل البشر فواعه": أي ملعون الذي يعطي قيمة للأشياء الجسدية والمادية والذي يستخدم قوته الجسدية

ويتكل على جسده. أما الإنسان البار فلا يجعل البشر فواحه إنما يحمل في جسده كل حين إماتة الرب يسوع ويميت أعضائه الجسدية، الأنا والنجاسة؛ وبإماتة أعضائه لا يتكل على فواحه.

هذه الآية أيضاً موجهة إلى الذين يتكلمون على الواكز العليا والوسائط لمساعدتهم: إن صديقي فلان رجل سياسي كبير؛ أو محافظ؛ أو حاكم؛ أو ان صديقي هذارجل غنى يعطيني بسخاء. يجب علينا ألا نتكل على أي إنسان حتى ولو بدى صديقاً لنا. اتكالنا هو على ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي له المجد والقوة إلى دهر الدهور. آمين. [357]

العلامة أوريجينوس

- ❖ [358] لا يمكننا القول بحق إن الإنسان لا يضع رجاءه في إنسان متى وضعه في نفسه.
 - ❖ [359] إن وضعت رجاءك في إلهك لن تخوى، فإن الذي تضع فيه ثقته لا يمكن أن يخدع.
 - ❖ ليس أحد يليق به أن يثق في ذاته ليصير مواطناً في المدينة الأخرى الغير مدشنة باسم ابن قايين في هذا الزمان الحاضر، أي في الفترة الوائلة لهذا العالم الميت، وإنما في الخلود للوكة الدائمة. [360]
 - ❖ ينبغي للشخص ألا يكون له فوحه في ذاته، إن تطلع إلى الأمر بوضوح، إذ لا يليق بأحد أن يحب حتى ذاته لأجل ذاته، بل لأجل (الله)، ذلك الذي هو موضوع المتعة الحقيقية. [361]
 - ❖ يؤمننا ألا نطلب شيئاً إلا من الله الرب، سواء ما نرجو عمله حسناً، أو نرجو نواله كمكافأة عن الأعمال الصالحة. [362]
- هذه هي الخطية الأولى: "الاتكال على فواع بشر"، خاصة اتكال الإنسان على وه الذاتي أو قراته أو مواهبه أو خواته القديمة لا على فواع الرب. مثل هذا يحرم نفسه من مجلى مياه الروح القدس، القادر وحده أن يقود نفسه بكل إمكانياتها، وجسده بكل أحاسيسه وقراته ليحيا كشجرة مثورة تحمل ثلاثين وستين ومائة!
- أشر خطية يملسها الإنسان هي اتكاله على ذاته أو على الآخرين، وأجمل فضيلة يملسها الإنسان هي أن يرتمي عل صدر الله ليتقبل عمل الروح القدس فيه، فيشكله على صورة المسيح ويجعله على مثاله، ويهبه شوكة الطبيعة الإلهية، مهما بدت الظروف قاسية ومقاومة للعمل الإلهي!
- ❖ لئنه لا يغش إنسان نفسه، لئنه لا يخدع أحد ذاته، فإن الرب وحده يقدر أن يرحم. هو وحده القادر أن يهب غواناً عن الخطايا التي لُتكتبت ضده، هذا الذي حمل خطايانا وتألّم لأجلنا. [363]

القديس كيريانوس

إذ كان لرميا النبي يتحدث عن التأديب بالقحط، لذا أوضح أن من يتكل على فواع بشوي يصير كنبات الوعر الذي يظهر في منطقة العربة، هذا الذي سوعان ما يصير كالثقش الجاف. أيضاً يشبه النبات المزروع في أرض مملوءة ملوحة، هذا وكان وجود الملح في التربة يُحسب لعنة. أما الذين يتكلمون على الله فينالون ثوراً حتى في فترة الجفاف أو القحط:

ويكون (المتكل على جسد) مثل الوعر في البادية (الصواء)،

ولا يرى إذا جاء الخير،

بل يسكن الحر في البرية أرضاً سبخة (حقولاً حجرية) مملحة وغير مسكونة.

مبارك الرجل الذي يتكل على الرب.

وكان الرب متكله.

فإنه يكون كشجرة مغروسة على مياه وعلى نهر،

تمد أصولها ولا توى إذا جاء الحر،

ويكون ورقها أخضر،

وفي سنة القحط لا تخاف،

ولا تكف عن الإثمار" [6-8].

في الزمور الأول يتحدث المونل عن الرجل الذي يتمتع بكلمة الله كينوع مياه يجعله كشجرة دائمة الخضرة كثرة الثمر، أما هنا فيكشف عن الأعماق الخفية، حيث يحمل الإنسان جنوراً خفية تستطيع أن تبلغ إلى المياه الجوفية العميقة لتروى الأوراق وتقدم الشجرة ثملاً حتى في لحظات القحط، في الوقت الذي فيه يُحرم غورها من مياه الأمطار أو الأنهار.

3. القلب نجيس!

"القلب أخدع من كل شيء، وهو نجيس من يعرفه؟!"

أنا الرب فاحص القلب، مختبر الكل،

لأعطي كل واحدٍ حسب طرقه، حسب ثمر أعماله" [9-10].

نطق الرب بهذه الكلمات ولأ لكي يعطي راحة لإرميا النبي الذي كان يئن بسبب سقوط الشعب تحت السبي. كأن الله يقول له: تعال وانظر إلى أعماق القلب الذي أنا وحدي أعرفه، إنه نجيس! إنه مستحق للموت! فالتأديب هو لصالحهم، كي يطلبونني فأزوع عنهم فساد قلوبهم! إذ شوح القديس جيروم هذه العبارة اقتبس القول: "رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شوير كل يوم" (تك 6: 5).

وي Holladay أن كلمة "نجيس" هنا كما في ستة مواضع أخرى في العهد القديم من ثمانية (15: 18؛ 17: 16؛ 30: 12، 15، إش 17: 11؛ ميخا 1: 9، أي 34: 6) جاءت بأسلوب طبي، حيث يظهر الإنسان معانياً من الألم أو الكسر أو الحوح الداخلي، طبيئاً لا يمكن علاجه! [364] إنها مشكلة طبية لكنها لا تمس الأعضاء الظاهرة فحسب، بل أعماق الإنسان كما أعماق الجماعة، لأنها تمتد إلى الطبيعة البشوية.

جاء السؤال هنا كما في كثير من المواضع في سفر رميا لا إجابة عليه إلا بتدخل المسيا، إذ يتساءل: "من يعرفه؟" الإجابة: المسيا الذي خلقه وقادر أن يجده! هو وحده يمكنه أن يترك ما بلغ إليه حاله، وقادر أن يتدخل للعمل والعلاج. لهذا صوح رميا: "اشفني يارب فأشفى، خلصني فأخلص، لأنك أنت تسبيحتي" [14]. كأن رميا النبي في محبته لشعبه واتضاعه وصواحته يقول لشعبه: إنني وإن لم أشترك معكم في خطاياكم، لكنني أحسب

خطاياكم هي خطاياي، وجرحكم هو جرحي. هذا وإنني لا أتكلم من موقع المعلم المتوقع على تلاميذه والمُبرر في عيني نفسه، بل من موقع الخاطي المجرّح المحتاج معكم إلى طبيب ونواء! إلها ومخلصنا هو الطبيب وهو البلسان (8: 22) لكم ولي!

لقد سبق فتساءل: "هل يغير الكوشي جلده؟ أو النمور قطه؟" (13: 23). الآن لا يتحدث عن الكوشي أو النمور بل عن الطبيعة البشوية في كل العصور، كما اختوها النبي في حياته اليومية، وكمارآها في حياة الشعب المحيط به... إنها تحتاج إلى علاج مسياني.

وي R.E. Clements أن كلمات النبي هنا عن القلب أنه نجيس يطابقها نظرة فرويد وتحذوه من قوة العقل الإنساني على تحقيق خداع النفس [365] ، وكما يقول كثير من علماء النفس الحديثين إن الإنسان أقدر على خداع نفسه من خداعه للآخرين.

❖ الله وحده الذي يعوف أسوار الإنسان. اسمع ما يقوله النبي: "أنت وحدك تعرف القلوب" (2 أي 6: 30)، وأيضاً: "الله يفحص القلوب ويملك"

(مر 7: 9)، ويقول رميا: "القلب عميق فوق كل الأشياء، وهو إنسان، من يعرفه؟!" [9]. ينظر الإنسان الوجه، وأما الله فينظر القلب" (1 صم

[366] (7: 16).

يقول رميا: "القلب عميق أعمق من كل الأشياء، إنه إنسان، من يقدر أن يعرفه؟! [9] (LXX) [367]."

القديس يوحنا الذهبي الفم

وكما يقول البابا أنثاسيوس الرسولي : [وى أيوب العالم مكانًا يتجرب فيه البشر على الأرض (أي 7: 1) فيتركون في هذا العالم بالأخزان والأتعاب والغم، وينال كل واحد منهم المجزأة التي تتلائم معه، إذ يقول الله على لسان النبي: "أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لأعطي كل واحدٍ حسب طرقه" [10] [368].]

4 . الارتباط بالأرضيات:

إذ يتحدث فاحص القلوب عن قلب الإنسان معلناً أنه نجيس يكشف عن سرّ نجاسته وفساده، ألا وهو ارتباطه بالأرضيات عوض انطلاقه نحو الأبديات. يطلب الغنى لا فيما يليق بالقلب كهيكل الله المقدس، إنما بأمور العالم الوائلة وشهوات الجسد المؤقتة، فيكون أشبه بالحجلة التي تحتضن بيضاً ليس لها، فتتعب في الاحتضان وتضم ما ليس لها، وفي النهاية تظهر أنها سلكت عروها كله بحماقة.

"حجلة تنطق بصوتها (الترجمة السبعينية)،

تحتضن ما لم تبض،

محصل الغنى بغير حق،

في نصف أيامه يتركه،

وفي آخرته يكون أحمق" [11].

غالبًا ما كان هذا مثلًا شائعًا في ذلك الحين، يُقصد به أنه إذ يظن الإنسان أنه يملك لكنه وهو يتعب ويشقى يخسر الكثير ويتركه الغنى وهو بعد في العالم في منتصف أيامه، أما في آخرته فيدرك أنه سلك بحماقة.

هذا هو التفسير الحرفي للعبارة؛ وقبل أن نلقي ضوءاً عليها خلال المفهوم الروحي العميق نود توضيح أن الحجلة هي طائر ووي، يسمى في العبرية "قوري"، وتعني "الصلخ أو المنادي" ولعله لهذا السبب جاء في النسخة السبعينية: "حجلة تنطق بصوتها" أو "تعطي صوتها"، إنها صاحبة أصوات لكن بلا عمل حق! هكذا الغنى في جهاده المرّ من أجل التمتع بالغنى ماديًا أو الشبع جسديًا يكون كمن يعطي صوتًا بلا عمل، لأنه يتوك كل شيء ويخرج عريانًا من هذا العالم.

توجد الحجلة في فلسطين ويستخدمها الصيادون كطعم لاصطياد بعض حيوانات الوية (ابن سواخ 11: 30)؛ ويوجد منها نوعان في فلسطين: حجل الصواء أو حجل هأي الوملي *Amoperdix heyi* الذي قرن داود النبي نفسه به حاسبًا نفسه كحجلٍ مطرد (1 صم 26: 20)، والثاني حجل الشوكار *Caccabis Chukar* ويمتاز بلحمه الشهى للغاية، يطرده الناس حتى يلتقطونه بأيديهم، له ريش بهي الألوان عند طرفي الجناحين وساقان ومنقار أحمر داكن وعنق أسود قاتم، وهو طائر كبير [369]. يُقال إنه يصنع عشه في الأرض لا على الأشجار، لذا يسهل الوصول إلى صغره.

جاءت كلمة "حجلة" هنا بالمذكر، لأنه من عادة هذا الطير ان تقوم الأنثى باحتضان بعض البيض والذكر البعض الآخر [370].

أما التعبير "في نصف أيامه يتركه" فجاء في العبرية يحمل معنيين: إما أن الشخص الغني يترك غناه (بموته)، أو العكس الغنى ذاته يترك الإنسان حيث يفتقر الأخير. ولعل رميا النبي يقصد المعنى الثاني حيث يُساق الملك إلى السبي ويفقد ثرائه فكان غيبًا لأنه لم يسمع لصوت الرب، فقد غناه الزماني ومجده وأبديته. هكذا كل خاطي متمسك بشوه، إنما يحتضن ما ليس له ليتوكه، وقد تحدث إشعيا النبي عن الأحمق قائلًا: "لأن اللثيم

(الأحمق) يتكلم باللوم وقلبه يعمل إثماً ليصنع نفاقاً، ويتكلم على الرب بافزاء، ويفوغ نفس الجائع، ويقطع شرب العطشان" (إش 32: 6).

وى القديس هيبوليتس أن هذا الطائر متعجرف، فإنه إذ ترى الحجلة عش حجلة أخرى به صغار نون أمه يصنع صوتاً تقلد به صوت الأم وتدعو الصغار إليها وتأخذهم وتجرى بهم. فتبتهج منكورة أنها استولت عليهم، لكن إذ تأتي الأم الحقيقية وتنادى بصوتها يكتشف الصغار خداع الأولى ويتوكلون المخادعة ويذهبون إلى الأم الحقيقية. هذا يحدث عندما يأتي ضد المسيح، فإنه يجتذب البشرية إليه بخداع ليملك على من هم ليسوا له ويعدهم بالخلاص مع أنه غير قادر على خلاص نفسه. [371].

تشير الحجلة إلى إبليس وجنوده خاصة الهواطة، تعطي صوتها الذاتي، ولا تتطق بما لله، أما أولاد الله فينطقون بما لله لا بما لنواتهم، وكما يقول الرسول بولس: "إذ أنتم تطلبون وهان المسيح المتكلم في" (2 كو 13: 3). يتحدث القديس غريغوريوس النيصي عن الإنسان الذي يوتبط بحيل إبليس ويسقط تحت خداعات العدو: [لا يعود الله الصالح الحقيقي والآب إلهاً وأباً لذلك الذي بفساده يصير خلجاً عن القانون... وعود الآب يأتي من يبدو أباً والذي باطلاً يدعى الحجلة التي تحتضن ما لم تبض كقول رميا [372].

وى العلامة أوريجينوس أن الشيطان هو الحجلة مثل فوعون الذي لا يريد من الشعب إن يتوك أرضه ليعيد الرب.

❖ إنه (إبليس) لا يريدنا أن نتوك أرضه (خر 1: 11)، بل يريدنا دائماً أن نحمل صورة الزابي" (1 كو 15: 49). لكننا إن التجأنا إلى خصمه، ذلك الذي أعد لنا ملكوت السموات، يؤمنا أن نتوك صورة الزابي ونقبل صورة السموي. [373].

العلامة أوريجينوس

يعلل العلامة أوريجينوس [374] رمزية الحجلة لإبليس وتابعيه، قائلاً إن الحجلة ماكرة ومخادعة كما أنها دنسة. ماكرة تحوم حول أقدام الصيادين لتسحبهم بعيداً عن العش وإذ تظمن أن الصغار قد هربوا تود جناحها وتطير، هكذا لا ينال الصياد شيئاً. إنها كإبليس الذي استخدم الحية القديمة أحيل حيوانات البرية التي حامت حول الإنسان ولم ينل منها شيئاً. ويتحدث العلامة أوريجينوس أيضاً عن الحجلة كحيوان يمثل الدنس لأن الذكور تتشاحن معاً للتزوج فيما بينها.

الحجلة التي تحتضن ما لم تبض هي إبليس الذي يبسط شباكه خلال الهواطة فيقتنص في أحضانه البسطاء، هؤلاء الذين هم ليسوا من خليقته ولا مولودون منه، إنه يقتنيهم بالخداع والدنس. لا يقدر إبليس أن يقول: "خافي تسمع صوتي" (يو 10: 7)، لأنها ليست خرافه بل هي خراف الله الناطقة التي يسحبها من مصدر حياتهم ويحبسها وألاً له. وللأسف فإن الحجلة قد اغتنت جداً، لكنها توكتهم في نصف أيامها حين جاء السيد المسيح إلى العالم وسحب المؤمنين من حضن إبليس، وأما في نهاية أيامها فتظهر بالأكثر حماقتها.

في هذا القول يقول العلامة أوريجينوس:

[يقودنا الكتاب المقدس إلى تساؤل هام، وهو يدور حول معرفة من هي هذه "الحجلة" المذكورة في الآية: "حجلة تحضن ما لم تبض محصل الغنى بغير حق. في نصف أيامه يتوكه وفي آخرته يكون أحمق". نعتمد على ما يقوله "علم طبائع الطيور" [375] بخصوص موضوع الحجلة، حتى إذا ما عرفنا خصائص هذا الطير وطباعه، نستطيع حينئذ أن نصنفه إما ضمن أنواع الطيور الصالحة أو ضمن الطيور الشريرة. يُقال إن لها عادات كرهية، وهي ماكرة وخبيثة، فحينما تريد أن تخذع الصياد، تقوم بالالتفاف حول قدمي الصياد حتى تجعله يغير اتجاهه عن مكان العش، وعندما تظمن إلى أن الصياد لا يرى العش وإلى أن جميع صغرها قد تمكفوا من الهرب، تهرب هي أيضاً على جناح السوعة. كما أنها غير طاهرة بالمرة، لدرجة أن الذكور يتصلون مع بعضهم في معرك فريدة من نوعها لكي يتولوا ذكراً بذكور.

فيما أن لهذا الطائر عادات كرهية، وبما أنه غير طاهر، وخبيث، وكاذب، فإن إواجهه ضمن الأنواع الصالحة واعتبار أنه يمكن أن يشير إلى المخلص، هو لاشك نوع من الكفر والإلحاد.

[376]

يجب علينا أن نرى هل سنحصل على سمات مشتركة تمامًا بين الشيطان والحجلة، أم لا؟ [

انبدأ إذا بالكلمات الأتية: " حجلة جعلت صوتها مسموغًا وجمعت صغراً لم تلدهم".

لا يجمع الشيطان خليقته الخاصة، ولا يجمع أطفالاً (صغراً) مولودين منه، لكنه عندما يجعل صوته مسموغًا، يجمع خلائق آخر ويجعلها

خلائقه.

جعلت الحجلة صوتها مسموغًا عن طريق أهواه باسيليدس وموقيون وفالنتينوس وكل الهواطقة، فلا يستطيع أحد منهم أن يردد قول السيد

المسيح: " خرافي تسمع صوتي". "صوت" السيد المسيح موجود في فمي بطرس وبولس، لهذا قال بولس: "إذا أنتم تطلبون وهان المسيح المتكلم في..."

(2 كو 13: 3). لكن صوت الحجلة الذي يجمع صغراً لم تلدهم، نجده في الذين يضلون ويخدعون الناس البسطاء من بين المؤمنين ويستغلون سذاجتهم ونقص معرفتهم.

"حجلة جعلت صوتها مسموغًا وجمعت صغراً لم تلدهم، وهي تفتني لكن دون حُكم". لقد اغتنت الحجلة، أي الشيطان. أنظر كم من الآلاف

الذين يتبعون الشيطان! كل هذه الأعداد الغفيرة أصبحت ملكاً له، بهذا فقد اغتنى دون أن يدفع شيئاً، اغتنى دون أن يبالي بحكم ودون أن يقع تحت الحكم.

أما بالنسبة لمخلصي الصالح فقد اغتنى بحكم ، ولقد كلفه هذا الغنى أن يُحاكم ويموت حتى يختزلنا موثلاً له [377].

[لقد اغتنت الحجلة! أنظر كيف صار لها ربوات تمتلكهم بالقوة العوانية!... اغتنت دون أن تسلك بالحق ولا بمملسته [378].

[في وسط أيامها يتركونها" [11].

نحن جميعاً، الذين كنا قبلاً تحت سيطرة "الحجلة" وكنا نعمل على الاستماع لصوتها، لأنها لم تجعل صوتها مسموغاً فقط خلال الهواطقة الذين

ذكوتهم، بل وخلال كل الذين يخدعون الناس ويدعون إلى تعاليم وعقائد ضد الحق، متظاهرين بأنهم يدعون الناس من الضلال إلى التقوى. نعم! نحن

جميعاً قد "تركناها في وسط أيامها". مجموع أيامها هو في الواقع مجموع أيام هذه الحياة، وبما أن السيد المسيح قد اختزلنا من وسط هذا العالم الشوير

(علا 1: 4) فقد تركناها في وسط أيامها.

"وفي آخرتها تكون حمقاء" [11]، هل كانت عاقلة في يوم من الأيام؟ هل كانت حكيمة قبل ذلك حتى يُقال إنها في آخرتها ستكون حمقاء؟ نعم!

كانت عاقلة، لأنها "كانت أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله" (تك 3: 1). كانت حكيمة بحسب ما قيل في إشعياء "إني أعاقب ثمر عظمة

قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه لأنه قال بقوة يدي صنعت وبحكمتي لأني فهم، ونقلت تخوم شعوب" (إش 10: 12-13).

بعد أن كانت حكيمة في الشر تصبح حمقاء فيه. ستفهم ماذا تعني الكلمات "وفي آخرتها تكون حمقاء" إذا عرفت ما هو الغرض الذي من أجله

أوصاك الله، عن طريق بولس الرسول، أن تقبل الجهل، فهو يقول: "إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصير جاهلاً لكي يصير حكيمًا".

إذ توجد حكمة ملومة، خلالها يُحسب "أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم" (لو 16: 8)، فإن الله في صلاحه يهلك الأضداد

بالأضداد، يهلك حكمة الشيطان (الحجلة) لدرجة أنها في آخرتها تكون حمقاء. لكن متى تكون هذه الأيام الأخوة التي تصير فيها حمقاء؟ يجب أن يملك

المسيح حتى يضع الرب كل أعدائه تحت موطيء قدميه، عندما يخضع الكل له، فإن آخر عدو يبطل هو الموت (1 كو 15: 25-26).

إذًا نهاية الحجلة تأتي حينما يبطل الموت [379].

هكذا سر نجاسة القلب لتباطئه بالحجلة المخادعة التي تتول به إلى التورغ في الأرضيات وطلب الشهوات الجسدية، فلا ينال الأرضيات ولا

السمويات. لهذا يليق بنا أن نتركها متحدين بمن هو سموي، القادر على رفعنا إلى فوق فتحيا معه مقدسين. هذا هو سر رجاء المؤمن: الاتحاد بالقنوس

السموي واهب الحياة.

يقول النبي:

"كرسي مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا.

أيها الرب رجاء إسرائيل،

كل الذين يتركوك يخزون؛

الحائدون عنى في التواب (الأض) يكتبون،

لأنهم تركوا الرب ينوع المياه الحية" [12-13].

يقول الرب: أي عذر لكم؟ لماذا تكونون كالحجلة، تضعون بيضكم على الأرض لا في عش على قمم الأشجار العالية؟ ها أنا أقيمكم كرسي مجد مرتفع في السمويات. لرفعوا قلوبكم إليّ في الأعالي ولا تنبسطوا على الأرض في استسلام وخوع للشر!

كرسي الله أو عرشه مرتفع ومجيد وفي نفس الوقت حال فينا، ليس بعيداً عنا، بل في داخلنا. إن كانت الكلمة العبرية المقابلة لمرتفع تشير إلى السماء، وكلمة "مقدسنا" تشير إلى هيكل أورشليم وملحقاته كما إلى المقادس السماوية (مز 68: 36)، فإن الله المرتفع مجده في السماء هو فينا، ونحن به نصير مقدساً سماوياً. إنه ليس ببعيد عنا، بل قول إلينا، ونحن لسنا بعيدين عنه إذ رفعنا إلى سمواته.

كأن النبي يقول: أتريدون الخلاص من الحجلة؟ اهروا إلى المخلص القنوس السموي رجائكم، هذا الذي يجلس على كرسي مجده في الأعالي يسحب القلب إليه، فلا يتركه يتوغل في التواب والوحل.

يلق العلامة أوريجينوس على العبارة السابقة قائلاً:

["كرسي مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا.

أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركوك يخزون.

الحائدون عنى في التواب يكتبون لأنهم تركوا الرب ينوع المياه الحية" [12-13].

عندما رأى إشعياء النبي ملك الرب قال: "رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع" (إش 6: 1). رمياً أيضاً رأى السيد الرب وهو يملك، لذلك سبحه قائلاً: "كرسي مجد مرتفع من الابتداء هو موضع مقدسنا".

إن أردت توجيه هذه الكلمات إلى السيد المسيح لن تكون مخطئاً، وإن وجهتها إلى الأب لن تكون كافراً.

لمخلصنا كرسي مجد مرتفع من الابتداء لأن مملكته هي من فوق، والسيد المسيح هو مقدسنا لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد (عب 2: 11). هو رجاء إسرائيل. فكما أنه هو البر الذي يوجد في الإنسان وهو الحق والقداسة، فإنه هو الرجاء. بدون المسيح لا يمكن أن تكون بلا ولا قديساً ولا يكون لك رجاء! [380].

لنترك الحجلة ونرتبط بمخلصنا، فإن من يتركه يخزي، ومن يحيد عنه لا يسجل اسمه في سفر الحياة ولا يُنقش على كف الله، وإنما في التواب الذي اختاره بنفسه. من ترك السموي واتحد بالفاسد يصير فاسداً.

["أيها الرب رجاء إسرائيل ". بما أن المخلص هو العدل والحق والقداسة وأيضاً الرجاء ، لذلك فإنه غير ممكن أن نكون عادلين بدون السيد المسيح، ولا يمكن أن نكون مقدسين بدون، ولا يكون لنا رجاء إذا لم يكن موجوداً في داخلنا، لأنه هو رجاء إسرائيل.

"أيها الرب رجاء إسرائيل كل الذين يتركوك يخزون ". كل واحد فينا حين يخطئ يترك السيد المسيح... وبل تركابه الظلم "يترك" العدل، وبنجاسته

"يترك" القداسة، وبقيامه بالحرب "يترك" السلام، وبالاستسلام للعدو "يترك" الخلاص، وبابتعاده عن الحكمة "يترك" حكمة الله. لذلك كل الذين يتركون الله

يلعنهم النبي، مُعزِّفاً إيانا ماذا سيحدث لهم: "كل الذين يتركوك يخزون"، قدر ما يتركون الله يخزون [381].

لعله يقصد بقوله "في التواب يسجلون"، أنهم يدخلون إلى القبر، ويسجلون في قائمة الموتى. أما ولاد الله فيرتبطون بالله مخلصهم واهب القيامة،

فلا يستطيع الموت أن يبتلعهم، أو يمسخ بهم إلى الأبد، لهذا لا تسجل أسمؤهم في قائمته.

يلق العلامة أوريجينوس على العبارة: "كل الذين يتركوك يخزون؛ الحائدون عنى في التواب يكتبون (يسجلون)"، قائلاً:

[مثل هذا في الزّاب يُكتب اسمه على الأرض...]

جميع الناس مُسجلة أسماءهم، القديسون مسجلون في السموات، والخطاة على الأرض. قال يسوع لتلاميذه: "افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات" (لو 10: 20). إذن يليق بنا أن نوح إذ كُتبت أسماءنا في السموات. وكما أن أسماء القديسين مسجلة في السماء، هكذا الذين يسلكون في الأرضيات ولا يورون حول أرض آوم، بل لهم حقول أرض آوم وكرومهم (عد 20: 17-19)، (آوم معناه أرضي أو زابي) هؤلاء أسمؤهم مسجلة على الأرض إذ يحيون عن الرب...

كل إنسانٍ مسئول عن الطريقة التي بها يُسجل اسمه. فإن كنت تطلب الأرضيات لا تطلب السماويات بل تميل نفسك إلى السفليات. أنت المسئول عن ذلك، إذ يقول يسوع: "لا تكنوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزاً في السماء" (مت 6: 19). هل تكنز لك كزاً في السماء؟ أنت مسئول عن تسجيل اسمك في السماء [382].

عندما فوح الوسل في خدمتهم قائلين حتى الشياطين تخضع لنا وجه السيد المسيح أنظرهم إلى ما هو أعظم، قائلاً: "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كُتبت في السموات" (لو 10: 20).

الذي يُسجل اسمه في الزّاب يسمع الصوت الإلهي الذي قيل لآدم الأول: "أنت أرضي وإلى الأرض تعود"، أما الذي يُسجل اسمه في السماء فيُقال له: "أنت سماء وإلى السماء تعود".

من يتوك الرب المخلص يتوى، ومن يحيد عنه يُسجل اسمه في الزّاب لا في السماء، إذ يفقد الله حياته؛ "لأنهم تروها الرب ينوع المياه الحية" [13]. "وفي اليوم الأخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادي، قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، ومن آمن بي كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجد بعد" (يو 6: 37-39).

ماذا يعني "لأنهم تروها الرب ينوع المياه الحية" إلا أن رجاء الشعب في وسط القحط أن يلتصقوا بالله السموي الحيّ، فيهبهم ذاته ينوع مياه حية. إن كان قد دُعي الرب رجاء إسرائيل فقد سبق وأينا أن كلمة رجاء يمكن ترجمتها أنها ينوع أو بركة ماء (4: 8)، مقدماً نفسه لنا ينوع مياه متى حلّ القحط والجفاف بالعالم.

من جانب آخر كان اليهود يعتقدون أن الهاوية هو حالة عطش شديد، كما جاء في الزمور: "أجلسني في الظلمات مثل الموتى منذ الدهر... بسطتُ إليك يديّ، نفسي نحوك كرض يابسة" (مز 143: 3، 6). وكأننا إذ نقتي الله - ينوع المياه الحية - لن ندخل إلى الهاوية ولا نُعاني من الظمأ.

5. الله مخلصنا من الخطية:

إذ تحدث عن الخطية بكونها احتلت القلب حيث كان يليق أن يكون ملكوتاً لله، مظهرًا أهم خطايا يهوذا من انكال على نواحٍ بشوي ونجاسات والتصاق بالأرضيات، شعر النبي بأنه لا يستطيع أحد أن يخلص ما لم يتدخل الله نفسه، لهذا صوح قائلاً: "اشفني يرب فأشفي، خلصني فأخلص، لأنك أنت تسبحتي فغوي (حسب الترجمة السبعينية)" [14].

كانت التسؤلات: "لماذا كان وجعي دائماً؟ ورحي عديم الشفاء يأبى أن يُشفى؟ أكون لي مثل كاذبٍ مثل مياه غير دائمة؟" (15: 18). وها هو يعلن لرميا باسم الشعب أنه قد وُجد الشفاء، بل والخلاص حيث المجد، بل والتسبيح أي الفرح مع السمائيين... وُجد هذا كله في الله مخلصه.

يقول العلامة أوريجينوس:

[تأتي بعد ذلك صلاة أخرى، تقول كلماتها:

"اشفني يرب فأشفي،

خلصني فأخلص،

لأنك أنت فغوي (تسبحتي).

ها هم يقولون لي أين هي كلمة الرب؟ لتأت!

أما أنا فلم أعتزل عن أن أكون راعياً وراعك ولا اشتهيت يوم البلية، أنت عرفت" [14-16].

كل إنسان يريد أن يشفى من أمراض الروح والنفس عليه أن يطلب من الطبيب الأوحى الذي جاء خصيصاً من أجل المرضى، والذي قال: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" بذلك يُمكن للمريض أن يطلب في ثقة ويقول: "اشفني يارب فأشفي". لأنه لو كان أحد آخر يستطيع أن يشفي النفوس، لما كنا نستطيع أن نقول بثقة: "اشفني يارب فأشفي". مكتوب في الإنجيل أن المرأة نزفة الدم قد أنفقت كل ما عندها على الأطباء ولم تنتفع شيئاً" (مر 5: 25) ولم يستطع أحد منهم أن يشفيها. حقاً لا نستطيع أن نقول لأي طبيب بكل جرأة وبكل ثقة: "اشفني فأشفي"، إنما يمكننا أن نقول ذلك بثقة كاملة للطبيب الأوحى القادر أن يمنح الشفاء بمجرد لمس هذب ثوبه. أقول له: "اشفني يارب فأشفي"، لأنك إذا عالجتني، فالعلاج الذي يأتي من عندك يتبعه حتماً الشفاء، بهذا أخلص. مهما كان الذين يُخلصون كثيرون إلا إنني لن أخلص بواسطتهم، لأن الخلاص الوحيد الحقيقي يتم بالسيد المسيح. لأنه "باطل هو الفوس لأجل الخلاص وبشدة قوته لا يُنجي" (مز 33: 17). الرب وحده الذي يخلص، وأي شيء غوه يكون باطلاً. أقول له: "اشفني يارب فأشفي"، لكنني لا أقول هذه الكلمات إلا إذا استطعت أن أقول أيضاً تكلمة الآية: "لأنك أنت فغوي (تسبحتي)"، إذا نفذت هذه الوصية: "لا يفتخر الحكيم بحكمته، ولا يفتخر الجبار بجبروته، ولا يفتخر الغنى بغناه، بل بهذا ليفتخرن المفتخر بأنه يفهم ويعرفني إني أنا الرب" (9: 23-24).

إذاً، طوبى للذي يتنزل عن كل فخر لرضي وعن كل كرامة زمنية، وعن الجمال والأشياء الجسدية، وعن الغنى والمجد، ويكتفي فقط بأن يقول للرب: "لأنك أنت فغوي" [383].

❖ [الله وحده هو الصالح أبدياً يجعل الإنسان الشرير صالحاً...]

نحن خُلقنا صالحين بواسطة الصالح، إذ خلق الله الإنسان مستقيماً (جا 7: 29)، لكن برادتنا تحولنا من الصلاح إلى الشر، وصار لنا فيما بعد سلطان أن نتحول من الشر إلى الصلاح.

إنه هو الصالح إلى الأبد يُوجع الصلاح من الشر،

إذ لا يحمل الإنسان في ذاته القوة على التحول من الشر إلى الصلاح...

إذ جرحت نفسك أطلب الطبيب ليشفيك [384].

القديس أوغسطينوس

"ها هم يقولون لي: أين هي كلمة الرب؟ لتأت" [15].

يوجد في كل عصر أشوار يستهينون بطول أناة الله ويسخرون بمواعيده ومحبه كما بتأديباته ظانين أنها مجرد كلمات أو أوامير لن تتحقق:

"قد طالمت الأيام وخابت كل رؤيا" (حز 12: 22).

"سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين: أين هو موعد مجيئه؟ لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقٍ هكذا

من بدء الخليقة" (2 بط 3: 4).

لعل لرميا النبي قد أرك أن المخلص هو "كلمة الرب"، إذ يقول: "ها هم يقولون لي أين هي كلمة الرب؟ لتأت" [15]. إذ يطلبون الخلاص

يسألون عن كلمة الرب لكي يأتي إليهم فيتبعونه. أنه وحده الذي يهبهم الراحة وكما يقول العلامة أوريجينوس: [تبعته تزوع الملل] [385].

❖ إذ كانوا دائماً لا يصدقون الأنبياء، اعتادوا القول: "أين هو يوم الرب؟" (عا 5: 18، حز 12: 22، 27)، "ليأت مقصد قنوس إسرائيل، لنعلم"

[386]

(إش 5: 19)، وذلك لأنه قد عوت سوات كثرة قبل أن يتحقق ما قاله الأنبياء...

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقصد بكلمة الرب أيضاً مواعيده، ففي كل جيل يشتكي كثيرون أنهم لا يجدون مواعيد الله ووعده قد تحققت فيهم، وكأن التقصير هو من جهة الرب، لا من جهة شوهم أو تراخيهم. وكما جاء في إشعياء النبي: "القائلين: لئسوع، ليعجل عمله، لكي نرى، وليقرب ويأت مقصد قنوس إسرائيل لنعلم" (إش 5: 19).

يتهم الأشرار الله أنه لا يسوع إلى نجدتهم، ولا يحقق وعوده معهم، عوض أن يعترفوا أن تعبه نابع عن فساد قلوبهم. من يعيش بروح العالم يتعب من أجل اقتناء أمور العالم، أما من يعيش بروح المسيح فيحيا بلا قلق حتى وسط الآلام. يقول لرميا نفسه:

"لم اكن قلقاً أن أتبعك..." [16] (الترجمة السبعينية).

يقول القديس جيروم : [نشكر الله، ونطلبه بلادة صالحة فيكون روعنا وإكلياننا ولا نتركه قط بل نتبعه، معلنين مع لرميا: "لم اكن قلقاً أن أتبعك" [387].

يقول العلامة أوريجينوس: [ها هم يقولون لي أين هي كلمة الرب، لتأت! أما أنا فلم أتضايق (أمل) من اتباعك" [15-16].

يقول يسوع المسيح لك: " احمل صليبك واتبعني" (مت 16: 24)، وأيضاً: " اتوك كل شيء واتبعني" (مت 19: 27، 9: 9)، وأيضاً: "من أحب أباً أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني" (مت 10: 37-38). إذاً، لو استطعت أن تتبع يسوع المسيح دائماً لن تمل أبداً من اتباعه، لأنه لم يبصر إثمًا في يعقوب ولا رأى تعبًا في إسرائيل" (عد 23: 21). لا يوجد ملل حينما نتبع السيد المسيح؛ مجرد اتباعه يوزع كل ملل أو تعب. لذلك يقول لنا: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (مت 11: 28). فإذا كنّا متعبين وذهبننا إليه وتبعناه، نقول: "أما أنا فلم أمل من اتباعك". نقول له أيضاً: "ولا اشتهدت يوم الإنسان".

يوجد "يوم للإنسان" ويوجد "يوم للرب". يحدث كثراً حينما يكون الإنسان مريضاً ومشرفاً على الموت، أنه يطلب من الناس الذين يزوروه أن يصلوا من أجله حتى يظل على قيد الحياة. حينما يقول الإنسان هكذا لا يشتهي يوم الرب، إنما يشتهي يوم الإنسان. لنكف إذاً عن محبة العالم وعن اشتهاه يوم الإنسان، ونتطلع إلى يوم القيامة واللقاء مع القديسين حينما يطوبنا المسيح يسوع الذي له المجد والقوة إلى أبد الأبدين آمين [388].

" أما أنا فلم أعتزل عن أن أكون راعياً وراءك،

ولا اشتهدت يوم البلية.

أنت عرفت.

ما خرج من شفتي كان مقابل وجهك" [16].

ربما يقصد لرميا النبي هنا القول هكذا: إن كان كثيرون يتشككون في كلمتك، ويظنون أنك عاجز عن تحقيق وعودك، فينطقون بكلمات مملوءة شكاً، طالبين أن تحقق كلمتك، لكن من جهتي فإني لن أتوقف قط عن أن أتم عمل الرعاية بكل قوة، ليس بذاتي، وإنما وراءك. اختفي فيك يا طبيب النفوس ومخلصها وتسبيحها، وأعمل بكلمتك. إنني لست قلقاً إذ اختبرت قوة كلمتك.

إنني لم أشته يوم البلية، أي لا أتسوع، طالباً مجيء يوم الرب أو الدينونة، متوجياً توبة الكثيرون وتمتعهم براحمك. هذا ما أنطق به بشفتي

أمامك، قدام وجهك، يا فاحص القلوب ومختبر الكلى.

يقدم لرميا النبي صلاة الله، طالباً حمايته من مقاومي الحق، قائلاً:

"لا تكن لي رعباً.

أنت ملجأ في يوم الشر.

ليخزَ ظردى ولا أخزَ أنا.

ليرتعوا هم ولا رتعب أنا.

اجلب عليهم يوم الشر،

واسحقهم سحقاً مضاعفاً" [17-18].

من جهة وعود الله تشكك الأنبياء الكذبة وأتباعهم فيها، بينما آمن بها لميا النبي... هذا سبب ضيقاً ومقاومة منهم. وها هو يقف مختفياً في الرب نفسه الذي يدعوه "ملجأى"، وقد دُعي الرب هكذا 11 مرة في سفر الزامير كما في (مز 46: 2). إنه سيأتي يوم الشر، أي الضيق الشخصي الذي يثوره الأشرار ضده، فيختفي في الرب، ويخزي الأشرار، ويرتعدوا ويسقطوا تحت دينونة مضاعفة، لأنهم رفضوا كلمة الرب وقاوموها في شخصه، أما هو فلا يخزي ولا يرتعب، لأنه في حماية مخلصه.

هكذا لا يخاف المؤمن من الأشرار المقاومين له، ولا حتى من عدو الخير إبليس، مهما كانت قوته.

يحدثنا الأب سيرينوس عن عدم ارتعابنا من الشياطين قائلاً: [إننا نعتقد أنهم يتعهدون هذا الصواع بقوة، لكن في مقاتلتهم يكون لديهم نوع من القلق والغم، خاصة حينما يقفون أمام مناضلين أوفياء، أي رجال قديسين كاملين... بالتأكيد تُعد الأرواح نفسها لمهاجمة البشر بقوة لا تقل عنهم لكي يضمنوا النصرة عليهم... (فيسقطون هم فيما يصنعونه بنا) إذ يقول: "وعلَى هامته ورجع ظلمه" (مز 7: 16). وأيضاً: لتأته التهلكة وهو لا يعلم، ولتتشب به الشبكة التي أخفاها وفي التهلكة نفسها ليقع" (مز 35: 8)، أي في التهلكة التي ديروها بغشهم للبشر. فتسقط الأرواح في الحزن، وإذ تريد اهلاكنا تهلك هي بنفس التهلكة التي ديروها لنا... [389]، [لكن لا يقدر أحد أن يشك في أنه متى انتصرنا عليهم يهلكون هلاكاً مضاعفاً [390].

6. كسر السبت:

طالب الله لميا النبي أن يقف في باب "بني الشعب" [19]. وى البعض أنه باب "بنيامين"، وهو باب خاص بالمدينة (37: 13؛ 38: 7)، وإن كان البعض وى أنه يتحدث عن باب خاص بالهيكل كان يدخل منه ويخرج منه الشعب؛ ليقف بعد ذلك في كل أبواب أورشليم [19]. طالبه أن يوجه حديثه إلى "ملوك يهوذا وكل يهوذا وكل سكان أورشليم الداخلين من هذه الأبواب" [20]. لماذا يقول "ملوك يهوذا" وليس "ملك يهوذا"؟ وى البعض أنه يقصد بالملوك هنا كل الشعب كمقابل للكهنة [391]. ربما لأن كل واحد صار كملكٍ يريد أن يتسلط ويسيطر، ليس من يقبل أن يسمع أو يطيع!

موضوع الحديث هو "حفظ السبت"، وهو موضوع الأجيال كلها، تحدث عنه الأنبياء كأمرٍ أساسي، بل هو موضوع حياتنا اليومي: تقديس يوم الرب كباكورة لتقديس أيامنا فتصير كلها للرب!

يطالبهم بحفظ السبت لأجل حياتهم لأنها صلت في خطرٍ، إذ يقول "تحفظوا بأنفسكم" [21]، فلا يحملوا فيه حملاً ولا يملسون عملاً [22]- [32]، (خر 20: 10؛ تث 5: 14)، هذا من الجانب السلبي، أما من الجانب الإيجابي فيقول: "قدسوا يوم السبت" [22]، أي اسلكوا في نقوة قلب وقدسية حياة، وكما جاء في رسالة برناباس: [إنخطئ إذا اعتقدنا إننا نستطيع أن نقدر اليوم الذي قدسه الرب بدون أن نكون أنقياء القلوب [392].

أما بركاته فهي:

أ. قمة الوعد الإلهي لحفظ السبت هو أن يدخل ملوك ورؤساء من الأبواب ويجلسون على العروش ويكوبون مركبات وخيول. بمعنى آخر إن حفظ الشعب سبت الرب، يحفظ الرب مملكتهم ويعطيهم وملوكهم كرامة وقوة وسلطاناً، فيعيشون في حرية ومجدٍ، قائلين مع القديس يوحنا: "جعلنا ملوكاً وكهنة لله أبينا" (رؤ 1: 6). إن قدسنا عمونا بروح الله القدس، تصير حياتنا مقدسة له، سبباً دائماً، تُفتح أبواب قلوبنا، وأورشليم الداخلية، ليدخل فيها ملك المجد، ويقم مملكة ابن داود في داخلنا، ويجعل منا ملوكاً أصحاب سلطان على الفكر والإرادة كما على الحواس، لنفكر وننطق ونعمل حسب مشيئته

ب. أما البركة الثانية فهي أنهم يأتون من ست مناطق ليقدموا محرقات وذبائح وتقدمات ولبان مع الشكر: "ويأتون من مدن يهوذا ومن حوالي اورشليم ومن أرض بنيامين ومن السهل ومن الجبال ومن الجنوب، يأتون بمحرقات وذبائح وتقدمات ولبان ويدخلون بذبائح شكر إلى بيت الرب" [26].

إذ يُقدس الشعب يوم الرب تُجذب نفوس كثرة من كل جانب كعابدين حقيقيين للرب يقدمون محرقات حب وذبائح شكر مع ذبائح وتقدمات عن الخطايا والضعفات ليتمتعوا بالمصالحة مع الله.

هكذا إذ تتحول حياتنا إلى يومٍ مقدسٍ للرب، نجتذب نفوساً كثرة للرب، نشترك معنا في العبادة الروحية. نقدم في أعماقنا حياتنا ذبيحة حب دائمة، ونبدل حياتنا تقدمه للرب الذي بذل ذاته لأجلنا، يرتفع في داخلنا بخور صلاة مقبولة لديه، ونحسب أهلاً أن نشترك مع السمائيين في الشكر والتسبيح الدائم.

أما ثرة العصيان وعدم تقديس السبت فهو: "إني أشعل نراً في أبوابها، فتأكل قصورها اورشليم ولا تنطفئ" [27].

حفظ السبت ليس هبة نقدمها لله، ولا عطية من جانبنا، إنما هو حفظ لأورشليمنا الداخلية، فيكون كسورٍ نرى مقدسٍ يحفظنا من ضربات العدو وسهامه النارية. فإن رآينا نفقد القداسة وتشتعل الأبواب كما القصور بالنار لا للتطهير بل للإبادة. تفقد أورشليمنا أسوارها وإمكانياتها، كقول الرب عن يهوذا "لأنهم رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فوائضه وأصلتهم أكاذيبهم التي سار أبؤهم وراءها، فأرسل نراً على يهوذا فتأكل قصور اورشليم" (عا 2: 5).

أساء اليهود إلى السبت بنفسه بطريقة حرفية. يقدم لنا العلامة أوريجينوس أمثلة للتفسير الحرفي اليهودي والذي دخل بهم إلى خرافات لا حد لها (1 تي 1: 4) ففسروا القول: "لا تحملوا حملاً يوم السبت" [21] ، بأنه إن كان نعل الإنسان به مسامير يُحسب ذلك "حملاً" فلا يلبسه يوم السبت، وإن لم توجد مسامير فلا يُحسب حملاً. أيضاً أن حمل إنسان حملاً على كتفٍ واحدة فيحسب ذلك حملاً، أما إن حمله على كتفيه فلا يُحسب كذلك [393].

قدم لنا الكتاب المقدس "حفظ السبت" من جوانب كثرة، لكنه ركز عليه كعيدٍ موحٍ وراحة في الرب القنوس. فمن الجانب الظاهري كان السبت امتناعاً عن العمل، حتى عن جمع المن النزل كهبةٍ إلهيةٍ (خر 16: 21-30) ، من يعمل يتعوض للغضب الإلهي. وجاء السبت يحمل فكراً اجتماعياً روحياً، فقدم راحة للغرباء والأجواء والعبيد حتى الحيوانات، فيه يذكر الشعب أنه كان قبلاً متغرباً في مصر تحت العبودية فلا يقسوا على خليفة الله (خر 23: 12؛ تث 5: 12-15). وحمل السبت فكراً أخروياً انقضائياً بكونه رمزاً للراحة المقبلة (17: 21-27؛ عب 4).

أخيراً فإن السبت هو فرصة لا للخمول والتوقف عن العمل، بل للتمتع بالعبادة لله القنوس لينعم الكل بشركة الحياة الإلهية (لا 23: 3؛ عد 28: 9-10). وكان السبت كما يحدثنا عنه سفر اللاويين هو النقاء مع الله خلال العبادة المقدسة والذبيحة، لا لنكرم الله بعبادتنا، لكن ما هو أعظم لكي ننعم بعمل الله فينا واهباً إيانا الشركة معه لندخل به إلى قداسته.

تقديس السبت في جوهه هو تمتع بالراحة، إذ كلمة "سبت" في العبرية تعني "راحة"، سواها اتحادنا مع ربنا يسوع المسيح القنوس لننعم به بالحياة الجديدة المقدسة. لقد دعاه إشعياء النبي: "مسرة"، "مقدس يهوه"، "المكرم" (إش 38: 53) ، وقدم لنا سفر الزمير تسبحة خاصة بالسبت هي تسبحة فرح وحمد لله (مز 92).

السبت هو عيد التمتع بالراحة في الرب السموي، فيه نذكر راحة الله في اليوم السابع (تك 2: 3) كرمزٍ ليوم الرب الأبدي، كما يقول القديس أغسطينوس الذي فيه [نسويح وزى، زى ونحب ونسبح. هذا ما سيكون في النهاية التي بلا نهاية [394]. هو عيد الراحة لا من عبودية فعون (تث 2: 15) (وإنما من عبودية الشر، كقول القديس إكليمنضس الإسكنوي: [إننا نتمسك بالسبت الروحي حتى مجيء المخلص، إذ استرحنا من

الخطية [395]. هو عيد موحٍ ننعم به هنا كعربونٍ للحياة السماوية كعيد تسبيح لا ينقطع، وكما يقول القديس جيروم معلقاً على مزومور يوم السبت (مز

92): [لا يمكن أن يوجد سبت ما لم يسبقه ستة أيام. نحن نعمل الستة أيام لنستريح في السابع. لا نقدر أن نسبح الرب إلا في يوم السبت (مز 92) مادامنا مشغولين بأعمال العالم، أي مادامنا في الستة أيام لا نستطيع أن نُغني للرب... ليس أحد في يوم السبت، أي في راحة الرب، يعمل عملاً دينياً، أي يرتبك بأعمال العالم، إنما يؤزمه أن يعمل ما يخص السبت. أتريد أن تعرف أنه في السبت يعمل الكهنة في هيكل الرب بينما لا يُسمح لأحد أن يقطع فيه حطباً، ففي الحقيقة الرجل الذي أكتشف أنه يجمع حطباً في البرية رُجم للموت (عد 15: 32-36). في السبت لا يشعل أحد نراً ولا يملس أي عمل... إذن لئى أنه يليق بنا أن نسبح في السبت عندما نتوك أعمال هذا العالم [\[396\]](#)].

من وحي رميا 17

في التّواب سَجَل اسمي،
لتسجله على كفك يا إلهي!

❖ في التّواب سَجَل اسمي!

لقد كتبت خطيتي ونحتها كما بقلم حديدي رأسه ماسي!
نقشتُ خطاياي ونجاساتي على جوان قلبي،
فأفسدتُ هيكلك المقدس،
وصار اسمي مسجلاً في التّواب،
وأحصيت مع الموتى...
من يقيمني غورك أيها القائم من الأموات!؟

❖ اتكلت على قراتي وخبرتي ووي،

انكأت على الجسد بكل إمكانياته،
فصوت كنبات الوعر في البرية سوعان ما يجف!
تحولت حياتي إلى قشٍ يحترق، ورمادٍ وّوابٍ!

❖ إغسني على مجري روحك القتوس،

فتمتد جذوري الخفية،
وتقوي من ينابيع نعمتك الإلهية.
أصير كرسي مجدك المتوقع،
وموضع قدسك السموي!
ويُسجل اسمي على كفك أيها السموي!

❖ أصوخ مع رميا النبي:

اشفني يارب فأشفي،
خلصني فأخلص،
لأنك أنت تسبحتي!
اشفني من الزاب الذي سُجل اسمي عليه،
خلصني من الرماد الذي تحولت أنا إليه،
اجعلني ابنًا سمويًا فأمتلي فوحًا وتسييحًا!

❖ لتأت إلي يا كلمة الله!

صوت لأجلي إنسانًا،

فلتجعلني ابنًا سمويًا!

لوعاني بنفسك،

حولني من زابي إلى سمواتك!

❖ الآن أقول: لا أخز، لا أرتعب!

أنت مخلصي من فساد طبيعتي.

لا أسمع القول: أنت زاب وإلى زاب تعود!

بل أسمعك تقول لي وأنا مخفي فيك:

أنت سماء، وإلى سماء تعود!

<<

الأصحاح الثامن عشر

مثل الفخري

بأمر إلهي قول لرميا النبي إلى وادٍ منخفض ليلتقي هناك بفخري، لكي يعلن للشعب كيف أن حياتهم في يد فخري سموي حكيم، قادر أن يخرج من الطين إناءً للكوامة، حتى إن أدب إنما لكي يقبلوا من يده الخالقة إمكانية تجديدهم، كما يعمل الفخري بالطين فيظهر منه عجبًا. عوض التجلوب مع لرميا فكروا جدياً في الخلاص منه كي لا يسمعوا بعد كلمة توبيخ.

1 . لرميا والفخري المحب [1-6].

2 . الفخري المؤدب [7-17].

3 . الرغبة في الخلاص من رميا [18-23].

1 . لرميا والفخري المحب:

تعتبر مصانع الفخار من الملامح الرئيسية في العالم القديم، إذ كانت الأواني الفخرية أساسية في الحياة اليومية، لهذا نجد علماء الآثار مدينين للأواني الفخرية المكتشفة بلا حصر في التعرف على ثقافات المدن القديمة وتاريخها.

كان صانعو الأواني الفخارية معروفين لدى الشعب قديماً وكانوا من بين الذين أقاموا هناك مع الملك لشغله حيث نَوَّأ "هؤلاء هم الخوافون وسكان نتاعيم وجدوة أقاموا هناك مع الملك لشغله" (1 أي 4: 23)، فقد كان الخوافون تحت الحماية والعطف الملكي. وفي (مز 2: 9) يُشبهه المسيح بالفخري الذي يحطم الإناء الفاسد ويكسوه قطعاً قطعاً. وفي نبوة إشعياء يشبه الله بالفخري وما نحن إلا الطين بين يديه، فيقول "والآن يرب أنت أبونا نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك" (إش 64: 8). والرسول بولس يستعمل الصورة عينها (رو 9: 21) التي يستحضرها لرميا أمامنا في هذا الأصحاح.

"الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب قائلاً:

"قم انزل إلى بيت الفخري،

وهناك أسمعك كلامي" [1-2].

قم انزل

بدأ حديثه بقوله: "قم انزل". هذا يحمل معنى أن الأمر عاجل ويحتاج إلى سوعة: "قم". ومن الجانب الروحي فإنه لا يستطيع إنسان ما أن يترك معاملات الله مع البشر، خاصة شعبه، ما لم يختبر القيامة مع المسيح، أو الحياة الجديدة المُقامة، كخوة يومية معاشة. وكما يقول الرسول: "قم من الأموات، فيضيء لك المسيح" (أف 5: 14). خلال التمتع بالقيامة نرى كيف يحول الفخري طينتنا إلى إناءٍ سموي حيٍّ مكرم، شريك مع المسيح في المجد.

بينما يطلب منه أن يقوم إذ به يسأله أن ينزل، ربما لأن مصانع الفخار غالباً ما تُقام في الوديان والحقول المنخفضة حيث توجد التربة والطين لعمل الأواني الفخارية.

لنقم فارتفع قلبنا إلى السماء، لكن لا يروح التشامخ والتعالي، إنما نتقل مع مسيحننا إلى الصفوف الأخوة، فزاه بروح الاتضاع يعمل وسط الخطاة، ليمكثوا معه أبدياً، يحملهم بالحب على كتفيه وينطلق بهم إلى حضن أبيه.

ما أروع كلمات القديس يوحنا الذهبي الفم الذي يحدثنا بخبرته الروحية عن العمل وسط الخطاة، أنه يجب علينا ألا نتحدث كما من على كرسي المعلم البار، إنما بالحب ننحني بظهورنا، ونمسك بالساقطين بعد أن نكون قد ثبتنا قدمينا تماماً، حتى نرتفع بروح الرب بهم دون أن ننهار ونسقط معهم في الوحل، أو ننطرح معهم رُضاً.

مسيحننا تول إلى وادينا، وادي الموت، وأكل مع العشليين والخطاة، وبحبه قدسهم، لا ليحملهم إلى سمواته فحسب، إنما ليقم منهم صيادين ماهرين يصطادون النفوس إلى مجده السموي!

نَوَّأ عن ربنا يسوع أنه النزل من السماء، تلك الحقيقة التي تتكرر في إنجيل يوحنا الأصحاح السادس سبع هرات وفي ذلك كمال الاتضاع لمن قيل عنه "الذي مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به" (عب 5: 8).

والنزول بحسب فكر الرب معناه الاتضاع تحت يد الله القوية، وإن لم نتضع لأبد أن ننحدر متوقفين.

للعلامة أوريجينوس تعليق جميل على "النزول":

لنرى من خلال الكتاب المقدس نفسه ماذا قيل بخصوص وعاء الفخار الذي بين يدي الفخري، وكيف أن النبوة نفسها تقدم لنا نقطة انطلاق لا يمكن إغفالها في تفسير قصة الأشياء التي بين يدي الفخري. "الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب قائلاً: قم انزل إلى بيت الفخري" [2].

كان لرميا فوق، لقد صعد أعلى من آنية الفخار. كانت آنية الفخار أسفل، أيضاً الطبيعة التي تتحكم وتدير هذه الآنية وجدت أسفل، ذلك بتنزلها من أجل الآنية التي تدوها. لهذا فإن "الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب هو: قم أنزل إلى بيت الفخري وهناك أسمعك كلامي". أما موسى فقيل له: "اصعد إلى الجبل واستمع"، لأن كل من يسمع كلمة الله، يستمع إما إلى معلومات عن الأمور العليا السماوية وبالتالي يؤرّمه أن يرتفع بأفكره إلى

السماء ليتأمل فيها أو يستمتع إلى تعليمات من الرب بخصوص أمور أرضية وبالتالي يؤممه أن يقول بأفكاره إلى أسفل لخواها.

أستعين بمثال من الكتاب المقدس حتى يمكن للجميع أن يتابعوني على قدر استطاعتهم: " لكي يجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب" (في 2: 10-11).

توجد حكمة تناسب السمائيين، وهي معرفة الطريقة التي بها تُقسم الكائنات السماوية، وحكمة تناسب الكائنات الموجودة تحت الأرض؛ وأخرى تناسب الكائنات الأرضية. فإن رُدت أن أفهم الحكمة التي تناسب السمائيين، يجب عليّ أن أصعد إلى قمة الجبل كما فعل موسى، حتى تكون الكلمات الآتية إلى من السماء مفهومة، كما يؤممني أن أعرف الليتورجيات السماوية، لأنه يوجد ظل و صورة للأسوار السماوية في الشريعة التي تسلمناها، وقد أوضح لنا ذلك بولس الرسول حين قال: " الذين يخدمون شبه السماويات وظلها كما وُحي إلى موسى" (عب 8: 5).

إن كان يجب عليّ أن أصعد لكي أتعلم الأمور السماوية، كذلك أنزل لكي أتعلم الأمور الموجودة تحت الأرض حتى إن كنت نبيًا. ربما لهذا السبب أيضًا قول صموئيل النبي إلى الهاوية (إلى تحت الأرض)، ليس بسبب حُكم وقع عليه، إنما لينظر ويتعلم الأسوار الموجودة تحت الأرض (1 ص 13: 28).

يمكننا كذلك أن نجد شيئًا مماثلًا لهذا في قول بولس الرسول بالنسبة للحكمة حينما يميز بين درجاتها، قائلاً: " حتى تستطيعوا أن تتركوا مع الجميع القديسين ما هو العوض والطول والعمق والعلو" (أف 3: 18). إذا كُلفت من قبل الله بمعرفة الطول فعليك أن تصعد بعقلك إلى الطول؛ وإذا كُلفت بمعرفة العمق تنزل بعقلك إلى العمق. العقل الذي يستطيع أن يتبع الابن الكلمة يمكنه أن يفعل كل شيء طالما يقوده الرب ويعلمه كل شيء، ويتبعه إذا استطاع أن يترك العالم ويحمل صليبه، قائلاً: " قد صُلب العالم لي وأنا للعالم".

إذا، من بين الذين يسمعون بوجود أناس يصعدون ليتعلموا، لكنهم لا يصعدون بطريقة جسدية؛ ويوجد آخرون يتزلون لكنهم مع هذا يحتفظون بنفوسهم عالية مرتفعة.

ربنا ومخلصنا يسوع المسيح نفسه قد صعد ونزل، لأن " الذي قول هو الذي صعد أيضًا فوق جميع السموات" (أف 4: 10). إذن إن كان عليك أنت أيضًا أن تفهم الابن الكلمة الذي يعلم الأمور السماوية والذي صعد إلى العلاء، وأن تفهم الابن الكلمة الذي يعلم الأمور الأرضية والذي قول إلى أسفل، إذا " لا تقل في قلبك من يصعد إلى السماء أي ليُحدر المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية أي أليصعد المسيح من الأموات، لكن ماذا يقول (الكتاب)؟ الكلمة قريبة منك في فمك وفي قلبك" (رو 10: 6-8).

يمكنك بواسطة الابن الكلمة أن تصعد إلى السماء أو أن تنزل إلى أسفل طالما أن "الكلمة قريبة منك". لأنه ماذا يمكن أن يوجد في داخل الإنسان البار إلا "كلمة الله" الذي يملأ الكل؛ فإنه بالفعل "ملكوت الله في داخلكم" [397].

ما هو "بيت الفخري"؟

سأله أن يذهب إلى "بيت الفخري" [2]. ما هو هذا البيت إلا كنيسة المسيح، بيته المقدس، المُقام في وادي هذا العالم، لا كمحكمة تدين الخطاة، وإنما كبيت فخري يحول الطين إلى وآنٍ مكرمة، أو كما يقول البابا أثاناسيوس الرسولي عن الكنيسة إنها مستشفى لا محكمة، تضم المرضى، لا ليستعدوا المرض أو يستسلموا له، بل ليشفوا منه.

وي البعض أن الكلمة العبرية لـ "فخري" تعنى "المُشكّل" أو "الجابل"، تُستخدم للتعبير عن إمكانية الله الخالق كما في (تك 2: 7-8؛ مز 94: 9)، وكما جاء في إشعياء: "يا لتحريفكم! هل يُحسب الجابل كالطين حتى يقول المصنوع عن صانعه لم يصنعني؟! أو تقول الجبلبة عن جابلها لم يفهم؟! (إش 29: 16).

الإتاء الفخري قبل حرقه والإتاء الخرفي

يقول العلامة أوريجينوس:

[توجد وصيتان متاليتان لإرميا: الأولى تختص بالإثناء المصنوع من الفخار الخام، والذي يكون قابلاً للإصلاح وإعادة التشكيل عندما يكسر، ذلك لأنه يمكن أن يصير عجينة لينة مرة أخرى في يد الفخري. والثانية تختص بالإثناء الفخري المصنوع من الخزف، الذي إذا انكسر لا يكون قابلاً للعلاج أو الإصلاح، لأنه جاز في النار وأصبح صلباً غير قابلٍ لإعادة التشكيل مرة أخرى.

طالما الفخار طيناً خاماً يكون قابلاً لإعادة التشكيل، لكن بمجرد دخوله النار يصبح صلباً إذا انكسر لا يمكن علاجه. ماذا يعني ذلك؟ نفهم هذا بصورة عامة أولاً، ثم إذا سمح الرب نفهمه بالتفصيل.

طالما نحن في هذه الحياة، نُعتبر آنية من الفخار الخام، إما أن نكون مصفوعين من الوذيلة أو الفضيلة. على أي الأحوال يُمكن أن تُكسر رذائلنا لتصير فضائل جديدة، كما أن تقدُّمنا في الفضيلة يكون قابلاً للوهج والتقهقر إلى الوراء. لكن حينما نعبّر الرُّمن الحاضر ونصل إلى الحياة الأخرى، نجوز في النار، سواء نار سهام الشوير المشتعلة أو في النار الإلهية بما أن **إلهنا نار آكلة**، وفي كلتي الحالتين سواء كُنَّا أشورًا أو صالحين، فإنه بعد كسْرنا (موتنا) لن يمكن إعادة تشكيلنا ولن نكون قابلين للإصلاح.

هكذا ما دمنا في هذه الحياة كأننا في يد الفخري: إذا سقط الإثناء من يديه يمكنه أن يعالجه ويصلحه. فلنتب عن خطايانا التي فعلناها بالجسد، ولنرجع إلى الله بكل قلوبنا الآن، لكي يمنحنا النجاة والخلص، طالما عندنا فرصة للتوبة، لأنه بعد خروجنا من العالم لن نتمكن من الاعتراف بخطايانا وتقديم توبة عنها.

هذا ما نستطيع أن نقوله بأسلوبٍ سريع ومجمل قبل أن نفحص بالتدقيق هذا النص الخاص بالوعين من الآنية الفخرية، إحداهما إثناء خام والآخر إثناء صلب [398].

في بيت الفخري

يقول رميا النبي:

"فتزلت إلى بيت الفخري،

وإذا هو يصنع عملاً على الولااب.

فسد الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخري،

فعاد وعمله وعاءً آخر كما حسُن في عيني الفخري أن يصنعه.

فصار إلى كلام الرب قائلاً:

أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخري يا ببيت إسرائيل؟ يقول الرب؟

هوذا كالطين بيد الفخري أنتم هكذا بيدي يا بيت إسرائيل" [3-6].

واضح هنا أن رميا قد دُعي ليقدم رسالة رجاء للشعب، فيركوا إمكانياتهم الحقيقية كطين في يد خالقٍ حكيمٍ قدير. يؤكد الله لهم أنه موجود ومحِب، قادر أن يشكلهم من جديد، إن رَأوا.

رأي رميا النبي الفخري بجوار الولااب، يحرك بقدميه قوصاً حجرياً دائرياً من أسفل، فتتحرك معه عجلة خشبية من أعلى، وقد بدأت أصابعه

تلعب في الطين ليُخرج الإثناء كما في ذهنه، بالشكل الذي يريد له. وكما جاء في ابن سواخ (38: 29) "هكذا أيضاً يجلس الفخري في عمله، ويحرك

العجلة بقدميه". ويؤكد أيوب البار سلطان الله على الإنسان، قائلاً: "يذهب بالمشيرين أسوى ويُحمق القضاة؛ يحل مناطق الملوك ويشد أحقاتهم بوثاق؛

يذهب بالكهنة أسوى ويقلب الأثوياء... يُكثر الأمم ثم يببدها؛ يُوسع للأمم ثم يُجلبها" (أي12 : 23-17).

بلا شك استوعى انتباه رميا النبي الآتي:

أ. بقوله: **وإذا هو يصنع عملاً على الولااب [3]** ، أوضح أن الفخري لا يلهو بالطين أو يلعب به، إنما يعمل في جدية عملاً هادفاً. هكذا حياتنا

في يدي الله - الفخري السموي - موضع اهتمامه، يعمل في جديّة خلال الأفراس والضيقات، بالتوفيق ترة، وبالضغط ترة أخرى، ليقوم منا آنية مقدسة مكرمة. الله هادف في خلقنا كما في تجديد طبيعتنا، هادف في إقامة ممالك وإرتها. كل العالم بين يديه، وكل التاريخ في قبضته، ليس من أمر يسير محض مصادفة.

ب. كيف يعجن الفخري الطين بيده ليخليها من فقاع الهواء، ويضعها في الولا ب ليترك وجليه ويديه بل وكل فكه، فيحول قطعة الطين التي لا شكل لها إلى إناء جميل، يوسع الفخري من هنا، ويضيقه من هناك، ويفتح فوهته الخ.

ج. "فسد الوعاء الذي كان يصنعه من الطين بيد الفخري فعاد وعمله وعاء آخر" [5]. وى العلامة أوريجينوس في هذا النص مسئوليتنا الشخصية عن فسادنا.

[لماذا لم يُلقِ النبي اللوم على الفخري باعتباره هو المسؤول عن فساد الوعاء الذي كان بين يديه؟ الإجابة ببساطة: أن النص يختص بآنية حية تفسد نتيجة خطأها، إذ يقول: "فسد الوعاء الذي كان يصنعه".

احذر إداً لئلا تسقط وتفسد حينما تكون في يدي الفخري وهو يُشكلك، ويكون فسادك نتيجة لخطأك. يقول السيد المسيح: "ولا يخطفها أحد من يدي" (يو 10: 28)، كما أنه لا يستطيع أحد أن يخطفها من يده، كذلك لا يستطيع أحد أن يُفسدها. بذلك يمكنني أن أقول: أنه لا يستطيع أحد أن يخطف شيئاً من يدي الراعي الصالح أو يؤعنا من بين يدي الرب، إنما بإهمالنا يمكننا أن نسقط ونفسد ونحن بين يديه [399].

خلق الله الإنسان صالحاً لكنه فسد خلال فساد رادة الإنسان، وصار الأمر يحتاج إلى تدخل الفخري نفسه القادر وحده على إعادة تشكيل الإناء. وكما يقول الرسول: "الجميع زاغوا وفسدوا معاً؛ ليس من يعمل صالحاً ليس ولا واحد" (رو 3: 12). يصف لنا البابا أنثاسيوس الرسولي عمل الفخري لإصلاح الطبيعة البشرية قائلاً:

[خلق الله الإنسان، ورأد له أن يبقى في عدم فساد، لكن البشر باحتفلهم ورفضهم التأمل في الله، ابتكروا ودبروا الشر لأنفسهم... فنالوا حكم الموت الذي أنذروا به، من ذلك الحين لم يستمروا كما خلُقوا، بل فسدوا حسب تدابروهم...]

وإذا ر أي "الكلمة" أن فساد البشر لا يمكن إبطله بأية وسيلة سوى الموت كشرطٍ ضروري... لهذه الغاية أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت، لكي باتحاد هذا الجسد بالكلمة الذي هو فوق الكل يكون جدواً بأن يموت بالنيابة عن الكل؛ ولأن الكلمة أتى وسكن فيه، يبقى في غير فساد، وبذلك يوزع الفساد من الكل بنعمة القيامة].

د. إذا تحطم إناء لا يلقيه خلجاً، بل يعود فيعجنه بيديه مرة أخرى، ويجمع الأجزاء المتناثرة منه بكل حرص، ويضغطها معاً ليجمع منها كتلة واحدة يعيد تشكيلها باهتمام شديد.

هـ. إذ يضع الفخري الإناء في الفون يعرف توجه الحولة المناسبة، ويحدد الوقت بكل دقة، حتى لا يحترق الإناء بنار زائدة، أو يفسد لانخفاض توجه الحولة. جاءت الكلمة العبرية المقابلة "في عيني" تحمل معنى "السرور"، فالفخري هنا ليس أجوراً يعمل لحساب آخر، بل يهوى عمله ويُسر به، يشتهي أن يقدم بيده الفنانة إناءً جميلاً يكون موضع سروره. هكذا زى في الله خالقنا ومخلصنا، أنه يعمل فينا لا لغرضٍ إلا لأننا موضع سروره، أو كما قيل في ابن سواخ إن لذة الله في بنى الإنسان. فإنه "لا يُسر بموت الشوير بل أن يرجع الشوير عن طريقه ويحيا" (حز 33: 11)، "ويرد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (1 تي 2: 4).

و. يستطيع الفخري أن يصنع ما يريده بالطين وليس العكس، وكأن الله هنا يؤكد لشعبه أنه من حقه أن يضع خطة خاصة بهم لا أن يضع الشعب خطة لله، كقول الرسول بولس: "بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله؟! أعل الجبله تقول لجابلها: لماذا صنعتني هكذا؟ أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان؟!". (رو 9: 20-21). كان يليق بهم أن يخضعوا لله الخراف السموي، الذي من أجل تقديسه للحرية الإنسانية يتوك للجبله حق الخيار، وإن كانت لا تقدر أن تتشكل بذاتها. إنها في حاجة إلى نعمته المجددة للطبيعة البشرية!

❖ بهذا يتكشف بجلاء أن نعمة الله ورحمته تعملان دوماً لأجل خيرنا، فإذا تركتنا نعمة الله لا تتفع كل الجهود العاملة شيئاً. مهما جاهد الإنسان بكل نشاطٍ لا يقدر أن يصل إلى حالته الأولى بغير معونة الله. [400]

الأب دانيال

في هذا المنظر تجلى لإرميا النبي حب الله لشعبه وصوه وطول أناته، كيف يشكّل الطبيعة الفاسدة ليقيم منها إناءً للكرامة مقدساً نافعاً للمجد (2 تي 2: 21). وكما سبق فصوخ إشعيا النبي: "الآن يلب أنت أبونا، نحن الطين وأنت جابلنا. وكلنا عمل يديك، لا تسخط كل السخط يلب، ولا تذكر الإثم إلى الأبد" (إش 64: 8-9).

قبل أن يصنع الفخري الإناء يترسم شكله في ذهنه، فراه مخفياً وراء كتلة الطين التي بلا شكل، وينتظر خروجه إلى عالم الوجود. هكذا رانا الله آنية كرامة مُعدة للمجد الأبدي، وانا خلال طبيعتنا الزاوية التي يعيد تشكيلها في مياه المعمودية بعمل روحه القدس النزي. حياتنا الزمنية أشبه بقطعة طين تدخل الولااب الذي يور في اتجاه واحد، فنظنها وليدة صدفة أو حياة مملّة، لكن يدي الفخري لا تتوقفان عن العمل لكي يحقق خطته تجاهنا. علينا أن نلبث في الدعوة التي دعينا إليها (1 كو 7: 20)، متكئين على صدر المخلص العامل فينا، فنشعر بلمسات يديه المرحوتين لأجلنا، ونبرك عنايته وحبه الباذل فنقول: "الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا معه كل شيء؟! (رو 8). بيديه يعيد تشكيلنا، فجعل من سمعان الذي يخشى جلية بطوس الصخرة التي لا تهترز أمام ملوك وولاءة، ومن شاول الطرسوسي مضطهد الكنيسة رسولاً كلزاً بإمكانيات فريدة. يحول حتى أخطأنا إلى ما هو للخير والبنيان مادما بين يديه مجاهدين. يحول الفتيلة المدخنة التي تُفسد العيون إلى شعلة نار ملتهبة.

عجيب هو هذا الفخري، فإنه يهب رجاءً لكل نفس. يجعل الحديد المفقود يطفو على وجه الماء (2 مل 6: 6) ويملاً الحوار الفلرعة خوراً جديدة جيدة (يو 2)، ويعوضنا عن السنين التي أكلها الحواد (يو 2: 25) ويورد الحرب حتى إن كانت قد بلغت إلى الباب (إش 28: 6).

❖ عندما شكّل آدم من الطين كان لا زال طويلاً... ومع ذلك كان كالقوميده (بلاطة) متمسكاً وغير فاسد، أهلكته الخطية، متسللة إليه ومنهولة عليه كالماء. لذلك عجنه الله من جديد وشكّل ذات الطينة هوة أخرى لأجل كرامة الله، فأتى بها قوية وثابتة في رحم البتول، ووحدها وربطها بالكلمة، حالياً جاء بها إلى الحياة فلم تعد بعد لينة أو منكسوة لثلا إذا افاضت عليها بعد مجرى الفساد من الخرج تلين وتهلك. اظهر الوب (اهتمامه بها) في تعليمه في مثل الخروف المنزول وحده، إذ قال ربي للذين حولته: "أي إنسان منكم له مائة خروف وأضاع واحداً منها ألا يتوك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده؟! وإذا وجده يضعه على منكبيه فوحاً، ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجوان، قائلاً لهم: افرحوا معي لأنني وجدت خروفي الضال" (لو 15: 4-6) [401].

الأب ميثوديس

وي الأب Methoduis أن هذا المثال يعلن عن حقيقة القيامة [402].

❖ يمكن لله ليس فقط أن يصلح هؤلاء الذين هم من طين، خلال جرن التجديد، بل ويعيدهم إلى حالتهم الأصلية، خلال توبتهم النافعة، هؤلاء الذين نالوا قوة الروح وأخطؤا. [403]

القديس يوحنا الذهبي الفم

بالقيامة يُعاد تشكيلنا

يقول العلامة أوريجينوس:

] "فصار إليّ كلام الرب قائلاً: أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخري يا بيت إسرائيل يقول الرب" [6]. يفهم كل واحدٍ هذا الكلام قدر

استطاعته: فيمكن لوحد أن يفهم المعنى بطريقة سطحية، ولآخر أن يفهمه بطريقة أكثر عمقاً. يفهم بعض الناس موضوع الوعاء الفخري الذي فسد وأعيد تشكيله بطريقة بسيطة... من وجهة نظر هؤلاء الناس، هذه القصة ترمز إلى القيامة. لأنه إذا كان وعاء الفخار قد سقط وفسد من يدي الفخري، وعاد هذا الفخري وعمله وعاءً آخر كما حسن في عينيه ، وعمله من نفس المادة التي عمل بها قبل ذلك، فإن الله هو أيضاً، بما أنه الفخري الذي عمل أجسادنا وخلق طبيعتنا يمكنه إذا سقط الوعاء وانكسر ، أن يعيد تشكيله ويصنع منه وعاءً آخر أحسن نوعاً كما يحسن في عينيه [404].

2 . الفخري المؤدّب:

بدأ أولاً برسالة الرجاء ليعلن أننا وإن كنا كطينة بلا قيمة، لكننا موضع سرور الفخري القادر أن يحولنا إلى إناء المجد. الآن يقدم الجانب الآخر، وهو إن لم نقبل حبه وحنانه ونسلم حياتنا بين أصابعه يقوم بالتأديب لأجل خلاصنا أيضاً. إنه يقدم دروساً قاسية لطينة عنيفة، قائلاً:

"ترة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك،

فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها،

فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها

وترة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس،

فتفعل الشر في عيني، فلا تسمع لصوتي،

فأندم عن الخير الذي قلت إنني أحسن إليها به" [7-10].

أمتان: واحدة تقتلع والأخرى تُغرس!

يقول العلامة أوريجينوس:

إيجانب هذا التفسير، لنسمع أيضاً التفسير الذي يقدمه لنا الرب نفسه:

"فصار إليّ كلام الرب قائلاً:

أما أستطيع أن أصنع بكم كهذا الفخري يا بيت إسرائيل يقول الرب.

هوذا كالطين بيد الفخري أنتم هكذا بيدي يا بيت إسرائيل.

ترة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك، فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن

أصنعه بها.

وترة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس، فتفعل الشر في عيني فلا تسمع لصوتي فأندم عن الخير الذي قلت إنني أحسن إليها به"

[5-10].

هكذا زى أن ما حدث في بيت الفخري لا يشير من الجانب الوزني إلى أحداث فورية (أي إلى قيامة الأواد) وإنما يُقصد به أمتان أو مملكتان.

من هما هاتان الأمتان؟ من هي الأمة الأولى التي يتكلم عليها بالقلع والهدم، ومن هي الثانية التي يعطيها الوعد بالبناء والغرس؟ الله في تهديده يهدد بحيث

إذ رجعت الأمة وتابت لا ينفذ فيها التهديد، كما أنه في عودته إذ رجعت الأمة وصلرت غير مستحقة تحرم من تلك الوعود...

قام الرب بتهديد الأمة الأولى، وظهر آثار هذا التهديد: فقد تم سبيهم، وحُربت مدينتهم، وُهدم الهيكل، ودُنس المذبح، ولم يبقَ عندهم شيئاً من

المقدسات التي كانوا يملكونها، لأن الرب قال لهذه الأمة: رجعي إليّ، فلم ترجع. ويتحدث الرب إلى الأمة الثانية عن بنائها وغرسها، لكنه زى أن تلك

الأمة مكونة من أناسٍ قابلين أيضاً للسقوط والفساد؛ لذلك يهددها ويقول لها: بالرغم من أنني تكلمت عليك في البداية بالبناء والغرس، إلا أنك إن أخطأت

بحدث لك ما حدث مع غورك حينما أخطأوا.

راجع كل الكتاب المقدس، نكتشف أن معظم أجزائه تتحدث عن هاتين الأمتين. اختار الرب الآباء الأولين (إواهم وإسحق ويعقوب) وأقام معهم وعوداً، وقام بإخراج الشعب الآتي من نسل الآباء من أرض مصر وحرره من العبودية. كان طويل الأناة معهم حينما كانوا يخطئون، وكان يصحح أخطأهم كأب، وأدخلهم إلى أرض الموعد وأعطاهم إياها، وأرسل لهم الأنبياء في فترات متعددة. كان يوجههم ويوحدهم ويتوبهم عن خطاياهم، وكان في طول أناة يرسل إليهم دائماً أشخاصاً لكي يساعدهم على الشفاء، إلى أن جاء رئيس الأطباء، والنبى الذي يفوق جميع الأنبياء. لكنه عندما جاء أسلموه للموت، قائلين: "خذ هذه"، خذ مثل هذا الإنسان من الأرض! "أصلبه أصلبه" (يو 19: 6، 15). من هنا اختار الله أمة أخرى. انظروا كيف أن الحصاد كثير بالرغم من أن الفعلة قليلون. في كل مكان وزمان يعمل الله على أن تكون شبكته دائماً ملقاة في بحر هذا العالم لكي يجمع فيها الأسماك من كل الأنواع؛ ويرسل صيادين كثيرين، وقانصين كثيرين، ويصطاد على كل جبل وعلى كل أكمة: انظر كم يعمل الله من أجل خلاص الأمم!

إذاً " هوذا لطف الله وصوامته، أما الصوامه فعلى الذين سقطوا"، أي على الأمة اليهودية التي سقطت، وأما اللطف فلنا نحن الأمة الأخرى، إن ثبتنا في اللطف، وإلا فإننا أيضاً سنقطع" (رو 11: 22). لأن الفأس لم تكن موضوعة على أصل الشجر في أيام السيد المسيح فقط، بل يمكن أن توضع من جديد في وقتنا الحاضر. قال يسوع المسيح في تنوّه عن سقوط إسرائيل: " هوذا الفأس قد وُضعت على أصل الشجر"، وأيضاً: " كل شجرة لا تأتي بثمر تُقطع وتلقى في النار". وأما الآن فيوجد زرع آخر، قيل عنه: " تجيء بهم وتغرسهم في جبل مواتك، المكان الذي صنعته يرب لسكنائك" (خر 15: 17). جاء الرب بأتمته الجديدة إلى جبل مواته. فإنني لن أبحث عن الجبل في وسط الأشياء الجامدة كما فعل اليهود؛ لأن الجبل هو السيد المسيح، غرسنا فيه وثبتنا فيه.

أنظروا إذاً هل يقول رب البيت - بعد أن يكون قد استخدم معنا طول الأناة - عندما يجيء: " هوذا ثلاث سنين آتى أطلب ثوراً في هذه التينة ولم أجد، اقطعها، لماذا تُبطل الأرض أيضاً؟" (لو 7: 13). لأن الإنسان، الذي يأتي إلى الكنيسة ولا يأتي بثمر يبطل أرض السيد المسيح الجيدة، التي هي الكنيسة، ويشغلها بدون فائدة [405].

❖ يقدم التهديد خلاصاً من الكرثة!

الحكم بالقلع يوقف القلع!

[406]

ياله من أمر غريب ومدهش، فإن الحكم الذي يهدد بالموت يجلب حياة!

القديس يوحنا الذهبي الفم

هل يندم الله؟

يقول العلامة أوريجينوس:

[ترة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والإهلاك فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها".

يطلب بعض الوثنيين المتقفين منا أن نبرر موقفنا وأن نفسر لهم ماذا يقصد "بندم الله". لأنه يبدو أن "الندم" أمر غير لائق، ليس فقط بالنسبة لله، إنما أيضاً بالنسبة لأي إنسان حكيم. لأنني لا أتقبل فكرة أن يندم إنسان حكيم، لأن من يندم يفعل ذلك لأنه لم يأخذ من البداية الجانب الصحيح أو الرأي الصائب. لا يمكن للرب الذي يرى المستقبل ويعرفه، أن يأخذ أي جانب آخر سوى الرأي السديد. إذاً كيف ينسب الكتاب المقدس لله القول "فأندم"؟... [1]

نجد نفس الفكرة في سفر الملوك أيضاً حينما يقول الرب: "ندمت على أنني قد جعلت شاول ملكاً" (1 صم 15: 11). ويُقال أيضاً عن الرب: "ويندم على الشر" (يو 2: 13). هلموا لننظر ماذا يقول لنا الكتاب المقدس أيضاً عن الله.

تره يقول: " ليس الله إنساناً فيكذب، ولا ابن إنسان فيندم" (عد 23: 19)، تعرفنا هذه الآية أن الله ليس إنساناً. ترة أخرى يتكلم عن الله كإنسان:

"فاعلم في قلبك أنه كما يؤدب الإنسان ابنه قد أدبك الرب إلهك" (تث 8: 5). إذاً، عندما يتحدث الكتاب المقدس عن لاهوت الرب، يقول إنه "ليس إنساناً"، وأن: "ليس لعظمته استقصاء" (مز 145: 3). وأنه "مهوب على كل الآلهة" (مز 96: 4). ويقول أيضاً: "سبحوه يا جميع ملائكته. سبحوه يا كل جنوده. سبحيه أيتها الشمس والقمر. سبحيه يا جميع كواكب النور" (مز 148: 2-3).

لكن عندما تنزل الله وأخذ جسداً واختلط بالناس، أخذ أيضاً حكمة الناس ولغتهم، فعل تماماً مثلما فعل نحن حينما نريد أن نتحدث إلى طفلٍ عمره سنتين، فنقوم بعمل حركات وأصوات غير مفهومة تناسب الطفل، أما إذا احتفظنا بوقلنا وأصرنا على الحديث معه بلغة البالغين لن يفهم شيئاً. هكذا يفعل الله في اهتمامه بالجنس البشري، وخاصة الأطفال منهم. انظروا كيف أننا نحن البالغين نقوم بتغيير أسماء الأشياء بالنسبة للأطفال الصغار؛ فنسمي لهم الخبز باسم خاص، والشرب باسم آخر، دون أن نستعين بلغة البالغين التي يستخدمونها في أحاديثهم. ماذا إذاً، هل نحن أشخاص غير ناضجين؟ هل إذاً سمعنا أحد ونحن نتكلم مع هؤلاء الأطفال يقول: لقد فقد هذا الشيخ عقله وتناسى شببته ووقره؟ ألا نرجعوا هذا بالأولى إلى الظروف التي دفعت الشيخ الوقور إلى استخدام تلك اللغة؛ وهي مخاطبة الأطفال؟

بالمثل، يتحدث الله أيضاً إلى أطفالٍ. قال المخلص: "هأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب". بما أننا أشخاص وبشر نندم، فإن الله عندما يريد أن يخاطبنا بلغتنا، يقول: "ندمت"، وحينما يهددنا لا يظهر نفسه بصورة مَنْ يَعْلَم المستقبل، لكنه يتصرف معنا كمن يخاطب أطفالاً، بالرغم من أنه "يعرف جميع الأشياء قبل أن تكون".

في مخاطبته للأطفال الصغار يتظاهر بأنه كمن لا يعرف المستقبل. يقول: إذا رجعت هذه الأمة عن شوها، سأندم أنا أيضاً عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها.

أه يرب! عندما كنت تهدد، ألم تكن تعلم ما إذا كانت هذه الأمة سوف تتوب أم لا؟

وحينما كنت تعطى وعوداً، ألم تكن تعلم ما إذا كان الإنسان أو الأمة التي وجهت إليها وعودك ستظل مستحقة لتلك الوعود أم لا؟ كنت تعلم كل شيء لكنك كنت تتظاهر بعدم المعرفة.

تجد في الكتاب المقدس أمثلة كثيرة من هذا النوع، منها: "تكلم مع بني إسرائيل، لعلمهم يسمعون ويتوبون". ليس أن الله كان غير متأكدٍ عندما قال: "لعلمهم يسمعون"، لأن الله لن يقع في الشك أبداً؛ لكنه قال ذلك حتى يُظهر بوضوح حرية رادتك، حتى لا تقول: بما أن الله يعرف مسبقاً أنني سأخلص، إذن لا بد أن أخلص. يتظاهر بعدم معرفته لما سيحدث لك لكي يحترم حرية رادتك وتصرفاتك.

تجد أجزاء كثيرة في الكتاب المقدس يتشبه فيها الله بصفات الإنسان. فإذا سمعت يوماً كلمات "غضب الله وثورته" لا تظن أن الغضب والثورة عواطف وصفات موجودة لدى الله، إنما هي طريقة بها يتنزل الله ويتكلم ليؤدب أطفاله ويصلحهم. لأننا نحن أيضاً حينما نريد أن نوجه ولادنا ونصح أخطاءهم نظهر أمامهم بصورةٍ مخيفةٍ ووجه صلبٍ وحلٍ لا يتناسب مع مشاعرنا الحقيقية، إنما يتناسب مع طريقة التأديب.

إذا أظهرنا على وجوهنا التسامح والتساهل الموجود في نفوسنا ومشاعرنا الداخلية تجاه أطفالنا بشكلٍ دائمٍ، دون أن نغير ملامح وجوهنا بحسب تصرفات الأطفال، نفسدهم ونرددهم إلى أسوأ. بهذه الطريقة نتكلم عن غضب الله، فحينما يُقال أن الله يغضب، المقصود بهذا الغضب هو توبتك وإصلاحك، لأن الله في حقيقته لا يغضب ولا يثور، بل أنت الذي تتحمل آثار الغضب والثورة عندما تقع في العذابات الإهية القاسية بسبب خطاياك وشوروك، في حالة تأديب الله لك بما نسميه غضب الله! [407].

هنا لا نفهم كلمة "أندم" بمعنى أن الله يغير رأيه كأنه غير عارفٍ بما سيحدث في المستقبل، إنما إذ يتحدث الله معنا نحن البشر يكلمنا بلغتنا، مؤكداً لنا أنه في محبته للإنسان يعطيه حرية الإرادة. فإن كان الله يريد تأديب شخصٍ أو جماعةٍ بسبب الخطية ويقدم الشخص أو الجماعة توبة صادقة قلبية، يرفع عنه أو عنهم التأديب. وإذا ما كان إنسان ما (أو جماعة) يستحق بركات كثيرة لكنه انصرف، يمد الله يده للتأديب. المتغير ليس الله، بل الإنسان الذي ترة يغتصب مواحم الله بالتوبة، وترة يجلب لنفسه تأديباً بانحرفه.

هنا يؤكد نور الإنسان وحرية رادته، فإن الله لا يُؤمنا أن نقبل عمل الخلاص، إنما يحثنا عليه.

❖ [408] لا يغضبنا الله، ولا تُؤم نعمة الروح رادتنا، لكن الله ينادينا، وينتظر أن نتقدم إليه بكامل حريتنا، فإذا اقتربنا يهبنا كل عونه.

❖ [409] الله لا يُؤم الذين لا يريدونه، لكنه يجتنب الذين يريدون.

❖ [410] نحن سادة، في إمكاننا أن نجعل كل عضو فينا آلة للشر، أو آلة للبر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هنا يُحمّل الله مملكة يهوذا، على المستوى الجماعي كما على المستوى الشخصي، المسؤولية. لقد أظهرت نفسها أنها غير طيعة، بل عنيدة ومقاومة لله.

يعلق القديس يوحنا الذهبي الفم على العبريات السابقة [7-10]، قائلاً: [هذا القانون بحق وضعه الله من البداية ونشوه على كل البشر بالنبى لكي يطبق بدقة... برواعة هذا القانون خلص الذين تحولوا عن غضبه وتحرروا، بتوكلهم شرورهم [411].

ربما يتساءل أحد: هل يصنع الله شراً [8]؟

يجيب العلامة توتليان لا يُقصد هنا بالشر الخطايا وإنما التأديب: [لا تعني الخطايا الشورة بل العقاب... فالليونان يستخدمون أحياناً كلمة "شرور" على الأتعاب والأضرار [412].

"فالآن كلّم رجال يهوذا وسكان أورشليم، قائلاً:

هكذا قال الرب:

هأنذا مُصدرٍ عليكم قصداً،

فرجعوا كل واحدٍ عن طريقه الوديء،

وأصلحوا طرقكم وأعمالكم" [11].

هذا هو نداء الرب عبر كل العصور، فيه يبدو الله حلماً، يصدر علينا تأديباً نحسبه شراً، أما غايته فهو رجوعنا عن طريقنا الوديء وإصلاح حياتنا حتى نحمل صورته ونشركه سماته، ولا نسقط في الهلاك.

إن كان الله هو الفخري الذي يشكل الطين فإنه يبدو أحياناً قاسياً لكي يقبل الطين أن تمتد يد الفخري إليه وتعمل حسب مقاصده الإلهية من نوره. في ذهن الله خطة من نحننا نحن الطين، لكنه لا يعمل بدون موافقتنا.

كانت إجابة الشعب على النداء الإلهي مملوءة استهتلاً.

"فقالوا: باطل،

لأننا نسعى وراء أفكلنا (شورونا)،

وكل واحدٍ يعمل حسب عناد قلبه الوديء" [12].

ربما كان هذا تقرير قدمه لرميا النبي لله في مرة قلب، فيه يشكو الشعب لأجل استهتارهم بتهديدات الرب الخاصة بالتأديب، وإصولهم على العناد ضد الله نفسه وضده خطته. جاءت إجابتهم على الله مملوءة عنفاً وعناداً.

إن كنتم تعيشون في حياة الخطية تكون إجابتم كالإجابة السابقة تماماً، حتى وإن لم تستخدموا نفس الكلمات، لا تجيوا بشفاهم على الإطلاق، بل أعمالكم الشورة هي التي تجيب على الدعوة التي يوجهها الله لكم للتوبة.

ماذا تعني عبلة: "لأننا نسعى وراء أفكلنا (شورونا)؟"

الذين بدعوا بوضع أيديهم على المحاوث و امتنوا إلى ما هو قدام لكي يزرعوا نسوا ما هو وراء، وأعطوا ظهورهم للأعمال الشوية. أما إذا وضع أحد يده على المحاوث ونظر إلى اليراء فهو يسعى وراء شوره، لأنه يسعى مرة أخرى إلى الأشياء التي كان قد تحول عنها، ويجيء مسوعاً إلى الخطايا التي تركها.

يقول العلامة أوريجينوس : [كل الذين بعدما سمعوا دعوة الرب للتوبة تحولت حياتهم إلى الفساد، سواء كانوا مسيحيين قد تكونوا الحياة الوثنية، أو مؤمنين قد تقدموا في الإيمان ثم بعد ذلك سقطوا ورفضوا التوبة، لن يستطيعوا أن يقولوا سوى تلك الكلمات: "لأننا نسعى وراء أفكلنا (شورنا) وكل واحد يعمل حسب عناد قلبه الرديء" ^[413]].

أمام هذا الاستهتار والإصرار على العناد قيل:

"لذلك هكذا قال الرب:

اسألوا بين الأمم، من سمع كهذه؟

ما يُقشعر منه جداً عملت عناء إسرائيل.

هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان؟!

أو هل تنشف المياه المنفجرة الباردة الجارية؟!

لأن شعبي قد نسيني.

بخروا للباطل وقد أعثروهم في السبل القديمة ليسلكوا في شعب في طريق غير سهل" [13-15].

تكررت عبارة: " هكذا قال الرب" 26 مرة في سفر لرميا، أما هنا فيصيف: "لذلك"، وكأن ما يصوره من حكم هنا إنما يقدمه بعد تقديم حيثيات

للحكم...

جعل الله من شعبه عناءً ، مقدماً لها كل إمكانيات لتملرس الحياة المقدسة، فأساءت استخدام العطايا الإلهية. هذا بالنسبة لكنيسة العهد القديم، فماذا بالنسبة لكنيسة العهد الجديد، إذ يقول الرسول: "لأن الذين استنبهوا مرة، وذاقوا الموهبة السملوية، وصلوا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي، وسقطوا، لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة، إذ هم يصلون لأنفسهم ابن الله ثانية ويشهرونه" (عب 6: 4-6). وأيضاً: "فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مُستحقاً من داس دم ابن الله وحسب دم العهد الذي قُدس به دنساً وُلوى بروح النعمة؟!" (عب 10: 29).

"اسألوا بين الأمم، من سمع كهذه؟

ما يُقشعر منه جداً عملت عناء إسرائيل".

يقول العلامة أوريجينوس:

إقال الرب لؤلؤ الناس: " لذلك هكذا قال الرب: اسألوا بين الأمم، من سمع كهذه؟! ما يُقشعر منه جداً عملت عناء إسرائيل". يبدو للبعض

أن هذه الكلمات قيلت بدون هدفٍ أو قصدٍ معين. لكنني أقول لا، بل إذارجعت كنيسة الأمم إلى الرب بكل قلبها يُقال لها: "اسألوا بين الأمم، واسموا

المصائب الكثيرة التي رتكتها عناء إسرائيل". دعونا نقرن إذأ بين حياة اليهود الذين أخطأوا وبين حياة هؤلاء الذين تابوا وآمنوا، عندئذ نعرف أن

اليهود قد عملوا ما يُقشعر منه جداً حينما قتلوا رب المجد؛ في حين أن الأمم تابوا ورجعوا إليه بعد ما قتله اليهود، دفعوه إلى الموت من أجل خلاص

العالم ^[414]].

مما يحزن قلب الله أن مملكة يهوذا ليس فقط لم تستجب لنداء حبه، ولا تجاوبت مع نعمته، إنما سلكت أيضاً ضد الطبيعة والمنطق، الأمر الذي

لا يحدث بذات الصورة حتى بين الأمم الوثنية. عندما أخطأت نيفوى استجابت لأول نداء قدم إليها بواسطة يونان الذي لم يقدم لها أي رجاء في الخلاص،

وقدمت توبة جماعية، أما يهوذا فقدّم لها عطايا إلهية كثيرة ورُسل لها أنبياء، وها هي ترفض عريسها الإلهي وتتغرب عنه، ولا تريد العودة إليه.

في عرضٍ مسهبٍ قدم القديس يوحنا الذهبي الفم مقارنة بين الشعب اليهودي في عناده بالرغم مما قدم الله له من إمكانيات وبين أهل نينوى سويعي التوبة، جاء فيه:

آية عطايا قُدمت لليهود (في خروجهم من مصر)؟!:

ألم تقم المخلوقات المنظورة كلها بخدمتهم؟! وأعطيت لهم وسائل جديدة وفريدة للحياة؟! فإنهم (في الرية) لم يكونوا يذهبون إلى سوقٍ، إنما يأخذون مجانًا بما يُشْتَوَى بمالٍ، ولم يَفْلَحُوا لِرُضًا، ولا استخدموا محراثًا، ولا مهتوا للأرض للزراعة، ولا ألقوا بذلًا، ولا احتاجوا إلى أمطارٍ ورياحٍ أو إلى فصول السنة الزراعية... لم يحتاجوا إلى أدواتٍ للعجن... ولا إلى أي فوعٍ آخر من الأدوات الخاصة بالنسج والبناء وصنع الأحذية، بل كانت كلمة الله هي كل شيء بالنسبة لهم.

كانت لهم مائدة لم تعدها يد بشوية، أُعدت بدون جهاد أو تعب، لأنه هكذا كانت طبيعة المن: كان جديدًا وطلجًا، لا يحملهم أية مشقةٍ أو جهادٍ. ثيابهم وأحذيتهم وأبدانهم فقدت ضعفها الطبيعي؛ ثيابهم وأحذيتهم لم تَبَلْ بعامل الزمن، وأرجلهم لم تتورم بالرغم من كثرة السير. ولم يُذكر قط أن بينهم كان أطباء أو نواء أو أي شيء من هذا القبيل. وهكذا أنوع كل ضعفٍ من بينهم. قيل: "فأخرجهم بفضةٍ وذهبٍ، ولم يكن في أسباطهم عاثر (هزئ)" (مز 105: 37)...

لم تضوبهم أشعة الشمس في حورتها، لأن السحابة كانت تظلهم وتحيط بهم كمؤى متحرك يحمي أجساد الشعب كله.

لم يحتاجوا إلى مشعلٍ يبدد ظلام الليل، بل كان لهم عمود النار مصدر إضاءة لا يُنطق به، يقوم بعملين: الإضاءة مع توجيههم في طريق رحلتهم... قائدًا هؤلاء الضيوف الذين بلا عدد في وسط الرية بدقة أفضل من أي موشدٍ بشوى...

لم يسيروا على البر فقط بل وفي البحر كما لو كان رُضًا يابسة... قاموا بتجربة جريئة تخالف قوانين الطبيعة، إذ وطأوا البحر الثائر... ماذا أقول عن الصخرة التي أخرجت ينابيع ماء؟ وسحابة الطيور التي غطت الأرض بكثرتها؟!...

ومع ذلك فإنه بعد عناية ملموسة عظيمة هكذا، وبركات لا يُنطق بها، ومعجزات قوية، واهتمام زائد، وتعليم مستمر... تدمروا بلا إحساس!

أما أهل نينوى فبالرغم من كونهم شعبًا يرويًا وغريبًا، ليس له أية شركة في البركات، صغرة أو كبيرة، لا بكلمات ولا بمعجزات ولا بأعمال، هؤلاء عندماروا إنسانًا مُنقذًا من الغرق لم يلتق بهم من قبل ولا سبق لهم أن عرفوه يدخل مدينتهم، قائلاً: "بعد (رُبعين) يومًا تتقلب نينوى" (يون 3: 4) رجعوا وتابوا... وزعوا شرورهم القديمة، وتقدموا في حياة الفضيلة بالتوبة...

بالرغم من أن شعب نينوى لم يكن لهم أي نصيب من المعجزات التي للشعب اليهودي، لكن بقدر ما كان لديهم من استعدادٍ داخلي حسن، إذ أعطيت لهم فرصة بسيطة استفادوا منها ليصبروا إلى حالٍ أفضل، بالرغم من جهلهم بالوحي الإلهي وابتعادهم عن فلسطين! [415].

❖ من لا يحزن على مثل هذه الأمور ويقول: "كيف صلت الرية (المدينة) الأمانة زانية؟!!" (إش 1: 21)...

خطبتها لنفسي بثقةٍ وفي طهارةٍ وبردٍ وعدلٍ وحنوٍ ورحمةٍ كما وعدتها بهوشع النبي (2: 19)، لكنها ارتبطت بغباء، بينما أنارجلها حيًا! دُعيت زانية ولم تخف أن ترتبط ورجلٍ آخر.

ماذا يقول قائد العروس (الصديق الذي يقودها من بيت أبيها إلى حجال العرس) بولس الإلهي الطوبوي الذي خلال تأمله وتعاليمه تركت بيت أبيها واتحدت بالرب؟ ألا يقول أيضًا في أسى خشية حدوث مثل هذه المتاعب: "الذي فُعت منه جاء عليّ" (أي 3: 25). "إني خطبتكم لرجلٍ واحدٍ لأقدم عواء عفيفةٍ للمسيح" (2 كو 11: 2) أن ني بالحق دائمًا "أخاف أنه كما خدعت الحية هواء بمكوها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة التي في

المسيح" (2 كو 11: 3) [416]...

"هل يجف ثدي الصخرة؟"

أو هل يخلو الثلج من لبنان؟

أو هل تنشف المياه التي جاءت بها الرياح الشديدة؟" [14] (LXX).

[417]

يُرجم البعض عبدة: "هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان؟" هكذا: "هل يخلو توبة من صخر، وثلج من لبنان؟".

إن كانت الصخور القاسية لا تخلو من توبة صالحة للزراعة، ولبنان لا تخلو من ثلج، وينابيع المياه لا تتوقف، فلماذا جف شعب الله هكذا ولم يوجد بعد فيه توبة صالحة تقدم ثمرًا روحيًا، أو نقوة كالثلج، أو مياه الروح القدس؟! هكذا يحزن الله على شعبه الذي فقد كل صلاح من ثمر نافع وطهارة وعمل الروح.

وى البعض انه يقصد بالجبل الذي يعلوه الثلج هو حرمون. في الواقع يخلو منه الثلج في شهر يونيو، لكن تبقى قمته كما قمم بقية الجبال العالية يكسوها الثلج أغلب أيام السنة.

❖ من هي هذه البتول التي رتوت بمجرى الثالوث، والتي من صخرتها فاضت المياه، وثديها لم يتوقف وقد فاض عسلها؟!

بحسب قول الرسول، الصخرة هي المسيح (1 كو 10: 4)، فمن المسيح لم يتوقف ثديه، ولا البهاء عن الله، ولا النهر عن الروح. هذا هو

[418]

الثالوث الذي عطر على كنيستهم الآب والمسيح والروح.

القديس أمبروسيو

يقول العلامة أوريجينوس:

["هل يجف ثدي الصخرة؟ أو هل يخلو الثلج من لبنان؟ أو هل تنشف المياه التي جاءت بها الرياح الشديدة؟"] [14] (LXX).

يتعلق الأمر هنا بأنواع مختلفة من المياه:

في المقام الأول ثدي الصخرة؛

في المقام الثاني ثلج لبنان؛

وفي المقام الثالث المياه التي جاءت بها الرياح الشديدة.

هذه الأنواع الثلاثة من المياه هي التي تشتاقي إليها نفوس الأرياء الذين أصبحوا مثل الأيائل، حتى أن كل واحد منهم يمكنه أن يقول: "كما يشتاقي الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاقي نفسي إليك يا الله" (مز 42: 1). من إذن أصبح مثل الإيل الذي يُقال عنه إنه عدو الثعابين بكل أجناسها وأنواعها ولا يتأثر بسمومها؟ من أصبح عطشانًا إلى الله فيقول "عطشت نفسي إلى الله الإله الحي" (مز 42: 2)؟

من أصبح عطشانًا إلى ثدي الصخرة، والصخرة كانت المسيح؟

من أصبح عطشانًا إلى الروح القدس فيقول: "كما يشتاقي الإيل إلى جداول المياه هكذا تشتاقي نفسي إليك يا الله؟"

إذا لم نعطف إلى هذه الثلاثة ينابيع من المياه معًا، لا نستطيع أن نجد أي واحدٍ منها على حدة. كان اليهود يعطشون إلى ينوع واحد وهو الله الآب؛ لكن لأنهم لم يعطشوا إلى السيد المسيح ولا إلى الروح القدس؛ لم يستطيعوا أن يشربوا حتى من الآب. كذلك الواطقة كان يبدو عليهم أنهم يعطشون إلى يسوع المسيح، لكنهم لم يعطشوا إلى الآب الذي هو رب الناموس والأنبياء، لذلك لم يستطيعوا أن يشربوا من السيد المسيح. وأيضًا الذين يتمسكون بالرب لكنهم يحتقرون النوات لم يعطشوا إلى الروح القدس الموجود في الأنبياء، لهذا لن يشربوا أيضًا من الآب، ولا من السيد المسيح الذي وقف في الهيكل ونادى قائلاً: "إن عطش أحد فليقبل إلى ويشرب" (يو 7: 37).

إن ثدي الصخرة لن يجف ، لكنهما يجفان إذا تركا ينوع المياه الحية؛ إذا هما تركا ينوع، ولم يُقل ينوع تركهما. بالفعل، فإن الله لا يبتعد عن

أحد، لكن الذين يبتعدون عنه يهلكون. الله على العكس، يقترب إلينا، ويذهب لملاقاة الإنسان الذي وُجِعَ إليه. عندمارجع الابن الضال الذي أضاع ثروة أبيه، "إذ كان لم يزل بعيداً رآه أبوه فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو 15: 20).

إذن ثديا الصخرة، أو يباع مياه السيد المسيح لن يجفأ؛ كذلك الثلج الذي هو مياه الآب لن يخلو من لبنان.

في الواقع أن البخور المقدس الذي توصى به شريعة الله والذي يُقدم على المذبح يكون لونه أبيضاً ويدعى لبناً أي لبنان (تدعى لبنان بالفونسية Liban واللبنان Libanos). إذن جبل لبنان له نفس اسم البخور، ويقول ثلجاً من على Liban مثل مياه الروح القدس التي يُقال عنها: "هل تتشف المياه التي جاءت بها الرياح الشديدة؟" إن مياه الروح القدس لا تتشف، ولا تهرب، ولكننا نحن بارتكابنا الخطية نهرب منها بدلاً من أن نشرب من تلك المياه المقدسة [419].

كثوفاً ما يكرر الله عتابه لشعبه قائلاً إنهم تركوه، أما هنا فلا يقف الأمر عند الترك إنما قد نسوه تماماً: "لأن شعبي قد نسيتني" [15].

نسوا الرب فاختاروا طريق الجحود، الذي في ظاهره مملوء ترفاً وبهجة، لكنه في حقيقته مملوء شُعباً وغير سهل؛ انحرفوا عن الطريق السموي الملوكي.

أبرز كيف حولتهم الخطية إلى الغباء والجهالة، فإنهم إذ ينسون الله من أجل الأوثان يصيرون مثل مسافرٍ في حالة ظمأ يتوك الثلج الذي على قمم الجبال وقد ذاب وتول على الجبال وفاض من الصخور كمجرى مياه نقيّة ونظيفة كالكروستال، حاسباً أنه يجد ماءً أفضل في المياه الراكدة المملوءة طمياً. هل يفعل مسافر هكذا؟ أو هل يتوك ماءً برداً يأتي من أي مكانٍ آخر في وسط حر الصيف؟!

تركوا الطرق القديمة التي عينها ناموس الإلهي والتي سلكها القديسون، الطريق الآمن الملوكي العوي، وانحرفوا إلى العبادة الوثنية.

هكذا إذ يضلون الطريق السموي الملكي، يُحرمون من الوصول إلى المدينة التي وُجِعَتْ إليها أنظرنا. [420]

الأب إواهييم

يقول العلامة أوريجينوس:

["لأن شعبي قد نسيتني، بخرّوا للباطل" [15].

كل إنسان يخطئ ينسى الرب، بينما البار يقول: " هذا كله جاء علينا وما نسيناك ولا خُنا في عهدك" (مز 44: 17). لقد نسي هذا الشعب الله، وبخرّوا للباطل.

لنتأمل ماذا تعني هذه الآية: "بخرّوا للباطل"؟ يقول المزمور: "لستقم صلاتي كالبخور قدامك". إذن صلاتي الرقيقة المكونة من أفكارٍ سموية خفيفة والصالوة من قلبٍ لطيفٍ وخفيفٍ غير مثقلٍ بهموم العالم تصعد أمام الله كرائحة بخور نكيّة.

بما أن صلاة الإنسان البار هي رائحة بخور أمام الله، كذلك صلاة الإنسان الشوير هي أيضاً رائحة بخور، لكن كالبخور الذي قيل عنه: "بخرّوا

للباطل" [421].

إذ يصر الشعب على تجاهل الله إلهه، بل تناسيه تماماً، يسقطون تحت التأديب:

"لتجعل أرضهم خراباً وصفواً أبدياً.

كل مارٍ فيها يدّش وينغص رأسه.

كريحٍ شرقيةٍ أبددهم أمام العدو.

أريهم القفا لا الوجه في يوم مصيبتهم" [16-17].

يمكن تلخيص التأديب في الآتي:

وَأولاً: "لتجعل أرضهم خراباً [16] ، كأن الأرض التي احتضنت الفساد والجحود ونسيان الرب لا تثمر إلا خراباً. هكذا أرض الإنسان أي جسده

الذي يتلذذ بالخطية، حاسبًا أن سعادته في ملذات الجسد يفقد حتى صحته وسلامته.

ثانياً: لتجعل أرضهم... صفوياً أبدياً" [16]. لقد فضلوا عدو الخير إبليس، الحية القديمة، عن خالقهم ومخلصهم، لهذا تتحول أرضهم إلى مسكن دائم للحيات، لا تُسمع فيها إلا صفوها. والعجيب أنه في السنوات الأخيرة بدأت تحتل الحية مركزاً خاصاً في العالم الحديث، فزى في بعض المدن محاولة جادة لجذب الإنسان نحو الحية... على سبيل المثال في أستراليا في بعض دور الحضارة يعلمون الأطفال ما يسمى بـ "قصّة الحية"!

ثالثاً: تصوير موضع سخريّة كل من يعبر بها: "كل ما يدهش وينغص رأسه" [16]. نغص الرأس يشير إلى السخريّة والاستهزاء، مع حالة من الرعب والخوف مما يحدث، كما تُستخدم كوعٍ من الشماتة مع الدهشة على غياب هذا الشعب في علاقته بالله...

رابعاً: تتعرض لهجوم العدو كريحٍ شرقية جافة وحلّة وعنيفة تبتدهم، ليس من يقدر أن يقف أمامها.

خامساً: يصوخون إلى الله لكنه لا يستجيب لهم في يوم مصيبتهم حتى يطلبون في جديّة الوجود إليه، لأنهم كسروا العهد معه. أعطوه القفا لا الوجه أي نبوه، لذا يعطيهم هو أيضاً القفا لا الوجه، لأنه بالكيل الذي به يكيلون يُكَلِّلهم ويزداد، لكي يتركوا قيمة حرمانهم من الوجه الإلهي. هذه هي أقصى عقوبة، أن يدير الله وجهه عنا. فإنه مهما بلغت التجرب في قسوتها يمكن احتمالها إن أركاننا أن الله يتطلع إلينا ويتوفّق بنا، أما إذا أدار وجهه عنا، فنتحول حياتنا إلى جحيم لا يُطاق، ونعاني من الشعور بالغزلة، الأمر الذي عانى منه آدم وحواء وهما في الفردوس!

3 . الرغبة في الخلاص من رميا:

بدأ الأعداء يخططون ضده، حاسبين أن ما يقوله إنما هي تهديدات لن تتم، فستبقى الحياة كما هي... لا يحل الخواب ولا تُباد الشريعة عن الكاهن الخ.

"فقالوا: هلم فنفكر على رميا أفكاراً،

لأن الشريعة لا تبيد عن الكاهن،

ولا المشورة عن الحكيم،

ولا الكلمة عن النبي.

هلم فنضربه باللسان،

ولكل كلامه لا نصغ" [18].

رأوا الاقتراء عليه باتهامات باطلة دون الإصغاء إليه، بقصد قتله [23]. [لعلهم قصصوا بضربه باللسان هو اصطيد كلمات من فمه، لاتهامه بكلمات نطق هو بها، كسلاح يستخدمونه لقتله، أو أنهم رأوا أن بيكوا فمه فلا ينطق بكلمة الرب.

العداء هو ضد كلمة الرب وإن ظهر أنه شخصي. رميا ليس طرفاً في المعركة، إنما هو ممثل كلمة الرب التي لا يطيقها عدو الخير. العجيب أنهم وهم يقاومون الكلمة الإلهية يظهرون كأنهم مدافعون عنها، يعملون كي لا تبيد الشريعة عن الكاهن والمشورة عن الحكيم والكلمة عن النبي. يظهرون كأنهم ممثلون غرة على الشريعة والناموس الإلهي وخدمة الهيكل وهم في الواقع مقاومون لهذه كلها. الاتهامان الموجهان ضده:

ولأ أنه ليس بنبي حقيقي وأنه يدعى النبوة، ما ينطق به ليس من الله، بل هو تجديف [422]. لأن الشريعة تُؤخذ من فم الكاهن لا من فم رميا.

لذلك يجب الخلاص منه حتى تُسمع الشريعة من فم الكاهن والمشورة من الحكيم وكلمة الرب من فم الأنبياء.

الثاني أنه أخذ موقفاً مضاداً للكهنه والحكام والأنبياء (الكذبة). هذا بجانب الاتهامات الأخرى، كمحطّمٍ لنفسية القيادات والشعب بنواته المملوءة

تساؤلاً في نظهم!

لقد رأوا أن بيكوا فمه فيصمت تماماً، وإذ عرفوا أنهم لن يستطيعوا فكروا في قتله [23].

سبق أن قام أهل قريته عناثوث (أقربيه) بتدبير مؤامرة ضد رميا، قاموا بها لأنهم حسوه أساء إلى سمعتهم ووضعهم في موقفٍ لا يُحسون عليه، أما الآن فالذين يخططون للمؤامرة هم الكهنة والحكماء والأنبياء الكذبة... اتفقوا معاً لاتهامه بالهروطقة والخيانة الوطنية. في المؤامرة الأولى صوخ: "لماذا تُنجح طريق الأشرار؟" (12: 1)، أما هنا فقدم صلاة مَوَّة للغاية، تكشف عن مدى تعب رميا الشديد... تُعتبر أفسى صلاة للانتقام في كل السفر. فقد وجد نفسه مُحاطاً بالشباك التي نصبها له من كان يجب أن يساعوه، وشعر كأن الحق قد صار في خطر، والشعب كله بكل إمكانياته ينهار بسبب قيادات فاسدة مُعرضة. حاول معهم موة وموات، وكان يُصلي لأجلهم ويشفع عنهم، أما وقد شعر باستحالة توبتهم، وأترك خطر عملهم فصار يصوخ للتدخل الإلهي. رفع رميا قلبه لله ملجأه كي يدافع عنه ضد الأنبياء الكذبة الذين يدفعون الشعب كله نحو الهلاك، ويطلبون أيضاً نفسه:

"اصغ لي يارب واسمع صوت أخصامي.
هل يُجلى عن خيرٍ بشرٍ؟!
لأنهم حفروا حفوةً لنفسي.
أذكر وقوفي أمامك لأتكلّم عنهم بالخير،
لأرد غضبك عنهم.
لذلك سلم بنيهم للجوع،
وإدفعهم ليد السيف،
فتصير نسؤهم تكالي ورامل،
وتصير رجالهم قتلى الموت،
وشبانهم مضروبي السيف في الحرب.
ليسمع صياح من بيوتهم، إذ تجلب عليهم جيشاً بغتةً.
لأنهم حفروا حفوةً ليُمسكوني،
وطمروا فخاخاً لرجلي.
وأنت يارب عرفت كل مشورتهم عليّ للموت.
لا تصفح عن إثمهم،
ولا تمحُ خطيتهم من أمامك،
بل ليكونوا متعثرين أمامك.
في وقت غضبك عاملهم" [19-23].

في هذا ينطق رميا بصلاة تقرب من تلك التي قدمها داود النبي:
"خاصم يارب مخاصمي، قاتل مقاتلي...
شهود زور يقومون، وعمال لم أعلم يسألونني.
يجزوني عن الخير شوا. تكلاًً لنفسي.

أما أنا ففي موضعهم كان لباسي مسحاً. أدللت بالصوم نفسي... (مز 35).

هكذا كان رميا النبي مثل داود النبي رجل آلام، قاسى المتاعب بلا حصر ممن كان يجب أن يكونوا سنداً له وعوناً، وأن ما يطلبه من انتقام

يحمل نوة عما يحل تحقيقاً للعدل الإلهي لنفوس مصممة على تحطيم شعب الله في خداع وبغير توبة!

من وحي لرميا 18

خذني إلى بيتك أيها الفخري!

❖ هل للطين أن يسأل القواف:

لماذا جبلتني هكذا!؟

أما أنا فكثرت ما تدمرت عليك يا جابلي!

خذني إلى بيتك أيها الفخري!

رأى هناك يدك الإلهية تشكلني،

وروحك القدس يجدد طبيعتي،

فتخرج من الفاسد عدم فساد،

ومن الطين إناءً سماويًا مكرمًا!

❖ من ينحني إلى الأرض ليجمعني في يده،

من يهتم بي في جدية،

من يدبر كل كبيرة وصغيرة في حياتي،

سواك أيها الفخري السموي!؟

❖ يكفيني لمسات يدك المملوء حنانًا!

يكفيني اهتمام قلبك بي وتدبير خطتك،

فإنك حتمًا تضعني في فون التجرب،

لكن تبقى عينك متوفقتان بي!

لن تتساني ولا تتجاهلني يا محب البشر ومخلص العالم!

❖ عجننتي أنا التراب في مياه الأردن،

وقدمت لي روحك القدس ساكنًا في،

وهبتني ذاك كزًا مخفيًا في، أنا الإناء الخزفي.

عجيب أنت أيها الفخري، وعجيب هو بيتك!

❖ تحملني إلى بيتك أيها الفخري،

أراه السماء عينها، لأنك حال فيه!

اشترك مع ملائكتك في تسيحك،

وانعم بجسدك ودمك أيها العجيب في حبك!

❖ أقممتي أنا الطين عواء عفيفة،

لردت لي أن أكون عروسًا سملويًا، وبيتًا مقدسًا لك!

في جهالتي صوتٌ كقوية زانية.

جلبتُ لنفسي خوابًا تامًا وهالاكًا،

صوتٌ كوية قواء.

صار الكل يستهزون بي.

من يخلصني من هلاكي؟!!

❖ صوخت إليك،

أعطيتني القفا لا الوجه،

لأنني لم أعطك الوجه قط!

ليُدر روحك القنوس وجهي إليك،

فأعطى القفا لمحبة العالم!

لتدر وجهك إليّ!

ليلتقي وجهك بوجهي،

فتتهلل نفسي بك أبدًا أيها الفخري العجيب!

<<

الأصاح التاسع عشر

مَثَلُ الْإِنَاءِ الْخَرْفِيِّ

في الأصحاح السابق قدم الله لنا نفسه بكونه **الفخري السملوي** ، الذي يهتم بالإناء الذي يسقط برادته من يد الفخري، فيجمعه من جديد ويشكّله ليجعل منه إناءً للكرامة. هنا يقدم لنا **الإناء الخرفي المُصر على العناد، والذي لا يستحق إلا كسره!**

في هذا الأصحاح يؤكد أن الدمار والسبي قادمان ولا مفر منهما [10] ، حيث تُلقى الجثث كالخرف المكسور إلى قطعٍ صغيرة، لا تستحق إلا تركها خرجًا في الشوارع أو في أماكن القمامة:

1 . رسالة أمام شيوخ الشعب وشيوخ الكهنة [1].

2 . خروجه إلى وادي ابن هنوم [2].

3 . رسالة صريحة عن خطاياهم [3-5].

4 . تأديبهم [6-9].

5 . كسر الابريق الخرفي [10-13].

1 . رسالة أمام شيوخ الشعب:

" هكذا قال الرب:

أذهب واشترِ ابريق فخري من خرف،

وخذ من شيوخ الشعب ومن شيوخ الكهنة... [1].

بصفة عامة لم يقبله شيوخ الشعب ولا شيوخ الكهنة، لكن بلاشك كانت هناك قلة تتطلع إليه كنبى مُرسل من الله. فجاء بهذه القلة كشهودٍ على كلماته أمام الشعب والكهنة مع بقية القيادات. جاء بمنوبيين عن الشعب (العلمانيين) والكهنة.

وى البعض أنه ليس بالأمر الغريب أن يقبل بعض شيوخ الشعب وشيوخ الكهنة أن يذهبوا معه ليعلموه، فإنهم إذ كانوا متلهفين على سماعه وهو ينطق بنبوات قاسية، ليس إيمانًا به أنه رجل الله، وإنما فرصة لجمع منطوقات من فمه تشهد ضده [18] [\[423\]](#).

عندما ذهب إلى بيت الفخري كان بمفرده، وعندما انطلق إلى وادي توفة كان اللقاء عامًا وعلى مشهدٍ من بعض شيوخ الشعب وشيوخ الكهنة. علة ذلك أن الأمر كان قد بلغ النروة، والتأديب يتم حتمًا، لهذا جاء التوبيخ علانية، أما اللقاء السوي في بيت الفخري فكان من أجل قلب لميا المنكسر حتى يطمئن أنه مهما بدا الله حزمًا ومؤدبًا قاسيًا لكنه هو الفخري السملوي الذي يتوقف بقطعة طين تبدو بلا قيمة!

بالنسبة للإبريق الفخري *baqbuq* غالبًا ما يعني اناء خاصًا بالماء ضيق العنق، كان شائعًا في منطقة فلسطين في ذلك الحين. وقد وجدت وأن هذا في الحفريات مختلفة الأحجام، ارتفاعها يتراوح ما بين أربع بوصات وقدم.

هنا يميز القديس يوحنا الذهبي الفم بين الإناء الفخري في الأصحاح السابق الذي كان لا يزال طينًا لم يدخل الفون ويحتاج إلى إعادة تشكيله لأنه فسد، وبين الإناء المذكور هنا الذي دخل الفون وانكسر... الأول يمثل النفس التي تُعطى لها فرصة التوبة، ولا يزال الله يتوجى خلاصها، أما الثاني فيمثل النفس التي صممت على عدم التوبة بأصوار... إذ يقول:

❖ عندما أراد الله أن يعطيهم رجاءً، قاد نبيه إلى بيت الفخري، وأظهر له ليس إناء من طين دخل الفون، بل إناء من الطين (لم يدخل بعد الفون) سقط من يد الفخري، قائلاً: "إن كان هذا الفخري يأخذ الإناء الذي سقط ويعيده مرة أخرى، أما أستطيع بالأكثر أن أصلحكم مرة أخرى بعد سقوطكم؟!". في استطاعة الله ليس فقط أن يصلحنا خلال غسل التجديد، حيث أننا خرف، وإنما أيضًا بعد أن استلمنا عمل الروح واتقنا، يمكنه أن يودنا خلال التوبة الصادقة إلى حالنا السابق.

❖ عندما يتحدث الكتاب المقدس عن كلثة لا علاج لها، لا يتحدث عن إناء الفخري (الذي لم يدخل الفون بعد) بل عن الإناء الخرفي. عندما أراد الله أن يعلم نبيه واليهود أن المدينة قد سُلمت إلى دمارٍ لا علاج له، أمره أن يأتي بإبريق خرفي ويكسوه أمام كل الشعب ويقول: "هكذا أكسر... المدينة" [\[424\]](#) [11].

القديس يوحنا الذهبي الفم

2 . خروجه إلى وادي ابن هنوم:

وأخرج إلى وادي ابن هنوم،

الذي عند مدخل باب الفخري،

ونادٍ هناك بالكلمات التي أكلمك بها" [2].

دعى للخروج إلى وادي ابن هنوم ليتحدث هناك مع الشعب عند باب الفخار. يقع هذا الوادي في جنوب شرقي أورشليم، هناك كانت تُحرق

القمامة، وأيضًا جثث المجرمين [425]. منه أخذ اسم "جهنم"، حاليًا هو وادي الربابي *Wadi-er-Rababi*، وهو يربط أورشليم بوادي قنرون. لا يُعرف موضع باب الفخار في أورشليم القديمة. دُعي إلى هناك للأسباب التالية:

- 1 . هناك ارتكوا أبشع فظائع الأعمال الوثنية، أي تقديم أطفالهم ذبائح بشوية ومحرقات للإله ملوك، فرأد أن تشهد عليهم الأرض التي ملسوا فيها الخطية.
- 2 . هناك يؤمهم أن يسموا عن مورا الكثرة التي تحل بهم بكونها المنخفض الذي فيه تُلقى الجثث كقطع الخرف التي في موضع القمامة.
- 3 . في هذا الوادي وقف رميا وسط هذه كسر الأواني الخزفية التي أُلقيت للتخلص منها، عند مدخل باب الفخار. حسب التوجوم هو باب الدمن (الروث) (نح 2: 13؛ 3: 13-14؛ 12: 31)، منه يلقى يواقي الحيوانات وكسر الخرف والقمامة والنفايات في الوادي [426].

3 . رسالة صريحة عن خطاياهم:

"وقل اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم" [3].

لم يكن أحد يتوقع أن يقف رميا عند باب الفخار حيث تُلقى القمامة لوجه الحديث إلى ملوك يهوذا مع سكان أورشليم، لأنه ما كان ملوك يهوذا يدخلون من هذا الباب... لكن اشتراكهم في سفك دم الأبرياء (2 مل 21: 16؛ 24: 4) وتقديم أطفالهم ذبائح بشوية للأوثان (2 مل 16: 3، 21: 6) جعلهم يُحصون مع الشعب الداخل في باب القانورات ليسمعوا معهم كلمة توبيخ قاسية وصدور حكم إلهي عليهم جميعًا بغير محاباة! هذا وقد عاصر رميا أربعة ملوك ليهوذا.

حقًا ما أصعب على نفس ملك يهوذا أن يأتيه الخبر بأن رميا يوجه إليه رسالة عنيفة عند باب القانورات والقاء القمامة... لكن هكذا قول الملك بنفسه إلى هذا المسوقى باشتراكه في الرجاسات الوثنية وعنفها!

أقول ما أصعب على أولاد الله الذين جعلهم الله ملوكًا وكهنة (رؤ 1: 6) أن ينحدروا بأنفسهم ليسقطوا تحت الحكم مع أولاد إبليس الأشرار باشتراكهم معهم في سلوكهم الشرير، وينحطوا أحيانًا إلى مستوى أدنى من الحيوانات!

"هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

هأنذا جالب على هذا الموضع شراً كل من سمع به تظن أنناه" [3].

إذ يتحدث عن التأديب الذي يحل بهم من قبل الله يقول: **رَب الجنود إله إسرائيل [3]** . بهذا يوبخهم، فإنه إذ يصدر الحكم بسببهم يسيئون إليه أمام الأمم، فيبدو كضعيف غير قادرٍ على الدفاع عن شعبه كإله إسرائيل مع أنه رب الجنود السملوية... إذ يسلم شعبه كما في ضعفٍ لأجل خلاصهم الأبدي.

لعله استخدم هذا اللقب كلقبٍ رسمي، فقد صدر الأمر من قبل الملك السملوي، رب الجنود، والمسئول عن شعبه.

يعلن الله عن خطورة التأديب بقوله: **"كل من سمع به تظن أنناه" [3]**، وهو تعبير جاء في (1 صم 3: 11) عندما أخبر الله صموئيل النبي الصغير عما سيحل بببيت عالي الكاهن حيث يُقضى على بيته إلى الأبد، ولا يُكفر عن شوه بذبيحة أو تقدمة. وأيضًا في (2 مل 21: 12) عندما تحدث عن الشر الذي يحل على أورشليم ويهوذا بسبب رجاسات الملك منسى الذي سفك دمًا بريئًا كثيرًا جدًا حتى ملأ أورشليم. أُستخدم التعبير ضد عالي الكاهن كما ضد منسى الملك، وهنا يستخدمه رميا ضد الكهنة والملوك مع كل الشعب السالك وراءهم.

جاء الاتهام صريحًا في النقاط التالية:

وَأولاً: الإرتداد عن الله.

"من أجل أنهم تكوني" [4]. تكرر هذا الاتهام مرًا (1: 16؛ 2: 13 الخ).

ثانيًا: إفساد البركات التي قُدمت إليهم.

حولوا أرض الموعد التي كان الله يعتز بها، قائلًا عنها "أرضي"، إلى "أرض غريبة"،

إذ يقول: "وأنتروا هذا الموضع" [4]، يترجمها البعض "جعلوا هذا الموضع غريبًا!" [4]، وهو تعبير أخاذ يلفت النظر وفريد.

ارتبطوا بالآلهة غريبة، فصلروا متغربين عن الله، وصلت أرضهم التي تسلموها هبة من الله غريبة عنه! فقدت سميتها كإرض مقدسة، وصلت

دنسة، مملوءة رجاسات.

ثالثًا: محبون للتغيير في العبادة.

"بخروا فيها لآلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا آبؤهم ولا ملوك يهوذا" [4].

عندما تركوا الرب واختاروا العبادة لآلهة أخرى، لم يختاروها عن مقلنة بينها وبين الله الحي، ولا عن خوة أو معرفة، وإنما لمجرد حب

التغيير!

أليس هذا هو سمة هذا العصر أيضًا، حب التغيير لأجل التغيير في حد ذاته؟! هذا الذي هو علامة على الفواج الداخلي وعدم الشعب! تغيير في

كل شيء حتى وإن كان إلى الأردأ!

رابعًا : سافكوا دماء الأبرياء.

"ومأثروا هذا الموضع من دم الأوكياء" [4] وقد أُشير إلى هذه الخطية عند الحديث عن منسى الملك (2 مل 21: 16؛ 24: 4) ويهوياقيم (22:

17).

خامسًا: تقديم أطفالهم ذبائح بشوية للأوثان.

"وبنوا مرتفعات للبعل ليعرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل الذي لم أوص ولا تكلمت به ولا صعد على قلبي" [6]. راجع تفسير رميا (7:

31-32).

يرفض الله تقديم ذبائح بشوية نهائيًا (تك 22: 1-19)، حتى حينما طلب من إواهم إسحق ابنه ذبيحة كرمزٍ لذبيحة المسيح لم يسمح بأن تتم

عمليًا، إنما قدمت بنية الحب البازل، مع إيمان إواهم أن إسحق يرجع حيًا، إذ آمن بالله الذي يقيم من الأموات.

4. تأديبهم:

ولأ: تغيير اسم وادي هنوم إلى وادي القتل" [6] . لأن كثوين يسقطون فيه قتلى بالسيف [7]، عندما يهاجمهم الأعداء، أو عندما يحولون

الهروب فيلقى القبض عليهم ويقتلونهم.

أما قوله "أجعل جثثهم أكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض" [7] ، فقد سبق التعليق عليه في شرح (7: 33؛ 16: 4)، كما تكرر في (34:

20)، كان ذلك علامة غضب الله وحلول اللعنة، ليس فقط في الشريعة الموسوية (تث 28: 26) وإنما بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط كلها في ذلك الحين.

ثانيًا: الذين لا يقتلهم السيف يهلكهم الورع حتى يأكلون ولأدهم وبناتهم وأعرّ أصدقائهم. أكل لحوم البشر حقيقة تاريخية تظهر في وقت

المجاعات (2 مل 6: 24-31).

ثالثًا : تتحول المدينة إلى خراب. يصير الموضع المقدس موضع سخوية الأرض كلها، لأن الخطية تجلب القوى والعار. تصير موضعًا للدهش

والصغير [8]، حيث يهمس كل من يعبر بها في خوفٍ ورعبٍ مما حلّ بالموضع.

رابعًا: تفشل كل محاولة للخلاص أو الهرب من الضيق. ليس هناك مجال للهروب من العدالة الإلهية إلا بقبول العواحم الإلهية خلال التوبة.
خامسًا: يستمر رعب اللعنات، إذ يفقد الإنسان آدميته تحت ضغط الحصار والضيق، فيأكل الآباء لحوم ولأدهم وبناتهم، ثم يعوبوا فيأكل الكبار كل واحد لحم أخيه.

وأطعمهم لحم بنيهم ولحم بناتهم،

فيأكلون كل واحد لحم صاحبه في الحصار والضيق الذي يضايقهم به أعداؤهم وطالبوا نفوسهم" [9].

حدث ذلك في السامرة عندما حاربها رام (2 مل 66: 2 الخ.)، وأيضًا عام 587 ق.م بالنسبة لأورشليم (هوا 2: 20؛ 4: 10)، وعام 70م عندما حاصرها الرومان [427].

5. كسر الإبريق الخرفي:

عندما يتحدث الله عن الإنسان العنيد الذي يرفض الإصلاح يدعوه الإثناء الخرفي أو الزاوي، مذكورًا إيّاه بأصله، وعندما يرى فيه شوقًا نحو الإصلاح فينسبه إليه بكونه الخرف الذي يشكل الطين ويجعل منه اناء للكرامة!

ثم تكسر الإبريق أمام أعين القوم الذي يسبرون معك.

وتقول لهم:

هكذا قال رب الجنود:

هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخري بحيث لا يمكن جوه بعد.

وفي توفة يُدفنون حتى لا يكون موضع للدفن" [10-11].

ولأ: بهذا العمل قدم عنصر المفاجأة ، إذ لم يكن أحد يتوقع أن يلقي رميا النبي بالإثناء الذي اشتراه ليحطمه كطفل أمام شوخ الشعب وشوخ الكهنة، لكن إذ عجزت الكلمات أن تعبر عن فادحة الكثرة وسوعة حدوثها مع عنصر المفاجأة تحدث بلغة التمثيل المفاجيء. مع عنصر السوعة والمفاجأة أوضح أن الأمر مرعب ونهائي.

ثانيًا: أساء الشعب فهم طول أناة الله فحسوه صانع خوات وواهب العطايا فقط، إن هدد إنما بالكلام لا بالعمل. بهذا كانت نظرتهم إلى الله ومعاملته مع الإنسان غير كاملة.

ثالثًا: كانت عادة كسر الأواني الفخرية قائمة عند تنصيب ملوك مصر (الواعنة) أو إقامة اليوبيل لجلوسهم، إذ ينقشون أسماء أعدائهم على وآن فخرية ويقومون بكسوها علامة تحطيمهم تمامًا.

لا زال هذه العادة قائمة في صعيد مصر في صباح شم النسيم، أي اليوم التالي من عيد القيامة، فيه يكسر المصريون وآن فخرية علامة نهاية العام الماضي والبدء في عام جديد نون تذكر لأحداث الماضي ومشاكله!

رابعًا: لربط كسر الإبريق بالإعلان عن كلمات الوب بخصوص تأديب الشعب لئلا يظنوا أن ما يملسه رميا من قبيل ممرسة السحر. فقد

اعتاد الأثوريون والأميون وغوهم أن يكسروا الجوار كطقس سحري يطرد الأمراض ويطلق اللعنات على من يكسر العهد معهم. كما اعتاد قدماء المصريين أن يحطمو الطاسات ليطلبوا قوى اللعنات على أعدائهم [428] ، أما رميا فلم يقصد هذا، موضحًا أن ممرسته لهذا العمل ليست سحرًا إنما

رمزًا لإلواك حكم الله التأديبي ضدهم.

خامسًا: ظن شعب يهوذا وأورشليم أنهم أهوياء كالنحاس ليس من يقدر أن يحطمهم، ولم يدركوا أن قوتهم وعنفهم إنما جعل منهم إناء خرفيًا

هشًا، يمكن بسهولة أن يسقط ويتحطم تمامًا.

سادسًا : إذ تركوا الرب صار مصوهم الكسر مثل الأمم (مز 2: 9؛ رؤ 2: 27)، هكذا شهد أيضًا إشعياء النبي (30: 14).

سابعًا: لا يمكن ليد بشوية أن تُصلح كسروهم أو تشفيهم، إنما الله وحده قادر على ذلك.

ثامنًا : كما ملأوا وادي توفة بالقتلى كذبائح للأوثان هكذا يسمح الله بقتلهم كذبائح من أجل تحقيق العدالة الإلهية، يصير الوادي كجهنم الملتهبة نزلًا.

تاسعًا : استخدموا سطوح البيوت لعبادة جند السماء (صف 1: 5؛ 2 مل 23: 12) عوض استخدامها للعبادة الروحية (أع 10: 9)، فصار ذلك لهم لعنة ونجاسة.

عاشورًا : تحل النجاسة بالمدينة كلها، وذلك بامتلاء شوارعها بالجثث، إذ يقول:

"هكذا أصنع لهذا الموضع، يقول الرب، ولسكانه،

وأجعل هذه المدينة مثل توفة،

وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفة نجسة،

كل البيوت التي بخروا على سطوحها لكل جند السماء..." [12-13].

وجود الجثث في المدينة كما في البيوت، حتى في قصور الملوك يجعلها دنسة (لا 21: 1 الخ،، عد 5: 2).

عندما أراد يوشيا أن يدنس المذابح والموتفعات في بيت إيل نثر عليها عظامًا من المقابر (2 مل 23: 14-20).

6 . وقوفه في دار بيت الرب:

ترك رميا النبي وادي توفة وانطلق إلى الهيكل حيث وقف على تلي فوق الوادي يؤكد ما قاله في توفة. حسب الشعب ذلك مجرد تهديدات

بالكلام، لكن رميا أوضح لهم أنهم يخدعون أنفسهم. كأنهم قد أضافوا إلى خطاياهم خطية الاستخفاف بالنبوءات، إذ قسوا قلوبهم ولم يسموا لصوت الرب

على فم نبيه رميا.

من وحي رميا 19

دشّن مسكنك في!

لقد جعلته غريبًا عنك!

❖ يبقى الإناء الخزفي الذي حطمه رميا شاهدًا علي!

كنتُ طيبًا بلا قيمة،

وجعلت مني إناء للكرامة!

حوّلت قلبي هيكلًا لك!

وفكري مقدسًا سماويًا!

❖ أعطيتني قلبي أرضًا مقدسة،

لكنني دنستها،

وصورتها أرضاً غريبة عنك!
دشنتها من جديد!
ليعمل روحك القنوس فيها أيها الحبيب!
❖ أقمْتُ فيها رجاسات،
وملست في داخلي كل صنوف العنف،
حتى على وُلادي وأحبائي،
قدمتهم كذبايح بشوية لحساب عدو الخير!
من يهيني الحنو والوقفة إلا أنت يا مخلص الجميع؟!
❖ صلت أعماقي وادي القتل،
وتدنست القصور في داخلي،
والآن لرجع إليك،
مدّ يدك ودشن قلبي،
إلهب روحك فيّ، وقدس عواظي!
اسكب فيض نعمتك، واحفظ حواسي!
ها أنا بين يديك،
قدسني إلى التمام!
❖ تعال يا حبيبي،
أسكن في ولا تتركني!
لتعانقتي بيمينك وتمسك بي،
فأصوخ قائلاً:
وجدت من تحبه نفسي،
أمسكته ولم أره،
أدخلته بيت أمي،
لن أتركك بعد يا مقدس حياتي!
[<<](#)

الأصاح العشرون

مقاومة فشحور له

كان يليق بالكاهن فشحور أن يكرم لميا ويحميه ككاهن زميل له، ويستشوه كني، لأنه ينطق بكلمة الرب، لكنه عوض ذلك جعله في المقطرة،

ليضيق عليه فلا ينطق بالحق، لكن التهبت كلمة الرب بالأكثر في قلب رميا، ولم يستطع الصمت. تمتع بالمعية مع الله وشهد للحق.

1 . رميا في المقطورة [1-2].

2 . فشحور المرتعب [3-6].

3 . نار محرقة في قلب رميا [7-9].

4 . مقاومة الناس ومساندة الرب [10-11].

5 . تسبحة وسط الآلام [12-13].

6 . لحظات ضعف بشوي [14-18].

1 . رميا في المقطورة:

وَسَمِعَ فَشْحُورُ بْنُ أَمِيرِ الْكَاهِنِ،

وَهُوَ نَاطِرٌ أَوَّلٌ فِي بَيْتِ الرَّبِّ،

رَمِيَا يَتَنَبَأُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ.

فَضُوبُ فَشْحُورِ رَمِيَا النَّبِيِّ،

وَجَعَلَهُ فِي الْمَقْطُورَةِ الَّتِي فِي بَابِ بَنِيَامِينَ الْأَعْلَى الَّذِي عِنْدَ بَيْتِ الرَّبِّ [1-2].

كان فشحور الكاهن هو الناظر الأول للهيكل لفظة مؤقتة، في سلطانه أن يسجن بتهمة الإخلال بالأمن العام. قام بضوب رميا وجعله في

المقطورة وتركه يقضى ليلة في السجن أو في الجب السفلي.

كان هذا التصوف بلاشك غير شعوي، لأنه ما كان يليق به أن يضوب كاهناً ويضعه في المقطورة دون فحص قضيته أمام رئيس الكهنة والكهنة

زملائه. لكن هذه كانت شكليات لم تشغل بال أحد بسبب الثورة العرمة ضد رميا. لقد أترك فشحور أن رميا يفضح أخطاءه وأخطاء زملائه، كما يحطم

شعبية الكهنة، وأن الوقت ضيق، لذا لم يفكر في استشارة أحد، واثقاً أن غالبية الكهنة، إن لم يكن جميعهم، يقفون في جانبه ضد رميا، وأن رميا لن يرفع

شكواه إلى رئيس الكهنة أو الكهنة!

بالنسبة لاسم "فشحور" فقد حمل كثيرون في تلك الفترة هذا الاسم. ذكر رميا في الأصحاح التالي شخصاً آخر يحمل ذات الاسم: "فشحور بن

ملكيا" (21: 1). وي البعض أن الاسم مصوي الأصل يعني "ابن حورس".

اختلف رأى الدارسين من جهة تصوفات فشحور؛ هل قام بضوب رميا بنفسه أم رتبته الكهنوتية تمنعه من ذلك، فقام بإصدار أوه بالضوب؟!

هل ألقى في سجن أم في حجز مؤقت قضى فيه رميا تلك الليلة؟ هذه الأسئلة وغيرها لا تشغلنا، إنما ما يشغلنا هو مقاومة فشحور للكلمة الإلهية في

شخص رميا بكل وسيلة ممكنة لديه.

بالنسبة لباب بنيامين الأعلى الذي عند بيت الرب [2] ، فقد كان هناك باب للمدينة يُدعى "باب بنيامين (الأدنى)" (37: 13؛ 38: 7) على

الجانب الشمالي منها أو شمال شرق المدينة حيث كانت أنصبه بنيامين في ذلك الإتجاه. هذا بخلاف باب آخر يحمل ذات الاسم لدار الهيكل "باب بنيامين

(الأعلى)"، يُدعى "الأعلى" حيث يُقام الهيكل على مرتفعة عالية.

غالباً لم يكن فشحور بين المستمعين لإرميا النبي في توفة، إنما وردت إليه أخيله هناك، وعرف بما نطق به رميا أمام بعض شوخ الشعب

وشوخ الكهنة. وإذراه قادماً نحو الهيكل توقع أنه يكرر ما قاله هناك أمام خدام الهيكل والشعب، فيحل الوعب بالشعب، وربما ينحاز البعض إليه فلا يقدر

فشحور أن يتصوف بعد ذلك. لذلك أسوع بضوبه ووضع في المقطورة علانية أمام الكل حتى متى تكلم لا يسمع له أحد. أراد أن يسخر به أمام الكل

حتى لا يلتفتوا إلى كلماته.

رى العلامة أوريجينوس أن لرميا النبي يمثل كلمة الله. كان يليق بفشور الكاهن والناظر الأول في بيت الرب أن يكوم لرميا، وينطلق به إلى فوق ، فينعم بالرؤى السماوية، ويتمتع باستنارة إلهية، لكنه على العكس نزل بلرميا إلى الجب، إلى أسفل ، وهناك جعله في المقطرة، ليربط كلمة الله ويقيدها، ففقد البصوة كما دخل في حالة رعِبٍ وخوفٍ.

هنا فشور يمثل الإنسان الذي يستهين بكلمة الله، فلا يرتفع بها كما على سطح بيته الداخلي، فوى مع بطوس الرسول وهو على السطح رؤيا سماوية (أع 10: 9-16) تكشف له عن خطة الله الخلاصية، بل كإنسان يقول بكلمة الله كما إلى الجب ليغوص وسط الوحل، عوض التمتع بالسماويات يرتبط قلبه وفكره كما أحاسيسه وعواطفه بمحبة العالم وترابه الباطل.

عندما يمك المؤمن بكلمة الله ويرتفع إلى العلية يتمتع مع تلاميذ الرب بعمل الروح القدس الناري، الذي يحول قلبه إلى ذبيحة محرقة، ويشعل أعماقه بنار الحب الإلهي. هناك في العلية يلتقي بالأرملة التي انطلقت بإيليا النبي إلى فوق، فيقيم ابنها الميت... هكذا تقيم كلمة الرب النفس الميتة، وتبعث فيها الحياة المُقامة. هناك أيضًا يجد المؤمن ربنا يسوع المسيح، الكلمة الإلهي، في العلية يقدم له جسده ودمه المبذولين، حياة أبدية.

إنجيلنا ليس وسيلة للتمتع بالأمنيات، إنما هو وسيلة للارتفاع نحو السمويات. على الجبال العالية يلتقي الله مع رجاله، فعلى جبل سيناء التقى الرب مع نبيه موسى، مقدما له شريعته المقدسة. وعلى جبل تابور التقى رب المجد مع موسى وإيليا وبطوس ويعقوب ويوحنا، حيث تجلى أمام تلاميذه، مظهرًا لهم بهاء مجده.

لنحذر جميعًا - كهنة وشعبًا - ألا ننزل بلرميا إلى الجب السفلي، ونضعه في المقطرة. لنحذر لئلا تتحول كلمة الله إلى وسيلة لطلب أمور زمنية وراحة وقتية، عوض الانشغال بخلص نفوسنا وخلص إخوتنا، حيث يلتقي الكل بالمخلص السموي، وتصير لنا شركة معه في المجد الأبدي.

المسيح يُضرب فينا

يقول العلامة أوريجينوس:

[فضوب فشور لرميا النبي] . يبدو أن فشور كان ممسكًا بعصا في يده لأنه كان ساوًا. إذارجعنا إلى سفر الخروج نجد أن سوة مصر كان عندهم أيضًا عصي، رأوا بها أن يُظهروا أن عصا موسى ليست من الله؛ لكن عصا الرب غلبت عصي السوة وأكلتها. "ضرب فشور لرميا النبي". أكد الكتاب صفة لرميا ورتبته: "النبي". إذن الذي ضُرب لرميا ضُرب النبي. ويذكر سفر أعمال الرسل أيضًا أن واحدًا ضرب بولس الرسول بأمر من حنانيارئيس الكهنة، لهذا قال له بولس الرسول: "سيضربك الله أيها الحائط المبيض" ، من الخراج له صورة رئيس كهنة عظيم ومن الداخل حائط مبيض، مملوء عظام أموات وكل نجاسة.

لماذا نتكلم عن بولس وعن لرميا؟ فإن ربي يسوع المسيح هو نفسه يقول: "أسلمت ظهري للسياط وخذيتُ أهملتهما للطم، ولم رُد وجهي عن خري البصاق".

يظن بعض البسطاء أن ما حدث للسيد المسيح كان في أيام بيلاطس فقط، حينما أسلمه ليجلد وحينما اشتكى اليهود عليه، أما أنا فلرى يسوع المسيح يُسَلَّم ليجلد في كل يوم. ادخل إلى معابد اليهود اليوم وأنظر كيف أن السيد المسيح يُجلد منهم من خلال التجديف، كذلك أنظر إلى أبناء الأمم الذين يجتمعون ليشتكوا على المسيحيين، كيف يقبضون على يسوع المسيح الموجود في كل مسيحي ويقومون بجلده. تأمل يسوع المسيح الابن الكلمة كيف أنه مُهان ومونول ومحكوم عليه من غير المؤمنين. أنظر كيف أنه بعد ما علمنا وأوصانا قائلًا: "من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضًا" قام هو نفسه بتنفيذ هذه الوصية فأهمل خديه للطم. يوجد أناس كثيرون يجلسون ويلطمونه ويلطمونه أما هو فلا يفتح فاه. حتى يومنا هذا، لا يود يسوع المسيح وجهه عن

خري البصاق: لأن الذي يحترق تعاليمه يكون كمن ينفض البصاق في وجهه [429].

يليق بنا أن نستقبل الأنبياء في العلية لا في الجب السفلي:

[أمر منطقي أن يُضرب رميا كما ضُرب بولس وكما ضُوب السيد المسيح. 'فضرب فشحور رميا النبي وجعله في المقطرة التي في باب بنيامين الأعلى'. كانت المقطرة في باب بنيامين في الدور الأعلى (العلوي). كان نصيب سبط بنيامين في الموات "أورشليم" حيث يوجد هيكل الرب، ذلك كما هو موضح في تقسيم الموات الموجود في سفر يشوع. بما أن الهيكل كان في سبط بنيامين، لذلك فإن النبي قد "ألقى في الجب الذي في باب بنيامين" [2] (LXX). اسم بنيامين معناه "ابن اليمين". وهذا الباب موجود بالقرب من الدور العلوي عند بيت الرب. بالرغم من وجود دور علوي في بيت الرب، إلا أن فشحور لم يلق رميا إلا في الجب السفلي.

أما نحن فنفريد أن نأخذ رميا الآن ونصعده إلى الدور العلوي من بيت الرب؟ أقصد بالدور العلوي المعنى الروحي المرتفع [430]، وذلك كما سأوضح من خلال نصوصٍ عديدة من الكتاب المقدس تؤكد أن الأوار يستقبلون الأنبياء في الأتوار العليا.

يذكر سفر الملوك أن لملة صوفة صيدا التي أعدها الرب لإعالة إيليا استضافته عندها في العلية الموجودة في منزلها (1 مل 17: 19).

كذلك العرة الشونمية التي كانت تستضيف أليشع النبي كلما مرَّ عليها، عملت له علية صغيرة لكي يستريح فيها كلما يجيء (2 مل 4: 8-10).

وعلى العكس من ذلك فإن أفتيخوس الخاطي سقط من الطابق العلوي (أع 20: 9).

يوصيك يسوع المسيح أيضًا ألا تقول من السطح، فيقول: "والذي على السطح فلا يقول ليأخذ من بيته شيئاً".

إذن الوجود في الأتوار المرتفعة وعلى الأسطح هو أفضل شيء [431].

2. فشحور المرتعب:

"وكان في الغد أن فشحور أخرج رميا من المقطرة.

فقال له رميا:

لم يدع الرب اسمك فشحور بل مجور مسا بيب.

لأنه هكذا قال الرب:

هأنذا أجعلك خوفاً لنفسك ولكل محبيك،

فيسقطون بسيف أعدائهم،

وعينك تنظران.

وأدفع كل يهوذا ليد ملك بابل فيسببهم إلى بابل ويضربهم بالسيف" [3-4].

إذ قول بكلمة الله كما إلى الجب، وقيدها كما بمقطرة، لكي لا تعمل في قلبه، تحول قلبه إلى حالة من اللاسلام، وكما قيل: "لا سلام قال الرب للأشوار" (إش 22: 48). فقد سلامه الداخلي وفوح قلبه، ودخل إلى حالة خوفٍ ورعبٍ حطمتها في الداخل وتسلفت حتى على محبيته. لذا غير الله اسمه من "فشحور" الذي يعني "متمراً من كل جانب" إلى "مجور مسا بيب" يترجمها البعض "رعب من كل جانب". لا يعني هذا أن الاسم تغير فعلاً في معاملته مع الغير، وإنما تغير في نظر الله، ليبرك فشحور حقيقة موقفه لعله يتوب!

وي البعض أن الاسم الجديد يعني "رحيلاً" [432]، وكأن فشحور لن ينعم بالاستقرار بل يُرحل إلى بابل مسبياً، هو ومحبه، عندئذ يرتعوا.

كان الأمر الإلهي للشوية: "اثمروا واكثروا" (تك 1: 28) ... أما الآن فزوع الله عن فشحور هذه الوكة ليدعوه "لتعب أنت ومحبوك من كل جانب".

عوض الإثمار الموفح بصير الموت العوب له وللذين يحبونه ويرتبطون به لا بوصية الله.

كان الاتهام الرئيسي ضد رميا النبي أنه محطم لنفسية القيادات والشعب، وأنه دائم التشاؤم، لذا جاء تغيير اسم فشحور رداً على هذا الاتهام.

وكان مصدر الوعب وتحطيم النفسية هو فشحور ومن على شاكلته، وليس رميا.

حينما دخل الله مع أوام في عهد وأعلن له عن شريعة الختان (تك 17) غير اسمه من أوام (أب مكرم) إلى إواهم (أب لجمهور)، وغير اسم سراي (أميرتي) إلى سرة (أموة)، فقد صار إواهم خلال الميثاق الإلهي أباً لجمهور من الأمم، ولم تعد سرة خاصة به بل أموة يعتز بها جميع المؤمنين. هذا حدث مع الختان، وكما يقول القديس أغسطينوس: [ماذا يعني الختان سوى تجديد الطبيعة البشرية بزوع الإنسان القديم؟ وماذا تعني الأيام الثمانية (للختان) سوى المسيح الذي قام بعدما أكمل الأسوع، أي بعد "السبت"؟ لقد تغير اسما الوالدين، وأعلن كل شيء جديداً [433].

الآن، إذ فقد فشور ختان القلب والأذن برفضه الكلمة النبوية الإلهية تغير اسمه فلا يكون أباً لجمهور، بل رعباً للذين يحبونه، وهلاكاً لهم! هكذا غرلة القلب والأذن، ورفض الميثاق الإلهي يغير اسمنا من الإثمار والبركة إلى الروع والهلاك، حتى الأرض التي نقيم فيها تتغير كما تغيرت توفة إلى "وادي القتل" (19: 6).

يدخل فشور الكاهن والناظر الأول للهيكل إلى حالة من الروع، مصورها من الداخل، وهو رفضه التمتع بكلمة الله والاستماع إلى الصوت الإلهي. وإذ يفقد سلامه الداخلي ينهار أمام ملك بابل، ويسقط في السبي كما تحت السيف. يفقد قوته وكرامته وحرته وأخوياً حتى حياته! ولأد الله يعيشون في فوحٍ داخلي حتى وسط آلامهم، أما ولأد إبليس فيعيشون في رعبٍ، حتى إن نالوا كل العالم في أيديهم. يصيرون كقايين الذي قيل عنه: "تائهاً وهرباً تكون في الأرض" (تك 4: 12). وكما يقول القديس أثناسيوس: [نعم، فإن أعياد الأشرار هي ويلات [434]. ألقى رميا في الجب وقيد بمقطرة، لكن قلبه بقي في السماء، وكلمة الله التي وهبت له لم تُقيد، وأما فشور فكان صاحب سلطان ككاهن وناظر أول الهيكل، لكنه انهار في مذلةٍ داخلية وهلاكٍ خلجي. في شجاعة تحدث رميا النبي مع فشور، مؤكداً حدوث السبي وتحقق الهلاك للكاهن كما للبيت الملكي، هكذا:

ولاً: "هأنذا أجعلك خوفاً لنفسك" [4]. كأن ما يحل به من رعبٍ مصوره داخل نفسه؛ يصير قايين زمانه!

ثانياً: "أجعلك خوفاً... لكل محبيك، فيسقطون بسيف أعدائهم، وعيناك تنظران" [4]. كان يليق به ككاهن الله أن يكون مصدر سلامٍ لكل بشرٍ ما استطاع، لكن بسقوطه في العصيان والعناد صار علة رعبٍ حتى لمحبيه، عوض تمتعهم بالخلاص سقطوا بسيف الأعداء، وعوض لتفاعهم لرؤية الأمجاد المعدة لهم انفتحت عيني فشور لوى هلاك محبيه يبدأ هنا على أيدي البابليين.

ربما يشير محوه هنا إلى الجسد بكل طاقاته، فالإنسان الذي يحرم نفسه من عمل الكلمة الإلهي في حياته لأجل ملذات جسده، يصب على جسده حالة من الروع والدمار عوض إعداده لشوكة المجد الأبدي مع النفس.

ثالثاً: "وأدفع كل ثروة هذه المدينة وكل تعبها وكل مثمناها وكل خزائن ملوك يهوذا، أدفعها ليد أعدائهم... [5]. هكذا تمتد الخسلة لا إلى المحبين فحسب بل وإلى كل المدينة بكل إمكاناتها وخزائنها.

تشير المدينة هنا بثروتها وتعبها ومثمناها وخزائن ملوكها إلى مواهب الإنسان وقواته... بالانحرف عن الطريق الروحي الملوكي يفقد الإنسان خزائنه الداخلية ومواهبه التي كان يمكن أن يستخدمها لبنان نفوس كثرة، ويصير له رصيد غنى أبدي وإكليل مجد سموي.

رابعاً: ذهابهم إلى السبي... إشارة إلى فقدان النفس للحرية الداخلية. هنا لأول مرة يشير رميا النبي إلى اسم النولة التي تسببهم: بابل.

خامساً: وهناك تموت، وهناك تُدفن أنت وكل محبيك الذين تنبأت لهم بالكذب" [6]... كان يُنظر إلى الدفن في أرض غريبة إحدى علامات غضب الله على الإنسان، وسقوطه تحت اللعنة.

وي البعض أن فشور لم يكن كاهناً فحسب، وإنما كان نبياً كاذباً، أعلن أنه لن تصاب الأمة بأذى (14: 13). استحق الموت بسبب كذبه (26:

28). وقد استخدم رميا النبي كلمة "كذب" أو "بطلان" كثوفاً، إذ سقطت القيادات والشعب في مؤامرة الكذب.

كأن رميا قد أعلن لفشور أنه لا يعود بعد ناظراً للهيكل يُصدر حكماً على الآخرين، إنما يعاني من صدور الحكم الإلهي ضده وعبه ووعب

الأمة كلها [435].

"لأنني كلما تكلمت صرخت.

ناديت: ظلّم واغتصابّ.

لأن كلمة الرب صرّت لي للعار وللسفرة كل النهار.

فقلت: لا أدكوه ولا أنطق بعد باسمه.

فكان في قلبي كنارٍ محرقةٍ محصورةٍ في عظامي،

فمللت من الإمساك ولم أستطع" [8-9].

يبدو أن رميا عانى من صواعٍ داخلي، إذ شعر بوعٍ من الفشل. فتحت الضغوط المستمرة ممن هم حوله (18: 18؛ 20: 7، 8، 20) خطر بباله أن يعكف عن الخدمة العامة ويملّس حياته التعبدية الخاصة، ما دامت خدمته غير مثوبة بل مثوبة للجميع، حتى للذين أحبهم. اشتهد أن يعود إلى عزلته في قريته المتواضعة. شعر كأن بذار الكلمة قد ألقبها على قلوب صخرية، ذهبت أراج الرياح، فصوخ قائلاً: "فقلت لا أدكوه، ولا أنطق بعد باسمه" [9].

هذا ومن جانب آخر كانت كلمة الله للتأديب نراً محرقة في قلبه، محصورة في عظامه، لكن بسبب أمانته لله وثقته فيه كمخلص لم يستطع أن يمسك عن الكلمة، ولو كلفه الأمر حياته كلها.

اعتاد في وسط آلامه العرة أن يرفع نظره إلى الله الذي دعاه للخدمة والشهادة للحق. لقد صرّت كلمة الرب في قلبه نراً محرقة في داخله،

لكنه لم يقدر أن يمسك عن الكلام متكللاً على الله الذي هو غوه وحصنه وملجأه في يوم الضيق (16: 19)، يصوح إليه:

"اشفني يرب فأشفي،

خلصني فأخلص،

لأنك أنت تسبيحتي...

لا أخز أنا...

ولا أرتعب أنا..." (17: 14-18).

أعطته هذه النار المتأججة قوة تدفعه ألا يصمت عن الشهادة لكلمة الله وألاً يتوقف عن العمل حتى ولو وقف الجميع ضده. مصدر هذه النار هي محبة الله المنسكبة في قلوبنا بالروح القدس.

يقول القديس أمبروسيوس أن سرّ ذلك هو تقبله الروح القدس الناري الذي يلهب أذهان المؤمنين وقلوبهم [438].

❖ لقد أخبرنا أن كلمة الرب كانت في رميا كنارٍ محرقة (20: 9). وكان رد الفعل: "الإمساك عنها جعلني قلقاً، ولم أستطع". لما كان ربنا يسوع

المسيح صالحاً ومحباً للبشرية جاء بالجسد لكي يجلب هذا النوع من النار إلى الأرض، قائلاً: "ماذا لو اضطومت؟! (لو 12: 49). إنه يود أن يتوب

البشر لا أن يموتوا (كما نجد في حزقيال). لهذا أراد أن يحرق الشر والخبث الذي في البشر، حتى إذ يتطهروا يأتوا بثمر (حز 18: 23، 32). إننا

نعرف أنه إذ يزرع الكلمتياتي بثمر: ثلاثين وستين ومائة (مر 4: 20) [439].

البابا أثناسيوس الرسولي

❖ *mystical* بخصوص التقسوت السوية ()، أرسلت إليهم النار التي لم يستطع رميا أن يحتملها.

عندما تحترق مواضع النفس السوية تحلنا وتطهرونا وتحولنا من الإنسان القديم إلى الجديد، فنستطيع أن ننطق صرخين: "لا أحيأ أنا، بل نعمة

الله التي في" (راجع غلا 2: 20، 1 كو 10: 15؛ 3: 9) [440].

4 . مقولمة الناس ومساندة الرب:

"لأني سمعت مذمة من كثيرين.

خوف من كل جانب.

يقولون: اشتكوا، فنشتكي عليه.

كل أصحابي واقبون ظلعي قائلين:

لعله يظغي، فنقدر عليه، وننتقم منه" [10].

يبدو أن رميا النبي قد دخل في حالة ارتباك شديد وسط الجو العاصف الذي حل به. رأى الله يخدعه ولم يقف معه ليسنده ضد مقاوميه، كما صلا الأعداء (الأنبياء الكذبة) أصحابه يسمعون له لكي يتصيوا له الأخطاء. ترة يهاجمونه ويسبوننه كي لا يصغي الشعب إليه، وأخرى واقبونه باهتمام كمن يطلبون كلمة منه.

سمعهم يذمونه ويسخرون منه: "لأني سمعت مذمة من كثيرين"، أي من الأنبياء الكذبة والكهنة الذين دعاهم بالكثيرين، كقول العرتل: "كثيرون قاموا عليّ، كثيرون يقولون لنفسي: ليس له خلاص بإلهه" (مز 3).

في سخريتهم به كانوا يرددون ما قاله عن فشور: "لم يدع الرب اسمك فشور بل مجور مسا بيب (خوف من كل جانب)" [3]. في استواء يرددون: "خوف من كل جانب!" لعلمهم بهذا كانوا يقولون: من الذي يحلّ به الخوف من كل جانب: فشور أم أنت يا رميا؟ هوذا تحلّ الكورث بك، ويقف الكل ضدك، ولا تجدراحة ولا سلاما ولا ثورا!

كلماتهم تحمل سخرية من الخراج مع اضطراب في الداخل، فقد حلّ بهم الخوف، وحاولوا علاج ذلك، لا بالاستماع إلى صوت الرب، بل بالسخرية به... إنهم يخدعون أنفسهم!

صوت الأوامر الخفية أيضًا بمخاتلته وخداعه لكي يتكلم بما عنده فيجدون في كلماته سلاحًا ضده. أثاروا من يشكون عليه ممن يصغون إليه فيجدوا فرصتهم ضده لمحاكمته والانتقام منه.

مقابل هذا، مع هياج الأنبياء الكذبة ضده يعلن الله معيته وحضوته لنبيه العرتل، يتقدم كجبارٍ قديرٍ يدافع عنه، مفسدًا كل خطة شريرة ضده. معية الله هي سرّ قوته ونصوته (مز 48: 1-8).

"ولكن الرب معي كجبارٍ قديرٍ.

من أجل ذلك يعثر مضطهديّ ولا يقدرّون.

خزوا جدًّا لأنهم لم ينجحوا،

خزيًا أبديةً لا ينسى" [11].

اختبر رميا النبي ما قاله العرتل: "فاستيقظ الرب كنائم كجبارٍ معيط من الخمر، فضوب أعداءه إلى الوراء، جعلهم عزًّا أبديةً" (مز 78: 65-66).

هذه هي صورة السيد المسيح الذي نام على الصليب، فظنه عدو الخير أنه لا يقوم، لكنه صوخ بقوة كجبارٍ، محطّمًا متريس الهلوية، وضرب عدو الخير بالصليب ودفع به إلى عارٍ أبدي! ظن عدو الخير أنه بالصليب يحطم رسالة المسيح، ولم يدرك أنه بالصليب تمت الغلبة والنصرة لحساب كل مؤمنيه، وأن السهام قد رتدت على عدو الخير نفسه لتحطيمه تمامًا!

5 . تسبحة وسط الآلام:

إذ يترك لرميا النبي معية الله وسط الآلام تتحول حياته من الضيق إلى الفرح، مسبحًا الله المنقذ نفس المسكين من يد الأشرار، وذلك كما فعل المونمون، إذ غالبًا ما تنتهي زمامير الرثاء بعبوات مفرحة تكشف عن الثقة في الله كمخلصٍ وسندٍ للمتألمين.

فيلرب الجنود مختبر الصديق،

ناظر الكلى والقلب،

دعني رى نغمتك منهم،

لأني لك كشفت دعوي.

رنموا للرب، سبحوا للرب،

لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار" [12-13].

كلمة الرب تسبب مودة في البداية لكن تتحول المودة إلى عنوبة فتتحول حياة المؤمن كلها إلى تسييح داخلي لا ينقطع.

جاءت التسبحة هنا مطابقة لتلك التي وردت في (11: 20)، حينما وقف أهل عناثوث ضده. فمع كل ضيقة ينتهي لرميا إلى مملسة حياة

التسييح والتمتع بوح الله مخلصه.

لماذا يدعى الله "مختبر الصديق"؟

❖ الله لا يتعلم شيئًا عن الشخص الذي يختوره، إذ هو علف كل شيء قبل حدوثه...

توجد أسباب أخرى لاختبرنا وتجربتنا: أحيانًا يختبرنا لكي يعلن عن فضائلنا... كما حدث مع أيوب (أي 40: 8-9)... وأحيانًا يضع الناس في تجربة لكي إذ يروا أعمالهم، ويدركوا كيف يسلكون، يتوبون عن شؤورهم أو يثبتون في الإيمان كما يتطلب الأمر.

البابا أنثاسيوس الرسولي

يُدعى الله "ناظر الكلى والقلب"، بكون الكلى هو كوسي العواطف والذواضع الخفية، بينما القلب هو مركز الفكر والإرادة.

كانت الضيقة لخير لرميا نفسه فقد تحقق بالأكثر أنه "المسكين" الذي لا يقدر بنفسه أن يخلص من أيدي الأعداء الجبارة، لكن تبقى نفسه

محفوظة في يدرب الجنود، مُنقذ المساكين!

الآن كمسكينٍ وى نفسه موضع اهتمام الله الذي ينسب نفسه للمساكين والعونولين والمطرودين والمظلومين، كما لليتامى والأرامل! هو أب يهتم

بالذين ليس لهم من يسأل عنهم!

كان لرميا النبي في وسط ضيقته يسبح الرب، بل ويدعو الكل للتسييح: " رنموا للرب سبحوا الرب، لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار"

[20].

قدم لنا لرميا النبي خورته العملية في التسييح لله وسط الآلام، هذه التي عاشها دانيال النبي في السبي كل يوم، إذ قيل عنه: "جتا على ركبتيه

ثلاث مرات في اليوم وحمد قدام إلهه" (دا 6: 10).

وكان بولس وسيلا الرسولان المسجونان "يصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما" (أع 16: 25).

دعى داود النبي التسييح ذبيحة (مز 27: 6؛ 116: 17؛ 50: 14؛ 2: 141).

يقول الشهيد يوستين: [تعتبر الصلوات وتقديم الحمد حينما تُقدم من أشخاص معتبرين هي وحدها الذبائح الكاملة والمقبولة لدى الله [442].

[الكرامة الوحيدة التي تليق بالله، ليست في حرق الذبائح بالنار، هذه التي وُجدها الله لقوام حياتنا، إنما تُقدم الكرامة له... بتقديم الحمد له

بالتساييح والألحان لأنه خلقنا [443].

التسبيح هو تجاوب كيان الإنسان كله لمحبة الله، فتهتز كل مشاعره وأحاسيسه وأفكاره وولادته كأوتار قيثارة تُخرج لحن الحب المتجاوب مع حب الله الفائق. هذا التجاوب يُعلن في المخدع حتى في لحظات النوم، كما في العمل والكنيسة...

ما نريد تأكيده أن التسبيح ليس عملاً فُدياً، لكنه شركة الجماعة كلها: المجاهدة والمنتصرة مع طغمات السمائيين:

"أمام الملائكة رتل لك" (مز 138).

"سبحوه في جميع قديسيه" (مز 150).

"في وسط الجماعة العظيمة أسبحك" (مز 22).

فالمؤمن يقاسم الكنيسة مجدها الأبدي، دون أن ينفصل عنها. لا يملس التسبيح في السماء بطقس منفرد خاص به... هكذا عمل التسبحة والليتورجيات كلها أن تكشف للمؤمن عن عضويته الكنسية ليبرك لا وحدته مع الكنيسة بل هو جزء لا يتخأ منها، جاء ذلك ثرة طبيعية لعمل الروح القدس فيه. إنه لا يحتاج إلى ما يوحد فيها بعد كأنها غريبة عنه.

كان ثمر يوم الخمسين:

"قبلوا كلامه بفرح واعتموا..."

وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة...

كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب،

مسيحين الله...

وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع 2).

6 . لحظات ضعف بشري:

كانت نفسية لرميا تتمر من وقت إلى آخر في لحظات الضعف، إذ كان يشعر بانسحاق لأعماقه من أجل ما سيحلّ بشعبه، وفي نفس الوقت يجد مقاومة حتى الموت من القيادات الفاسدة التي أثرت حتى على الشعب، حتى انتهى لو لم يولد.

"ملعون اليوم الذي وُلِدْتُ فيه.

اليوم الذي ولدني فيه أمي لا يكون مباركاً.

ملعون الإنسان الذي بشرّ أبي، قائلاً:

قد وُلِدَ لك ابن،

مُفْرَحًا إِيَّاهُ فَرَحًا.

وليكن ذلك الإنسان كالمدن التي قلبها الرب ولم يندم،

فَيَسْمَعُ صِيحًا فِي الصَّبَاحِ، وَجَلْبَةً فِي وَقْتِ الظُّهْرِ.

لأنه لم يقتلني من الرحم،

فكانت لي أمي قوي ورحمها حُبلي إلى الأبد.

لماذا خرجت من الرحم لأرى تعبًا وحرناً فتفنى بالقوي أيامي؟! [14-18].

كان يشتهي لو لم يولد، وكان يود لو أن أحشاء أمه صلت مقوة له.

صورة للضعف البشري الذي يسقط فيه حتى الأنبياء والرسل... كيشر يحتاجون إلى سندٍ إلهي وسط الأمام حتى لا ينهاروا.

منذ لحظات كان يسبح الله وسط آلامه، إذ كان متأكدًا أنه يُخلص نفس المسكين من يد الأثوار... لكن سوعان ما ضعف وشعر بالفشل مشتبهًا لو أن الموت قد حلَّ به في لحظات ولادته. وقد سمح الله بتسجيل هذه المشاعر لكي لا نياس حين نضعف وسط آلامنا، متطلعين إلى أن الأنبياء أنفسهم كانوا أحيانًا يضعفون. هذا ويليق بنا أن نسجل لحظات ضعفنا لكي متى تمتعنا بعمل نعمة الله نخجل من أنفسنا، ونعترف بضعفنا وغبوتنا أمامه. ونقدم له الشكر لأنه في صلاحه لم يأخذنا في لحظات ضعفنا، بل أعطانا فرصة التمتع بعمل نعمته، والدخول في خوة جديدة معه.

مع ما حملته هذه العبرات من روح اليأس، لا ننكر أنها تكشف عن رقة نفس لرميا... لم يكن قانوا أن يرى الناس يهلكون. يشتهي الموت عن أن يسمع ما سيحل بشعبه.

تسجيل هذه المشاعر لا يعني أن رميا النبي قد نطق بها أمام أحد، وإنما سُجلت لكي نكتشف كيف أننا في لحظات تعبنا نخطئ بالفكر، لكن يليق بنا أن نضبط لساننا ونلجمه كقول المرتل: "قلت أتحفظ لسبيلي من الخطايا بلساني؛ أحفظ لفي كمامة فيما الشيرير مقابلي؛ صمت صمتًا" (مز 39: 1-2).

مع كل هذه الظروف القاسية، ومع مودة نفسه لم يهرب من الخدمة... بل كان يهتم بخلص الآخرين، حتى المقومين له.

❖ عندما سمع النبي هذا لم يرفض الخدمة. لم يقل على مثال موسى: "أسألك يارب، إنني لست مستحقًا، أرسل آخر". إذ كان محبًا للشعب [444]...

القديس جيروم

يلاحظ في هذه المراثية الشخصية الآتي:

وَأولاً : حسب رميا يوم ميلاده يوم لعنة لا بركة، إذ ظن أنه لم يحقق رسالته، فما قيمة ميلاده أو حياته! لقد استحق يهوذا الخائن اللئيم ذلك: أن يلعن يوم ميلاده، وكان خير له لو لم يولد (مت 26: 24) ، لكن ما كان يليق بنبي يعلم أنه إناء للوحمة أن يفعل ذلك.

ثانيًا : لم يلعن رميا والديه إنما لعن يوم ميلاده، لأن الشريعة تحرم لعن الوالدين كجريرة عظيمة (لا 20: 9؛ 24: 10-16).

ثالثًا: كان اليهود كما كثير من الأمم يوحون بميلاد طفلٍ ذكر، لقد بشروا والده: "قد وُلد لك ابن (ذكر) ليروح..."

رابعًا : يقصد بالمدن التي قلبها الرب سنوم وعمورة، وقد أشير إليهما كثيرًا كعورة (عا 4: 11؛ إش 1: 9-10؛ 3: 9؛ صف 2: 9). تحولت

سنوم وعمورة إلى صياح وجلبه (تك 18: 20) ، لكن ليس صواخ التوبة والرجوع إلى الله، بل صواخ التعب والألم مع حالة الروع والخوف الشديد.

خامسًا : يعلم رميا النبي تمامًا حالة الإحباط التي تحلّ بالأُم التي يموت طفلها عند ولادته (6: 26؛ أم 4: 3)، لكنه يُحسب هذا كلا شيء أمام

إحساسه بأن حياته بلا معنى ولا قيمة.

يلق القديس أمبروسيوس على كلمات رميا النبي السابقة، قائلاً بأن القديسين يوحون منتظرين حياة أفضل [لذلك القديسون ليسوا بدون سبب

كثيرًا ما كانوا يوحون من أجل طول بقائهم هنا، داود بكى ذلك (مز 119: 119) لرميا وإيليا (1 مل 19: 4) [445].

ويقول العلامة أوريجينوس:

[لا نجد أحدًا من القديسين يحتفل بعيد ميلاده أو يقيم فيه وليمة عظيمة، ولا يوح أحد بعيد ميلاد ابنه أو ابنته، إنما يوح الخطة بهذا.

ففي العهد القديم احتفل فعون ملك مصر بعيد ميلاده (تك 40: 20)، وفي العهد الجديد احتفل هيرودس أيضًا (مر 6: 21)، وفي الحالتين سال

الدم علامة تكريمهما لعيد ميلادهما، فقطعت رأس رئيس الخبزين (تك 40: 22)، وأيضًا رأس القديس النبي يوحنا في السجن (مر 6: 27).

أما القديسون فليس فقط لا يحتفلون بأعياد ميلادهم وإنما وهم مملؤون من الروح القدس يسبون هذا اليوم. فإن نبيًا عظيمًا، أقصد لرميا، الذي

تقدس في بطن أمه وتكرس كنبي للشعوب (1: 5)، يعلن: "ملعون اليوم الذي وُلدت فيه، اليوم الذي ولدتني فيه أمي لا يكون مبركًا..." [14].

من وحي رميا 20

اسمك نار في قلبي،
محصورة في عظامي!

❖ صار اسمك نرا في قلبي،

يلهب أعماقي،

فلا أستطيع أن أصمت!

❖ التهب قلب رميا النبي،

فتكلم بكل شجاعة ولم يصمت.

ضوبه الكاهن فشحور، ووضع في مقطرة،

لكنه لم يستطع أن يقيد كلمة الله النزلية التي ينطق بها،

لم يستطع أن يطفئ نرك التي ألهبت أعماقه.

❖ دعوت فشحور (= مثمر من كل جانب) "مجور مسا بيب" (= خوف من كل جانب)،

لأنه لم يعد يحمل ثورا مؤخا، بل رعبا لنفسه ولمحبيه!

حول فشحور أن يطفئ النار الإلهية،

فصار اسمه "الخوف في كل جانب"!

هذه هي ثرة كل مقاومة لعملك النزي!

يفقد الإنسان فوحه ليصير رعبا لنفسه،

ويفقد الإنسان ثوره فوعب أعباءه!

❖ في لحظات الضعف ظن رميا النبي أنك خدعت،

وعدته بالخلاص والنصرة،

وإذا بالكل حوله يحطمونه.

صار أضحوة الجميع النهار كله!

صار الكل يسخرون به.

ولم يدرك أنه إنما شركك حياتك أيها المخلص!

ثرت القيادات والجماهير ضدك،

سخروا منك، قائلين:

أصلبه! أصلبه!

خلص آخرين، أما نفسه فلم يقدر أن يخلصها!

هل لي شرف مشركتك ألامك؟!

ليسخر العالم بي،

فإنه لن يطفئ لهيب حبك في داخلي!

بقوة أقول مع خادمك أثناسيوس الرسولي:

أنا ضد العالم!

أخدمه بنار محبتك،

لكنني لا انحنى لشوه ومفاهيمه الخاطئة!

❖ في ضعفي لعنت مع رميا النبي يوم ميلادي!

لكنني تطلعت وأبتك معي القوي القدير!

لا تحاسبني على ضعفي،

وإنما إلهب قلبي بنار روحك القنوس!

❖ ليعمل روحك النزلي في داخلي:

يحرق ضعفاتي وسقطاتي!

يلهب نفسي حباً لك، فلا أكتم كلمتك!

يشعل أعماقي حباً، حتى لمقاومي!

يحولني إلى نار مقدسة، مياه كثرة لا تقدر أن تطفئها!

❖ نعم، اسمك نار في قلبي!

روحك القنوس نار يشعل أعماقي!

كلامك نار محصورة في عظامي!

متى أصير كأحد خدامك: لهيب نار لا ينطفئ!

<<

الأصحاحات 21-33

نبوات ما قبل السقوط

رميا 21 - رميا 33

الأصحاح الحادي والعشرون

قيادة جاحدة

ورد في هذا الأصحاح أمور خاصة بآخر أعمال رميا، إذ أرسل صدقيا، آخر ملوك يهوذا، يسأل رميا النبي إن كان يثور على ملك بابل، وكان يأمل أن تأتي الإجابة حسب هواه، وأن يسمع من رميا كلمة تشجيع. لكن رميا تكلم بشجاعة حسب قضاء الرب، ليس محاباةً لبابل، وإنما هو واقع يجب أن يبركه الملك والشعب، وهو أن التأديب الإلهي يحل بهم حتمًا، لذا طالب الشعب بالخضوع لملك بابل، وطالب الملك وأسرته بالتوبة.

❖ الملك صدقيا

- 1 . الملك صدقيا يطلب مشورة رميا [1-2].
2. إجابة رميا: الله نفسه ضد يهوذا [3-7].
3. نصيحة: الخضوع للتأديب الإلهي! [8-10].
4. الحاجة إلى التوبة [11-12].
- 5 . أورشليم تؤله نفسها [13-14].

الملك صدقيا [446]:

صدقيا" اسم عوي معناه "يهوه بر" أو "بر يهوه".

هو آخر ملوك يهوذا، اسم والدته حميطل (2 مل 24: 18). أقامه ملك بابل بعد السبي الأول، وغيّر اسمه من منتيا إلى صدقيا (2 مل 24: 17)، وكان عمه إحدى وعشرين سنة، وملك إحدى عشرة سنة (597-587 ق.م). كان يسأل رميا لكي يستشير الرب، لكنه لم يصغ إليه، لأنه كان ينتظر إجابة حسب هواه (2 أي 36: 12؛ إر 1: 2، 37) ولأنه كان بالأكثر معتمدًا على وعود فوعون مصر القوية وقد خطط مع رجاله كيف يتخلص من دفع الجزية لبابل [447]، وكان سؤاله الرب كان أمرًا ثانويًا أو شكليًا. من جهة علاقته بالله، نجس الهيكل بالوثنية (2 أي 36: 14)، ولم يقض بالعدل كما زى في هذا الأصحاح [11-12].

جاء إليه رسل من أنوم وموآب وعمون وصور وصيدا ليرسموا خطة موحدة للثورة على ملك بابل، لكنهم كانوا حلفاء غير أمناء.

في البداية بعث صدقيا سفرة إلى نبوخذنصر غالبًا ليؤكد له ولاءه (29: 3)، وفي السنة الرابعة لملكه ذهب هو إلى بابل (51: 59)، وأخوًا جسر على التمرد. وقد شجع عظماء يهوذا الملك على الثورة ضد بابل.

كان الباعث على هذه الثورة هو جلوس ملك جديد على عرش مصر أراد أن يناهض بابل، فيسترد لنفسه بعض الأراضي التي كانت قبلاً خاضعة لمصر واغتصبتها بابل منها.

ليس فقط من الجانب الروحي أو الإيمانى قد أخطأ صدقيا في اتكاله على نواح بشوي، أي على فوعون مصر، وإنما حتى من الجانب السياسى كانت النظرة خاطئة. فإنه قبل ذلك بحوالي قرن ونصف في أيام إشعياء النبي تقبلت يهوذا ينعوًا لا ينقطع من الوعود المصرية عن المساندات العسكرية لتقف أمام الآشوريين (وبعد ذلك البابليين). إذ خشي المصريون على أنفسهم من خطر تدخل منطقة ما بين النهرين، وكانوا يودون استخدام يهوذا وإسرائيل كخط دفاع لهم من الجانب الشمالى لمصر [448]. كل هذه الوعود لم تُجد شيئًا ولا قدمت حصانة ليهوذا أو إسرائيل، وكان يليق بالملك أن يضع ذلك في اعتباره.

في اليوم العاشر من الشهر العاشر في السنة التاسعة لملكه عسكر ملك بابل أمام أورشليم وأخذ يبني حصونًا حولها، لكن قوتها حالت دون اقتحامها، فحاصوها البابليون، إلا أن تقدّم المصريون رُغمهم على الانسحاب إلى حين (37: 5)، لكنهم ما لبثوا أن عاوا.

وفي اليوم التاسع من الشهر الرابع في السنة الحادية عشرة لملكه نفذ القوت من العاصمة المحاصرة. في تلك الليلة غادر صدقيا الموقع مع كل

رجاله، وتسلل بين القلاع البابلية، وهرب شوقاً نحو الأردن. لكن الجيش البابلي طرده وأدركه في سهل لريحا، فألقى القبض عليه وجاعوا به أسوأ إلى نبوخذنصر إلى ربة في شمال فلسطين. هناك حُوكم، فقتل وألاده أمامه، وأقتلعت عيناه، وربط بسلاسل من نحاس، وسيق إلى بابل (2 مل 24: 17-02، 25: 1-7؛ 2 أي 36: 11-21؛ إر 39: 1-14)، وحُبس حتى موته (52: 11).

فيما يلي نص طلب صدقيا الملك من رميا لسؤال الرب، وإجابة رميا النبي عليه، وكان ذلك في عام 588 أو بداية 587 ق.م.

1 . الملك صدقيا يطلب مشورة رميا:

"الكلام الذي صار إلى رميا من قبل الرب حين أرسل إليه الملك صدقيا فشحور بن ملكيا وصفنيا بن معسيا الكاهن، قائلاً:

اسأل الرب من أجلنا،

لأن نبوخذنصر ملك بابل يحربنا.

لعل الرب يصنع معنا حسب كل عجائبه فيصعد عنا" [1-2].

وى يوسفوس المؤرخ اليهودي أن صدقيا الملك حين سمع كلمات رميا صدقيا، وشعر أن كل ما ينطق به هو حق وأنها لصالحه، لكن

[449].

أصدقاؤه غيروا فكره وانحرفوا به عما نطق به رميا وأزموه أن يفعل حسبما يسوهم

على أي الأحوال تكشف هذه العلاقة بين الملك والنبي أيهما كان الأقوى وأيهما كان الأضعف [450]. من الظاهر كان الملك في مركز القوة،

وكان رميا موضع سخوية من الأكثيين اليوم كله... أما في الواقع فكان الملك متعباً غير مستقر، محتاجاً إلى كلمة من رميا تعطيه طمأنينة وسلاماً!

رسل الملك كاهنين هما فشحور بن ملكيا وهو غير فشحور بن أمير (20: 1) وصفنيا بن معسيا. كانا كاهنين وموظفين عند الملك. كان فشحور

يكن كل كراهية لإرميا ووجع أن والده ملكيا هو الذي ألقى رميا في الجب (38: 6).

وى البعض أن هذين الكاهنين كانا مشيرين للملك من الجانب المدني والديني، وكانا منحلين نحو فوعون مصر، يحثان الملك على التحالف

مع فوعون ضد البابليين [451]، والحنث بالعهد الذي أقامه مع نبوخذنصر.

طلب الملك من رميا النبي: "اسأل الرب من أجلنا" [2] ، ليس شوقاً إلى معرفة رادة الله أو رغبة في الطاعة لله، وإنما رغبة في نوال إجابة من

الله تتفق مع ما هم مصممون عليه. إنهم يخدعون أنفسهم، إذ يطلبون أن يسمعوا، لا صوت الرب، بل صوتهم هم على لسان الرب.

كلمة "اسأل" *daras* [452] هنا تعني عملية الكشف عن فكر الله، استخدمت كثيراً في العهد القديم (تك 25: 22؛ خر 18: 15؛ تث 4: 29؛

12: 5، 1 صم 9: 9؛ 1 مل 22: 5، 7-8؛ 2 مل 3: 11؛ 8: 8؛ 13: 22؛ إش 31: 1؛ 55: 6؛ 65: 10، هو 10: 12؛ عا 5: 4-6 الخ).

كان في ذهن صدقيا مناسبة سابقة عندما حوصرت أورشليم بواسطة سنحريب والجيوش الآشورية عام 701 ق.م (2 أي 23: 20-21؛ 2 مل

19: 35-36؛ إش 37: 36-37)، في تلك المناسبة قام الله بدور خطير حيث تشفع إشعيا النبي لديه، فانسحب سنحريب. الموقف في ظاهره مشابه،

وكان الملك يتوقّب حدوث معجزة أخرى، لكن هناك فرق بين الموقّفين. في أيام سنحريب كان حزقيا الملك وشعبه يطلبون الإصلاح ويبدّلون كل الجهد

للمصالحة مع الله، أما صدقيا وشعبه فكانوا رجال جحود وفساد! كان كل اهتمام الملك هو التخلص من المشاكل الساقط تحتها، بأن يصعد ملك بابل عنه،

لا أن يتمتع بالسلام مع الله والدخول في مصالحة معه.

كان حزقيا يسأل الله بقلبه، أما صدقيا فبشفتيه. كان قد خطط للثورة ضد بابل مع رجاله، وجاء سؤال الرب أمراً شكلياً أو ثانوياً كما وى بعض

الدارسين. ثم إن كان صدقيا يعرف الله أنه صانع عجائب عبر الدهور [2]، فلماذا لا يوجع إليه بقلبه بل كانت معرفته معرفة عقلية بحتة، لا تمس حياته

الداخلية ولا سلوكه، لا تقدم له نفعاً!؟

من جانب آخر كان حزقيا قد اتكل تماماً على الرب وانتظر عمله بيقين الإيمان، أما صدقيا فانتكأ على وعود فوعون القوية.

أشار هنا إلى اسم ملك بابل: "نيوخذنصر" التي تعني "ليت (الإله) نابو Nabu يحمى الحدود"، أو "ليت نابو يحمي الابن" أو "ليت نابو يحمي البغل (الشخص العنيد)" [453].

2. إجابة رميا: الله نفسه ضد يهوذا:

إذ كان صدقيا متعبًا بسبب العدو الخرجي الواضخ خرج أسوار أورشليم وجّه رميا أنظره إلى عدو داخل الأسوار هو فساد قلبه وقلوب من معه، الذي حوّل الله إلى العدو ضدّهم.

"فقال لهما رميا:

هكذا تقولان لصدقيا:

هكذا قال الرب إله إسرائيل:

هأنذا رُد أنوات الحرب التي بيدكم التي أنتم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين الذين يحاصرونكم خرج السور.

وأجمعهم في وسط هذه المدينة" [3-4].

لم يذعن رميا النبي لرغبة الملك ولم يساوه في شيء، بل كشف بشجاعة عما أعلنه الله له من جهة قضائه، أي الهلاك لجميع الذين يقاومون بابل حتى الملك وأهل بيته. لا يعني ذلك أن رميا كان مُحبًا لبابل، بل أترك أن بابل مع كل ظلمها وقساوتها يستخدمها الله - إلى حين - كأداة لتأديب شعبه العنيد والجاحد له.

موقف رميا هذا خلق عدوة شديدة لكثيرين من مواطنيه ضده، فاتهموه بالخيانة الوطنية.

ويلاحظ في هذه الإجابة التالي:

وَأولاً : جاءت الإجابة ليس حسب رغبة صدقيا، وإنما حسب قلبه المُبتعد عن الله، إذ يقدم الله للإنسان حسب قلبه إن كان مقدسًا أو تائبًا أم دنسًا ومتشامخًا.

ثانيًا : تُستخدم كلمة "رُد" [4] على الوجه أو العينين حيث يحوّل الشخص عينيه أو وجهه عن آخر (2 مل 20: 2). هنا العوة الوحيدة التي تُستخدم عن الأسلحة... وكان الله يؤكد لشعبه أن نتيجة المعركة لا تتوقف على كمية الأسلحة أو قوتها، وإنما على وجه الله الذي يدوره نحو شعبه أو عنهم. فإن أدله عنهم، تفقد الأسلحة التي بين أيديهم قوتها ورسالتها، وتتحوّل من الحماية ضد العدو إلى الاتجاه المضاد. كما أن كل الأمور تعمل للخير للذين يحبون الله (رو 8: 28)، هكذا كل الأمور تتحوّل للهلاك للذين يقاومون الله ويجحدونه، حتى الأسلحة التي في أيديهم تتوجه لهلاكهم لا لخلاصهم! عندما نتصالح مع الله تصطلح الطبيعة معنا، وتتحوّل كل الطاقات لبنياننا، وعندما نقاوم الله تحمل كل الأمور عدوة ضدنا.

ثالثًا : مع ما يبدو في الإجابة من حزم شديد، حتى يصعب أن تجد فيها كلمة رجاء واحدة، إلا أنه يلقب الله "إله إسرائيل" ليعت فيهم الرغبة في مراجعة أنفسهم، والتعرف على سبب تخلي الله عنهم، وهو الصانع عجائب في حياة آبائهم.

رابعًا : يقصد بأسلحة الحرب فوق يهوذا العسكرية، التي كان يمكنها حتى تلك اللحظات أن تقوم بدور خراج الأسوار وتضايق الكلدانيين. ربما قصد بها جيوش الكلدانيين التي كانت ستجتمع في المدينة.

هذا ويلاحظ أن تعبير "الكلدانيين" يُطلق على البابليين (2 مل 24، 25). هذا التعبير يشير في الأصل إلى فوق القبائل التي عاشت بين نهريّ الوات ودجلة، بين مدينة بابل والخليج الفارسي. في الوقت الذي فيه ملست الإمبراطورية الآشورية سلطتها على الجنوب كانت هذه القبائل هي مركز القوي المضادة للآشوريين. لقد ضمّ الجيش البابلي جنسيات كثرة بجوار الكلدانيين (34: 1)، لكن حينما يُشار إلى الكلدانيين يُعنى القوة البابلية التي

حطمت الآشوريين [454].

يصعب ترجمة كلمة "sarim" [4] هنا بـ "الحصار" حيث لم يكن بعد قد بدأ، لذا تُرجم بالضغط الشديد.

خامساً: أكد لهم أن كل جهودهم للخلاص من الكلدانيين تنتهي حتماً بالفشل.

سادساً : ما وعيهم هو أن الجيش البابلي ليس إلا إحدى الوسائل التي يستخدمها الله ضدهم لخرج أورشليم وداخلها. إذ صار الله نفسه عوناً لهم يحتاج الأمر إلى مصالحة. إنه لا يصنع عجائب مع شعبه كعادته، وإنما هو يوجه أسلحتهم ضدهم يقف بنفسه ضدهم.

وأنا أحاربكم بيد ممدودة وبزواجٍ شديدة،

وبغضبٍ وحموٍ وغيظٍ عظيمٍ.

وأضرب سكان هذه المدينة،

الناس والبهائم بوباً عظيمٍ يموتون" [5-6].

النقطة الخطوة أن الله نفسه هو الذي يحرب ضدهم، مستخدماً الكلدانيين كوسيلة خاصة به. يحول أسلحة يهوذا إلى هلاكهم، كما يسمح بالوباء والسيف والجوع أن يهلكهم هم وحيواناتهم... مهياً كل فرصة للعدو أن يغلبهم!

تُستخدم كلمتا "يد" و "زواج" لتعنيا "قوة" الله كما في (تث 4: 34؛ 5: 15؛ 7: 19؛ 8: 26؛ 8: 42، 2 مل 17: 26).

هنا يبسط الله يده ليؤدب شعبه المُصر على العناد والجور، مستخدماً الأمم للتأديب. غير أن بسط اليد يشير إلى تجسد الكلمة، الذي يحل بيننا مستخدماً كل وسيلة لخلاص العالم. حمل التأديب الإلهي عنا في جسده (إش 53: 4-6)، مستخدماً الأمم كسواء عنه، يشهدون لإنجيله الذي يعلن عن حب الله للعالم كله!

إن كان لرميا قد عجز عن تقديم المصالحة بين الله وشعبه، فإننا قبلناها ببسط يده، أي بالتجسد الإلهي.

كان نور النبي في ذهن صدقيا الملك أن يطلب ما هو لخير شعبه، ويعمل لحساب وطنه، مهما كلفه الأمر. فكان الأنبياء في أثناء الحروب يصلون إلى الله، ويشفعون في الشعب ليهبهم النصوة على الأعداء. لكننا زى هنا لرميا يقف أمام الله ليجد أنه لا مجال للشفاعة عن شعبٍ قد صار الله نفسه عوناً لهم... لم يعد الأمر - في عينيه- هو الشفاعة عنهم لكي يتمتوا بالخلاص من العدو، وإنما أن يجنوا طريق المصالحة مع الله، حتى وإن ظهروا في ضعف، خاضعين للعدو الظاهري، بابل!

3. نصيحة: الخضوع للتأديب الإلهي:

وتقول لهذا الشعب:

هكذا قال الرب.

هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت.

الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوباء.

والذي يخرج ويسقط إلى الكلدانيين الذين يحاصرونكم يحيا، وتصير نفسه له غنيمة.

لأني جعلت وجهي على هذه المدينة للشر لا للخير يقول الرب.

ليد ملك بابل تُدفع فيحرقها بالنار" [8-10].

لم يعد أمام صدقيا ورجاله وكل الشعب إلا الاختيار بين أقل الأملين مورا: الاستسلام لبابل أو الموت. هذا ما فعلته الخطية بهم، إصروهم على الخطية زماناً طويلاً أقدمهم إمكانية التمتع بالحرية، ودخل بهم إلى ضرورة الانحناء إلى العبودية الموءة والسبي... ولكن إلى زمان، حتى يقدموا توبة صادقة، ورجوعاً حقيقياً لله مخلصهم صانع العجائب.

المسئولية الرئيسية للملك هي الإيواع في مملسة العدل "في كل صباح (مبكرًا) ؛ ذلك لأنه كانت العادة أن ينظر في القضايا في الصباح المبكر عند باب المدينة (عا 4: 4؛ مز 50: 17؛ مز 101: 8). فالملك كمثل لله وسفوه يؤمه أن يكون حرسًا للعدالة. لذلك طلب سليمان الحكيم في صلاته لله أن يهبه عقلاً رزيناً قاوراً على التمييز بين الخير والشر (1 مل 3: 9؛ 8: 32). وقدرت كثير من الزامير الملوكية على مملسة العدالة وزع الظلم (مز 45: 5-9؛ 72: 1-4، 12-14 الخ.) مع الرحمة، حتى يتوئم الملك مع داود قائلاً:

رحمة وحكمًا أغنى. لك يرب لرب أنم...

الشرير لا عرفه.

الذي يغتاب صاحبه سواً هذا أقطعه...

عيناى على أمناء الأرض لكي أجلسهم معي.

السالك طريقاً كاملاً هو يخدمني،

لا يسكن وسط بيتي عامل غش.

المتكلم بالكذب لا يثبت أمام عيني.

باكرًا أبيد جميع أشوار الأرض لأقطع من مدينة الرب كل فاعلي الإثم" (مز 101).

أثار الأنبياء هذا الموضوع، مطالبين الملك أن يحقق العدالة ويوزع الظلم (عا 5: 11-13؛ إش 1: 17؛ مي 3: 9-12 الخ.).

لتحقيق العدالة بالنسبة للملك أهمية من جهة أنه علامة على الأمانة في تحقيق الميثاق الإلهي، إذ يُحسب شرط "مملسة العدالة" التوأمًا من جانب الملك مقابل تعهد الله بحمايته وإعطائه النصرة. ومن جانب آخر فإن الملك يحمل رمزاً وظلاً للمسيا الملك ابن داود الذي جاء ليحقق العدل (23:

6-5؛ إش 9: 6-7؛ 11: 1-4 الخ.)، فإنه ينقذ الإنسان من الظالمين.

إذ جعلنا السيد المسيح ملوكاً (رؤ 1: 6) يليق بنا نحن أيضاً أن نلتحف بالرحمة نحو إخوتنا، خاصة المتألمين والمحناجين. ففي تعليق للقديس

هيبوليتس على كلمات ربنا يسوع مع الأثوار في اليوم الأخير يقول:

[حينئذ يسألون: "يرب، متى رأيناك جائعاً أو عطشاً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك؟!" (مت 25: 44).

يرب، أما تعرفنا؟!

أنت هو الذي خلقتنا، ووهبتنا الروح والنفس!

إننا آمنة بك، وقلنا ختمك.

قلنا معموديتك، واعترفنا بك إلهاً... صنعنا آيات باسمك، وأخرجنا شياطين! من أجلك امتنا الجسد، واحتملنا البتولية وسلطنا في العفة!

من أجلك تعوبنا على الأرض، وأنت تقول: لا أعرفكم، إذهبوا عني؟!

يجيب الرب قائلاً:

لقد خُتمتم بخاتم صليبي، لكنكم طمستوه بقسوة قلوبكم!

نلتم معموديتي، لكنكم لم تبالوا بوصاياي!

أخضعتكم أجسادكم للبتولية، لكنكم لم تصنعوا رحمة، ولا أخرجتم البغضة نحو أخيك من قلوبكم!

لأنه ليس من يقول يرب يرب يخلص، بل الذي يصنع مشيئتي [455].

إن لم تهتم يهودا بمعالجة حالات الظلم الاجتماعي الخطوة السائدة في داخلها، تجد نفسها أمام حالة الغضب الإلهي الخطوة [11].

كنواً ما يشبه لرميا النبي الحكم الإلهي بنا لا تتطفئ (4: 4؛ 4: 17؛ 4: 27؛ 21: 12؛ 14؛ 43: 12؛ 49: 27).

5. أورشليم تؤله نفسها:

"هأنذا ضدك يا ساكنة العمق،

صخرة السهل يقول الرب.

الذين يقولون: من ينزل علينا؟

ومن يدخل إلى منزلنا؟

ولكنني أعاقبكم حسب ثمر أعمالكم يقول الرب.

وأشعل نرا في وعوه (غابته) فتأكل ما حوالها" [13-14].

بقوله: "القائلة: من يقدر أن ينزل ضدك؟" يحمل أحد معنيين:

أ. إما أن أورشليم تظن أن الله لن يتول ليؤديها، وكأنه في سمواته لا يبالي بها، ولا ينشغل بتأديبها، فما يهدد به إنما هو كلام! أو أنه لن يلحق

بها.

ب. ربما يعني أن أورشليم قد انحطت بالشر إلى الهلوية (أي 12: 13)، فصلت أسفل الأرض...

في كلا الحالتين ظنت أورشليم أنها بعيدة عن طائلة قانون الله وتأديبه.

جاءت كلمة "أنت" [13] بالمؤنث، فهو يحدث أورشليم، إذ ينظر إلى المدن كأمهات لسكانها، كما ينظر إلى القوى المحيطة بالمدينة كبنات لها.

لقد ألهمت أورشليم نفسها، فظنت أنه لن يقرب منها العدو، ولا يلحق بها الله نفسه. إنها ملكة متربعة على الوادي، وصخرة قوية ليس من

يحطمها!

كانت أورشليم محاطة بالوديان العميقة من جهة الغرب والجنوب والشوق، لهذا لم تكن تحتاج إلى الدفاع إلا من جهة الشمال فقط.

قيل: "أيتها المتربعة على الوادي" [13]. كما ان الله هو المتربع على الشاروبيم (1 صم 4: 4، 2 صم 6: 2، 1 أي 13: 6، مز 80: 2،

99: 1) هكذا يريد أن تكون مدينته متربعة ومتوجة فوق كل الوديان. متى كان حالاً فيها كملك، يقيم منها ملكة، ويضع تابوت عهده الممثل لحضرته في

الهيكل المقام في أورشليم مدينته.

ربما بقوله "المتبعة على الوادي" يشير إلى شوها الذي أعلن بوضوح في وادي ابن هنوم، والذي دعاه وادي القتل، فصلرت ملكة، لا بقبولها

الملك واتحادها معه، بل باحتضانها الفساد والشر، ولرباطها وجاسات وادي هنوم.

لعله دعاها "المتبعة على الوادي" مقابل دعوة صور "المتبعة على مداخل البحر" (حز 27: 3)، إذ جعلت من نفسها إلهاً (حز 28: 2)، وكأن

لرميا النبي يقول لسكان أورشليم لقد صوتم كنعانيين (10: 17) تدعون مدينتكم "متبعة على الوادي" كما يدعو الفينيقيون مدينتهم "المتبعة على مداخل

البحر".

خطبتها هي الكرياء والتشامخ، وكما جاء في الزمور: "رأيت المنافق يرتفع ويتعالى مثل أرز لبنان، وجزت فإذا ليس هو. التمسته فلم أجده

مكانه" (مز 37: 35، 36).

❖ التكبر والغرور والغطوسة والافتخار بعجرفة، هذه كلها لا تتبع عن تعاليم المسيح الذي علمنا الاتضاع، بل عن روح ضد المسيح الذي يوبخه الرب

بالنبي القائل: "وأنت قلت في قلبك: أصعد إلى السموات، أرفع كرسيّ فوق كواكب الله" (إش 14: 13-14) [456].

الشهيد كيريانوس

❖ كل من يتعاضم ينحدر.

تعاضم قايين على أخيه هابيل فقتله، لعن وصار هرباً متشوداً في الأرض.

أيضًا تعاضم أهل سدوم على لوط فأقول الله عليهم نزلًا من السماء وأحرقهم، وانقلبت المدينة عليهم.

تعاضم أيضًا عيسو على يعقوب واضطهده، ونال يعقوب بكريته وبركته.

تعاضم أولاد يعقوب على يوسف، ثم عانوا فسجنوا أمامه في مصر.

تعاضم فُعون على موسى وشعبه، فغرق فُعون وجنوده في البحر [457]...

الأب افواهات

ورى البعض [458] أن عبلة "المتوبعة على الوادي" [11] تشير إلى "الملك" حيث تقابل "ساكنة الوادي (العمق)" [13] التي تشير إلى الشعب،

فقد صار الملك متوبعًا على الوادي، يهتم بسلطانه، مستخدمًا كل عنف وضغط، عوض أن يملس أبوته وخدمته للشعب. تحولت الملوكية من أبوة وخدمة حانية، خاصة بالنسبة للمظلومين والأيتام والفقراء، إلى تسلطٍ وعنفي.

يدعوها "صخرة السهل" ليؤكد لها أنها وإن كانت كالصخرة تحميها الطبيعة وتجعل منها مدينة محصنة يصعب على العدو أن يهزمها، مع ذلك تتم

الهزيمة حتمًا!

دُعي الله صخرة 33 مرة في العهد القديم، منها 16 مرة في سفر الزامير [459]، وكأن الله يريد من أورشليمه أن تحمل لقبه وتكون صخرة

يحتمي فيها المؤمنون، حيث يجنون فيها الله ملجأ لهم وحماية. لكنها للأسف صلت عاجزة عن حماية نفسها، فصلت أشبه بأتون نارٍ تحترق فيه

غاباتها. هنا يشبه اليهود بالأشجار التي تجمعت معًا، لكن الفساد ألهبهم بنارٍ محرقة.

"ولكنني أعاقبكم حسب ثمر أعمالكم يقول الرب.

وأشعل نزلًا في وعوه (غابته) فتأكل ما حوالياها" [14].

الحديث هنا موجه إلى سكان أورشليم، وورى البعض أنه موجه ضد القصر الملكي، الذي دُعي في (1 مل 7: 2؛ 10: 17، 21) "بيت وعر

لبنان"، وذلك بسبب كثرة ما استخدموه من الأرز في تأسيسه، ودُعي في إشعياء (22: 8) "بيت الغابة"، كما يُستخدم تعبير الغابة عن الهيكل (1 مل 6:

36-9) وتستخدم كلمة "الوعر" أيضًا كموضع تختبئ فيه حيوانات الوية (5: 6؛ 12: 8). هنا تصور "الموضع الخفي"، فبحرق الغابات لا تجد

الوحوش مكانًا تختفي فيه...

بالتأكيد لا يوجد في أورشليم ذاتها غابات، ولكن توجد على التلال التي حوالياها.

نختم هذا الأصحاح بعبوات القديس أغسطينوس:

[لا يخدع إنسان نفسه ظانًا أنه لن يُعاقب بواحم الله، إذ يوجد حكم.

ولا يخاف إنسان يتغير إلى الأفضل من حكم الرب، متطلعًا أن الرحمة تتقدم الحكم!

فإنه عندما يحكم البشر أحيانًا إذ يريدون تنفيذ حكمٍ صلحٍ يفقدون الرحمة.

أما الله فلن يفقد حزم الحكم في سزاء الرحمة، ولا الحكم الحزم يزع سزاء الرحمة [460].

من وحي لرميا 21

لأسمع صوتك فأحيا!

❖ طلب صدقيا الملك من لرميا أن يسمع صوتك،

لكنه في أعماقه كان يطلب أن يسمع ما يهواه هو!

يريد أن يسألك بشفتيه لا بقلبه،
لم يطلب صوتك بل صوته هو!
❖ طلب أن تصنع معه حسب كل عجائبك،
فتخلصه من يد الكلدانيين أعدائه،
ولم يبرك أنه إذ حول وجهه عنك حوّلت وجهك عنه!
لم يبرك أنك تستخدم الكلدانيين لتأديبه!
حولت حتى أسلحته إلى صوره،
وسمحت للوبأ والسيف والروع أن تهاجمه،
فتحت أبواب أورشليم ليجتمع العدو فيها.
هذا كله لأنه لم يسمع لصوتك!
❖ كلمتك نور تكشف كل ضعفاتي،
كنور تبدد ظلمتي فأصير نوراً.
أعترف لك إنني بغير عذرٍ لم أملس العدل،
لم أطلب الحق، ولا توفقت بالمظلومين!
في عجرة ظننت إنني أهرب من الحكم الإلهي،
وأنت في حبك تؤدب،
تفوج عدلك بالرحمة!
تؤدبني هنا بفيض رحمتك الغنية،
وترحمني في ذلك اليوم العظيم خلال عدلك الإلهي العجيب!
❖ مددت يدك لتؤدب أورشليم الشامخة،
ظننت في نفسها صخرة الوادي،
وحسبت نفسها ملكة متربعة على السهل،
انكلت على حصونها الطبيعية،
لن يلحق بها عدو،
ولا تلحق أنت بها،
مسكينة هذه المتشامخة!
حرمت نفسها من التمتع بفيض رحمتك أثناء تأديبها!
❖ أورشليم مدينتك المحبوبة لديك جداً،
رفضت صوتك فندنت،
استحقت التحطيم تماماً!
في حبك لا تتركها،

تود أن تَردّها إليها،
لتعود فتقيمها من جديد مقدسة ومباركة،
صخرة وعرش وملكة!
يا لك من عجيب حتى في تأديبك أيها الكلمة الحقيقي!
❖ مَدّ يدك إليّ،
لكن ليس بغضبٍ وحموٍ وغيظٍ عظيمٍ،
بل ابسط حبك ورحمتك نحوي،
فاستمع لصوت تأديبك!
صوتك حلو وعذب، حتى في لحظات التأديب الوّدة!
❖ صوتك الحلو يحوّل حياتي إلى صخرة الإيمان،
ففيك أحتمي!
صوتك العذب يحوّل قلبي إلى عرشك الإلهي،
ويقيم مني ملكة،
أجلس عن يمينك،
واتحد بك يا حكمة الله الحلو!
صوتك يجعلني أورشليمك المحبوبة والمنتسبة إليك!
[<<](#)

الأصحاح الثاني والعشرون

حاجة الملك إلى التوبة

إن كان الله قد أقام الملك على كرسي داود، فإنه يليق به كقائد أمين فيما وهبه الله أن يملس التوبة بروح العدل والرحمة والاتضاع عوض الظلم والكبرياء، حتى لا يفشل، ويصير كعقيم لا يجلس أحد من نسله على كرسي داود.
يناقش هذا الأصحاح مصير ثلاثة ملوك طغاة ليهودا، هم أبناء الملك يوشيا الصالح: يهوآحاز (شلوم)، ويهوياقيم، ويهوياكين (كنياهو)، ومصير مدينة أورشليم ومملكة يهوذا، حيث لا يعود يُقام ملك على كرسي داود بعد من نسلهم.

1 . حديث صريح مع يهوآحاز [1-2].

2 . اجروا حقاً وعدلاً [3-9].

3 . لا تبكوا ميتاً [10-12].

4 . الاعتداد بالذات (يهوياقيم) [13-19].

5 . ثرة العصيان [20-23].

1 . حديث صريح مع يهوآحاز:

صرت الأوامر الإلهية إلى رميا النبي أن يركز أمام الملك بحزمٍ شديدٍ وتهديدٍ إلهي:

"انزل إلى بيت ملك يهوذا وتكلم هناك بهذه الكلمة، وقل:

اسمع كلمة الرب يا ملك يهوذا الجالس على كرسي داود،

أنت وعبيدك وشعبك الداخلين في هذه الأبواب" [1-2].

يبدو أن هذا الأمر الإلهي الخاص بحديث رميا عند بيت الملك كان مبكراً، في بدء خدمته، حيث حمل حديثه رجاءً في إعفاء الشعب مع الكهنة ورجاله من السبي إن تاب الجميع، قادة ورعية، كما هو واضح من القول: "لأنكم إن فعلتم هذا الأمر يدخل في أبواب هذا البيت ملوك جالسون لداود على كرسيه، راكبين في مركباتٍ وعلى خيلٍ؛ هو وعبيده وشعبه" [5].

جاء الحديث هكذا:

وَأولاً: "انزل" .. لأن قصر الملك كان في أحد الوديان محميًا بالجبال الشامخة المحيطة به. دعوة الرب لإرميا أن يقول تحمل معنيين:

المعنى الأول أنه لا يخشى الملك بكل سلطانه كأنه عالٍ ومرتفع عنه، إنما يتطلع إليه كمن يقول النبي إليه. إن رميا كرجل الله يجد له مسكنًا في قلب الله، مرتفع فوق كل الأحداث الزمنية... عندما يلتقي بالملك إنما يقول إليه ليحدثه.

المعنى الثاني أن النزول يحمل الحب نحو النفس الساقطة، فيليق بولاد الله ألا يتحدثوا بروح التشامخ، كأنهم جالسون على كرسي المعلمين المتشامخة، بل يقولوا إلى كل نفس لينتوا معها كثوكاء معها في الضعف، فتجد فيهم أشخاصًا يشركونها آلامها وضعفها، فتقبل كلمة الرب.

جاء في إحدى عظات القديس يوحنا الذهبي الفم:

[بالحقيقة أيها الإخوة إنى كاهن الله، لأن الله أراد لي ذلك!

إنى خاطئ، معكم أوق صوري!

معكم أطلب الصفح!

معكم أترجى وراحه!

أخبرونا أيها الوسل القديسون: هل بعد قيامة الرب من الأموات وثبوتكم بالروح القدس الذي حلَّ عليكم انقطعت عنكم الخطية تمامًا؟!...

لنصت إلى إجابتهم حتى لا ييأس الخطة... إن قلنا إننا بلا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى

يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم [461].

ثانيًا: يذكّره بأنه **الجالس على كرسي داود** ، الذي كان يحمل قلبًا كقلب الله، وقد نال من الله وعودًا، لذا يليق بنسله أن يحملوا روحه، ويعيشوا

كما يليق بأبناء داود البار، ولا يكسروا العهد مع الله.

هكذا يمكننا القول بأن الحديث هنا موجه إلى كل مؤمنٍ تمتع بالملوكية، إذ صرنا خلال اتحادنا بالسيد المسيح ابن داود أو بملك الملوك ملوكًا

على يهوذا، حيث صلت نفوسنا وأعماقنا أرض يهوذا المحبوبة لدى الله مخلصنا، وقلوبنا أورشليمه المقدسة. لقد أقامنا ملوكًا (رؤ 1: 6) نحمل سلطانًا.

لنا العبيد الذين هم أعضاء جسدنا ومواهبنا وحواسنا وقواتنا التي قُدمت لنا من الله. متى كانت النفس ملكة تستطيع بروح الله القنوس أن تسيطر على كل

ما في داخلها، كما على الجسد بكل طاقاته كعبيد يعملون معًا بانسجام، ويسلكون في الطريق الروحي الملوكي.

صارت نفس المؤمن ملكة لها شعبها الداخل من أبواب بيتها أو قصورها الملوكي، هذا الشعب هو الأفكار التي عوت إلى أعماقنا خلال أبواب

فالحديث هنا موجه إلى الملك وعبيده وشعبه الداخلين في أبواب بيته، لأنه متى كان الملك مقدسًا أمكنه أن يقود العبيد (جال القصر) والشعب في الطريق الإلهي المقدس. هكذا متى صلت النفس ملكة مقدسة يخضع لها بروح الرب الجسد والأفكار ليعمل الإنسان بكل كيانه لحساب ملكوت الله. ثالثًا : جاء النداء الأول للملك وعبيده أي رجاله وشعبه هو: "اسمع كلمة الرب يا ملك يهوذا... أنت وعبيدك وشعبك الداخلين في هذه الأبواب" [2].

كلمة الرب هي وراء تقديس النفس والجسد، لأنها حية وفعالة !

أما هذه الأبواب فهي ليست أبواب المدينة العامة، وإنما أبواب القصر الملكي، التي كان يدخلها رجال القصر والشعب الذين عوض طلب العدل استغفروا روح الظلم الذي ساد الملك ورجاله لحسابهم الخاص.

2 . أجروا حقًا وعدلاً:

سبق وأينا في الأصحاح السابق إواز أن تحقيق العدالة، خاصة مع الغرباء والفقراء والمظلومين العاجزين عن الدفاع عن أنفسهم أو التمتع بحقوقهم، يمثل النور الرئيسي في حياة الملك.

"هكذا قال الرب:

أجروا حقًا وعدلاً (sadaqa)،

وأنتقوا المغضوب من يد الظالم والغريب واليتيم والأرملة،

لا تضطهروا ولا تظلموا ولا تسفكوا دماء ذكيًا في هذا الموضع" [3].

استغل الملك ورجاله الغير، خاصة الضعفاء والمحتاجين، على خلاف والده يوشيا الذي اهتم بتحقيق العدالة وإنصاف المظلومين.

كما أن الخطية تحطم بيوت الملوك والشعب، هكذا العدل والبر يسندان الكل ويعطيان قوة وكرامة ومجدًا.

"لأنكم إن فعلتم هذا الأمر يدخل في أبواب هذا البيت ملوك جالسون لداود على كرسيه راكبين في مركباتٍ وعلى خيلٍ.

هو وعبيده وشعبه.

وإن لم تسمعوا لهذه الكلمات فقد أقسمت بنفسى يقول الرب،

إن هذا البيت يكون خرابًا" [4-5].

كان الاعتقاد السائد في يهوذا عبر الأجيال أن بقاء الملك في سبط يهوذا من نسل داود علامة رضا الله وبركته وحمايته لشعبه، على خلاف مملكة إسرائيل التي انشقت وأقامت لها ملوكًا وأنشأت عاصمة (السامرة) عوض أورشليم.

إن كان الله قد برك يهوذا من أجل عبده داود، لكن إن لم يسلك نسله على منواله في علاقته بالله يفقدون هذه البركة. هذا مركز الفكر اللاهوتي

السياسي عند إرميا. يعتمد استوار البيت الملوكي، حتى إن نُسب لداود، على قبول الملك رسالة إرميا من كل القلب. بهذا فقط تبقى أبواب القصر

الملوكي مفتوحة أمام الملك ورجاله وشعبه للدخول والخروج.

"لأنه هكذا قال الرب عن بيت ملك يهوذا:

جلعاد أنت لي،

رأس من لبنان،

إنى أجعلك برية،

مدناً غير مسكونة" [6].

يشبه البيت الملكي وربما الملك نفسه بجلعاد، أي الجبل العالي، أو بقمة جبلٍ من جبال لبنان الشامخة، فإنه وإن ظن في نفسه أنه ثابت ومملوء أماناً ليس من يقدر أن يهبط به من هذا العلو إلا أنه ينحدر ليصير كرويةٍ قاحلةٍ وكمدينةٍ خربةٍ لا يسكنها أحد.

بقوله "جلعاد ورأس من لبنان" يشير إلى أن قصر الملك في منطقة غنية خصبة ومبهجة مثل جلعاد وجبال لبنان، وقد دُعي قصر سليمان "بيت وعر (غابة) لبنان" (1 مل 7: 2؛ 10: 17، 21).

ارتباط جلعاد بقمة لبنان كما في زكوبيا (10: 10) (يشير إلى الغابات، كما قد يشير إلى "الشوق" و"الغوب"، أي يملك على الضفة الشرقية والغربية لنهر الأردن).

كأن الله يعلن نظوته إلى القصر الملكي، أنه لا يزيد في عينيه عن شوة في وسط غابة في جلعاد أو على قمة جبل لبنان، أو كحيوانٍ وى هناك... مع ما اتسم به القصر من جمال وفخامة لكن الله يبديه ويحطمه، بل ويحسب تحطيمه عملاً مقدساً يتعهد به الأعداء بسماحٍ إلهي.

لم يقل "إني أجعلك... مدينة غير مسكونة" بل "مدناً"، لأن الخراب يشمل كل المملكة بمدنها، وليس أورشليم وحدها.

وأقدس عليك مهلكين كل واحدٍ وآلاته،

فيقطعون خيار أزرِك ويلقونه في النار" [7].

سبق لنا الحديث عن "تقدیس" بابل كآلة إلهية لتأديب الشعب. هنا كلمة تقدیس تعني "تكريس طاقاتها وإمكانياتها" أو تخصيصها، وكأن الله يضع في قلب بابل أن تكرس كل إمكانياتها البشرية والعسكرية لتحطيم الشعب الذي عصى الرب... إنها تعمل بغوة لئوال سلطة وسلب إمكانيات ولا تروي أن الله هو الذي سمح لها بذلك، أو هو كرسها لهذا العمل.

قلنا أيضاً إن بابل تحسب ذلك "حرباً مقدسة"، إذ تعتبر نصوتها هي نصوة لآلهتها على إله إسرائيل... ومع ذلك فمن أجل تأديب الشعب قبل الله ذلك!!

هنا الصورة أخطر، لأن الله نفسه يدخل في حرب مع شعبه المتمود، حاسباً هذه المعركة "حرباً مقدسة"، لا ليهب نصوة لشعبه بل ليهلكهم حتى يتأدوا.

لما كان البابليون يحترقون قطع الأخشاب [462]، لهذا يحطمون الهيكل بالفؤوس كأنهم يقطعون خيار الأرز، لا لينتفروا به، وإنما لكي يلقونه في النار.

كثير من الغباء (goyim) إذ يعبرون بالمدينة يسألون: لماذا صنع الله هكذا بمدينته العظيمة؟ وتأتي الإجابة: كسروا العهد معه، وعبوا آلهة أخرى وخدموها [8-9].

بسبب فساد الملك تفقد أورشليم، مدينة الله، سمعتها، بل وتكاد تفقد وجودها، فتصير بوية خربة بلا ساكن. وبسبب عصيان يونان النبي فقد الكثيرون سلامهم إذ هاج البحر وثلث الأمواج، وألقى النوتية والمسافرون أمتعتهم في المياه. وعلى العكس الأنبا أنطونيوس بتقدیس حياته في الرب حول الوية إلى فردوس يمتلئ بالعابدين الروحانيين، بل وتشتهي الملائكة أن تتطلع إليها لتمجد غنى نعمة الله الفائقة. ما كنا نسمع عن كنيسة نيصص ولا القديس غريغوريوس أسقفها الذي جذب نفوساً كثرة إلى السمويات، كما أعطى القديس أغسطينوس لهيبو شهرتها.

كل نمو روحي في حياتك هو لبنائك وبنيان أسرتك وأصدقائك وكنيستك ومدنتك ووطنك، بل ولبنيان البشوية، وكل انهيار أو انخاف عن الطويق الملوكي يحطمك ويحطم من حولك، ويدفع بالعالم نحو الخراب!

لا تستهن بدورك، كاهناً كنت أم من الشعب، شيخاً أو شاباً أو طفلاً، رجلاً أو امرأة!

3. لا تبكوا ميتاً:

"لا تبكوا ميتاً ولا تندوه.

ابكوا ابكوا من يمضي،

لأنه لا يرجع بعد فوى أرض ميلاده.

لأنه هكذا قال الرب عن شلوم بن يوشيا ملك يهوذا الملك عوضاً عن يوشيا أبيه الذي خرج من هذا الموضع لا يرجع إليه بعد؛

بل في الموضع الذي سيوه إليه يموت،

وهذه الأرض لا يواها بعد" [10-12].

الميت المذكور هنا هو يوشيا الذي قُتل في معركة مجدو عام 609 ق.م (2 مل 23: 29-30) بعد حكمٍ طويلٍ وحياتٍ صالحةٍ، مما يستوجب اشتداد الحزن والحداد. ولكن لميا يقول هنا إنه يجب أن يشتد البكاء على الملك الجديد الشاب يهوآحاز بن يوشيا، الذي سبي بعد ثلاثة شهور وعشوة أيام بواسطة فوعون مصر نحو ولم يرجع منها فيما بعد.

لقد تولى يهوآحاز الحكم مع أنه كان الابن الرابع وليس البكر (2 مل 23: 34؛ أي 36: 1). ولعلّه أُختير لأنهم ظنوا أنه أقوى من أخيه البكر. لقد تولى الحكم ظلماً لذا لم يبقَ فيه، بل سُبى إلى مصر كما جاء في سفر التثنية: "وبعدك الرب إلى مصر في سُنن في الطريق التي قُلت لك لا تعد زواها، فتباعون هناك لأعدائكم عبيداً وإماءً وليس من يشوى" (تث 28: 68). يبدو أنه لم يُسبى معه أحد (2 أي 26: 4).

الله يطلب من الشعب أن يبكوا يهوآحاز أكثر مما بكوا والده، بل أن رميا نفسه قد بكاه (2 أي 35: 25). يوشيا ذهب إلى القبر في سلام وبكرامة، لا يحتاج من يبكيه، أما ابنه الشقي فُحسب حياته كموته بلا كرامة، يعيش في السبي في مهانة. حقاً لقد جرح يوشيا جرحاً مميتاً في موقعة مجدو، لكن مركبته حملته إلى بلده ليُسَلِّمَ أنفاسه في مدينته المحبوبة لديه والمحبة جداً له، يلتف حوله الشعب الذي خدمه لمدة ثلاثين سنة من حياته التي بلغت الثمانية والثلاثين.

ليتنا نحن أيضاً نُسَلِّمَ أنفاسنا الأخوة في مدينتنا المحبوبة لدينا، أي ونحن قاطنون في ملكوت السموات، نُسَلِّمَ نفوسنا في يد إلهنا الذي نكرس كل لاقتنا وحياتنا لحساب ملكوته. نقول مع الرسول بولس: "إن عشنا فلرب نعيش، وإن متنا فلرب نموت، إن عشنا وإن متنا فلرب نحن" (رو 14: 8).

بؤمنا أن نكرم موت الصديقين ونشتهيه، بينما نشعر ببؤس حياة الأشرار. استطاع القديس بولس أن يقول عن موته: "أخراً قد وُضع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل ولجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً" (2 تي 4: 8). لم يكن موته مثوياً للحزن بل للبهجة والفرح، لأنه يتوقب المكافأة التي أعدت له عن جهاده الحسن.

إنه لا يعود الملك من السبي كما كان هو وشعبه يتوقعون. وقد أكد لهم الله أنه لن يعود ولن يرى أرضه بعد، لأنه لم يتمثل بأبيه الصالح كما اعتدى على حق أخيه الأكبر.

يدعوه لميا النبي باسمه قبل توليه الحكم "شلوم" وليس بالاسم الملكي "يهوآحاز"، ربما لأنه يُحسب كمتعصبٍ للحكم أو كمن لا يستحق الملوكية بسبب شوه وفساد حياته.

يُقدم لنا التريخ البابلي قصة سبي يهوآحاز. ففي عام 609 ق.م سقط آخر ملوك آشور *Ashur-uballit* تحت ضيقٍ شديدٍ في حران بواسطة الجيوش الكلدانية ^[463]، فأسعت مصر لمساندته خشية الخطر الكلداني الذي بدأ يظهر على مسوح التريخ. جاء فوعون نحو إلى فلسطين وصلت

منطقة فلسطين وسوريا في قبضته، وأقام قائده في ربله على بعد 47 ميلاً جنوب حامة. استدعى يهوآحاز لمقابلته، فأسوه وأرسله إلى مصر ^[464].

4. الاعتداد بالذات (يهويقيم):

بعدما تحدث عن سبي يهوآحاز انتقل إلى الملك يهوياقيم الظالم والطماع والطاغية، وقد قضى 11 عامًا في ملكه.

ويل لمن يبني بيته بغير عدل،

وعلايه (حجراته التي على السطح) بغير حق (بظلم)،

الذي يستخدم صاحبه مجانًا ولا يعطيه أجرته.

القائل: أبني لنفسي بيتًا وسيعًا وعلاي فسيحة،

ويشق لنفسه هوى،

ويسقف بأرز،

ويدهن بمؤة" [13-14].

لا نسمع عن علاقة لرميا النبي ببوشيا الملك وابنه يهوآحاز، لكننا نسمع كثيرًا عن علاقته بالملك يهوياقيم الذي يتحدث عنه هنا [13-19]. فقد كان عونًا لإرميا، منعه من قِداء نواته ومزق السفر (إر 36). كان يهوياقيم الملك المستبد الدكتاتور، رفض إصلاحات أبيه الملك يوشيا، وكان منحرفًا لوعون مصر ومتكلاً عليه، إذ أقامه نحو سلفًا لأخيه يهوآحاز (2 مل 23: 34).

عَنهُ لرميا النبي على كورياته وظلمه خلافًا لأبيه يوشيا، ورفضه للعدل والبر (بغير حق *sede*). وقد جاء توبيخه للملك يتركز في النقاط

التالية:

وَأولاً: شغفه بإنشاء أبنية ضخمة فاخرة لإشباع ذاته *ego*، وقد نقل ذلك عن الدول المجاورة، خاصة مصر وبابل الشهيرتين بابتنيهما الفخمة. لم

يتهمه لرميا النبي بالعبادة الوثنية، لكنه ملس الحياة الموقفة المدللة مع عرفة وكوريات. استخدم الأرز، أثنى أنواع الخشب، وقد دهنه باللون الأحمر

الورقالي أو القوزي (*sasar*) أو الأرزق.

ظهرت إلى النور في السنوات الأخوة حويات في رامه راحيل تشهد عن أبنية فخمة توجع إلى نهاية القرون السابع ق.م. التي تحدث عنها لرميا

النبي بخصوص أعمال يهوياقيم [465].

شتان ما بين يهوياقيم ووالده يوشيا. الأول أقام بيتًا صالحًا، بينما أقام الثاني بيتًا فاحرًا فسيحًا. الأول بالبر أقام بيته، والثاني بغير عدل ولا حق

(بر) أنشأه.

خير لنا أن نعيش مع يوشيا في بيته القديم الصالح عن أن نقيم مع ابنه يهوياقيم في بيته الفخم المقام بغير عدل ولا بر.

استخدم القديس غريغوريوس النريزي هذه العبارات الخاصة بسكنى الملك يهوياقيم في مبانٍ فخمة في حديثه ضد الأريوسيين الذين سطوا على

الكنائس وتعفوا رجال الله لقتلهم:

[هؤلاء الناس لهم بيوت، أما نحن فلنا الساكن في البيت،

لهم معابد، أما نحن فلنا الله، وبجانب هذا نحن أنفسنا هيكل حية لله الحي، محرقات عاقلة، ذبائح كاملة، نعم آلهة خلال العبادة للثالوث.

معهم البشر، ونحن معنا الملائكة،

يندفعون بتهور، ونحن لنا الإيمان،

يهددون ونحن نصلي،

يشتمون ونحن نحتمل،

لهم ذهب وفضة ونحن لنا الكلمة النقية،

بنوا لأنفسهم بيتًا وسيعًا وعلاي فسيحة، بيتًا مسقوفًا، وشقوا هوى (22: 14)، لكن حتى هذه ليست أعلى من إيماني ولا من السموات التي

وى القديس أغسطينوس أن الأثوار بينون المباني الشاهقة بروح الظلم، ظانين أنهم يهرون من العدالة الإلهية، أما ولاد الله فلا يجنون لهم ملجأ إلا فيه، إذ يقول:

[إن كنت لا تستطيع الهروب من الله لأنه موجود في كل مكان، فاهرب إليه في الحال، حيثما وجدت هرب.

هوذا في طوانك قد عبرت السماء، إنه هناك!

إن هبطت إلى الجحيم، فهو هناك!

أي صحري الأرض تختار تجده هناك...

إن كان يملأ السماء والأرض، فإنه لا يوجد موضع يمكنك أن تهرب إليه منه.

لنته تعبك ولتهوب إلى حضوته لئلا يتركك مجيئه! [467].

ثانياً: يقول "الذي يستخدم صاحبه مجاناً ولا يعطيه أجرته" ليكشف عن أسلوبه الاستغلالي، واتباعه نظام السخرة المخفية.

بقوله "صاحبه" يقصد "الشعب"، عندما أقيم ملكاً في ظروف قاسية، إذ كان الملك ملتوماً بدفع جزية باهظة لوعون مصر (2 مل 23: 33-53)، عوض الاهتمام باحتياجات الشعب أزم الشعب ببناء قصره بطريقة مُبالغ فيها. هذا الشعب الذي كان يجب أن يُدعى صاحبه تحول إلى عبيد للملك، يعملون لحسابه بلا أجر، الأمر الذي حذرت منه الشريعة (لا 19: 13، تث 24: 14-15). كان يليق بالملك أن يحفظ هذه الشريعة، ويحميها وسط شعبه فلا يكون بينهم مستغلاً، فإذا به هو أول كاسر لها. بهذا صار مثلاً سيئاً لشعبه وقنوة فاسدة.

ثالثاً: جاء الفعل "يشق" بمعنى "يمزق". تُستخدم هذه الكلمة للثياب، أما هنا فتستخدم عن الكوى أو الوافذ، التي وهو يوسّعها يمزق حياته كثوب، ويفقد الستر والكرامة ليصير كمن هو عريان وفي عارٍ.

كما تُستخدم هذه الكلمة عن عيني الزانية حين توسعها باستخدام المساحيق. وكأنه يربط الوافذ هنا بأزنا [468]. رتبط الوافذ في المساكن

بحياة الله والزنا، وقد تحدث لميا النبي عن الموت الذي يصعد خلال الكوى (9: 20).

صار الملك كالزانية التي توسع عينيها بالمساحيق لتدخل بنفسها إلى الخطية فتموت!
رابعاً: معاملته القاسية وظلمه للفقراء والمساكين.

"هل تملك لأتلك أنت تحلّي الأرز؟!"

أما أكل أبوك وشرب وأجوى حقاً وعدلاً،

حينئذ كان له خير؟!

قضى قضاء الفقير والمساكين،

حينئذ كان خير.

أليس ذلك معرفتي يقول الرب؟!

لأن عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك وعلى الدم الذكي لتسفه؟!

وعلى الاغتصاب والظلم لتعملهما؟! [15-17].

كأنه يقول له:

ليست المباني الفسيحة الفخمة هي التي تجعل منك ملكاً، ولا أحشاب الأرز الثمينة أو الزينة...

فكر كيف عاش أبوك كملكٍ مكرمٍ. لقد أكل وشرب حسناً، لكن هدفه هو الائتام بمسئوليّاته الملوكية من تحقيق العدالة والبر في حياته وحياة

لم يكن ناسكًا، لكنه لم يكن نهماً ومحباً للملذات...

لم يشغله أكله وشربه، وإن كان الله لم يحرمه من شيء.

"أسلك كما يليق بك كملك"، أو "حاول أن تكون ملكاً"، لا بالكروياء والتشامخ حاسباً نفسك كرز لبنان المتشامخ، وإنما مقتدياً بأبيك الذي كانت له معرفة بالله بإحرائه العدل والبر، وقضائه للفقير والمسكين، فيكون لك الخير.

لا تكن كالزانية التي تتزين بالمساحيق لتبدو عيناها واسعتان، وإنما بزينة العدل والبر والرحمة.

ماذا يعني بقوله: " أما أكل أبوك وشرب؟ " إنه عاش في حياة بسيطة يأكل ويشرب، لا للذة والانغماس في الشهوات وإنما ليعيش كي يجري حقاً وعدلاً وسط الشعب، خاصة بين المظلومين، فصلت كل الأمور تسير حسناً، أو "كان له خير".

أما الربط بين عينيه وقلبه في قوله: " لأن عينيك وقلبك ليست إلا على خطفك وعلى الدم الذكي لتسفهك" [17] ، إنما يعني أن سلوكه الخرجي يأتي متناغماً مع شهوة قلبه الداخلية نحو مملسة الظلم والقتل والطغيان. ففي أيامه قُتل النبي أورياً (26: 20-23).

بأمانة كاملة تحدث لرميا النبي عن نهاية الملك يهوياقيم، قائلاً:

"لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا:

لا يندبونه قائلين: آه يا أخي، أو آه يا أخت.

لا يندبونه قائلين: آه يا سيد، أو آه يا جلاله.

يُدفن دفن حمارٍ، مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم" [18-19].

سبق فقال عنه "ويل لهذا الرجل" راجع [13]... وعلامة الويل الخرجية أنه بنى قصوراً فخماً بمال الظلم، ولم يجد جثمانه قوياً يُدفن فيه، ولا من يبكيه. فكما لم يسمع لدعوى المظلومين والمحتاجين، لا يجد من يسكب دموعاً واحدة عليه.

ليس من يندب قائلاً: آه يا أخي، أو آه يا أخت؛ آه يا سيد أو آه يا جلاله. " ماذا يعني بهذه الأسماء الأربعة (الأخ، الأخت، السيد، الجلالة)؟

وُلأ : روى البعض أن العبرة الأولى تصدر عن الحاضرين في الجنزة، ليس منهم من يقول للذين حوله: آه يا أخي، أو آه يا أختي، لأنه لا

يشعر الرجال ولا النساء بالحنن على موت الملك. أما العبرة الثانية فيوجهها المشركون في الجنزة نحو الميت، ليس منهم من يندب الملك كسيد أو

صاحب جلاله.

ثانياً : روى البعض [469] أن العبرة الثانية تعني بالسيد الأب، وبالجلالة الأم أو السيدة. وقد وجدت في بعض النقوش الفينيقية عن الملك

Azita-wadda العبرة: [جعلني البعل أباً وأم]. وكان الملك في اللغة التقليدية يتم كل نور الأسوة كأم وأخ وأخت. هنا لا يندب الحاضرون الملك

لأنه لم يحقق شيئاً في حياته. لم يقم بنور الأخ أو الأخت أو الأب أو الأم.

يُدفن دفن حمار، لا توجد له مقبرة لدفنه، بل يُسحب جثمانه إلى موضع القمامة خارج أبواب المدينة. يقول المؤرخ اليهودي يوسيفوس بأن

نوخذ نصر قتله في أورشليم وترك جثمانه بلا دفن بعيداً خارج أبواب المدينة.

كيف يمكن التوافق بين ما ورد هنا عن موت يهوياقيم وعدم دفنه، وبين ما ورد في (2 مل 24: 6)، أنه رقد مع آبائه، مما يُشتم منه أنه قد دفن

في مقبرة آبائه. روى البعض أن ما ورد في (2 مل 24: 6) لا يعني بها دفنه إنما هي عبرة مستخدمة للتعبير عن الموت أيًا كانت ظروفه. وروى

آخرون أن عبرة لرميا " يُدفن دفن حمار، مسحوباً ومطروحاً بعيداً عن أبواب أورشليم" [18-19] تعبير مجلى عن حال الملك، فإنه وإن كان قد دفن

رسمياً، لكنه كان في عيني شعبه كحمارٍ ميتٍ لا يستحق إلا إلقائه خارج أسوار المدينة. هذه هي مشاعر شعبه من نوره في لحظات موته ودفنه!

5 . ثرة العصيان :

بعد أن تحدث عن الملك يهوياقيم الشوير ومصوه، بوجه هنا خطابًا لأورشليم العاصية عاصمة مملكته، موضًا ثرة هذا العصيان الذي نشأت

عليه منذ صباها :

اصعدي على لبنان واصوخي،

وفي باشان أطلقى صوتك،

واصوخي من عبريم،

لأنه قد سحقت كل محبيك.

تكلمت إليه في راحتك.

قلت: لا أسمع.

هذا طريقك منذ صباك أنك لا تسمعين لصوتي" [20-21].

الأماكن المذكورة هنا من لبنان وباشان وعبريم هي مرتفعات حول أورشليم، يُسمع منها الصوت جليًا من بعيد حتى يعم الخبر. لبنان في شمال أورشليم، وباشان في الشمال الشرقي منها، وعبريم في مواب في الجنوب الشرقي.

ذُكرت عبريم في (عد 27: 12، تث 22: 49) كمكان استطاع منه موسى النبي أن يتطلع إلى أرض الموعد من بعيد فوح وتتهلل، أما هنا فيطلب لرميا النبي منهم أن يصعدوا لنيوحوا ويكفوا، كما سبق فصعدت ابنة يفتاح على الجبال توثى حالها (قض 11: 37-38).

ماذا يعني بالمحبين الذين سحقتوا؟ ربما يقصد الأمم المحيطة بهم المتحالفة معهم، وأيضًا مصر فإنها عوض مساندتهم تتسحق هي وتتحطم. وقد تكررت كلمة "المحبين" في (هو 2) خمس مرات، وربما قصد بها آلهة الخصوبة التي زنت معها إسرائيل والتي توقعت أن تحميها وتحفظها وتهبها ائتمًا ونموًا.

بعد هزيمة مصر في موقعة كركميش عام 605 ق.م (2: 46) استولى نبوخذنصر على كثير من الدول في المنطقة.

بقوله: " هذا طريقك منذ صباك أنك لا تسمعين لصوتي" [21] يعني أن حركة العصيان لم تحدث فجأة في أورشليم، لكنها صلت أشبه بطبيعتها الملائمة لها منذ صباها. وقد أعطاها الرب فوصًا كثرة للتوبة والروح إليه حتى امتلأ كأس شوها، لذا استخدم معها التأديب القاسي. إنه طويل الأناة جدًا، لكن إصوار الشعب على العصيان عبر الأمانة بلا تغيير يستوجب التأديب الإلهي.

لقد سبق فطلب منها أن تصعد على الجبال مع ابنة يفتاح تبكي عفاويتها وتتحب مع صديقاتها، لكن شتان ما بينها وبين ابنة يفتاح. الأخرة خرجت صديقاتها معها إلى الجبال للتغوية وإن كُنَّ لم يستطعن أن ينقذن حياتها من الموت. أما يهوذا فعوض خروج أصدقائها معها إلى الجبل أخذن إلى السبي في حزي وعارٍ معها!

"كل رعاتك وعاهم الريح،

ومحبوك يذهبون إلى السبي،

فحينئذٍ تخزين وتخجلين لأجل كل شرك" [22].

ربما قصد بـ "رعاتك" ملوك يهوذا ورجالهم الذين كان يجب أن وعوا الشعب، فصاروا في حاجة إلى رعاية من الخراج. لقد سقطوا تحت

السبي عام 597 ق.م (2 مل 24: 22-15)، فصلرت أورشليم في حزي وعارٍ بلارعاية، وعاهها الريح الباطل.

لعله أيضًا يقصد بالرعاة هنا أولئك الذين كانت تظنهم رعاة لها، سواء ملوك الأمم المتحالفة معهم أو آلهتهم، فإنهم هم أنفسهم يحتاجون إلى

رعاة، وقد صلت الريح هي راعية لهم، لا تقدم لهم إلهة مهلكة! إنهارياح شرقية تبدد الشعب (18: 17). باتكالها على ملوك الأمم وآلهتهم قبلت

الرياح المحطمة عوض روح الله القوس الواهب الحياة والنصرة والنجاح، يهب على النفس فيحولها إلى مقدسٍ سمويٍّ لا تستطيع كل قوات الظلمة أن تفسده.

هكذا دفعها شوها إلى الاتكال على الزراع البشري والآلهة الكاذبة فتحطمت معهم!

"أيتها الساكنة (المتربعة) في لبنان،

المعشّنة في الأرز،

كم يُشفق عليكِ عند إتيان المخاض عليكِ، الوجد هوالدة" [23].

يُقصد بالمتربعة في لبنان كما على عرش الذين يفتخرون بعلوهم المنيع، أو الذين يسكنون في قصورٍ فاخرةٍ مصنوعة من خشب الأرز اللبناني، أي يقصد المتعرفين المتكبرين. فالإتهام الموجه ضد أورشليم هو أنها ألّهت ذاتها، وحسبت نفسها فوق القانون. ظنت أن عشّها على قمم جبال الأرز لا يقدر أحد أن يمسه بضرر.

في شيء من السخرية يقول لها: " كم يُشفق عليكِ عند إتيان المخاض عليكِ، الوجد هوالدة؟! " بعد أن صار الريح هورايعها، والسبي هو مسكن محبيها، فقدت عرشها وانحدر عشها من قمة الأرز، وصلرت كإمرأة في حالة ولادة، ليس من يشفق عليها، ولا من يعينها وسط آلامها!

6. تحطيم يهوياكين:

"حيّ أنا يقول الرب ولو كان كنياهو بن يهوياقيم ملك يهوذا خاتماً على يدي اليمنى فإني من هناك أوعك" [24].

بدأ الحديث عنه بقسم من جانب الله لتأكيد تأديبه يهوياكين لإصوره على الشر: "حيّ أنا يقول الرب".

كان يهوياكين مثل أبيه يهوياقيم شرواً (2 مل 24: 8-17)، خلفه في الملك، وكان في بلده أورشليم. كان يمكن بالبر أن يعيش أمناً كخاتمٍ ثمينٍ في يد الله، لا يقرب إليه أحد، لكنه بسبب شوه انزعج الله بعد ثلاثة شهور من ملكه وهو بعد في الثامنة عشر من عمره مع أهل بيته، وسبي عام 597 ق.م إلى بابل، ليعيش غريباً مسبيّاً في حالة رعب!

حُرّم الملك من وطنه ومن شعبه، فصار في مذلة داخلية مهما أُدم له من كرامة أو إمكانيات.

جاء في سفر الملوك (2 مل 24، 25) عن يهوياكين أنه قد رُفِع شأنه في بابل في أواخر حياته، لكنه بقي مسبيّاً ولم يرجع إلى وطنه.

ومع أنه كان له عدة أبناء (1 أي 3: 17)، فإن أحداً منهم لم يجلس على عرش إسرائيل، لذلك حُسب عقيماً.

جاءت الكلمة العبرية المقابلة للختم لتعني إما ختمًا على شكل طوقٍ يُوضع حول العنق، أو كجزءٍ من خاتم في اليد، هنا أُستخدمت بالمعنى

الثاني. يحمل الختم توقيع صاحبه، لذا يمثل حضوره. جاء في سفر التثنية (8: 6) ليعني اتحاداً مملوء حباً وعاطفة، وفي حجي (2: 23) يشير إلى العظمة والقوة حيث جعل الله زربابل ختمًا في يده.

يدعوه لرميا النبي كنياهو وهو اختصار اسمه يهوياكين.

ينتزع الله يهوياكين من يده ليضعه في يد العدو، إذ يقول:

وَأَسْلَمَكَ إِلَى يَدِ طَالِبِي نَفْسِكَ،

وليد الذين تخاف منهم وليد نبوخذ نصر ملك بابل وليد الكلدانيين.

وأطرحك وأمك التي ولدتك إلى أرضٍ أخرى لم تولد فيها، وهناك تموتان.

أما الأرض التي يشتاقان إلى الرجوع إليها فلا يرجعان إليها" [25-27].

عوض أن يكون مكانه في يد الله حيث الحرية والمجد، يصير موضعه هو وأمه في السبي حيث العبودية والذل. لقد سُبّيت نحوشتا بنت ألتانان

(2 مل 24: 8، 15) مع ابنها الملك يهوياكين إلى بابل. فقد الملك عرشه، وألقي في أرض السبي كما في موضع القمامة خراج أبواب أورشليم، وصار كواقف إناء خزفي مكسور لا قيمة له.

لقد نادى الأنبياء الكذبة [470] بأنه ورجع من السبي وذلك لكي يعطوا رجاءً لرجال الدولة والشعب ويسرونهم، فكان كثيرون يعتبرونه الملك الرسمي بالرغم من سبيه، لكن لرميا النبي في حراة نطق بما تكلم به الرب.

"هل هذا الرجل كنيا هو وعاء خزفٍ مهانٍ مكسورٍ؟!"

أو إناء ليست فيه مسورة؟!"

لماذا طُرح هو ونسله وألقوا إلى أرضٍ لم يعرفوها؟!"

يا أرض، يا أرض، يا أرض، اسمعي كلمة الرب.

هكذا قال الرب:

اكتنوا هذا الرجل عقيماً، رجلاً لا ينجح في أيامه،

لأنه لا ينجح من نسله أحد جالساً على كرسي داود وحاكماً بعد في يهوذا" [28-30].

لم يُطرد الملك وأمه إلى السبي فحسب، وإنما ألقى كإناءٍ خزفيٍ مُحترق ينكسر، ليس من بيالي به، أو يهتم بإصلاحه، "ليس فيه مسورة". وكما جاء في هوشع: "الآن صاروا بين الأمم كإناءٍ لا مسورة فيه" (هو 8: 8).

ربما شبهه بالإناء الخزفي المكسور، لأنه كاد أن يؤلهه الشعب [471]، فها هو قد صار كتمثالٍ خزفيٍ مكسور، ليس فقط لا يستحق العبادة، بل يؤم الخلاص منه بإلقائه في وسط القمامة.

بعد أن كان كخاتمٍ في يد الله، له تقوده الثمين في عيني الله وأمام السماء والأرض، صار ملقياً كإناءٍ مكسورٍ ليس من يُسر به. وقد قيل عن مقاومي السيد المسيح: "تحطمهم بقضيب من حديد، مثل إناء خزف تكسروهم" (مز 2: 9) ... هوذا الله المخلص يحطم بقضيب من حديد ذلك الملك المقاوم له.

إن كان كنيا هو قد صار وعاءً خزفياً مهاناً مكسوراً ليست فيه مسورة، فلأنه التصق بالأرض فصار أرضاً، أما الذي يلتصق بالسماء فيصير سماءً. **وى القديس أمبروسيوس** البشرية كلها كوانٍ خزفية، لكن بعضها يتقبل الكنز السموي، السيد المسيح نفسه، في داخله فيُنسب للسماء.

❖ جميعنا وان خزفية. إن كان أحدنا ملكاً فهو إناء خزفي، أو كان رسولاً فهو إناء. لهذا يقول بولس: "لنا هذا الكنز في وانٍ خزفية" (2 كو 4: 7) ... تكتب الأرض (أسماء) الذين هم أبناء الأرض عليها في الأسفل. لهذا عندما اتهم اليهود الوانية كتب الرب يسوع بإصبعه على الأرض (يو 8: 6، 8)؛ أما الأوار فلا يُكتبون على الأرض بل نواً عنهم. "افرحوا بالأحرى أن أسماءكم كُتبت في السموات" (لو 10: 20) [472].

القديس أمبروسيوس

إنه يُشهد الأرض ثلاث موات أن تسمع وتصغي لحكم الله على الملك الذي لا يسمع لصوت إلهه، كيف أنه وإن أنجب أطفالاً (1 أي 3: 19) يُحسب عقيماً، حيث لا ينجح أحد منهم في استرداد الملك. بشوه لم يسوّح في حياته ولا من خلال نسله!

❖ الذي وهو في حالة جهالة خاطئ "هو أرض ورماد"، أما الذي في حالة معرفة فإنه إذ يتشبه بالله قدر المستطاع فهو روحي ومختار.

أما كون الكتاب المقدس يدعو الذين بلا حس وعصاة أرضاً فواضح بواسطة لرميا النبي الذي يقول عن يهوياقيم وإخوته:

"يا أرض، يا أرض، يا أرض، اسمعي كلمة الرب. اكتب هذا الرجل كرجل محروم" [29-30] [473].

القديس إكليمنضس الإسكوري

ويحي! كاد أن يضيع الملك مني!

❖ أصوح إليك يا ملك الملوك:

ويحي! كاد أن يضيع الملك مني!

رُسلت لرميا إلى بيت الملك،

يوبخ أبناء يوشيا: يهوآحاز ويهوياقيم ويهوياكين،

أبناء الملك البار ملوك طغاة،

حطموا حياتهم، وأفسدوا المملكة، وأضاعوا كرسي داود!

❖ وبخ لرميا الملك وعبيده وشعبه.

ها أنا أعرّف لك، إنني كملك روعي قد فسدت،

أفسدت مواهبي وحولتها إلى عبيدٍ أشوار!

دنست طاقاتي وحولتها إلى شعبٍ خائِنٍ لإلهه!

من يجدد حياتي وطبيعتي ومواهي غورك؟!

❖ ظننت في نفسي كيهوآحاز، مرتفع كجبال جلعاد وقمم لبنان،

ليس من يقدر أن يصعد إليّ ويحطمني!

لقد قدست تأديباتك لتحولني إلى بركةٍ بلا ساكن!

إني مستحق كل تأديب،

لكن لا تتوكني إلى النهاية!

وُلادك المقدسون مكمون حتى في جراحاتهم وموتهم كيوشيا.

أما الأشوار فيخزون حتى إن قلموا ونجوا!

❖ بنى يهوياقيم لنفسه قصراً لكن بغير بر.

استغل شعبه لبنائه عوض أن يخدمهم.

عاش طاغية لا يعرف العدل ولا البر.

بيني الأشوار لأنفسهم قصوراً، وعند موتهم لا يجدون من يدفنهم.

يطلبون ما لذاتهم، وفي موتهم لا يجدون من يكونهم!

قدسني بروحك القدس،

فيتسع قلبي حباً وراً فيك!

أحمل مجد ابنة الملك في داخلي،

وفي رحيلي أتهلل متطلعاً إلى الإكليل الأبدى!

مات يهوياقيم وُدفن كحمار،

هب لي أن أموت مع الأوار، فتتهلل نفسي بك!

❖ تَربِدي خاتماً في يدك أيها القنوس،
لا تتوَّعني من يدك كما اتوَّعت يهويّاكين،
لا تضعني في يد بابل، فأفقد حريتي وكوامتي فيك!
ليس لراحة إلا فيك،
احملي إلى حضن أبيك،
رجعني إلى فدوس الحب فلا أعيش غريباً عن وطني السموي!
ردّني إلى أبيك، فأصير ملكاً!
ويحي! كاد أن يضيع الملك مني...
انقذني... خلصني... مجدني في الداخل أيها القنوس!
[<<](#)

الأصحاح الثالث والعشرون

الرب اعينا وبرنا

في الأصحاح السابق تحدث لرميا النبي عن أبناء الملك يوشيا الأشرار: يهوآحاز ويهوياقيم ويهويّاكين، وجاء التأديب الإلهي أن يكون الأخير عقيماً، ليس من نسله من يجلس على كرسي داود ملكاً (22: 30)، وكان مملكة يهوذا تفقد رعاية الملوك. أما في هذا الأصحاح فإنه يوبخ الرعاة الأثانيين والأنبياء الكذبة وكل القيادات الفاسدة، ليعلم أن الله يتسلم رعاية شعبه بنفسه. إنه لا يتوك شعبه، بل يقوم بالعمل الواعي، مقدماً وه الإلهي واً لهم، منطلقاً بهم إلى خروج جديد فائق.

❖ نوات مملوءة رجاءً

1. ويل للرعاة الأثانيين [1-2].
2. أنا رعى غنمي [3-4].
3. الرب برنا [5-6].
4. خروج جديد [7-8].
5. نوات ضد الأنبياء الكذبة [9-40].

نوات مملوءة رجاءً:

في وسط التهديدات القاسية، حيث حان وقت التنفيذ يفتح الله أبواب الرجاء، مقدماً ثلاث نوات تحققت قديماً على مستوى حرفي بتحرير الشعب وعتقه من السبي، وتحققت بصورة فائقة في كنيسة العهد الجديد. هذه النوات الثلاث هي:

وُلأ: إن كان الله يبيد الرعاة الأشرار الأثانيين، فإنه لا يتوك شعبه بلاراعٍ أو ملك أو قادة، بل يملك بنفسه عليهم، ويتولى شؤونهم كراعٍ صالح يبذل ذاته عن شعبه. وخلال رعيته يقيم رعاة حسب قلبه، يعمل بهم وفيهم بروحه القنوس.

ثانياً : إن كان الله يدين الشعب مع القيادات على رجاساتهم، فإنه يقدم وه واً لهم، يصير الرب نفسه بر شعبه، يستوهم فيه، ويغفر خطاياهم،

ويبررهم، مقدسًا إياهم كأبناء له!

ثالثًا: إن كان الله قد قدّس بابل لتحطيمهم، وكان ذلك ضروريًا لتأديبهم، فإنه يتوكّمهم إلى سنوات حتى يدركوا فشل كل نواعٍ بشوي اتكلوا عليه، ليقوم هو بنفسه بقيادتهم في خروجٍ جديدٍ أعظم من خروجهم من عبودية فعون!

1 . ويل للرعاة الأثانيين:

في الأصحاح السابق كشف رميا، بأمرٍ إلهي، أخطاء ملوك يهوذا التي تتلخص في الآتي:

- ❖ أنانيتهم على حساب علاقتهم بالله وشعبه.
- ❖ اهتمامهم بالترف والحياة المدلّلة وسط الظروف القاسية التي عانى منها الشعب.
- ❖ الكبرياء والتشامخ، كأنهم فوق كل قانون، لا يخضعوا حتى لشريعة الله.
- ❖ الظلم، إذ كانوا طغاة، لا ينصفون حق الأرملة واليتيم والغريب والمظلوم.
- ❖ اتكالهم على النواع البشوي، أي على الأمم التي تحالفوا معها، وعلى آلهتهم... لهذا قيل عن يهوياكين الذي أُسر إلى بابل: "(يكون) عقيمًا، رجلاً لا ينجح في أيامه، لأنه لا ينجح من نسله أحد جالسًا على كرسي داود وحاكمًا بعد في يهوذا" (22: 20).

الآن يتحدث بصفة عامة عن القيادات السياسية خاصة في أيام صدقيا الملك التي أفسدت الشعب عوض رعايتهم والاهتمام بهم:

ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي يقول الرب.

لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل عن الرعاة الذين وعون شعبي:

أنتم بددتم غنمي وطردتموها ولم تتعهدوها.

هأنذا أعاقبكم على شر أعمالكم يقول الرب" [1-2].

تطلع رميا النبي إلى الشعب بروح النوبة، ونظروهم يُفادون في مذلة إلى السبي. لقد اشتوك الشعب مع الملك ورجاله في الشر، لذلك استحقوا

التأديب؛ لكن الله يلقي باللوم أولاً وقبل كل شيء على القيادات التي تحولت من موقف الرعاية إلى التبديد والطرد.

سمح الله بالسبي، بل وقدس بابل بكل طاقاتها كآلات في يده لأسر شعبه، وفي نفس الوقت فتح باب الرجاء لشعبه، وأعلن حنوه عليهم، مكرراً

التعبير "غنم رعيتي"، "شعبي"، "غنمي".

جاءت الكلمة العوية في قوله: "لم تتعهدوها" *paqad* ، تحمل معني واسعًا، مثل "يتعهد"، "يذهب لينظر"، "يهتم بـ"، "يشناق إلى"، "يضع في

اعتباره"، "يصغي إلى" الخ ^[474] . هكذا كان يليق بالرعاة أن تُمتص كل مشاعرهم وأفكارهم وطاقاتهم في شعبهم، فيصغون إليهم، ويهتمون بهم، ويشناقون إليهم، ويبدلون حياتهم من أجلمهم.

2 . أنا رعى غنمي:

الله الذي سمح بالتأديب الحزم لشعبه يلاطف ويتحنن، ويقيم رعاة من عنده يهتمون بهم.

وأنا أجمع بقية غنمي من جميع الأراضي التي طردتها إليها،

وأردها إلى مراتبها،

فتثمر وتكثر.

وأقيم عليها رعاة وعونها،

فلا تخاف بعد، ولا ترتعد، ولا تُفقد، يقول الرب" [3-4].

بينما يلقي باللوم على الرعاة الأثوار، خاصة الملوك، بكونهم بددوا غنمه وطردوها [2]، إذا به يقول هنا "الأراضي التي طردتهم إليها" [3]، فمن الذي قام بالطرد: الرعاة الأثوار أم الله؟

لقد سمح الله بطردهم كثرة طبيعية لشر الرعاة وفسادهم. علة الطرد هم "الرعاة"، والذي قام بالطرد هو الرب كتأديب لآلام لخلاصهم. يؤكد الله هنارعايته لشعبه بنفسه، كما سبق فأعلن جدعون: "لا أتسلط أنا عليكم، ولا يتسلط ابني عليكم، الرب يتسلط عليكم" (قض 8: 23). وقرنم داود النبي متهللاً عندما أترك رعاية الله له، ولشعبه، إذ قال بلسان الشعب كله: "الوبراعي، فلا يعوزني شيء... (مز 23)، وأكد الوبرعايته لشعبه بنفسه في (حز 34: 1-16؛ ميخا 2: 12؛ إش 40: 11، يو 10: 1-18). خلال هذه الرعاية يتمتع الشعب بالوكات التالية:

وَأولاً : عودة بقية الشعب من الأراضي التي طردوا إليها. وهنا نلاحظ أمرين:

أ. يجمع البقية الباقية من غنمه. ففي كل جيل توجد بقية قليلة آمنة للرب، سبعة آلاف رجل لم يحواركة لبعيل (رو 11: 4). هذه البقية يعمل بها ما هو أعظم مما فعله بالشعب كله! الله لا يهمل العدد، لكنه يطلب الخموة الباقية المقدسة ليخمر بها العالم! جاء وقت لم يكن في العالم كله بقية باقية لحساب الرب سوى إواهم وربما معه سلة زوجته، نالا المواعيد، ومن خلالهما تبلرت كل الشعوب والأمم.

تحدث لرميا النبي عن البقية التي يود الله خلاصها (أصحاحات 24؛ 40-44)، وأيضاً إشعياء النبي (1: 9؛ 37: 4)؛ وميخا (4: 7؛ 7: 18). يقول إشعياء النبي: "ولاً أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصونا مثل سدوم وشابها عمورة" (1: 9). وتحدث السيد المسيح عن هذه البقية الصغيرة الآمنة بكونها القطيع الصغير الذي يسر الآب أن يعطيهم الملكوت (لو 12: 1). كما تحدث عنها بكونها الخموة الصغيرة التي تخمر العجين كله (مت 13: 33؛ لو 13: 21). هذه البقية المختلة التي لأجلها يقصر الله أيام ضد المسيح (مت 24: 22).

❖ أنظر أن تنتمي إلى القلة المختلة، ولا تسلك ببرود متمثلاً بواخي الكثرين.

عش كالقلة حتى تتأهل معهم للتمتع بالله، لأن كثرين يدعون وقليلين يُنتخبون (مت 20: 16) [475].

القديس يوحنا كاسيان

وتحدث معلمنا بولس الرسول عن القلة القليلة من اليهود التي تقبل السيد المسيح في أواخر الأيام (رو 11: 25-32).

ب. العودة إلى ورايض الغنم الآمنة من الأراضي التي طردوا إليها، فإنه إذ طرد آدم وحواء من الفردوس كان الله يُعد لهما فردوساً أعظم خلال ذبيحة آدم الثاني.

تمر علينا لحظات فيها نظن أننا لا نتمتع بالمواعيد الإلهية، وأنا محرومون من كل شيء حتى من الوايض التي وهبنا الله إياها، لكن يبقى الله عاملاً، ليجمعنا معاً من أقاصي المسكونة، فنجدراحة في حضن الآب.

ثانياً: افتثم وتكثر: هذا هو مفتاح الأصحاح كله. فقد قُدم هذا الوعد لآدم وحواء في الفردوس، كما قُدم لإواهم ويعقوب اللذين من صلبهما جاء شعب الله... ماذا يعني هذا؟

أعطى هذا الوعد الإلهي لآدم وحواء كثرة ميثاق حب متبادل بين الله والإنسان، وتؤكد الوعد من جديد حين دخل إواهم كأب المؤمنين في ميثاق جديد، وهكذا يبقى هذا الوعد سرياً لكل من يقبل شروط الميثاق. ما قد حدث في أيام لرميا النبي هو أن القيادات السياسية، خاصة الملك، مع القيادات الدينية التي كادت تفقد كيانها الواقعي، وأيضاً الشعب قد كسروا الميثاق، ورفضوا العهد الإلهي، فصار عوض الوعد: "فتثم وتكثر" الحكم الإلهي بالدمار والخراب.

تعلق اليهود في ذلك الحين بآلهة الوثنيين الخاصة بالخصوبة، ظانين أن الارتباط بها يفيض عليهم بالخصوبة بالنسبة للبشر والبهائم وأيضاً النباتات، فإذا بهم يفقدون كل بركة، ويصدر الحكم "تكون عقيماً" (22: 20).

الآن من ورد لهم الإثمار والإكثار؟ رعاية الله نفسه، إذ يتقدم السيد المسيح، كلمة الله، بصليبه ليسجل عهدًا جديدًا يوقعه بدمه نائِبًا عنا، فيه نُحسب أبناء العهد، لنا روح الطاعة للآب... فننعم بالوعد الإلهي: "فتثمر وتكثر". لقد أثمر القديس بولس البتول باتحاده بالسيد المسيح، فصار له بنون كثيرون، ولدهم في قيوده بالإنجيل (1 كو 4: 15؛ فل 10)، يشركونه المجد الأبدي والمواث السموي.

ثالثًا: مع تأكيد رعايته الشخصية لغنمه يقول: " وأقيم عليها رعاة وعونها" [4]. إن كان قد ألقى باللوم على الرعاة الأثوار الذين عوض رعايتهم للشعب بدوهم، فإن الشعب أيضًا هو المسئول. إنهم إذ يسلكون في العصيان بإصوار يرسل الله رعاة حسب قلبهم، فإن رجوعا بالتوبة إليه يرسل لهم رعاة وعونهم ولا يبدونهم. إنه يوجد تأثير متبادل بين الشعب والرعاة.

رابعًا: إذ يستلم الله رعاية شعبه بنفسه، ويعمل أيضًا خلال رعاة يقيمهم للرعاية لا للتبديد، يتوَع عن الشعب الخوف والوعدة ولا يعودوا يُفقدون: "فلا تخاف بعد، ولا توتعد، ولا تُفقد، يقول الرب" [4].

3 . الرب يوتنا:

إذ وعد بإقامة رعاة من عنده يعلن عن رعايته الشخصية لشعبه التي تحققت بمجيء المسيا، كلمة الله، الواعي الصالح.

"ها أيام (بالتأكيد) تأتي يقول الرب،

وأقيم لداود غصن بر،

فيملك ملك وينجح ويجوي حقًا وعدلاً في الأرض.

في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمنًا،

وهذا هو اسمه الذي يدعونه به:

الرب يوتنا" [5-6].

يتحدث عن الملك الذي طالما ترقبه رجال الله في العهد القديم، المسيا، ابن داود! يتحدث لميا النبي هنا عن شخص الملك وسماته ودوره

واسمه.

قوله: "ها أيام تأتي" [5، 7] تعبير شائع لا يعني تحديد زمن معين، إنما هو تعبير يشد الانتباه إلى إعلان له قدسيته وأهميته (7: 32، 9: 25،

31: 31 الخ) [476].

وَأولاً: يدعوه "غصن بر" [5].

دُعي السيد المسيح غصنًا سبع مرات في العهد القديم وقد قدمت هذه النصوص السيد المسيح كما قدمته الأناجيل الأربعة:

❖ المسيح الملك (إنجيل متى): (إش 11: 1، إر 23: 5، 33: 15).

❖ المسيح الخادم والعبد (إنجيل مرقس): (زك 3: 8).

❖ المسيح الصديق والإنسان (إنجيل لوقا): (إش 53: 1-2، زك 6: 12).

❖ المسيح ابن الله الممجد (إنجيل يوحنا): (إش 4: 2).

دُعي السيد المسيح بالغصن للسببين التاليين:

أ. لأن الغصن مرتبط بالأصل، فمع أنه رب داود لكنه من نسله، مرتبط به حسب الجسد.

ب. صار بالحقيقة إنسانًا ينمو كالغصن.

أستخدم هذا اللقب "الغصن" في مجتمع قرمان ليشير إلى المسيا الملك [477]. وقد أُدخل إلى الصلاة اليهودية التي تُدعى *Shemoneh Esreh*

[478] ليبرز غصن داود عبدك سريعاً، وليتمجد قونه بخلصك

في سفر إشعيا حُسب السيد المسيح كقضيبي وغصن من يسى الذي عاش ومات قليل الشأن، قائلاً: "ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله" (إش 11: 1). والعجيب أن نسل داود الملك ضعف جداً حتى جاء يوسف والقديسة مريم فقوان للغاية. بينما يتحدث في الأصحاح السابق عن ملوك يهوذا كأشجار لبنان الشامخة، إذا به يتحدث عن السيد المسيح، الملك المخلص، كغصنٍ مواضع، لكنه "غصن بر". أراد بإتضاعه أن يسحق الكرياء محطم البشرية، وكما تقول عنه الكنيسة في جمعة الصليبوت: "أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة".

ثانياً: ملك ليخلص، ملك الوب بالصليب، لا ليسيتر، بل ليهبنا غواناً لخطايانا وشركة في الموات الأبدية. على خلاف ملوك يهوذا في ذلك الحين الذين كانوا يملكون لبيدوا ويهلكوا، إذ يطلبون ما لنفسهم لا ما لشعبهم، فحسروا أنفسهم وشعبهم معاً!

بقوله: "يملك ملك (بحكمة)" [5]. يعلن أن المسيا القادم هو ملك حقيقي يملك على القلوب، وليس كصديق الذي كان كذمية يحركها الأنبياء

[479] الكذبة

ثالثاً: ينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض. إذ تصير قلوبنا أرضه المقدسة، يملك عليها ليحقق فيها الحق الإلهي والعدل. ظن ملوك اليهود أنهم ناجحون، لكن إذ أقاموا مملكتهم بغير حق ولا عدل انتهت بالفشل، أما مسيحننا فينجح إذ يقيم مملكته في أعماقنا الداخلية، لا يقدر عدو أن يتسلل إليها. جاءت الكلمة *hiskil* لتعني "ينجح" أو "يعمل بحكمة"، فملكنا المسيح قدم لنا حكمة الصليب التي رآها اليهود عثرة واليونانيون جهالة (1 كو 1: 25-2). أما نحن المخلصون فوزى في الصليب حكمة الله الفائقة إذ هو "قوة الله" (1 كو 1: 18).

رابعاً: يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً.

لقد وعدهم الأنبياء الكذبة بالسلام، لكنهم هم أنفسهم فقنوا سلامهم، أما الواعي الجديد، فهو ملك السلام، يدخل بنا إلى مملكته، إسرائيل الجديد، فنجد سلاماً وأماناً فيه.

خامساً: يدعى اسمه: "الوب يونا" Yahweh-sidqenn.

أقام البابليون صدقياً ملكاً، لكنه أظهر أنه غير مستحق لهذا الاسم، لأن كلمة صدقياً *Sidqi-yahu* تعني "وى هو الله". فكان لزاماً أن يطرد من الملك ليقوم مكانه ملك جديد، لا يقيمه البابليون، ولا يأتي بزواج بشوي، وإنما بخطة إلهية هيأ لها الله عبر الأجيال، خلالها يقدم الملك المسيا وه الإلهي واً لنا، فنؤمن بحق ونحن ننعم ورايته، قائلين: "الوب يونا". نردد مع الرسول بولس: "لكي لا يفتخر كل ذى جسد أمامه، ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وواً وقداسة وفداءً" (1 كو 1: 29-30).

خلال رعاية السيد المسيح، كلمة الله، نصير كاللاويين والكهنة، ليس لنا نصيب في أرض الموات، بل يكون الوب نفسه نصيبنا ومواتنا، ننعم به بكونه الحكمة والبر والسلام والفداء، نحمله فينا، ونختفي فيه. يعلن مجده في أعماقنا ويستتر ضعفاتنا بدمه الثمين، فنبتبر في عيني الآب، ونحسب

حكماً وأولاً وقديسين ومفديين!

في حواءة لميا النبي نرفض صدقياً الذي ملكه البابليون علينا، ونقبل صدقياً الجديد الذي أقامه الآب، والذي قول إلينا بحبه الفائق يحمل ثقل خطايانا ويهبنا وه. لنرفض البر ذاتي (صدقياً القديم) ونحمل بر المسيح (صدقياً الجديد).

ويلاحظ في الآيتين [5، 6] يتحدث عن شخص المسيح الملك ورايته الفائقة نون فصل بينهما، فمن لا يتعرف على شخص المسيا لا ينعم ورايته، ومن لا يقبل ورايته لا يبرك أسرار معرفته. إنه إذ يعلن عن ذاته ويكشف عن شخصه إنما يقدم لنا عملاً عويماً، نفتتيه فنشبع ولا نعتاز إلى

شيء!

❖ كما تفصلنا خطايانا عنه، هكذا يجتذبنا يونا مقربين إليه. قيل: "وأنت بعد تتكلم أقول: هأنذا" (انظر إش 58: 9؛ 65: 24) [480].

4 . خروج جديد:

"ها أيام تأتي (بالتأكيد) يقول الرب،

ولا يقولون بعد حيّ هو الرب الذي أصعد بني إسرائيل من أرض مصر،

بل حيّ هو الرب الذي أصعد وأتى بنسل بيت إسرائيل من أرض الشمال ومن جميع الأراضي التي طردتهم إليها فيسكنون في أرضهم" [7]-

[8].

بعد أن تحدث عن السيد المسيح كراعٍ يهبنا وه وّا لنا، قدم لنا عمله الخلاصي كخروجٍ جديد، لا من أرض مصر، وإنما من الأراضي التي طردنا إليها لنسكن في أرضنا.

هذا الخروج في معناه الحرفي يشير إلى العودة من سبي بابل، وفي معناه الروحي هو رجوع البشوية إلى حضن الآب، موضع الراحة.

لقد أكد ذلك بقوله "تأتي بالتأكيد" أو "حيّ هو الرب"، وقد سبق فاستخدم هذا التعبير إيليا واليشع كنبیین إذ يضيفا تعبير: "الذي أنا واقف أمامه" (1 مل 17: 1؛ 18: 15؛ 2 مل 3: 14؛ 5: 16)؛ كما نطق به سليمان ليصف به نفسه كملك (1 مل 2: 24)، وصدقيا الملك في حديثه مع لميا بكون الله واهب الحياة (38: 16)، كما نطق به داود النبي ليشهد لله مخلصه الشخصي بأسلوب ليتورجي (2 صم 4: 9؛ 1 مل 1: 29؛ مز 34: 23؛ 71: 23).

5 . نوات ضد الأنبياء الكذبة:

بعد أن قدم ثلاث نوات مملوءة رجاءً من جهة إقامة صدقيا (بر الله) الجديد، حيث يصير الله برنا، فننعم وعاية الله الشخصية في ابنه يسوع

المسيح، ينطق بخمس نوات ضد الأنبياء الكذبة ^[481]، ربما كُتبت في أوقات مختلفة وُجمعت معاً لأنها تعالج موضوعاً واحداً.

النوة الأولى 9-12: إدانتهم بسبب زناهم.

النوة الثانية 13-15: إدانتهم لأنهم كذبة.

النوة الثالثة 16-22: ينسبون كلماتهم للرب.

النوة الرابعة 23-32: يتكلمون على أحلامهم.

النوة الخامسة 33-40: يطلبون وحيّ الرب بأفواههم لا بقلوبهم.

النوة الأولى [9-12]: إدانتهم بسبب زناهم.

لا يطيق الله القدوس الخطية، ولا يقبل الرجاسات، لهذا أعلن لإرميا النبي عن مصير هؤلاء الأنبياء الكذبة بسبب رجاساتهم وفساد حياتهم.

تظاهروا في الخرج بالوقّة والتقوى، لكنهم في أعماقهم كما في سلوكهم انحرفوا للشهوات الدنسة والرجاسات.

ارتبطوا بالكهنة ليسند كل منهم الآخر، فدنسوا العبادة في الهيكل الذي امتلأ ورجاساتهم.

بيدأ لميا النبي النوة، قائلاً:

"في الأنبياء -

انسحق قلبي في وسطي،

رتخت كل عظامي،

صرت كإنسان سكون،

ومثل رجلٍ غلبته الخمر من أجل الرب، ومن أجل كلام قدسه.

لأن الأرض امتلأت من الفاسقين.

لأنه من أجل اللعن ناحت الأرض،

جفت مراعي البرية،

وصار سعيهم للشر، وجبروتهم للباطل" [9-10].

تظاهر الأنبياء الكذبة بالوقفة والالطف، فكانوا يقدمون طمأنينة مخادعة للملك ورجاله كما للجيش والشعب، مصورين لميا كوجلٍ متشائمٍ ومحطمٍ لنفسية الشعب وخائنين للوطن... لكن في الواقع كان لميا يهتز بكل أعماقه وكيانه من أجل شعبه. تطلع إلى الأنبياء الكذبة وبدأ ينطق بنواته، لا في شماتة، ولا كوجلٍ بلا أحاسيس نحو شعبه ووطنه، وإنما كإنسانٍ يعترض بكل كيانه من أجلهم. التهب قلبه بنايرٍ، هذه التي صلت محصورة في عظامه (4: 19-21؛ 20: 9).

سبق أن قلنا أن القلب ، كان في نظر اليهود مركز الفكر والإادة. فانكسار قلبه في وسطه لا يعني مجرد اهتزاز عواطفه الحيّاشة، وإنما دخل كما في رتباكٍ فكري وبلبله في التخطيط والإادة، لا يعوف ماذا يعمل أمام تلك الكرثة العظمى التي حلت على الأمة كلها. أما العظام فتشير إلى الهيكل العام الذي به يقوم كيان الإنسان، فمتى انهلت العظام يكاد يفقد الإنسان وجوده! وكأن الكرثة كادت أن تحطم كيان الشعب كله! إنها كرثة مصيرية بالنسبة للأمة كلها، كما بالنسبة لإرميا، وكما قيل: "كالماء انسكبت، انفصلت كل عظامي" (مز 22: 14). وى البعض أن الفعل الذي وُجِم "رتخت" يعني "يرف" أو "يطير"، وكأن لميا قد صار كالطير لا يحتمل الاستكانة، بل صار يرف كالطير، طرت عظامه إلى فوق تتطلع إلى الأمة كلها لتترك حالها في مورة!

هكذا انكسر قلب لميا، وصارت عظامه ترف، ليس له موضع لراحة أو الاستوار، "وصار كإنسان سوان ومثل رجل غلبته الخمر" [9]، وقد رتبط السكر بالوعب والحزن كما في (حز 23: 33).

امتلأت الأرض بالفاسقين [10] ، إذ صلت عبادة الأوثان خاصة البعل منتشرة على قمم الجبال وفي الوديان وتحت كل شجرة، تلازمها المملسات الدنسة كطقس ديني لكي تنعم الأرض بالخصوبة، في حيواناتها ومزروعاتها، لكن النتيجة كانت على خلاف ما توقعوا. امتلأت الأرض لعنة، وصارت نائحة، وجفت تماما كأنها برية (midbar) بلا ساكن.

وصفها الوب هكذا: "لأن أهمهم قد زنت... قالت: أذهب وراء محبي الذين يعطون خزي ومائي، صوفي وكتاني، زيتي وأشوبت. لذلك هأنذا أسيح طريقيك بالشوك وابني حائطها حتى لا تجد مسالكها؛ فتنبع محبيها ولا تتركهم، وتفتش عليهم ولا تجدهم؛ فنقول: أذهب ورجع إلى رجلي الأول، لأنه حينئذ كان خير لي من الآن. وهي لم تعرف أنني أعطيها القمح والمسطار والذيت، وكثرت لها فضة وذهباً جعلوه لبعلٍ" (هو 2: 5-8). يُقصد باللعنة التعبير عن غضب الله على شعبه المُعلن خلال حالة الجفاف أو الخراب التي تحل بالأرض. وكما يقول إشعياء النبي: "زنت، ذبلت الأرض... والأرض تدنست تحت سكانها، لأنهم تعدوا الشوائع، غيروا الفويضة، نكثوا العهد الأبدي. لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها... ناح المسطار، ذبلت الكومة، أن كل مسروري القلوب، بكل فوح الدفوف... " (إش 23: 4-8). لعل هدفه وهو إعلان أن الطبيعة نفسها التي خلقت من أجل الإنسان قد فسدت بسببه، واحتاجت أن يوغها الله ليجدها.

تشير اللعنة التي حلت بالأرض التي جفت إلى جسد الإنسان الذي متى فسدت رادته تحل اللعنة بجسده، فتتخطم قراته وإمكانياته وتفسد أحاسيسه ومشاعره، ويصير الجسد أشبه بوية بلا ساكن!

حين نسمع وعد الله لمبركتنا: " أثمروا وأكثروا " نتلمس هذه البركة حتى في جسدنا، حيث تتبلك مواهبنا وقدراتنا، أما إذا حلت اللعنة فنفقد هذا

الوعد الإلهي.

حقاً قد يسعى الأشرار ويجاهدون كما بجبروت وقوة لكن " صار سعيهم للشر وجبروتهم للباطل" [10] . يخرجون من تعبيهم فرغي اليبدين، أو

كما يقول الجامعة "عرفت أن هذا أيضًا قبض الريح" (جا 1: 17)، "التفت أنا إلى كل أعمالتي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس" (جا 2: 11).

"لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعًا،

بل في بيتي وجدت شروهم يقول الرب.

لذلك يكون طريقهم لهم كزوالق في ظلام دامس،

فيطردون ويسقطون فيها،

لأنني أجلب عليهم شراً سنة عقابهم يقول الرب" [11-12].

جاء الفعل "تنجسوا" يشير إلى مقاومة المقدسات وليس مجرد "عدم التقوى"، لهذا يُستخدم بالنسبة لموتكي الرنا غير المخلصين للمقدسات

الإلهية، سواء للوصية الإلهية أو بيت الرب أو جسد الإنسان أو زوجته (أو زوجها).

يرتبط هذا الاتهام بعبادة البعل، حيث يملس عابوا البعل طقوس جنسية للخصوبة كطريق الأمان والإنجاب والصحة. وقد سبق وأينا لأنه

عوض التمتع بالحياة دخلوا إلى الموت، وعوض الأمان صاروا في رتباك خلال السبي، وعوض الإنجاب تحطوا.

لقد قدموا طريق الرجاسات للكهنة الذين صلت لهم كزوالق ينحدرون خلالها إلى ظلمة الفساد، وها هو ذات الطريق يصير كزوالق للأنبياء

الكذبة أنفسهم. يُطردون من أمام وجه الرب فينحدرون في طريقهم الذي أقاموه بانفسهم، ويسقطون في شر أعمالهم.

لقد ظهر يوشيا الهيكل من العبادة الوثنية أثناء إصلاحاته عام 621 ق.م، لكن عادت الأوثان ورجاساتها بعد موته سنة 609 ق.م، في أيام

يهوياقيم ويهوياكين وصدقيا. وقد قدم لنا حزقيال النبي صورة مؤلمة لما حلّ بالهيكل حيث أُقيم تمثال الغرة في المدخل (حز 8: 5)، وُنقشت تماثيل

حيوانات ودبابات على الحائط، وأعطى البعض ظهرهم للهيكل وهم يسجدون للشمس كإله (حز 8). هذه الصورة التي عبر عنها الرب بقوله لحزقيال

النبي: "يا ابن آدم، هل رأيت ما هم عاملون؟! الرجاسات العظيمة التي بيت إسائيل عاملها هنا لإبعادي عن مقدسي، وبعد تعود تنتظر رجاسات أعظم"

(حز 8: 6)، تكشف لماذا أرتبك فكر رميا وكادت أن تحطمه نفسياً وجسدياً.

هذه الزوالق المظلمة التي سقطت فيها القيادات الدينية في ذلك الحين؛ عوض أن يسنوا كل نفس للالتقاء مع الله، دفعت بهم إلى مملكة الظلمة.

في قول الرب: "في بيتي وجدت شروهم" [11] استخدم الفعل بمعنى "اكتشفت" [482]. اكتشف الله كحرس لبيته جريمة فدهش كيف تجاسر

الكهنة والأنبياء على هذا الفعل الشوير في مقدساته التي ائتمنهم عليها.

إنها كلمات عتاب موة يكرها الله في حديثه مع ولاده هؤلاء الذين نالوا نعمته المجانية وتحولوا إلى هيكله المقدس، ليعولوا ففرتوا الرجاسات

فيه. إنهم يندسون لا أجسادهم بل هيكل الرب، لأنها لم تعد ملكاً لهم بل أشويت بدم ثمين!

ائتمنهم الرب على بيته، كما ياتمننا على أجسادنا بكونها هيكله المقدس، لكي تكون طريقاً مقدساً للتمتع بملكوت الله، أي ملكوت النور. أما هم

فبشروهم صار طريقهم كزوالق في ظلام حيث الهلاك. وكما قيل: "أما سبيل الصديقين فنور مشوق يوايد وينير إلى النهار الكامل، أما طريق الأشرار

فكالظلام، لا يعلمون ما يعثرون به" (أم 4: 18-19)؛ "ليكن طريقهم ظلاماً وزلماً وملاك الرب طردهم" (مز 35: 6).

صار طريقهم كالوحد "زلماً"، عوض ارتفاعه نحو السمويات، ينحدر بالسالكين فيه إلى الوحل فيصير زبائياً لا سموياً.

هذا هو ما فعلوه بأنفسهم، إذ يسقطون في الطريق الذي صنعوه: "يسقطون فيها" [12]، "الشوير يُطرد بشوه" (أم 14: 32).

النوبة الثانية [13-15]: إدانتهم لأنهم كذبة.

في الاتهام الأول ظهر الأنبياء الكذبة أنهم متحالفون مع الكهنة في ممرسة الرجاسات ففدنسوا وندسوا بيت الرب. هنا يظهر الأنبياء، خاصة

الذين في أورشليم، أنهم قد تحالفوا مع الملك ورجاله لبيثوا روح الكذب والضلال وسط الشعب، فأساعوا قيادة شعب الله، وحولهم إلى سنوم وعمورة،

يحملون روح النفاق.

"وقدرأيت في أنبياء السامرة حماقة.

تنبؤا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل.

وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يُقشعر منه.

يفسقون ويسلكون بالكذب،

ويشددون أيادي فاعلي الشر حتى لا يرجع الواحد عن شوه.

صاروا لي كلهم كسديم وسكانها كعمورة.

لذلك هكذا قال رب الجنود عن الأنبياء:

هأنذا أطمعهم أفسنتيناً،

وأسقيهم ماء العلقم،

لأنه من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض" [13-15].

يقزن هنا بين أنبياء مملكة الشمال (عاصمتها السامرة) وأنبياء مملكة الجنوب (عاصمتها أورشليم). الأولون جحنوا الإيمان، وأضلوا إسرائيل حيث تنبؤوا باسم البعل. إنهم أنبياء كذبة لأنهم انصرفوا بالشعب عن عبادة الله، كاسرين العهد معه. هذا القول تقبله قيادات يهوذا وأيضاً الشعب، لأنهم يتطلعون إلى مملكة الشمال كدولة منشفة. لكن ما فعلته أورشليم ليس بأقل مما فعلته السامرة. إنها لم ترفض عبادة الله الحي لكنها خلطت هذه العبادة بالعبادة الوثنية ورجاساتها، فكسوت العهد مع الله، وصار حالها كحال السامرة، بل ربما أشر فالمملكتان لم تسلكا ولاء لله ولعهده، غير أن أنبياء أورشليم دنسوا الهيكل المقدس بزناهم وكذبهم. وهذا أخطر، إذ يقول: "رأيت ما يُقشعر منه" [14]. سقطوا في عبادة البعل مثلهم كمثل السامرة، لكن أضاقوا إلى شوهم تدينسهم للمقدسات الإلهية.

هنا يربط بين الرجاسات والكذب، قائلاً: "يفسقون ويسلكون بالكذب" [14]. لأن الكل رفض الله الذي هو "القنوس" و"الحق"، وسلوكوا بالكذب. بمعنى آخر لقد أخطأ الأنبياء الكذبة في حياتهم أو سلوكهم إذ ملسوا الفسق وأخطوا في تعليمهم فملسوا الكذب.

بهذا صاروا "كلهم" [14] في عيني الله كسديم؛ يُقصد بـ "الكل" أنبياء السامرة وأورشليم، أي الأنبياء الكذبة للمملكتين معاً.

بنفس الروح يتحدث حزقيال النبي عن سكان أورشليم، قائلاً: "مخرجك ومولدك من أرض كنعان. أبوك أموري، وأمك حثية" (حز 16: 3)، كما يقول: "إن سدوم أختك لم تفعل هي ولا بناتها كما فعلت أنت وبناتك" (حز 16: 48).

قدم الأنبياء الكذبة بأفواههم الموت للشعب، لذا يقدم الله لهذه الأفواه السافكة للدماء أو القائلة للنفوس الأفسنتين مأكلاً، وهو نبات مر وسام، وماء العلقم شواباً [15].

النسوة الثالثة [16-22]: إدانتهم لأنهم ينسبون كلماتهم للرب.

ينطقون لا بإعلان من عند الرب، وإنما يوحى من قلوبهم الكاذبة، وينسبون كذبهم وخداعهم للرب نفسه. لذلك طلب الله من الشعب ألا يعطوا أذاناً لهم، ولا يدخلوا حتى في حوار معهم، لئلا يصيروا هم أنفسهم "باطلاً" *nothingness*.

"هكذا قال رب الجنود:

لا تسموا لكلام الأنبياء الذين يتنبأون لكم.

فإنهم يجعلونكم باطلاً.

يتكلمون برويا قلوبهم، لا عن فم الرب.

قائلين قولاً لمحتوي:

قال الرب: يكون لكم سلام.

ويقولون لكل من يسير في عناد قلبه لا يأتي عليكم شر.

لأنه من وقف في مجلس الرب ورأي وسمع كلمته؟!!

من أصغى لكلمته وسمع؟! [16-18].

يميز لميا النبي بين الأنبياء الكذبة والنبي الحقيقي، موضحاً علامات النبي الحقيقي، وهي:

أ. يحمل النبي الحقيقي سلام الله الداخلي بينما يُحرم الأنبياء الكذبة منه، وإن كانوا يدعون أنهم يهبونه للآخرين. يقول القديس كبريانوس:

[يقدمون سلاماً الآن الذين ليس لهم سلام لأنفسهم. يعدون أنهم يرون المخطئين إلى الكنيسة، وهم أنفسهم رحلوا عنها. يوجد الله الواحد، والمسيح الواحد

والكنيسة الواحدة [483].]

ب. بينما ينطق الأنبياء الكذبة بروى قلوبهم يصير النبي الحقيقي فم الرب. رأينا ان كلمة "قلب" في سفر لميا تعني "العقل" أو "الإرادة"، فهم

ينطقون بما زاه أفكرهم أو ما يريدونه، أما النبي الحقيقي فينطبق عليه القول: "مثل فمي تكون" (15: 19).

ج. يقدم الأنبياء الكذبة رجاءً كاذباً لمحتوي الرب في قلوبهم، الذين يقول عنهم إشعياء النبي: رُدُّوا شريعة رب الجنود واستهانوا بكلام قنوس

إسائيل" (إش 5: 24)، مع أنه قيل: "جميع الذين أهانوني لا يرونها (رض الموعد)" (عد 14: 23). يتحدثون مع معاندي الرب بكلمة سلام، أما النبي

الحقيقي فينطق بالحق ولو كان جرحاً.

إنهم "يقولون لكل من يسير في عناد قلبه لا يأتي عليكم شر". لكن الله الفاحص القلوب يدينهم حسب شر قلوبهم، وكما يقول القديس كبريانوس:

[إنه ينظر إلى الإشيء الخفية والسرية ويتأمل الأمور المختومة، لا شيء يختفي من عيني الرب... إنه ينظر قلب كل إنسان وعقله، وسيدين ليس فقط

أعمالنا بل وكلماتنا وأفكرنا. أنه يتطلع إلى الأذهان والإرادة ومفاهيم البشر جميعاً، في مخابئ القلب التي لا تزال مغلقة [484].]

د. يتمتع النبي الحقيقي بالحضرة الإلهية: "من وقف في مجلس الرب؟! [18]. هذه الحضرة العجيبة تتحقق على الأرض وسط شعبه المقدس.

ما هو "مجلس الرب؟" يحل الله في وسط كنيسته المقدسة، في مجمع القديسين، فيقيم منها مجلساً ينسبه إلى نفسه. وكما يقول الموتل: "الله قائم في

مجمع الله، في وسط الآلهة يقضي" (مز 82: 1).

هـ. يتمتع النبي الحقيقي بالاستئالة الروحية، إذ يقول: "ورأي" [18] ، يتحدث من خلال رؤيته الروحية وخوته الواقعية كقول القديس يوحنا

الحبيب : "الذي رأيناه بعبونا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (1 يو 1: 1).

و. له الأذن المختونة لسمع ويطيع: "وسمع كلمته، من أصغى لكلمته وسمع؟! [18].

بينما ينطق الأنبياء الكذبة بالكلمات المعسولة لمحتوي الرب وللعنيدين بقلوبهم. وي لميا النبي غضب الله كعاصفة نارية تهب على رؤوس

الأشوار. هذا ما سمعه وهو في مجلس الرب، وأن هذه العاصفة لن تهدأ حتى يتحقق التأديب ويقيم الله مقاصد قلبه. عندئذ يفهم الأنبياء الكذبة ذلك، وإن

كانوا لا يواجهون عن شومهم.

"ها زوبعة الرب.

غيط يخرج ونوء هائج.

على رؤوس الأشوار يثور.

لا يوتد غضب الرب حتى يجوي ويقيم مقاصد قلبه.

في آخر الأيام تفهمون فهماً.

لم أرسل الأنبياء، بل هم جروا.

لم أتكلم معهم، بل هم تنبأوا.

ولو وقفوا في مجلسي لأخبروا شعبي بكلامي،

وروهم عن طريقهم الوديء،

وعن شر أعمالهم" [19-22].

لا يقصد هنا بقوله "في آخر الأيام" [20] معني أخروياً (إسختولوجيا) وإنما قصد أنه "بعد ذلك"، أو عندما تعبر هذه الأيام ويحل وقت

[\[485\]](#) التأديب .

مرة ثانية يوضح النوة الصادقة التي تقوم على رساله الله نفسه للنبي، وحديثه معه، مع تمتع النبي بالحضرة الإلهية والوقوف أمامه. بمعنى

آخر هناك حاجة إلى لقاء صادق مع الله، وقبول لرسالية صادقة، والنطق بكلمات الرب بصدق.

يقول الرب: " لم أرسل الأنبياء بل هم جروا" [21] . ماذا يعني بكلمة "جروا" ؟ كانوا مسوعين، شغوفين نحو إعلان رسائلهم الخاصة، وذلك

كإلحاحهم "حلمت حلمت" [25] . إنهم يعملون بقوة وسوعة وبلجاجة لكن عملهم باطل، لأنه مملوء كذبًا، لا يدفع إلى التوبة بل إلى التهلون والاستهتار .

الأنبياء الكذبة وإن أخنوا صورة الجدية في السوعة في العمل واللجاجة لكن ثملهم تظهورهم (مت 7: 16)، لا يدفعون الناس إلى التوبة وتغيير

حياتهم.

لننتفع نحن منهم فنحجل من وَاخينا في الشهادة لمسيحنا وتقديم الحياة الإنجيلية ولكن ليس بروحهم حيث البر الذاتي وعدم التمتع باللقاء مع

المخلص والوجود الدائم في حضوته والاختفاء في وصيته!

يقول: "في آخر الأيام تفهمون فهمًا" [20] ؛ وكما يقول القديس إيريناؤس : [لأن كل نوة بالنسبة للبشر مملوءة غموضًا. ولكن إذ يحين الوقت،

وتتحقق النوة، تصير واضحة ومكتشفة] [\[486\]](#).

النوة الرابعة [23-32]: يتكلمون على أحلامهم.

يحاول الأنبياء الكذبة أن ينسوا أنفسهم لله بكل الطرق، منها أنهم يتحدثون عن احلام يدعون أنها من قبل الله. لا يعني لميا النبي هنا "الأحلام"

بمعناها الحرفي، إنما كتعبير مجلي، إذ يخدعون الناس بادعاءات وهمية أشبه بالأحلام غير الواقعية التي يقدمونها ويعطون لها تفاسير من عندياتهم،

حاسيين هذه الأحلام انها كلمة الرب، وهي بعيدة كل البعد عنها.

أحيانًا يستخدم الله الأحلام لتقديم رسالة إلهية كما حدث مع يوسف الشاب وهو في بيت أبيه، وأيضًا عندما فسّر الحلمين في السجن لرئيس السقاة

ورئيس الخبزين، وأخوًا فسّر أحلام فعون. دانيال النبي أيضًا فسّر أحلام بعض الملوك، لكن بصفة عامة يتحدث الله مع شعبه خلال رجاله، خاصة

الأنبياء، وليس خلال الأحلام.

بدأ الحديث بتوبيخ الأنبياء الكذبة الذين يدعون أن الله يتحدث معهم بالأحلام، معلنا أن الله الساكن في الأعالي يتطلع إليهم ويبرك كذبهم.

"الْعَلِّيُّ إِلَهٌ مِنْ قَرِيبٍ يَقُولُ الرَّبُّ، وَلَسْتُ إِلَهًا مِنْ بَعِيدٍ!؛

إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنٍ مُسْتَوْتَةٍ، أَفَمَا رَأَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ!؟

أَمَا أَمَلًا أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَقُولُ الرَّبُّ!؟" [23-24].

لعلّه بهذا يوبخهم لأنهم يحسون الله كالبعل، محدود في حجمه وفي موضع سكنه، غير قادرٍ على إرواك ما يحل بالأماكن المستوّة.

يسكن الله في السماء في الأعالي، وكأن الأرض كلها صغوة بالنسبة له، واهًا بكل خطاياها، ولا يقدر أحد ما أن يختفي عنه. وفي نفس الوقت

يملاً السماء والأرض، أينما هرب إنسان يجد الله حاضرًا... فهو بعيد ومزّه عن كل الخليقة، وقريب جدًا وملاصق لها.

بمعني آخر يقول: الله مؤه عن كل التصوفات التي يملسها الكذبة، هو في الأعلى يعرف ووى كل شيء، وهو قريب يود أن يلتقي الكل به! يؤكد النبي أن الله عالٍ عن الأرض، بعيد كل البعد عن أفكارهم الأرضية الوائبة، هو يبرك كل أسرارهم، أما هم فلا يدركونه. ليتخلوا عن الزباب الذي التصقوا به، فرفعهم بروحه إلى سمواته، ويكشف لهم رادته، بهذا تتووع عنهم صفة "الكذب".

أخراً جاءت هذه العبارات متناغمة مع كلمات الموتل:

"يارب قد اختبرتني وعرفتني..."

كل طريقي عرفت، لأنه ليس كلمة في لساني إلا وأنت يارب عرفتها كلها...

أين أذهب من روحك؟! ومن وجهك أين أهرب؟

إن صعدت إلى السموات فأنت هناك. وإن فرشت في الهاوية فما أنت... (مز 139).

الله بعيد عن الأثوار، قريب من المواضعين الذين يطلبونه من كل قلوبهم.

❖ لو كان من جهة المكان هو بعيد عنا، لكنك تشك حقاً، لكنه إن كان حاضراً في كل موضع لذلك الذي يجاهد، وقريب للغيور، فإنه يقول مع النبي: "لا

[487]

أخاف شواً لأنك معي" (مز 23: 4)

❖ ليتنا لا نستمر في الشر، ولا نياس من المصالحة، بل لنقل نحن أنفسنا: "أقوم وأذهب إلى أبي"، ولنقترب إلى الله. فإنه هو نفسه لن يبعد عنا، وإنما

نحن الذين نبتعد عنه.

نؤا: "أنا هو الله من قريب ولست إلهاً من بعيد" [23].

[488]

مرة أخرى ينتهونهم على لسان النبي: "أثامكم صلت فاصلة بينكم وبينني" (راجع إش 59: 2).

القديس يوحنا الذهبي الفم

[489]

❖ لأن قوة الله حاضرة دائماً، متصلة بنا، تعمل للفحص والنفع والتعليم.

القديس إكليمنضس الإسكندري

❖ إنه في كل موضع هذا الذي لا يحده مكان.

لا تتوكة، فيكون معك.

[490]

إن أردت أن تأتي إليه فلا تتباطأ... فإنه يأتي إليك وأنت في مكانك، إن كنت تؤمن وتحب!

القديس أوغسطينوس

❖ مخيف هو ملئه للمسكونة، فلا يوجد موضع يهرب من عمل الله حتى بالطوان إلى السماء، أو بدخول الهاوية، أو بالهروب إلى أقصى الشرق، أو

[491]

الإغلاق على أنفسنا في الأعماق ونهايات البحر.

القديس غريغوريوس النزيوي

❖ الإنسان الذي ينتفع بالصلاة يصير مستعداً أن يختلط بروح الرب الذي يملأ العالم كله، والذي يملأ الأرض كلها والسماء، القائل بالنبي: "أما أملاً أنا

[492]

السموات والأرض؟ يقول الرب" (23: 24).

العلامة أوريجينوس

❖ إننا لا نأتي إليه جميعنا بنفس الطريق، بل يأتي كل واحد حسب قدرته (مت 25: 25).

إما نأتي إليه مع الجماهير فينعشنا بالأمثال لهذا الهدف وحده: لئلا نخور في الطريق (مت 15: 32؛ مر 8: 3) من الأصوام الكثيرة.

أو أننا نجلس يوماً بلا انقطاع عند قدميه، متحررين لأجل هذا وحده: لكي نسمع كلمته دون أن نوتبك قط بالخدمات الكثيرة، بل نختار النصيب الصالح الذي لا يُزوع عنا (لو 10: 39-42). بالتأكيد الذين يقفون إليه هكذا ينالون من نوره أكثر [493].

العلامة أوريجينوس

يتساءل العلامة أوريجينوس أين رحلت رقيقة لتطلب الرب (تك 25: 24)، ما دام الرب في كل موضع (23: 24)؟

❖ أظن أنها لم ترحل من موضع إلى آخر، بل عوت من حياة إلى حياة أخرى، من عملٍ إلى عملٍ، ومما هو صالح إلى ما هو أفضل. إنها انطلقت من الأشياء المفيدة إلى ما هي أكثر فائدة، وأسوعت مما هو مقدس إلى ما هو أكثر قداسة [494].

العلامة أوريجينوس

يكمل حديثه كاشفاً كذب هؤلاء الأنبياء:

"قد سمعت ما قالتها الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب قائلين:

حلمت حلمت.

حتى متى يوجد في قلب الأنبياء المتنبئين بالكذب؟! بل هم أنبياء خداع قلوبهم.

الذين يفكرون أن يُنسوا شعبي اسمي بأحلامهم التي يقصونها الرجل على صاحبه،

كما نسي أبؤهم اسمي لأجل البعل" [25-27].

يهاجم هنا ما يدعيه الأنبياء من رؤيتهم أحلاماً يفسرونها على أنها رسائل سماوية للأسباب:

ولاً: كذبهم، إذ يقول كل منهم: "حلمت. حلمت"، ويتنبأون خلالها كذباً.

ثانياً : ينسبون ما يتنبأون به للرب، وهذا أخطر، لأنهم ليس فقط يكذبون، لكنهم يستترون تحت اسم الله وهم يكذبون.

ثالثاً : شغل موضوع الأحلام أفكار الشعب حتى نسوا الله ووصاياهم. نسي أبؤهم الله خلال عبادتهم البعل، أما هؤلاء فنسوا الله خلال انشغالهم

بالأحلام، لا هم لكل شخص إلا أن يروي أحلاماً أو يشتهي أن يسمع عن أحلام إخوته.

بماذا يقيم لرميا النبي هذه الأحلام ؟ يقلن الأحلام بكلمة الله، كالتين بجانب الحنطة، يلوم فرز هذه عن تلك.

"النبي الذي معه حلم، فليقص حلمًا،

والذي معه كلمتي فليتكلم بكلمتي بالحق.

ما للتين مع الحنطة يقول الرب؟!

أليست هكذا كلمتي كمنارٍ يقول الرب؟!

وكمطرقة تحطم الصخر.

لذلك هأنذا على الأنبياء يقول الرب، الذين يسرقون كلمتي من بعضهم البعض" [28-30].

أحلام الأنبياء الكذبة كالقش يجب فرزها من كلام الرب، أي من الحنطة.

ليس للأحلام فاعلية، أما كلمة الرب فكانت تحرق الشر في القلب، وتلهبه بنار الحب الإلهي، وكمطرقة تحطم القلب الحوري لتجعله قلباً لحمياً.

بمعنى آخر كلمة الرب هي طعام (حنطة)، يشبع النفس، كما يغير طبيعتها، تنقيها كما بنارٍ، وتحطم كل فسادٍ فيها.

بقوله: "ما للتين مع الحنطة؟!" [28] يؤكد ضعف الأحلام في مواجهتها أو مقاومتها لكلمة الرب. إنها تشبه تبنًا أو عسافة لا تقف أمام ريح

غضب الله. إنها تحرق أمام كلمة الله النارية وتحطم بمطوقتها.

يكشف لرميا عن جانب آخر خطير في حياة بعض الأنبياء الكذبة؛ أنهم أحياناً لا ينطقون بكلمات كاذبة، ولا يدعون أنهم يروا أحلاماً، إنما

يسوقون كلمة الرب من بعضهم البعض [30].

يشير التبن إلى الأثوار والحنطة إلى ولاد الله. وكما يقول القديس جيرو م: [إن كان إواهيم وإسحق ويعقوب والأنبياء والرسول لم يكونوا بلا خطية، وإن كان أفضل أنواع الحنطة به تبن ممزوج به، فماذا يُقال عنا نحن الذي كُتِبَ عنا: "ما هو التبن للقمح يقول الرب؟" (23: 28) ومع ذلك فالتبن يُحفظ للحرق المقبل، كما أن الحنطة في الوقت الحاضر مموجة مع القمح في نموها [495]. ...]

ماذا يعني بسوق كلمة الرب ؟ إننا ننطق بكلمة الرب كأننا قد اختبرناها دون أن نسمع لها أو نملسها في حياتنا، إنما نسرقها من أفواه الآخرين أو كتاباتهم. لهذا يليق بنا لكي لا نحسب لصوص الكلمة أن نملس ما ننطق به، أو نجاهد بإخلاص في مملستنا إياها.

ربما يقصد بسوق كلمة الرب أن بعض الأنبياء الكذبة رأوا أن ينطقوا بكلمة الرب، لكن فساد قلوبهم وسلوكهم دفعهم إلى تعريف الكلمة حسب أهوائهم الداخلية. ولعله أراد توضيح أن الأنبياء الكذبة غير أمناء ولا مخلصين حتى فيما بينهم ، إذ يسوقون بعضهم البعض، فكيف يكونوا أمناء في تقديم الكلمة صادقة للشعب؟ أو أنهم فقراء في المعرفة، ليس لهم ما ينطقون به، فكل واحد يسوق من الآخر، مدعيًا أنه رى أحلامًا مباشرة من الله. بمعنى آخر فإنهم حتى وإن سرقوا كلمة الرب، لكن خلال هذه السمات التي سبق أن تحدثنا عنها يقدمونها بطريقة غير صادقة، ويحولونها لخدمة أغراضهم الشخصية.

يختم حديثه عن الأنبياء المدعين أنهم أصحاب أحلام إلهية أو عن سرقي الكلمة، قائلاً:

"هأنذا على الأنبياء يقول الرب،

الذين يأخذون لسانهم ويقولون: قال،

هأنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب، الذين يقصونها، ويضلون شعبي بأكاذيبهم ومفاخراتهم، وأنا لم أرسلهم ولا أمرتهم.

فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب" [31-32].

بقوله "ياخذون (أو يستعملون) لسانهم ويقولون: قال" [31] يعني أنهم يستخدمون كلماتهم الشخصية في شكل حديث إلهي ويقولون: "قال الرب...".

للوة الثالثة يؤكد الرب: "هأنذا على (ضد) الأنبياء" الذين يبشرون بالأحلام الباطلة [30-32]. إنهم مخادعون ولا منفعة منهم [32].

النسوة الخامسة [33-40]: يطلبون وحي الرب بأفواههم، لا بقلوبهم.

أخوًا يتظاهر هؤلاء الأنبياء أحيانًا بالرغبة في التعرف على وحي الرب بينما بقلوبهم يطلبون وحي أنفسهم. تسلل هذا الداء إلى الكهنة في غير مبالاة، فسقطوا في خطية أخطر وهي الرياء والخداع حتى في معاملاتهم مع الله ورجاله.

وإذا سألك هذا الشعب أو نبي أو كاهن قائلاً: ما وحي الرب؟

فقل لهم: أي وحي (ثقل)؟!

إنى رُفضكم هو قول الرب.

فالنبي أو الكاهن أو الشعب الذي يقول وحي (ثقل) الرب أعاقب ذلك الرجل وبيته.

هكذا تقولون الرجل لصاحبه، والرجل لأخيه:

بماذا أجاب الرب؟

وماذا تكلم به الرب؟

أما وحي الرب فلا تذكره بعد،

لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه،

إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا.

هكذا تقول للنبي: بماذا أجابك الرب، وماذا تكلم به الرب.

وإذا كنتم تقولون: وحي الرب، فلذلك هكذا قال الرب من أجل قولكم هذه الكلمة وحي الرب، وقد أرسلت إليكم قائلاً: لا تقولوا وحي الرب.

لذلك هأنذا أنساكم نسياناً، وأرفضكم من أمام وجهي أنتم، والمدينة التي أعطيتكم وآباءكم إياها.

وأجعل عليكم عزاً أبدياً وخزياً أبدياً لا ينسى" [33-40].

جاء الحديث هنا يدور حول كلمة "وحي *a mass*" التي تُستخدم بمعانٍ كثيرة؛ وهي مقتبسة من الفعل *nasa*، معناها "يرفع" أو "يحمل"، فيكون

الاسم معناه "حمل *burden*" أو "ثقل". أستخدم في العهد القديم ليعني ثقلاً يصدر عن سيد أو إله أو من حيوانات أو بشر، وهنا يعني الالزام بثقل

المسئولية القيادية أو الدينية، أو السقوط تحت ثقل حكم الله، لكن أحياناً تستخدم كتعاليم نبوية أو وحي نوي. هنا يقصد بها الوحي.

كثراً ما تكررت كلمة "ثقل" في هذه القطعة، إذ تطلع الأنبياء الكذبة والكهنة والشعب إلى كلمة الرب باحتقار واستخفاف وحسوها ثقلاً، وعبهم

وتخيفهم، كانت ثقيلة على نفوسهم كما يقول القديس جيروم.

إذ يسأل الأنبياء الكذبة أو الشعب: ما هو وحي (ثقل) الرب؟ تأتي الإجابة: "أي وحي؛ إنني أرفضكم هو قول الرب" [33]، يتوجمها البعض: "أنتم

هو الثقل (الوحي) إنني أطرحكم (أرفضكم)"؛ وكأنه يقول: ليست كلمة الرب ثقلاً، بل أنتم بخطاياكم تمثلون ثقلاً وتستحقون الطرح خراجاً!

مرة أخرى يقول: "لأن كلمة كل إنسان تكون وحيه (ثقله)" [36]، وكأن الله يؤكد إن كلمته ليست ثقلاً، إنما كلمات الإنسان هي التي تحطمه

كتثقل على نفسه!

إنه يطالبهم: "لا تقولوا وحي الرب" [38]، ربما لأنه يرفض استخدام هذه الكلمة *massa* التي استخدموها للتعبير عن مشاعرهم نحو كلمة الرب

كتثقل؛ أو أن الله بهذا يوبخهم: لماذا تطلبون تعاليم الرب وقد أقمتم أنفسكم آلهة، يسمع كل واحد لتعليمه الذاتي لا لصوتي، تطلبون أن تسمعوا تعاليمي

وأنتم تهينونها برفضكم إياها؟!

لقد نسوا صوت الرب حتى إن طلبوه بأفواههم، لذلك يقول: "هأنذا أنساكم نسياناً" [39].

لم يطيقوا سماع صوت الرب، لهذا جاءت الثورة: "أرفضكم من أمام وجهي" [39].

أهانوا الكلمة الإلهية واحتقروها، لهذا يرفض الله المدينة التي حسبها قبلاً مدينته المقدسة، والتي وهبها لهم ولآبائهم، ويسكب عزاً وخزياً عليهم

[40].

من وحي رميا 23

ليمت صدقيا القديم!

وليحيا صدقيا الجديد!

❖ هب لي يارب حواءة رميا فأصوخ:

ويل للوعاة الذين يهلكون ويبدون غنم رعية الرب،

ويل لصدقيا الذي أقامه البابليون!

وليحيا الراعي الجديد: "الرب بونا"!

ليمت صدقيا القديم، البر الذاتي الذي أنسبه لله كذبًا،

وليحيا صدقيا الجديد في، ويهبنى وه وًا لي!

لقد بدد وي الذاتي طاقاتي التي هي غنم الرب،

لتملك أيها المسيح الراعي الصالح في، وتجمع غنمك في!

❖ نعم! لتوعى أعماقي، ولتجمع حواسي وأفكاري وكل طاقاتي،

إنها غنمك!

لتودها من أرض الذل والسبي إلى مريضها!

لقد تاهت في وسط غربة هذا العالم!

لتفتح أبواب سمواتك أمامها،

ولتقدسها بروحك القدس لحساب ملكوتك،

فأستقر وأستريح في أحضان أبيك!

هناك لا أخاف، ولا أرتعب، ولا أفقد شيئًا!

هناك أمتلىء سلامًا أبديًا فائقًا!

❖ تعال أيها الملك الحقيقي، صدقيا الجديد،

لتملك في أعماقي، ولتنجح، ولتجوي حقك وبرك.

حول أرضي إلى ملكوتك.

أنطلق بي، لا من فوعن مصر إلى أرض الموعد،

وإنما من ذاتي الطاغية إلى أورشليمك السماوية!

هب لي أن أختبر الخروج الجديد!

❖ ليهلك الأنبياء الكذبة الذين تحالفوا مع صدقيا الشرير،

سلكوا في الفسق وكذبوا،

ادعوا النوبة، وجروا وراء الأحلام الكاذبة،

شغلوا قلوب البسطاء عنك بقوعلاتهم الشريرة.

تركوا كلمتك الحية، وتمسكوا بالأوهام،

عوض الحنطة أكلوا القش!

تركوا كلمتك النارية،

ورفضوا مطوقة حبك،

ويل لهم فقد طلبوا وحي أنفسهم!

❖ هب لي أن أقتنيك،

واشترك في مجلس الرب القدوس الحق!
فلا يجد الفسق له في مكاناً،
ولا يقدر الكذب أن يتسلل إلى أعماقي،
لا أعيش على أحلام واهية،
ولا أنشغل إلا باسمك أيها الحق السموي!
أطلب كلمتك بشفتي كما بقلبي،
تلهب أعماقي بنار حبك،
وتضرب بمطرفة على خطاياي،
تسندني فأخلص!
كلمتك ليست بثقيلة، بل مبهجة وممتعة!
ما أعذبك وما أعذب كلمتك!

<<

الإصحاح الرابع والعشرون

سَلَّتَا التين

يقدم الرب لإرميا رؤيا تشوح موقف الويقين من السبي: فريق الذين خضعوا للسبي وحسوه تأديباً إلهياً، وفريق المقاومين للسبي. تعتبر هذه الرؤيا ختاماً لكل ما قد جُمع عن النوات ضد الملوك والأنبياء الكذبة، ومقدمة لوعود الله الصادقة المسيانية. فإن كان التين الوديء جداً يشير إلى صدقيا الملك والذين بقوا في أورشليم، فإن الله يقيم عهده مع المسييين ويجعلهم تيناً جيداً جداً... يهبهم قلباً جيداً ليبركوا أنه هو الله (ع 7).

❖ ماذا وراء الرؤيا؟

1. رؤيا سَلَّتَى التين 1-3 .

2. التين الجيد 4-7 .

3. التين الوديء 8-10 .

❖ ماذا وراء الرؤيا؟

وَأولاً : حدثت هذه الرؤيا بعدما أقتيد يكنيا هو (يهوياكين) أسوأ إلى بابل مع الأسرة المالكة وغوهم من رجال يهوذا (2مل10:17-24). كان الذين قد بقوا في أورشليم ويهوذا مملوئين تفؤلاً من نحو المستقبل. وقد بدأ الملك الجديد صدقيا في التخطيط للثورة ضد بابل (ص 27)، وكان الأنبياء الكذبة الذين سبقوا فنانوا بأنه لن يتم الأسر ينادون بان ما قد حدث هو أمر عرض وأن العودة من بابل سويعة جداً (ص 28). أما لرميا النبي فننادى بان هذا الاتجاه خاطيء. حقا سيعود الشعب من بابل ولكن ليس في أيام صدقيوأعوانه وإنما بعد 7 عاماً من السبي.

ثانياً : إذ تحقق السبي البابلي الأول في عهد يكنيا ظن القاطنون في أورشليم أنهم موضع سرور الله ورضاه، تركهم هناك لأجل تقواهم، وأن الذين حُمِلوا إلى بابل كانوا موضع غضب الله ورفضه إياهم. ففي هذه الرؤيا يعلن الرب أن أفكار الله غير أفكار البشر، وأن الأمر مناقض تماماً لم يظنه الساكنون في أورشليم.

ثالثاً: رَادَ الله بهذه الرؤيا أن يطمئن لرميا النبي أنه مع ما سيحل بيهوذا من خواب تبقى بقية مقدسة لله. ففي كل جبل توجد سلَّتَان، سلَّة تضم

تِينًا جِدًّا جَدًّا والأخوى تِينًا رَدِيئًا جَدًّا.
في الموجة الأولى للسبي البابلي ليهودا تطَّلَع الملك الشاب يَكْنِيَا البالغ الثمانية عشرة من عمره، فإذا بكل تطلُّعاته قد تبددت. لقد ظن شعبه كما ظن هو في نفسه أنه قادر على إنقاذ بلده، فإذا به بعد ثلاثة شهور من حكمه يسحب مسبيًا إلى بابل، ومعهم رجاله رؤساء يهودا، وأيضًا الموهبة من النجارين والحدادين، كما نُقلت خزائن القصر وبيت الرب إلى بلد غريب! صُدِم هو ورجاله وكل الشعب أمام هذا الحدث الذي طالما أُنذِر به الرب على أفواه أنبيائه، وقد كَذَبه الأنبياء الكذبة!

1. رؤيا سلتي التين

"لأني الرب وإذا سلنا تين موضوعتان أمام هيكل الرب بعدما سبي نبوخذ نصر ملك بابل يَكْنِيَا بن يهوياقيم ملك يهودا ورؤساء يهودا والنجارين والحدادين من أورشليم وأتى بهم إلى بابل" ع1.

أمام الحدث الواحد انقسم الكل إلى فريقين لا ثالث لهما، أحد الفريقين تمثله سلَّة التين الجيد جدًّا، والفريق الآخر تمثله سلَّة التين الوديء جدًّا، وليس من حالٍ وسط.

وَأولاً : حدث واحد أمامه تجلوب كل إنسان ليكون نصيبه في السلَّة الأولى أو الثانية. ليس من أنصاف للحلول: إما الانتماء لمملكة الله أو مملكة إبليس. وكما كتب القديس جيروم في رسالة شكر لاسوخيوم التي أرسلت له هدية تحوى كرزًا:

[لَيْتَكَ تحوتين فواكه كنتك التي تنمو أمام هيكل الرب،

هذه التي قيل عنها "(التين) الجيد جيد جدًّا".

الله لا يحب شيئًا نصف نصف،

بينما يوحب بالحرار ويتجنب البرد يقول في سفر الرؤيا إنه يتقيًا الفاتر من فمه (16،3:15) [ii](#)].

ثانيًا : كانت سلنا التين موضوعتين أمام هيكل الرب، حيث يُقدم البشر إلى حضرة الرب، وهو وحده فاحص القلوب قادر أن يفرز التين الصالح من الوديء. الذين قبلوه بإخلاص وخضعوا لإرادته يُحسبون تينًا صالحًا، أما الذين يحتقرون وصيته ويهينونه فيُحسبون تينًا رديئًا ليس فيه مسوة ولا يصلح قط للطعام.

يقف الكل عند باب الهيكل الخرجي لِيُفرز الصالحون ويدخلون إلى المقادس يتمتعون بشوكة المجد، أما الأشوار فيبقون خرجًا. شبه الرب الصالحين بالعذرى الحكيمات اللواتي دخلن مع العويس السلموي إلى حجاله، والأشوار بالعذرى الجاهلات اللواتي بقين في الخرج (مت25).

ثالثًا : لماذا اختار التين من بين الفواكه؟

في تفسير سفر هوشع رأينا أن الله غالبًا ما يشبه شعبه بالكومة أو التين. الكومة تشير إلى التفاف حبات العنب حول فرع الخشب إشارة إلى الكنيسة المجتمعة حول الصليب، تشرك السيد المسيح آلامه وقيامته. وأن العنب يُعصر فيصير خمًا موحًا، هكذا تعيش الكنيسة متألمة ومتهللة، بل ومصدر فرح لكثويين.

أما التين فيشير إلى عنوبة الوحدة، فالآلاف البنور الوفيعة جدًّا يحتضنها غلاف الوحدة والحب العذب، ويعطيها قيمة. كل بذرة في ذاتها لا تستحق إلا التخلص منها، لكن مع زميلاتها تقدم عنوبة لآكلها وشبعًا وصحة!

إذن سلنا التين تمثلان الشعب، اتحاد المؤمنون معًا بغلاف الوحدة، وارتبطا بالحب النقي الطاهر فصلوا تينًا جيدًا جدًّا، بينما اتحد المقامون معًا بغلاف الوحدة في مقومة الحق والارتباط معًا لتحطيم العمل الإلهي، فصلوا تينًا رديئًا جدًّا.

رابعًا: ماذا يعني بالتين الباكوري؟

"في السلَّة الواحدة تين جيد جدًّا مثل التين الباكوري" ع2.

دُعي التين الجيد "باكورة"، وبحسب الشريعة تُقدم البكور إلى هيكل الرب.

وى الدكتور Shaw أن شجر التين في فلسطين يُنتج ثلاثة محاصيل في السنة: المحصول الأول ويُدعى الباكورة *Boccore* وذلك في منتصف أو نهاية شهر يونيو. وهذا هو ما يُشار إليه بالتين جيد جدًا. والثاني يُدعى *Kermez* أو التين الصيفي، ينضج قبل شهر أغسطس. والثالث يُدعى التين الشقوي حجمه أكبر وقاتم اللون، يبقى على الشجر طوال الشتاء ويُجمع في بدء الربيع، هذا النوع لا يصلح للأكل [iii]. الذين بقوا في أورشليم ويهوذا ولم يخضعوا للسبي يشبهون التين الشقوي الذي يبقى على الأشجار طوال الشتاء، لكنه لا يصلح للأكل، بل يُلقى في مزبلة أو يُحرق بالنار. هذا وقد حُسب التين جيدًا أو رديئًا ليس مطلقًا وإنما نسبيًا بالمقارنة فيما بينهم.

2. التين الجيد

ثم صار كلام الرب إليّ قائلاً:

هكذا قال الرب إله إسرائيل.

هكذا التين الجيد هكذا أنظر إلى سبي يهوذا الذي أرسلته من هذا الموضع إلى أرض الكلدانيين للخير.

واجعل عيني عليهم للخير وأرجعهم إلى هذه الأرض وأبنيتهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقتلعهم.

وأعطيهم قلبًا ليعرفوني إني أنا الرب فيكونوا لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا لأنهم يرجعون إلى بكل قلبهم" ع4-7.

كان التين الذي ينضج مبكرًا في شهر يونيو يعتبر تينًا جيدًا (إش4:28، هو9:1).

أفتيد إلى السبي يكنيا وهو إناء مكسور ومونول، ولكن معه الآلاف من العمال المهوة حُمّلوا إلى بابل لخدمة الملك ولحمرمان أورشليم من عملهم أثناء الحصار (مل2:16-24)، وكان أيضًا أشراف يهوذا، ولعلّه دعاهم بالتين الجيد لأنه وُجد بينهم من كان صالحًا مثل النبيين حزقيال ودانيال. مادامت السلطان قد وُضعتا أمام هيكل الرب كان يليق أن يكون كل التين جيدًا، لأنه لا يُقدم للرب إلا ما هو جيد، فالسلة التي بها التين الجيد تشير إلى النفوس المقدسة التي تُقدم للرب كبكورٍ له، أما السلة الثانية فتشير إلى النفوس التي تدنست وبقيت في دنسها وهي تملس العبادة لله! أي تزوج عبادتها لله الحي بالفساد الذي تتمسك به.

3. التين الرديء

"وفي السلة الأخرى تين رديء جدًا لا يؤكل من ردايته" ع2.

"وكالتين الرديء الذي لا يؤكل من ردايته، هكذا قال الرب، هكذا أجعل صديقًا ملك يهوذا ورؤساءه وبقية أورشليم الباقية في هذه الأرض والساكنة في أرض مصر.

وأسلمهم للقلق والنشر في جميع ممالك الأرض علاً ومثلاً وهزأة ولعنةً في جميع المواضع التي أطردهم إليها.

وأرسل عليهم السيف والجوع والوبأ حتى يفنوا عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآباءهم إياها" ع8-10.

السلة التي تحمل تينًا جيدًا تمثل أولاد الله الذين يقدمهم أيوهم للتأديب خلال الحب لأجل إصلاحهم، أما السلة الثانية فتشير إلى الأبناء العصاة الذين يُتكون لإرادتهم الذاتية في عنادهم المهلك.

للأسف قدم التين الرديء أمام هيكل الرب، الأمر غير اللائق، إذ كان الأفضل ألا يُقدم شيء عن تقديم ما هو رديء.

تُعتبر هذه الرؤيا عن مفهومٍ روحي عميق وهو أن صلاح الإنسان لا يقوم على موقع جغرافي معين وإنما على عطية الله (القلب الجديد والفهم الجديد ع7)، التي توهب للمسيبيين المشناقين إلى حرية مجد أولاد الله .

الذين ارتبطت قلوبهم بأورشليم في تشكيلات خلجية مع عصيان وإسوار على الفساد حُسبوا تينًا رديئًا جدًا، أما الذين حُرموا من أورشليم وفتقوا الهيكل بالجسد، لكن أعماقهم مرتبطة به بالروح، صاروا هم أنفسهم أورشليم الروحية وهيكل الرب المقدس!

بمعنى آخر أولئك الذين ارتبطوا بشكليات العبادة مع فساد الحياة صاروا أسوأ في سلة التين الوديء جدًا، لا يصلحون للأكل بل يلقون خرجًا في المزبلة؛ أما الذين يرفعون أعين قلوبهم للرب فإنه يردهم إلى أورشليم العليا ويقيمهم الرب في سلته المقدسة، ويُحسبون كقطعانٍ شهية جدًا، كما قدم الرب نفسه خبزًا حيًا، يصيرون هم تينًا روحيًا جيدًا!

ربما عني أيضا بالتين الوديء أولئك الذين هربوا إلى مصر وأقاموا هناك (ص34-44).

من وحي إرميا 24

احسبني تينًا جيدًا جدًا

أيها الخبز الحي!

❖ في هرة تطلع النبي إلى شعبك المسيبي.

فقد شعبك كرامته وحرية،

وفقد سكناه في مدينة الملك،

وعبادته في هيكل سليمان!

لكن حساباتك أيها الرب غير حساباتنا،

وفكرك يعلو عن أفكرنا،

كما علت السموات عن الأرض!

❖ رأي الذين في أورشليم كمن هم في سلة تين رديء للغاية،

والمسيبين كمن هم في سلة تين جيد جدًا!

ويحي أنا الشقي،

كم هرة عشت بجسدي في أورشليم،

وأما قلبي فمبتعد عنك وعن هيكل قدسك!

ألقيت بنفسي في سلة التين الوديء!

ترى من يحملني إلى سلة نعمتك؟!!

❖ احملني بروحك القدس إلى حضن أبيك،

فأحمل برك وتصير نفسي أورشليمك،

وتتحول أعماقي إلى هيكل قدسك!

وتصير كل طاقاتي الداخلية تينًا جيدًا جدًا!

❖ تولت إلينا أيها السموي،

وقدمت حياتك الفائقة خبزًا سماويًا،

نأكلك فنجحنا إلى الأبد!

لرفعنا إليك وأدخلنا إلى سلة حبك،

نصير تينًا سماويًا،

طعام فوح للسمائين!

بيروننا فيتهللون ممجدين غنى نعمتك علينا!

❖ في سلة حبك نصير تينًا جيدًا!

تضم التينة بنورًا بلا عدد،

حلوّة المذاق،

مرتبطة معًا بغلاف الحب والوحدة!

لا تعول بؤرة عن بقية البنور،

والا فقدت رها فيك وحنوبتها بك!

ضمنا كلنا معًا فيك،

غلفنا جميعًا بروح الوحدة والحب والقداسة،

يا من صوخت في ليلة آلامك قاتلاً:

قدسهم في حقلك...

لأجلهم أقدس أنا ذاتي ليكونوا هم أيضا مقدسين في الحق...

ليكون الجميع واحدًا كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك،

ليكونوا هم أيضا فينا!

ليكون فيهم الحب الذي أحببني به وأكون أنا فيهم.

<<

الأصاحح الخامس والعشرون

كأس خمر السخط

وي البعض ^[496] أن هذا الأصاح يمثل ختامًا للوج الذي أملاه لرميا على كاتبه بلروخ عام 604 ق.م.، وأن وضعه الأصلي بعد الأصاحات العشرين الأولى. ففي ذلك الحين أقام نيوخذنصر نفسه سيدًا على منطقة الشوق الأوسط من مصر إلى الميصة (ما بين النهرين). وأدرك رميا أنه قد هبّت الريح القادمة من الشمال على يهوذا وأورشليم فعلاً، وهي تحرك الجيش البابلي.

في هذا الأصاح يقدم لنا النبي ملخصًا لخدمته خلال الثلاث وعشرين عامًا السابقة كنبياً للشعوب، هذه الخدمة التي رفضها الجميع، كما سبقوا فرفضوا خدمة الأنبياء السابقين له.

- 1 . تاريخ النبوة [1-3].
- 2 . تأكيد الدمار [4-10].
- 3 . مدة الدمار [11-14].
- 4 . ملخص النبوات ضد الأمم [15-28].
- 5 . قضاء الرب للمسكونة [30-38].

1 . تـريـخ النـبـوة:

كل الأحاديث النبوية التي سبق فألقاها رميا إما أنها لا تحمل تـريـخًا بالـعـرة أو تحمله بطـريـقة عامـة كالقول: "في أيام يوشيا" (3: 6)، أو "في بدء حكم يهوياقيم" (26: 1)، لكن هنا وفي بعض الأحاديث التي أُلقيت فيما بعد وضع تـريـخًا محددًا لها كما في (28: 1؛ 32: 1؛ 36: 1؛ 39: 1 الخ) [497].

"الكلام الذي صار إلى رميا عن كل شعب يهوذا في السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا. هي السنة الأولى لنبوخذنصر ملك بابل.

الذي تكلم به رميا النبي على كل شعب يهوذا وعلى كل سكان أورشليم قائلًا [1-2].

وجع تـريـخ الفـتـوة إلى عام 605 ق.م. في السنة الرابعة لملك يهوياقيم التي درت فيها معركة كركميش الفاصلة، ونتيجة هذه المعركة تم طرد المصوبيين، واستولت بابل على يهوذا لتصبح جزءًا من إمبراطوريتها (2 مل 24: 1).

الادعاء بوجود خطأ في التـريـخ حيث أن السنة الرابعة من حكم يهوياقيم في [1] هي نفسها المشار إليها بأنها السنة الثالثة من حكم نفس الملك في دانيال (1: 1)، مبني على سوء فهم للطرق القديمة في الشوق لترتيب التـريـخ الزمنية. ففي فلسطين في القرن السابع قبل الميلاد كانت تُحسب سنة تبوء الملك للعرش إنها السنة الأولى في الحكم، بينما في بابل كانت هذه السنة تحسب مستقلة ثم يتبعها السنة الأولى من الحكم الفعلي. وهكذا احتسب رميا هذه السنة طبقا للنظام المعمول به في فلسطين بينما اتبع دانيال النظام المعمول به في بابل.

السنة الرابعة لحكم يهوياقيم (506 ق.م.) هي ذات السنة التي فيها أملى النبي رميا نوات على بلوخ الكاتب، وقد قرأ الـوج أمام الملك (36: 1-26). وإذ أحرقه الملك؛ فأعيد كتابة روج جديد وصار نواة لتجمعات نوات رميا النبي (36: 27-32). القطعة التي بين أيدينا (25: 1-14) إما أنها ملخص للـوج أو مقدمة له تُؤأ قبل قراءة الـوج [498].

وتعتبر هذه السنة نقطة تحول خطوة في تـريـخ يهوذا بعد هزيمة فوعن نحو بواسطة البابليين.

حذفت الترجمة السبعينية التعليق المختص بنبوخذنصر.

"من السنة الثالثة عشرة ليوشيا بن آمون ملك يهوذا إلى هذا اليوم هذه الثلاث والعشرين سنة صلت كلمة الرب إلى فكلمتكم مبرًا ومكلمًا فلم تسموا" [3].

إذ يعتبر رميا النبي أن خدمته بدأت في السنة الثالثة عشرة من حكم يوشيا سنة 627 ق.م. يتساءل البعض إن كان هذا التـريـخ هو بداية أول رسالة تسلمها من الله لإعلانها على الشعب، أم أنه تـريـخ ميلاده حيث دُعي للخدمة وهو بعد في بطن أمه. على أي الأحوال بدأ رميا خدمته مبرًا جدًا. الفتوة من السنة الثالثة عشرة ليوشيا حتى السنة الرابعة من يهوياقيم تضم 23 عامًا، منها 19 عامًا في أيام يوشيا و 4 أعوام في أيام يهوياقيم، بالإضافة إلى 3 شهور ملك يهوآحاز.

2. تأكيد الدمار:

"وقد أرسل الرب إليكم كل عبيده الأنبياء مبرًا وموسلاً فلم تسموا ولم تميؤا أنكم للسمع.

فانلين رجوا كل واحد عن طريقه الوديء وعن شر أعمالكم واسكنوا في الأرض التي أعطاكم الرب إياها وآباءكم من الأزل وإلى الأبد.

ولا تسلكوا وراء آلهة أخرى لتعبوها وتسجنوا لها ولا تغيظوني بعمل أيديكم فلا أسيء إليكم.

فلم تسموا لي يقول الرب لتغيظوني بعمل أيديكم شرًا لكم.

لذلك هكذا قال رب الجنود:

من أجل أنكم لم تسمعوا لكلامي،

هأنذا أرسل فأخذ كل عشائر الشمال يقول الرب وإلى نبوخذنصر عبدي ملك بابل وآتي بهم على هذه الأرض وعلى كل سكانها وعلى كل هذه الشعوب حواليتها فأحرمهم وأجعلهم دهشاً و صفرًا وخرابًا أبدية.

وأبيد منهم صوت الطرب وصوت الفرح، صوت العريس وصوت العروس، صوت الأرحية ونور السراج" [4-10].

يُلاحظ في العبارات السابقة الآتي:

وَأولاً : هنا يوجه رميا التماسه إلى عامة الشعب وليس للطبقة الحاكمة فقط.

ثانياً : يؤكد رميا النبي أن ما نادى به خلال الثلاث وعشرين سنة لم يكن بالأمر الجديد، فقد سبق وأرسل لهم الله أنبياء منذ وقت مبكر ينذرهم بذات الرسالة. فمن جانب ليس لهم عذر بسبب مقاومة الأنبياء الكذبة له. لو كان رميا هو النبي الفريد في حمل هذه الرسالة لتشككوا، لكن سبقه إشعياء النبي وغوه، فما هو غرهم؟! ومن جانب آخر، فإن الله تمهل عليهم سنوات هذه عددها لعلهم يرجعون إلى أنفسهم ويتوبون، لكنهم عوض التوبة استهانوا بطول أناة الله ولطفه، ظانين أن الله يهدد ولا يودب!

ربما أراد النبي تأكيد استنولية خدمته لهم، فقد قضى من عبوه هذه السنوات الطويلة نون أدنى استجابة من جانبهم، وقد بقى وسيبقى يعلن

كلمة الله لهم بلا ملل!

ثالثاً: بقوله "عمل أيديكم" [6] ربما يشير إلى صنع التماثيل أو الأوثان التي يصنعونها ثم يتعبون لها، وقد تشير إلى الشر الذي وتكوهه، وكأن شوهم قد تمثل في عبادتهم للأوثان كما في تصوفاتهم الشروعة وسلوكهم الوديء.

رابعاً: يقدم الحكم على يهوذا باسم "رب الجنود" [8] الذي يستدعي كل عشائر الشمال وسكانها ضد يهوذا. هنا يقوم الرب كقائد جنود لا للدفاع عن شعبه بل لتأديبهم، مستخدماً نبوخذنصر عبداً له يتم رادته. إنه ليس عبداً له لأنه متعبد له، وإنما بكونه أداة في يد الرب... يقيم به حرباً مقدسة ضد شعبه!

خامساً: الإشارة لعشائر الشمال [9] هي إشارة للطبيعة المعقدة للإمباطورية الأشورية وخليفتها الإمباطورية البابلية.

سادساً: يودب يهوذا وكل الشعوب التي حواليتها، ربما لأنها اتكلت عليها وأخذت بمشورتها عوض الاتكال على الرب واستشترته. يجعلهم في حالة رعب (دهشاً) وخابٍ تام، ويذوع عنهم كل علامات الحياة، من أواح وزيجات وصوت طحن الغلة (الأرحية) والنور، كأنهم يصيرون في حالة موت: أخوان وفقدان للعائلات، وعدم وجود طعام، مع ظلمة! يصيرون كمن هم في قبورٍ قابضة بلا حياة. بجانب هذا يسقطون تحت العبودية حيث تسبيهم بابل 70 عاماً.

وي البابا أنثاسيوس الرسولي أن النبوة هنا قد تحققت بالأكثر لا في السبي البابلي بل في سبيهم بجدد الإيمان بالسيد المسيح المحيي.

❖ عندما جاء الرب ووجد إسرائيل بلا ثمر لعنهم خلال معجزة شجرة التين التي قال عنها: "لا يكون منك ثمر بعد" (مت 21: 19) . بسوعة انتهت شجرة التين هذه بلا ثمر حتى تعجب تلاميذه عندمارأوها قد جفت، بهذا تحققت كلمات النبي (25: 10) [499].

البابا أنثاسيوس الرسولي

سابعاً: يقول: "آتي بهم على هذه الأرض"... ماذا يعني هذا؟

حين يرفض الشعب الالتصاق بالسملوي يتوكلهم ليلتصقوا بالأرض فيصيرون أرضاً، لا سماء. لهذا عندما جاء مسيحنا السملوي ليردنا من

سبينا، فتح بدم ذبيحته طريق السماء الملوكي، فلا يُقال عنّا: "آتي بهم على هذه الأرض"، بل آتي بهم إلى السماء عينها. لهذا يتحدث القديس يوحنا

الذهبي الفم عن الإفخراستيا كرحلة إلى السماء، قائلاً:

❖ [500] كأن الإنسان قد أخذ إلى السماء عينها، يقف بجوار عرش المجد، ويطير مع السوافيم ويتغنى بالتسبحة المقدسة.

❖ [501] أهرق هذا الدم فاتحاً طريق السماء!

❖ مادما قد صونا سمائيين، وحصلنا على ذبيحة كهذه، فلنخف! يليق بنا ألا نستمر في زحفنا على الأرض، ومن يريد مناً ألا يكون بعد على الأرض، فإنه يستطيع الآن... إذ نقرب من الله نصير في السماء، بل ماذا لريد من السماء إن كنت رى رب السماء وصوت أنا نفسي سماء؟!... أقصد لنتمثل ببولس الذي وهو على الأرض يقضي حياته في السماء. [502]

القديس يوحنا الذهبي الفم

هذا هو حال النفس التي تدخل إلى حالة عدوة مع الله ورغبة في الاستقلال عنه، هذه التي لا تستجيب لصوت الرب على أفواه أنبيائه. إنها تفقد اتحادها بالله مصدر حياتها، فتُحسب ميتة، أما علامات الموت فهي:

أ. يجعلها دهشاً، أي في حالة رعب، لا لأسباب خلجية، وإنما لفقدان الرب مصدر السلام. وتعب من لا شيء، وتهرب إلى حيث لا توى.

ب. تصير صفراً، يستويئ الكل بها، لأنها انهلت تماماً، وصلت مثلاً رديئاً، يسخر بها الجميع.

ج. حلّ بها الخواب الأبدي، لا طريق للإصلاح إلا الإقامة من الأموات... تحتاج إلى ذلك الذي يحيي ويخلص من الموت!

د. تفقد الفوح الداخلي: لا يُسمع فيها صوت الطرب وصوت الفوح... لا تحمل في داخلها ملكوت الله الموح، ولا شركة مع السمائيين

المسبحين بلا انقطاع!

هـ. تحرم من روح الأسوة أو الحياة الكنسية الجماعية، فيبيد منها صوت العريس وصوت العروس! تسيطر الـ ego على النفس فتحرمها من

حياة الشركة والاتحاد مع الغير في الرب، فلا تعرف العائلة الإلهية حيث يتقدم الرب عريساً لكل النفوس التي هي عروسه الواحدة!

و. تفقد طعامها الروحي، حيث يبيد صوت الأرحية، فلا يطحن فيها حنطة طعاماً للناس ولا شعوراً طعاماً للحوانات. تفقد النفس طعامها، ويفقد

الجسد مجده الداخلي... ويدخل الإنسان بكلية في مجاعة لكلمة الرب وحرمان من الطعام الأبدي!

ز. يحوط بها ظلام الجهل وعدم المعرفة حيث "لا نور سواج". تفقد بصوتها الداخلية، ونور عينيها، فلا تعانين الأمجاد المعدة لقديسي الرب.

اصلاح مثل هذه النفس يحتاج إلى تدخل إلهي، لتتمتع بالعتق من سبي الخطية والعودة إلى الأصحاب الأحضان الإلهية، حيث تنعم بالحياة المقامة

المجيدة. تجد الله نفسه سر سلامها ومجدها وفرحها وشبعها الدائم واستلرتها.

3. مدة الدمار:

"وتصير كل هذه الأرض خراباً ودهشاً وتخدم هذه الشعوب ملك بابل سبعين سنة.

ويكون عند تمام السبعين سنة أني أعاقب ملك بابل وتلك الأمة يقول الرب على إثمهم وأرض الكلدانيين وأجعلها خراباً أبدية.

وأجلب على تلك الأرض كل كلامي الذي تكلمت به عليها كل ما كتب في هذا السفر الذي تنبأ به إرميا على كل الشعوب.

لأنه قد استعبدتهم أيضاً أمم كثوة وملوك عظام فأجازيهم حسب أعمالهم وحسب عمل أياديهم" [11-14].

هذه هي المرة الأولى التي يُشار فيها إلى مدة السبي البابلي بكونها سبعين عاماً، يحسبها البعض إما منذ بدأ النبي حديثه عن السبي سنة 604

ق.م. أو عندما تم ترحيل أول دفعة إلى السبي سنة 597 ق.م.، أو عند ترحيل عدد ضخم سنة 587 ق.م.

يقول Keil بأن رقم 70 ليس رقماً تقريبياً، بل هو رقم تاريخي دقيق، نوة دقيقة عن السبي. هذا يُفهم مما ورد في (2 أي 36: 21-22) حيث

قيل: "وفي السنة الأولى لكورش ملك فارس لأجل تكميل كلام الرب بقم إرميا نبّه الرب روح كورش ملك فارس فأطلق نداءً في كل مملكته وكذا بالكتابة

قائلاً: هكذا قال كورش ملك فارس إن الرب إله السماء قد أعطاني جميع ممالك الأرض وهو أوصاني أن أبني له بيتاً في أورشليم التي في يهوذا. من منكم من جميع شعبه، الرب إلهه معه، وليصعد". وجاء في دانيال: "في السنة الأولى من ملكه (دليوس) أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب إلى إرميا النبي لكمالة سبعين سنة على خراب أورشليم..." (دا 9: 2).

رى كثير من المفسرين ومؤرخي الكتاب المقدس أن فترة السبعين عاماً هي ما بين السنة الرابعة ليهوياقيم (606 ق.م) حتى السنة الأولى لملك كورش وتسلطه على بابل عام 536 ق.م. يحسبونها تزيحياً هكذا.

- و 43 = مُلك نبوخذنصر.

- و 2 عامان = ابنه أويل مرووخ.

- و 4 أعوام = Neriglissor

- و 9 شهور = Labrasarchad

- و 17 عاماً = Naboned

- 1 عام = (كسور بين كل ملك وآخر).

- و 2 عامان = بدء ملك دليوس.

9 و 69 سنة

يتفق هذا مع حسابات الكتاب المقدس:

- و 7 أعوام = عهد يهوياقيم (من السنة الرابعة حتى الحادية عشرة).

- و 3 شهور = عهد يهوياقين.

- و 37 عاماً = من سبي يهوياقين حتى جلوس أويل مرووخ ([راجع مل 25: 27-30]) "في السنة السابعة والثلاثين لسبي يهوياقين ملك يهوذا في الشهر

الثاني عشر في السابع والعشرين من الشهر رفع أويل مرووخ ملك بابل في سنة تملكه رأس يهوياقين ملك يهوذا من السجن وكلمه بخير وجعل

كوسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل..." [].

- و 9 و 23 = حتى سقوط بابل.

- و 2 = العامان الأولان لدليوس.

- 70 عاماً تماماً.

مع دقة الرقم بحسب حسابات مفسري الكتاب والمؤرخين، يحمل رقم 70 معني رمزياً وهو كمال العمل الإلهي في حياتنا الزمنية. رقم 7 يشير إلى الكمال، ورقم 10 يشير إلى الحياة الزمنية التي يجب أن تحكمها الوصايا العشرة، لذلك فإننا وإن كنا كمن في السبي ننتظر كمال المجد الأبدي لنصير بالحق الملكة السملوية شويكة المجد... فإننا خلال أعوامنا السبعين نعمل الله الدائم، حيث يهيئنا بروحه القدس لنحمل صورته فنصير العروس الملكة الحرة.

أعوامنا على الأرض يُرمز لها برقم 70 حيث نتلمس كمال عمل الله الخلاصي لأجلنا حتى ننطلق إلى سمواته.

❖ عندما ينتهي كل الزمن نعود إلى مدينتنا، كما عاد هذا الشعب بعد سبعين عاماً من السبي البابلي. لأن بابل تشير إلى هذا العالم. حيث أن "بابل" تعني "الرتباك"... هكذا كل شئوننا البشرية موتبة، هذه التي لا تُنسب لله. في هذا الارتباك، في هذه الأرض البابلية أسوت صهيون. ولكن "عندما رَدَّ الرب

[\[503\]](#)

سبي صهيون صورنا مثل المستويحين" (مز 126: 1)، أي أننا نوح بتقبلنا التعرية.

يُلاحظ أن السفر المذكور في [13] هو أصل النوبة التي دموت على يد يهوياقيم (22: 36) و"الأمم الكثيرة" في [14] هما مادي وفلس اللذين اخضعا بابل تحت حكم كورش عام 539 ق.م.

2. ملخص النوات ضد الأمم:

الله ليس إله إسائيل وحده، بل إله كل الشعوب، يهتم بالجميع، وها هو يرسل رميا نبيه "نبيًا للشعوب". كما يبادر الله بركاته على شعبه لا ليحرم الشعوب الأخرى، بل ليهيئ الكل خلال الخمرة المقدسة للتمتع بفيض نعمته، هكذا يبدأ هنا بتأديب شعبه بسبب إصروهم على عدم التوبة، بهذا تكون البداية لتسقط أمة وراء أمة تحت ذات التأديب، مادام ليس هناك رجوع إلى الله بالتوبة... وأخوًا يسقط العالم كله تحت التأديب حتى بابل اليد المستخدمة للتأديب! هنا إعلان صلح عن فساد الطبيعة البشرية والحاجة إلى تدخل إلهي لإقامة طبيعة جديدة تتجاوب مع خالقها! "لأنه هكذا قال لي الرب إله إسائيل.

خذ كأس خمر هذا السخط من يدي واسق جميع الشعوب الذين أرسلت أنا إليهم إياها.

فيشربوا ويترنحوا ويتجننوا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينهم.

فأخذت الكأس من يد الرب وسقيت كل الشعوب الذين أرسلني الرب إليهم.

أورشليم ومدن يهوذا وملوكها ورؤساءها لجعلها خرابًا ودهشًا وصفوًا ولعنة كهذا اليوم.

وفوعون ملك مصر وعبيده ورؤساءه وكل شعبه.

وكل اللفيث وكل ملوك أرض عوص وكل ملوك أرض فلسطين وأشقلون وعرة وعقرون وبقية أشدود وأنوم وموآب وبني عمون.

وكل ملوك صور وكل ملوك صيدون وملوك الجزائر التي في عبر البحر،

وددان وتيماء وبوز وكل مقصوصي الشعر مستديًا.

وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيث الساكنين في البرية،

وكل ملوك زبوي وكل ملوك عيلام وكل ملوك مادي،

وكل ملوك الشمال القريبين والبعيدين كل واحد مع أخيه وكل ممالك الأرض التي على وجه الأرض،

وملك شيشك يشرب بعدهم.

وتقول لهم: هكذا قال رب الجنود إله إسائيل: اشربوا واسكروا وتقيأوا واسقطوا ولا تقوموا من أجل السيف الذي أرسله أنا بينكم.

ويكون إذا أبوا أن يأخذوا الكأس من يدك ليشربوا أنك تقول لهم:

هكذا قال رب الجنود تشربون شربًا.

لأني هأنذا أبتدئ أسيء إلى المدينة التي دُعي اسمي عليها فهل تتأون أنتم؟! لا تتأون لأني أنا أدعو السيف على كل سكان الأرض يقول رب الجنود " [15-29].

❖ عندما سمع النبي هذا لم يوفض، لم يقل على مثال موسى: أسألك يارب، إنني لست مستحقًا، أرسل آخر.

إذ كان محبًا للشعب ومفكرًا في الأمم المعادية أنها تُقتل وتسقط بشرب الكأس، قبل كأس الخمر بوح، ولم يعلم أن أورشليم كانت من بين كل

يُستخدم الكأس عن مصير شخصٍ أو أمةٍ كنبوة عن مستقبلٍ موحٍ جدًا كما في (مز 23: 5) أو مؤلمٍ للغاية، وقد دعى السيد المسيح آلامه لحساب البشوية كأسًا (مت 26: 39). هنا يرمز كأس الخمر للغضب الإلهي، وقد استخدمت في (حب 2: 16؛ إش 51: 17، 21-22؛ حز 23: 32-43، إر 13: 12 الخ؛ 19: 12؛ روا 4: 21؛ مز 65: 5؛ 75: 9؛ حب 2: 15؛ زك 12: 2 الخ).

كان الالتزام بشرب الكأس إجراء يُستخدم لاختبار واءة الشخص أو جرمه. وقد جاء في (عد 5: 11-31) يقدم الكاهن للمرأة المُتهمة بخيانة زوجها ماءً مقدسًا في إناءٍ خزفي ويضع عليه من غبار مسكنها... ثم يقدم لها ماء اللعنة، فان كانت قد تتجست يدخل ماء اللعنة المرّ فيورم بطنها وتسقط فخذها وتصير المرأة لعنة في وسط شعبها.

الكأس التي يقدمها هنا رميا النبي للشعوب هو السيف الذي تُضرب به هذه الشعوب فتترنح كالسكلى بلاوعي من هول الحدث، يفقدون عقولهم ويصيرون كالمجانين. يتساءل البعض: كيف قدم رميا للملوك كأس غضب الله؟ هل قام وحلة لملوك وشعوب مختلفة؟ أم قدم الكأس لسوائهم في أورشليم؟ إنه لم يتسلم كأس خمرٍ من يد الله بل كأس السخط الإلهي لا ليثويوه بأفواههم فتترنح أجسادهم، إنما هو كأس غير مادي يحمل غضبًا لا تثوبه الأجساد. العمل الذي قام به رميا هو رسالة تؤكد حقيقة السخط الإلهي على الشر والأثوار المصوين على شوهم، يعلنها النبي في أورشليم أمام الملك والشعب، وتبلغ إلى الملوك والشعوب المحيطة.

في سفر إشعياء إذ يؤكد الله لأورشليم أنها تثوب من كأس غضبه الذي أعدته بعصيائها، إنما إلى حين، إذ يقول:
"انهضي انهضي قومي يا أورشليم التي تثوبت من يد الرب كأس غضبه ثقل كأس الترنح، تثوبت، مصصت...
لا تعودي تثربينها في ما بعد..."

استيقظي، استيقظي، إبسي عزك يا صهيون،

البسي ثياب جمالك يا أورشليم " (إش 51: 17، 22؛ 52: 1).

ويلاحظ هنا:

1 . كل الشعوب المذكورة في الأصحاحات (46-51) مرجحة هنا ماعدا دمشق. لقد دعي رميا نبيًا للشعوب (1: 5).

2 . أعطى الكأس أولاً لأورشليم ثم لمدن يهوذا وملوكها ورؤسائها [18]، فإذ لهم معرفة أكثر من غوهم يستحقون التأديب قبلهم.

3 . يأتي بعد ذلك بالأمم الوثنية، مبتدأً بوعون ملك مصر وعبيده ورؤسائه وكل شعبه [19]، لأن أورشليم قد اعتمدت على ووعون وجيشه للدفاع ضد بابل، لذا يستحق الكأس بعد يهوذا مباشرة.

4 . بعد مصر يتجه نحو الجنوب شرقي وغربي يهوذا، أمة فامة، ففي [20] نجد عوص وبلاد فلسطين شرقي مصر وعلى حدودها.

ذكر ملك عوص [20] موطن أيوب (أي 1: 1؛ رواي 4: 21) الواقعة في عبر الأردن، إما في حوران جنوب دمشق أو في المنطقة الواقعة بجوار أنوم في شمال الجزيرة العربية وعلى حدود مصر.

5 . يسقط تحت التأديب "كل اللفيف" مع ووعون وعبيده ورؤسائه... وقد ذكر "الليف" في (خر 12: 38؛ نح 13: 3) ليصف الجماعة

المختلطة الخلجة من مصر مع الإسرائيليين. عادة يُقصد بالليف أية جماعة مختلطة من أجناس متباينة ترتبط بشعبٍ واحدٍ وتسكن بينهم كجماعة

غريبة [5051].

6 . مثلت فلسطين بالمدن الرئيسية: أشقلون وعوة وعقرون وأشدود (بش 13: 1؛ 1 صم 6: 4)، ولم تُذكر المدينة الخامسة جت، ربما لأنها

كانت قد انهلت في ذلك الوقت [5061]، أو لأنها لم تعد بعد عاصمة لمملكة مستقلة لهذا لم تُذكر أيضًا في (عا 1: 6؛ صف 2: 4، زك 9: 5).

7 . يتجه بعد ذلك نحو الشرق في [21] حيث ممالك أنوم وموآب وبني عمون، وفي [22] يتجه نحو الغرب حيث الفينيقيون ومستعراتهم.

8 . في [23-24] نجد القبائل العربية في الصحراء الممتدة من فلسطين إلى الوات.

يحفوهم الرب من التباطئ فالكلثة تنتشر بسوعة من أمة إلى أمة، دون تحديد لأسماء الأمم، كعاصفة قوية تهب من أقاصي الأرض إلى

أقاصيها [32].

4 . يصوح كالدانسين العنب.

5 . أما الرعاة أو سادة القطيع فيطلب منهم أن يولولوا ويصوخوا ويتعوغوا في الزاب [34]، فقد صاروا ككباشٍ مشتهاة للذبح خلال التأديب

والعولة.

جاء في الترجمة العربية "كاناء كشهيه keele" أما في الترجمة السبعينية فهي "ككباشٍ kikli مشتهاة".

6 . يدخل الرب في خصومة قانونية ليحاكم كل البشوية [31]. كأنه وهو الديان لا يحكم على الشعوب، بل يسلمهم إلى القضاء، لكي يعطيهم

فرصة للدفاع أو التوبة.

7 . يحفوهم أيضا من السلام الكاذب، إذ يظنون أنهم في وسط وراعي السلام يملسون سلطانهم كوعاة ورؤساء، ولم يدركوا أن الأسد قادم،

ووراعيهم تتحول إلى خواب، ويسقطون تحت السيف بسبب الغضب الإلهي.

من وحي رميا 25

نفسى موة من كأس السخط

يا إله كل الشعوب!

❖ تمررت نفس رميا نبي الشعوب،

فقد سلمه الله كأس السخط لتثوب منه كل الأمم!

تثوب منه يهوذا مع كل الدول المحيطة،

حتى بابل العظيمة تتجوعه بعد سبعين عامًا من مجدها!

ليتني أشرك مشاعر نبي الشعوب، قائلاً:

نفسى موة من كأس السخط يا إله كل الشعوب!

❖ بعد جهاد دام ثلاث وعشرين عامًا بلا ثمرٍ وبغير مللٍ،

وبعد كفاح أنبياء كثيرين سابقين،

تطلع رميا إلى كأس السخط الذي تثوبه كل البشوية!

رآه كأس غضب الله ضد الشر،

أعدده الإنسان بنفسه،

هو من عمل يديه!

❖ رأي رميا الشعوب تُساق إلى السبي البابلي،

إلى أرضٍ غريبةٍ وبلدٍ غريبٍ.

رأى مذلة النفس المسبية التي خلقها الله لتتعم بكمال مجد الحوية.

خرجت إلى أرض غريبة إذ صلت هي نفسها أرضاً!

رأدها الله لها أن تكون سماءً يقطنها بنفسه،

فاختلرت أن تكون أرضاً تمتلئ بوحل هذا العالم الغريب!

❖ صلت دهشاً، في رعبٍ، لفقدانها إلهها مصدر سلامها!

ترتعب من لا شيء، وتهرب وليس من ملجأ!

تركت إلهها صخرة حياتها وملجأها!

❖ صلت صفوياً، يستهوي الكلب بها!

العروس المختلة، الملكة التي تجلس في السمويات،

صلت علواً وخزيًا للجميع!

❖ حلّ بها الخواب التام،

دخلت إلى الموت، أو دخل الموت إلى أعماقها،

من يقدر أن يقيمها ويود لها الحياة؟!

❖ فقدت روح الفوح والطوب،

لم تعد تشوب من خمر الروح الموح،

ولا تجد أحضان العريس المفتوحة لها!

توقّف قلبها عن التهليل، ولسانها عن التسبيح!

صلت الشوكة مع السمايين لها خيالاً!

وصار لها ملكوت الله الموح بلا وجود!

❖ لا يُسمع في داخلها صوت الأرحية حيث تطحن الغلال!

من أين تأتي بالغلل، وقد صلت جنتها وحقولها وري؟!

كيف تشبع الغير هذه التي تنهار جوعاً؟!

تقو الكتاب المقدس فلا تنعم بالكلمة الإلهية!

لا تجد النفس قمحاً روحياً!

هوذا قد حلّت بها مجاعة كلمة الرب!

❖ لا يوجد بها نور سواج!

حلّ بها ظلام الجهالة،

وانطمست عيناها الداخليتان عن رؤية كل ما هو إلهي!

دخلت كما إلى ظلمة القبر بلارجاء!

❖ الآن أصوح إليك يا إله كل الشعوب:

متى تنتهي سنوات السبي السبعين؟!

لنأتِ بنفسك يا كلمة الله، يا محرر النفوس؟!
فيك وحدك تجد كل الشعوب مجد حربية وُلاد الله!

❖ عوض الراعب أجذك أنت سلامي،

فيك اختقي يا صخرة قلبي وملجأ حياتي!

أنت هو قوتي... أنت هو خلاصي!

❖ عوض الصفير أجذك مجدي الأبدى!

تقيمني عروساً وملكة،

بؤلاً طاهراً مع أبناء كثيرين،

حيثما حللت يا حمل الله خذني معك،

إلى مجدك الأبدى!

إلى حضن أبيك!

❖ عوض الخواب التام والموت أجذك حياتي!

أنت قيامتي وبهجتي!

بك تقوم نفسي لوى شركة المجد الداخلي!

بك يقوم جسدي ليحمل طبيعة جديدة!

لقد متُّ مع آدم الأول لأقوم معك يا آدم الثاني!

❖ عوض الكآبة تسقيني خمر حبك!

أنعم بؤح الروح، ولا يقدر أحد أن يزعه عني!

أعماقي تتهلل بك،

جسدي ولساني وكل كياني يسبحون!

توتقع أعماقي مع السمائيين لتونم بلا انقطاع!

أعرف شركة القديسين فتصير حياتي عيداً مستوراً!

❖ عوض الجفاف الشديد تقيم في داخلي رُحية،

تطحن كلمة الله (الغلال) في أعماقي،

ينعم بها الكل فيشبعون ولا يجوعون!

نعم لتتحول كلمتك في أعماقي إلى طعامٍ روحي لكل جسدي ونفسي!

❖ عوض الظلام يُعلن روحك القنوس في،

هو نور ونار!

لينر أعماقي وليحرق الأشواك الخائفة لنفسي!

ليحوّلني إلى سواجٍ منيرٍ،

فأسمع صوتك لي:

الأصحاحات 26-29

حوار إرميا مع الأنبياء الكذبة

تتوى الأصحاحات الأربعة (26-29) صورة حية عن حوار إرميا النبي مع الأنبياء الكذبة، موجهاً إلى كل المستويات:

1. على مستوى القيادات مع الشعب: عظة الهيكل ونتائجها (إر 26).
2. على مستوى الملوك: نير بابل (إر 27).
3. على مستوى الأنبياء الكذبة: إرميا يقف ضد حنانيا (إر 28).
4. على مستوى القيادات والشعب في السبي: رسالة إلى المسيبين (إر 29).

الأصحاح السادس والعشرون

عظة الهيكل ونتائجها

إن كان الأصحاح السابق يُعتبر ملخصاً للنوات التي نطق بها النبي ضد يهوذا وكل الأمم؛ فإن هذا الأصحاح يمثل رد الفعل العملي من القيادات والشعب على جميع المستويات. وجاءت الثلاث أصحاحات التالية (27-29) تحمل نفس الروح. لقد قدم إرميا النبي حياته كلها ثمناً للشهادة الحية لكلمة الله النزية .

بناء على الأمر الإلهي وقف إرميا في دار الهيكل يحذر الكل من خواب الهيكل والمدينة مالم يسموا لصوت الأنبياء، مقدماً لهم باب الوجود خلال التوبة. اتفق الكهنة والأنبياء والشعب على قتل إرميا، كما جاء الرؤساء من بيت الملك يتحالفون معهم إلى حين. لم يخفهم إرميا بل حوهم من سفك دمه الوىء، فوقف الرؤساء مع الشعب ضد الكهنة والأنبياء قائلين إنه إنما يتكلم باسم الرب.

- 1 . إرميا في دار بيت الرب [1-7].
 - 2 . القبض عليه ومحاكمته [8-9].
 - 3 . صعود الرؤساء إلى بيت الرب [10-11].
 - 4 . إرميا يحوهم من سفك دمه [12-15].
 - 5 . الرؤساء والشعب ضد الكهنة والأنبياء [16-24].
- 1 . إرميا في دار بيت الرب:

يحوى هذا الأصحاح ملخصًا لعظة رميا النبي في دار بيت الرب. وى بعض المفسرين أن نص العظة ورد في الأصحاح السابع؛ أما هنا فيصف الحدث التاريخي أو أثر العظة على القيادات والشعب؛ مدللين على ذلك بأن محور الأصحاحين هو التهديد الإلهي بأن مصير الهيكل يكون كشيولوه. ووى ^[507] Keil أن هذا التهديد قد تكرر كثوًا في أحاديث رميا خاصة في الهيكل؛ لهذا لا يؤخذ هذا دليلًا على أن ما جاء في الأصحاح السابع هو نص الحديث الورد عنه في هذا الأصحاح. ففي الأصحاح السابع ركز على خراب الهيكل وسبي الشعب أما هنا فأضاف أيضًا خراب أورشليم.

فُدم رميا للمحاكمة، وقد ظهرت المجموعات التالية:

أ. رميا كنبى يحذر الشعب، وكمتهم، وأيضًا كمدافعٍ عن نفسه.

ب. الكهنة والأنبياء الكذبة يتهمون رميا.

ج. القضاة.

د. الرؤساء: السلطات المدنية.

هـ. الشوخ.

و. متهمون آخرون غير رميا.

"في ابتداء ملك يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا صار الكلام من قبل الرب قائلاً:
هكذا قال الرب:

قف في دار بيت الرب وتكلم على كل مدن يهوذا القادمة للسجود في بيت الرب بكل الكلام الذي أوصيتك أن تتكلم به إليهم.
لا تنقص كلمة.

لعلمهم يسمعون ويرجعون كل واحدٍ عن طريقه الشرير،

فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بهم من أجل شر أعمالهم.

وتقول لهم هكذا قال الرب:

إن لم تسموا لي لتسلخوا في شريعتي التي جعلتها أمامكم،

لتسموا لكلام عبيدي الأنبياء الذين أرسلتهم أنا إليكم مبكراً ومرسلاً إياهم فلم تسموا،

أجعل هذا البيت كشيولوه، وهذه المدينة أجعلها لعنة لكل شعوب الأرض.

وسمع الكهنة والأنبياء وكل الشعب رميا يتكلم بهذا الكلام في بيت الرب" [1-7].

تمَّ الحادث الورد هنا بعد تجليس الملك يهوياقيم على العرش على أثر ترحيل أخيه يهوآحاز إلى مصر في خريف سنة 609 ق.م، أو في

الصيف والسنة التالية (حوالي سنة 608 ق.م). ^[508]

وى البعض أن تعبير "في ابتداء ملك..." "يُقصَد به الفزة من تجليس الملك إلى بدء السنة الجديدة والتي تُحسب السنة الأولى للملك ^[509].

كان رميا النبي في زواعٍ مستمرٍ مع الملك الشوير يهوياقيم (2 مل 23: 36-37)، الذي وصفه يوسيفوس أنه لم يكن يخاف الله ولا يهاب

إنسانًا، وكان لزوجته نحوشتا أثرًا عليه، هذه التي اشترك أبوا ألناتان في جريمة قتل أوريا.

أحد أسباب الزواع اهتمام الملك ببناء قصرٍ فخيمٍ (22: 13 الخ.)، فمع ما تنقلت به مملكته من غوامة ضخمة الترم بها أمام نحو فوعون بعد

هزيمة يوشيا، انشغل ببناء القصر مستخدمًا الظلم لبنائه.

كما واجه ايليا النبي آخاب الملك، هكذا واجه رميا النبي يهوياقيم. هذا يذكرنا بموت أوريا بن شمعيال الذي نطق بكلمات قاسية ضد أورشليم وسكانها كنتك التي نطق بها رميا، فغضب الملك حتى اضطر أوريا إلى الهروب إلى مصر، لكن الملك جاء به وضوبه بحد السيف وطرح جثته في قبور عامة الشعب انتقامًا منه لحواته. وقد حاول الملك أن يفعل ذلك بلرميا لولا تدخل أخيقام بن شافان وغوه لإنقاذه (26: 20-24).

وقف رميا في دار بيت الرب يعلن محاكمة الله لشعبه مقدمًا لهم الرجاء الحيّ في العفو إن أعلنوا توبتهم وذلك عوض النظرة التفاؤلية التي قدمها الأنبياء الكذبة في رجاء باطلٍ وخداعٍ.

وقف رميا في إحدى القاعات الداخلية، أو فيما بين الودعات الخرجية والداخلية حتى يسمع له كل القادمين إما في يوم صوم أو عيد.

تعبير الله لرميا "لا تنقص كلمة" [2] تعبير حيّ. إذ يُستخدم الفعل هنا في جز اللحية (48: 37، إش 15: 2)، كأن الله يحذر رميا ألا يهادن الشعب بل ينطق بكل كلمات الرب لهم مهما بدت قاسية، وإلا حُسب عمله كمن يجز لحية كاهن. .. منتهي الاستخفاف والإهانة! وفي نفس الوقت فإن الله في محبته يشاق أن يوقف الحكم الصادر ضدهم بالتأديب، إن قدموا توبة.

هنا يؤكد الله أنه يعلن عن راداته لأنبيائه الحقيقيين وحدهم. ويميز بين أنبيائه الحقيقيين والأنبياء الكذبة، فينسب الأولين له ويدعوهم: "عبيدي" [5]، لأنهم يسمعون له ويتممون رادته.

ما أصعب أن يسمع الكل عن الهيكل ومدينة الله أن يصوا كشيولوه هذه التي حطمها الفلسطينيون حوالي سنة 1050 ق.م (1 صم 4)؛ هذه التي ربما أُعيد بنائها فيما بعد لكنها عادت فخرت تمامًا وصلرت مثلاً وعوة وصورة حية للدمار في أيام رميا.

ما أصعب على آذان الكل أن يسموا كلمة "لعنة" [6] عن مدينة الله التي وى الكل أنها سبب بركة للعالم كله! فإنها إذ تحولت من مركز لمجد الله إلى موضع تجديف عليه، يصوّها الله لعنة لكل شعوب الأرض [6]! بقدر ما نالت المدينة كرامة في عيني الله حتى أقامها لتكون أشبه بوكالة له أو سفرة عنه أو أيقونة حية عن سمواته، إذ انحرفت تحولت إلى وكالة لعدو الخير وأيقونة لمملكة ابليس تثب اللعنة على الجميع!

2. القبض على رميا ومحاكمته:

وكان لما فرغ رميا من التكلم بكل ما أوصاه الرب أن يكلم كل الشعب به أن الكهنة والأنبياء وكل الشعب أمسوه قائلين: تموت موتاً.

لماذا تنبأت باسم الرب قائلاً مثل شيولوه يكون هذا البيت، وهذه المدينة تكون خربة بلا ساكن؟! واجتمع كل الشعب على رميا في بيت الرب" [8-9].

لم يقف الأمر عند غضب الملك، وإنما رأى الشعب في مجاهرة رميا بأن الله سيجعل مقدسه - الهيكل الذي يفتخرون به - خراباً، كما فعل شيولوه منذ حوالي 500 سنة إهانة لله كأنه عاجز عن حمايتهم والدفاع عن بيته المقدس، واحتقرًا لديانتهم، ومقاومة لما أكده لهم الأنبياء (الكذبة) والكهنة بأن وجود الهيكل بينهم هو ضمان كافٍ لنجاتهم. لقد وجد رميا نفسه فجأة أمام فوهة بركان غضب كل الشعب.

هذا ما حدث مع معلمنا بولس الرسول حيث أتهم أنه دنس الموضع المقدس، فهاجت المدينة كلها عليه، وجره الشعب خارج الهيكل وكاد أن يُقتل لولا تدخل الجنود الرومانيون (أع 21: 27-36).

ألقي القبض على رميا بالتهم التالية ، وهي ذات الاتهامات التي وجهت إلى السيد المسيح نفسه (مت 26: 60) ؛ فكان رميا رجزاً وظلاً لمخلصه:

أ. النطق بكلمات ضد الهيكل والمدينة المقدسة في داخل الهيكل.

ب. النطق باسم يهوه باطلاً، معلناً أن الهيكل يصير كشيولوه، وأورشليم تصير خراباً بلا ساكن.

ج. كان رميا في نظر متهميه نبياً كاذباً ، إذ كانوا يظنون أن ما نطق به أمر مستحيل، لن يصدر عن رجل الله!

د. أنه مجدف، ينطق باسم الله بما لا يليق بالله!

لا زال الاتهامات موجهة ضد المسيح في تلاميذه ومؤمنيه؛ الذين يُحسبون إلى اليوم مجدفين. وكما يقول العلامة أوريجينوس: [على أى الأحوال؛ فإن يسوع يهاجمه شهود زور في كل وقت. طالما وجد الشر في العالم فهو معرض للاتهامات بصفة دائمة. ومع ذلك لا زال صامتاً أمام هذه نون أن يقدم إجابة مسموعة؛ بل يقدم دفاعه في حياة تلاميذه الحقيقيين؛ وتعتبر هذه شهادة سامية جداً تسمو فوق كل شهادة زور؛ تفند كل الهجمات والتهم التي بلا أساس وتهدمها].^[510]

جاءت كلمة "اجتمع" [9] في العبرية *qahal* تشير عادة إلى تجمع ديني كما إلى تجمع للحرب (2 صم 20: 14) أو اجتماع بنية معادية (عد 16: 3)، وكان الهيكل قد تحول من اجتماع ديني إلى معركة أو ثورة غضب شعبية ضد رميا.^[511]

احتمل رميا الاتهامات والآلام رمزاً للسيد المسيح الذي قبل آلامنا فيه لكي نقبل فحة فينا. وكما يقول القديس أمبروسيوس:
[لقد حمل في نفسه آلامي؛ لكي يمنحني فحة!
بثقة أذكر حزنه؛ إذ أكرز بصليبه !

كان يؤم أن يحمل الأخوان لكي يغلب... أراد لنا أن نتعلم كيف نغلب الموت؛ بالأكثر نحطم الموت القادم (الأبدي)!
لقد تألمت أيها الرب لا بالأمك وإنما بآلامي؛ إذ جُرحت لأجل معاصينا...
تألم من أجل مضطهديه ليس بعيداً عن الحق؛ إذ يعوف أنهم يعانون العقوبة من أجل تدنيسهم للمقدسات].^[512]

3. صعود الرؤساء إلى بيت الرب:

"فلما سمع رؤساء يهوذا بهذه الأمور صنعوا من بيت الملك إلى بيت الرب، وجلسوا في مدخل باب الرب الجديد.
فتكلم الكهنة والأنبياء مع الرؤساء وكل الشعب قائلين:
حق الموت على هذا الرجل،
لأنه قد تنبأ على هذه المدينة كما سمعتم بأذانكم" [10-11].

سمع رجال القضاء الرسميين (رؤساء يهوذا) بالأمر، سواء مباشرة أثناء وجودهم في الهيكل أو ابلاغهم البعض بذلك، فأقاموا محاكمة حيث جلسوا في مدخل "الباب الجديد". هذه هي العادة أن تُقام المحاكمة عند الأبواب (تك 23: 10-20، را 4: 1، أم 31: 23)، ونحن لا نعلم شيئاً عن هذا الباب إلا أنه كان في الودهة العلوية (20: 2). وى البعض أن يوثام قام ببناؤه (2 مل 15: 26-35) أو هو اسم آخر لباب بنيامين (17: 19).^[513]

لماذا تمت محاكمة رميا النبي في مدخل باب الرب الجديد؟

يبدو لي أن الله قد سمح لإرميا أن تتم محاكمته في مدخل باب الرب الجديد خرج أورشليم ليبرك أنه ليس هو طرفاً في المعركة؛ ولا هو المقصود من المحاكمة؛ إنما كلمة الرب نفسه! كان ظلماً للسيد المسيح الذي رتجت الأمم وقامت الملوك ضده؛ وصدر الحكم عليه: موتاً تموت! وصلب على جبل الجلجثة خرج المحلة. إن كان رميا في شجاعة لم يخف الموت متركاً أنهم إن قتلوه يسفكون دمًا بريئاً؛ فإن السيد المسيح في محبته قبل الموت برادته ليسكب وه في حياة مؤمنيه! كان رميا ينذر أن قتله يجلب عليهم الغضب الإلهي بالأكثر؛ أما مسيحنا فكان ولا زال يركز خلال تلاميذه ورسله أن قتله يفتح أبواب الواحم الإلهية.

لنقف مع مسيحنا عند باب الرب الجديد؛ ولنحمل معه عله خرج المحلة (عب 13: 13)؛ نقدم حياتنا ذبيحة حب صادقة؛ فننعم بقوة وبهجة قيامته عاملة فينا!

ووجه الاتهام من الكهنة والأنبياء وطلخوا حكم الموت كعقوبة عادلة، وقام رجال القضاء الرسميين كقضاة.

4 . لرميا يحرفهم من سفك دمه:

"فكلم لرميا كل الرؤساء وكل الشعب قائلاً.

الرب أرسلني لأتنبأ على هذا البيت، وعلى هذه المدينة بكل الكلام الذي سمعتموه.

فالآن اصلحوا طرقكم وأعمالكم واسمعوا لصوت الرب إلهكم، فيندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليكم.

أما أنا فهأنذا بيدكم.

اصنعوا بي كما هو حسن ومستقيم في أعينكم.

لكن اعلّموا علما أنكم إن قتلتموني تجعلون دماً زكياً على أنفسكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها،

لأنه حقاً قد أرسلني الرب إليكم لأتكلّم في آذانكم بكل هذا الكلام" [12-15].

جاء دفاع لرميا ان ما نطق به ليس من عنده بل من قبل الله، وأنه نبي حقيقي [21]، وإن قتله يعني سفك دم وىء، ينتقم له الرب نفسه. كما دعى

الكل إلى التوبة لخلصهم. إنه لا يبالي بقتله لكنه يخشى هلاكهم وضياع الشعب كله والمقدسات الإلهية.

لم يكن دفاع لرميا عن ضعف ولا عن خوف من الموت، وإنما لأجل خلاص سامعيه. فان محاكماتهم لن تفقده سلامه أو سعادته، وكما يقول

القديس يوحنا الذهبي الفم: [الإنسان الفاضل، وإن كان عبداً أو سجيناً، فهو أكثر الناس سعادة... ضعيفة هي الوديلة وقوية هي الفضيلة!]^[514].

5 . الرؤساء والشعب ضد الكهنة والأنبياء:

"فقال الرؤساء وكل الشعب للكهنة والأنبياء:

ليس على هذا الرجل حق الموت، لأنه إنما كلمنا باسم الرب إلهنا.

فقام أناس من شيوخ الأرض وكلموا كل جماعة الشعب قائلين:

إن ميخا المورشتي تنبأ في أيام حزقيا ملك يهوذا وكلم كل شعب يهوذا قائلاً:

هكذا قال رب الجنود إن صهيون تُفْلَح كحقلٍ وتصير أورشليم خراباً وجبل البيت شوامخ وعر.

هل قتلاً قتله حزقيا ملك يهوذا وكل يهوذا!؟

ألم يخف الرب وطلب وجه الرب فندم الرب عن الشر الذي تكلم به عليهم، فنحن عاملون شراً عظيماً ضد أنفسنا!؟

وقد كان رجل أيضاً يتنبأ باسم الرب أوريا بن شمعي من قرية يعاريم، فتنبأ على هذه المدينة وعلى هذه الأرض بكل كلام لرميا.

ولما سمع الملك يهوياقيم وكل أبطاله وكل الرؤساء كلامه طلب الملك أن يقتله.

فلما سمع أوريا خاف وهرب وأتى إلى مصر.

فُرسل الملك يهوياقيم أناساً إلى مصر أناثان بن عكبور ورجالاً معه إلى مصر،

فأخرجوا أوريا من مصر، وأتوا به إلى الملك يهوياقيم، فضربه بالسيف، وطرح جثته في قبور بني الشعب.

ولكن يد أخيقام بن شافان كانت مع لرميا حتى لا يدفع ليد الشعب ليقتلوه" [16-24].

تدخل الرؤساء القادمون من القصر، ومنعوا قادة الثورة من قتل النبي، وعقنوا ما هو أشبه بحكمة دُعي إليها الشعب والنبي معاً.

أوضح الكهنة والأنبياء رغبة الشعب في قتل لرميا، ثم أدروا وجوههم من المحكمة إلى الشعب يطلبون موافقتهم. لكن وقف لرميا يعلن أنه لا

يمكنه إلا أن ينطق بكلمات الرب، مؤكداً نوبة ميخا النبي في أيام حزقيا، مسلماً نفسه بين أيديهم، مع تحذوهم أن سفك دمه الويء إنما يجلب عليهم النعمة

الإلهية.

قبل الرؤساء دفاع لرميا ووقفوا ضد السلطات الدينية وطلبوا الشعب بعدم التسوع، لأن لرميا ليس بمجدفٍ على الله ومقدساته، إنما هو نبي حقيقي.

عانوا بالكل إلى ذكريات أو إلى حالة عبر عليها قابة قرن من اؤمان. قدموا لهم حالة ميخا المورشتي (مي 3: 12) مثلاً، الذي نطق بكلمات مشابهة وقد سمع له الملك حزقيا (716-687 ق.م) والشعب، ولم يزدروا بكلماته، بل خافوا الرب وطلبوا وجهه، فتمتعوا بالواحم الإلهية. قام حزقيا بحركة اصلاح دينية (2 مل 18: 14)، متجنباً الشر.

ربما مقابل ما حدث لإرميا النبي إذ قدم الرؤساء دفاعاً عنه مستندين إلى ما حدث مع ميخا النبي؛ أورد باروخ النبي مثلاً آخر وهو النبي أوريا بن شمعياء من قرية يعريم التي تبعد حوالي ثمانية أميال شمال غربي أورشليم، وكانت إحدى مدن الجبعونيين الأربع (يش 9: 17) وكانت تدعى قرية بعل (يش 18: 14) أو بعلة (يش 15: 9)، وقد حُفظ فيها تابوت العهد بعد أن رده الفلسطينيون، ومنها أُرسِل إلى أورشليم (1 صم 7: 2؛ 2 صم 6). طلب الملك ورجاله قتل أوريا واذ هرب إلى مصر أُرسِل من يحضوه حيث كانت العلاقات طيبة بين مصر ويهوذا، وقُتل النبي. وجد لرميا مساندة من صديقه أخيقام بن شافان [24]، كان شافان كاتباً أو سكرتيراً ليوشيا المصلح (2 مل 22: 3-14).

يبدو أن لرميا كان على علاقة طيبة بكل الاسوة، إذ نجد ابناً آخر لشافان "جبوريا" (36: 10) يتعاطف معه (36: 25) ويحث الملك يهوياقيم ألا يحرق ورجل لرميا؛ وثالثاً "جدليا" يهتم بلرميا، مكوساً نفسه له بعد سقوط أورشليم (39: 14؛ 40: 5-6). قامت هذه العائلة بمساندة لرميا كي لا يُقتل. أما علة الصداقة فربما لتعاطف لرميا مع الملك يوشيا في إصلاحاته وسياسته العامة.

إذ تكلم لرميا بجوأة حول الله التيار في مصلحته وأصدر الرؤساء وكل الشعب للكهنه والأنبياء قولاً أنه ليس على هذا الرجل حق الموت لأنه إنما يتكلم باسم الرب إلهنا.

وُجد لرميا غير مستحق للموت؛ هكذا أيضاً نطق بيلاطس بنطس بخصوص السيد المسيح (لو 23: 32)؛ لكن لرميا لم يُقتل إلى حين؛ أما السيد المسيح فصلب ليتم خلاصنا فمن أجل هذا قد جاء! جاء يحمل الآمنا لكي يحملنا نحن فيه فنجد راحتنا. وكما يقول الأب قيصر يوس:
إن كنا نحني أعناقنا باتضاع لنقبل نير المسيح؛ فإن النير نفسه بالأحرى يحملنا؛ ولسنا نحن الذين نحمله.
إن كان نير العالم يضغط دائماً على الإنسان ليقول به إلى أسفل؛ فإن نير المسيح يرفعه إلى أعلى [515].

من وحي لرميا 26

لأسمع صوت لرميا في بيتك الداخلي!

❖ من أجلك يا قنوس وقف لرميا في دار بيتك،

لم يُنقص كلمة واحدة مما أخوته به!

لم يجمال ولم يداهن أحداً!

لم يخش الكهنه والأنبياء الكذبة، وأيضاً الشعب والرؤساء!

رُهبهم بالتأديب الإلهي الذي يحل بالمدينة والهيكل!

فحسوا ذلك اهانة لك ولبيتك،

وقدّم للمحاكمة بتهمة النوبة الكاذبة والتجديف!

❖ في سوعة عجيبة أُقيمت المحاكمة،

وصدر الحكم ضده: موتاً تموت!

النبي الحقيقي أتهم بالكذب،
والناطق بكلمة الرب صار في أعينهم مجدًّا!

❖ هب لي يارب أن انصت إلى صوتك،

لينطق رميا في بيتك، في أعماقي!

نعم! لأدين نفسي ولا أدينه!

لأحكم على شوي لا على رميا بالموت!

لتمت خطاياي ولْيُصلب إنساني العتيق،

ولتحيا كلماتك في أعماقي يا إله رميا!

❖ هب لي يارب عوض محاكمة رميا أن اقتدي به.

لأنطق بكلماتك النارية، ولا أداهن أحدًا!

لأحاكم من أجلك، ولو في ردهات بيتك!

هب لي روحين من نبيك العظيم رميا!

أنوب حبًا، ويحترق قلبي بخلص إخوتي!

أعمل بروحك، ولا أخشى المقاومة!

ليقف الكل ضدي!

لست في حاجة إلى محامٍ عني،

فأنت وحدك المدافع العجيب والقدير!

❖ هب لي أن اختفي في كلمتك النارية أيها النار الآكلة!

فأصير لهيب نارٍ لا تقدر تهديدات العالم أن تطفئه!

ليلتهب قلبي بنار روحك القدس،

فيتحول برودنا إلى نرك المقدسة،

ورُضنا إلى سمواتك.

نعم! ليحاكمني الكل،

ولأجد نعمة في عينيك وحدك يا مقدّس كل مؤمنيك!

❖ حُوكم رميا في مدخل باب الوب الجديد؛

ثار الكل ضده خرج مدينة أورشليم!

أتهم بالتجديف وحُكم عليه:

موتًا تموت!

هوذا أنت يا ديان الكل تموت خرج المحلة!

أتهمت بالتجديف أيها الابن الوحيد!

حُكم عليك بالموت أيها القيامة، واهب الحياة!

❖ لأخرج معك خراج المحلة!
لأحمل صليبك، بل يحملني صليبك!
لأذق موتك القاتل الموت!
لأختبر حبك الباذل يا واهب الحياة!
لأمت معك فأحيا معك إلى الأبد!
لأعش كي أموت كل يوم من أجلك!
[<<](#)

الأصحاح السابع والعشرون

نير بابل

رأينا في الأصحاح السابق رميا النبي المجروح في بيت أحبائه، فقد ثار ضده شعبه مع غالبية القيادات لتحكم عليه: موتاً تموت! الآن زى في هذا الأصحاح الصورة تتكامل يكون رميا ظللاً للسيد المسيح المتألم. بينما كان الكهنة واللاويون يرتدون الثياب الفخمة، والقيادات تتبختر في مجدها الزموني إذا برميا بأمر إلهي يحمل نواً أو أنيلاً ورُبطة... يحمل ما تئن منه الثوان!
كرمز للسيد المسيح كان يحمل النير (الصليب)، فيقال عنه: "لا صورة له ولا جمال فننظر إليه، ولا منظر فنشتهي، محتقر ومخنول من الناس، رجل أوجاع مختبر الحزن..." (إش 53: 2-3).

كثيرون بلا شك كانوا يسخرون من منظره، فقد جاؤا إلى بيت الرب بثيابٍ فاخرةٍ أما ثوبه فهو: نير الحب الباذل!
رميا كنبى للشعوب (إر 1) حذر الأمم الغربية مع يهوذا مطالباً إياهم بالخضوع لنير بابل حتى يحوا... فلا تتعرض بلادهم للحرق بالنار وشعبهم للقتل بالسيف، مع انتشار الورع والوباء.
1 . تحذير لوسل الملوك الغرباء [11-1].
2 . نصيحة لصدقيا الملك [12-15].
3 . حديث مع الكهنة والشعب [16-22].

1 . تحذير لوسل الملوك الغرباء:

هذا الأصحاح هو المصدر الوحيد بين أيدينا عن وجود تحالف بين دويلات الغرب [3]، أما محتوياته التاريخية فقد ألقى عليها شيء من الضوء خلال التزيخ البابلي الذي نشره ويومان ^[516].

"في ابتداء ملك يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا صار هذا الكلام إلى رميا من قبل الرب قائلاً:
هكذا قال الرب لي:

اصنع لنفسك ربطاً وأنيلاً وأجعلها على عنقك.

وأرسلها إلى ملك أنوم وإلى ملك موآب وإلى ملك بنى عمون وإلى ملك صور وإلى ملك صيدون بيد الوسل القادمين إلى أورشليم إلى صدقيا ملك يهوذا.

وأوصهم إلى سادتهم قائلاً:

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

هكذا تقولون لسادتكم.

إني أنا صنعت الأرض والإنسان والحيوان الذي على وجه الأرض بقوتي العظيمة وبفراعي الممدودة وأعطيتها لمن حسن في عيني.

والآن قد دفعت كل هذه الأراضي ليد نبوخذ نصر ملك بابل عبيدي، وأعطيته أيضاً حيوان الحقل لخدمته.

فتخدمه كل الشعوب وابنه وابن ابنه حتى يأتي وقت أرضه أيضاً فتستخدمه شعوب كثيرة وملوك عظام.

ويكون أن الأمة أو المملكة التي لا تخدم نبوخذناصر ملك بابل والتي لا تجعل عنقها تحت نير ملك بابل إني أعاقب تلك الأمة بالسيف والجوع

والوبأ يقول الرب حتى أفنيها بيده.

فلا تسمعوا أنتم لأنبيائكم وعوافيكم وحالمكم وعانفيكم وسعركم الذين يكلمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل.

لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب لكي يبعثوكم من أرضكم ولأطردكم فتهلكوا.

والأمة التي تدخل عنقها تحت نير ملك بابل وتخدمه أجعلها تستقر في أرضها يقول الرب وتعملها وتسكن بها" [11-1].

تفترض أحداث هذا الأصحاح سبي عام 597 ق.م بعد تجليس الملك صدقيا. جاء في النسخ العربية والسريانية وغيرها "ملك صدقيا" عوض

"يهوياقيم" أما الترجمة السبعينية فلا توجد بها الآية الأولى.

وي Lightfoot أن رميا قد بدأ في صنع الأنبار والأربطة في عهد يهوياقيم، وبعد ذلك رسلها إلى الملوك المجاورين في عهد صدقيا الملك.

في السنة الرابعة لملك نبوخذنصر شعر بعض الملوك بأن الجانب الغربي من المملكة البابلية على وشك القيام بثورة وتعود حيث ظهرت قلاقل

في المملكة. ففي عام 5-596 ق.م هُجم نبوخذنصر بعدو لا يعرف اسمه، ربما عيلام، وفي عام 4-595 ق.م حدثت ثورة على حدود مملكته. في عام

3-594 ق.م قاد حملة عسكرية داخل سوريا... فكانت أيام مملوءة بالقلقل بالنسبة لنبوخذنصر. هذا دفع بعض الدول في غرب مملكته أن تفكر في

الخلاص من نوه. ووى البعض أنه بعد ما فتحت جيوش ملك بابل أورشليم للمرة الأولى بلربع سنوات قام في مصر ملك جديد اختوت في قلبه فوة

الثورة على بابل.

رُسل الملوك المجاورون إلى صدقيا الملك يطلبون مشورته وعونه ويقومون تحالفاً معاً. أكد الأنبياء الكذبة أن بابل على وشك الانهيار وأن

يهوياقيم يعود إلى أورشليم ومعه كنوز يهوذا التي سُلبت، وأن الظروف مساعدة للثورة... لكن وُجد رجل واحد يقف أمام الكل لينادي ببطلان نوات

هؤلاء الأنبياء، وهو رميا النبي!

في نفس السنة، السنة الرابعة من ملكه، ذهب صدقيا الملك إلى بابل (59: 51) إما باستدعاء الملك له أو ليظهر ولاءه على ضوء انتشار خبير

تعود الملوك في غرب المملكة.

أتى رميا بنير (أو أكثر) خشبي وبه الأربطة الجلدية، هذا الذي يوضع على عنق الثور ويثبت بالأربطة الجلدية حتى لا يلقى به الثور عن عنقه.

وضعه على عنقه ليحدثهم بلغة التمثيل، إنه ينبغي أن يخضعوا لسلطان بابل.

وى البعض أن رميا جاء بعدة أنبار، وضع كل نير على عنقه ثم سلمه لوسول كل ملك من الملوك كي يقدمه لملكه الذي أرسله، بينما وى

آخرون ^[517] أنه جاء بنير واحد مملوء أربطة، وما كان على الوسل إلا أن يبلغوا ملوكهم بمارأه وسمعه. بهذا يُحسب كأن النير قد وُضع على كل

ملك منهم، إذ جاء في الترجمة السبعينية "أرسله" [3] بصيغة المفرد، وليس "أرسلها" مما يوحي بأن رميا جاء بنير واحد فقط، وما على الوسل إلا إبلاغ

الملوك بالخبر، دون أن يقدم نواً لكل رسول.

ربما يتساءل البعض: هل كان بالحقيقة يضع رميا نواً على عنقه؟ الإجابة بالإيجاب، إذ زى في الأصحاح (28: 10، 12) نبياً كاذباً يكسر

النير الخشبي الموضوع على عنق رميا.

على كلٍ لم يتم التحالف المزمع إما لأن الملوك لم يستطيعوا أن يتفقوا معاً على الخطة، أو لأنهم رأوا أن الخطر عظيم.

بدأ حديث رميا بإعلان سلطان يهوه إله إسرائيل على الأرض كلها وشعوبها وكل الخليقة، ليس بكونه الخالق فقط، وإنما هو إله التاريخ وصانعه، وأنه هو الذي أقام نيوخذنصر عبده لغرض إلهي. هناك خطة من جهة نيوخذنصر وابنه وحفيده، وليس شيء يحدث اعتباطاً. وى *Adam Clarke* أن

ذلك قد تحقق حرفياً حيث خلفه ابنه أويل موروخ وفيما بعد حفيده بيلشاصر (دا 5: 11). بينما وى البعض أنه لا يقصد هنا بالابن والحفيد حسب الجسد لكنه يقصد الذين يخلفونه بالتتابع لمدة طويلة، فيُحسب الملك الثالث بعده كحفيد له تولى عرش جده. نحن نعلم أن نيوخذنصر خلفه ابنه أويل

موروخ [518] ، بعد ذلك جاء رجل شواصر *Nergalsharzer* [519] الذي يعرفه اليونانيون باسم *Neriglissar* (39: 13) ليس ابنه بل زوج أخته

بعد قتله أويل موروخ، ثم تبعه ابنه *Laborosoarchod* وهو طفل، قُتل بعد 9 شهور بواسطة بعض المتآمريين، وبعد ذلك *Naboned* الذي اشترك معه

بيلشاصر (حفيد نيوخذنصر) كشريك في الملك [520].

عدم الخضوع لبابل هو رفض للمشورة الإلهية ضريبتها السقوط تحت السيف مع الجوع والوبأ.

تحدث رميا بيقين ليس معتمداً على تكهنات سياسية، وإنما باقتناع قوي أن الله رب الجنود هو قائد كل شئون العالم، له خطته نحو البشر. حقاً كان نيوخذ نصر شرواً، ومع ذلك أعطاه الله نصيباً وافرًا من خوات هذا العالم، ولكن إلى حين. هذا ما نلمسه كل يوم حين نجد أشورًا ناجحين، فنصوخ مع الموتل، قائلين: "لماذا تتجح طريق الأشور؟!... يستخدم الله أحياناً نجاحهم لتأديب أولاده مع زع كل عذر للأشور عن شوهم.

❖ إنها خطايانا التي تجعل الواوة أقرباء، إنها رذائلنا التي تقهر جنود روما...

يا لبؤس الإسرائيليين الذين عندما قهرتوا بنيوخذنصر دُعي هو عبد الله [6].

يا لبؤسنا نحن أيضاً الذين إذ نُغضب الله يستخدم غضب الواوة ليصب غضبه علينا.

ومع هذا عندما تاب حزقيا هلك 185000 جندياً أشورياً بواسطة ملاكٍ واحدٍ (2 مل 19: 35).

وعندما رنم يهوشفاط للوب تسابيح وهب الله ذاك الذي تعبد له النصوة (2 أي 20: 5-25).

أيضاً عندما حارب موسى ضد عماليق، غلب لا بالسيف بل بالصلاة. لهذا إن أردنا أن نوتفع يؤمنا أولاً أن ننبطح! [521]

القديس جيروم

واضح من [9] لا بد أنه كان في الأمم المجاورة أنبياء كذبة يعتمنون على التتجيم والسحر والوافة كما كان في إسرائيل. وقد ذكر السحرة

الوثنيين والوافين مع الأنبياء الكذبة إذ اشترك الكل في أمرٍ واحدٍ، وهو الرغبة في لرضاء سادتهم وتهذئة نفوس من هم حولهم على حساب الحق الإلهي. هكذا يختلط الوثنيون مع الذين يحملون اسم الله كذباً ويتنبأون باسمه باطلاً. لهذا يليق بنا لكي نتعرف على رادة الله (أف 5: 17) ونميز علامات

الأرمنة (مت 16: 3) أن نتقدس ونحمل روح الطاعة والتميز، ولا تكون لنا شركة مع الشر.

رميا مثل إشعياء الذي وضع حداً لمملكة أشور (إش 5: 10-12) التي تنتهي عندما تحقق غرض الله منها، هكذا يتحدث رميا عن بابل.

يستخدم عدو الخير اسم الله كحجة لبيث أكاذيبه (مت 4: 6، 7: 22، 33).

2. نصيحة صدقيا الملك:

وكلمت صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام قائلاً:

ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل واخدموه وشعبه واحيوا.

لماذا تموتون: أنت وشعبك بالسيف بالجوع والوبأ كما تكلم الرب عن الأمة التي لا تخدم ملك بابل!؟

فلا تسمعوا لكلام الأنبياء الذين يكلّمونكم قائلين لا تخدموا ملك بابل لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب.

لأني لم أرسلهم يقول الرب بل هم يتنبأون باسمي بالكذب لكي أظركم فتهلكوا أنتم والأنبياء الذي يتنبأون لكم" [12-15].

يكرر لرميا ما قاله لوسل الملوك لصدقياء الملك، حتى يبدو كمن هو عميل لبابل وخائن لبلده.

كان من الصعب على أي يهودي خاصة الملك أن يسمع تلك الكلمات: "ادخلوا أعناقكم تحت نير ملك بابل"، فقد عرفوا أن الله إلههم هو المحرر من نير العبودية، إذ سبق فوجد: "أن الرب إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر من كونكم لهم عبيداً وقطع قيود نيركم وسروكم قياماً" (لا 26: 13)، فكيف يطلب منهم أن ينحنوا ليدخلوا أعناقهم تحت نير ملك وثني؟! إنها علامة غضب الله! كانت إحدى اللعنات التي يسقط تحتها الشعب في عصيانه للوصية هي: "تستعبد لأعدائك الذين أرسلهم الرب عليك... فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك، يجلب الرب عليك أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أمة لا تفهم لسانها..." (تث 28: 48 الخ) 0

لم يسمع صدقياً له، فكان مصوه السبي (587 ق.م) بعد قتل ولاده أمام عينيه، وفُتت عيناه (2 مل 25: 1-7).

لماذا أمرهم الله بالخضوع لنير بابل؟

أ. يبدو مما نعرفه من التاريخ أن لرميا نجح هذه المرة بأن ورد صدقياً عن الاشتراك في مثل هذه الثورة. ومن ثمّ نقدر أن نفهم موقف لرميا وهو يحث الملك والنول المجاورة على البقاء في خضوعها، لا لأنه كان يحب بابل ويُعجب بها ويؤثر سيطرتها على الحرية والاستقلال، بل لأنه أترك بالإعلان الإلهي أن هذه هي رادة الله وحكمته ولا يقدر الإنسان أن يقف أمامها.

لعل الله أمرهم بذلك لكي يكتشفوا خلال المذلة لنير بابل النير الداخلي الذي سقطوا تحته، وهو نير الخطية. فبإذلال الجسد وظروف الحياة القاسية وحرمانهم من بلدهم ومدينتهم المقدسة وهيكل الرب... يركون ماذا يفعل نير سبي الخطية. فيقولون مع لرميا النبي: "جعلني ضربة اليوم كله، مغمومة؛ شدّ نير ذنوبي بيده، سعدت على عنقي. زع قوتي، دفعني السيد إلى الأبد لا أستطيع القيام منها" (هرا 1: 14).

نسمع عن هذا النير في فيضة البقرة الحواء (عد 19)، إذ يشترط في البقرة المقدمة كذبيحة خطية أن تكون "صحيحة، لا عيب فيها، ولم يعل عليها نير" (عد 19: 2). وذلك بكونها رمزاً للسيد المسيح الذي وحده بلا خطية، ليس فيه عيب، ولم يسقط تحت نير الخطية. لقد وبخ اليهود، قائلاً: "من منكم بيكتني على خطية؟" (يو 8: 46). يقول الرسول بولس: "لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، لنصير نحن البركات الله فيه" (2 كو 5: 21). وكما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: [إنعم، المسيح نفسه يقول: "من أجلكم أقدس أنا ذاتي" (يو 17: 19)، ويقول أيضاً رئيس هذا العالم قد دين" (يو 16: 11)، مظهراً أن الذي دُبِح هو بلا خطية" ^[522].

أيضاً حينما ارتبك الفلسطينيون بسبب الضربات التي حلت عليهم وضعوا التابوت على عجلة واحدة جديدة يجرها بقوتان موضعتان لم يعلمها نير (1 صم 6: 7)... فانطلقت المركبة: نحو حقل يهوشع، أي حقل يوع، كنيسة المخلص... وفوح الحصادون لماروا تابوت العهد!

إذن ليحملوا نير بابل فينكروا قسوة نير الخطية، خلال الصليب، معطياً للنير عنوبة، لأنه نير صليب الحب البازل. إذ يقول: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم؛ احموا نوي عليكم، وتعلموا مني... لأن نوي هيّن (حلو) وحلمي خفيف" (مت 11: 28-30). أنه يدعونا لنلقي نيرنا تحت قدميه، لا لنعيش بغير نير، وإنما نستبدل نيرنا بنور العذب. عوض نير الخطية القاسي نحمل شركة نير المسيح، أي شركة آلامه النابعة عن الحب البازل!

حدثنا عن نير الحب العذب هذا وفاعليته في حياتنا، قائلاً: "كنت أجدبهم بحبال البشر ويُبط المحبة، وكنت لهم كمن يرفع النير عن أعناقهم، ومددت إليه مُطعماً إياه" (هو 11: 4).

إذ وى المؤمن مسيحه يحمل النير عنه يشتهي أن يكون له مجد الشركة معه في حمل هذا النير. يشتهي أن يحمله منذ صباه، محققاً قول لرميا النبي: "جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب؛ جيد للرجل أن يحمل النير في صباه" (هرا 3: 27).

ب. إذ كانت خطاياهم تتسم بالظلم مع الوجداسات لذلك أراد لهم أن يحملوا نير بابل حتى يدركوا قسوة نوره الذين يلقونه على أعناق إخوتهم، فلا يفعلوا كما فعل رجبهم حين قال له يوبعام وكل جماعة إسوائيل: "إن أباكم قسى نونا، وأما أنت فخفف الآن من عبودية أبيك القاسية ومن نوه الثقيل الذي جعله علينا فنخدمك" (1 مل 12: 4)، أجابهم: "أبي ثقل نوركم وأنا زيد على نوركم؛ أبي أدبكم بالسياط، وأنا أؤدبكم بالعقرب" (1 مل 12: 14).

المؤمن الذي يرك مررة النير لا يطلب أن تتحني رقاب الآخرين لنير غير نير صليب المسيح الممتع. لهذا ففي مجمع الوسل المنعقد بشأن القادمين للإيمان من الأمم قال الوسل بطوس: "فالآن لماذا تجرون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله، لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضًا" (أع 15: 10-11). هكذا طلب الوسل ألا يخضع القادمون للإيمان لنير الطوقس الحرفية للشريعة الموسوية، وكما يوصينا الوسل بولس بخصوص الخضوع الحرفي لختان الجسد: "فاثبتوا إذًا في الحرية التي قد حررنا المسيح بها ولا توتبتوا أيضًا بنير عبودية" (غلا 5: 1).

3. حديث مع الكهنة والشعب:

"وكلمت الكهنة وكل هذا الشعب قائلاً:

هكذا قال الرب.

لا تسموا لكلام أنبيائكم الذين يتنبأون لكم قائلين ها آنية بيت الرب ستؤد سريعاً من بابل. لأنهم إنما يتنبأون لكم بالكذب.

لا تسموا لهم.

اخدموا ملك بابل واحيوا.

لماذا تصير هذه المدينة خربة؟!

فإن كانوا أنبياء وإن كانت كلمة الرب معهم فليتوسلوا إلى رب الجنود لكي لا تذهب إلى بابل الآنية الباقية في بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفي أورشليم.

لأنه هكذا قال رب الجنود عن الأعمدة وعن البحر وعن القواعد وعن سائر الآنية الباقية في هذه المدينة التي لم يأخذها نبوخذ نصر ملك بابل عند سبيه يهوياقيم ملك يهوذا من أورشليم إلى بابل وكل أشواف يهوذا وأورشليم،

إنه هكذا قال رب الجنود إله إسوائيل عن الآنية الباقية في بيت الرب وبيت ملك يهوذا وفي أورشليم.

يوثى بها إلى بابل وتكون هناك إلى يوم افتقادي إياها يقول الرب فأصعدها وأردّها إلى هذا الموضع" [16-22].

يُقصد بالأعمدة العمودين النحاسيين اللذين وضعهما سليمان في رواق الهيكل في المدخل، طول العمود الواحد ثمانية عشر ذراعاً (1 مل 7: 22-25). أما البحر فكان من النحاس داوى الشكل قطره عشر أوع، يحوى ماءً يُستخدم في غسلات مختلفة أثناء العبادة، وكان قائماً على اثني عشر ثراً، ربما هذه الثوان هي التي تُدعى هنا بالقواعد (1 مل 7: 22-25).

إن كان الله يؤكد السبي البابلي والاستيلاء على بقية آنية الرب وآنية بيت الملك لكنه يفتح باب الرجاء أمامهم، قائلاً: "إلى يوم افتقادي إياها"

[22]. وقد تحقق ذلك في أيام كورش حيث حث الله قلبه أن يحقق هذه النوبة (عز 1: 7؛ 7: 19).

في حديثه الممتع عن رعايته لشعبه بنفسه يقول: "ويعلمون أنني أنا الرب عند تكسوي رُبط نوههم، وإذ أنقذهم من يد الذين استعبوهم، فلا يكونون بعد غنيمة للأمم، ولا يأكلهم وحش الأرض، بل يسكنون آمنين ولا مخيف" (حز 34: 27-28). كما يقول: "والآن أكسر نوه عنك وأقطع رُبطك" (نا 1: 13).

لم يكن لرميا النبي متشائمًا كما يظن البعض، فإنه في أحلك لحظات الظلمة لم يفقد ثقته في وعود الله بالخلاص. هكذا يليق بالمؤمن أن تستشير نفسه بالمواعيد الإلهية، فتتهلل أعماقه، متأكدًا أن خطة الله الخلاصية ستتم حتمًا، بغض النظر عن الظروف القائمة أو ما سيحل في المستقبل القريب...
لننتظر الرب، فإنه حتمًا سيخلص في الوقت المعين!
هكذا عاشت الكنيسة الأولى وسط الاضطهاد المرّ مملوءة رجاء في عمل الله معها عبر الأجيال وثقتها في نعمة الله الغنية التي تتحدى الزمن!

من وحي رميا 27

خطيتي تدفني تحت نير بابل!

حبك يجذبني نحو نير الصليب!

- ❖ دفعت بشعبك تحت نير بابل القاسي،
لعلهم يركون بالحق نير الخطية الداخلي.
يركون مورة عبوديتها،
ويشعرون بقسوة عنفها،
فيصرون إليك أيها المخلص محرر النفوس!
- ❖ نير تأديبك الإلهي يكشف عن نير الخطية المرّ.
لكنك وأنت القنوس بالحب حملته عني!
رأك على الصليب حاملاً نوي!
يا لك من مخلص عجيب!
- ❖ حملت نوي،
هب لي شرف حمل نورك.
نوي نير الخطية القاتل،
نورك نير الحب البازل واهب الحياة!
نوي عار وخرى،
ونورك مجد وبهاء!
- ❖ لأحمل نورك فيحملني هو!
لأقبل آلام صليبك،
فأرفعي صليبك إليك،
ويدخل بي إلى حضن أبيك!
- ❖ حقًا نورك هين وعذب!
به التقى بك أيها المصلوب!
به أتمتع ببهجة قيامتك،
به أتعرف على أسورك،

الأصحاح الثامن والعشرون

لرميا يقف ضد حننيا

في عام 594 ق.م كان لرميا النبي مقابلة مع حننيا بن عزور أحد الأنبياء الكذبة، هذا الذي نسب لله كلاماً باطلاً حيث نادي بأن نير ملك بابل ينكسر في خلال سنتين، وسؤد آنية بيت الرب وروجع يكنيا الملك وكل المسييين من يهوذا. كان يظن أنه بهذا يواسي الشعب و يرفع من روحه المعنوية، كما يكسب شعبية على حساب الحق الإلهي.

1. كلمات حننيا الكاذبة [4-1].
2. رميا يعلق على كلماته [5-9].
3. حننيا يكسر النير الخشبي [10-11].
4. الله يقيم نورا حديدياً [12-14].
5. رميا يقف ضد حننيا [15-17].

1. كلمات حننيا الكاذبة:

"وحدث في تلك السنة في ابتداء ملك صدقيا ملك يهوذا في السنة الوابعة في الشهر الخامس أن حننيا بن عزور النبي الذي من جبعون كلمني في بيت الرب أمام الكهنة وكل الشعب قائلاً:
هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً:
قد كسرت نير ملك بابل.

في سنتين من الزمان رُد إلى هذا الموضع كل آنية بيت الرب التي أخذها نبوخذنصر ملك بابل من هذا الموضع وذهب بها إلى بابل. ورُد إلى هذا الموضع يكنيا بن يهوياقيم ملك يهوذا وكل سبي يهوذا الذين ذهبوا إلى بابل يقول الرب لأنى أكسر نير ملك بابل" [1-4].
غالبًا ما كان اليهود يقسمون أية فترة إلى قسمين: البداية والنهاية، لهذا تُحسب السنة الوابعة من ملك صدقيا هنا بداية ملكه، لأنه ملك إحدى عشر سنة، فالسنة الوابعة تقع في النصف الأول أو بداية ملكه؛ خاصة وأن الثلاث سنوات الأولى كانت مملوءة اضطرابات، وكان الملك بلا سلطان أو قوة، خاضعًا للجزية.

تم هذا الحدث حوالي عام 3-594 ق.م. بعد حوار رميا النبي مع رسل الملوك بمدة قصوة [523]. وكان رميا لا زال يضع النير على عنقه بلربطته حتى يذكر الكل بما تتبأ عنه، الأمر الذي لم يحتمله الأنبياء الكذبة.

كان حننيا من جبعون إحدى مدن الكهنة (يش 8: 17) لذا وى البعض أنه كان كاهناً [524] ، يجتمع بالكهنة والشعب في بيت الرب ليتحدث باسم الرب كذباً في بنيامين. وهي مدينة تبعد حوالي خمسة أميال شمال غرب أورشليم تسمى حالياً قرية "الجيب" *El-Jib* ، قد وُجدت حفريات حديثة

فيها تحمل ذكريات تاريخية هامة. خدع الجبعونيون الإسرائيليين في أيام يشوع (يش 9: 1-15)، وكانت جبعون مسرّحًا للتّواع بين رجال شاول ورجال داود (2 صم 20: 12-17)؛ وفيها قتل يواب عماسا (2 صم 20: 8-10). في جبعون حكم داود في نهاية أيامه، وحكم سليمان في بداية ملكه، وفيها نُصبت خيمة الاجتماع ومذبح النحاس. وقبل ان يُبنى الهيكل قدم سليمان هناك ذبائح، وهناك أخذ في الحلم رسالة الله (1 مل 3: 4-15؛ 1 أي 16: 39-40؛ 21: 29؛ 2 أي 1: 3، 6-3).

كلمة "حننيا" تعني "يهوه حنان" أو "واهب نعمة"، لكن حننيا أعلن حنان الله بطريقة خاطئة، حيث قوّم نوات لرميا الصادقة. وى البعض ان ذكر حننيا "نير بابل" [2] أمام لرميا فيه فوع من السخرية، إذ كان لازال يلبس النير.

إذ حلّ السبي لم يعد ممكنًا للأنبياء الكذبة إنكره كما فعلوا قبلاً في مقاومتهم الأنبياء الحقيقيين ومن بينهم لرميا، لذلك نادي حننيا بأنه وإن كان قد تم السبي لكنه لن يستمر أكثر من عامين فقط. بتحديد الرقم حاول الإيحاء بتأكيد نواته، إذ يتكلم كما بلّ قام ثابتة ودقيقة كمن هو واثق من صدق رسالته. هذا بجانب استخدامه نفس تعبوات لرميا النبي بقوله: " هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل" [2]. بينما يتكلم بروح الكذب، إذا به يتستر باسم الرب وروح الحق.

يلاحظ في حديث حننيا أنه يعطى لآنية بيت الرب أولوية عن الملك وكل الشعب، وكأن ما يشغله بالأكثر هي الآنية الثمينة. حقًا لهذه الآنية قدسيته حتى في عيني الله، لكنه يقدها من أجل شعبه، فإن استهان الشعب بأن يكون مقدسًا كهيكل حيّ للرب، هل يهتم الله بالوآني؟! أنه يطلبنا نحن وُلأ بكوننا الآنية الفخرية التي تحملها في داخلها، كترنا السملوي!

2. لرميا يعلق على كلماته:

"فكلم لرميا النبي حننيا النبي أمام الكهنة وأمام كل الشعب الواقفين في بيت الرب.

وقال لرميا النبي: آمين: هكذا ليصنع الرب. ليقم الرب كلامك الذي تتبأت به فريد آنية بيت الرب وكل السبي من بابل إلى هذا الموضع.

ولكن اسمع هذه الكلمة التي أتكلم أنا بها في أذنك وفي آذان كل الشعب.

إن الأنبياء الذين كانوا قبلي وقبلك منذ القديم وتنبؤوا على أرض كثرة وعلى ممالك عظيمة بالحرب والشر والوبأ.

النبي الذي تنبأ بالسلام فعند حصول كلمة النبي عرف ذلك النبي أن الرب قد أرسله حقًا" [5-9].

أغلب الظن أن جواب لرميا تهكمي فيه استخفاف بما ينطق به النبي الكاذب. مع أنه كان له بحق أن يضيف "آمين" إلى كلام حننيا، لأنه كان يحب شعبه والهيكل ويتمنى لهما الخير. لرميا النبي كحب لشعبه ورجل وطني كان يشتفي أن ما قاله حننيا يكون صادقًا، فعندما كان يقول: "آمين" يقصدها من كل قلبه، لكنه كان يرك أنها نوة كاذبة تتناقض الحق الإلهي! لقد سبق فأعلن عن حبه لشعبه أمام الرب، قائلاً: "أما أنا فلم أعول عن أن أكون راعياً وراعك ولا اشتهيت يوم البلية. أنت عرفت! ما خرج من شفتي كان مقابل وجهك" (17: 16).

وى البعض إنه بهذا أوضح لرميا النبي أن ما يتنبأ به هو (أي بقاء السبي سبعين عامًا) لا يحمل تحديًا للشعب ولا شماتة، لأنه يشتفي سلام شعبه وحرية. أنه يشفع فيهم لسلامهم.

لم يكن ممكنًا للشعب أن يميز بين النبيين أيهما صادق وأيهما كاذب، فقد تنبأ الإثنان باسم الرب.

قدم لرميا وهانين على صدق نبوته:

وُلأ: اعتمد على كلمات الأنبياء السابقين له، موضحًا أن ما قاله حننيا مناقض لنواتهم. هؤلاء الأنبياء هم يوثيل وعاموس وهوشع وميخا وصفنيا وناحوم وحبوق وغوهم. هؤلاء جميعًا أعلنوا أن شوا سيجل بالشعب الذي سلك في الفساد ولم يتب.

ثانياً: أعلن أن الزمن وحده يكشف الحق من الباطل.

وى رميا النبي أن إسرائيل كشعبٍ خاصٍ منتسبٍ لله يؤمه الطاعة والحياة المقدسة مع الشعور بالمسئولية والالتزام.

3. حننيا يكسر النير الخشبي:

"ثم أخذ حننيا النبي النير عن عنق رميا النبي وكسره.

وتكلم حننيا أمام كل الشعب قائلاً:

هكذا قال الرب:

هكذا أكسر نير نبوخذنصر ملك بابل في سنتين من الزمان عن عنق كل الشعوب.

وانطلق رميا النبي في سبيله" [10-11].

قاوم حننيا رميا بالكلام كما بالعمل الرمزي (كسر النير الخشبي)، بهذا شجع الشعب على الثورة ضد رميا كنبى كاذبٍ، ودفعهم للعصيان والتمود على الكلمات النبوية، ظانين أن يكتفوا بعود حننيا مع بقية المسبيين، ويسترد الهيكل آنيته قوياً.

كان حننيا واثقاً في نفسه لكنه كان غاضباً من كلمات رميا، وقد عبر عن رأيه بكسر النير الخشبي الذي وضعه رميا على عنقه (27: 2). لا بد أن حننيا قد جذب إليه بهذا العمل انتباه الناس جميعاً ورضاهم، هؤلاء الذين كانوا في حالة ثورة، خاصة وأن عامة الشعب يميلون إلى تصديق ما يرون أن يسموه. وقف رميا صامتاً وهو يعلم أن الكرياء والتفاخر يجذبان الانتباه أكثر من تقديم الحقيقة القاسية العرة. وقد صدق هذا في كثير من أحداث التاريخ.

لقد ظن حننيا أنه بحماسة الشخصي يغلب رميا.

4. الله يقيم نيراً حديدياً:

ثم صار كلام الرب إلى رميا النبي بعد ما كسر حننيا النبي النير عن عنق رميا النبي قائلاً:

أذهب وكلم حننيا قائلاً:

هكذا قال الرب:

قد كسرت أنيار الخشب وعملت عوضاً عنها أنيراً من حديد.

لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

قد جعلت نيراً من حديد على عنق كل هؤلاء الشعوب ليخدموا نبوخذنصر ملك بابل فيخدمونه وقد أعطيته أيضاً حيوان الحقل" [12-14].

لم يجب رميا النبي على تصورات حننيا بسوءٍ ربما لأنه قد دُهل لموقفه إذ كسر النير الخشبي الموضوع على عنق رميا كأن حننيا كان متأكداً مما يقوله. أو كعبدٍ للرب لم يود أن يدخل مع النبي الكذاب في حوارٍ وخصومة، بل في هوءٍ يسمع له، كنبى حقيقي لم يتصرف من ذاته، بل رفع الأمر إلى الله في غير توسعٍ أو انفعالٍ بشوي، حتى إذ جاءت الإجابة ووقف في شجاعةٍ يجب حننيا بكلمات الرب نفسه. لم يكن النبي الحقيقي حالمًا ولا رجل سياسة لكنه استلم الإجابة من يهوه مباشرة، وهي ذات الكلمة التي سبق فاستلمها. إن كان حننيا قد كسر النير الخشبي هوذا الله يقدم نيراً حديدياً لا ينكسر، يضعه على عنق جميع الأمم.

الود الذي جاء لإرميا أكثر حدة في النوة عن ذي قبل. النير الحديدي يعني أن الله يعاقب يهوذا والدول المحيطة بها بعمل نيرٍ أقوى بسبب محاولتهم القيام بالثورة، وعدم الخضوع للتأديب الإلهي.

إن كانوا بالتمود قد ألقوا عنهم النير الخشبي وكسروه لكنهم عوض التمتع بالراحة والحرية انحنوا لنير حديدي لا ينكسر!

يؤكد رميا النبي أن الله يقيم نيراً حديدياً ليس فقط على عنق يهوذا والأمم المحيطة بل وأيضاً على عنق حيوانات الحقل [14] أو الوحوش. إن

كان الأنبياء الكذبة قد فقوا عقولهم فصاروا كالحوانات أو فقوا لطفهم فصاروا كالوحوش فإنهم لن يفلتوا من التأديب الإلهي!
بينما يتنبأ حننيا كذباً أنه خلال عامين تُود أواني بيت الرب ووجع الملك والشعب المسيبي، إذا برميا يؤكد أنه في خلال سنة يعود نوحذنصر
ليستولي على بقية أواني بيت الرب ويسبي البقية، ولن يتم أي إصلاح إلا بعد سبعين عامًا من السبي. هذا ولم يعيش حننيا عامين لوى النصرة كما ظن
إنما مات بعد شهرين وانحدر بكذبه إلى الهلاك.

5. رميا يقف ضد حننيا:

فقال رميا للنبي لحننيا النبي: اسمع يا حننيا.

إن الرب لم يرسلك وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب.

لذلك هكذا قال الرب:

هأنذا طردك عن وجه الأرض.

هذه السنة تموت لأنك تكلمت بعصيان على الرب.

فمات حننيا النبي في تلك السنة في الشهر السابع" [15-17].

أكد رميا عملياً أن الله لم يرسل حننيا ليتنبأ وسط شعبه إنما ها هو يرسله سريعاً إلى الموت مطروداً حتى من وجه الأرض. أنه غير مستحق
لخدمة الكهنوت، ولا حتى لممارسة الحياة اليومية كإنسان، لأنه يقاوم الحق الإلهي باسم الله نفسه وبادعاءات كاذبة. وقد مات فعلاً بعد حوالي شهرين من
الحوار، فثبت صدق نوبة رميا، ولم يعد هناك عذر لمن سمع لحننيا.

عوض السبعين عامًا للسبي التي أعلنتها رميا النبي أكد حننيا أن السبي لن يبقى أكثر من عامين، ولم يدرك أن حياته تُوع عنه ليس بعد السبعين
عاماً ولا بعد العامين وإنما بعد شهرين فقط. عوض انتظار الحرية بعد عامين فقد حننيا حياته خلال شهرين.

لعل الرسول بولس اقتدى برميا النبي، إذ قال لحنانيا رئيس الكهنة: "سيضوبك الله أيها الحائط المبيض؛ أفأنت جالس تحكم على حسب الناموس،
وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس؟! (أع 23: 3).

موت حننيا السريع [17] يظهر خطورة العصيان [17]، وألتمود على الإرادة الإلهية (تث 13: 5)، كما حدث مع فلطيا بن بنايا (حز 11:
13)، وحننيا وسفورة (أع 5: 1-11).

كانه قد أخطأ خطية للموت، لأنه أقام نفسه نبياً كذباً وضلل الكثيرين بكلماته المعسولة، خادعاً قلوب البسطاء، لقد انتحل اسم الرب باطلاً.
لماذا صدر الحكم: " هأنذا طردك عن وجه الأرض؟ " قال أحد آباء الروية: "من لا يصلح لموضع فالموضع نفسه يطوده". هكذا إذ صار حننيا
مفسداً على الأرض بسبب عصيانه لله ونسب النوبة إليه كذباً، لم تحتلمه الأرض بل رأدت أن تتقيأه... صار أشبه بطعامٍ فاسدٍ لا يستحق أن يبقى في
المعدة، لأنه ضار. إنه يُطرد عن وجه الأرض، كأن الأرض لا تطيق أن تراه بوجهها بل تعطيه ظوها.

إذ صدر هذا الحكم علينا نحن الخطاة، وحُسبنا مطرودين حتى من الأرض التي خُلقت لأجلنا، تعطينا ظوها لا وجهها، جاء مسيحا إلى
لرضا، وعاش بيننا، فتهللت الأرض بجبالها وتلالها ووديانها وأشجارها وكل حيواناتها مع الأنهار والبحار والمحيطات... إنها تسبح ابن الإنسان...
تشتهي أن تعطيه وجهها، تخضع له وتطيعه بل وتهلل بمجيئه. لقد قيل:

"توح الروية والأرض اليابسة، ويبتهج القفر... يبتهج ابتهاجاً ورونم... هم يرون مجد الرب بهاء إلهنا" (إش 35: 1-2).

"الأنهار لتصفق بالأيدى، الجبال لترنم معاً" (مز 98: 8).

"نهر سواقيه توح مدينة الله مقدس مساكن الله" (مز 46: 4).

جاء ابن الإنسان إلى أرضنا ليقدم مصالحته بين إله السماء والأرض وبيننا، فيصير المؤمنون بركة للأرض، كما قيل للقديس أنبا أنطونيوس إنه بسبب أنبا هولا تتبرك أرض مصر ونيلها وزرعها. أينما وجد المؤمنون تتبرك الأرض والساكنون عليها... تعطينا الأرض وجهها إذ نشعر أن الأرض وملؤها للرب ولمسيحه... ومع فوحنا بتقديس الأرض ترتفع مع مسيحنا إلى سمواته حيث ننعم بالأرض الجديدة والسماء الجديدة (رؤ 21: 1). يرفع روحه القديس قلوبنا إلى حضن الأب السموي، فلا نصير مطرودين من وجه الأرض بل منطلقين إلى خالقنا ومقدسنا! على أي الأحوال لم يمت حننيا في الحال بل خلال شهرين، وكأنه قد أعطيت له فرصة كافية لمراجعة نفسه والتوبة حتى يستعد لملاقاة الديان الذي نسب إليه أفعالاً كاذبة.

من وحي لرميا 28

نورك أعذب من الكلمات الناعمة!

- ❖ يا له من مشهدٍ خطيرٍ:
لرميا يحمل نواً وأربطة مؤكداً السبي سبعين عاماً،
وحننيا يكسر النير مؤكداً تحقق الحرية سريعاً!
لرميا يبدو متشائمًا يثبط الهمم،
وحننيا يبدو مواطناً يرفع الروح المعنوية!
- ❖ حننيا يعلن عن ردّ آنية بيت الوب أولاً،
كأنها أهم من الملك والشعب!
أما لرميا وهي يئن من أجل بيت الوب وأثاثاته،
فمنشغل بالبيت الحيّ،
بشعب الله الذي أسوته الخطية،
واستعبده عدو الخير!
- ❖ هب لقلبي أن ينصت لإرميا في داخلي،
فأحمل نورك الخشبي يا مخلصي المصلوب!
لأقبل صليبك الذي يحملني إليك،
فأجذك تحتضني وسط الآلام!
لا ترفع آلامي بل تحولها إلى عذوبةٍ ومجدٍ فائقٍ!
- ❖ ليمت حننيا فلا تكون له حياة فيّ!
لا أريد كلماته الناعمة!
لا أطلب حكمته البشوية وخداعه!
لا أطلب حرية شكلية وتوقاً زمنياً!
لئلا يتحول نوي الخشبي إلى نيرٍ حديدي،
أهلك مع ذلك المنحدر إلى الهلوية!

❖ لتتكلم أنت يارب في!

تكلم أيها المصلوب!

فإنني أشتهي أن أشركك آلامك،

فتحملني آلامك إلى خوة مجد قيامتك!

لأنتصر بك أيها الغالب،

ولا أقبل كلمات العدو المخادعة الناعمة!

<<

الأصحاح التاسع والعشرون

رسالة إلى المسيبين

لم يقف عمل رميا النبي عند حدود يهوذا، إذ كان يمثل الصوت الإلهي الموجه إلى الملك ورجاله وكل القيادات الدينية والمدنية وأيضًا إلى الشعب المسيبي، أغنيائه وقوائمه. لم يذهب إليهم بشخصه ويعمل بينهم في أرض عبوديتهم فقد أقام الله حزقيال النبي لهذه الخدمة (حز 1: 1) أما رميا فكان يبعث إليهم رسائله.

حُمل إلى السبي 3023 شخصًا عام 597 ق.م، من بينهم يهوياكين وأسوته وبعض الكهنة والأنبياء الكذبة. لم يتأدب هؤلاء الكذبة ولا تغورت قلوبهم، وإنما في عجرفة كملوا الطريق في أرض السبي. نادوا بسوعة انهيار بابل وعودة المسيبين إلى وطنهم مقدمين الآمال الزائفة. وشعر رميا النبي أن من واجبه تحذير المسيبين من هذا الخداع. هكذا اتفق الأنبياء الكذبة معًا على مقاومة كلمة الله، سواء الذين بقوا في يهوذا أو الذين ذهبوا مع السبي، يعملون معًا بفكرٍ شويرٍ واحدٍ.

يوحي هذا الأصحاح مجموعة من الوسائل المتبادلة بين أورشليم وبابل. على الأقل توجد أربع رسائل: واحدة من رميا إلى المسيبين (1-15؛ 21-23) والأخرى من شمعييا إلى صفنيا (25-28)، وثالثة من رميا إلى شمعييا (24)، ورابعة رسالة إلى المسيبين (31-32). تمت هذه الوسائل في الأيام التالية لسقوط يهوذا عام 597 ق.م. ويبدو من الوسائل أن مملكة بابل كانت تُعاني من بعض قلقٍ داخلية.

حملت رسائل رميا كلمة توبيخ للأنبياء الكذبة والسالكين وراءهم، كما قدمت كلمة تشجيع لتغوية من لهم إيمان بمواعيد الله. وى البعض أن ما ورد هنا هو من ذاكرة باروخ.

1. رسالة إلى المسيبين [1-23].

2. رسالة إلى شمعييا [24].

3. رسالة من شمعييا إلى صفنيا [25-29].

4. رسالة إلى المسيبين [30-32].

1. رسالة إلى المسيبين:

"هذا كلام الرسالة التي أرسلها رميا النبي من أورشليم إلى بقية شيوخ السبي وإلى الكهنة والأنبياء وإلى كل الشعب الذين سباهم نبوخذنصر"

من أورشليم إلى بابل،

بعد خروج يكيئا الملك والملكة والخصيان ورؤساء يهوذا وأورشليم والنجارين والحدادين من أورشليم.

بيد العاسة بن شافان وجمريا بن حلقيا اللذين أرسلهما صدقيا ملك يهوذا إلى نبوخذنصر ملك بابل إلى بابل قائلًا... [1-3].

واضح أن البابليين لم يمنعوا أية اتصالات بين المسيبيين والذين بقوا في يهوذا وإسرائيل، ووى بعض الدرسين أن البابليون لم يملسوا أية وحشية ضد المسيبيين.

هذه الرسالة موجهة إلى "بقية الشيوخ" مما يشير أن بعض الشيوخ قد ماتوا في السبي أو قتلوا أو سجنوا ربما بسبب بعض الاضطرابات المُشار إليها في [21-22]. وإن كان البعض يستبعدون حدوث قتل للشيوخ. معنى كلمة "الشيوخ" *yeter* "هنا غير أكيد، ربما يُقصد بها البلزيين أو الرؤساء [525]."

وُجّهت الرسالة أيضا إلى الخصيان، وهم فئة تشير إلى جماعة العاملين في القصر خاصة في قسم النساء، يُستخدم هذا اللقب على كل رجال القصر الرسميين (25: 52؛ 1 صم 8: 15؛ تك 1: 39) وأصحاب العواكر الكبيرة حتى إن كانوا متزوجين، ففوطيفار الخصي كان متزوجًا. أُرسلت الرسالة مع العاسة بن شافان ربما أخ اخيقام بن شافان الذي هب لنجدة رميا النبي في وقت الشدة (26: 2) وجمريا بن حلقيا (36: 10، 25 الخ) وهو غير جمريا بن شافان الكاتب، الكل من عائلات كهنوتية لعبت دورًا هامًا في الإصلاح أيام يوشيا الملك. وكانا صديقين لإرميا ومتعاطفين معه في دعوته ورسالته (26: 24؛ 36: 10، 25 الخ)، كان عملهما بالنسبة لنبوخذنصر فيه شيء من اللطف معه بجانب جمعهم الجزية السنوية له، أُرسلا إلى بابل لتأكيد ولاء صدقيا لنبوخذنصر بعد أن ظهرت حركة تمرد بين الأمم التي في الغوب (ص 27). كان هذان الرسولان مبعوثين من صدقيا المتمود للتفاوض مع الحاكم البابلي، إلا أنهما حملار رسالة من ملكٍ أعظم جدًا من هذا وذاك، من رب الجنود، هذا الذي يتنزل للاتصال بشعبه المسيبي على هذا النحو [526].

حملت الرسالة كلمات تشجيع لتثبيت إيمان المسيبيين، وفي نفس الوقت حملت توبيخًا للأنبياء الكذبة الذين دأبوا على تقديم آمالٍ زائفةٍ. فمن جهة التشجيع كتب رميا النبي:

"هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل لكل السبي الذي سبيته من أورشليم إلى بابل.

ابنوا بيوتًا واسكنوا واغرسوا جنات واكلوا ثمرها.

خنوا نساء وولوا بنين وبنات، وخنوا لبنيتكم نساء، وأعطوا بناتكم لرجال فيلدن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقلوا.

واظلوا سلام المدينة التي سبيتكم إليها،

وصلوا لأجلها إلى الرب، لأنه بسلامها يكون لكم سلام" [4-7].

أ. جاءت الرسالة تتأشدهم بقبول الضيقة بكونها من يد الرب، وعوض محاولة استعجال النجاة قبل الأوان المحدد يُؤمهم بالخضوع لبابل وأن يملسوا حياتهم اليومية بطريقة طبيعية في استتارٍ ما استطاعوا [5-6]. وأن ينتظروا في خضوعٍ لله لكي ينفذهم في الوقت المناسب، لأن السبي مستمر ولن ينتهي في عامين كما ادعى الأنبياء الكذبة. وأن عبادتهم لله الحي تستمر في البلد الغريب في غيبة الهيكل والذبائح (7: 1-15؛ 21، 22). بمعنى آخر كان غاية الرسالة ألا ينشغلوا بالعودة بل بالتوبة والعبادة حتى يأتي وقت الرجوع في الزمن المحدد.

يبدو أنه قد حل بالمسيبيين في البداية حالة كآبة لشعرهم بأنهم خطأ أكثر من كل الذين بقوا في أورشليم، لذلك كتب إليهم النبي ليهبهم نوعًا من التغزية خلال تحقيق مواعيد الله والخضوع للخطة الإلهية.

لا بد أن كثيرين من الشبان المسيبيين كانوا غير متزوجين، فحثهم رميا على الزواج، لكنه لا يعني بهذا الزواج بالبابليات.

إن كان رميا النبي قد طلب منهم أن يبنيوا بيوتًا ويغرسوا جنات ويتزوجون كعلامة على استتوارهم زمنًا طويلاً، لكنه لم يطلب منهم أن

يمرسوا حياة الفرح والتهليل، لأن فِزّة سببهم إنما هي فِزّة توبة للرجوع إلى الحضن الأوي.

ب. يؤكد لرميا النبي أن هذه الرسالة مقدمة من "رب الجنود إله إسرائيل" [4]. فلم يكن لرميا إلا مجرد كاتب أو ناسخ لها. كان مويحًا لهم أن يسموا ان إلههم هو "رب الجنود" لم يدفعهم إلى السبي ليوتركهم، لكنه قادر على خلاصهم ومساندتهم، وهو الإله الذي دخل مع شعبه في ميثاق. فإن كان لم يُسر بهم بسبب خطاياهم لكنه ينتظر توبتهم ليردهم إليه.

ج. إن كان يؤكد: "كل السبي الذي سببته" [4]، "المدينة التي سببتم إليها" [7]، فإنه هو الذي سمح بالسبي ويسمح بالعودة في الوقت المعين! بمعنى آخر ما حدث لهم ليس لضرهم ولا حدث اعتبارًا، بل لخوهم وبخطة إلهية.

د. سمع صدقيا برسالة هذه الرسالة إلى المسبيين نون أن يقولها، ربما إذ مات حننيا (28: 17) شعر الملك بخطر مقاومة النبي، أو لكي بطريق غير مباشر يؤكد للشعب عدم عودة يكنيا من السبي.

هـ. إذ جاءوا إلى بابل بسماع إلهي يليق بهم أن يصلوا لأجل خير مملكة بابل وثباتها [7]، فقد صاروا كجزء منها.

يطلب منهم أن يصلوا حتى عن سلامة الدولة التي سببهم. إنه أمر مدهش بالنسبة لشعب أمتصت كل أفكارهم وطاقاتهم في أرض الموعد، لكنها وصية عملية لشعب يبقى 70 عامًا في أرض السبي. يمكننا القول أن ما ورد هنا هو تنوق سابق للفكر الإنجيلي الخاصة بمحبة الأعداء والخضوع للولايات أيا كانت كما جاء في رسالة القديس بطرس الأولى: "أخضعوا لكل ترتيب بشوي من أجل الرب: إن كان للملك، فكمّن هو فوق الكل؛ أو للولاية، فكموسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير؛ لأن هكذا هي مشيئة الله: أن تفعلوا الخير، فَنُسَكِتُوا جهالة الناس الأغبياء، كأحرار، وليس كالذين الحرية عندهم سؤة للشر، بل كعبيد الله" (1 بط 2: 13، 16). وفي رسالة القديس بولس لتلميذه تيطس: "ذُكِرَهم أن يخضعوا للولايات والسلطين" (تي 3: 1)، وفي رسالته إلى تلميذه تيموثاوس: "فأطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات وابتهاالات وتشكوات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار" (1 تي 2: 1-2).

وي القديس أغسطينوس في هذه العبارة التّوام الكنيسة والمسيحي بالصلاة من أجل المسؤولين، حتى في السبي، يُصلي المؤمنون لأجل سلامة الدولة حتى يقضوا حياة هادئة مطمئنة كقول الرسول بولس (1 تي 2: 2).

يقول العلامة توتليان : [بخصوص الكرامات الواجبة للملوك والأباطرة، لدينا نص كافٍ أنه يليق بنا أن نكون في تمام الطاعة وذلك كوصية الرسول (تي 3: 1)... ولكن حدود الطاعة في هذا أن نحفظ أنفسنا منغزلين عن عبادة الأوثان. ولنا في هذا مثال الثلاثة فنية، الذين مع طاعتهم للملك نيوخذنصر لردوا بتقديم التكريم لتمثاله، فلم يقبلوا العبادة له... هكذا أيضًا كان دانيال خاضعًا لدربوس في كل الأمور، ثابتًا في واجبه مادام بعيدًا عن أساس إيمانه (دا 6) [528].

يبدو أن بعض المسيبيين التجؤا إلى بعض العوافين لتحقيق الأحلام، لكن الله حوهم من ذلك.

"لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

لا تغشكم أنبيأؤكم الذين في وسطكم وعوافؤكم،

ولا تسموا لأحلامكم التي تتحلّمونها.

لأنهم إنما يتنبأون لكم باسمي بالكذب.

أنا لم أرسلهم يقول الرب" [8-9].

يُليق بنا أن نحمل روح التمييز فنمتحن ادعاءات الكاذبين بواسطة كلمة الله وخلال ثملهم، فرفض الذين يستبدلون الإعلان الإلهي بأحلامهم

الصاورة عن رغبات قلوبهم العاصية.

أكدت الرسالة العودة بعد سبعين عامًا.

"لأنه هكذا قال الرب:

إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بوجدكم إلى هذا الموضع.

لأنني عرفت الأفكار التي أنا مفتكر بها عنكم يقول الرب،

أفكار سلام لا شر، لأعطيكم آخرة ورجاء" [11-14].

وضع الله خطة معينة لشعبه وفي رُمنة محددة لديه؛ هي لسلامهم لا لضرهم، تبعث فيهم رجاءً في المستقبل [11]. وكما يقول المثل: "ما أكرم أفكرك يا الله عندي! ما أكثر جملتها! إن أحصها، فهي أكثر من الرمل، استيقظت وأنا بعد معك" (مز 139: 17-18). لكن يؤمننا أن نترك أن خطة الله غير خطتنا، وأفكره ومقاييسه غير أفكارنا ومقاييسنا. وكما يقول: "أفكري ليست أفكاركم، ولا طرقكم طريقي... لأنه كما علت السموات عن الأرض، هكذا علت طريقي عن طرقكم، وأفكري عن أفكاركم" (إش 55: 8-9). حقًا قد تدخل بنا خطته إلى الطريق الضيق لنحمل الصليب ونقبل الألم، لكنه حتمًا يدخل بنا إلى مجد قيامته كملجأ آمن منشود. إنهم لا يجدون رُضهم التي أنوعوا منها فحسب، وإنما يجدون الله نفسه ملكًا لهم، يقتوه فيود سبيهم ويجمعهم من كل الأمم ومن كل موضع طُوبوا إليه.

إن كان تمام السبعين عامًا حيث ينتهي السبي يشير إلى ملء الأمانة حيث جاء مسيحا يعلن: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكون أحرارًا"، فبمجيئه نطلب الأب فنجده فينا، حيث تمت مصالحتنا واتحادنا معه في ابنه الوحيد خلال الصليب. لقد غير مسيحا قلبنا، وها هو يجدده بروحه القدس، فنطلب الله بكل قلوبنا بكونه شهوة نفوسنا. بهذا يتحقق الوعد الإلهي:

"فتدعوني وتذهبون وتصلون إلي فأسمع لكم.

وتطلبونني فتجدونني، إذ تطلبونني بكل قلبكم.

فلأوجد لكم يقول الرب،

وأرد سبيكم وأجمعكم من كل الأمم ومن كل المواضع التي طردتكم إليها يقول الرب وأردكم إلى الموضع الذي سببتكم منه" [12-13].

يطلبون الرب بكل قلبهم، أي بكل حبههم وإرادتهم وطاقتهم، لذا يجدونه حاضرًا في وسطهم [13]؛ (عا 5: 4-6؛ هو 2: 16-20). يزع عنهم روح التمرد والعصيان فيوجد بينهم! كأن الله يقدم لهم تجديدًا للعهد بشروط الطاعة له.

ربما ظن بعض اليهود أن الله لا يسمع لهم لأنهم مستبعدون من مدينة الله، أورشليم، ومن هيكله. هنا يؤكد رميا النبي أن الله يطلب القلب لا المكان. كانوا في الأرض المقدسة والمدينة المنسوبة له وهيكله الفريد في ذلك الحين ومع ذلك بسبب فساد قلوبهم لم يسمع لهم، والآن في أرض غريبة وثنية إذ يصرخون من كل القلب بالتوبة ينصت إليهم لودهم.

نطلب الله بالقلب (الفم الداخلي)... فحين يتكلم القلب يتكلم الإنسان كله، نطلب الله بتقديس كل الأعضاء والحواس التي تتعلم كيف تتحدث مع القنوس. لذلك يقول رب المجد: "ليس كل من يقول يارب يارب يدخل ملكوت السموات".

يؤكد الله لشعبه أنه هو غاية طلبهم، قائلاً:

"تطلبونني فتجدونني، إذ تطلبونني بكل قلبكم.

فلأوجد لكم يقول الرب".

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم بين الرسول بولس وأبينا إواهم حاسبًا الأول أعظم من جهة الترك... ترك حتى الاشتياق إلى السماء من أجل حبه للسيد المسيح.

[تقول إن كل البشر يعظمون إواهم لأنه ترك بيته وبيت أبيه وأقرباءه حين سمع الوصية: "أوام، أتوك مدينتك (أرضك) وبيت أبيك" (تك 12:

1). لقد أمره الله بهذا، وكان هذا يعني كل شيء بالنسبة له. حقًا فإننا نحن أيضا نعجب منه. لكن هل هذا يجعله مثل بولس؟ لم يتوك بولس بيته وبيت أبيه

و نوبه فحسب بل ترك العالم ذاته لأجل يسوع، بل بالأكثر أهول ترك السماء ذاتها . لم تشغل سماء السموات قلبه، إذ كان هدفه الوحيد هو حب يسوع. لنسمع كلماته الواضحة في هذا الصدد: "لا أمور حاضرة ولا مستقبله، ولا علو ولا عمق تستطيع أن تفصلنا عن محبة المسيح " (رو 8: 38-39).
"لأنكم قلتم قد أقام لنا الرب نبيين في بابل.

فهكذا قال الرب للملك الجالس على كرسي داود ولكل الشعب الجالس في هذه المدينة إختكم الذين لم يخرجوا معكم في السبي.
هكذا قال رب الجنود:

هأنذا أرسل عليهم السيف والجرع والوبأ وأجعلهم كتين رديء لا يؤكل من الرداءة.
وألحقهم بالسيف والجرع والوبأ،

وأجعلهم قلقاً لكل ممالك الأرض حلفاً ودهشاً وصفواً وعلاً في جميع الأمم الذين طردتهم إليهم" [15-18].

إذ تحدث عن الباقيين في يهوذا أشار إلى الملك بقوله: " الملك الجالس على كرسي داود" [16] ، ليؤكد لهم أن بقاء الملك على كرسي داود لا يعني رضا الرب عنه. فقد قيل عن نسل داود: "إن ترك بنوه شريعتي ولم يسلكوا بأحكامي... افتقد بعضا معصيتهم وبضربات إثمهم، أمارحمتي فلا أزعها عنه ولا أكذب من جهة أمانتي؛ لا انقض عهدي ولا أغير ما خرج من شفتي" (مز 89: 30-34).
بمعني آخر، يقول لهم إنني أرسل السيف والوباء والجرع علي الملك والشعب الباقي معه، ثم أطودهم إلى كل الأمم. سيكون حالهم أشر مما أنتم عليه!

ربما يتساءل البعض: لماذا أطال الله مدة السبي لتبلغ السبعين بينما نادى الأنبياء الكذبة بأنها لن تتعدى السنتين؟ هذا لا يعني أن الأنبياء الكذبة أكثر حناناً بالشعب من الله، لكن ما يهيم الأنبياء الكذبة هو تهدئة النفوس ولو على حساب خلاصها وأبديتها، أما ما يهيم الله فهو خلاص شعبه وأبديته. لم تكن مدة العامين كافية ليفحص الشعب نفسه ويترك فساده ليتوب. هذا وقد أنجبت هذه الفترة الطويلة رجالاً لله شهوداً أمناء أمام الأباطرة والشعب الغريب الجنس، مثل دانيال النبي والثلاثة فتية القديسين ومودخاي وإستير ونحميا وعزرا والأعداد الواجعة إلى اورشليم في غوة ونقلوة قلب.

"من أجل أنهم لم يسموا لكلامي يقول الرب إذا أرسلت إليهم عبيدي الأنبياء مبكراً وموسلاً ولم تسموا يقول الرب" [18-19].

لم يتوقف الله عن إرسال عبيده الأنبياء لتحذوهم، إنه يكرر الرسالة طالباً توبتهم. ويكرر القديس يوحنا الذهبي الفم حديثه عن "عدم القسم" مرراً وتكرراً معتمداً على هذه العبارة [19] حيث يكرر الله نصحه لشعبه مرراً وتكرراً عبر الأجيال.

❖ ريد أن أحدثكم مرة أخرى عن موضوع "القسم"، لكنني أشعر بالخجل. حقيقة بالنسبة لي لا أمل عن أن أتحدث نهلاً وليلاً لأكرر نفس الأمر إليكم. لكنني أخشى إذ أصنع هذا الأيام كثرة أبدو أنني أدينكم على إهمالكم الشديد...

لست فقط أخجل بل أيضاً أخاف عليكم، فإن التعليم المستمر للذين يأخذون الأمر بجدية نافع ومكرم، أما بالنسبة للمتلهونين فضار وخطير للغاية. كلما سمع الشخص أكثر اقتراباً بالأكثر إلى عقاب أشد إذا لم يملس ما قيل له. لهذا يوبخ الله اليهود قائلاً: " إذ أرسلت إليهم عبيدي الأنبياء مبكراً وموسلاً ولم تسموا" [19].

[529]

نحن نصنع هذا معكم لاهتمامنا العظيم بكم. لكننا نخشى أن يصير هذا النصح وهذه المشورة ضدكم في اليوم الرهيب .

القديس يوحنا الذهبي الفم

وأنتم فاسموا كلمة الرب يا جميع السبي الذين أرسلتهم من اورشليم إلى بابل.

هكذا قال رب الجنود إله إسوانيل عن آخاب بن هولايا وعن صدقيا بن معسيا اللذين يتنبآن لكم باسمي بالكذب.

هأنذا أدفعهما ليد نيوخذنصر ملك بابل فيقتلها أمام عيونكم.

وتؤخذ منهما لعنة لكل سبي يهوذا الذين في بابل فيقال يجعلك الرب مثل صدقيا ومثل آخاب اللذين قلاهما ملك بابل بالنار.

من أجل أنهما عملاً قبيحاً في إسرائيل وزنيا بنساء أصحابهما وتكلما باسمي كلاماً كاذباً لم أوصهما به وأنا العرف والشاهد يقول الرب

[20-23].

إن كان الله يرد المسبيين بعد توبتهم ورجوعهم إليه بكل قلوبهم فهو أيضاً يؤدب الذين بقوا في يهوذا، الذين لم يسمعا لصوته خلال أنبيائه. إنهم التين الوديء جداً الذي لا يؤكل بسبب رذائته (ص 24).

عاد ليتحدث عن الأنبياء الكذبة الذين سؤوا، محدداً بالاسم أخاب بن ثولايا وصدقيا بن معسيا، هذان اللذان تكلما بالكذب فسبياً في عام 597 ق.م؛ وعض التوبة لتكبا الزنا مع نساء أصحابهما، فرتبط فساد كلامهما بفساد سموتهما، فاستحقا أن يقلبهما نوخذ نصر بالنار ليصوا عوة ومثلاً للجنة! استخدمت عقوبة "القلي" أو "الإلقاء في النار" أحياناً خلال تقديس الوثنيين للنار، كأنهم يقدمون ذبائح بشرية فيها.

ان الشخصين المذكورين هنا لم نسمع عنهما في غير هذا المكان. ولعلّ رميا لم يعرفهما شخصياً، بل سمع عنهما في رسالة من الوسائل التي وردت إلى أورشليم من المسبيين.

وي القديس جيروم أن هذين النبيين الكاذبين يشوان إلى الذين هم خزل الكنيسة، الذين يحرقهم عدو الخير كما بالنار، فيقلبهما، لكنه لا يكف عن محاربة الذين في الداخل لكي يفسد كنيسة المسيح، إذ يقول: [لا يتطلع الشيطان إلى غير المؤمنين فإن هؤلاء في الخزل يحرقهم الملك الأشوري في الأتون [22]، وإنما إلى كنيسة المسيح إذ يوسع ليفسدها (إش 8: 1)، وكما جاء في حبقوق أن "طعامه من المختار" (حب 1: 16) (السبعينية) [530].

2. رسالة إلى شمعياء:

تحدث رميا إلى ثلاث مجموعات:

الذين أخذوا إلى السبي (10-14)؛

والذين لحقوا بهم بعد ذلك (15-29)؛

ثم الأنبياء الكذبة في بابل (20-23)،

وأخيراً رسالة خاصة إلى نبي كاذب يدعى شمعياء.

كان لرسالة رميا النبي إلى المسبيين أثرها عليهم، كما سببت حالة ثورة وغضب شديد خاصة بين الأنبياء الكذبة هناك، فهاجموها بعنف.

بعث رميا رسالة إلى نبي كاذب سبي عام 597 ق.م يدعى شمعياء النحلامي الذي أرسل رسائل إلى الشعب وإلى صفنيا بن معسيا الكاهن وكل

الكهنة يثوهم ضد رميا النبي، ويحتج لدى السلطات في أورشليم على رسالة رميا بالقبض عليه ومحاكمته. لا نعرف شيئاً عنه، ربما كان موطنه نحلام

وهي غير معروفة أم لا. ربما دُعي النحلامي لأنه كان من الحالمين إذ كان يدعي أن الله يتحدث إليه خلال الأحلام؛ أو لأنه لقب خاص بأسوته.

لم يرسل شمعياء إلى رميا النبي ليبرر موقفه أو يعلن توبته إنما كتب ليثير الكل ضده... كتب كصاحب سلطان بروح العجرفة والكبرياء.

3. رسالة من شمعياء إلى صفنيا:

«وكلم شمعياء النحلامي قائلاً:

هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلاً:

من أجل أنك أرسلت رسائل باسمك إلى كل الشعب الذي في أورشليم، وإلى صفنيا بن معسيا الكاهن وإلى كل الكهنة قائلاً:

قد جعلك الرب كاهناً عوضاً عن يهوياذاع الكاهن لتكونوا وكلاء في بيت الرب لكل رجل مجنونٍ ومتنبئٍ فتدفعه إلى المقطرة والقيود.

والآن لماذا لم توجر رميا العناووثي المتنبئ لكم؟!!

لأنه لذلك أرسل إلينا إلى بابل قائلاً إنها مستطيلة.

ابنوا بيوتاً واسكنوا واغرسوا جنات واكلوا ثمرها.

فقأ صفييا الكاهن هذه الرسالة في أذني رميا النبي " [24-29].

كان صفييا في ذلك الوقت رئيساً لحرس الهيكل. لا نعرف شيئاً عن "صفييا" ولا عن يهوياذاع (آية 26) وغورهما على وجه التحقيق، لكنهم كانوا بلا شك معروفين تماماً للقواء والسامعين في ذلك الزمن.

لم يرسل شمعييا باسم الله بل باسمه الشخصي متهماً رميا أنه قد بعث روح الاستكانة والخوف وسط المسيبين، إذ طالبهم أن يبنا بيوتاً ويغرسوا جنات كمن هم مستقرين في بابل.

ليس عجباً أن يتهم النبي الكاذب رجل الله الحقيقي بأنه قد عين نفسه بنفسه.

كتب شمعييا إلى صفييا ليثوه حاسباً أن الله أقامه عوض يهوياذاع لا لشيء إلا ليضطهد أنبياء الله الحقيقيين مثل رميا الذي حسبه رجلاً مجنوناً. هكذا كان الأثوار يحسبون الأنبياء الحقيقيين مختلي العقل (2 مل 9: 11، أع 26: 24؛ 2: 13، 15، 17، 18). كان رميا رمزاً للسيد المسيح الذي أتهم هكذا من أوبائيه أنه مختل العقل (يو 10: 20).

لم تصلنا بقية رسالة رميا لشمعييا، ولكن ما وصل إلينا هو ملخص رسالة شمعييا لصفنيا، وقام الأخير بوعايتها علانية أمام رميا، ربما لتحذوه من شمعييا.

4. رسالة إلى المسيبين:

ثم صار كلام الرب إلى رميا قائلاً:

رُسل إلى كل السبي قائلاً:

هكذا قال الرب لشمعييا النحلامي:

من أجل أن شمعييا قد تنبأ لكم وأنا لم أرسله وجعلكم تتكلمون على الكذب،

لذلك هكذا قال الرب:

هأنذا أعاقب شمعييا النحلامي ونسله.

لا يكون له إنسان يجلس في وسط هذا الشعب،

ولا يوى الخير الذي سأصنعه لشعبي يقول الرب،

لأنه تكلم بعصيان على الرب" [28-32].

كتب رميا إلى المسيبين بخصوص النبي الكاذب شمعييا بعبارات تقرب ما كتبه عن حنانيا (28: 15-16)، فقد حُرّم من الخير النهائي، أي عودة البقية الأمانة إلى يهوذا والتي كان يمكن أن تشملها هو وبيته. لم يصدر هذا الحكم من رميا كوغبة في الانتقام الشخصي، إنما هو حكم إلهي صادر من أجل الشعب كله، وما على النبي إلا إعلانه.

قد نستغرب من صوامه رميا في ردّه على مكتوب شمعييا [31]، لكن ذلك كان بناء على أمر إلهي، لكن لا يجوز لنا أن نود هكذا على مقولمينا، ولا أن نرجو لهم شراً أو موتاً سريعاً (مت 5: 44).

إسندني في أرض السبي!

- ❖ أدبت شعبك بالسبي البابلي،
وفي حبك لم تتجاهلهم!
بعثت إليهم رسالة خلال نبيك لرميا تطمئنهم،
- ❖ لأسمع صوتك في أرض السبي وأقبل رسائلك!
علمني أن أشعر بالاستقرار مهما طاللت أيام غوبتي،
لأستريح فيك، فأنت وحدك راحتي.
أعيش كما في وادي الدوع،
لكنك تمد يدك لتمسح كل دموع من عيني!
- ❖ هب لي القلب المتسع فأصلي،
أصوخ في أعماقي حتى أتمم أيام السبي بسلام،
أصلي لأجل الذين حولي...
حقاً ليتسع قلبي بالحب حتى نحو مضايقي!
- ❖ هب لي ألا يكون السبي علة للتذمر،
ولا مجالاً للانحراف،
بل فرصة للتوبة والرجوع إلى أحضانك.
اشتهد أن أتحرك لا من أرض السبي بل من عبودية العدو!
أنطلق لا إلى أرض يهوذا،
بل إلى أحضان الآب.
اشتهد الهيكل غير المصنوع بيد بشوية،
أتمتع بالشوكة مع طغمات السماءيين!
- ❖ أخوياً أكرر صواخي إليك:
اسندني في أرض السبي!
هب لي حياة الشكر الدائم!
هينني بروحك القنوس للحياة المجيدة!



"العودة وقيام مملكة يهوذا"

تقطع هذه الأصحاحات التسلسل التاريخي لسير الأحداث التي يذكرها باروخ الكاتب، وهي تمثل مجموعة من أهوال النبي مأخوذة من مواعيل مختلفة من خدمته. تسمى هذه الأصحاحات الأربع "سفر تعزية"، يمكن أن تُدعى "تسبحة نصوة الخلاص والحرية"، تعبر عن الرجاء المستقبلي أكثر منها الحكم والتأديب كما جاء في الأصحاحات السابقة.

مع تحذوات لميا المستورة ودموعه التي لا تجف وتأكيده للسبي لم يفرق الرجاء كلماته قط، فبالنسبة له لم تكن العقوبات غاية أو نهاية لأحاديثه بل وسيلة للكشف عن الدخول في علاقة جديدة مع الله وعهد جديد. يبقى الله أميناً في مواعيده وغني في نعمته، يود أن يفيض بها على المؤمنين في الوقت المناسب، خاصة بعد عبور زمن التأديب.

جاءت مقدمة هذه الأصحاحات (30: 1-3) تحمل نغمة الغواء المملوء فحاً، أما قمتها ففي (31: 31-34).

إن كانت العقوبات قد وُجّهت ضد يهوذا لكنه يوجه الغواء إلى إسرائيل ويهوذا معاً (30: 4)، يقدمه في شيء من التفصيل لكي ينشغل به المؤمن في لحظات التأديب فلا يسقط في حالة قنوط بل يمتلئ رجاءً في الرب.

يعلن الله لنبية كما لكل نفس مقدسة عن مقاصده من جهة شعبه، حتى تطمئن وتستريح في الرب، متركة أنه دائماً يعمل لبنيان كنيسته ومجدها

الأبدي.

<<

الأصحاح الثلاثون

عودة مجيدة

وي البعض أن هذا الأصحاح والذي يليه جاء في وقت مبكر عن الأصحاحين (32، 33)، اللذين ينتسبا إلى السنة العاشرة من ملك صدقيا.

كُتِبَ لِيُحْفَظَ لاسْتِخْدَامِهَا فِي وَقْتٍ مَتَأَخَّرٍ . [531]

- 1 . مقدمة لسفر التعزية [1-3].
- 2 . كلثة يعقوب وخلصه [4-11].
- 3 . شفاء جراحات صهيون [12-17].
- 4 . اصلاح يعقوب [18-22].
- 5 . اواك مقاصد الله [24-23].

1 . مقدمة لسفر التعزية:

"الكلام الذي صار إلى لميا من قبل الرب قائلاً:

هكذا تكلم الرب إله إسرائيل قائلاً:

اكتب كل الكلام الذي تكلمت به إليك في سفر.

لأنه ها أيام تأتي يقول الرب ورُد سبي شعبي إسرائيل ويهوذا يقول الرب،

ورجعهم إلى الأرض التي أعطيت آباءهم إياها فيمتلكونها" [1-3].

مقدمة كتبها جامع هذه النوات، توى الموضوع الرئيسي للرجاء في التجديد والاصلاح للوردين في الأصحاحات (30-33).

صدر الأمر الإلهي لإرميا أن يسجل ما يسمعه من الله في كتاب ، لكي توأه الأجيال القادمة، فمن جانب إذ يتحقق التحرر من السبي بعد السبعين عامًا ترك الأجيال أمانة الله في وعوده التي ظنها البعض مستحيلة. ومن جانب آخر فإن هذا السبي يمس حياة البشرية عبر العصور... الكل محتاج أن ينصت إلى وعود الله بالتحرر من سبي الخطية، والانطلاق من بابل الوثانية إلى أورشليم الداخلية، أي يتحول القلب من الفساد إلى بر المسيح.

يستخدم تعبير: "ها أيام تأتي" [2] في النوات عن الأحداث المقبلة سواء في المستقبل القريب أو الأحداث الأخروية [532].

جاء النص العوي لقوله "رد سبي شعبي" [3]. لتقديم بركات أو نعم للشعب، وليست بالضرورة عتق من السبي وذلك كما في (أيو 42: 10، حز 16: 53).

الوعد موجه للمملكتين الشمالية (إسرائيل) والجنوبية (يهوذا)، إذ ذابا معًا في السبي وعادا كشعب واحد، وصار الكل تينًا جيدًا جدًا (ص 24). لعله من خطة الله في السبي أنه إذ انقسم الشعب إلى مملكتين، لم يكن هناك طريق للوحدة إلا من خلال نير السبي.

لم يقف الوعد عند عودة الشعب في وحدة إلى أرض آبائهم، وإنما صاروا "يمتلكونها" [3]. ماذا يعني بقوله: "يمتلكونها"؟ حقًا إنها أرض الموعد، هبة الله لهم، لكنه يؤكد لهم أنهم يمتلكونها لا تمتلكهم . فقد عاش اليهود خلال الفكر الحرفي تمتلكهم الأرض، تشغلهم أرض الموعد ككل ومدينة الله أورشليم وهيكله... لا ليتمتعوا بسكنى الله القنوس في وسطهم فيتقدسون، وإنما لممارسة العبادة بحرفية قاتلة، حتى إن اختلطت عبادتهم بالعبادة الوثنية أو الرجاسات. لذلك يؤكد الله لهم: "تملكونها" أي تكون هذه العطايا الإلهية بمقدساتها لخدمتكم، أي لتقديس أعماقكم. يريدنا أن نكون ملوكًا مقدسين نحمل سلطانًا روحيًا.

2 . كلثة يعقوب وخلصه:

'فهذا هو الكلام الذي تكلم به الرب عن إسرائيل وعن يهوذا.

لأنه هكذا قال الرب:

صوت ارتعاد سمعنا. خوف ولا سلام.

اسأوا وانظروا إن كان ذكر يضع.

لماذا رى كل رجل يده على حقيقه كماخض وتحول كل وجه إلى صفة.

آه! لأن ذلك اليوم عظيم وليس مثله.

وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه" [4-7].

بوجه حديثه إلى إسرائيل ويهوذا، فيبدأ بإسرائيل لأنه سبي أولاً، وبالتالي تكون فترة سبيه أطول مما ليهوذا.

بينما ينادى الأنبياء الكذبة أنه سلام وأمان، إذا بالنبي يعلن أنه " صوت ارتعاد... خوف ولا سلام" [5]. وي البعض أن "صوت الارتعاد" [5]

يشير إلى ما حدث من كورش على بابل، فقد حدث ارتباك شديد، ولم يترك الشعب الأسير ماذا سيكون مصوره. هل هذه الحرب لصالحه أم ضده؟! هل

يفقد ما قد جمعه في بابل أم يعطيه فرصة للعودة إلى أرض الموعد؟! دخل يعقوب في ضيق حين هاجمت جيوش مادي وقرس بكل طاقتها البابليين

ولم يترك يعقوب أنه يوم خلاص له بواسطة كورش الفارسي.

من هول الكلثة مع العجز عن التصرف وضع كل رجل يديه على حقيقه كإمرأة في حالة مخاض، وقد صلت وجوههم شاحبة. ترمز حالة

المخاض في إرميا إلى شدة الكلثة (4: 31؛ 6: 24؛ 22: 23). هكذا يصور آلام السبي بالأم الولادة، فهي وإن كانت مرّة وقاسية، لكنها مقدمة لخلص

الله (عا 5: 18-20؛ صف 1: 14-18).

جاء الحديث عن الضيق مقتضب جداً، لأنه حدث لفظة قصوة تلاه خلاص وعودة للشعب. وكأنه آلام مخاض سويح يليه فوح بالطفل المولود.

يقول: " اسأوا وانظروا" [6] ، فإن خلاص الله لم يُسمع مثله من قبل، وكما أننا لا نجد ذكراً يئن من آلام مخاضٍ ليلد، هكذا تكون الضيقة فريدة والخلاص غير متوقع! حينما نتفك كل حكمة بشوية وتوقع إنساني يعمل الله إله المستحيلات عجائب!

يُقدم لنا الخلاص في هذا الأصحاح هكذا:

أ. تمتع بالحرية من نير الخطية [8].

ب. تمتع بدود الملك [9].

ج. السلام والراحة [10].

د. المعية مع الله [11].

هـ. تحويل التأييب إلى خلاص [11].

و. شفاء الجراحات عديمة الوء [12-17].

ز. إقامة مدينة متهللة نامية [18-23].

أ. تمتع بالحرية من نير الخطية [8]:

"ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود أي أكسر نوه عن عنقك وأقطع ربطك ولا يستعبده بعد الغباء" [8].

يقدم هذا الوعد الإلهي "رب الجنود" نفسه واهب الحرية، فهو يكسر النير عن عنقنا، ويقطع ربطنا، ولا يعود يستعبدنا غباء! لقد أكد السيد المسيح: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو 8: 36). حمل نير الصليب ليكسر نير خطايانا، وربط جسده على الصليب بالمسامير، لكي يحل رباطاتنا، ودفع حياته ودمه ثمناً كي لا نعود نُستعبد بعد للغباء.

ماذا يعني بقوله: "لا يستعبده بعد الغباء؟" حين نحني رقبتنا لمسيحنا الذي صار أخصاً بكراً ونستعبد أنفسنا بالحب لله أبينا، نستعذب هذه العبودية الإلادية التي تحملنا إلى شركة المجد الإلهي، تترع عنا علنا وضعفنا وفسادنا لنحيا مع الله في أحضانه. أما من رغب في التحرر من العبودية لله النابعة عن علاقات الحب، فإنه يستعبد نفسه لغباء كثيرين. لهذا يقول **القديس إرسانيوس** : كن عبداً لسيدٍ واحدٍ (الله) فلا تُستعبد لكثيرين! شتان ما بين عبودية الحب الإلادية لله والعبودية للخطايا ولإبليس وجنوده، هذه التي تدفع بالإنسان إلى الحرمان والهوان والمذلة!

ب. تمتع بدود الملك [9]:

"بل يخدمون الرب إلههم ودود ملكهم الذي أقيم لهم" [9].

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** " اعتاد الأنبياء أن يدعو كل واحدٍ من الملوك الصالحين داود". [\[533\]](#) كما يقول [\[534\]](#) إن كثير من الأنبياء (حز 34: 23-24؛ 27: 24-25، هو 3: 5) يتحدثون عن داود كقادمٍ وقائمٍ مرة أخرى، لا يعنون بهذا داود الذي مات بل أولئك الذين يبارون فضيلته... عظيم هو مجد الإنسان الذي مع الله ومع الناس!

هنا يعد بأن يملك داود على شعبه، بينما نعلم أنه لم يقم ملك قط من نسل داود بعد العودة من السبي. حقاً لقد تم الرجوع على يد زربابل من نسل داود لكنه لم يُقم ملكاً. لقد خضع اليهود لكورش الفارسي وإسكندر المقدوني ثم للدولة الرومانية... فأين داود الملك؟ إنه المسيا الملك (إش 9: 7، لو 1: 32). يتم الخلاص بمجيء ابن داود المسيا المخلص، يملك على النفس ويقم فيها مملكته بالخلاص.

إذ ترفض النفس أن يملك الله فيها يعطيها الله سؤل قلبها فتُستعبد لملوك غباء كثيرين، وينحني عنقها للنير أو الأتيار، وإذ ترجع للرب تجد الله

نفسه ملكها، والمخلص ابن داود وعاما الذي قيل عنه: "يعطيه الرب الإله كوسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لو 1: 32-33). هذا الذي يقيم خيمته الساقطة في داخل النفس، فيحولها من الخراب إلى مملكة داود المجيدة الموحية. هكذا يتحقق في داخلها الوعد الإلهي: "ها أيام تأتي يقول الرب، وأقيم لداود غصن بر، فيملك ملك وينجح ويحيا حقا وعدلا في الأرض" (23: 5). تخضع كل طاقات النفس والجسد للملك الحي داود، وتصير هذه الطاقات "بني إسرائيل الطالبين الرب إلههم، الخاضعين بالحب لداود ملكهم". وكما يقول هوشع النبي: "بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويؤعون إلى الرب وإلى جوده في آخر الأيام" (هو 3: 5).

ج. تمتع بالسلام والرحمة:

"أما أنت يا عبدي يعقوب فلا تخف يقول الرب،

ولا ترتعب يا إسرائيل،

لأنني هأنذا أخلصك من بعيد ونسلك من أرض سيبه فيرجع يعقوب ويظمن ويستريح ولا مزعج" [10].

إذ تخضع النفس لداود الملك، يحملها بكل طاقاتها من بابل ويدخل بها إلى مملكته، بل ويقوم منها مملكة سلام فاتق، لا يقدر عدو أن يقتحم أسورها أو ينهب آيينها المقدسة!

توَّجَّع النفس إلى حضن الأب بيتها الحقيقي بعد زمان تغريبتها، ووجع الرب إلى أعماقها، ويقوم مملكته التي تفيض سلامًا بغير توقف.

يلاحظ هنا [10] أنه يؤكد أن الخلاص الممَّوح لهم يُقدِّم لهم خلال نسلهم، لكي لا يظنوا أن العودة تتم في أيامهم بل في الأجيال القادمة، بل بعد إتمام السبعين عامًا.

مع عجز الإنسان التام عن الخلاص يتدخل الله ليخلص يعقوب من ضيقه، كاسوا نير السبي عن عنقه، هذا يتبعه الطاعة والخدمة لله وقبول الملك الجديد "المسيا" بكونه داود الملك [9] (هو 3: 5؛ حز 34: 23-24؛ 37: 24-25).

آلام السيد المسيح مع كونها قاسية وعنيفة لكنها نافعة وضرورية لخلاص البشرية.

هنا لأول مرة يشار إلى يعقوب بكونه "عبدى" ويُعرف بكونه "إسرائيل". يوجد تشابه هنا بما ورد في (إش 41: 8-10؛ 43: 1-6؛ 44: 2-5 الخ).

لعله كان أمام رميا النبي كلمات إشعيا النبي: "ويكون في ذلك اليوم أن حملة يزول عن كتفك ونوه عن عنقك ويتلف النير بسبب السماناة" (إش 10: 27).

يلاحظ هنا أن النوبة لم تشر قط إلى السبي البابلي وانهيلته وإنما إلى انهيار كل الأمم [11] التي يستخدمها الله لتأديب شعبه. إنها ليست نوبة خاصة بزمان معين لكنها كلمة الله التي تمس حياة الكنيسة عبر كل العصور، التي يؤدبها الله لكي تقبل عمله الخلاصي في حياتها حتى إن ظهرت كمن قد تبددت بين كل الأمم.

د. تحويل التأديب إلى خلاص:

"لأنني أنا معك يقول الرب لأخلصك.

وإن أفنيت جميع الأمم الذين بددتك إليهم فأنت لا أفنيك بل أؤدبك بالحق ولا أؤدبك تروثة" [11].

يجيب الأب ثيودور عن السؤال: لماذا يسمح الله بالضيق مؤكداً أنها إما لاختبار المؤمنين أو لإصلاحهم أو كعقوبة عن الخطايا... مقدماً لنا الحديث الإلهي هنا كعينة للسماح بالضيق لأجل التأديب: [عندما يؤدب أوله من أجل خطاياهم البسيطة (اللارادية) والهفات، لكي ما يسمو بهم إلى حالٍ أعظم من النقاء، مطوياً إياهم من الأفكار الدنسة... وذلك كالقول "كثوة هي بلايا الصديقين" (مز 34: 19)، "يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر

إذا وبخك، لأن الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله... فأبي ابن لا يؤدبه أبوه؟! ولكن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شوكاء فيه فأنتم نغول (ولاد غير شوعيين) لا بنون" (عب 12: 5-8). وفي سفر الرؤيا: "إلى كل من أحبه وأبغاه وأؤدبه"... ويصلي داود من أجل عطية التطهير هذه قائلاً: "هربني يرب وامتنحي، صفِ كليتي وقلبي" (مز 26: 2)، وإذ يعلم النبي قيمة هذه التجارب يقول: "أدبني يرب ولكن بالحق لا بغضبك" (10: 24)، وأيضاً: "احمدك يرب لأنه إذ غضبت علىّ ردت غضبك فتغريني" (إش 12: 1) [535].

حينما يتحدث الله عن ولاده يقول: " لا أفنيك بل أؤدبك"، أما بالنسبة للأمم فيقول "أفنيهم". كأن الله في تأديبه لنا يطلب خلاصنا ونمونا، لكنه يحطم الأمم (أي الخطايا) أو مملكة إبليس التي حتماً تتهار أمام مملكة الله!

3 . شفاء جراحات صهيون غير القابلة للوء:

"لأنه هكذا قال الرب:

كسركِ عديم الجبر وجرحكِ عظام.

ليس من يقضي حاجتك للعصر، ليس لك عقاقير رفاة.

قد نسيتك كل محبيك.

إياك لم يظلموا لأنني ضربتك ضربة عدوٍ تأديب قاسٍ،

لأن إثمك قد كثر وخطاياك تعاضمت.

ما بالكِ تصرخين بسبب كسركِ؟!

جرحكِ عديم الوء، لأن إثمك قد كثر وخطاياك تعاضمت قد صنعت هذه بك.

لذلك يؤكل كل آكلِك، ويذهب كل أعدائك قاطبة إلى السبي، ويكون كل سالبِك سلباً، وأدفع كل ناهبيك للنهب.

لأنني رأفتك وأشفيتك من جروحك يقول الرب:

لأنهم قد دعوكِ منفية صهيون التي لا سائل عنها" [12-17].

كانت هناك أسباب كثرة تدعو إلى اليأس، فقد حلَّ السبي، وصلرت جراحات الشعب غير قابلة للوء، لقد ضُربوا ضربةً مميتةً، وليس من طبيبٍ ماهر يقدر أن يعالج ولا من بلسان يشفي العوض... بقى طبيب واحد هو الله مخلص شعبه الصانع العجائب، إله المستحيلات الذي يقدم نفسه بلساناً لهم فيشفاهم. والعجيب أنه لا ينتظر من يدعوه أو من يأتي إليه ليعوض جراحاته، بل في حبه الباذل يتقدم من تلقاء نفسه [7] كطبيبٍ للنفس ومحررٍ لها. إنه يفتش عن المجروحين والمسبيين والمطرودين والعنولين... حين تقف كل الأنواع البشرية عاجزة تظهر يد المسيا المخلصة والشافية.

لكي يؤكد الحاجة إلى تدخل إلهي للإصلاح أوضح خطورة الموقف. إنها في حالة لا تُرجى إصلاحها، ولا يوجد من يهتم بها. جُرحت بسبب

خطاياها، ووسط هذه الجراحات فقدت حتى محبيها الذين اشتركت معهم في الخطايا... فلدادت الآلام آلاماً. وكما قيل في هوشع النبي: "رأى أوام

موضه ويهوذا جُرحه، فمضى أوام إلى آشور وأرسل إلى ملك عدوٍ ولكنه لا يستطيع أن يشفيكم ولا أن يزيل منكم الجرح" (هو 5: 13).

مصر التي شجعت يهوذا على التمرد أكثر من مرة لم تعد تسندها. ففي عام 588 ق.م. انسحب الجيش المصري أمام البابليين وسقطت أورشليم

بعد قليل (37: 1 الخ). إنه ليس من ينقذ غير الرب نفسه.

فجأة يتحول رميا من الحديث عن العقوبة والتأديب إلى إعلان الخلاص [15-16]. الله يستخدم نيوخذنصر عبده ليتمم مقاصده بتأديب شعبه

بعدئذ يأتي الوقت ليسلم بابل للدينونة. بهذا تصير الجراحات التي بلا شفاء قابلة للشفاء [17]، فإن الغير مستطاع عند الناس مستطاع لدى الله (مر 10:

لقد سمح الله بقيام بابل لتحطيم آشور، وقيام مادي و فرس لتحطيم بابل، وقيام اليونانيين (إسكندر المقدوني) لتحطيم فرس ومصر (فوعن) الخ... هكذا تنهار كل قوى العالم وتحطم بعضها البعض، أما النفس التي تلتصق بالله مخلص فتتال قوة فوق قوة، ومجدًا فوق مجد! الشفاء الروحي أحد المكونات الأساسية لعمل الله الخلاصي في المسيح (يوئيل 2: 25).

إذ تُشفي النفس من جراحاتها المستعصية وذلك بجراحات المصلوب لا تعود بعد تُدعى " منفية صهيون التي لا سائل عنها" [17]، بل المطلوبة، المدينة غير المهجورة" (إش 62: 12). تصير المحبوبة لدى الله والساكنة في أحضانه. كلمة "منفية" هنا تشير إلى زوجة مطرودة من رجلها أو مهجورة منه... الآن تعود كعروسٍ محبوبةٍ يلتصق بها رجلها، ويتحد معها. يتحدث الآباء عن السيد المسيح كطبيبٍ سموي قادر وحده أن يشفي الجراحات المستعصية:

❖ حقًا يود الطبيب السموي أن يكافئ التائبين المملوئين ندامة بل بالأحرى الأسخياء في العطاء، لا بتقديم المغفرة لهم فحسب بل والإكليل [536].

الأب قيصريوس أسقف آرل

4. اصلاح يعقوب:

" هكذا قال الرب:

هأنذا رُد سبي خيام يعقوب ورُحم مساكنه وتبني المدينة على تلها والقصر يسكن على عادته.

ويخرج منهم الحمد وصوت اللآعبين،

وأكثهم ولا يقتلون،

وأعظمهم ولا يصغرون.

ويكون بنوهم كما في القديم وجماعتهم تثبت أمامي وأعاقب كل مضايقيهم.

ويكون حاكمهم منهم ويخرج وإليهم من وسطهم وأقربه فيدينو إليّ، لأنه من هو هذا الذي رهن قلبه ليدنو إليّ يقول الرب،

وتكونون لي شعبًا وأنا أكون لكم إلهًا" [18-22].

يقدم لهم وعود إلهية ثابتة:

- يتمتع الشعب بالقلب الجديد الذي يطيع العهد.

- يزوع الله عنهم أغلال السبي والعبودية.

- يعاقب الله الذين سوههم.

- يردهم إلى أرضهم في سلام مع بركات وعطايا.

- يرد سبي خيام يعقوب.

- إعادة بناء المدينة والقصر الملكي [18]. [عوض الخيام تُقام مبانٍ للاستقرار، ويُعاد بناء الهيكل والقصر الملكي... هذا ما حدث بعد عودة

الشعب من بابل.

- تتحول حياتهم إلى الفرح والتسبيح [19]. وكما قيل بركيا النبي: "سيجلس بعد الشيوخ والشيوخات في أسواق أورشليم كل إنسانٍ منهم عصاه

بيده من كثرة الأيام. وتمتلئ أسواق المدينة من الصبيان والبنات لآعبين في أسواقها" (ك 8: 4-5).

- يبلكهم فينمون ويكثرون [19].

- يعظمهم فلا يصغرون [19].

- يثبت بنوهم أمام الرب [20].
- يجعل منهم حكماً بولاة [21]، ويقوم الله نفسه وعانيتهم إذ يهتم بسلامة قطيعه (إش 40: 11)...
- يقتربون من الله ويصيرون له شعباً وهو إلههم [22].

5 . إراك مقاصد الله:

"هوذا زوبعة الرب تخرج بغضب نوء جرف.

على رأس الأشوار يثور.

لا يرتد حمو غضب الرب حتى يفعل وحتى يقيم مقاصد قلبه.

في آخر الأيام تفهمونها " [23-24].

ماذا يعني بزوبعة الغضب الإلهي التي تحل وأس الأشوار إلا الانهيار والدمار الذي يحل بملك بابل؟! إذ يحل الغضب على الرأس ينهار الجسد

كله!

لنسلم رؤوسنا في يد الله الذي يقدسها، فتحل عليها البركة لا اللعنة، عندئذ يتقدس الجسد كله. أقصد بالرأس هنا "الفكر"، حيث تمتص أفكارنا في

الرب، وتتسحب إلى سمواته وتحمل حياتنا السمة السماوية.

جاءت نفس العبرات في (19: 20-23) مع اختلافات بسيطة. فيها يوضح أن الحق غير مرك بواسطة الأنبياء الكذبة بل بواسطة ذلك الذي

يقف في مجلس الله.

مقاصد الله ثابتة لكنها لا تفهم الآن بل حينما تتحقق في ذلك اليوم الذي ليس هو ببعيد.

من وحي إرميا 30

ردني من السبي

ولرجعني إلى أرض البر!

❖ من يقدر أن يكسر نير الخطية عن عنقي،

ويحل رباطاتها، وينتزع عبوديتها،

إلا أنت يا محرر النفس؟!

الخطية غريبة عن طبيعتي التي خلقتني عليها،

بلادتك سلمت نفسي أسوأ لها!

حررني ورجعني إلى أرض البر أيها الرب برنا!

❖ استعبدت لنفسي وقبليت الأسر بلادتي،

هب لي ان أخدمك يا إلهي وأعبدك!

لنقم مملكتك فيّ يا ابن داود.

أقم خيمة داود الساقطة،

وأسس قصوك الملوكي في داخلي!

❖

متى تحررني فتستريح نفسي؟!
متى تطلقني من بابل لأعود إلى أحضان أبيك؟!
فيه استقر واطمأن... بلارعب ولا راج!
❖ اعترف لك... لقد تأدبت بحق،
لقد طال زمان أسوي!
صلت جرحات نفسي بلا وء!
تعال أيها الطبيب السموي!
هب لي جسدك ودمك المببولين دواء الحياة!
❖ مع اعترافي بضعفي عاجز عن القنوم إليك،
قدمي ثقيلتان للغاية،
مربوطتان كما بسلاسل في مقطرة.
لنأت فتشفي جراحاتي فإنك تبادر بالحب!
عوض الأسر في الغربة استقر في أحضانك!
أصير لك ابنًا واستريح معك وفيك!
عوض الخيمة الساقطة تقيم في مدينتك المقدسة!
صوت عريس وعروس،
صوت طوب ولاعبين!
عوض المذلة تجعلني ملكًا ذا سلطان!
❖ ردني من السبي،
ورد للمسيبين أفعالهم!
حطمتني الخطية فليحطمها صليبك!
قتلني إبليس فليقتله موتك المحيي!
أسروني العدو في أرض غريبة،
فليلقي في نار جهنم الأبدية!
نعم أعد لي العدو فخابًا ليأسروني إلى الأبد فسقط فيها.
اقتمتي فأنعم بمجد ملكوت حريتك أبدًا!

<<

الأصحاح الحادي والثلاثون

العهد الجديد

يظن بعض الدارسين أن أغلب ما ورد في هذا الأصحاح كتبه لرميا النبي لمملكة إسرائيل وذلك قبل السبي الأول ليهودا سنة 597 ق.م. وأن الاشارة إلى يهوذا [3-4]، وصهيون [17] وكل عشائر إسرائيل [1] جاءت كإضافة فيما بعد لكي ينطبق الحديث على كل شعب الله. يعتبر هذا الأصحاح تكملة للأصحاح السابق حيث يتحدث بالتفصيل عن وعود الله لشعبه الذي يخرج من الأسر ويأتي به إلى الحرية، أو ينطلق به من أرض الغربة القاسية إلى الله نفسه "الرب بونا"!

1. وعود لكل عشائر شعبه [6-2].

2. عودة إسرائيل إلى أرضه [14-7].

3. نهاية حزن راحيل [15-22].

4. إصلاح إسرائيل ويهوذا [23-30].

5. العهد الجديد [31-34].

6. رباط لا ينحل [35-37].

7. أورشليم الجديدة [38-40].

1. وعود لكل عشائر شعبه:

"في ذلك الزمان يقول الرب أكون إلهاً لكل عشائر إسرائيل وهم يكونون لي شعباً" [1].

بقوله "في ذلك الزمان" يشير إلى (30: 24) "في آخر الأيام"، أي في المستقبل المسياني. يبدأ بذلك كنعمة إلهية وأساس للكمال والإصلاح خلال المحبة الإلهية وأمانته في وعوده لشعبه ^[537]. هذه الوعود الإلهية هي:

أ. يقيمهم شعبه:

يكمل لرميا النبي حديثه السابق عن مقاصد الله التي يعلنها موضعاً أنه: يكون هو إلهاً لكل العشائر، وهم يكونون له شعباً، ينسب نفسه إليهم، وينسبهم إليه.

إذ رأى القديس يوحنا الحبيب أورشليم الجديدة أو السماء الجديدة دُهش، فسمع صوتاً من السماء يعرفه عليها قائلاً: "هوذا مسكن الله مع الناس، وهو سيسكن معهم، وهو يكونون له شعباً، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم" (رؤ 21: 3). هذه هي كنيسة السماء المنتصرة، حيث يسمع كل عضو فيها الصوت الإلهي الموح: "من يغلب يوث كل شيء، وأكون له إلهاً، وهو يكون لي ابناً" (رؤ 21: 7). كأن الموات لكل شيء يعني انتسابنا له وهو لنا، إذ يصير لنا الله نفسه واهب كل الخوات.

ب. يهبهم نعمته وراحته مقدماً لهم خروجاً جديداً:

"هكذا قال الرب:

قد وجد نعمة في البرية الشعب الباقي عن السيف إسرائيل حين سوت لأريحه" [2].

الوعد المقدم هو أن يجد الشعب "نعمة" [2]، هذه التي سبق فنالها أبؤهم حين أخرجهم الرب في البرية وحررهم من عبودية فرعون. وقد جاء التعبير "وجد نعمة" *masu hen* خمس مرات في قصة الخروج (خر 33: 12-17).

أخرجهم الرب إلى البرية لكي يهبهم راحة [2].

يتطلع الشعب إلى قصة الخروج من أرض العبودية إلى الحرية تحت قيادة موسى للتمتع برُض الموعد كعملٍ إلهي مستمرٍ عبر الأجيال، فكافوا يتوقفون خروجًا جديدًا مستنورًا (هو 2: 14-15؛ إش 40: 3-4؛ 42: 14-16؛ 43: 18-21؛ 44: 27؛ 48: 21 الخ). وقد جاء عمل المسيا المخلص كخروجٍ حقيقيٍ فيه يقدم المخلص نفسه فصحاءً للبشرية كي تتحرر من عبودية إبليس وتتطلق تحت قيادة روحه القدس في بركة هذا العالم حتى تجدراحة في حضن الآب.

ج. قصة حب أوي أبدي!

تواي لي الرب من بعيد.

ومحبة أبدية أحببتك،

من أجل ذلك أدمت لك الوحمة" [3].

تطلع النبي إلى عمل الله الخلاصي وأى الرب يعمل "من بعيد" [3] ؛ أي منذ القدم... قصة الحب الإلهي قصة قديمة متجددة على الوام. ربما قال "من بعيد" لأن الإنسان ظن أنه منسي في أرض السبي بعيدًا جدًا عن أرض الموعد! تبقى مواحم الله مستورة عبر الزمن لأن محبته أو خلاصه أبدي!

د. يجعلهم بناءً إلهيًا:

"سأبنيك بعد فتبينين يا عناء إسرائيل" [4].

إن كان الشعب قد صار كاموأةزانية استحق التأديب بالسبي البابلي، إلا أن الله في أمانته يقيمه عناء مقدسة [4]، بينيها بنفسه كهيكلي مقدس له. إنه ليس فقط يردّها إلى أرض الموعد أو المدينة المقدسة أو الهيكل بل تصير هي أرضه ومدينته وهيكله، لن تمتد فراع بشوي لبنائها بل يقوم الرب نفسه بانسائها.

يتحدث القديس بولس عن الكنيسة كبيتٍ روحي، والمؤمنين كحجارة حية (1 بط 1: 5). ورأى القديس هرماس [538] الكنيسة المنصوة في شكل بناء ضخم، حيث بُنيت الحجارة بجوار بعضها فصلت وجًا كحجرٍ واحدٍ، وأن حجرة كثورة رُفضت أن تكون في البناء لأنها اعتمدت على ذاتها.

ه. يجعلها عروسًا متهللة:

تتريين بعد بدفوفك وتخرجين في رقص اللاعبين" [4].

زينتها الوح المستمر، تخرج دومًا لتجد النفوس المحيطة ترقص وتتهلل بالوب العامل فيها وفيهم! بعد أن علقت فينثراتها على الصفصاف في بابل كي لا ترم تسبحة جديدة في أرض غريبة (مز 137: 4) ها هي تمسك بالدفوف بين أصابعها لتسبح الرب بأعمال الحب، وتزين بالفوح الروحي، وتعيش في تهليل لا ينقطع.

ز. غوس الكروم:

"تغسين بعد كرومًا في جبال السامرة.

يفوس الغلرسون ويبتكرون" [5].

الأرض التي سبق فخر بها العدو عندما هاجمها وسباها، مولا الحقول إلى رواعي غنم ومسكنًا للوحوش، الآن تعود لتغوس كرومًا. لقد عبوا البعل إله الخصوبة فحل بهم القحط، وصارت أراضيهم خرابًا، الآن يودهم الرب ويهب أرضهم خصوبة.

ح. شركة عبادة مفوحة:

"لأنه يكون يوم ينادى فيه النواظير في جبال إفايم:

قوموا فنصعد إلى صهيون إلى الرب إلهاً" [6].

لم يعد المراقبون يضربون بالبوق ليعلموا عن مجيء العدو الذي يسبي، وإنما ليعلموا عن قدوم الشعب من كل موضع ليصعدوا إلى صهيون يتمتعون بالرب إلهاً [6].

2 . عودة إسرائيل إلى أرضه:

إن كان رمياً قد تنبأ عن خراب الهيكل خلال السبي فهو ليس ضد الهيكل ولا مقاوم للعبادة الجماعية... إنه يتوقّب عبادة روحية متهللة تضم الشعب القادم من أقاصي المسكونة بروح الفرح والوحدة.

"لأنه هكذا قال الرب.

رتموا ليعقوب فرحاً، واهتفوا برأس الشعوب.

سموا سبوحاً وقولوا: خلص يارب شعبك بقية إسرائيل" [7].

يقدم لنا عودة من السبي مملوءة بروح النصوة، عبّر عنها يعقوب بهتافات الفرح والتسبيح [7]، حاسباً نفسه "رأس الشعوب" أو أولها، وهو تعبير يحمل روح الفخر (عا 6: 1).

"هأنذا آتي بهم من أرض الشمال وأجمعهم من أطراف الأرض.

بينهم الأعمى والأعرج، الحبلّى والماخض معاً.

جمع عظيم يرجع إلى هنا" [8].

هذا الخروج العظيم من السبي يصبحه بناء من وسط الأنقاض والتدمير الكامل فتخرج مدينة فائقة البهاء، ويتحقق الخلاص الإلهي. إنه يأتي إلى هذه المدينة حتى بالعميان من طريق لم يعرفها (إش 42: 16).

هذا الخلاص أو الخروج العظيم لا يعتمد على فراع بشري.

يأتي الله بالأعمى فيكون له عيناً، يريه الطريق ويدخل به إلى المجد!

يأتي بالأعرج كمن يحمله على الأعرج الإلهية ليملس العمل الفائق بقوة.

يأتي بالحبلّى والماخض العاجزتين عن الحركة لأمتارٍ قليلة لیسوع بهما لا إلى أميال بل إلى الخروج من محبة العالم إلى السماء عينها!

هذا الخروج العظيم من السبي يصبحه فرح عظيم وسط دعوى التوبة مع تفجر أنهار الروح من الصخر (إش 40: 3-5؛ 43: 1-7؛ 48: 20؛ 49: 9-13). عوض الفرح يحل الفرح، ويهبهم الله الراحة وسعادة عوض الحزن.

"بالبكاء يأتون وبالتضوعات أقودهم.

سوهم إلى أنهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها.

لأنّي صوت لإسرائيل أبوا إفايم هو بكوي" [9].

جاء الحديث هنا [8-9] مشابهاً في الأسلوب والفكر أحاديث إشعياء النبي عن الخروج الجديد (إش 35؛ 40: 3-5، 11؛ 41: 18-20؛ 42: 16؛ 43: 1-7؛ 34: 3-4؛ 48: 20-21؛ 49: 13-9).

لربط العصر المسياني في ذهن الأنبياء بالمياه المقدسة (حز 36: 26؛ إش 30: 23؛ زك 13: 1-2؛ مز 46: 4 الخ...) التي تحول القفر أرضاً خصبة، تروي المؤمنين كأشجار فديوس الله، تزوع النجاسات وتطهر الأرض من عبادة الأصنام، وتقدم حياة وتقديساً... ما هو المطر المبكر

والمتأخر إلا الروح القدس الذي يروي النفس الضمّانة، فتبتت الربية، وتحمل الأشجار ثمرها، وتعطي التينة والكومة قوتهما؟! إنه الروح القدس الذي عمل في القديم كمطر مبكر، لكنه بالأكثر استقر فينا بعد صعود الرب ليحول بريتنا الداخلية إلى فلولسٍ موحٍ!

لقد ادرك الشعب أمرين: الله هو مخلص شعبه، فإن الله بقية أمينة (عا 5: 15؛ إش 37: 30-31، إر 8: 3، حز 5: 10؛ 11: 23)، يهتم بها فتنتمتع بالعهد الجديد (إش 4: 2؛ 28: 5؛ مي 5: 6-7).

يدعو الله نفسه "أب إسرائيل" ليؤكد أن ما سمح به من تأديب خلال السبي إنما هو تأديب أوي، وأن الله يتطلع إلى شعبه بكوه "الابن البكر". لقد دعى أوايم (إسرائيل) البكر ليس لكي يقدمه على يهوذا، وإنما ليؤكد اعتزله به كابن بكر... كلاهما "إسرائيل ويهوذا" ابن واحد بكر.

لقد سبق فسمح الله بقتل الأبنكار بسبب شر فوعن ليقيم من شعبه "الابن البكر لله" (خر 4: 22، إر 31: 9). أقام الله شعبه كابن بكر له، وإذ جاء البكر الحقيقي إلى العالم واتحدت الكنيسة به صلت بحق كنيسة أبكار، كقول الكتاب المقدس.

يدعوا الله الأمم والخزائر البعيدة [10] أن تشهد الحدث العجيب (إش 42: 10؛ 49: 1).

"اسموا كلمة الرب أيها الأمم وأخبروا في الخزائر البعيدة وقولوا: مبدد إسرائيل يجمعه ويحرسه وراع قطيعه.

لأن الرب فدى يعقوب وفكه من يد الذي هو أقوى منه.

فيأتون ويؤمنون في مرتفع صهيون ويجرون إلى جود الرب على الحنطة وعلى الخمر وعلى الزيت وعلى أبناء الغنم والبقر.

وتكون أنفسهم كجنة ريا ولا يعودون يذوبون بعد" [10-12].

يستخدم في [11] تعبان عن الفداء: *pada (ransom), goal (redeem)* الأول يشير إلى التحرر بعد دفع الفدية، وهو في الأصل تعبير يُستخدم في القوانين التجلرية (استخدم في تث 9: 26؛ 13: 5؛ 21: 8؛ 7: 13؛ 13: 14؛ مي 6: 4؛ زك 10: 8؛ مز 25: 22، 78: 42؛ نح 1: 10) أما الثاني فيستخدم بخصوص الائتام العائلي. فكان الولي يلتزم أن يفتدي ممتلكات قريبه، كما يلتزم بالانتقام لموته. كان القريب المخلص *goal* يحمل معنى رمزياً في العهد القديم. التزم لرمياً أن يفدي الحقل الذي كان يملكه ابن عمه حنمئيل (ص 32).

استخدم التعبوان في خلاص الشعب من عبودية فوعن (خر 6: 5؛ 13: 15؛ تث 7: 8؛ 9: 26).

استخدم تعبير مخلص *goal* بخصوص خلاص الله لشعبه من السبي البابلي، فهو يتدخل كولي أو قريب لهم يرد لهم الحرية.

يأتون إلى صهيون "بوجه مشرقة" *nahar*، وتصير نفوسهم كجنة ريا، أي مروية حسناً [12].

"حينئذ تفرح العذراء بالرقص والشبان والشيوخ معاً وأحوّل نوحهم إلى طرب وأعزيمهم وأفرحهم من حزنهم.

وأروي نفس الكهنة من الدسم ويشبع شعبي من جودي يقول الرب" [13-14].

❖ يؤكد لنا ربنا أن أذاننا يحولها إلى فوح بثمار التوبة [\[539\]](#).

القديس غريغوريوس الناطق باللاهوتيات

يروى نفوس الكهنة من الدسم، دسم الذبائح التي يقدمها الشعب لله حيث كان نصيبهم هو الفخذ اليمين (لا 7: 32-36). وكان العبادة تعود بقوة ويصير للكهنة أنصبه كثيرة. كما يشير الدسم إلى حالة الرخاء التي سيعيش فيها الشعب (مز 36: 8؛ 63: 5؛ إش 55: 2).

3 . نهاية حزن راحيل:

"هكذا قال الرب:

صوت سمع في الرامة فوح بكاء مرّ.

راحيل تبكي على أولادها وتأبى أن تتوفى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين.

هكذا قال الرب:

امنعي صوتك عن البكاء، وعينيك عن الدموع،

لأنه يوجد جِزء لعملك يقول الرب.

فيرجعون من أرض العدو.

ويوجد رجاء لآخرتك يقول الرب.

يرجع الأبناء إلى تخمهم" [15-17].

رأمة" تعني حرفياً "مرتفع" وتقع في نصيب سبط بنيامين (يش 18: 25؛ قض 4: 5) على الحدود ما بين مملكتي الشمال والجنوب. حالياً تدعى رام وهي مدينة تبعد إلى الشمال من أورشليم بخمسة أميال. قريباً منها يوجد قبر راحيل (1 صم 10: 2-3) كما يوجد تقليد بأن القبر كان بالقرب من بيت لحم (تك 35: 19؛ 48: 7؛ 1 صم 10: 2-3). ويتضح من سفر رميا أنها كانت المكان الذي نُقل إليه المسبيين وُجمِعوا فيه قبل أن يُؤخنوا إلى السبي إلى بابل إذ نَوَّأ "الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب بعدما أرسله نبوزردان رئيس الشوط من الرامة إذ أخذه وهو مقيد بالسلاسل في وسط كل سبي أورشليم ويهوذا الذين سوا إلى بابل" (40: 1-2).

تختار النبوة راحيل بالذات لأنها في البداية توسلت وطلبت ولأدأ إذ نَوَّأ "فلما رأت راحيل أنها لم تلد ليعقوب غرت راحيل من أختها وقالت: ليعقوب هب لي بنين وإلا فأنا أموت" (تك 30: 1).

ماتت راحيل في نهاية أيامها في حزنٍ إذ كُتِب: "وحدث حين تعسرت ولادتها أن القابلة قالت لها: لا تخافي لأن هذا أيضاً ابن لك، وكان عند خروج نفسها لأنها ماتت أنها دعت اسمه بن أونى، وأما أوه فدعاه بنيامين، فماتت راحيل وُدُفنت في طريق أواتة التي هي بيت لحم" (تك 35: 17-

91). ها هي راحيل التي طلبت ولأدأ في البداية وماتت في الحزن، تظهر في النهاية مصورة وكأنها قد قامت من الأموات وهي تبكي وصوتها يُسمع في الرامة لأنها ترى ولأدأها يحملون إلى بابل.

تصور رميا أن روح راحيل زوجة يعقوب ووالدة يوسف وبنيامين تبكي على ولأدأها (أسباط إوايم ومنسى وبنيامين) الذين احتلوا بقعة ضخمة من المملكة، إذ ترى وتحيلهم من أرض الموعد إلى السبي.

يقتبس الروح القدس هذه الأحوال ويطبقها على حادثة قتل أطفال بيت لحم. يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [540] إذ قد تحقق ما سبق أن قيل بلرميا النبي يمتلئ السامع لهذا القول بالوع إذ يرى مذبحاً عنيفة مملوءة ظلماً، لكنه يعود فيستريح إذ يدرك أن ما يحدث ليس عن عجز قوة الله عن منعها، ولا عن عدم معرفة الله لها، وإنما سبق فأخبر عنه علانية بواسطة نبيّه. لهذا يليق بنا ألا نضطرب ولا نياس متطلعين إلى عناية الله التي لا يُنطق بها، التي يمكن للإنسان أن وaha في أعمال الله كما فيما يسمح به من الآلام.

قدم الله لراحيل تغزية، مؤكداً عودة أبنائها، وتقديم جزاء لها عن عملها [17] لحساب أطفالها الذين يردهم من السبي.

"سمعا سمعت إوايم ينتحب.

أدبتني فتأدبت كعجلٍ غير مروضٍ.

توبني فأتوب، لأنك أنت الرب إلهي.

لأنني بعد رجوعي ندمت وبعد تعلمي صفتت على فخذي.

زني وخجلت لأنني قد حملت عار صباي.

هل إوايم ابن عزيز لدى أو ولد مسر،

لأنني كلما تكلمت به أذكوه بعد ذكراً.

من أجل ذلك حنت أحشائي إليه.

رحمة لرحمه يقول الرب" [18-20].

جاءت هذه العبارات اعترافاً وتوبة من جانب إفايم الذي يعلن عن حاجته إلى عمل الله نفسه واهب التوبة.

يقول الأب بينوفايوس:

[بينما يكون الإنسان في انكسار قلب وانسحاق روح، مع استعوار الجهاد والبكاء إذا بالنعمة الإلهية تلاشى تذكر الخطايا السابقة وتوع وحوث الضمير عنها. وهنا يكون واضحاً أنه قد نال غاية الوضى ومكافأة العفو، وانوّعت منه وصمات الخطايا التي ارتكبها. وعندئذ يمكننا أن نصل إلى نسيان الخطية وذلك بلإله آثار الخطايا والرغبات العتيدة مع نقوة القلب وكماله. هذه الحالة لا يصل إليها الكسالى والمتهلونون... إنما يصل إليها من استمروا في التتهود والتؤه بحزن لأجل إبادة كل آثار الخطايا بصلاح قلوبهم مع جهادهم، يعلن كل منهم للرب: "اعترف لك بخطيتي ولا أكتّم إثمي" (مز 32: 5)، ويقول: "صرت لي دموعي خزاً نهراً ولبلاً" (مز 42: 3)... فيوهب له في النهاية أن يسمع هذه الكلمات: "قد محوت ذنوبك وكسحابة خطاياك" (إش 44: 22)، وأيضاً "أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا انكرها" (إش 43: 25). وهكذا إذ يتحرر من رباطات خطاياها التي ربط الكل بها يشكر الرب مسبحاً: "حللت قيودي فلك ادبح ذبيحة حمدٍ" (مز 116: 16-17) [541].

يقول القديس أمبروسيوس:

[لننقي نواتنا بالدوع، فيسمع الرب إلها حينما نوح كما سمع لإفايم حين بكى " سمعت إفايم يبكي" [18] وقد عبر عن ذلك مكرراً ذات الكلمات التي لإفايم " أنت أدبتني فتأدبت كعجلٍ غير مروضٍ" [18] . لأن العجل يلهي ذاته، ويترك معلمه، هكذا إفايم لم يكن مروضاً كعجل بعيداً عن المعلم، إذ نسي المعلم الذي أقامه الرب له وتبع يوبعام وعبد العجول، الأمر الذي تنبأ عنه بالفعل هارون (خر 31) بان الشعب سيسقط. وإذ تاب إفايم قال: "توبني فأتوب لأنك أنت هو الرب إلهي. بالتأكيد في نهاية أسوي ندمت"، وإذ تعلمت بكيت على أيام الاضطراب وأخضعت نفسي لك إذ تقبلت انتهلك" راجع [19] [542].

جاء [20] إجابة لصوحة التوبة تؤكد شوق الله نحو توبته، إذ أحشاء الله تحن عليه. يدعو "الابن العزيز لديه"، "الولد المسر" يذكره الرب على

النوام.

"انصبني لنفسك صوى اجعلي لنفسك أنصاباً.

اجعلي قلبك نحو السكة الطريق التي ذهبت فيها.

رجعي يا عزراء إسرائيل رجعي إلى مدنك هذه.

حتى متى تطوفين أيتها البنت المرتدة؟!

لأن الرب قد خلق شيئاً حديثاً في الأرض.

أنشى تحيط برجل" [21-22].

بعد أن تحدث عن إفايم كابن محبوب جداً، عاد ليتحدث عن إسرائيل كعزراء يدعوها لتقيم لها بيتاً، وأن تضع علامات في الطريق حتى لا

تضل عنه. وكأنها تعود من ذات الطريق الذي فيه تركت وطنها!

ستجد في عودتها تحبباً في بيتها ومدنها... ستكون في أمان كإنسانٍ في حضن أمه [22].

أما عن الأنثى التي تحيط برجل فتوجد عدة تفاسير:

أ. رى البعض أن الأنثى المشار إليها هنا هي عزراء إسرائيل المذكورة في [21] كما أن كلمة أنثى المستعملة في هذا النص وهي (تكلبه) لا

تعني فتاة غير متزوجة (ألماه) التي استخدمها إشعيا النبي في نبوته عند حديثه عن ولادة المسيح من العزراء إذ قال "ها العزراء تحبل وتلد ابناً..." (إش

7: 14). ولذلك فليس هناك أي تشابه بين النبوتين. فالأنثى أو الوأة في الكتاب تشير إلى الضعف الإنساني وحالة الضعف والخوف المشبه بها الأمة تود كثيراً في النوات، فإشعيا يشبه الأمة المصوية في ضعفها وخوفها فيقول: "في ذلك اليوم تكون مصر كالنساء فتوتعد وتوتجف من هوة يدرب الجنود التي يهوها عليها" (إش 19: 16).

ب. كلمة "نساء" كرمز للضعف تود أيضاً في نوة إشعيا ونوة لريا (انظر إش 3: 12، إر 51: 3) ويشير الرجل إلى قوة الإنسان، والتعبير المذكور هنا ليس الإنسان العادي لكن الإنسان القوي، لأن الكلمة المستعملة في الأصل هي كلمة "geber" وتعني الرجل القوي أو الرجل الجبار. جاءت الكلمة هنا لتشير إلى رجل شاب قوي الغزيمة شجاع ^[543]، والكلمة المنسوبة لها gibbor تعني محارب، وكأن الوأة تحتضن محارباً شاباً... وهي ليست الكلمة التي تستعمل عادة للرجل (أنوش) ومعناها الرجل في ضعفه. فالرجل المذكور هنا ليس أنوش الضعيف الهش لكن الإنسان القوي. فضعف الوأة هنا يقهر ويغلب قوة الرجل، ضعف الوأة هنا يهزم كل قوة الرجل وهكذا سيجعل الله هذه الوأة التي كانت بمثابة بنت مودتة منتصرة وغالبة على كل قوة الإنسان. أو كأنها وهي عواء قد صلت - باحتضانها المحارب - شجاعة ومحلبة لها دورها في المعركة الروحية.

ج. إن كانت الوأة تشير إلى إسرائيل والرجل إلى يهوه، كأن الوأة التي صلت مطلقة بسبب زناها، بعيدة عنه، عادت إلى إلهها تحتضنه وتلتصق به (هو 1-3؛ إر 20-21). هذا هو أمر جديد.

د. الأمر الجديد هنا أن الوأة تحمي رجلاً، وهذا يبين عمل المحبة من الطرف الأضعف جسمياً نحو الأقوى. هـ. ^[544] يرى القديس جيروم أن الشيء الجديد الذي يثير الانتباه هو الأنثى التي تحيط ورجل، أي العواء الذي تحتضن كلمة الله المتجسد... هذا هو الروع عن السبي! هذا هو التمتع بركة الرب، فتصير النفس مسكناً للبر وجبلاً مقدساً!

إيحصاها نحن نوقاً عن معزة عظيمة في نفس النوة [22]: أن الوأة احتوت رجلاً، وأن أب كل الأشياء يكون في أحشاء عواء ^[545]. يطلب الله من الشعب الذي صار كبنت مودتة أن يتطلع إلى العواء المقدسة التي تحتضن في أحشائها كلمة الله المتجسد. إذ يقول: "حتى متى تطوفين أيتها البنت المودتة؟! لأن الرب قد خلق شيئاً حديثاً في الأرض. أنثى تحيط برجل" [22].

و. أن كانت الخطية تجعل النفس كبنت عاصية تطوف في الشوارع ليس لها أين تستقر أو تستريح، فإن الحياة البتولية الصادقة تجعل من النفس موضعاً يستريح فيه الكلمة المتجسد نفسه! خطايانا تحطم سلامنا واستقرنا، وبرنا في الرب يعطينا راحة، بل ويستريح الرب فينا!

4 . إصلاح إسرائيل ويهوذا:

يعد الله شعبه بالروع من السبي، ليملك أرض الموعد، ويوزع عن راحيل حزنها على بنيتها المسييين، ويحولها من بنت مودتة عنيدة إلى أنثى مملوءة قوة وحباً تحيط ورجل جبار، تحمل روح القوة والنصوة عوض الانهيار والفشل. الآن يقدم لنا صورة حية عن إصلاح إسرائيل ويهوذا حيث وجع الكل من بابل شعباً مقدساً للرب، فيقول:

"هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل.

سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها عندما رد سبيهم.

يبلكك الرب يا مسكن البر يا أيها الجبل المقدس" [23].

هنا يدعوا يهوذا "مسكن البر أو البار" (راجع زك 8: 3) ويعني به مسكن الله البار *sedeq*، وأيضاً "الجبل المقدس أو جبل القنوس". فيسكن الله وسط شعبه الذي يصير مسكناً له وجبلاً خاصاً به [23]. كأن سرّ فح الشعب ليس تحرره من بابل بل بالأحرى تمتعه بركة سكنى الله البار والقنوس وسطه، فيجعل منه هيكل مقدساً وجبلاً حياً. يدعو شعبه "مسكن البار" و"جبل الله القنوس"، باللقب الأول يعلن بركة الشعب إذ يسكن فيه البار، مولاً شعبه إلى جماعة مقدسة لا تعرف إلا العبادة الحية، وباللقب الثاني الوسوخ كالجبل لا تنهه رياح العالم المقلومة!

بمعني آخر إننا لا نوح لأننا تحررنا من إبليس بل بالأحرى لأننا اقتنينا الله القنوس . قيل عن الرسل: رُجع السبعون بؤح قائلين: يرب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك" (لو 10: 7)، "قال لهم: رأيت الشيطان ساقطاً مثل الوق من السماء. ها أنا أعطيك سلطاناً لتتوسوا الحيات والعقرب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء؛ ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالأحرى أن أسماءكم كُتبت في السموات".

يقوم الله من شعبه كما من كل عضوٍ فيها جبلاً مقدساً كجبل طابور، عليه يتجلى حيث يجتمع ورجال العهد القديم (موسى وإيليا) مع رجال العهد الجديد (بطرس ويعقوب ويوحنا)، يعلن بهاء مجده الذي يسكب نوراً على الجميع ويحول حياتهم إلى فؤح لا ينقطع.

"فيسكن فيه يهوذا وكل مدنه معاً الفلاحون والذين يسرحون القطعان.

لآتي أرويت النفس المعيبة، وملأت كل نفس ذائبة" [24-25].

يعود الشعب إلى أرض الموعد ليمارسوا حياتهم اليومية من فلاحه الأرض ورعاية الغنم [24]، لتجد النفس التي صلت في حالة عياء راحةً، والذائبة بسبب ما حل بها من فقدان شعباً ورتواءً [25].

الله يشبع التائبين ويرويهم، هذا منظر يملأ قلب لرميا النبي بالفؤح والسعادة وسط الكثرة والظلام.

من هم هؤلاء الفلاحون الذين يزرعون أرض يهوذا؟ ومن هم هؤلاء الرعاة الذين يهتمون بقطعانها؟

مسيحنا هو فلاح قلبنا القادر بروحه القنوس أن يحول بريتنا الداخلية إلى فؤوسٍ مثمرٍ، ويقود خرافه الناطقة إلى سمواته، مقدماً دمه الثمين ثمناً لمجدنا. الآن في حبه لكنيسته أقام تلاميذه ورسله وخدامه فلاحين ورعاة، يقدمون به كلمته بذراً تأتي بثمرٍ كثيرٍ، ويهبهم شركة المجد أن وعوا شعبه بروحه القنوس.

كل مؤمنٍ حقيقيٍ تتحول طاقاته الداخلية وإرادته مع أفكاره إلى فلاحين ورعاة يعملون بلا توقف حتى يُعلن فؤوس الله في الداخل، وتتحول الأعماق إلى بوعى سموي مقدس.

"على ذلك استيقظت ونظرت ولذ لي نومي" [26].

يكون الرب كمن كان نائماً واستيقظ، إذ رد شعبه إلى راحته، ولذ له نومه لأنه لا تتكرر بعد هذه المأساة [26]. ووي القديس أمبروسيوس في تعبير "لذ لي نومي" [26] إشارة إلى الموت الإلادي الذي قبله السيد المسيح بسرور لأجل خلاصنا.

❖ ذلك الذي حمل ضعفاتنا حمل أيضاً مشاعرنا، حيث كان حزيناً حتى الموت (مت 26: 38) ولكن ليس بسبب الموت. لأن الموت الذي قبله باختياره الحر لا يمكن أن يحزنه، إذ فيه فؤح كل البشرية العتيد وانتعاش الجميع. قيل عنه في الكتاب المقدس في عبارة أخرى: "استيقظت ونظرت ولذ لي

نومي" [16] . صالح هو النوم الذي فيه لا يجوع الجائعون، ولا يعطش العطشى، مهيناً لهم مذاقاً حلواً للأسوار [546].

القديس أمبروسيوس

ها أيام تأتي يقول الرب وأزرع بيت إسرائيل وبيت يهوذا بزرع إنسانٍ وزرع حيوانٍ" [27].

يقوم الرب نفسه بزرعهم، بزرع إنسانٍ وزرع حيوانٍ، إذ يقدر النفس (الإنسان) والجسد (الحيوان) معاً، وينمي الإنسان بكلية ليمارس الحياة الجديدة بعد العتق من سبي الخطية.

"ويكون كما سهرت عليهم للاقتلاع والهدم والقوض والإهلاك والأذى، كذلك أسهر عليهم للبناء والغرس يقول الرب" [28].

يسهر الله على بنائهم وغرسهم، هو الذي سمح بالتأديب الآن يقوم بنفسه ببنائهم وغرسهم، ساهراً عليهم ليجدد حياتهم... بل يقيمهم شعباً جديداً بعهدٍ جديدٍ! لقد سهر الله بحبه حين سمح بالتأديب لكي يهدم فيهم الشر ويقطع جنور الخطية ويحل بهم ما حسوه أذى، وبذات الحب يسهر عليهم ليغرسه ويبنى فيهم قداسته ويهبهم كل بركة روحية موحية.

ماذا يعني الله بقوله: "أسهر عليهم" ؟! ليس عند الله ليل قط، ولا يحتاج إلى نوم، فالسهر هنا إنما يعني بلغة بشرية اهتمام الله بنا خاصة في

اللحظات التي نظن فيها أن الليل قد حلَّ بظلمته حولنا، أي حينما نفقد رجاءنا في الخلاص. إنه يشوق بنوره وسط ظلمتنا مؤكداً أنه يسهر علينا حين ينام كل من حولنا، ويعلنون عزهم التام على مساندتنا.

"في تلك الأيام لا يقولون بعد: الآباء أكلوا حصراً وأسنان الأبناء ضروست.

بل كل واحد يموت بذنبه كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه" [29-30].

يقتبس المثل الورد في (حز 18: 2)، فقد كان الشعور السائد بأن ما يحل بهم إنما هو ثوة خطايا قديمة لتكبتها أجيال سابقة، بهذا أحسوا أن الله عاملهم بقسوة لظروف لم يكن لهم فيها يد، ولم يوتكوا ذنباً. وأن في ذلك ظلم وليس عدالة (حز 18: 25). يرفض رميا النبي هذه الفكرة مبيئاً أن الله إنما يعاقب الإنسان على خطاياه، لا على خطايا الغير.

غالباً ما اعتمد حزقيال على رميا، وكلاهما أشرا إلى المثل ليؤكد المسؤلية الشخصية عن ما يرتكبه الإنسان نون النظر إلى سلوك آباءه وأجداده. لقد أستخدم هذا المثل في (تث 24: 16) لا لنفي المسؤلية الشخصية وإنما لاعتبارات أخرى منها أن الإنسان الذي لا يرتدع عن شوه خلال التهديد بالعقوبة قد يرتدع عندما يترك ما لشوه من أثر على حياة ولاده، هذا بجانب اللواتم الجماعي. فكما توجد خطايا عامة يشترك فيها الشعب كله هكذا تثرم التوبة العامة.

5. العهد الجديد:

"حمى غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسوهما في أسفل الجبل" (خر 32: 19). وكان موسى قد أعلن عن كسر العهد، وعجز الإنسان عن الحفاظ عليه. هذا ما دفع الأنبياء في العهد القديم إلى التطلع إلى عهد جديد بسماتٍ جديدةٍ قادرٍ على تغيير قلب الإنسان والدخول إلى الحياة الداخلية لكي لا يكسر الإنسان العهد. "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً.

"ليس كالعهد الذي قطعته مع آباءهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب.

بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام.

يقول الرب: أجعل شريعتي في داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً.

ولا يعلمون بعد كل واحدٍ صاحبه وكل واحدٍ أخاه قائلين: اعرفوا الرب،

لأنهم كلهم سيعرفونني من صغورهم إلى كبورهم يقول الرب.

لأني أصفح عن إثمهم ولا أذكر خطيتهم بعد" [31-34].

يقول حزقيال النبي: "وأقطع معهم عهد سلام فيكون معهم عهداً مؤبداً وأقوم وأكثروهم وأجعل مقدسي في وسطهم إلى الأبد، ويكون مسكني

فوقهم وأكون لهم إلهاً ويكونون لي شعباً" (حز 37: 36-37).

❖ قال الله بوضوح (خلال أنبيائه) أن شرائع موسى (الطقسية) تنتهي وتقوم شريعة جديدة يقدمها المسيح: "ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت

إسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آباءهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي

فرفضتهم يقول الرب" (31: 31-32). لقد وعد بعهد جديد، وكما قال الحكيم بولس: "فإذ قال جديداً عتق الأول، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من

الاضمحلال" (عب 8: 13). فإذا شاخ القديم كان بالضرورة أن يحتل الجديد موضعه، وقد تحقق هذا لا بواسطة أحد الأنبياء القديسين بل بالأحرى

بواسطة رب الأنبياء [547].

القديس كيرلس الكبير

العهد الجديد ليس منقوشاً على حجرة خلجية كالعهد القديم (خر 31: 18؛ 34: 28-29؛ تث 4: 13؛ 5: 22) أو في ورج (خر 24: 7)،

إنما هو منقوش في القلب الذي احتلته الخطية. يسجله الروح القدس في أعماقنا، إذ يمس حياتنا الداخلية حيث ملكوت الله فينا... "يقول الرب: أجعل نومايسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم، وأنا أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا" (عب 8: 10).

عندما حلّ يوم الخمسين واجتمع التلاميذ في عليّة صهيون كان اليهود من حولهم يعيدون بتجديد العهد مع الله، متذكّرين ما حدث مع آبائهم حين سلم الله عهده وشريعته لموسى النبي، وما صاحب ذلك من عودٍ وبروقٍ وأصواتٍ بوقٍ ودخانٍ حتى ارتعب الكل (خر 20: 18) ... في هذا اليوم حلّ الروح القدس على التلاميذ وُسمع أيضًا صوت هبوب عاصفٍ وارتعب الكل وحدث تجديد للعهد خلال الروح القادر أن يجدد القلوب والأذهان، ويكتب الشريعة والعهد في قلوب المؤمنين (31: 31-34) ... صار للكنيسة الروح الإلهي النزي الذي يغير الطبيعة الداخلية ويهب روح البنوة فتقبل عهدًا جديدًا.

وي البعض أن الله أقام مع الإنسان عهدًا، كملت بالعهد الذي أقامه السيد المسيح بدمه على الصليب.

1. **العهد مع آدم** ، خلاله ينعم الإنسان بجنة عدن وكل خواتمها، لكن آدم نقض العهد وطرد من الجنة. وقد جاء في سفر هوشع: "لكنهم كآدم تعنوا العهد، هناك غيروا بي" (هو 6: 7).
2. **العهد مع نوح** الخاص بالأرض الجديدة بعد الطوفان، حيث برك الله نوحًا وبنيه (تك 9: 1) ، وقال لهم: "أثمروا وأكثرُوا واملأوا الأرض" (تك 9: 1؛ 1: 28). هنا نلاحظ أن الله هو الذي بادر بإقامة العهد (تك 9: 11-12) ، وأن العهد قام على أساس الدم، أي تقديم المحرقات.
3. **العهد مع إواهيم**: وعده الله أن يهب نسله أرض كنعان، وبه تتبرك كل الأمم. ارتبط العهد بالختان "يُختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غُرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم" (تك 17: 11).
4. **العهد الموسوي** : ارتبط هذا العهد بالذبايح والعمل الكهنوتي وشوائع التطهير والوصايا الإلهية. خلال هذا العهد تحل البركات على أبناء الطاعة واللغات على أبناء المعصية (تث 28).

هنا [31] أول إشارة إلى "العهد الجديد" في العهد القديم وتُعتبر صلب سفر رميا كله، تمثل أعرق نظرة في العهد القديم كله. رأى أصحاب الشيع في قرآن أنهم رجال العهد الجديد، بالنسبة لهم العهد الجديد هو التمسك بالشريعة الموسوية في حرفية أشد. أما المسيحيون فقدرُوا في الكنيسة تحقيقًا لهذه النبوة، حيث قدم السيد المسيح عهدًا جديدًا ببذل دمه كفولة عن خطايا العالم كله (لو 22: 20؛ 1 كو 11: 15؛ عب 8: 8، 9: 28).

إذ انكسر العهد القديم الذي أقيم بين الله وإسرائيل أقام الله عهدًا جديدًا بينه وبين جميع الأمم، خلال خروج جديد، فيه عُتق لا من عبودية فعون ولا من سبي بابل بل من أسر إبليس.

ينقش الروح القدس هذا العهد في داخلنا ويكون الله نفسه هو معلمنا، إذ يقول الرسول: "ولا يعلمون كل واحدٍ قريبه وكل واحدٍ أخاه قائلًا اعرف الرب، لأن الجميع سيعرفونني من صغورهم إلى كبرهم" (عب 8: 11). كان العهد القديم بين يدي الأنبياء والكهنة والمعلمين أما العهد الجديد فصار في أيدي كل البشر!

❖ هنا نفهم إعلان توقف الختان الأول الذي أعطى ومجيء موكب الشريعة الجديدة (ليس كما سبق فأعطيت للأبَاء) وذلك كما سبق فأعلن جبل الرب وبيت الله في رأس الجبال، ونقول: "يرتفع فوق التلال وتحوى إليه كل الأمم وتسير شعوب كثرة ويقولون: هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب" (إش 2: 2-3) [548].

❖ هكذا يظهر أن العهد القديم مؤقت فقط، مشورًا إلى تغييره، وأيضًا إذ يعد أن ما يتبعه عهدًا أبدية، إذ يقول بإشعياء: "اسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهدًا أبديةً مراحم داود الصادقة" (إش 55: 3)، ليظهر أن هذا العهد يتحقق في المسيح [549].

العلامة ترثليان

❖ لنقبل شوائع الحياة، لننصت لعتاب الله، لنتعرف عليه، فينعم علينا [550]!

القديس إكليمنضس الأسكنوري

❖ صنع معنا عهدًا جديدًا، لأن ما ينتمي لليونانيين واليهود قديم. أما نحن الذين نعبد بطريق جديدة، في شكل ثالث فمسيحيون.

من الواضح كما أظن، لقد أظهر أن الله الواحد الوحيد عُرف بواسطة اليونانيين بطريق أممي، وبواسطة اليهود بطريق يهودي، وبطريق جديد

روحي بواسطة!

[551]

القديس إكليمنضس الأسكنوري

إذ يتحدث القديس غريغوريوس النيصي عن ميليتس يوم نياحته يصفه بتابوت العهد المقدس والحوي أسوأ إلهية فيقول: "فيه يوجد لوحا العهد، مكتوبًا على ألواح القلب لا بحبر بل بروح الله الحي. فإنه لا يوجد على هذا القلب النقي فكر مظلم أو من الحبر مطوعًا عليه!" [552].

ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لان المعلم الآن يملأ الموضع، إذ مكتوب يكون الكل متعلمين من الله (يو 4: 45 ، إش 45: 13) [553]...].

6. رباط لا ينحل:

هكذا قال الرب الجاعل الشمس للإضاءة نهلاً وفوائض القمر والنجوم للإضاءة ليلاً، الواجر البحر حين تعج أمواجه رب الجنود اسمه.

إن كانت هذه الفوائض تزول من أمامي يقول الرب

فإن نسل إسرائيل أيضًا يكف من أن يكون أمة أمامي كل الأيام.

هكذا قال الرب إن كانت السموات تقاس من فوق وتفحص أساسات الأرض من أسفل فإني أنا أيضًا أرفض كل نسل إسرائيل من أجل كل ما

عملوا يقول الرب" [35-37].

كما أقام الله ناموسًا طبيعيًا للشمس والقمر والكواكب الأخرى للإضاءة نهلاً وليلاً، ووضع للبحر حدًا، هكذا يقيم الله في عهده الجديد مع شعبه

ناموسًا روحياً أبدياً. يقيمهم شعباً دائماً له، يشرفون بنوره نهلاً وليلاً، لا تستطيع أمواج بحر العالم أن تكتسحهم! الله الذي خلق العالم المنظور لأجل

الإنسان فأبدعه كيف لا يهتم بإقامة ناموس جديد مبدع لبنين الإنسان نفسه ومجده؟!

7. أورشليم الجديدة:

ها أيام تأتي يقول الرب وتبنى المدينة للرب من برج حننيل إلى باب الوابية.

ويخرج بعد خيط القياس مقابله على أكمة جرب ويستدير إلى جوعة.

ويكون كل وادي الجثث والرماد وكل الحقول إلى وادي قدرون إلى زاوية باب الخيل شرقاً قدساً للرب.

لا تقلع ولا تهدم إلى الأبد" [38-40].

إن كان الله قد سمح بسبي شعبه، وخاب مدينته المقدسة بسبب الشر، فإنه خلال العهد الجديد يقيم أورشليم الجديدة، تُبنى له، وقد وضع لها

حدودها.

من ورج حننيل إلى باب الوابية: هذا الوجود في شمال شرقي المدينة (ك 14: 10، نح 3: 1؛ 12: 39) بينما يبنيها أن باب الوابية في شمال

غربي المدينة (ك 14: 10، 2 مل 14: 13، 2 أي 26: 9)، وقد بنى الملك عزيا في القرن السابق اواجًا فيها كما في مواضع أخرى (2 أي 26:

9).

الوادي المذكور في [40] هو وادي ابن هنوم (7: 31)، بينما يمثل "الرماد" بقايا الدهن من الذبائح البشوية. "والحقول" غير مؤكدة المعنى،

ينسبها البعض إلى حقل موت Mot، أي حقل إله الموت الكنعاني. كان نهر قدرون يحوي شرقاً أورشليم، وكان يقع باب الخليل في الركن الجنوبي من

من وحي إرميا 31

محبة أبدية أحببتك

- ❖ لكل حبٍ بداية ونهاية،
أما حبك فرُّلي أبدي،
أحببتني قبل أن أوجد،
وتبقى تحبني بعد عبوري هذا العالم.
- ❖ اقمتمني لك ابناً،
ونسبت نفسك لي يا إلهي!
تهبني مع كل لحظة خروجاً جديداً،
اخرج بقيادة روحك القفوس،
من عبودية فُعون وأسر بابل وسخرة إبليس،
لتردني إلى أحضانك الأبوية!
بيديك يا إلهي تقيم خيمتي الساقطة،
وتجعل مني بناءً إلهياً شاهقاً،
تقطنه أنت مع صفوف ملائكتك!
عوض العبودية العرة،
تقيمني عروساً متهللة لا يتوقف عرسها!
تضمنني إلى كنيستك السماوية المتعبدة بالروح والحق!
- ❖ من وسط التدمير الشامل والأفقاض،
تقيم مني بناءً عجباً فائق البهاء!
عوض الفوح الدائم يحل بي فوحك السموي!
لا أعود أبكي مع راحيل على أطفالها،
إذ أراهم موكب الغالبيين الحاليين أينما وجدت!
تحول صرخات التوبة وعويلها إلى تهليلات لا تنقطع!
- ❖ يا للعجب رُى أنثى تحيط ورجل،
عزاء بتول تحمل كلمة الله في أحشائها!
نفسى المسكينة تقتنيك داخلها!

يا له من سرِّ فائقٍ!

هوذا الآتية الخرفية الضعيفة تحوي كنز الكنوز!

❖ حبك الأبدي يحررني من السبي!

يدخل بي إلى أرض البر!

يغير بيتي إلى فردوس مثمر!

تغرس أشجار الروح في!

تبني بي بنفسك وتغرسني!

❖ حبك الأبدي قدم لي عهداً جديداً.

آدم أبي دخل معك في عهدٍ، لكنه نقضه!

فوح البار قبل العهد خلال العالم الجديد،

لكن سوعان ما شاخ العالم وفسد!

إبراهيم أب الآباء نال عهداً، لكن خلال ختان الجسد.

رجال العهد القديم قبلوا عهد سيناء خلال ذبائح حيوانية.

أما أنا فنلت عهدك الجديد،

تمتعت بجسدك ودمك المبولين حباً!

رفعتني عهدك إلى الصليب فزق الصك القديم،

تحررت من الديون والآثام ونلت برك العجيب!

دخل بي عهدك إلى سمواتك وأمجادك!

❖ عهدك الجديد حوّلني إلى أورشليم جديدة!

أقام مني هيكلًا للروح القدس،

وجعل مني عضواً في جسد المسيح المقدس،

ووهبني البفوة للآب السموي!

يا لحبك الأبدي الفائق!

⏪

الأصحاح الثاني والثلاثون

شراء أرض أثناء السبي

يبدأ الجزء الثاني من "سفر التوراة" بهذا الأصحاح الذي له أهميته الخاصة، حيث يؤكد لرميا النبي إيمانه ورجاءه في الوعد الإلهي بالعودة من

السبي. وقد وقعت هذه الحادثة في الوقت الذي كانت فيه جيوش بابل قد انسحبت مؤقتاً من حصار أورشليم عند اقتراب الجيش المصري في صيف 588

ق.م.، ثم عادت لتحصوها. أي كان هذا قبل حوالي عام من السبي الأخير لليهود إلى بابل (2 مل 25: 1-2).

بينما كان البابليون يدقون أبواب أورشليم لتهبها بعد عدة شهور، اشقوى رميا قطعة أرض، وهو يعلم أنه لن يستطيع أن يستقر فيها. لكنه أراد تأكيد أنه في المستقبل تعود الحياة الطبيعية في يهوذا.

- 1 . شراء الأرض [1-15].
- 2 . رد الفعل للشراء [16-25].
- 3 . إجابة الله عليه [26-35].
- 4 . أمجاد الإصلاح المسياني [36-44].

1 . شراء الأرض:

يقدم لنا تزيخ نبوة رميا النبي هنا، قائلاً:

"الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب في السنة العاشرة لصدقيا ملك يهوذا، هي السنة الثامنة عشرة لنبوخذناصر. وكان حينئذ جيش ملك بابل يحاصر أورشليم وكان رميا النبي محبوساً في دار السجن الذي في بيت ملك يهوذا" [1-2].

حدث هذا في السنة العاشرة لصدقيا ملك يهوذا، أي سنة 7-588 ق.م، وهي تقابل السنة الثامنة عشرة لنبوخذناصر. إذا حُسبت سنة اعتلاء العرش كعادة يهوذا، أما إذا حُسبت من السنة التالية (أي الكاملة) لملكه كعادة بابل فتكون السنة السابعة عشرة ^[554].

"لأن صدقيا ملك يهوذا حبسه قائلاً:

لماذا تنبأت قائلاً هكذا قال الرب.

هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيأخذها.

وصدقيا ملك يهوذا لا يفلت من يد الكلدانيين،

بل إنما يُدفع ليد ملك بابل ويكلمه فما لفم وعيناه تريان عينيه.

ويسير بصدقيا إلى بابل،

فيكون هناك حتى أفتقده يقول الرب.

إن حاربتم الكلدانيين لا تتجحون" [3-5].

الأعداد [3-5] عبارات اعتراضية وُضعت لتفسير السبب في احتجاز رميا، ومنعه من الهروب، إذ كان الهدف الرئيسي هو محاولة القضاء على رسالته النبوية. لا نعرف المدة التي قضاها رميا في السجن.

ت قدم لنا العبارات السابقة سبع نوات نطق بها النبي في أورشليم، أعلن النبي هذه النوات في مواضع كثيرة (21: 3-7؛ 24: 8-10؛ 25: 8-29)، وقد تحققت حرفياً كما جاء في (2 مل 25؛ 2 أي 36)

أ. يدفع الله مدينة أورشليم ليد ملك بابل فيأخذها.

ب. لا يفلت صدقيا ملك يهوذا من يد الكلدانيين.

ج. بالتأكيد يُدفع صدقيا ملك يهوذا ليد ملك بابل.

د. سينكلم صدقيا ملك يهوذا مع ملك بابل فما لفم وعيناه تريان عينيه.

هـ. يسير بصدقيا إلى بابل.

تنبأ حرقيا النبي عن صدقيا أنه لا وى بابل (حز 12: 13). حُمل الملك إلى بابل ليلاً، لكنه لم وها كما يقول رميا النبي، إذ فقّلوا عينيه في

ريلة (2 مل 25: 4-7). وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:

[يعلن أحد الأنبياء: "لاوى بابل" (حز 12: 13) وآخر يقول: "يسير به إلى بابل" [5] وتبدو النوبة كأنها متناقضة. ولكن الأمر غير ذلك، إذ كلاهما حق، فإنه لاوى بابل وإن كان يُحمل إليها... لأنه في اليهودية تُفقأ عيناه، لأنه حيث حنث بالقسم هناك يثبت ذلك عليه وينال العقوبة. كيف يُحمل إلى بابل؟ مسبيًا!

[555] فإن العقوبة مضاعفة: حرمان من البصر والسبي.

[إنه لم يرَ بابل مع أنه حُمِل إليها... لأنه فُقتت عيناه في اليهودية، في الموضع الذي فيه حنث بالقسم هناك نال العقوبة. لقد خان العهد وحنث بالقسم ولو مع رجلٍ وثني، لهذا نال عقوبة مضاعفة: السبي والعمى.

هذا هو ثمر خيانة العهد مع الناس فكم بالأحرى مع الله؛ إنها تُفقد النفس حريتها والبصوة الداخلية نورها، فيخضع الإنسان لعبودية داخلية

وعمى داخلي].

و. يكون صدقيا في بابل فيكون هناك حتى يفترقه الرب، أي إلى يوم موته.

ز. إن حلوا الكلدانيين لا ينجون.

طبقاً لما جاء في (39: 1) بدأ حصار أورشليم في السنة التاسعة لملك صدقيا، وقد رُفِع الحصار لمدة بسيطة عندما اقتربت القوات المصوية

من أورشليم (37: 5) ، لكنه فُض موة أخرى عندما قرر المصويون الامتناع عن القتال. وعندما كان لرميا ذاهباً إلى عناثوث من أورشليم ليتولى

عملية شواء ملكية العائلة ظفوه يتعامل مع العدو، لذا تم القبض عليه (37: 11-14) ، وُوضِع في حبسٍ محكمٍ، ولكن أُعطي بعد ذلك قليلاً من الحرية

(37: 21). كانت دار السجن عبلة عن سياج داخل القصر الملكي (نحميا 3: 25).

نقواً تفاصيل هذا الوصف المختصر هنا في الأصحاحين 37، 38 ، حيث أُغلق عليه في سجن القصر بواسطة رجال القصر (37: 17) كما

ألقى فيما بعد في جب آخر حيث لم يُوجد فيه ماء بل وحل (38: 6) . هنا نرى عدم ترتيب فصول السفر ترتيباً تليخياً.

ربما لم يرد الملك سجن لرميا، بل بالعكس نجّاه من يد أعدائه فاعتقله في مكانٍ في قصوه الخاص حتى لا يمكن أعداءه من إيذائه. وكان لإرميا

شيء من الحرية أثناء الاعتقال كما كان لبولس الرسول في رومية (أع 28: 30) ، فأمكن لأصحابه وأقربائه أن يزوروه، واستطاع هو أن يقوم بأعمال

البيع والشواء.

"فقال لرميا: كلمة الرب صلت إليّ قائلة:

هوذا حنمئيل بن شلوم عمك يأتي إليك قائلاً:

اشترِ لنفسك حقلي الذي في عناثوث لأن لك حق الفكاك للشراء.

فجاء إليّ حنمئيل ابن عمي حسب كلمة الرب إلى دار السجن،

وقال لي: اشترِ حقلي الذي في عناثوث الذي في أرض بنيامين، لأن لك حق الإلث ولك الفكاك، اشتره لنفسك، فوفت أنها كلمة الرب.

فاشترت من حنمئيل ابن عمي الحقل الذي في عناثوث،

ووزنت له الفضة سبعة عشر شاقلاً من الفضة.

وكتبته في صك، وختمت وأشهدت شهوداً ووزنت الفضة بموازين.

وأخذت صك الشراء المختوم حسب الوصية والفريضة والمفقوح.

وسلمت صك الشراء لباروخ بن نيرياً بن محسيا أمام حنمئيل ابن عمي وأمام الشهود الذين أمضوا صك الشراء أمام كل اليهود الجالسين في

دار السجن.

وأوصيت باروخ أمامهم قائلاً:

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

خذ هذين الصكين، صك الشواء هذا المختوم والصك المفتوح هذا، واجعلهما في إناء من خرفٍ لكي يبقيا أياماً كثيرة.

لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

سيشترون بعد بيوتاً وحقولاً وكروماً في هذه الأرض " [6-15].

الحديث الذي يذكر حق القريب في التملك بالشفعة هنا يبين أن العادات القديمة التي تتحكم في ملكية الأرض كانت لا تزال سارية المفعول. ففي لاويين (25: 25) يمكن للقريب أن يفك البيع لكي لا تخرج الملكية من العائلة.

كانت الإجراءات القانونية الصحيحة وُاعى كما لو كانت الأرض في حالة السلم، وكانت الحجة تتكون من نسخة محرزة (مغلقة) تشمل العقد وشروط البيع ونسخة أخرى مفتوحة، وسواء كانت الوثيقتان طبق الأصل أو كانت إحداها تحوي ملخصاً للثانية هذا ما لا يمكن تأكيده. كانت الأواني الفخارية شائعة الاستعمال لحفظ الأوراق والنفاثس الأخرى، تختم بالقار لضمان حفظ محتوياتها.

ويظهر من الحفريات أنه وُجدت نفس هذه العادة في بلاد ما بين النهرين حيث كانت تُكتب نسختان من العقد على خرف، واحدة تُغلف بغلاف

[556]

خرفي والأخرى تبقى بغير غلاف. وُجدت أيضاً نفس هذه العادة في فلسطين في أواخر القرن الرابع ق.م.

كما وُجد حديثاً في مغلة بالقرب من بحر لوط أنية خرف فيها صكوك ومخطوطات وهي نسخ من أسفار العهد القديم وغوها، وقد ظلت مخترنة في بطن الأرض أكثر من ألفي سنة.

ربما كانت الحجة مماثلة لعقود أخرى وُجدت في مصر في أواخر القرن الخامس ق.م. في جزوة فيلة حيث كانت الحجج من نسختين تُكتب

على ورق البردي، إحداها مغلقة ومختومة والأخرى مفتوحة ليسهل الرجوع إليها. تُحفظ المفتوحة في الوثائق الرسمية، أما المختومة فتُحفظ في مكان

أمين إلى انقضاء سني السبي السبعين حيث يكون مستنداً رسمياً لتحديد موث لميا الذي اشتراه من ابن عمه.

وى البعض أن مجيء حنمئيل إلى ابن عمه لميا ليبيع حقله ويترك قريته فيه إشارة إلى حالة اليأس التي حلت بالشعب من جهة المستقبل.

ربما كان لحنمئيل من هم أقرب من لميا لكنهم رفضوا الشراء لظروف البلد القاسية، لذا تقدم إلى لميا.

لم تكن زبيلة حنمئيل لإرميا مفاجئة له، فقد سبق فأعلن الله له عنها ، وقد أرشده الرب إلى ما يصنعه. هكذا عندما انسحب الكل من لميا

تدخل الله ليوشده في كل أمور حياته حتى التي تبدو زمنية

دفع لميا في الحقل 17 شاقلاً من الفضة، فإن كان الشاقل يسوي حوالي خمسين من الوقية (5، 11 جم)، فقد دفع حوالي سبع أوقيات فضة

(تك 23: 16) [557]. ويمكننا أن نستنتج من هذا بأن لميا لم يكن فقواً.

مع أن موضوع شواء الحقل من حنمئيل أمر شخصي يعطي قره فيه بكامل حريته، لكن الكتاب المقدس يوضح أن الله ضابط الكل يحول كل

الأمور حتى التي تبدو تافهة لبنيان شعبه وأولاده . كأن ما حدث لم يكن كما يظن البعض محض صدفة - إن صح التعبير - لكن تمّ بعناية إلهية يحمل

الآتي:

أ. تأكيد طاعة لميا للنبي لله الذي أعلن له عن الأمر مسبقاً.

ب. توكية إيمان لميا الذي يعلن بهذا الحدث أن السبي قادم حتماً، لذا حفظ نسختي العقد في إناء خرفي. لأنه حفظ النسختين وليس نسخة واحدة

في إناء خرفي لإثبات النبي أن تنفيذ شواء الحقل يتطلب عشرات السنين حتى ينتهي السبي. بهذا أعلن تأكيده أن السبي قادم حتماً، وأن العودة أيضاً

قادمة حتماً!

ج. توكية إيمانه بأنه سيعود المسيبين يوماً ما وتعود الحياة اليومية من بيع وشواء وفلاحة حقل إلخ.

د. حمل الشواء رمزاً لعمل السيد المسيح الخلاصي.

التفسير الرمزي لشواء الحقل

ما هو هذا الحقل الذي اشتواه لرميا وهو في السجن أثناء السبي ليسجل عقد الشواء من نسختين، إحداهما مختومة والأخرى مفتوحة، حتى يملك الحقل بعد الانتهاء من السبي؟

أ. الحقل موضوع الشواء هي الكنيسة التي اقتناها السيد المسيح لنفسه موائناً أبدياً، هي له يمتلكها في كمال بهائها ومجدها بعد انقضاء الدهر، كما بعد السبي، كما هو موائنا الذي نفتنتيه بكوننا أولاد الله، ورثة الله، وورثون مع المسيح (رؤ 8).

مع أنه اشتوى الحقل ودفع ثمنه إلا أن لم يضع اليد عليه، فمزال الموائت تحت عبودية الفساد. لقد حصل فداء هذا الموائت بالدم وهو الثمن المدفوع، أما الفداء بمعنى تحقيق الملكية ووضع اليد بالقوة فمزال مؤجلاً ونحن ننتظر ونتوقع فداء المقتنى المدفوع ثمنه.

الوج المكتوب هو سند ملكية هذا العالم ولا جدال في هذا، ويبقى مختوماً إلى أن يقوم الورث الشعري ليطالب بالملكية، ومن الواجب قبل امتلاك العالم فعلاً أن ينقي موائته أولاً خلال وفتح الختوم.

ب. قدم لرميا الثمن وهو بعد في السجن داخل القصر وجيوش الأعداء تحيط بأورشليم. لم وحيء لرميا الثمن بل بثقة ويقين قدم الثمن واستلم العقد. هكذا دفع مسيحننا ثمن خلاصنا، دمه الثمين، بعد أن قول إلى عالمنا كواحد منا، وهو الملك صار تحت الحكم. أحصي مع الأئمة، وانهاالت الاتهامات ضده، أما هو فما كان يشغله إلا اقتناء كنيسته التي هي حقله المحبوب لديه.

ج. كتابة العقد من نسختين إحداهما مختومة والأخرى مفتوحة إنما تشير إلى أن الخلاص قد تحقق فعلاً إذ سجل مسيحننا بدمه عهده الجديد على الصليب، مكتوباً بحبه العملي البازل. صار صليب مسيحننا عقداً أو عهداً جديداً مفتوحاً للمؤمنين الذين يبركون أنه قوة الله للخلاص (1 كو 3: 18)، أما لغير المؤمنين فهو مختوم، إذ واه اليهود عثرة واليونانيون جهالة (1 كو 3: 23).

بالنسبة لنا أيضاً زى في الصليب عهداً واحداً من نسختين: النسخة المختومة هو ما نناله الآن من عربون للسماويات، فننعم بخوة الموائت الأبدي ونحن بعد في هذا العالم، أما النسخة المفتوحة فهو تمتعنا بالسماويات عينها حين زى الوب وجهها لوجه ونحيا في الأحضان الأبوية أبدياً.

د. وضع النسختين في إناءٍ خرفي يشير إلى أن العهد الجديد الذي به ينال المؤمنون الموائت الأبدي يودع في أناس (لهم الجسد كإناءٍ خرفي) يشهدون للعمل الخلاصي الإلهي خلال حياتهم الزمنية، هذا ما دفع الرسول بولس أن يحث تلميذه تيموثاوس أن يحفظ الوديعة (1 تي 6: 20؛ 2 تي 1: 14) وأن يودعها في أناسٍ أمناءٍ.

هـ. تم العقد أمام باروخ وكل اليهود الذين كانوا في قاعة السجن تأكيداً أن عمل الخلاص أو العهد الجديد بالصليب يتحقق علانية حيث يرتفع السيد المسيح على جبل الجلجثة أمام اليهود وبعض رجال الدولة والأمن.

لأول مرة يُذكر باروخ [12]، الكاتب الذي يملي النبي كلامه عليه ثم يكتبه، وكان رجلاً تقياً، صديقاً لرميا ومعاوناً له وأمين سوّه، كان مسؤولاً عن إعداد وثائقه، ولعلّه كان كاتباً رسمياً وخطاطاً (36: 26).

2. رد الفعل للشراء:

ثم صليت إلى الرب بعد تسليم صك الشراء لباروخ بن نيريا قائلاً:

آه أيها السيد الرب،

ها إنك قد صنعت السموات والأرض بقوتك العظيمة، وبزراعك الممدودة.

لا يعسر عليك شيء.

صانع الإحسان لألوف ومجلى ذنب الآباء في حزن بنيتهم بعدهم،

الإله العظيم الجبار رب الجنود اسمه.

عظيم في المشورة وقادر في العمل،

الذي عينك مفتوحتان على كل طرق بني آدم لتعطي كل واحد حسب طريقه وحسب ثمر أعماله.

الذي جعلت آيات وعجائب في أرض مصر إلى هذا اليوم وفي إسرائيل وفي الناس، وجعلت لنفسك اسمًا كهذا اليوم.

وأخرجت شعبك إسرائيل من أرض مصر بآيات وعجائب وببيدٍ شديدة وفراعٍ ممدودة ومخافةٍ عظيمةٍ.

وأعطيتهم هذه الأرض التي حلفت لآبائهم أن تعطيتهم إياها أرضًا تفيض لبنًا وعسلًا.

فأتوا وامتلكوها ولم يسموا لصوتك ولا ساروا في شريعتك،

كل ما أوصيتهم أن يعملوه لم يعملوه فأوقعت بهم كل هذا الشر.

ها المتلرس،

قد أتوا إلى المدينة لياخذونها،

وقد دفعت المدينة ليد الكلدانيين الذين يحاربونها بسبب السيف والجوع والوبأ،

وما تكلمت به فقد حدث وها أنت ناظر.

وقد قلت أنت لي أيها السيد الرب اشتر لنفسك الحقل بفضة وأشهد شهودًا وقد دفعت المدينة ليد الكلدانيين" [16-25].

يلاحظ في صلاة لرميا أو تسبحة الآتي:

وَأولاً: لم ينشغل رميا بشواء الحقل، فقد أرك أنه لن يعيش على الأرض حتى يتسلم الحقل... لكن ما كان يشغله هو الله نفسه خالق السماء والأرض، الذي يبسط يديه بالحب لمؤمنيه وهو قدير على خلاصهم. حاول رميا أن يسكن من مخاوفه وقلقه بالتفكير بأنه لا شيء يستحيل على الله الذي خلق الكون فهو يفعل ما يشاء. ومع ذلك فهناك مشكلة خطيرة تتعلق بيهودا، لأن الأمة رفضت سلطان الله عليها (لو 19: 14)، ولأن كل شيء مكشوف بالنسبة لله فلا يمكن لأى شر أن يختفي عن نظر الله.

ثانياً: صلى بحزن إلى الله الذي هدأ من روعه ليطمئن على المستقبل. كان الحصار ضد أورشليم يشهد بأن إنذرات الله السابقة قد أضحت حقيقة

ماثلة الآن، لذلك كان يصعب على رميا أن يعتقد أن الله الغير متغير وكلى القوة يمكن أن يأمره بشواء الأرض بينما كانت نهاية الحياة الطبيعية في

يهودا قد أصبحت قاب قوسين أو أدنى. ومع ذلك فقد أمر النبي أن يتصوف كما لو كان للأرض مستقبل مجيد ورائع، وكان إيمانه وطاعته في ظل هذه

الظروف نموذجًا للسلوك يحتذي به كل من المؤمنين الحقيقيين (عب 11: 6).

ثالثاً: يقول: "الإله العظيم الجبار رب الجنود اسمه".

اهتم موسى النبي أن يسأل الله عن اسمه (خر 3)، فأعلن الله له أن اسمه "يهوه"، هنا أيضاً يعلن الرب عن اسمه أنه "رب الجنود"، فالله فوق

الأسماء كما يقول القديس إكليمنضس السكثوري، لكنه يعلن اسمه حسب احتياجنا.

احتاج موسى إلى الله ككائنٍ يحل وسط شعبه، فقدم الله اسمه "يهوه" أي "أنا كائن"، ولرميا يدخل في آلام كثرة ومهارة، لذلك يعلن الله له عن اسمه

"رب الجنود"... وأخيراً جاء السيد المسيح الابن الوحيد ليعلن اسم أبيه للبشر كأب...

يقول القديس جيروم: [لم يكن هذا الاسم معروفاً في الماضي، إذ يقول الرب: "أنا أظهرت اسمك للناس" (يو 17: 6)]. فإن كل ابنٍ في الحق

يحمل اسم أبيه [558].

رابعاً: يحدثنا في [23] عن ثلاثة أسباب لدمولهم:

أ. لم يطيعوا الصوت الإلهي.

ب. لم يسلكوا في ناموسه الإلهي.

ج. لم يتموا شيئاً من وصاياه الإلهية!

لقد حرموا أنفسهم من الصوت الإلهي، والناموس الإلهي، والوصية الإلهية؛ وإن كان من الصعب وضع حدٍ فاصِلٍ للتمييز بين هذه الثلاثة إلا إنه

يمكننا القول:

حرموا أنفسهم من اللقاء الشخصي مع الكلمة الإلهية أو الصوت الإلهي ، لقاء الحب والود!

حرموا أنفسهم من الناموس أو الشريعة الإلهية كقائد لهم في الطريق الملوكي حتى لا ينحرفوا يميناً أو يسراً عن الطريق الملوكي أو طريق

الحياة.

وأخيراً حرموا أنفسهم من الوصية الإلهية التي قدمها الله للإنسان ليعلن بطاعته لها عن تجاوبه مع الحب الإلهي ، فيدخل في حب مشترك بين

الله والإنسان!

خامساً: يصف الله المحرر من السبي بعدة سمات نتحدث عن عظمة قدرته:

أ. خالق السماء والأرض بقوته العظيمة [17].

ب. إله المستحيلات، لا يعسر عليه شيء [17].

ج. محب ومترفق بالآلاف [18].

د. يجزي الآباء في أبنائهم المصيرين على السلوك بروح آبائهم لكي يؤدب الكل.

هـ. الله العظيم الجبار [17].

ح. عظيم في المشورة [19].

ز. الإله القدير [19].

ط. العرف كل شيء، عيناه مفتوحتان على طرق بني آدم ليعطي كل واحد حسب طريقه وحسب ثمر أعماله [19].

ي. إله العجائب والمعجزات [20].

ك. واهب الخروج لشعبه بقوة [21].

ل. إله المواعيد الصادقة: واهب أرض الموعد [22].

م. يؤدب على الشرور [23].

سادساً: لم يتحدث عن التأديب الإلهي إلا بعد أن كشف عن حب الله الفائق واهتمامه بالإنسان، إذ خلق الكل لأجله، وقدم له المستحيلات، مع

المشورة الإلهية العظيمة. إنه يشتهي حريته فيخرجه كما من عبودية فوعن، ويدخل به إلى أرض الموعد فلا يعتاز شيئاً، وأخيراً إذ يصمم الإنسان على

العصيان لا يوجد طريق آخر غير التأديب الإلهي مهما بدى قاسياً.

سابعاً: تحدث في تسبحة الرب عن الخروج من مصر ، وهو موضوع لم يشغل موسى النبي وحده بل ورد في الأسفار التاريخية والزوامير

وكتب الأنبياء، ويورد كثراً في ليتورجيات الأعياد اليهودية والتسابيح التي كانت تُقدم في الهيكل.

3. إجابة الله عليه:

ثم صارت كلمة الرب إلى إرميا قائلة:

هأنذا الرب إله كل ذي جسد، هل يعسر عليّ أمر ما؟!

لذلك هكذا قال الرب:

هأنذا أدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين وليد نبوخذ نصر ملك بابل فيأخذها.

فيأتي الكلدانيون الذين يحلبون هذه المدينة، فيشعلون هذه المدينة بالنار، ويحرقونها، والبيوت التي بخرؤا على سطوحها للبعل وسكبوا سكائب لآلهة أخرى ليغيظوني.

لأن بني إسرائيل وبني يهوذا إنما صنعوا الشر في عيني منذ صباهم.

لأن بني إسرائيل إنما أعاظوني بعمل أيديهم يقول الرب.

لأن هذه المدينة قد صلت لي لغضبي ولغيظي من اليوم الذي فيه بنوها إلى هذا اليوم لأوعها من أمام وجهي.

من أجل كل شر بني إسرائيل وبني يهوذا الذي عملوه ليغيظوني به هم وملوكهم ورؤسؤهم وكهنتهم وأنبيؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم.

وقد حوّلوا لي القفا لا الوجه،

وقد علمتهم مبكّواً ومعلّما ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا أدباً.

بل وضؤوا مكروهاتهم في البيت الذي دعي باسمي لينجسوه.

وبنؤا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هنوم ليجيزؤا بنيتهم وبناتهم في النار لمولك، الأمر الذي لم أوصهم به، ولا صعد على قلبي،

ليعملؤا هذا الرجس ليجعلؤا يهوذا يخطئ" [26-35].

وُلأ: يحدثنا عن خطايا إسرائيل السبع:

أ. يملسون الشر منذ صباهم [30]، أي نشؤا فيها أباً عن جدٍ، متأصلون فيها.

ب. يثيرون غضب الله بعمل أيديهم (الأصنام)، أي مصممون على الشر بإقامتهم آلهة وثنية.

ج. يعطون الله القفا لا الوجه [33]، أي لا يحملون حباً لله بل كراهية.

د. لا يصغون لتعاليم الله، متجاهلين الوصية الإلهية.

هـ. يقيمون رجاساتهم في بيت الله ويدنسونه [34]، فيخلطون عبادة الله بالأوثان والحياة التعبدية بالرجاسات. إذ قدمت أورشليم محرقات للأوثان

سمح لها أن تحرق على أيدي الكلدانيين.

و. بينون مرتفعات للبعل [35].

ز. يجيزؤن أبناءهم وبناتهم في النار للإله مولك في وادي ابن هنوم. يضحون من أجلها حتى بأبنائهم فيلقون بهم في النار كذبائحٍ بشريةٍ،

متجاهلين أبسط المشاعر الإنسانية أو حتى الحيوانية!

نجد هنا تركؤاً على شورهم المستؤة طوال تزيخهم.

تمثل أورشليم الأمة كلها التي كانت في أيام ما قبل داود النبي مسوحاً لوثنية اليبوسيين، وكان الفساد الذي أدخل تحت حكم سليمان بداية لدخول

العبادات الغريبة إلى جانب عبادة الله، والارتداد بصورة شبه مستؤة. وفي عصر رميا كان ذلك هو الطابع السائد للحياة حتى أن إصلاحات يوشيا لم

يكن لها تأثير دائم، وقد أضاف المواطنون لتلك العبادات إساءة وإغاظة برفضهم عهد النعمة، والارتباط بالعبادة الوثنية (7: 31) وتقديم ذبائحٍ بشرية (19:

5؛ لا 18: 21). وكانت عبادة الأوثان على السطوح (انظر 19: 13) من أكثر الأخطاء الذميمة للشعب المختار.

بمعنى آخر احتلت الخطية كل كيانهم: تأصلت فيهم منذ الصبا، فأفسدت سلوكهم (ممارسة الشر) وقلوبهم (إعطاء الله القفا)، وإرادتهم (لا يصغون

للتعاليم الإلهية)، وعبادتهم (تدريس بيت الله)، وطاقاتهم (يصنعون التماثيل وبينون المرتفعات للبعل)، حتى عواطفهم وعلاقاتهم الأسوية (يجيزون ولادهم في النار).

هذا وقد تسللت الخطية إلى الجميع، لم تقتصر على أسباط معينة ولا على فئات معينة بل انخرط فيها أبناء إسرائيل كما أبناء يهوذا [30]؛ سقطت فيها كل الأمة: الملوك ورجال النولة والكهنة والأنبياء والشعب، فقد صنعوا شرورًا جماعية كثرة [31-32] لذا استحقوا تأديبًا جماعيًا! لقد كسروا العهد مع الله [33-35]، وأقاموا عهودهم مع البعل والإله مولك.

ثانياً : نفذ رميا النبي الأمر الإلهي الخاص بشواء الحقل في ظروف غير طبيعية، بالرغم من تأكده من تسليم أورشليم في أيدي الكلدانيين. إذ سحَّ رميا الله القدير مؤكداً أنه ليس شيء غير مستطاع لديه، أجاب الله أنه إله كل جسد [27]. إله كل البشرية، يعمل في الكل بخبطه الفائقة. يستخدم الله نفس كلمات رميا [17] ليؤكد له أنه لا شيء يعسر على الخالق.

4 . الوعد يرد السبي:

إذ قدم الله لشعبه الحجة تلو الأخرى، معللاً سر سقوطهم تحت التأديب الجماعي، لم يتركهم في يأس بل قدم لهم عهداً جديداً على مستوى أعظم من العهد القديم، حيث ينقشه في قلوبهم. يقدمه عهداً أبدياً، يُسر به فهو محب لمؤمنيه.

بعد أن كشف الله عن خطاياهم التي بسببها سقطوا تحت التأديب، أراد أن يوضح لهم أن التأديب ليس إلا مرحلة مؤقتة، خلالها يدخل بشعبه إلى التوبة كما إلى مدرسة إلهية، يكشف لهم عن خطاياهم ويحاججهم لأجل رجوعهم إليه ونوهم. من الجانب الايجابي يكشف لهم عن حبه العجيب لهم واهتمامه بهم وتقديم عهدٍ جديدٍ فائقٍ: **وَأولاً: يتحدث بروح الصراحة والأبوة أنه هو الذي دفع بهم إلى السبي** كما إلى السيف والجوع والوبأ، إذ صاروا موضع غضبه بسبب خطاياهم وعصيانهم. ها هو الآن يودهم بالحب ويدخل بهم إلى الموضع الذي طردهم منه ليعيشوا في أمان سالمين [36-37]. **وَالآن لذلك هكذا قال الرب إله إسرائيل عن هذه المدينة التي تقولون إنها قد دفعت ليد ملك بابل بالسيف والجوع والوبأ. هأنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وبسخطٍ عظيم، وُردهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمين** [36-37].

جاء الحديث في العبرية في صيغة الماضي وليس كمن يتنبأ عن المستقبل ليؤكد لهم أن السبي يتحقق حتماً والود منه أيضاً سيتم لا محالة! **ثانياً :** جهر العهد هو اتحاد الله بشعبه: **"ويكونون لي شعباً، وأنا أكون لهم إلهاً" [38]** . هذا الاتحاد هو قمة مجدنا الأبدى، حيث نجد لنا موضعاً في حضن الآب، ويُنسب الله إلينا ونحن ننتسب إليه، الذي يعترز بهذا النسب قائلاً: **"أنا إله إواهم وإله إسحق وإله يعقوب"**.

ثالثاً: وَأعطيهم قلباً واحداً وطريقاً واحداً ليخافوني كل الأيام لخوهم وخير ولادهم بعدهم" [39]. يعطينا **"قلباً واحداً وطريقاً واحداً"** ما هو هذا القلب الواحد إلا روح الوحدة، وما هو الطريق الواحد الذي يدخل بنا إلى مخافة الرب لخوينا وخير ولادنا إلا السيد المسيح القائل: **"أنا هو الطريق"** . ففي هذا العهد نتمتع بعمل الروح القدس والسيد المسيح، فنعيش كشعبٍ واحدٍ، الجسد الواحد، ونثبت في الطريق الإلهي الملوكي لننعم بشركة الطبيعة الإلهية، حاملين الشركة في سمات المسيح فينا.

رابعاً: وَأقطع لهم عهداً أبدياً أني لا أرجع عنهم لأحسن إليهم وأجعل مخافتي في قلوبهم فلا يحدون عني" [40]. يبقى **العهد أبدياً** حتى في السماء (رؤ 21؛ إش 50: 3، حز 16: 60) ... نوثب باث، فلا يقدر الموت أن يحطم علاقتنا به، بل يدخل بنا إلى لقاءٍ أعظمٍ لا يتحطم!

يقول **الأب بفنوتيوس:** [يتحدث رميا النبي على لسان الله مقررًا بوضوح أن مخافة الله التي بها نثبت فيه تتسكب علينا منه ^[1559]]. كاسيان 3:

خامسًا: وأفوح بهم" [41].

هذه هي قمة علاقة الحب، فإنه ليس فقط يحبنا بل يفوح بنا ، كأب يشتهي أن يرى أبنائه ويلتقي بهم ويسكب مجده فيهم مقدمًا لهم مراثيًا إلهيًا. هكذا يكشف العهد الجديد عن قلب الله - إن صح التعبير - الذي كأب يطلب خير ولاده ونموهم فيه.

سادسًا: "لأحسن إليهم وأغرسهم في هذه الأرض بالأمانة بكل قلبي وبكل نفسي" [41].

علامة العهد أن تمتد يد الله نفسه لتغرسنا في الأرض الجديدة، اليد الأمانة التي تعمل بغير حدود، بل بكل قلب الله التي لا يأتى آخر غوه على غرسنا! إن كان بولس الرسول يغرس وآخر يسقي، لكن يبقى الله العامل في قلب الرسل والخدام، هو الذي يغرس ويروى وينمي ويقدم ثمر الروح.

سابعًا : أخيرًا يؤكد لهم استوار حياتهم بعد السبي في ظل العناية الإلهية كعبون للحياة الكنسية الغنية في ثملها، والمملوءة سلامًا روحياً.

"لأنه هكذا قال الرب: كما جلبت على هذا الشعب كل هذا الشر العظيم هكذا أجلب أنا عليهم كل الخير الذي تكلمت به إليهم.

فثشوى الحقول في هذه الأرض التي تقولون إنها خربة بلا إنسان وبلا حيوان وقد دُفعت ليد الكلدانيين.

يشترون الحقول بفضة ويكتبون ذلك في صكوك ويختمون ويشهدون شهودا في أرض بنيامين وحوالي أورشليم وفي مدن يهوذا ومدن الجبل

ومدن السهل ومدن الجنوب لأني رُد سبيهم يقول الرب" [41-44].

من وحي لرميا 32

وعودك تتحدى الزمن!

❖ آمن لرميا بوعودك الصادقة:

بعد 70 عامًا لابد أن ينتهي السبي!

كان في دار السجن وسط الآلام،

وكان البابليون يستعدون لنهب أورشليم،

وأى بعيني الإيمان اليقين الملك ورجاله يُسبون،

المدينة وهيكلها، والقوى وحقولها... تخرّب،

مع ذلك اشترى قطعة أرض في عناوث قريته!

❖ افتدى الأرض بسبعة عشر شاقلاً من الفضة!

قدم صك الشراء لباروخ كاتبه!

حُفظت منه نسختان في إناءٍ خزفي،

نسخة مختومة وأخرى مفتوحة!

أكد تقوده لمواث آبائه واعوله برُض الموعد!

أكد إيمانه أنه وإن طال الزمن سيعود شعبه من السبي،

وترجع الحياة اليومية الطبيعية إلى ما هو أفضل!

وعودك بالعودة المجيدة تتحدى الزمن بكل مولته وعوله!

❖ من أجلي دخلت أنت يا مخلصي، وليس لرميا، إلى السجن!

لحسابي حُكمت كمنذِبٍ وحملت ثروة عصياني!
رأيتني أنهار في السبي وتخرب كل أعماقي!
فقدت مجدي وحاط بي القوي!
اشتريت قلبي حقلًا خاصًا بك!
أقمت منه جنتك وفردوسك!
نعم! ليثمر روحك القنوس في!
لأتحرق الآن، هوذا صك الشراء محفوظ!
صك الشراء بل صك الفداء مختوم هنا لا زاه إلا بعيني الإيمان،
ومفوح في السماء يتهلل به السمائيون معنا!
❖ من أجلي سقطت تحت المحاكمة يا إله رميا!
لم تتشغل بالاتهامات ولا بالجلدات ولا بالراحات،
بل كل ما كان يشغلك أن توقع عهدًا جديدًا،
كتبته لي بدمك الثمين!
اشتريتني وسط ألامك حقلًا مقدسًا لك،
قبلتني موائك، وأنت موائتي.
حبيبي لي وأنا لحبيبي الواعي بين السوسن!
❖ بدمك سجلت العهد الجديد،
أودعته في قلبي الصغير، الإناء الخزفي،
أودعت كترك الإلهي في حقرتي!
❖ هب لي أن أقرأ النسخة المفتوحة،
فأرى مع يوحنا حبيبيك بابًا مفتوحًا في السماء،
ويرتفع قلبي إلى أمجادك!
إني أنتظر أيضًا أن تفتح النسخة المختومة،
حين تأتي يا ديان البشوية،
فأرى ما لم توه عين،
وأسمع ما لم تسمع به أذن،
وأتمتع بما لم يخطر على قلب إنسان!
لك الحمد والتسبيح يا من اقتنيتني لا بذهب وفضة،
بل بدمك الثمين المبذول على الصليب!

أورشليم... أنشودة فوح!

إذ كان لرميا النبي في السجن تحدث الله معه بشأن شعبه للمرة الثانية. لقد سبق فقدم لهم تحذيرات مستترة، وها هو يقدم تأكيدات لمواعيده الإلهية الصادقة. فإنه لا يكف عن تكرار تقديم النصائح والتحذيرات وأيضًا المواعيد لأجل تشجيعهم على التوبة وبث روح الرجاء والفوح خاصة أثناء ضيق.

استطاع الأشرار أن يأسروا جسد رميا لكنهم لم يستطيعوا أن يعيقوه عن إعلان الرسالة الإلهية، وكما يقول الأسير بولس: "الذي فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمدنّب، لكن كلمة الله لا تقيد" (2 تي 2: 9).

الرسالة الإلهية الموجهة للشعب هنا لبث روح الرجاء، مقدمة أيضًا لإرميا النبي نفسه، فبلاشك كان لرميا يئن في أعماقه وهو يقدم الرسالة الأولى المملوءة تحذيرات للشعب. كانت جوان قلبه تتوجع وأحشؤه تصوخ من أجل العرلة التي تحل بالشعب. الآن يقدم له الوب رسالة تعزية توح أعماقه.

بينما كان لرميا النبي في السجن لم يكن منشغلاً بحاله ومتاعبه ووجدته، إنما بشعبه الذي يسقط تحت السبي بسبب الخطية، والدمار الذي يلحق به. لهذا فتح الله عن عينيه لوى ما في قلب الله من جهة شعبه. فإن الله يريد مبلركته كما يخطط لأجل تحقيق ذلك، فيجعله أشبه بمدينة سملاوية، أورشليم العليا، مدينة مسورة لن يقدر أن يقتحمها عدو، مملوءة صحة، لا تعاني بعد من موض، طاهرة ونقية، لا تفسدها أو تتجسها خطية، متهلة كعوس دائم لا ينقطع.

يجعل شعبه أشبه بعوى سملاوي يشبع ويروي كل احتياجات المؤمنين،

وبقصر ملوكي، يقيم فيه المسيا الملك ابن داود،

وبهيكلي مقدس يخدم فيه رئيس الكهنة الأعظم ربنا يسوع.

هذا هو اشتياق الله من جهة شعبه الذي يقيم معه عهدًا أبدية.

في الجزء الثاني من هذا الأصاح يعد الله أنه يقيم:

مملكة أبدية،

عرشًا أبدية،

نسلًا لداود أبدية،

وأيضًا كهنة ولاويين ومحرقات وتقدمات أبدية...

هذه جميعها لا يمكن أن تتحقق بطريقة حرفية، لكنها وعود تحققت بمجيء السيد المسيح الذي أقام مملكته السملاوية فينا، والتي تُعلن بأكثر كمال في لقائنا معه في يوم الرب العظيم، حيث نُحسب كهنة لاويين، مقدمين تسابيح الحمد كمحرقات وتقدمات لا تنقطع.

إن كان الله يرد لمدينته حريتها، يردّها من السبي البابلي، فإنه يجعل من اسمها أنشودة فوح، تحمل شهادة حية لعمل الله الخلاصي الموح، وى فيها أمورًا عجيبة وفائقة. لقد جاءت هذه الرسالة الموححة في وقت كانت الحالة ترداد سوءًا.

1 . السماء قابلة الصلوات [3-1].

2 . أورشليم الحصينة [4-5].

3 . أورشليم المتمتعة بالشفاء والسلام [6-7].

4 . أورشليم و غفوان الخطايا [8].

5 . أورشليم... أنشودة فوح [9-11].

6 . أورشليم مرعى الراعي الصالح [12-13].

7 . أورشليم وكروسي داود [14-17].

8 . أورشليم والعمل الكهنوتي [18].

9 . الأمانة في العهد [19-26].

1 . السماء قابلة الصلوات:

"ثم صلت كلمة الرب إلى رميا ثانية وهو محبوس بعد في دار السجن قائلة:

هكذا قال الرب صانعها، الرب مصورها، ليثبتها يهوه اسمه.

ادعني فأجيبك، وأخبرك بعظائم وعوائص لم تعرفها" [1-3].

ولاً : يبدو أن بعض القيادات جاءت إلى رميا النبي في دار السجن الذي بالقصر تضغط عليه لكي يتبأ لهم بانهيال الكلدانيين، ظانين في غبلوة أنه بهذا يؤثر على خطة الله ويغورها فتخلص المدينة من الحصار المرّ. لذلك أعلن الله عن أهمية الصلاة، لا لتحقيق رادتنا البشوية بغبلوة، بل للتعرف على خطة الله وأسوره.

إذ أوشك أن يدخل الشعب إلى أحلك لحظات حياته بسبب السبي البابلي يدعهم الله إلى الصلاة لكي يعلن لهم عما يريد أن يكشفه لهم. بمعنى آخر مع أن الله قادر أن يتحدث معهم عن أسوره من نحوهم، لكنه يريدهم أن يتحدثوا معه ويحوروه، فيتركوا أنه أب سملوي يهب أسوره لأولاده الملتصقين به.

ثانياً : يعلن النبي أنه قد صلت إليه كلمة الرب وهو محبوس بعد في دار السجن، إذ لم يقدر السجن أن يحبس الكلمة الإلهية أو يحدّها، بل على العكس كثوراً ما يتمتع المؤمن بكلمة الله، ويتعرف على أسورها، كما ينعم بتغريات الروح القدس وإعلانات الله عندما يكون وسط الآلام. يسجل لنا التاريخ كيف تحولت السجون في أيام الإضطهادات إلى مقادس إلهية، يُسمع خلالها صوت تسابيح المعترفين أو الشهداء، ويتمتع الكثيرون بروى سملوية. كثوراً ما يُرسل الله لشهوده المتألمين ملائكة ورؤساء ملائكة، وأحياناً يتجلى بنفسه ليؤكد حضوره وسط آلامهم.

ثالثاً: ماذا قدمت الكلمة الإلهية لإرميا السجين منفرداً؟

أ. لعل أهم ما قدمته هو شعور رميا أنه في الحضور الإلهية ، مما حول السجن إلى لحظات لقاء مع الله وتعرف على أسوره الإلهية المفوحة.
ب. يقول الرب لإرميا إنه "صانعها" ربما يقصد "صانع الكلمة" وإن كانت الترجمة السبعينية توضح أنه "صانع الأرض، الرب مصورها، ليثبتها". استخدم سفر التكوين (الأصحاح 1) ثلاثة أفعال عن الخلقة:

asa تعني يصنع،

yasar تعني يشكل،

bara تعني يخلق.

هنا يتحدث عن الله صانع الأرض ومشكلها ^[560]، مستخدماً الفعلين الأول والثاني.

إن كان رميا في حبس منفرد لكن يليق به أن يترك أن الأرض كلها هي للرب ولمسيحه. الله خالق الأرض ومشكلها ومثبتها حسب فوه الإلهي. هكذا يليق بلرميا أن تتهال نفسه لأنه ليس محبوساً وسجيناً خلال ظلم البشر، وإنما بالأهوى محمول على أرض صنعها الرب للبشر. الذي خلق

الأرض لأجل الإنسان وصورها وثبتها لتشبع احتياجاته هو ملقوم بالبشرية، خاصة بنيه وشعبه، وأن **يشكلهم** ليحملوا صورته، وأن **يثبتهم** فيه. إننا أئمن من الأرض كلها التي خلقها الله لأجلنا .

إن كان التحرر من السبي البابلي يبدو مستحيلًا في أعين المسيبيين، فإن الله صانع الأرض ومشكلها ومثبتها قادر أن يقيم شعبه ويؤسس مدينته من جديد ويثبتها. لم يكن ملك يهوذا والقيادات والشعب يتصورون إمكانية السقوط تحت السبي البابلي، خاصة بالنسبة لأورشليم مدينة الله المحتضنة الهيكل. الآن وقد اقترب وقت السبي اترك لرميا النبي أنهم سيشعرون بأن المستقبل مظلم، وأن التحرر من السبي الذي يطول أمده يصير فوق كل تفكير بشوي؛ لكي يأتي يوم التحرر فيكون أنه **إله المستحيات**.

ج. تعلن له الكلمة الإلهية: "**يهوه اسمه**"، وكما يقول **القديس أغسطينوس**: [اسمه ليس اسمًا لأجل ذاته بل لما يعنيه [\[561\]](#)].

"يهوه" هو الاسم الإلهي الذي يُستخدم للإعلان عن الله الساكن مع شعبه والداخل معهم في ميثاق. لنترك اسمه دومًا، فترتبط معه في ميثاق أبدي.

❖ النفس التي بالحق تطلب أن تثبت رجاءها، عندما تُختطف من هذا العالم تتقبل معرفة اسم الله بلياقة [\[562\]](#) ...

القديس أغسطينوس

د. تطالبهم الكلمة **بالصلاة** حتى يتمتعوا بالعظائم والعوائص، أي يبركوا أعمال الله العظيمة ويتعرفوا على أسوره الخفية التي لم يقدر عقل بشوي أن يبركها (عوائص). حقًا إنه اشتياق عجيب لدى الله لاستجابة صرخات القلب الصادقة.

العوائص *b'usfet* هي الأمور البعيدة المنال، أو البعيدة عن المعرفة البشرية، إذ تُستخدم أحيانًا كلمة *n'swrot* وهي تعني المخفيات (إش 48: 6).

يطالب الله شعبه مع القيادات أن **تدعوه** ، فهو وحده العرف المستقبل وفي يديه التزيخ، لهذا يليق بنا الالتجاء إليه وحده. يدعو خدامه لحراسة شعبه بروح الصلاة الدائمة، إذ قيل: "على أسورك يا أورشليم أقمتم حراسًا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على اللوام؛ يا ذاكري الوب لا تسكتوا؛ ولا تدعوه يسكت حتى يثبت ويجعل لأورشليم تسبيحة في الأرض" (إش 62: 6-7). ويقول صموئيل النبي: "وأما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الوب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم" (1 صم 12: 23).

تظهر أهمية الصلاة وسؤال الله مما جاء عن السيد المسيح نفسه وهو الابن الوحيد الجنس، الواحد مع الآب في ذات الجوهر، إذ قيل له: "اسألني فأعطيك الأمم موائًا لك وأقاصي الأرض ملكًا لك" (مز 2: 8).

الله مستعد دائمًا أن يُعطي، وأن يكشف أسوره للإنسان، لكنه محتاج إلى قلبٍ يستقبل العطية الإلهية ويتجاوب معها. إنه يود أن يتحدث مع وجه متطلع إليه لا إلى قفا لا يبالي به وبأسوره وعطاياه. لهذا يليق بنا أن نطلب بقلبٍ نقي فننال، وكما يقول أيوب: "أدعُ فأنا أجيب، أو أتكلم فتجاوبني" (أي 13: 22)، ويقول الموتل: "الوب قريب لكل الذين يدعونه، الذين يدعونه بالحق" (مز 145: 18)، ولإشعياء: "حينئذ تدعو فيجيب الوب: تستغيث فيقول هأنذا" (إش 58: 9)، ويقول الوب: "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجبوا، اقروا يُفتح لكم" (مت 7: 7).

للصلاة قوتها إن قدمنا التوبة ورجعنا عن طريق شونا [\[563\]](#).

❖ التأمل العميق في الحياة الصالحة والعناية بالروح ينجبان أناسًا صالحين ومحبين لله. **من يطلب الله يجده** ، وذلك بغلبته على كل الشهوات **بالصلاة** [\[564\]](#) الدائمة. مثل هذا الإنسان لا يخاف الشياطين.

القديس أنطونيوس الكبير

❖ من وغب في البلوغ "إلى قياس ملء المسيح" (أف 4: 13)، يؤممه ألا يفضل شيئًا من الأعمال عن الصلاة، مع قيامه بالأعمال الأخرى دون أن

يكون في عوز... فيلزمه ألا يمتنع عن القيام بالعمل الخاص بالضروريات والذي أؤتمته الشريعة الإلهية ، تحت ادعاء أنه يريد التوغل للصلاة. يجب

عليه أن يميز بين الصلاة والعمل، مطيعاً الشريعة الإلهية من غير تساءل (أي منفذاً الاثنين معاً) [565]...

❖ صل إلي الله حتى يفتح قلبك فتعاين مدى نفع الصلاة والواعة وتفهم ذلك بالاختبار العملي لهما. [566]

القديس مرقس الناسك

2. أورشليم الحصينة:

"لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل عن بيوت هذه المدينة وعن بيوت ملوك يهوذا التي هدمت للمتاريس والمجانيق،

يأتون ليحاربوا الكلدانيين ويمأؤوها من جيف الناس الذين ضربتهم بغضبي وغيظي والذين سترت وجهي عن هذه المدينة لأجل كل شؤهم"

[4-5].

يصعب تفسير هاتين الآيتين. رى البعض أنهما تشوان إلى خراب المنزل ودمار القصور في أورشليم بواسطة الكلدانيين. لذا امتلأت المدينة

بجثث القتلى. لقد أدار الله وجهه عنهم، مما أربك الشعب وجعلهم في حوة.

الله الذي سمح بالدمار هو يسهر على حواستهم ويردهم من السبي.

في بدء خدمته سمع لرميا النبي الوعد الإلهي: "هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد وأسوار نحاس على كل الأرض... فيحلبونك

ولا يقدرن عليك، لأنني أنا معك يقول الرب لأنفذك" (1: 18-19). الآن رى لرميا ما قد وعد به يتحقق على مستوى الشعب كله، الأمر الذي يوح

قلبه! لم يعد هو المدينة الحصينة التي يحربها كل شعبه واقربائه ولا يقدرن عليه، بل صار شعبه هكذا مدينة قوية تجابه كل مقاومة بروح النصوة

والغلبة بالرب! ما يناله الشعب كأنه قد ناله النبي المقوى عليه منهم! غاية في الحب واتساع القلب!

3. أورشليم المتمتعة بالشفاء والسلام:

"هأنذا أضع عليها رفاة وعلاجاً،

وأشفيهم وأعلن لهم كثرة السلام والأمانة (الحق).

رُد سبي يهوذا وسبي إسرائيل وأبنيهم كأول" [6-7].

جاءت كلمة "رفاة" في العبرية لتعني الرباط الكتاني الذي يوضع حول الجرح حتى يتم شفؤه.

السقوط في الخطية يدخل بالشعب كما بالإنسان إلى حالة موضعية خاطئة، وكما جاء في إشعياء: "كل الرأس مريض، وكل القلب سقيم، من أسفل

القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جُوح وأحباط وضربة طرية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تُلين بالزيت" (إش 1: 5-6). صلت الحاجة إلى طبيب

سموي فريد.

العلاج الذي يقدمه هو كثرة السلام والحق. يقدم نفسه لنا سر سلامنا مع الآب، والحق الأبدي. فهو الطبيب وهو العلاج.

❖ الكلمة هو مهذبنا الذي يشفي أهواء النفس غير الطبيعية وذلك بمشورته...

كلمة الآب هو الشافي الوحيد للأرواح البشرية، والمغوي القوس للنفس عندما تكون مريضة. يقول الكتاب: "يا إلهي خلص أنت عبدك المتكل

عليك، لرحمني يلب لإني إليك اصوخ اليوم كله" (مز 86: 2-3).

حسب كلمات ديموقريطس: "الشافى بفنه الجسد من أراضه، لكن الحكمة هي التي تخلص الروح من أراضها". مهذب الصغار الصالح،

[567]

. الحكمة ذاته، كلمة الآب، الذي خلق الإنسان، يهتم بنفسه بكل الخليقة، وكطبيب للإنسان بكليته يشفي كلاً من الجسد والنفس.

القديس إكليمنضس السكنوي

4 . أورشليم و غوان الخطايا:

وأطهروهم من كل إثمهم الذي أخطوا به إليّ،

وأغفر كل ذنوبهم التي أخطوا بها إليّ والتي عصوا بها عليّ" [8].

يقوم العهد الجديد والتحرير على اساس غوان الخطايا (خر 36: 25) والتطهير والتقديس. هذا هو الوعد الإلهي المسياني الذي تحقق في العهد الجديد بمجيء السيد المسيح المخلص الموعود به: "ورُش عليكم ماءً طاهرًا، فتطهرون من كل نجاساتكم، ومن كل أصنامكم أطهركم، وأعطيكم قلبًا جديدًا، وأجعل روحًا جديدة في داخلكم، وأتزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم" (حز 36: 25-26). "في ذلك اليوم يكون ينوع مفتوحًا لبيت داود ولسكان أورشليم للخطية والنجاسة. ويكون في ذلك اليوم يقول رب الجنود أني أقطع أسماء الأصنام من الأرض فلا تُذكر بعد وأزيل الأنبياء أيضًا والروح النجس من الأرض" (زك 13: 1-2).

5 . أورشليم... أنشودة فوح:

أورشليم التي صلت علًا وخرًا تتحول إلى مصدر فوح وتسبيح لله أمام الأمم.

إن كان لِميا يدعى النبي الباكي، إذ كانت احشؤه تنن على شعبه، لكنه المبشر بالفوح الروحي الغير منقطع (7: 34؛ 16: 9؛ 25: 10). هذا الاتجاه واضح في (مز 100: 5؛ 106: 1؛ 107: 1؛ 136).

"فتكون لي اسم فوح،

شهادة مفرحة لعمل الله وسط الأمم للتسبيح وللزينة لدى كل أمم الأرض،

الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم،

فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها.

هكذا قال الرب:

سيسمع بعد في هذا الموضع،

الذي تقولون إنه خرب بلا إنسان وبلا حيوان،

في مدن يهوذا، وفي شولع أورشليم الخربة،

بلا إنسان ولا ساكن ولا بهيمة.

صوت الطرب وصوت الفوح، صوت العريس وصوت العروس، صوت القائنين:

احمنا الرب الجنود، لأن الرب صالح لأن إلى الأبد رحمته.

صوت الذين يأتون بذبيحة الشكر إلى بيت الرب،

لأنني رُد سبي الأرض كالأول يقول الرب" [9-11].

حدث هذا عندما تحقق التحرر من السبي في أيام زُربابل حيث سبح الكهنة واللاويون الرب في الهيكل: "وغنوا بالتسبيح والحمد للرب لأنه

صالح لأن إلى الأبد رحمته على إسرائيل؛ وكل الشعب هتفوا هتافًا عظيمًا بالتسبيح للرب لأجل تأسيس بيت الرب" (عز 3: 11).

يأتي المؤمنون إلى هيكل الرب ليقدموا "ذبائح الشكر" [11]، وكما يقول المثل: "ليذبحوا له ذبائح الحمد وليعوا أعماله بقرنم" (مز 107: 22).

"فلك أذبح ذبيحة الحمد وباسم الرب أَدعو" (مز 116: 17). وجاء في هوشع: "تقدم عجول شفاها" (هو 14: 2). هذه الذبيحة يقدمها رجال العهد الجديد،

إذ تتحقق في كمال صورتها خلال ذبيحة السيد المسيح نفسه، ذبيحة الأفلستيا، أو الشكر، القاورة أن تحول طبيعة الإنسان الجاحدة إلى طبيعة شاكوة،

باتحادها بالمسيح، وثبوتها فيه.

6 . أورشليم مرعى الراعي الصالح:

إذ يتحدث عن أورشليم كأنشودة فرح، فانه لا يزلها عن حقولها المحيطة بها ومراعي الغنم الخاصة بسكانها، لذلك يصور الله كراعي يهتم بقطيعه العاقل، لا يفلت أحد قط من رعايته.

"هكذا قال رب الجنود.

سيكون بعد في هذا الموضع الخرب بلا إنسان ولا بهيمة، وفي كل مدنه، مسكن الرعاة المربيين الغنم.

في مدن الجبل، ومدن السهل، ومدن الجنوب، وفي أرض بنيامين، وحوالي أورشليم، وفي مدن يهوذا،

تمر أيضًا الغنم تحت يدي المحصي يقول الرب" [12-13].

تلمس يد الله الراعي الأعظم الحانية الخراف وترعاها، وتهتم بها وهي تدخل الحظوة لكي لا تُنسى واحدة منها. تمر الغنم تحت يدي المحصي

فلا تضيع واحدة منهم.

يقدم السيد المسيح نفسه "الراعي الصالح" الذي يبذل نفسه عن الخراف (يو 10)، والذي وعاهم بتقديم نفسه غذاءً لقطيعه العاقل. يتمتع به

الصغار لبنًا روحيًا ينعشهم، وينعم به الكبار طعامًا يقوتهم.

[568]

❖ أمطر علينا الآب المحب والحنون بالكلمة، الذي هو نفسه صار قوتًا روحيًا للقديسين .

[569]

❖ إذ تدعو (الكنيسة الأم) أطفالها تقوتهم باللبن المقدس، أي بالطفل الكلمة ...

❖ الكلمة هو كل شيء للطفل: الأب والأم، المهذب والمروض.

يقول: "اشربوا دمي" (يو 6: 55).

يمدنا الرب بهذا الغذاء الجوهري.

[570]

إنه يسلم جسده ويسكب دمه، فلا يوجد أي نقص لنمو أطفاله. ياله من سر لا يُصدق!

القديس إكليمنضس السكثري

7 . أورشليم وكوسي داود:

"ها أيام تأتي يقول الرب،

وأقيم الكلمة الصالحة التي تكلمت بها إلى بيت إسرائيل وإلى بيت يهوذا.

في تلك الأيام وفي ذلك الزمان أنبت لداود غصن البر،

فيجي عدلاً وواً في الأرض.

في تلك الأيام يخلص يهوذا،

وتسكن أورشليم آمنة،

وهذا ما تتسمى به: الرب بونا.

لأنه هكذا قال الرب:

لا ينقطع لداود إنسان يجلس على كوسي بيت إسرائيل" [14-17].

في السبي البابلي حُرّم الشعب من إقامة ملكٍ لهم، أو وجود كهنة يشفعون فيهم في الهيكل ويقدمون ذبائح وتقدمات باسمهم، فجاءت الوعود

المسيانية تؤكد تمتعهم بملكٍ أبديٍّ وكهنوتٍ وتقديماتٍ أبديةٍ. تحقق الوعد بديمومه مُلك داود في شخص ابن داود (2 صم 7: 16؛ 1 مل 2: 4؛ مز 89: 4، 29، 36؛ لو 1: 32-33).

يقدم لرميا النبي لمحات عن السيد المسيح الملك، الذي يملك كغصن البر (23: 25)، ويقدم نفسه لشعبه وَا منسوبًا لهم (23: 6)، يملك إلى الأبد.

يقدم لنا لرميا ومضات رائعة عن السيد المسيح الذي يحول قلوبنا إلى أورشليمه المتهللة، فيقدمه بكونه ينوع المياه الحية (2: 13)؛ والواحي الصالح (23: 4؛ 31: 10)، والمخلص (50: 34)، وداود الملك (30: 9) كما يقدمه "الوب برنا" (23: 6) والغصن البار (23: 5). يُدعى السيد المسيح "غصنًا" [15]؛ (23: 5؛ إش 4: 2؛ زك 3: 8؛ 6: 12)، [15]. تقليديًا تُرجم *semah s'daqa* بالغصن البار *Righteous Branch* أو الوعم البار *Righteous Shoot*، لكن البعض يفضل ترجمتها "الحاكم الشعري"، على أي الأحوال أنه الملك المثالي الذي يحكم بالعدل والاستقامة [571].

سبق أن دُعي الوب نفسه: "الوب برنا" (22: 6)، الآن يطلق هذا التعبير على أورشليم المتمتعة بعمله الخلاصي، والمتهللة بملكه وكهنوته... إنها تحمل إسمه عليها فتُدعى: "الوب برنا". يتحقق هذا كله بالسيد المسيح ملك الملوك، إذ قيل: "ثم بوق الملاك السابع فحدثت أصوات عظيمة في السماء قائلة: قد صلت ممالك العالم لربنا ولمسيحه، فسيملك إلى أبد الأبد" (رؤ 11: 15)؛ ويقول السيد المسيح في نهاية الرؤيا: "أنا أصل ونزية داود، كوكب الصبح المنير" (رؤ 22: 16).

8 . أورشليم والعمل الكهنوتي:

وَلَا يَنْقُطُ لِلْكَهَنَةِ اللَّوِيِّينَ إِنْسَانٌ مِنْ أَمَامِي،
يُصْعَدُ مَحْرَقَةً،
وَيُحْرَقُ تَقْدِمَةً،
ويهيء ذبيحة كل الأيام" [18].

كان يُنظر إلى لرميا الكاهن والنبي أنه نبي متحرر لا يبالي بالهيكل إذ يتنبأ عن خرابه، ينتقد خدمة الكهنة واللاويين وتقديم الذبائح. هنا يعلن النبي عن أعماقه، أنه ليس ضد الهيكل ولا الخدمة الجماعية ولا الذبائح والتقدمات، إنما ضد الفساد والانحراف. يتنبأ عن هيكل أبدي، وخدمة كهنوتية أبدية، وذبائح وتقدمات لا تنقطع.

يؤكد هنا عودة العبادة في الهيكل الذي خربه العدو. أما عن ديمومة الكهنوت فقد تحققت بمجيئ السيد المسيح الكاهن الأعظم (عب 7: 17، 21، 24-28)، واهبًا لخدمته خدمة الكهنوت باتحادهم بالكاهن الأعظم، وواهبًا لكل المؤمنين كهنوتًا عامًا خلال مياه المعمودية ليقدموا ذبائح الشكر ومحركات الحب (رو 12: 1؛ 15: 16، 1 بط 2: 5، 9؛ رؤ 1: 6).

إذ غار فينحاس على تقديس شعب الله، فأخذ رمحًا بيده وضرب الرجل الإسرائيلي الزاني والوأة المدبانية، قيل عنه: "يكون له ولنسله من بعده ميثاق كهنوت أبدي" (عد 25: 13). هكذا يضوب مسيحنًا بسهام حبه جسدنا ونفسنا فيقتل فينا الإنسان القديم ويخلق فينا بروحه القنوس الإنسان الجديد الحامل صورة خالقه. هذا هو فينحاس الجديد، رئيس الكهنة الأبدي الذي يهب نسله كهنوتًا أبديةً. فما وعد به الكاهن فينحاس هو ونسله تحقق في المسيح ومؤمنيه.

وى القديس إكليمنضس السكثوري أن الغنوصي (المؤمن صاحب المعرفة الروحية) الحقيقي هو: [الإنسان الملوكي حقًا، هو رئيس كهنة الله المقدس [572].

[يقدم الذبائح الروحية: [ألا يعرف أيضًا الوعم الآخر من الذبيحة والتي تتكون من عطاء التعليم وعطاء المال للذين هم في

[573]

9. الامانة في العهد:

في عدم إيمان اتهموا الله بنقض عهده مع إسرائيل ويهوذا، وذلك بسبب سقوطهم تحت السبي. ها هو يؤكد لهم خطأ تفكيرهم، موضحاً أنه لأمانته في عهده معهم سلمهم للسبي المؤقت، حتى يجتازون تحت عصا التأديب ويعبر بهم إليه. إنه لن يتخلى عنهم! لكي يُعطي الله لشعبه ثقة في أمانته في عهده معهم أكد لهم أنه إن أمكن نقض عهد النهار والليل (تك 1: 4-5، 16؛ مز 116: 8) يُلغي عهد الرب مع داود. الله الذي وضع قوانين الطبيعة واهتم بها كمن صنع عهداً معها لا يقدر إنسان أن ينقضه، هو الذي يقيم عهداً مع كنيسته. وكما لا يُمكن فعلاً أن تُعد النجوم ولارمل البحار، هكذا يكثر الرب نرية داود واللاويين خدامه.

ثم صلت كلمة الرب إلى رميا قائلة:

هكذا قال الرب:

إن نقضتم عهدي مع النهار وعهدي مع الليل حتى لا يكون نهار ولا ليل في وقتهما،

فإن عهدي أيضاً مع داود عبدي يُنقض،

فلا يكون له ابن مالكاً على كورسيه،

ومع اللاويين الكهنة خادمي.

كما أن جند السموات لا يُعد ورمل البحر لا يُحصى هكذا أكثر نسل داود عبدي واللاويين خادمي.

ثم صلت كلمة الرب إلى رميا قائلة:

أما ترى ما تكلم به هذا الشعب قائلاً إن العشيرتين اللتين اختلما الرب قد رفضهما،

فقد احتقروا شعبي حتى لا يكونوا بعد أمة أمامهم.

هكذا قال الرب:

إن كنت لم أجعل عهدي مع النهار والليل فوائض السموات والأرض،

فإني أيضاً أرفض نسل يعقوب وداود عبدي فلا آخذ من نسله حكماً لنسل إواهم وإسحق ويعقوب لأني أرد سبيهم وأرحمهم" [19-26].

إذ يسقط الإنسان تحت التأديب يظن أن الله قد نسيه أو قد نقض عهده معه. هذه هي إحساسات الشعب بعد السبي إذ اتهموا الله بنقض عهده معهم ورفضه لمن سبق أن اختلهم. لم يبركوا أنهم يجتازون تحت عصا التأديب، وأن هذا يتحقق خلال حبه وراعيته وليس تخليه عنهم بالكلية.

فوح شامل

إذ يتحدث في هذا الأصحاح عن أورشليم كأنشودة فوح يؤكد الإصلاح الشامل الذي يمس حياة المدينة فتصير حصينة بالرب.

وشعبها الذي يقدم الرب نفسه لها طبيياً ونواءً وخلصاً من الخطية وعريساً دائماً.

والحقول بعواصيها ، فيتقدم إليها بكونه الراعي الصالح الذي لا يفلت حمل واحد من رعايته.

والقصر الملكي حيث يجلس داود على العرش أبدياً ويصنع مملكته بوه الإلهي.

والهيكل والخدام حيث تُقدم خدمة أبدية غير متقطعة...

أخراً يؤكد الله أمانته في تحقيق مواعيده وعهده مع شعبه.

ما أعذب مواعيد الله الذي ينتظع إلى شعبٍ مسيٍّ مُهملٍ بلا مدينة، خرج أرض الموعد، بلاراعٍ أو ملكٍ وبلا كهنوتٍ ولا هيكلٍ ولا ذبيحةٍ...

فيعطيه أكثر مما يسألون وفوق ما يطلبون. يعطيهم ليس حسب استحقاقهم، إنما حسب غنى عظمته وفيض نعمته المجانية الفائقة.

إنها صورة مبهجة تتمتع بها النفس التي تتحد بالسيد المسيح مخلصها فتجد فيه كل كفايتها، تتحول إلى مدينةٍ حصينةٍ، وحقلٍ مثمرٍ، ووعى خصبٍ، وقصرٍ ملوكيٍّ مجيدٍ، وعرشٍ يحمل روح الغلبة، ومملكة برٍ، وهيكل إلهي مقدسٍ... تحمل سمات عريسها فيها، فلا يقدر أحد أن يزوع فوحها منها.

من وحي لرميا 33

لتقم في داخلي مدينتك المتهللة!

❖ إذ كان لرميا في سجنٍ منوفاً صلت إليه كلمتك،

لم يعد يشعر بالغولة لأن كلمتك معه أفضل من كل بشرٍ!

كلمتك أعلنت له أسوار قلبك نوره!

كلمتك مغوية وموحة حتى في أحلك اللحظات!

❖ نفسي تئن مع لرميا السجين منوفاً،

لا لأجل متاعب السجن ولا بسبب الغولة،

وإنما لأجل خطاياي وجهالات شعبي!

❖ افتح عن عيني فرأى قلبك،

وأتعرف على أسوار حبك،

وأتفهم خطة خلاصك نحو كل بشرٍ!

❖ نعم! لقد سبني قلبي،

لكنك أنت تحرره!

تقيم عليه متريس روحك القنوس،

فلا يقدر العدو أن يقرب!

أنت سور نارٍ لي، وحصن حياتي!

❖ أصابتنى الخطية كحوضٍ لا يوجى الوء منه،

لكن أنت الطبيب السملوي!

رُد لي صحتي وهب لي سلامك الفائق!

❖ تدنست أورشليمي بالخطايا والآثام،

وتحطمت بالعصيان!

أنت غافر الخطايا، ومنقذ النفوس من الفساد.

رُد لأورشليمي نقاوتها وطهرتها أيها القنوس.

❖ عوض غم الخطية حوّل أورشليمي إلى عوسٍ دائمٍ!

يُسمع فيها صوت الحمد والتسبيح، والطوب والتهليل!
صوتك أيها العريس يناجي أعماقي، عروسك الدائمة!
❖ أورشليمي هي موعاك،

لوعى حواسي وأفكاري مع عواطفي وكل طاقاتي!
أقم قطيعك المقدس في داخلي!

لعه بنفسك يا من تبذل ذاتك على خرافك!

❖ نعم! افتح عن عيني، فرى أعماقي، أورشليمك:

مملكة أبدية تحكمها أنت يا ملك الملوك!

عرشاً أبدياً وخيمة داود غير الساقطة!

مقدساً لك يجري فيه العدل والبر يا غصن البر العجيب!

هيكلاً مقدساً لك، تخدم فيه يارئيس الكهنة الأعظم!

تقدم فيه ذاتك ذبيحة حب ومحرقة أبدية، وتقدمات لا تنقطع!

❖ علمت أنك أمين في عهدك معي ووعدك لي.

هل تكسر عهدك مع الشمس والقمر،

فلا يكون نهار أو ليل،

ولا توجد فصول السنة مادامت توجد الأرض؟

إن كنت تهتم بقوانين الطبيعة لأجلي،

أفلا تبقى أميناً بالرغم من عدم أمانتي؟!

وعدتني أن يبقى داود ملكاً إلى الأبد،

لتملك يا ابن داود في ملكاً أبدياً!

❖ مخلصي الصالح... يامصدر فوحي!

أقم من نفسي مدينتك الحصينة التي لا تغرها قوات العدو،

ولتشغف شعبها الداخلي: من طاقات ومشاعر ومواهب!

أقم منها حقلاً يحمل ثمر روحك القنوس.

ووعى خاص بك أيها الواعي الصالح.

اجعلها قصراً لك يا ملك الملوك،

وعرشاً دائماً يعلن عن أمجادك،

ومملكة تشهد بورك الإلهي!

حولها إلى هيكل مقدس لك،

تخدم فيه يارئيس الكهنة الأعظم!

حقق مواعيدك في أعماقي أيها الأمين في عهدك!

الأصاحح الرابع والثلاثون

العبودية عوض الحرية

تمت أحداث هذا الأصحاح في الأيام الأخوة من مملكة يهوذا، أثناء حصار الكلدانيين لأورشليم، حيث كان رميا النبي في السجن، وربما قبل دخوله السجن. تكشف أحداثه عن شخصية الملك صدقيا المترددة، ترة يستيقظ ضموره فيسأل النبي ليتعرف على رادة الله، وأخرى يتوك الحبل على الغراب لرجاله يتممون مشورتهم المقاومة لإرادة الله. ترة يعمل كل جهده على حفظ شويعة العتق من العبودية أو حفظ السنة السبتية، وأخرى يتوك الكل يكسرونها بكل استهتار.

1. رسالة حول مصير صدقيا [1-7].

2. قطع العهد والحنت به [8-11].

3. عهد الله معنا وعهودنا مع الناس [12-19].

1. رسالة حول مصير صدقيا:

[574]

يصف هذا الأصحاح الراحل الأولى للهجوم النهائي على أورشليم، حيث تبدأ نهاية يهوذا، كما يظهر موقف صدقيا الميؤس منه . يبدو أن صدقيا الملك كان في صواع بين احترامه لإرميا بإخلاص، إذ غالبًا ما كان يطلب مشورته، لكن في غير استقامة أمام الرب، إذ كان يُعصي كلمة الرب التي كان رميا يبلغه إيّاها.

كان جيش نبوخذنصر، المكوّن من الكلدانيين والكتائب التابعة من كل "ممالك أراضي سلطان يده" محاصراً لأورشليم، حين صدر الأمر الإلهي إلى رميا النبي أن يذهب إلى الملك يخوه بانهبان المدينة وحرقتها، وسقوط الملك أسوأ. لكن لما كان في حياة صدقيا شيئاً من الخير كتوقوه لإرميا فقد أعلن له الرب أنه لا يموت بالسيف بل موتاً عادياً بسلام، وعند موته تُقام إجازات التكريم العادية التي تُقام لدى موت الملوك، إذ يُحتفي بموته بحرق البخور في احتفالٍ مهيبٍ كما كان لأجداده في الوطن (2 أي 16: 14؛ 21: 19). إذ قيل عن آسا: "واضحوه في سوير كان مملوءاً أطياباً وأصنافاً عطوة حسب صناعة العطرة، واحرقوا له حريقة عظيمة جداً" (2 أي 16: 14)؛ بينما قيل عن يهورام: "مات بأواضٍ ردية ولم يعمل له شعبه حريقة كحريقة أبيه... وذهب غير مأسوف عليه" (2 أي 21: 19).

"الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب حين كان نبوخذنصر ملك بابل وكل جيشه وكل ممالك أراضي سلطان يده وكل الشعوب يحلبون أورشليم وكل مدنها قاتلة:

هكذا قال الرب إله إسرائيل:

اذهب وكلم صدقيا ملك يهوذا وقل له

هكذا قال الرب:

هأنذا أدفع هذه المدينة ليد ملك بابل فيحرقها بالنار.

وأنت لا تغفلت من يده بل تُمسك إمساكاً وتُدفع ليدِهِ وَوَي عيناك عيني ملك بابل وتكلمه فما لقم وتذهب إلى بابل.

ولكن اسمع كلمة الرب يا صدقيا ملك يهوذا.

هكذا قال الرب من جهتك:

لا تموت بالسيف.

بسلام تموت وبإهراق آباءك الملوك الأولين الذين كانوا قبلك هكذا يحرقون لك ويندبونك قائلين: آه يا سيد.

لأني أنا تكلمت بالكلمة يقول الرب.

فكلم لرميا النبي صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام في أورشليم.

إذ كان جيش ملك بابل يحرب أورشليم وكل مدن يهوذا الباقية لخيش وعزيقة، لأن هاتين بقيتا في مدن يهوذا مدينتين حصينتين " [1-7].

كان نبوخذنصر قد فاز بالنصر في كل موضع تقريباً فيما عدا أورشليم العاصمة، ومدينتان من مدن يهوذا هما لخيش وعزيقة، وكلاهما جنوب أورشليم. وكانتا محاصرتين، وقد انقطع كل أمل في استورلها صامدتين.

لخيش [575] (تل النوير): مدينة حصينة في سهل يهوذا (يش 15: 33، 39) أُشير إليها في رسائل تل العملنة، تبعد حوالي 30 ميلاً جنوب

غربي أورشليم، وخمسة أميال جنوب غربي بيت جبرين. من أكبر مدن يهوذا القديمة، تبلغ مساحتها حوالي 18 فداناً.

ذات موقع استراتيجي في غاية الأهمية، إذ كانت تهيمن على الطريق القديم من المرتفعات الفلسطينية إلى وادي النيل. كانت أهلة بالسكان قبل

أيام إواهم.

سقطت في يد يشوع الذي قتل ملكها يافيع (يش 3: 10).

حصنها الملك رحبعام (2 أي 11: 9)، وبنى حولها سوراً مزدوجاً تسنده أواح منبوعة. وإليها هرب أمصيا ملك يهوذا من وجه التائرين ضده

من أورشليم، وهناك قتله التائرون (2 مل 14: 19؛ 2 أي 15: 27).

من بين الآثار في شكل نقوش على أواح حجرية التي أُكتشفت في قصر سنحريب بنيفوى رويت قصة هجوم الملك سنحريب على لخيش،

ونسلم عن الإمبراطور الأشوري كيف يفتخر أنه اصطاد حزقيا كطائر.

خربت المدينة بواسطة نبوخذنصر مرتين، الأولى عام 598 ق.م عندما حُمل يهوياقيم وسكان أورشليم إلى السبي، والثانية عام 587 ق.م

عندما حُرقت المدينة بالنار وتحولت إلى رماد. لكنها صلت أهلة بالسكان بعد السبي (نح 11: 30).

يقول عنها ميخا النبي: "شدي المركبة بالحواد يا ساكنة لخيش، هي أول خطية لابنة صهيون، لأن فيك وُجدت ذنوب إسرائيل" (مي 1: 13).

كشفت الحفريات التي أُجريت في أطلال لخيش في سنة 1935 عن بعض الوسائل المكتوبة باللغة العبرية تعود إلى زمن لرميا، يُستدل من هذه

الوسائل أن جيش الكلدانيين كان يتقدم للاستيلاء على مدن يهوذا في أواخر حكم صدقيا.

كشفت رسائل لخيش هذه عن حالها في ذلك الحين، فقد وجدت 21 رسالة مكتوبة على قطع من الخزف المكسور وذلك في حجرة مملوءة رماداً

من نار دموت المدينة عام 587، تحمل رسائل عاجلة من قادة الجيش للقائد Garrison في لخيش، قام W.F. Albright بترجمتها. جاء في الرسالة

الرابعة على وجه الخصوص الكلمات: "للعلم سيدي أننا نرغب العلامات (signals) التي للخيش حسب كل المشوات التي اعطانا إياها سيدي، لأننا لا

نقدر أن نرى عزيقة". يبدو أن عزيقة كانت قد سقطت. فإن كان الأمر هكذا فواضح أن هذه الرسالة قد كتبت مباشرة بعدما تكلم لرميا بهذه الكلمات

[576]

الوردة في هذا الأصحاح .

وفي رسالة لخيش الثالثة نجد إشارة إلى زيارة كونيا بن الناثان أحد قادة الجيش إلى مصر **[577]** ، طالباً عون وُعون.

عزيقة [578] : اسم عوى يعني "الأرض التي تُعرق". وهي مدينة في الأرض المنخفضة بجوار سوكوه (1 صم 17: 1)، كانت من نصيب

يهوذا (يش 15: 35)، عسكر بجورها جليات الجبار وجنوده الفلسطينيين (1 صم 17: 1).

قام رحبعام بتحسينها (2 أي 11: 9)، وحاصوها بنوخذنصر [7]. عاد إليها اليهود بعد السبي (نح 11: 30). في موقعها حالياً تل زكوبا؛ وقد نُكوت في رسائل لخيش حيث سجلت هجوم البابليين على يهوذا أيام نيوخذنصر.

2. قطع العهد والحنث به:

"الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب بعد قطع الملك صدقيا عهداً مع كل الشعب الذي في أورشليم ليناوا بالعتق.

أن يطلق كل واحد عبده وكل واحد أمته العواني والعوانية حرين حتى لا يستعبدهما أي أخويه اليهوديين أحد.

فلما سمع كل الرؤساء وكل الشعب الذين دخلوا في العهد أن يطلقوا كل واحد عبده وكل واحد أمته حرين ولا يستعبوهما بعد أطاعوا

وأطلقوا.

ولكنهم عانوا بعد ذلك فُرجوا العبيد والإماء الذين أطلقوهم أهراً وأخضعوهم عبيداً وإماءً" [8-11].

اقرب الكلدانيون إلى أورشليم لمحاصرتها، فلتعب الملك وأرسل إلى رميا يسأله إن كان عنده كلمة تعزية من قبل الله (إر 21)، فجاءت

الإجابة أن يخضع لبابل. وفي أيام الحصار، وقد أترك الخوف جميع الناس، ورقت نفوسهم الصلبة، قامت حركة لإتمام وصية قديمة في الناموس أهملت لمدة طويلة أي عتق العبيد اليهود، ولعلّ الحكومة لجأت إثراك هلاء العبيد في أعمال الدفاع، فقامت بحركة العتق لإرضائهم.

حث صدقيا السادة على القسم في بيت الرب في احتفال ديني رسمي بعنق العبيد ظناً أن الله يتأثر بعمل الخير هذا ويرفع الحصار عن العاصمة.

أكثر هلاء العبيد قد استعبتوا لعدم مقترتهم على دفع الديون، فكان عتقهم بمثابة تجلوز عن ديونهم. ربما كان صدقيا مخلصاً بحق مشتاقاً أن يحفظ

الناموس لكنه كان ضعيف الشخصية، فإذ وجد الفوصة سانحة لذلك لم يكن يتوكلها، فسمع له السادة وكل الشعب حين كانوا في ضيقة، وإذ رفعت الضيقة ضغط عليه السادة فانهار في قره وحنث بقسمه. لقد اهتم بما للناس لا بما لله.

فجأة انسحبت جيوش بابل عن أورشليم لأن خوع فوعون مصر قد خرج بجيشه واقرب من العاصمة، ربما في نهاية ربيع أو بداية صيف

عام 588 ق.م، جاء ليحلب بابل. إذ أراد البابليون إعادة تنظيم قواتهم والاهتمام بمهاجمة المصوبين المتقدمين نحوهم، فوح الناس وحسوا ذلك دليل

رضا الله، ولكنهم رجوا حالاً إلى ما كانوا عليه، إذ أؤمو العبيد المتحررين بالعودة إلى العبودية بالقوة وأسؤوا معاملتهم، ظن مالكو العبيد أن الخطر قد

زال فنقضوا وعودهم السابقة الخاصة بتحرير العبيد، فُرجوهم للخدمة بالقوة. هذا الحنث بالقسم مخالف للناموس (تث 15: 12)، فصلوا مخالفين

للناموس ومدنسين لإسم الله الذي حلفوا به. هذا وأن ظروف العبيد كانت نتاج القون السابق حيث كانت مظالمه الاجتماعية محل هجوم عنيف من عاموس

وهوشع وإشعيا وميخا. فاح رميا يلذعهم بصلم القول، كما في (34: 13-22، 37: 7-10). إن الكثرة لأبد من وقوعها، إذ لم ير الله فيهم توبة

حقيقية.

ربما تعهد السادة أمام الله وفي بيته بتحرير العبيد، ليس توفقاً بهم ولا طاعة للوصية الكتابية ولا مواضة لله، وإنما لأن أورشليم كانت محاصرة

والحقول المحيطة بها قد صلت معسوكاً للأعداء. فلم يكن للعبيد عملاً، ولا حاجة إليهم، إذ صلروا عبناً على سادتهم الذين يلتومون بتقديم طعام لهم دون

أن يملسوا أعمالهم الزراعية ورعاية الأغنام... أما وقد فك الحصار امتلاً السادة رجاءً أنهم يتسلمون حقولهم؛ وصلروا في حاجة إلى العبيد ليملسوا

عملاً مضاعفاً لإصلاح الحقول التي أفسدها الأعداء، لهذا تجاهلوا ما تعهوا به أمام الله وأؤمو العبيد بالعودة.

يحذر رميا النبي شعبه من كسر العهد الذي تعهوا به بقسم أمام الرب وفي بيته لعنق العبودية، حاسباً هذا نقضاً للعهد مع الله نفسه وليس مع

العبيد، وإهانة لاسم الرب الذي حلفوا به، ونقضوا شريعته الممؤة حباً نحو الضعفاء. ما فعله رميا يفعل حرقيا النبي، مذكراً إياهم بخطر الحنث بالقسم

وذلك عندما تعهد مع ملك بابل وحنث بوعده.

"قولوا للبيت المتمود: أما علمتم ما هذه؟!..."

لتكون المملكة حقوة ولا ترتفع، لتحفظ العهد فتثبت...

فهل تتجح؟! هل يفلت فاعل هذا؟! أو ينقض عهدًا ويفلت؟!!

حي أنا يقول السيد الرب إن في موضع الملك الذي ملكه الذي لُوى قسمه ونقض عهده فعنده في وسط بابل يموت...
إذ لُوى القسم لنقض العهد، وهوذا قد أعطى يده وفعل هذا كله فلا يفلت.

لأجل ذلك هكذا قال السيد الرب: حي أنا إن قسمني الذي لُواه وعهدي الذي نقضه لُدُّهما على رأسه، وأبسط شبكتي عليه فيؤخذ في شوكي
وأتى به إلى بابل وأحاكمه هناك على خيانتته التي خانني بها، وكل هربيه وكل جيوشه يسقطون بالسيف والباقون يُرُون في كل ريح، فتعلمون إنني أنا
الرب تكلمت" (حز 17: 11-21).

3 . عهد الله معنا وعهودنا مع الناس:

'فصلت كلمة الرب إلى رميا من قبل الرب قائلة:

هكذا قال الرب إله إسرائيل.

أنا قطعت عهدًا مع آبائكم يوم أخرجتهم من أرض مصر من بيت العبيد قائلاً:

في نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العواني الذي بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك.
ولكن لم يسمع آباؤكم لي ولا أمالوا أذنهم.

وقد رجعتم أنتم اليوم وفعلتم ما هو مستقيم في عيني منادين بالعتق كل واحد إلى صاحبه وقطعت عهدًا أمامي في البيت الذي دعي باسمي.
ثم عدتم وندستم اسمي ورجعتم كل واحد عبده وكل واحد أمته الذين أطلقتموهم أحرارًا لأنفسهم وأخضعتموهم ليكونوا لكم عبيدًا وإماء.
لذلك هكذا قال الرب:

أنتم لم تسمعوا لي لتتناووا بالعتق كل واحد إلى أخيه وكل واحد إلى صاحبه.

هأنذا أنادي لكم بالعتق يقول الرب للسيف والوبأ والجوع،

وأجعلكم قلقًا لكل ممالك الأرض.

وأدفع الناس الذين تعنوا عهدي الذين لم يقيموا كلام العهد الذي قطعه أمامي.

العجل الذي قطعه إلى اثنين وجازوا بين قطعتيه.

رؤساء يهوذا ورؤساء أورشليم الخصيان والكهنة وكل شعب الأرض الذين جازوا بين قطعتي العجل.

أدفعهم ليد أعدائهم وليد طالبي نفوسهم، فتكون جثثهم أكلاً لطيور السماء ووحوش الأرض.

وأدفع صدقيا ملك يهوذا ورؤساءه ليد أعدائهم وليد طالبي نفوسهم وليد جيش ملك بابل الذين صنعوا عنكم.

هأنذا أمر يقول الرب ورُدِّهم إلى هذه المدينة،

فيحلبونها ويأخذونها ويحرقونها بالنار،

وأجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكن" [12-22].

في عدد 15 يوضح أن التعهد بالاطلاق تم في بيت الرب تحت اشراف السلطات الدينية المختصة. لذلك فالحنث به تحدى للناموس السموي

(خر 20: 7).

العجل الذي قطعه إلى اثنين هنا [18] يشير إلى الطوبى البابلية القديمة في المصادقة على العهد (تك 15: 9، 17) بما يوحي بأن أولئك الذين

نكثوا الاتفاق عليهم أن يتوقروا نفس مصير الحيوان الذبيح. عندما قطع الله عهداً مع أوام قال له: "خذ لي عجلة ثلاثية، وعزة ثلاثية، وكبشاً ثلاثياً وبيامة وحمامة" (تك 15: 9). "أخذها أوام وشقها من الوسط وجعل شق كل واحدٍ مقابل صاحبه، وأما الطير فلم يشقه" (تك 15: 10). ولما رتّب كل قطعة كما يجب، أخذ يحرسها، ويطرد الطيور النجسة التي كانت تتول لتلتهمها. إذ سلك أوام بالإيمان وعاش أميناً للعهد مع الله لم يسمح للطيور النجسة أن تتول لتلتهم الذبيحة. أما هنا فقد اجتازوا بين قطعتي العجل معلنين التّوأمهم بقسم إلهي أن ينفنوا وهدم بتحرير العبيد، لكنهم حنثوا بالعهد، فصلت جثثهم مأكلاً لطيور السماء ووحوش البرية. إنهم ليسوا أبناء إواهم حافظ العهد مع الله!

لم يتشبهوا بإواهم الذي قدّم الآتي:

أ. عجلة ثلاثية: تشير إلى السيد المسيح الذي جاء كعبدٍ باذلٍ لحساب الغير.

ب. عزة ثلاثية: صار خطية (مت 25) ليحمل خطايانا.

ج. كبشاً ثلاثياً: ذبيحة ملاء أو قدم حياته مكوسة لأجلنا.

د. الحمامة والبيامة: إشارة إلى البساطة والعفة مع الحياة السماوية.

بمعنى آخر قدّم إواهم رمزاً للذبيحة السيد المسيح الذي بذل ذاته عنا، حاملاً خطايانا، ومكرساً ذاته لأجل مجدنا، رافعاً إيانا بحبه وطهرته إلى

[579]

سماواته .

بينما يقدس الله الحرية الإنسانية ينكر الإنسان حرية أخيه الشخصية. لقد حدد الله فترة العبودية بست سنوات خدمة في ناموس موسى (خر 21: 2-15) ويتم العتق في السنة السابعة، سنة الحرية أو العتق. ما يذكره لميا النبي هنا ليس الغاء العبودية، بل نهى اليهودي فقط عن أن يستعبد مواطنه اليهودي بحالةٍ دائمةٍ. وبولس الرسول لم يمنع العبودية في أيامه، بل حوَّض السادة على أن يعاملوا عبيدهم بالعدل والإنصاف، وحرَّض العبيد على أن يتحملوا بالصبر. ولا يطلخوا تحروهم بدون قيد أو شرط، لكن فيما بعد جاء وقت شعر فيه المسيحيون أن مبدأ المحبة للآخرين لم يعد يسمح باستعباد الآخرين. فألغيت العبودية في البلدان المسيحية.

يحث الكتاب المقدس المؤمنين على محبة الله ومحبة الآخرين. هذا المبدأ يعمل من تلقاء نفسه ويؤثر تأثيراً فعالاً في كل قوانين الهيئة الاجتماعية رويداً رويداً ومنها نظام العبودية.

لقد تحقق هذا التهديد: " واجعل مدن يهوذا خربة بلا ساكن" [22] ، إذ تشهد أبحاث علم الآثار في السوات الأخوة على هذا الخواب. يقول F. Albright

أُخربت مدن كثيرة في بدء القرن السادس ق.م. ولم تعد فيها حياة.

ومدن أخرى دُموت لكن عاد إليها العوران نسبياً في تليخ لاحق متأخر إلى حد ما.

وبقيت مدن أخرى دُموت ولم تعد مسكونة إلا بعد فترة طويلة من هجوها، اتسمت بتغييرٍ حادٍ في تطورها وحملت المؤشرات العرضة عن

استخدامها في أغراض لا تخص المدينة.

[580]

لا نعرف حالة واحدة عن مدينة من مدن يهوذا المعروفة استمرت أهلة بالسكان خلال فترة السبي .

من وحي لميا 34

هب لي روح الحرية!

❖ أنت هو الحر الحقيقي،

والد الحرية،

وباعث روح الحرية!

❖ قدمت لخليقتك العاقلة روح الحرية،

لكنني أسأت استعمالها!

في كمال حريتي عصيتك،

فصوت عبدًا للعصيان،

وذليلاً للشهوات!

فقدت كمال حريتي بك أيها الحر الحقيقي!

❖ تشنق أن يعمل روحك في،

روح الحرية الذي يرفعي فوق كل مذلة وعبودية،

يهبني لا أن أعيش حراً حقيقياً فحسب،

بل أبذل كل حياتي ليعيش الكل حراً!

من ذاق الحرية الحقيقية لا يحتمل أن وي كائناً في مذلة العبودية!

❖ أقسم الملك صدقياً وكل رجاله وشعبه في ضيقتهم العرة،

وتعهوا في بيتك أن يحرروا العبيد!

لكن ما أن رفعت الضيق عنهم،

حتى حنثوا بالعهد معك،

واستخدموا كل وسيلة بشوية لإذلال إخوتهم!

نسوا أنهم العبيد رفقؤهم!

فقتوا روح الحرية... فانسحبت قلوبهم إلى العنف!

❖ رأوا لإخوتهم المذلة،

فسقطوا تحت الغضب الإلهي!

فقتوا حريتهم وانهاروا مع العبيد تحت السيف والسي!

لم يترفقوا بإخوتهم ففقتوا الترفق والحنان!

❖ ليعمل روحك القوس في،

فيهبني التحرر من الذات كما من الشهوات،

ليرفعني إلى الحب الإلهي ويحملني إلى إتساع القلب السموي!

نعم لاختبر الحرية الداخلية،

فتنتفح أعماقي ببذل الذات لأجل كل خليفة!

حررني فاشتهدى حرية المسكونة كلها!

نعم اجعلني أتمثل بك يا واهب الحرية!

❖ طالبت شعبك أن يحرروا العبيد في السنة السبئية،

فيوح الكل: السادة والعبيد،
ويبوك الكل أنهم إخوة متسلون!
يفوحون معاً، وتوح أنت بهم!
حول كل حياتي إلى سنة سبتية، إلى عيد غير منقطع!
أطلب تحرير كل أختي كما ضعفي،
نعيش كلنا أجراً يا واهب الحرية!
نوح جميعاً إذ نختبر جدة الحياة المقدسة الفائقة.
وتوح أنت بنا.
نعم ليأت اليوم الأخير لتحيا خليقتك المتحررة معك إلى الأبد!

<<

الأصحاح الخامس والثلاثون

موقف الركابيين الأماناء

يُظهر هذا الأصحاح معنى الأمانة والالتزام الروحي خلال أمانة الركابيين عبر قورنين ونصف لوصية أبيهم بالرغم من صعوبتها، كما يُظهر خيانة الشعب لله نفسه وكسر ناموسه.

❖ مقدمة في الركابيين

1 . لميا يختبر أمانة الركابيين [1-11].

2 . عدم أمانة الشعب [12-16].

3 . البقية المقدسة [17-19].

في أواخر أيام يهوياقيم، قُبيل موته، تعرضت القوى المحيطة بـلورشليم إلى هجمات من الأشوريين والموآبيين والعمونيين كتهينة لهجوم نيوخواصر على أورشلليم. هؤلاء اكتسحوا الأودية، وقتلوا الفلاحين والرعاة، ونهبوا المحاصيل والماشية. لهذا اضطر سكان القوى إلى الالتجاء إلى أورشلليم العاصمة ليحتوا في أسورها من الهجمات الموقالية. تدفقت الجماهير يوماً فيوماً على المدينة المكتظة بالسكان. من بين هذه الجماهير وُجدت جماعة غريبة في سلوكها؛ رفضت السكنى في بيوت مبنية، وأقامت خيامها في الأماكن الخالية داخل أسوار المدينة. هذه الجماعة تُدعى "الركابيون".

❖ مقدمة في الركابيين:

لم يكن الركابيون أصلاً من جماعة إسرائيل بل كانوا من قبيلة القينيين . كلمة "قيني" اسم سامي معناه "حداد"، والقين باللغة العربية معناها "الحداد". لهذا يُظن أن القينيين كانوا حدادين لإسرائيل. لكن هذا القول مشكوك فيه، إذ قيل: "لم يوجد صانع في إسرائيل" (1 صم 13: 19). انضم القينيون إلي الإسرائيليين وهم صاعدون من مصر إلى أرض كنعان (قض 4: 11)، وأظهروا لهم عطفًا جزيلاً، وهذا أسس علاقات ودية بين الشعبين، ويبدو أنهم اعتنقوا معتقدات إسرائيل الدينية، ورافقوهم إلى أرض الموعد. صاروا من أحلاف إسرائيل ولاسيما يهوذا. أحصوا مع سبط يهوذا في (1 أي 2: 55).

وي البعض أن عدة شعوب تسموا بهذا الاسم:

1 . أحد الشعوب التي كانت موجودة في أرض كنعان يوم دُعي إواهيم (تك 15 : 19).

2 . كان يثرون أوروئيل حمو موسى كاهن مديان يدعى القيني (قض 1 : 16)، كما يُدعى المدياني (عد 10 : 9). هذا يدل على أن القينيين كانوا يسكنون في مديان عند خليج العقبة على ما يُظن. ومديان هو من نسل إواهيم من قطورة (تك 25 : 2). وقد خرج أبناء حوباب ابن حمى موسى من رِيحاً مدينة النخل (قض 1 : 16) مع بني يهوذا إلى الوية التي في جنوب عواد وسكنوا هناك مع الشعب. أما حابر القيني فقد انفصل عن قبيلته ورحل إلى الشمال قرب قادش، وكان على الحياد بين إسرائيل وأعدائهم. لكن إذ لجأ سيسوارئيس جيش يابين إلى خيمته استقبلته ياعيل زوجته هذه التي قتلته وهو نائم في الخيمة (قض 4 : 11، 17، 5 : 24). وأما الآخرون فقد ظلّوا في أماكنهم في أقصى الجنوب، لأنه لما ذهب شول لكي يضرب عماليق أوصى القينيين أن يتولوا من وسط العمالقة لئلا يلحقهم أذى الحرب وهم فعلوا مع إسرائيل عند صعودهم من مصر (1 صم 15 : 16)، وكانوا أصدقاء لدودو وأُرسِل إليهم هدايا من الغنيمة (1 صم 30 : 29).

3 . هناك قينيون رآهم بلعام ساكنين بين الصخور بأسوأهم فيما بعد أشور، إذ يقول: "ليكن مسكنك متيناً، وعشك موضوعاً في صخرة، لكن يكون قايين للدمار، حتى متى يستأسوك أشور؟" (عد 24 : 21-22). هذا جعل البعض يظنون أن القينيين كانوا يسكنون في مدينة البزّا (الصخرة)، التي بيوتها منحوتة في الصخر. وربما كان هؤلاء بقايا القينيين المذكورين في سفر التكوين (تك 15 : 19).

نخلص مما سبق أن الركابيين ينتسبون إلى يثرون حمى موسى. هذه العائلة التي انسلخت من مديان وارتبطت بموسى، فبعد أن عاد يثرون إلى أرضه بعد أن زار موسى والشعب في الوية (خر 18 : 27) سأل موسى حوباب أن يكون للشعب بمثابة عيون ليقودهم في لتحالهم في الوية (عد 10 : 29-32) وعلى الرغم من رفضه لكن ولأده سلروا بإيمان في خطوات شعب الله (قض 4 : 11، 1 صم 15 : 16). وهم في هذا يشبهون راحاب التي كانت من رِيحاً وتركتها لتقيم مع شعب الله حيث التصفت بيهوذا، وراعوث الموابية التي تركت شعبها وآلهتها لتلتصق بإله نعى، ويوعز الذي من سبط يهوذا أيضاً. هكذا سعد بنو القيني من رِيحاً مدينة النخل (قض 1 : 16) مع (تث 34 : 3، 2 أخ 28 : 15) ليقبوا مع بني يهوذا جنوب عواد.

بيت الركابيين مجتمع ديني، عبلة عن عشوة أو جماعة تُنسب إلى يوناداب بن ركاب الذي ظهر في أيام إيليا وكان رئيس أحد فروع قبيلة القينيين، ولعله تأثر إلى حد كبير بتعاليم إيليا. وإذ رأى أن تيار الفساد قد تعاضم جداً، خصوصاً في المملكة الشمالية التي كانت خاضعة لنفوذ أوائل وأخاب السيء، تسرب اليأس إلى نفسه، وأصبح الجو كله مسموماً وخانقاً، ووباء الفساد وحُمى النجاسة في زدياد مضطود.

أعطت شجاعة يوناداب بن ركاب الركابيين مكانة ممتزة، فقد خرج لملاقاة ياهو بن نمشى بعد مسحه ملكاً على إسرائيل حيث أباد ياهو بيت آخاب الشوير سنة 480 ق.م، وبينما كان ياهو منطلقاً إلى السامرة التقى بيهوناداب بن ركاب فبلكه، وقال له: هل قلبك مستقيم نظير قلبي مع قلبك؟ فقال يهوناداب: نعم نعم (2 مل 10 : 15)، فهتف ياهو فجأة: "هات يدك"، فنلوه إيّاها وأصعده إلى المركبة قائلاً: هلّمّ معي وانظر غوتي للرب. من هنا نستنتج أن ياهو كان يعترف بيهوناداب جيداً باعتبارهم رجلاً مكوساً لعبادة الرب وكلها لعبادة الأوثان لأنه لم يختلط بعبدة البعل في هيكال السامرة قبل قتلهم.

أما غاية ياهو فكانت التخلص من كل الذين يعترضون مطامعه فقط، فتعامل مع الشر حسبما يناسب مطامع قلبه، لذلك زاه يقضي على بيت آخاب وخطاياهم ولا يتعرض مطلقاً لخطايا بيت يربعام. لقد هدم بيت البعل، لكنه أبقى عجول الذهب. لقد أشهر حوبه ضد أعداء الرب مندفعاً بميوله الشخصية ولم يكن يُبالي بشريعة الرب، لذلك نوحاً: "ولكن ياهو لم يتحفظ للسلوك في شريعة الرب إله إسرائيل من كل قلبه، لم يحد عن خطايا يربعام الذي جعل إسرائيل يخطئ" (2 مل 10 : 31).

أما يهوناداب فلما رأى ياهو يسير في طريق بيت يربعام انسحقت روحه فيه بسبب هذه الإهانات الموجهة إلى الرب، وقاده ذلك إلى أن يؤم نفسه بلون من الحياة يشهد بحكمه الأدبي على الشر وعلى رفضه لأن يتمتع نفسه بمباهج الحياة أو حتى لأن يكون مواطناً في تلك الأرض التي جعلت عبادة الرب مستحيلة بدون النعمة الإلهية.

ولما قُسمت البلاد بين الأسباط بقيت هذه الفرقة تملس حياتها البدائية الصواوية بعيداً عن الحضرة، وتمسكت بمبدأ عدم شرب الخمر. ولعلها كانت تتمسك أيضاً بالعبادة الأصلية البسيطة كما كان الإسرائيليون في الوية، أي في خيمة الاجتماع دون الهيكل. وقد خشوا إدخال أي شيء حديث على العبادة القديمة، لذلك كان وجودهم في أورشليم كلاجئين فقط.

في عصر رميا يبدو أنهم استقروا في مرتفعات يهوذا، وكان نظامهم في الحياة كما فوضه يهوداداب: تقديس النظام البوي، وعدم الزراعة، مع الامتناع التام عن شرب الخمر.

وعلى هذا يجيء الأصحاح 35 والمتضمن لحادثة بيت الركابيين في ترتيب أدبي جميل لعمل مباينة بين الشعب المتعود الذي لم يسمع لوصايا الرب إليه خاصة بعنق العبيد رفقاءهم (إر 34) وبين بيت الركابيين الذين أطاعوا وصية أبيهم. إذ كان بنو ركاب أناس إيمان، مخلصين وأمناء، فإستخدمهم الله مثلاً... كانت الفوصة سانحة لهم أن يشربوا خمراً في أحد المخادع في الخفاء، لكن الوصية بالنسبة لهم لها قوتها في حياتهم الخفية.

1 . رميا يختبر أمانة الركابيين:

انقضى على هذه الحال مائتان وخمسون عاماً. وعندما وصلوا إلي أورشليم ظلوا أمناء لتقاليد الآباء، وبكل قوة وقفوا بين شعب المدينة الغلرقين في العبادة الوثنية، شاهدين لهم بالحياة السامية الطاهرة، التي كان عليها شعب الله القديم.

"الكلمة التي صلت إلى رميا من قبل الرب في أيام يهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا قائلة:

أذهب إلى بيت الركابيين وكلمهم،

وادخل بهم إلى بيت الرب إلى أحد المخادع واسقهم خمراً.

فأخذت يزنيا بن رميا بن حبصينيا وإخوته وكل بنيه وكل بيت الركابيين.

ودخلت بهم إلى بيت الرب، إلى مخدع بني حانان بن يجدليا رجل الله الذي بجانب مخدع الرؤساء الذي فوق مخدع معسيا بن شلوم حارس

الباب.

وجعلت أمام بني بيت الركابيين طاسات ملآنة خمراً وأقداحاً،

وقلت لهم: اشربوا خمراً.

فقالوا: لا تشرب خمراً، لأن يوناداب بن ركاب أبانا أوصانا قائلاً:

لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد،

ولا تبنوا بيئاً، ولا تزرعوا زرعاً، ولا تغسوا حرماً،

ولا تكن لكم، بل اسكنوا في الخيام كل أيامكم لكي تحيوا أياماً كثيرة على وجه الأرض التي أنتم متغربون فيها.

فسمعنا لصوت يوناداب بن ركاب أبينا في كل ما أوصانا به أن لا نشرب خمراً كل أيامنا نحن ونساوتنا وبنونا وبناتنا،

وأن لا نبني بيوتاً لسكنانا،

وأن لا يكون لنا حرم ولا حقل ولا زرع.

فسكننا في الخيام وسمعنا وعملنا حسب كل ما أوصانا به يوناداب أبونا.

ولكن كان لما صعد نبوخذ نصر ملك بابل إلى الأرض أننا قلنا لهم فندخل إلى أورشليم من وجه جيش الكلدانيين ومن وجه جيش الأميين.

فسكننا في أورشليم" [1-11].

طلب الله من رميا أن يذهب إلى بيت الركابيين ويكلمهم ويدخل بهم إلى بيت الرب إلى أحد المخادع ويسقيهم خورًا [2].

إن الأشخاص المذكورين في [4] مجهولون لنا.

حانان بن يجدليا : يبدو أنه كان رئيس جماعة من التلاميذ.

معسيا : كان يشغل وظيفة كهنوتية يقوم بها ثلاثة أواد (إر 52: 24، 2 مل 25: 18)، كانوا مسؤولين عن الأموال المخصصة لعمل الإصلاحات في الهيكل (2 مل 12: 1)، يُنظر إليهم بعين التقدير كما كان لهم نفوذ ديني (52: 24).

لعل جماعة من اليهود استوعى نظهم اجتماع النبي بهؤلاء الرجال الغريبيين في منظرهم، فاقتفوا أثرهم ودخلوا معهم ليرقوا النتيجة. تأملوا بدقة في تصرفات رميا حين جعل أمام بني بيت الركابيين طاسات ملائمة خورًا وأقداحًا ليملأوها من الطاسات ويشربوا. ثم سمعوا أيضًا هذه الجماعة المحافظة وهم يقولون لا نشوب الخمر".

هذا **والطاسات هي** أوعية كبوة يُصب منها الخمر في اقداح وكؤوس (تك 44: 2، 12، 16).

أما **المخدع** أو الغرفة المشار إليها هنا فهي إحدى الغرف الكثيرة التابعة للهيكل. وقد استخدمت لسكن الكهنة والمخزن والمكاتب وأكل الذبائح والتعليم.

ربما تبدو أوامر يوناداب تحكيمية وظاهرية، أما أوامر الرب فإنه يؤيدها اقتناع الضمير، ومتفقة مع أعمق مبادئ الفضيلة والتقوى. كان صوت يوناداب خافتًا وآنثيًا إليهم من قونين ونصف، أما صوت الرب فكان دائم التحدث إليهم في كل عصر جديد، وعلى لسان كل رسول أرسله إليهم مبرورًا.

كانت الخمر أمامهم، ولم تكن هناك خطية ضد الله في شربها. ولم يكن ممكنًا أن يتعثر الشعب بها. والنبي نفسه هو الذي دعاهم للشباب. كانت الخمر مقترنة بالتوف والفاسد (إش 28: 1-8)، فامتناعهم عن شرب الخمر لم يكن فقط احتجاجًا ضد الشرور التي كانت منتشرة بين الشعب في عصورهم، بل كان أيضًا ضمانًا أكيدًا لعدم اشتراكهم فيها.

وخير ما تقدمه في هذا الصدد تلك الكلمات الثمينة التي تحدثت بها الرسول: "لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلأوا بالروح". لا يستطيع المؤمن طرد الشيطان بالموقف السلبي، بل يجب أن تمتلئ بالروح القدس. فالذين امتلأوا بالروح القدس، في ملء قوته، هم وحدهم يقفون ثابتين في وجه العالم ولا يشربون من كأسه.

إذا كان شخص تقى، هو رئيس القبيلة، مات منذ القديم، قد أثر في تابعيه هذا التأثير، أفلم يكن من المنتظر أن يؤثر كلام الله في حياة شعبه؟ وقد كان من السهل أن يخطر ببالهم أنه في مكان مقدس كهذا وبدعوة مقدمة إليهم من رجال أتقياء أمناء مثل رميا النبي يجوز لهم أن يتحلوا من التوامم العادي ولكنهم قارموا التجربة وصموا للامتحان وظلوا أمناء لوصية أبيهم على الرغم من سكانهم في أورشليم المدينة.

أما عن التطبيق الروحي بالنسبة لنا نحن المسيحيين فنقول أن الخمر في الكتاب ترمز إلى الفوح (قض 9: 13) وكان على النذير أن يتمتع عنها لأنه لا يجد فوحه في خليفة فسدت. وبنوركاب باعتبارهم غرباء وزلاء لا يطلبون فوحهم مما ينتج من كرمة الأرض، وهم في ذلك يرمزون إلى أولئك الذين يطلبون فوحًا أسمى لا يمكن أن يعطيه العالم. إنهم يأكلون بقية ثمار الأرض كضرورة من أجل الحياة الزمنية المؤقتة، أما فوحهم ففي الرب نفسه.

وكما يقول **الأب ثيوداس** [581] : بنوركاب أوفرو أكثر مما يطلب الناموس.

2. عدم أمانة الشعب:

بينما كانت تعليمات يهوداداب تطيعها الأجيال المتعاقبة، كانت أوامر الله في سيناء تُهمل بل وتُرفض، وصار هذا هو السلوك المألوف في الحياة.

"ثم صلت كلمة الرب إلى رميا قائلة:

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

اذهب وقل لوجال يهوذا وسكان اورشليم:

أما تقبلون تأديبًا لتسموا كلامي يقول الرب!؟

قد أقيم كلام يوناداب بن ركاب الذي أوصى به بنيه أن لا يشربوا خمرًا فلم يشربوا إلى هذا اليوم لأنهم سموا وصية أبيهم.

وأنا قد كلمتكم مبكرًا ومكلمًا ولم تسموا لي.

وقد أرسلت إليكم كل عبيد الأنبياء مبكرًا وموسلاً قائلاً رجوا كل واحد عن طريقه الرديئة واصلحوا أعمالكم ولا تذهبوا وراء آلهة أخرى

لتعبوها فتسكنوا في الأرض التي أعطيتكم وآباءكم.

فلم تميلوا أذنكم ولا سمعتم لي.

لأن بني يوناداب بن ركاب قد أقاموا وصية أبيهم التي أوصاهم بها، أما هذا الشعب فلم يسمع لي" [12-16].

بينما كان البابليون يعيدون تنظيم صفوفهم بعد المعركة مع مصر عام 601 ق.م، قامت قوات الغزو الآرامية والكلدانية بغزوات متفوقة على

اهداف مختزة في يهوذا فيما بين 599 و 597 لتهب يهوذا (2 مل 24: 2).

3. البقية المقدسة:

"لذلك هكذا قال الرب إله الجنود إله إسرائيل:

هأنذا أجب على يهوذا وعلى كل سكان اورشليم كل الشر الذي تكلمت به عليهم لأني كلمتهم فلم يسموا ودعوتهم فلم يجيبوا.

وقال إرميا نبيت الوركابيين: هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم وحفظتم كل وصاياهم وعملتكم حسب

كل ما أوصاكم به،

لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام" [17-19].

كانوا أمناء في الخفاء فتمتعوا بوعده إلهي: "لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامي كل الأيام" [19].

إن العبارة "يقف أمامي" [19] (أمام الله) تشير إلى حياة روحية سامية، وتتضمن معرفة الله، والقررة على إتمام وصاياهم، وموهبة الشفاعة من

أجل الآخرين. كانت هذه العبارة محبوبة جدًا لإيليا، وكانت تشير إلى سر قوة حياته، وقد أختلها الملاك جوائيل في حديثه مع القديسة مريم كأقوى

ضمان على تصديق رسالته.

مما تجدر الاشارة إليه أن الدكتور ولف *Dr. Wolff* ، أحد المبشرين المتجولين، التقى بقبيلة في بلاد العرب اعترفت بأنها تتصل بالوركابيين،

وقأت إليه كلمات رميا هذه من الكتاب المقدس باللغة العربية. وأن السنيور بيروتي *Signor Pierotti* التقى بقبيلة قرب الطرف الجنوبي الشوقي

للبحر الميت صوحت أيضًا بأنها تتصل بالوركابيين، وقأت هذه الكلمات.

في وسط الضيقة لا ينسى الله البقية الباقية القليلة الأمانة، فإنه يود لهم أمانتهم بعود إلهية أمينة وسخية.

ليتنا ندرك دائمًا أن الله بقية أمينة في كل جيل. ففي وسط أحداث السبي الوعة كان الله مشغولاً بمكافأة بني ركاب الأمناء. وحينما رفضته كل

أورشليم وُجد له موضع راحة في بيت لعزر ومريم وموثا في قرية عنيا (العناء) الصغوة والمجهولة. لم ينشغل الله بكل قيادات المدينة العظمى أورشليم

المقاومة له، إنما انشغل بحب أسوة مجهولة في قرية صغوة!

في الوقت الذي كان فيه العالم كله شوقًا يستحق الإبادة، لم ينسَ الله نوحًا وبنيه ونساء بنيه. لم ينسَ ثمانية أشخاص وسط جمهور البشرية في

ذلك الحين.

وعندما استحققت سدوم وعمورة نزلًا وكبريتًا للحرق أرسل الله ملاكين لإنقاذ لوط وبنتيه.
وفي سفر حزقيال كثروا ما يذكّر الله نبيه أن له بقية باقية أمينة.
الله له شهود أمناء في كل عصر.

من وحي إر 35

أيها الأمين هب لي روح الأمانة

❖ وعدتني: كن أمينًا إلى الموت، فسأعطيك إكليل الحياة.

نفسى تنن في داخلي، قائلة:

من أين لي أن أكون أمينًا؟!

أنظر إليّ أيها الأمين وحده،

وهب لي روح الأمانة!

فأشركك طبيعة الأمانة!

❖ كان بنو ركاب أمناء في وصية أبيهم الذي رقد،

أما أنا فغير أمين في وصية أبي واهب الحياة!

كسرت وصيتك، وقدمت لنفسي أعذرًا!

❖ قدّم يوناداب ابن ركاب وصية لولاده فحفظوا الأمانة!

أما أنت فقدمت ذاتك لي وديعة أمانة،

فخنت الأمانة وبددتها نون مقابل!

❖ قدّم يوناداب لبنيه وصية تبدو جافة،

أما أنت فتقدم لي ذاتك روح وحياء!

سألهم ألاّ يبنوا بيوتًا يسكنون فيها، بل يُقيموا في خيام.

وها أنت تُقدم لي ذاتك لأحتفي فيك أيها المسكن الإلهي؛

أستتر فيك كما في صخرة تحميني من كل الأعداء.

❖ طلب منهم ألاّ يزرعوا كرومًا،

وأنت تطلب مني أن أطعم فيك أيها الكرومة الحقيقية.

أوصيتهم ألاّ يشربوا خمرًا،

وأما أنت فهبتي روحك القديس يُسكر نفسي بخمر الحب الإلهي.

أشرب من ينابيع روحك،

فتفيض في داخلي أنهار حب تُسكر النفوس!

❖ بماذا أعدك يا أبي ومخلصي؟!

ليسكن فيّ روحك القديس،

1 . كتابة لرج السفر :

'وكان في السنة الرابعة ليهويقيم بن يوشيا ملك يهوذا أن هذه الكلمة صلت إلى لرميا من قبل الرب قائلة:
خذ لنفسك لرج سفر،
واكتب فيه كل الكلام الذي كلمتك به على إسرائيل، وعلى يهوذا، وعلى كل الشعوب،
من اليوم الذي كلمتك فيه من أيام يوشيا إلى هذا اليوم.
لعل بيت يهوذا يسمعون كل الشر الذي أنا مفكر أن أصنعه بهم،
فيرجعوا كل واحد عن طريقه الوديء،
فأغفر ذنوبهم وخطيتهم.
فدعا لرميا باروخ بن نيريا،
فكتب باروخ عن فم لرميا كل كلام الرب الذي كلمه به في لرج السفر.
وأوصى لرميا باروخ قائلاً:
أنا محبوس لا أقدر أن أدخل بيت الرب.
فأدخل أنت وإوآ في اللرج الذي كتبت عن فمي كل كلام الرب في آذان الشعب في بيت الرب في يوم الصوم،
وأقواه أيضاً في آذان كل يهوذا القادمين من مدنهم.
لعل تضعوهم يقع أمام الرب،
فيرجعوا كل واحد عن طريقه الوديء،
لأنه عظيم الغضب والغیظ للذان تكلم بهما الرب على هذا الشعب" [1-7].

كان لرميا محبوساً لا يقدر أن يدخل بيت الرب [5]. هنا كلمة "محبوس" لا تعني أنه كان مسجوناً، لكنه كان ممنوعاً من الدخول إلى بيت الرب، فحسب نفسه محبوساً. الفعل العوي *Asur* الذي يصف سجن لرميا يرد في (33: 1، 39: 15) بمعنى إلقاء القبض عليه أو سجنه، لكن المعنى هنا مختلف حيث أن عدد 19 يبين أن لرميا كان حراً في أن يهرب عندما يريد. ولعله تم استبعاد لرميا من الهيكل وحرمانه من دخوله بعد الأحداث الوردية في (19: 1-20)، أو بعد صدور أمرٍ عامٍ بذلك بسبب الاشتباه في أمره حتى يُحرم من الحديث مع الشعب [584].
يظهر أن لرميا لم يجمع قبل هذا الوقت أقوال نواته في سفر. ولسنا نعرف هل دونها حين ألقاها، أم تركها في ذاكرته. ومهما يكن من أمر، فقد أمره الله أن يجمع كل ما تتبأ به في تلك المدة الطويلة، فيعلنه للشعب بؤاعته أمامهم في يوم احتفالٍ عامٍ.
أملى اللوج الأول ما بين نيسان (أبريل) 605 ق.م ونيسان 604 ق.م، بعد هزيمة مصر في موقعة كركميش مباشرة. وربما كانت بداية الكلثة باعثاً على جمع النوات على أمل أن يتوب يهوذا.

كان اللوج رتوقاً من الجلد أو الودي (مز 40: 7، حز 2: 9). وكانت الكتب العويية القديمة تُكتب على شكل أعمدة مؤولية تستوجب فتح اللوج عند الاستوار في القواعة. واضح أن السفر لم يكن حجمه كبيراً جداً بل دليل أنه وُأ في جلسة واحدة [10، 15، 21، 22].
لم يسجل لرميا النبي نواته قبلاً لأنه كان في وسط الشعب يتحدث إليهم من حين إلى حين. أما الآن إذ اقترب السبي جداً تم تسجيل النوات كتابةً بأمرٍ إلهي حتى يحمل المسيبون نسخة منها إلى بابل فتشهد لهم بكلمة الرب، وتبقى نسخة أخرى مع الذين يبقيون في يهوذا أو مع الراحلين إلى مصر.

لعل لرميا أدرك أن حياته في خطرٍ، فلا تعود توجد فرص كثيرة للحديث الشفوي مع الشعب، خاصة وأنه ليس له ابن يردد ما قاله أبوه (16):

مصر.

محتويات الوثيقة التي نحن بصددنا غير معروفة، وإن كان من المحتمل أنها ضمت نوات في شكل مختلرات أدبية وأشعار أُعلنت بين عامي 626 و 605 ق.م، وبمضاهاتها بالنوة الحالية يتضح أنها قصوة نسبيًا، لأنه يمكن أن تَوأ ثلاث مرات في يومٍ واحدٍ [10، 15، 21].
واضح من [3، 7] أن الله يَوجي توبة شعبه ولو في اللحظات الأخوة حتى ليغير الحكم الإلهي من نوره؛ فتغير اتجاه بيت يهوذا يتبعه تغيير في حكم الله (26: 3).

ما قد سجله رميا من نوات ضد يهوذا بواسطة بلوخ كان قاسيًا على نفسية رميا صاحب المشاعر الوثيقة لو لم يتحقق أنها كلمة الرب. لذلك كثرة ما يكرر العبارات: "لأنه هكذا قال الرب"، "وصلت إلي كلمة الرب"، "لأنه هكذا قال رب الجنود"، "اسموا كلمة الرب"، "يقول الرب"، "اسموا الكلمة التي تكلم بها الرب"، "قال الرب لي". فما نطق به هو إعلان إلهي كما يقول الرسول بطرس "لأنه لم تأت نوة قط بمشينة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (2 بط 1: 21). كان رجلا الله رميا النبي وبلوخ تحت قيادة الروح القدس، يُعطى للأول كلمة ينطق بها والثاني يكتب.

كان ثمن هذه النوات حياته كلها، لكنه بقوة الروح يقول للكهنة والأنبياء والرؤساء "أما أنا فما أنذا بيدكم، اصنعوا بي كما هو حسن ومستقيم في أعينكم، لكن اعملوا علمًا أنكم إن قتلتموني تجعلون دمارًا كيًا على أنفسكم وعلى هذه المدينة وعلى سكانها لأنه حقًا قد أرسلني الرب إليكم لأتكلّم في آذانكم بكل هذا الكلام" (24: 14-15).

كان الرب هو المشدد والمعضد له، لذلك على الرغم مما أصابه من أتعابٍ وسخريةٍ وعارٍ واستنواءٍ لم يستطع السكوت، إذ يقول: "فكان كلام الرب في قلبي كنارٍ محرقةٍ محصورةٍ في عظامي فمللت من الإمساك ولم أستطع" (20: 9) إنه يشهد للكلمة الإلهية التي ألهمت أعماقه، إذ يقول: "هأنذا جاعل كلامي في فمك نرًا وهذا الشعب حطبًا فتأكلهم" (5: 14)، كما قال الرب له: "لأنني ساهر على كلمتي لأجريها" (1: 12).
وقد شبّه رميا كلمة الله بالنار والمطوقة فيقول: "أليست هكذا كلمتي كنارٍ يقول الرب، وكمطوقة تحطم الصخر؟! (23: 29).
وقد قال له الرب "إذا أخرجت الثمين من المونول فمئثل فمي تكون، هم يرجعون إليك وأنت لا ترجع إليهم" (15: 19).
ولا ننسى أن نوة رميا كانت موضوع اهتمام ورواسة الأمناء المعاصرين له مثل دانيال الذي قال: "أنا دانيال فهمت من الكتب عدد السنين التي كانت عنها كلمة الرب لإرميا لكاملة سبعين سنة على خراب أورشليم" (دا 9: 2).

كانت كلمة الرب طعامًا موحًا لنفس رميا: "وُجد كلامك فأكلته فكان كلامك لي للوح ولبهجة قلبي" (15: 16). وهذا يذكرنا بقول داود النبي "ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفي" وقول الرب للنبي حزقيال الذي كان معاصوًا لإرميا "كُل هذا الوجود واذهب كلم بيت إسرائيل، ففتحت فمي، فأطعمني ذلك الوجود، وقال لي يا ابن آدم أطمع بطنك واملأ جوفك من هذا الوجود الذي أنا معطيكه، فأكلته فصار في فمي كالعسل حلاوة" (حز 3: 1-3).
غاية كتابة السفر هو أن يدفعهم إلى التمتع بمغوة ذنوبهم وخطاياهم، فإن الله لا يشغله كثرة إن كنا نسقط تحت التأديب أو نُعفي منه، فرما يشغله نقوة قلوبنا وتقديس أعماقنا لكي نصير قديسين كما أنه هو قدوس. إنه الأب الذي يشتهي أن يقتدي به ولأده، يشركونه حياته لكي يتمتعوا أيضًا بشركة مجده.

لقد أترك الموتل قرة كلمة الله في رفع الخطايا وزع عزلنا الداخلي فقال: "دوج عني العار والخزي، فإني لشهادتك ابتغيت" (مز 119: 22).
ويعلق العلامة أوريجينوس على هذه العبارة قائلاً:

لستوجب الخطايا العار والخزي، ففي يوم الدينونة يقوم الخطاة إلى الخزي والعار الأبدي (دا 12: 2)...

يوجد نوعان من العار: فمن جهة اختار الله أذنياء العالم والمزورى" (1 كو 1: 28)؛ ومن جهة أخرى: "فاعل الشر مونول أمام (الرب)" (مز

إنني أقول: "دحرج عني العار والقوي، فأني لشهادتك ابتغيت" (مز 119: 22). لا تحسبني مستحقاً العار والقوي، لأنني حفظت شهادتك التي قيل عنها: "طوباهم الذين يحفظون شهادتك" (مز 119: 2) [585].

إن كانت الخطايا تلتصق الإنسان بالتواب، فإن كلمة الله تلتصقه بالله، إذ يقول الموتل: "لصقت بالتواب نفسي، فأحيني بكلمتك" (مز 119: 25). ويعلق العلامة أوريجينوس قائلاً:

[إذ وجد داود نفسه ساقطاً في الخطية التصفقت نفسه بالتواب بفعل الخطية. لقد دموت الخطية مكانة نفسي وحطمت علوها الطبيعي. حقاً إن كل نفس خاطئة تكون "ملتصقة بالتواب" لذا قيل: "راء إلهك تسير، وتلتصق به" (تث 13: 4؛ 6: 13؛ 10: 30)؛ هذا ما قيل في الشريعة. إذرفض الالتصاق بالتواب ورأد أن يعيش حسب كلمة الرب؛ أي حسب الكتاب المقدس الإلهي الموحى به، يطلب العون الإلهي لكي يحيا. من يهندي ينطق بكلمات الرب، فتظهر أعماله وسيرته الصالحة [586].

2. إعلان عن الصوم:

أملى رميا كاتبه بلوخ النوات، ولا نعرف هل جمعها رميا كما هي، أو رتبها ولخص بعضها. على كل حال يظهر أن هذا العمل استغرق وقتاً طويلاً. والفوصة التي انتهوا رميا هي الصوم الذي فرضه الملك على الشعب بسبب الخطر المرتقب من حواء تقدم جيوش الكلدانيين. والظاهر أنها كانت الفوصة الأخيرة التي أراد الله أن يعطيها للشعب لأجل التوبة والرجوع إليه.

"فعل باروخ بن نيريا حسب كل ما أوصاه به رميا النبي بقواعته في السفر كلام الرب في بيت الرب. وكان في السنة الخامسة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا في الشهر التاسع أنهم نأوا بصوم أمام الرب، كل الشعب في أورشليم، وكل الشعب القادمين من مدن يهوذا إلى أورشليم.

فقوا باروخ في السفر كلام رميا في بيت الرب في مخدع جمريا بن شافان الكاتب، في الدار العليا في مدخل باب بيت الرب الجديد في آذان كل الشعب" [8-10].

باروخ بن نيريا

باروخ اسم عوي معناه "مبلك".

كان أخو سوايارئيس المحلة للملك صدقيا (51: 59)، الذي كان يشغل مركزاً سامياً في حاشية الملك صدقيا، وكان يطمع في أن يكون واحداً من ملازميه "هل تطلب لنفسك أمراً عظيمة" (45: 5). وكما يقول يوسيفوس المؤرخ إنه من عائلة عريقة للغاية [587].

وقد ذكر أولاً في (32: 12) كرفاق لإرميا، كان معه في السجن، وشهد على عملية شواء حقل ابن عمه بعناوث، واحتفظ بعقود الشواء. وقد خدم سيده بأمانة (36: 10)، وكتب نواته (36: 4، 32)، وكان يقرأ بصوت عالٍ أمام الناس (36: 10-15). وقد كلفه ذلك التضحية بالكثير من مشروعاته وأعماله العالمية.

وعندما سقطت أورشليم أقام مع رميا في المصفاة [588]، وعندما قُتل جدليا فُبض عليه للتأثير على رميا لكي وحل (43: 3)، وطبقاً لما جاء

في (43: 6) حُمل مع رميا إلى مصر حيث ماتا هناك [589]. يوجد تقليد آخر يقول إن باروخ ذهب مؤخراً إلى بابل أو حُمل إلى هناك بواسطة نيوخذنصر بعد فتح الأخير لمصر.

وفي كل أجزاء النبوة يُذكر بلوخ على أنه كاتب رميا وليس كاتب السفر. كتب باروخ في بابل السفر الذي يحمل اسمه، من الأسفار القانونية

الثانية، يعوى ستة أصحابات، منها الأصحاح السادس والأخير عبرة عن رسالة لإرميا النبي موجه للذين كانوا مزعمين أن يساقوا إلى السبي.

بسبب ارتباط باروخ بشخصية رميا استغل البعض شهرته فنسوا إليه فيما بعد كتاباً يسمى "رؤيا باروخ"، ينسب له رؤى تسلمها من السماء.

[590] جاء في النسخة السورانية أنه بسبب تقواه لم يسمح الله بخواب الهيكل، لهذا أمره أن يترك أورشليم قبل خرابه ليُبعد حماية حضره عن الهيكل .
وقد رأى باروخ من سديانة إواهم التي في حبرون الهيكل مُقامًا على نارٍ بواسطة ملائكة الذين سبقوا أن أخفوا الأواني المقدسة [591].
في الأدب العوي ينتمي باروخ إلى رميا بوابة جسدية، وكلاهما كانا كاهنين ومن نسل راحاب الزانية [592].

وُي كلام السفر في آذان الشعب في يوم صوم في الشهر التاسع في السنة الخامسة لحكم الملك يهوياقيم. لم يكن هذا اليوم من أيام الصوم الخاصة بمناسبة دينية وردت في الشريعة، إنما كان من أجل الأرملة القومية التي حُلَّت بهم، ربما بمناسبة وصول الجيوش البابلية إلى السهول الفلسطينية. في مثل هذه المناسبة يربط الشعب توسلاته وطلباته بالصوم لكي يخلصهم الله من الضيق. لكنهم إذ لم يلتزموا بالتوبة قيل: "حين يصومون لا اسمع صواخهم، وحين يُصعدون محرقة وتقدمة لا أقبلهم" (14: 12).

كان الشهر التاسع هو ديسمبر من عام 604 ق.م، حيث كان الجو باردًا [22]، عندما أطاح البابليون بأشقلون في سهل فلسطين.

جمريا

هو ابن "شافان" الكاتب الرسمي للنولة تحت حكم يوشيا (2 مل 22: 3، 8). إذا كان "شافان" هذا هو نفسه الرجل المذكور في رميا (25: 24) يكون "جمريا" أخو "أخيقام" الذي عامل رميا برفق. ولقد كان اسم "جمريا" شائعًا إلى حد ما في القرون السابع ق.م. وتذكر إحدى رسائل "الخيش" (الوح الأول) "جمريا بن هيسيل ياهو في عام 589 ق.م.
يربط البعض بين قراءة باروخ السفر في غرفة جمريا بن شافان وقصة وجود السفر في الهيكل في أيام يوشيا الملك (2 مل 22: 3، 23: 3)، عندما قرأ شافان هذا الودج (2 مل 22: 3). على أي الأحوال استخدام باروخ غرفة جمريا يشير إلي تعاطف الأخير مع رميا النبي.
كانت الحوة في العلية (26: 10)، حيث يستطيع الشعب المجتمع في الفناء والقاعات السفلى أن يتطلع إليه ويسمعه. لكن للأسف لم نعرف شيئًا عن رد فعل الشعب عند سماعه السفر.

3 . قِراءة للرؤساء:

فلما سمع ميخايا بن جمريا بن شافان كل كلام الرب من السفر،
نزل إلى بيت الملك إلى مخدع الكاتب وإذا كل الرؤساء جلوس هناك.
أليشاماع الكاتب ودلايا بن شمعيأ وألناتان بن عكبور وجمريا بن شافان وصدقيا بن حننيا وكل الرؤساء.
فأخوهم ميخايا بكل الكلام الذي سمعه عندما قرأ باروخ السفر في آذان الشعب.
فأرسل كل الرؤساء إلى باروخ يهودي بن نثنيا بن شلميا بن كوشي قائلين:
الرج الذي قُوت فيه في آذان الشعب خذه بيدك وتعال.
فأخذ باروخ بن نيريا الودج بيده وأتى إليهم.
فقالوا له: اجلس واقراه في آذاننا.
فقرأ باروخ في آذانهم.
فكان لما سمعوا كل الكلام أنهم خافوا ناظرين بعضهم إلى بعض وقالوا لباروخ:
إخبارنا نخبير الملك بكل هذا الكلام.
ثم سألوا باروخ قائلين: أخبرنا كيف كتبت كل هذا الكلام عن فمه.
فقال لهم باروخ: بقمه كان يقرأ لي كل هذا الكلام وأنا كنت أكتب في السفر بالحبر.

فقال الرؤساء لباروخ: اذهب وأختبئ أنت ولرميا ولا يعلم إنسان أين أنتما" [11-19].

وقف بلروخ في الدار العليا، في مدخل باب بيت الرب الجديد وبدأ يقرأ. سمعه شاب يدعى ميخايا حفيد شافان، فتأثر جداً وأسرع إلى القصر وأخبر الرؤساء الذين استدعوا بلروخ ليقوا لهم ما بالروح. خافوا جداً إذ سمعوا عن الخراب الذي سيحل بالبلاد، وشعروا بالمسؤولية أن يخطروا الملك بمحتويات الروح.

إذا كان "اليشاماع" الكاتب هو نفسه "اليشاماع" المذكور في (41: 1، 2 مل 25: 25) فإنه يكون من أصل ملكي.

"الناتان بن عكبور" ذكر مرة أخرى في (26: 22)، أما عن الآخرين باستثناء "جمريا بن شافان" فلا نعرف عنهم شيء. و"يهودي بن نثنيا بن شلميا بن كوش" [14] غير معروف إلا في هذا الموضوع، ولا بد أنه كان ذا أهمية في عهده وإلا ما كان هناك داعٍ لذكر نسبه إلى الجيل الثالث.

إذ أمر الرؤساء بلروخ أن يجلس فمن الواضح أنهم كانوا يظهرون له المودة، وربما انحدر من عائلة من الطبقات العليا. وقد يدل الاستقبال والحفلة التي قوبل به على أن لإرميا بعض الأتباع بين حكام يهوذا.

استقبالهم المشوب بالخوف لهذا الروح أؤمهم أن يخبروا الملك فهاً بما فيه. وقد اهتم الرؤساء أيضاً بسلامة لرميا وبلروخ إذ كانوا يعرفون ما اتصف به يهويقيم من ظلمٍ وعنوانٍ. ومن الواضح أنهم استفادوا من النهاية المأسوية التي لقيها "يوربا" نتيجة لأهواله (26: 23). يذكر التقليد اليهودي أن مكان الاختباء عرف باسم "كهف لرميا"، وكان يقع خارج باب دمشق وإن كان ذلك ليس يقيناً.

4. حرق الروح:

ثم دخلوا إلى الملك إلى الدار وأودعوا الروح في مخدع أليشاماع الكاتب،

وأخبروا في أذني الملك بكل الكلام.

فُرسل الملك يهودي ليأخذ الروح،

فأخذه من مخدع أليشاماع الكاتب،

وقواه يهودي في أذني الملك وفي آذان كل الرؤساء الواقفين لدى الملك.

وكان الملك جالساً في بيت الشتاء في الشهر التاسع، والكانون قدماه متقد.

وكان لما قرأ يهودي ثلاثة سطور أو أربعة أنه شقه بمواة الكاتب وألقاه إلى النار التي في الكانون حتى فني كل الروح في النار التي في

الكانون.

ولم يخف الملك ولا كل عبيده السامعين كل هذا الكلام ولا شققوا ثيابهم.

ولكن ألتان ودلايا وجمريا توجهوا الملك أن لا يحرق الروح فلم يسمع لهم.

بل أمر الملك يرحمئيل ابن الملك وسوايا بن عزرائيل وشلميا بن عبدئيل أن يقبضوا على باروخ الكاتب ولرميا النبي، ولكن الرب خبأهما

[20-26].

بلا شك توقع "اليشاماع" استقبالاً فائزاً من يهويقيم المتعريف والذي كان يسكن في بيت الشتاء. والكلمة العبرية "بيت" *beyit* تعني أحياناً جزءاً من البناء (1 أي 28: 11، حز 46: 24). ففي المنزل المكونة من طابقين كان الطابق الأرضي عادة يُستخدم للإقامة الشتوية بينما الطابق العلوي الجيد التهوية كان أنسب لحر الصيف. وكان "الكانون" مصوفاً للحلوة في يوم شديد البرودة من أيام الشتاء.

كان نور الشاب ميخايا بن جمريا حياً، إذ لم يحتمل أن يسمع الكلمة ويصمت بل ابلغ الرؤساء لعلهم يقومون بدورٍ روحي. فعلاً سألوا أن يأتي ببلروخ نون إبطاء ليقوا عليهم كلمات النبي. وقد وقع عليهم - وكان من بينهم بعض الأثواف - خوف عظيم. ورغم مقولتهم لإرميا لكنهم خافوا، كما

وُجد نفر قليل منهم يثق في كلمات الرب على لسان رميا، شعروا أن من واجبه إخطار الملك بالأمر لخطورته.

قبل تقديم السفر طلبوا من بلوخ ورميا أن يختبئا، لأنهم يعرفون طبيعة يهوياقيم العنيفة الظالمة. لقد ظنوا أن الملك يكتفي بسماع ملخص لما ورد في الوجود، لكن هذا لم يرضه بل طلب من "يهودي" أن يحضر الوجود بينما جلس الملك بجوار كانون النار يستدفئ، والرؤساء واقفون حوله، بينما كان الشعب في أرجاء المدينة في حالة خوفٍ وروعٍ، خاصة الذين في الهيكل. إذ بدأ الملك يستمع لما ورد في الوجود بدت علامات الغضب على وجهه. كانت أمامه فرصة للتوبة، خاصة وأن بعض رجاله حثوه أن ينصت إلى كلمة الرب، لكنه طرح السفر في النار، فإذا به يطرح نفسه وبيته ومدينته في نوانٍ قاسية! وبعد قراءة ثلاثة سطور أو أربعة خطف الوجود وطلب المواء التي تلائم الكاتب عادة. وكلما كان "يهودي" يقرأ عدة أسطر من الوجود كان الملك يقطع ذلك الجزء ويحرقه في النار باحتقار، ظاناً أنه يستطيع أن يحطم الكلمة النبوية. عوض أن يشقوا ثيابهم ويمزقوا قلوبهم بروح التوبة مزق يهوياقيم الوجود وألقى في النار. عيّن حول دلايا وجبريا والناتان إقناعاً ألا يحرق الوجود، لكنه أصدر أمره بالقبض على رميا النبي وكاتبه بلوخ فلم يجدهما رسله.

كانت "المواء" أو "سكين الكاتب" تُستخدم في عمل وإصلاح الأقلام المصنوعة من الغاب ولقطع أو قص سجلات الوجود.

التحدي السافر الذي أظهره الملك وحاشيته فيه تناقض صلح معرد فعل يوشيا عندما سمع سفر الشريعة المكتشف حديثاً (2 مل 22: 11). إذ لما سمع يوشيا والد يهوياقيم سفر الشريعة مزق ثيابه.

استخدم الملك المواء لتزيق الكتاب والنار لحرقه، لكن ما ورد في الوجود تحقق، وبقيت كلمة الله أعظم من كل قوة مضادة. هكذا يحول الملحدون وأيضاً النقاد تزيق كلمة الله بفلسفات بشوية راقية، لكن كلمة الله أعظم من كل مقاومة. كذلك الذين يرفضون طريق الصليب الضيق من أجل الراحة الزمنية بمسكون بمواء يهودي ليمزقوا الكلمة الإنجيلية في حياتهم.

ما أتعس الإنسان الذي يمزق كلمة الله بمواء ذهنه ويزيفها بعقله، يطرح رجاءه لا الوجود في النار، أما كلمة الرب فباقية إلى الأبد. "السموات والارض تزولان لكن كلامي لا يزول" (مر 13: 31). من يرتبط بكلمة الحياة الباقية إلى الأبد (1 بط 1: 25، يو 12: 48) يحطم الفناء ويغلب الموت ويدخل إلى عدم الفساد الأبدي.

حقاً إن استخف أحد بصوت الله كف عن التحدث، والذين لا يستحسنون أن يبقوا الله في معرفتهم يسلمهم الله إلى ذهنٍ موفوضٍ ليفعلوا كل نجاسةٍ وطمعٍ (رو 1: 28 الخ)، هذا يذكرنا بتلك الكلمات الرهيبة التي خُتمت بها حياة أول ملوك إسرائيل، "ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلي يوم موته" (1 صم 15: 35).

❖ لا تمزق الخطاب المكتوب على قلبك كما فعل الملك الفاسد حيث شق بمواء الكاتب الخطاب المسلم إليه بواسطة بلوخ. لا تجعل هوشع يقول لك كما لإوايم: "أنت كحمامة رعاء" (هو 7: 11) [593].

القديس جبروم

لا نستطيع أن نترك على وجه التحديد التام معني "الله خبأهما". هل حث أحداً من الرؤساء ليخفيهما في موضع معين، أم اختفي رميا وكاتبه وستر الرب عليهما فلم يعرف أحد موضعهما؟!
إننا جميعاً في حاجة إلى هذه التخبئة الإلهية التي لا نعرف مدتها. يجب علينا إطاعة الصوت الذي ينادينا كما نادى إيليا "انطلق من هنا واتجه نحو المشوق واخترني".

عندما لا نطمع في شيء في الوجود إلا في لرضائه فحينئذ نكون مختبئين في حصنه الحصين، ومن مخبأنا الأمين الذي ننعم فيه بمجد نوره العظيم نتطلع بثبات إلى الشور العجبة وهي تجوز بجورنا دون أن تجزئ على الاقتراب منا.
هكذا لا زال ابن الله يتدخل لحماية خاصته. فعش له وحده. كن سهماً مورياً مختبئاً في ظل يده وفي كنانته مختفياً (إش 49: 2). أثبت فيه.

أصغ إليه، فإنه يقول لك كما قال داود لأبيآثار: "أقم معي. لا تخف لأن الذي يطلب نفسي يطلب نفسك. ولكنك عندي محفوظ" (1 صم 22: 23).

الاسم "يوحنا بن الملك" [26] قد يعني أنه كان من سلالة الملك (39: 6، 1 مل 22: 26، صف 1: 8).

5. النسخة الثانية من الراج:

"ثم صارت كلمة الرب إلى رميا بعد إهراق الملك الراج والكلام الذي كتبه باروخ عن فم رميا قائلة:

عد فخذ لنفسك رجًا آخر واكتب فيه كل الكلام الأول الذي كان في الراج الأول الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا.

وقل ليهوياقيم ملك يهوذا:

هكذا قال الرب.

أنت قد أحرقت ذلك الراج قائلاً لماذا كتبت فيه قائلاً مجيئاً يجيء ملك بابل ويهلك هذه الأرض ويلاشي منها الإنسان والحيوان.

لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا:

لا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهلاً وللمرد ليلاً.

وأعاقبه ونسله وعبيده على إثمهم وأجلب عليهم وعلى سكان أورشليم وعلى رجال يهوذا كل الشر الذي كلمتهم عنه ولم يسموا.

فأخذ رميا رجًا آخر ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب، فكتب فيه عن فم رميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهوذا بالنار وزيد عليه

أيضاً كلام كثير مثله" [27-32].

كم مضى من الوقت بعد تدمير الراج الأصلي وبين عمل النسخة الثانية؟ لا يعرف أحد بالضبط. لكن ربما لا تزيد عن عدة شهور. وشملت

النسخة الثانية على مادة إضافية تركز على المصير الذي ينتظر حاكم غير تقي.

لم ينشغل رميا النبي وكاتبه بمقاومة الأثوار لهما بل بحفظ الكلمة الإلهية وتسجيلها، ليس فقط في سفر عبر الدهور بل وفي حياتهما. وكما يقول العلامة

أوريجينوس معلقاً على قول الموتل: "جلس الرؤساء وتقلولوا عليّ، أما عبدك فكان يهتم بحقوقك" (مز 119: 23): [ليتكلم هؤلاء الرؤساء أياً كانوا، فإن

البار لا يفعل شيئاً سوى التحدث بوائض الرب، هذه الفوائض التي ينطق بها البار ليست كلمات بشوية! [594].

من وحي رميا 36

كلماتك نار آكلة

❖ ثار الكل على نبيك رميا لكي يصمت،

أما فهو فشر بنار الكلمة الإلهية تلتهب في أعماقه،

مياه الضيقات والسخرية لا تقدر أن تطفئها!

❖ ليلهب روحك الناري نار كلمتك فيّ،

تحرق كل الأشواك الخائفة في أعماقي!

نعم! لتهني شركة الطبيعة الإلهية، إنها النار الآكلة.

تبدد كل برودٍ روحي،

وتحولني إلى خادمٍ سمويّ ناري!

❖ لم يمزق يهوياقيم ثيابه عند سماعه كلمتك،

بل مزق بمواة السفر نفسه،

وَألقاه في أتون النار!
ظن هذا المسكين أنه قادر أن يبدد الكلمة،
ولم يبرك أن الكلمة نار سماوية تبني وتمجد!
❖ هب لي يرب هذه النار،
فأصوخ قائلاً:
نار كلمتك قد أحرقتني،
رُيد ان رُتفع إلى سمواتك
وأحيا معك أيها النار الآكلة،
وأشرك السمايين النيرانيين تسابيحهم!
<<

الأصحاح السابع والثلاثون

صدقيا يستشير إرميا

تعتبر الأصحاحات 37 إلى 44 قسماً تزيخياً، يبدأ بالحديث عن رفع الكلدانيين الحصار عن أورشليم مؤقتاً لملاقاة فوعن خوع، وقد طلب صدقيا الملك من إرميا الصلاة من أجله.

ذُكرت هنا حادثتان في الفترة 589-588 ق.م.، ربما في ربيع 588 جاءت الاخبار بوصول قوة انقاذ مصرية، فوقع البابليون الحصار عن أورشليم مؤقتاً لمواجهة التهديد العربي الجديد، فشهد السكان المحاصرون هدنة لالتقاط الأنفاس.

رُسل صدقيا الذي ملَّكه نبوخذنصر ملك بابل على يهوذا إلى إرميا يستشوره إن كان يتحالف مع فوعن مصر لحمايته من الكلدانيين، ظانا أن الله يجعل من هذه الهدنة المؤقتة هدنة دائمة. وكانت الإجابة صريحة وهي عدم الاتكال على فواع بشرٍ، مؤكداً أن جيش الكلدانيين الذي حاصر أورشليم وتوكلها سيعود مرة أخرى ويحاصوها، ولن يستطيع فوعن أن يخلصهم.

"لأنكم وإن ضربتم كل جيش الكلدانيين الذين يحربونكم وبقي منهم رجال طعنوا (جرحي)، فإنهم يقومون كل واحدٍ في خيمته ويعرقون هذه المدينة بالنار" [10].

اعتوه الملك ورجاله خائناً، مثبِّطاً لهم الجيش والشعب، لذلك ضرووه وجعلوه في بيت السجن في بيت يونانان الكاتب [15]. كانوا يستخدمون الجب لحبس الأشخاص المقبوض عليهم وكان ذلك مؤلماً جداً، خاصة وأنه غالباً ما وُضع في حبسٍ منفردٍ.
لم يسوّح ضمير الملك إذ بدأ يكتشف أن ما قاله الأنبياء الكذبة خلال الثلاثين عاماً لم يكن إلا خداعاً. فرُسل إلى إرميا سواً يسأله مرة أخرى، فأكد له أنه سينهزم أمام بابل.

لم يخف إرميا من السجن، ولا انهار أمام الملك، بل بكل جرأة قال للملك: "ما هي خطيتي إليك وإلى عبديك وإلى هذا الشعب حتى جعلتُموني في بيت السجن؟! [18].

نُقل إرميا من سجن بيت يونانان الذي هو تحت الأرض وغير صحي إلى سجن بيت الملك (2: 32؛ نح 3: 25، 12: 39)، حيث أصبح لإرميا

شيء من الحرية، وأعطي قسطاً من الطعام يومياً.

1. ملك صدقيا [1-2].
2. صدقيا يلجأ إلي رميا [3-4].
3. رفع الحصار [5].
4. نبوته عن استئناف الحصار [6-10].
5. القبض على رميا [11-14].
6. طرحه في الجب [15-16].
7. إطلاق رميا [17].
8. رميا يطلب رحمة [18-21].

1. ملك صدقيا:

«ملك الملك صدقيا بن يوشيا مكان كنياهو بن يهوياقيم الذي ملكه نبوخذ نصر ملك بابل في أرض يهوذا.

ولم يسمع هو ولا عبيده ولا شعب الأرض لكلام الرب الذي تكلم به عن يد رميا النبي" [1-2].

جاء صدقيا خلفاً للملك يكتيا أو كنياهو (2 مل 24)، وقد رأى في سلفه ثمار رفض الكلمة الإلهية، لكنه لم يتعظ هو ورجاله وشعبه. أُستخدم اسم كنياهو اختصاراً لكلمة "يكتيا"، وفيه نوع من التوبيخ.

رفض الملك وعبيده وشعبه أن يسموا لكلام الله [2]، ففقوا سلامهم الداخلي. ظنوا أن في حبس رميا راحة لضمائرهم ونصوة لأفكرهم، لكن بقي النبي المُفتوى عليه يحمل قوة وحرية داخلية داخل السجن لأنه ملتصق بالكلمة الإلهية، بينما شعر الملك بالضعف... يطلب كلمة من شفتي رميا لعله يستريح.

لعل رميا النبي كان في أعماقه برد كلمات داود الملك: "تكلمت بشهادتك قدام الملوك ولم أخز" (مز 119: 46)، ويعلق الأب أنثيموس أسقف أورشليم على هذه العيلة، قائلاً: [علامة محبة الله... هي أن تتكلم بشهادته قدام الملوك جواً وبشجاعة، كما تكلم الرسل والشهداء... لا نخزى إن كانت أعمالنا وأقوالنا لائقة بملك الملوك المتكلم فينا، وأن نهذب بوصاياهم بالمحبة والثقة، لا بضجر أو تهلون ^[595]].

2. صدقيا يلجأ إلي رميا:

«وَأرسل الملك صدقيا يهوخل بن شلميا وصفنيا بن معسيا الكاهن إلي رميا النبي قائلاً:

صل لأجلنا إلي الرب إلهنا.

وكان رميا يدخل ويخرج في وسط الشعب إذ لم يكونوا قد جعلوه في بيت السجن" [3-4].

بعث صدقيا بوسولين إلي النبي، ربما لأنه كانت تتقصه المرأة للحديث معه وجهاً لوجه. على أي الأحوال لقد دان صدقيا نفسه بفمه، فإن كان قد أرسل إلي رميا يطلب صلواته ومشورته إيماناً بأنه نبي، فلماذا لم يسمع للصوت الإلهي؟! كان يليق بالملك لا أن يطلب من النبي من أجله فحسب، بل وأن يُصلي معه فيملس حياة الصلاة القاورة على تغيير الأمور. فإننا حتى في الشفاعة نطلب صلوات القديسين معنا فلا نُقبل الصلوات بدون التجاننا نحن إلي الصلاة مع التوبة.

واضح من تصرف صدقيا أنه فاقد الثقة في أنبيائه، لكنه في نفس الوقت لم يأخذ خطوات جادة في الاستماع لصوت الرب.

كان يهوخل بن شلميا مقاوماً لإرميا وطلب موته (38: 4).

كان صفنيا بن معسيا عضواً في الوفد السابق إلى رميا.

كان لإرميا حرية الحركة حتى ألقى القبض عليه وأودع في السجن إلى لحظات سقوط أورشليم في يوليو 587 ق.م.

3. رفع الحصار:

وخرج جيش فوعون من مصر.

فلما سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخوهم صنعوا عن أورشليم" [5].

في صيف 588 ق.م تحرك المصريون إلى منطقة فلسطين، ربما استجابة لطلب صدقيا، (حز 17: 11-21)، إذ جاء في رسالة لخيش الثانية إشلة إلى زيلة قائد جيش يهوذا إلى مصر. ولعل تحرك فوعون بجيش لم يكن لحماية يهوذا، وإنما كخط دفاع خشية حدوث هجوم بابلي على مصر. هذا ولم يستمر الكلدانيون في حصرهم لأورشليم خشية أن يأتي جيش مصر فيضم إليه جيش يهوذا ضدهم، لهذا فضل الكلدانيون أن يتوكلوا أورشليم إلى حين ويحلوا فوعون بعيداً عن أورشليم ليعزلوا ويحاصروها بعد غلبتهم على فوعون.

فوعون هنا هو خوع (44: 30) الذي خلف والده نحو والذي حكم من سنة 589-570 ق.م، تراجع قبل الدخول في معركة حقيقية، تركاً لأورشليم تسقط في يد البابليين سنة 587 ق.م. عدم تدخل نحو الثاني (610-595 ق.م) سمح لبابل أن تهاجم أورشليم في سنة 597 ق.م، والنتيجة الوحيدة لتدخل خوع كان رفع الحصار لمدة مؤقتة، لكن في نهايتها تمت الإطاحة بآمال صدقيا.

4. نبوته عن استئناف الحصار:

"فصرت كلمة الرب إلى رميا النبي قائلة:

هكذا قال الرب إله إسرائيل،

هكذا تقولون لملك يهوذا الذي أرسلكم إلي لتستشيروني.

ها إن جيش فوعون الخرج إليكم لمساعدتكم يرجع إلى أرضه إلى مصر.

ويرجع الكلدانيون ويحربون هذه المدينة ويأخذونها ويحرقونها بالنار.

هكذا قال الرب:

لا تخذعوا أنفسكم قائلين إن الكلدانيين سيذهبون عنا لأنهم لا يذهبون.

لأنكم وإن ضربتم كل جيش الكلدانيين الذين يحربونكم وبقي منهم رجال قد طعنوا، فإنهم يقومون كل واحد في خيمته ويحرقون هذه المدينة

بالنار" [6-10].

كانت الإجابة صريحة، ليس فيها خداع، ولكن هم رأوا أن يخذعوا أنفسهم بأنفسهم. يريدون إجابة لا تمثل الواقع، بل حسب هواهم وإدعتهم. حقاً إن لم يخذع الإنسان نفسه لا يقدر حتى إبليس المخادع أن يخذعه! لهذا يقول رميا النبي: "لا تخذعوا أنفسكم" [9].

بقوله "طعنوا" [10] بلاغة في التصوير، يؤكد الاستيلاء على أورشليم تحت كل الظروف، حتى إن كان قلة من الرجال قد طعنوا بجراحات قاتلة يقومون ويغلبون أورشليم. هكذا جاءت الإجابة هنا واضحة وقاطعة أكثر من قبل.

وي البعض إن ما ورد في (52: 15) يظهر أن عدداً من السكان كان قد غادر المدينة وانضم إلى ملك بابل قبل سقوط المدينة. وإن كان هذا موداً إلى انشقاق بين الناس واختلاف في الرأي حول السياسة الرشيدة التي يجب اتباعها، فلا يكون رميا هو الوحيد الذي نصح الملك بالخضوع لبابل،

ولكن الحزب المعرض لهذا الفكر حسب أنصروه من الخائنين.

5. القبض على رميا:

وكان لما أصدع جيش الكلدانيين عن أورشليم من وجه جيش فوعون،
أن رميا خرج من أورشليم لينطلق إلى أرض بنيامين لينساب من هناك في وسط الشعب.
وفيما هو في باب بنيامين إذا هناك ناظر الحراس اسمه يرنيا بن شلميا بن حننيا.

فقبض على رميا النبي قائلاً:

إنك تقع للكلدانيين.

فقال رميا كذب.

لا أقع للكلدانيين.

ولم يُسمع له، فقبض يرنيا على رميا وأتى به إلى الرؤساء" [11-14].

تم القبض على رميا في وقت كان فيه الحصار متبكاً، وكان هناك نوع من الحرية في الحركة داخل المدينة وخرجها.

إذ رُفِع الحصار مؤقتاً عن أورشليم اندفعت الجماهير إلى الخروج كَوَج من التنفيس. خرجت أعداد بلا حصر لتؤي حقولها التي خربت

ومواعيها التي اندثرت. وسط هذه الجماهير خرج رميا ظاناً ان أحدًا لا يهتم بشأنه في ظروف كهذه، خاصة وأنه مختفٍ وسط أعداد بلا حصر.

يقع باب بنيامين [13] في الجانب الشمالي من أورشليم، كان مؤدياً إلى أرض بنيامين، خرج منه يبحث عن الأرض التي اشتواها من حمنيل،

لكن أسيء فهم نواياه، وتم القبض عليه في شك أنه ذاهب إلى العدو. ووى البعض أنه إذ رأى الحصار قد رُج مؤقتاً راد رميا أن يخرج من أورشليم

إلى عثاوث اشتياًقاً إلى الراحة بعد حياة شاقة للغاية مملوءة أحراناً. أو لعله شعر أن مجهوداته قد فشلت في أورشليم، لم يسمع له أحد لهذا أراد الخروج

منها. يبدو أن هذا التصرف كان من عندياته بدون استشارة الرب، مما سبب له متاعب أكثر. كان لابد ان يسأل الرب في كل تحركاته.

يقدم لنا [\[596\]](#) B. Duhm صورة حية عن الموقف فيقول إنه من ناحية كان الملك يُعامله بطريقة غير لائقة، حيث وُضع في الجب، مع أنه لم

يبالغ في أحاديثه ولم يكن متهوراً، بل كان إنساناً بسيطاً متضعاً ورفيقاً، ومن ناحية أخرى كان الملك يقوده رجاله العاملون معه بغير رادته إلى مغارة

خطوة. حقاً كان الملك يتوقب كلمة تصدر من شفتي النبي، يسمعها في الخفاء لإرضاء ضموره، لكنه كان ضعيفاً وليس شوراً؛ كان مقيداً أكثر بكثير من

قبود النبي الواقف أمامه.

لماذا وُضع في سجن بيت يونانان؟ ربما كانت السجون الأخرى مكتظة بالمسجونين، أو لأنهم رأوا أن شخصية رميا خطوة للغاية حتى علم

أفكار المسجونين أنفسهم من جهة الفكر السياسي، لذاروا ضرورة عزله حتى عن المساجين في هذا السجن ضماناً لعدم التقائه بأحد.

واضح أن الاهتمام الذي وُجه إلى رميا كان باطلاً، لأن الكلدانيين كانوا قد فلروا أورشليم، وكانوا مشغولين في الدخول في معركة مع فوعون.

هذا وقد وُضع في السجن نون محاكمة طبيعية.

6. طرحه في الجب:

"فغضب الرؤساء على رميا وضربوه وجعلوه في بيت السجن في بيت يونانان الكاتب لأنهم جعلوه بيت السجن.

فلما دخل رميا إلى بيت الجب وإلى المقبيبات أقام رميا هناك أياماً كثيرة" [15-16].

مسكين هو ذلك الذي يحمل كلمة الله (الذي يرمز إليها رميا) كما إلى الجب لكي يدفنها وسط زاب هذا العالم ووحله عوض أن يلتصق بها

لتحمله إلى سمواتها.

يلحق العلامة أوريجينوس على قول الموتل: "إلى الدهر لا أنسى حقوقك، لأنك بها أحييتني" (مز 119: 93)، قائلاً: [سأحفظ ذكوى تعاليمك

التي تسلمتها منك، هذه التي تعلمتها هنا على الأرض، وبها انتقلت من الأرض إلى السماء، وصوت ساكناً مع الملائكة [\[597\]](#)].

7. إطلاق رميا:

ثم أرسل الملك صدقيا وأخذه وسأله الملك في بيته سرا، وقال:

هل توجد كلمة من قبل الرب؟

فقال رميا: توجد.

فقال إنك تدفع ليد ملك بابل" [17].

التجأ صدقيا الملك إلى رميا إما لأنه ظن أن طرح رميا في السجن قد غير من فكه، فينطق بكلمات مطمئنة عوض إصوره على تحقيق السبي البابلي، أو أراد من النبي أن يثبت ظنه وسؤال قلبه أي أن مغاورة الكلدانيين تعني خلاصًا نهائيًا كليًا لأورشليم. أما رميا فيرد بأن هذا فكر باطل لأن جيوش بابل ستعود لتهلك المدينة.

كان الحكم على صدقيا قاسيًا لأنه استشار رميا النبي على الأقل مرتين وأظهر حنواً نحوه، لكنه في ضعف شخصيته كان يخشى العاملين معه (38: 24-27) الذين رفضوا رسالة رميا.

8. رميا يطلب رحمة:

ثم قال رميا للملك صدقيا:

ما هي خطيبي إليك وإلى عبدي وإلى هذا الشعب حتى جعلتموني في بيت السجن؟

فأين أنبيؤكم الذين تنبؤوا لكم قائلين لا يأتي ملك بابل عليكم ولا على هذه الأرض؟

فالآن اسمع يا سيدي الملك.

ليقع تضرعي أمامك:

ولا تردني إلى بيت يوناتان الكاتب فلا أموت هناك.

فأمر الملك صدقيا أن يرضوا رميا في دار السجن،

وأن يعطى رغيف خبز كل يوم من سوق الخبازين حتى ينفذ كل الخبز من المدينة.

فأقام رميا في دار السجن" [18-21].

سوق الخبازين [21]: من عادات الشرق القديم أن يكون لكل حرفة أو صناعة شلوع يقتصر على أهل المهنة.

كان يمكن لصدقيا أن يطلق رميا من السجن، لكن لم تكن لديه الشجاعة لأخذ قرار كهذا. لقد تركه في السجن بعد أن خفف عنه بعض الأتعاب، وقد حوّل الله سجن رميا إلى بركة له ولغوره.

على أي الأحوال، كان رميا النبي صاحب الدموع الغرورة، وجوان القلب المتوجعة، والأحشاء التي لا تكف عن أن تتن، لكنه الرجل الشجاع

الذي يقف أمام الملوك بقوة، ليقول "لرب عوي وحصني وملجأ في يوم الضيق" (16: 19). وكأنه يردد ما سبق فقاله ميخا النبي: "أنا ملآن قوة روح

الرب وحقًا وباسًا لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته" (مي 3: 8).

من وحي رميا 37

ليتني لا أدخل بكلمتك إلى الجب،

بل تحملني هي إلى سمواتك!

❖ لم يطق الأثوار كلمتك الإلهية،

فدفعوا بلميا إلى الجب،

ولم يبركوا أن كلمتك تحول التراب إلى سماء!

❖ هب لي قوة وشجاعة،

فلا أخدع نفسي كما فعل صدقيا الملك.

أطلب كلمتك حسب هواي،

وأنظر لراحة لضموي على حساب خلاص نفسي.

لألتقي بلميا لكن ليس في خوفٍ من الناس.

لأنصت إلى صوته،

وأطلب عمل روحك الناري في،

فأستجيب لوصيتك،

وأحيا بكلمتك!

❖ نعم ليحملني لميا الحقيقي إلى الأحكام الإلهية،

وليدخل بي إلى السموات!

لترتفع معه نفسي،

ولتختبر عنوبة الوصية حتى إن بدت صعبة!

<<

الأصحاح الثامن والثلاثون

لميا في الجب

وى بعض الدرسين [\[598\]](#) أن كلاً من الأصحاحين 37، 38 يحملان تفاصيل خاصة بنفس الحادثة، فإن رُدنا القصة كاملة يُضم الأصحاحان معاً.

تبرز الأحداث الزمنية لهذا الأصحاح بعض الصعوبات بسبب التشابه بينها وبين ما ورد في (37: 11-21)، ففي كلتا الروايتين يُتهم لميا بالخيانة ويُسجن (37: 15-20، 38: 6، 26). وكلا الأصحاحين يتحدثان عن مقابلة سوية مع الملك، وكلاهما ينتهيان بأن يوضع لميا في دار السجن. لكن يوجد مع ذلك اختلاف في الروايتين تشمل الآتي:

أ. الأصحاح 37 يشير إلى القبض على لميا (37: 11-15)؛ أما الأصحاح 38 فلم يُشر إلى ذلك.

ب. السجن المذكور في (37: 15-16) في بيت يوناثان الكاتب، أما في [6] فيُدعى جب ملكيا ابن الملك الذي في دار السجن. ربما هذا

الاختلاف ليس بذي قيمة لأننا لا نعرف موقع بيت يوناثان الكاتب بالنسبة لدار السجن الذي كان بجوار القصر (32: 2)، فقد يكون ملاصقاً له.

ج. أصحاح 38 يروي لنا الإفراج عن لميا من الجب في شيء من التفصيل، والور الذي قام به عبد ملك الكوشي [7-13] الأمر الذي لم

د. جاء اللقاء السوي الذي تم بين الملك والنبي رميا في [14-26] بشيء من التفصيل أكثر مما جاء في [11-27]؛ وإن كانت النغمة واحدة.
هـ. يوضح الأصحاح 38 حقيقة أن صدقيا الملك كانت له سلطة كافية لمنع إعدام النبي بتهمة الخيانة.

مع هذا ويكثر من الدالسين أن ما ورد في الأصحاحين هما تقويان عن حادثٍ واحدٍ، وهذا ليس بالأمر الغريب على رميا؛ فقد أشار إلى

العظة في الهيكل في الأصحاحين 7، 26 وإلى إواج رميا بواسطة البابليين في (38: 28؛ 39: 14) وأيضًا في (39: 11-12؛ 40: 1-6) [\[599\]](#).

1. المطالبة بقتل رميا [1-4].

2. اللقاء رميا في السجن [5-6].

3. عبد ملك الكوشي ينفذ رميا [7-13].

4. لقاء سوي مع الملك [14-16].

5. نوبة عن رحمة مشروطة [17-23].

6. صدقيا يخشي الرؤساء [24-27].

7. بقاء رميا في الحبس [28].

1. المطالبة بقتل رميا:

«وسمع شفتيا بن متان وجدليا بن فشحور ويوخل بن شلميا وفشحور بن ملكيا الكلام الذي كان رميا يكلم به كل الشعب قائلاً:
هكذا قال الرب:

الذي يقيم في هذه المدينة يموت بالسيف والجوع والوبأ.

أما الذي يخرج إلى الكلدانيين فإنه يحيا وتكون له نفسه غنيمة فيحيا.

هكذا قال الرب:

هذه المدينة ستدفع دفعا ليد جيش ملك بابل فيأخذها.

فقال الرؤساء للملك ليقتل هذا الرجل،

لأنه بذلك يضعف أيادي رجال الحرب الباقين في هذه المدينة، وأيادي كل الشعب،

إذ يكلمهم بمثل هذا الكلام،

لأن هذا الرجل لا يطلب السلام لهذا الشعب بل الشر" [1-4].

اثتان من المذكورين في [1] سبق أن أرسلهما الملك صدقيا إلى رميا: زار يوخل بن شلميا رميا خلال الانسحاب المؤقت للكلدانيين (37: 3)،

وفشحور بن ملكيا عندما بدأ نبوخذنصر حصاره لأورشليم عام 588 ق.م (21: 1).

جاء التوير هنا مطابقاً تماماً لما ورد في (21: 9) الذي قدمه في بدء الحصار قبل القبض عليه، مؤكداً موت الذين يقيمون في المدينة بالسيف

والجوع والوبأ. وقد تكررت هذه الضربات الثلاث معاً في سفر رميا (24: 12؛ 21: 7، 9؛ 24: 10؛ 27: 8، 13؛ 29: 17-18؛ 32: 24؛ 34:

17؛ 38: 2؛ 42: 17، 22؛ 44: 13).

يقصد بقوله: "يخرج إلى الكلدانيين" تسليم نفسه لهم.

صدر الحكم من الرؤساء على رميا بالقتل [4] كخائنٍ للوطن، ولم يدركوا أن رميا يحمل حباً حقيقياً للشعب، ينبع عن أحشائه الملتهية. وأن ما

نطق به هو حكم صدر عليهم بسبب عصيانهم المستمر. فالأمر ليس في يديه بل في أيدي الملك والرؤساء والكهنة والشعب إن قدموا توبة تتغير كل الأحكام!

ما أسهل أن يلقي الرؤساء اللوم على رميا، حاسبين أن بقتله تُحل المشاكل ويعود للبلد سلامه وأمانه!

2. القاء رميا في السجن:

"فقال الملك صدقيا ما هو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء."

فأخذوا رميا وألقوه في جب ملكيا ابن الملك الذي في دار السجن ودلوا رميا بحبال.

ولم يكن في الجب ماء بل وحل فغاص رميا في الوحل" [5-6].

ربما لم يصوح الملك بقتله ظنًا منه أنه طالما كان النبي على قيد الحياة فإن الله يمكن أن وحيء عقاب يهوذا المتنبأ عنه في (37: 15)، أو يريد الملك قتله لكن ليس بيديه، إنما بأيدي الرؤساء، وهذا من شيمة الإنسان الضعيف الذي يشتهي الشيء، لكنه يدفع الآخرين إلى تنفيذه، لكي يبرر نفسه فيما بعد!

كان لمعظم البيوت في أورشليم آبار خاصة (2 مل 18: 31، أم 5: 15) لتخزين المياه المتجمعة من الأمطار أو من الينابيع، وكانت في العادة على شكل كمثري ذات فتحة صغيرة من أعلى حتى يمكن تغطيتها عند الضرورة لمنع الحوادث أو تلوث الماء. وبحلول عام 1200 ق.م كانت الآبار تقوى بالأسمنت، مثل حوران قنوان.

اهتز صدقيا الملك أمام كلمات رميا، الذي ربما كان يشعر بمخافة أمامه، إذ كان يخشاه. لكنه إذ كان ضعيف الشخصية سلمه إلى أيدي رجاله الأشرار قائلاً لهم: "ها هو بيدكم، لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء" [5].

كان للرؤساء سلطة الحكم عليه ولكن حكم الإعدام لا بد من موافقة الملك عليه. وقد أبدى هذا بوادر الضعف والاستسلام فلم يتردعوا، إلا أنه لم يسمح لهم بقتله رأسًا، لذلك ألقوه في الجب ليموت هناك جوعًا.

كلمات الملك نفسها [5] تكشف عن شخصيته الضعيفة أو عن موكه الضعيف، فكانت السلطة الحقيقية في يد الرؤساء الذين كانوا يحركون الملك كدمية في أيديهم، لأن نوحذنصر أقامه ملكًا بعد سبي يهوياكين، وربما كان غير مقبولٍ من أحدٍ في الأمة كملك حقيقي، بل ينتظر الكل عودة الملك المسيبي يهوياكين.

لقد صدر الحكم بإلقائه في جب به وحل ليموت هناك. وقد فضّل رميا أن يموت في وحل الجب ولا تُدفن كلمة الله في وحل العصيان أو المجاملة على حساب الحق.

كان يمكنه أن يهرب من هذا الوحل إن راجع عن نواته وتخلّى عن كلمة الله ورسالته... لكنه رفض! ألقوه ليموت جوعًا نون سفك دمه، ولم يبركوا أنهم يقتلون أنفسهم إذ حرّموا أنفسهم من خبز الملائكة، كلمة الله. قبل أن يموت جسديًا بجوع من خبز العالم ولا يموت جوعًا من خبز الملائكة!

❖ توك رميا وحده يسبح الله؛ ألقوه في جب مملوء وحلاً، أما نفس هذا الرجل فكانت أثنى من كل الشعب. أريد أن تعرف ماذا يمكن لإنسان واحد أن يفعل؟ كان يشوع بن نون وحده، بينما كان العالم كله مسكونًا. هناك كانت توجد جماهير بلا عدد أما هو فكان وحده بمفوده وأمر الشمس والقمر فتوقفا. أعطى إنسان أبرًا فاهتمت السماء! انصتت السماء إليه لأنه كان ينصت للوب...

ماذا يقول (ميا)؟ "جلست وحدي لأنك قد ملأتني غضبًا" (15: 17).

كيف كنت وحدك في المدينة؟ أقول كنت وحدي لأنه لم يكن أحد معي [600] .
يشركني هدي

إذ ألقى رميا في الجب السفلي تحولت حياته إلى صلاة، فصوخ إلى الله قائلاً:

"دعوت باسمك يارب من الجب الأسفل،

لصوتي سمعت،

لا تستر أذنك عن زفوتي عن صياحي،

دنوت يوم دعوتك،

قلت: لا تخف.

خاصمت يا سيد خصومات نفسي...

رأيت يارب ظلمي.

أقم دعواي..." (روا 3: 55-59).

حين أغلقت كل الأبواب في وجهه وجد أبواب الله مفتوحة. وجد أذني الرب تميل إليه وهو في الجب لتسمع صرخات قلبه الداخلية. يؤكد له

الرب وعوده السابقة منذ لحظات دعوته: "لا تخف!"; ويشركه آلامه، فيحسب الخصومات ضد رميا كأنها خصومات ضد الله نفسه. يصير الله هو

القاضي وهو المحامي الذي يقيم دعوى رميا ضد مضطهديه.

إن كان هذا الأصحاب قد كشف عن نور عبد ملك الكوشي في خلاص رميا، فإن مراثيه تكشف عن الذي قام بالدور الحقيقي هو الله سامع

صلوات المظلومين... تحرك بالحب لينصت إلى أنينه، وحرّك عبد ملك بالحنان ودبّر خلاص رميا من الجب!

3 . عبد ملك الكوشي ينقذ رميا:

"فلما سمع عبد ملك الكوشي رجل خصي وهو في بيت الملك أنهم جعلوا رميا في الجب والملك جالس في باب بنيامين،

خرج عبد ملك من بيت الملك وكلم الملك قائلاً:

يا سيدي الملك قد أساء هؤلاء الرجال في كل ما فعلوا بـرميا النبي طرحوه في الجب،

فإنه يموت في مكانه بسبب الجوع،

لأنه ليس بعد خبز في المدينة.

فأمر الملك عبد ملك الكوشي قائلاً:

خذ معك من هنا ثلاثين رجلاً، وأطلع رميا من الجب قبلما يموت.

فأخذ عبد ملك الرجال معه، ودخل إلى بيت الملك إلى أسفل المخزن،

وأخذ من هناك ثياباً رثة وملابس بالية ودلاها إلى رميا إلى الجب بحبال.

وقال عبد ملك الكوشي لرميا ضع الثياب الروثة والملابس البالية تحت إبطيك تحت الحبال.

ففعل رميا كذلك.

فجذبوا رميا بالحبال وأطلوه من الجب.

فأقام رميا في دار السجن" [7-13].

كان هدف الرؤساء قتل النبي دون سفك دمه، بتركه يتعذب ويموت ببطن في الجب.

ربما كان **عبد ملك الكوشي** خصياً، موظفًا في بيت نساء الملك، وربما كانت المخزن تحت يديه. ولعلَّ بعض النساء أشفقن على رميا النبي فاعتنن بأمره.

الرجل الغريب الجنس لم يقبل أن يرى رميا في الوحل، فذهب إلى الملك وتحدث معه بصراحة... قائلًا له حقًا قد يموت رميا في الجب، لكن بسبب هذا تموت المدينة كلها من الجوع [9].

العجيب في شخص عبد ملك أنه اتسم بالآتي:

أ. الشجاعة، فذهب إلى الملك وهو يعلم أن تكلفة هذا العمل هو هياج كل رجال الملك ضده، وربما تكون تكلفته حياته كلها.

ب. الإيمان: إن مات رميا في الجب جوعًا ستموت المدينة كلها جوعًا، فإن ما فعلته المدينة بنبي الله يرد عليها.

ج. تشغيل طاقات الآخرين لحساب ملكوت الله، فلم يعمل وحده بل أخذ ثلاثين رجلاً لرفع رميا النبي بالحبال من الجب، مع أنه كان يمكن له وحده أو ربما معه شخص آخر أو أثنان للعمل، لكنه أراد أن يشوك الكثير في عمل الخير.

د. كان **عجيبًا في رفته وحنانه** ، فكان يكفي لإرميا في الجب أن تلقى إليه الحبال ليمسك بها فإنه كاد أن يموت، لكن عبد ملك دلى ثيابًا بالية لكي يضعها النبي تحت أبطيه حتى لا يتحوج جسمه أو يشعر بالألم! أحيانًا نطلب خلاص الآخرين لكن بعنف، فنتحدث معه بكلمات جريحة. ليتنا في خدمتنا للغير الأ نوح مشاعر أحد.

إذ كان الوقت شتاءً لم يكن الجب مُحتملاً بسبب البرد القلص مع الوحل، مما يدفع بلرميا إلى الموت الأكيد!

وُجد عبد ملك الغريب الجنس يعمل بحب لحساب ملكوت الله، ففي كل جيل نجد حتى في قصور الملوك والرؤساء أناسًا يعملون لمجد الله! بلا شك أن أمانة هذا الخصي الغريب الجنس كان لها أثرها على الملك الذي وثق فيه، واستمع إلى مشورته، وأعطاه سلطانًا لتحقيق خطته، دون مبالاة بما قد يحدث من الرؤساء أصحاب السلطة الذين حملوا عدوة مؤدَّة ضد رميا. بأمانته شهد للحق وواجه بشجاعة ما لم يستطع غوه أن يفعله!

لعل عبد الملك هنا يشير إلى الأمم الذين يقبلون كلمة الله لخلاصهم فيشبعون من الخبز النازل من السماء، السيد المسيح؛ بينما أتول بنو إسرائيل الكلمة النبوية إلى الجب ورفضوا المخلص وصلحوا في مجاعة روحية. هذه كانت نيرة عن دخول الأمم إلى الإيمان، هؤلاء الذين رفضوا أن يدخل الناموس والأنبياء إلى وحل الحرف القاتل.

نزول رميا إلى الجب يشير إلى الإنسان الذي يتول بكلمة الله إلى وحل هذا العالم، فيحول حتى الكلمة التي لخلاص نفسه وتمتعها بالسملويات إلى وسيلة لطلب المؤمنين.

يقم **العلامة أوريجينوس** مقارنة بين رميا النبي الذي ألقى في جب ملكي في دار السجن، حيث غاص في الوحل [6]، والقديس بطرس الذي صعد إلى السطح وهناك نظر رؤيا إلهية، فيقول بأن واجبنا كمؤمنين روحيين أن نصعد مع كلمة الله بالروح القدس لننال معرفة حقة ورؤى إلهية، ولا ندع كلمة الله أن تلقى في الجب خلال أفكلنا الجسدانية وشهواتنا الشوية. لقد أخذ عبد ملك ثلاثين رجلاً معه ورفعوا رميا من الجب، بالقاء ثياب بالية إليه ليضعها تحت أبطيه مع الحبال [12]. من هو عبد ملك هذا إلا ربنا يسوع المسيح الذي صار عبدًا لرفع أفكلنا وطبيعتنا من عمق الهلوية خلال الكنيسة (30 رجلاً) باتضاعه (الثياب البالية)؟! يليق بنا أن نقبل فقر ربنا يسوع المسيح لكي نُرفع إلى فوق ونرتدي الثياب السملوية الملوكية أبدية. هكذا نجلس عن يمين الملك السملوي الذي قول إلى الحوة كي لا نقول نحن إليها.

وي **العلامة أوريجينوس** [601] أن هذه العبارات تطابق ما جاء في نشيد الأنثيد: "أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم، كخيام قيدر كشق سليمان" (نش 1: 5).

❖ ignoble لست أظن أنه غير لائق أن نقول أن هذا الأجنبي الذي من جنس قاتم ، الذي سحبه من جب الموت، هذا الذي ألقاه فيه رؤساء إسرائيل، يمثل شعب الأمم، الذين آمنوا بقيامة ذلك الذي مات، هذا الذي أسلمه هؤلاء الرؤساء للموت. بهذا الإيمان سحوه مرة أخرى من الهلوية.

بل أظن أن هذا الأثيوبي يُقال عنه أنه الخِصِّي، لأنه خَصَى نفسه لأجل ملكوت السموات، بل لأن فيه ذاك الذي بلا بذار للشر (مت 19: 12).

هو أيضًا عبد الملك، لأن العبد الحكيم يحكم على سادة جهلاء، فإن كلمة "عبد ملك" تعني "عبدًا للملوك" [602] (أم 17: 2).

هذا هو سبب أن الرب الذي ترك شعب إسرائيل بسبب خطاياهم، يتحدث إلى الأثيوبي مخوًّا إيَّاه: "هأنذا جالب كلامي على هذه المدينة للشر لا للخير... ولكنني أنقذك في ذلك اليوم... فلا تُسلمَ ليد الناس... بل إنما أنديك نِجاة" (39: 17-18).

أما السبب الذي لأجله خلص، فهو أنه سحب النبي من الجب، أي أنه بإيمانه في قيامة المسيح من الأموات بطريقة عُبر عنها أنه سحبه من

الجب [603].

العلامة أوريجينوس

لم يكن عبد الملك محتاجًا إلى ثلاثين رجلًا لرفع رميا من الجب حتى ظن البعض أن الوقم الأصلي هو ثلاثة رجال، لكن بعض الدارسين يرون أنهم كانوا ثلاثين لا لوفعه وإنما لإنجاح مهمة عبد ملك، لئلا يحاول البعض من قبل بعض الرؤساء إفساد مهمته.

إذ تصوف عبد ملك بلطفٍ لإنقاذ النبي من الموت، وعده النبي بالخلاص من الخراب المقبل على أورشليم (39: 15-18). الله لا ينسى تعب المحبة من أجله ومن أجل خدمته، لذلك أنقذ عبد ملك الكوشي في يوم المدينة ولم يُسلم ليد أعدائه (39: 15-18). كان أجنبيًّا عن رعية إسرائيل حسب الجسد، لكنه ابن إواهم حسب الإيمان الحيّ العامل بالمحبة.

وجد رميا عطفًا من رجل غريب في وقت كاد أن يرفضه الكل!

4 . لقاء سوي مع الملك:

يروى لنا اللقاء الأخير والوداعي بين الملك ولرميا، كان فيه النبي صويحًا كل الصواحة. قدّم كل ما في قلبه وما أعلنه له الرب، فقد أترك أنه لن

رى الملك بعد... تحدث بصواحة كاملة حتى لا يُدان أمام الله!

"فُرسل الملك صدقيا وأخذ رميا النبي إليه إلى المدخل الثالث الذي في بيت الرب،

وقال الملك لإرميا:

أنا أسألك عن أمر.

لا تخف عني شيئًا.

فقال رميا لصدقيا: إذا أخبرتكم أفما تقتلني قتلاً؟

وإذا أشرت عليك فلا تسمع لي؟

فحلف الملك صدقيا لإرميا سواً قائلاً حيّ هو الرب الذي صنع لنا هذه النفس إنني لا أقتلك ولا أدفعك ليد هؤلاء الرجال الذين يطلبون نفسك"

[14-16].

بقوله: " أفما تقتلني قتلاً؟ " لا يعني أن الملك نفسه يقتله، إنما يتخلى عنه حتى يقتله أعداءه كما سبق إن ألقوه في الجب، وربما قصد ألا يتوكله

يُلقى في الجب مرة أخرى.

"المدخل الثالث" لم يذكر إلا هنا، ربما هو مدخل الملك (2 مل 16: 18)، وهو مدخل سوى يسمح لدخول الملك البائس في سوية ليستشير النبي

الموزول من الملك وشعبه طويلاً.

عاد الملك صدقيا فُرسل إلى النبي قائلاً له: " أنا أسألك عن أمرٍ لا تخف عني شيئاً... " [14]. ربما لأنه لم يكن مستويحًا في أعماقه لمشورة

رجاله، فكان يود أن يسمع من رجل الله. ولعله ظن أنه صنع خوًّا بلرميا وأخرجه من الجب فيغير رميا كلماته. كان يود أن يسمع النبي يتنبأ ليس حسب

كلمات الرب بل حسب هواه الشخصي ليهداً ضموره.

واضح من تصوفات صدقيا في أكثر من موقف ضعف شخصيته واهولها أمام رجال الدولة، إذ كان يبرك نور رميا كنيبي حقيقي، لكنه كان يصدر أوامره أحياناً بالتخفيف كما سمح أن يُعطى رغيغ خبز كل يوم من سوق الخبزين طالما في المدينة خبز... كما كان يستشوه سواً، لكنه لم يطلقه ولا أعلن واعته. كانت تتقصه الشجاعة لذلك سلم رميا بين يدي رجاله، إذ قيل: "ها هو بيدكم لأن الملك لا يقدر عليكم في شيء" [5].

لا تعرف أيضاً ما الباعث هنا لأن يرسل الملك في طلب رميا. لعلهُ أدرك أن النهاية وشيكة فرأد أن يسمع نصيحة النبي لينجو من الخطر. ولا يخفي أن الملك خشي التسليم وخاف من أعدائه من اليهود الذين كانوا قد غادروا المدينة من قبل، وحرّضوا ملك بابل عليه.

يؤكد رميا النبي للملك أنه يليق به ألا يخاف الناس، أي رجال الدولة، بل يخاف الله، فلا يعصي كلمته، بهذا ينقذ حياته، وينقذ أورشليم من حرقها بالنار.

لقد رسم رميا النبي صورة مثوة عن نتائج عصيان الكلمة الإلهية، وذلك خلال رؤيا أظهرها الله له، فقد شاهد بروح النبوة نساء القصر والأبناء يُقانون وهم ينشون مراثاة موة تُعلن عن شعورهم بالخداغ الذي ملسه الأصدقاء، متطلعين إلى الملك أنه قد غاص في الوحل. تتناسب هذه المراثاة مع وضع رميا الذي ألقى في جب ليغوص في الوحل حتى يموت [7]. لم يمت رميا في الوحل، إنما دفع الأنبياء الكذبة الملك في وحل كذبهم فغاص في خداعهم. لقد أرسل الله عبد ملك الغريب الجنس لينقذ رميا، أما الملك فلم يجد من ينقذه من وحله!

5 . نبوة عن رحمة مشروطة:

'فقال رميا لصدقيا: هكذا قال الرب إله الجنود إله إسائيل.

إن كنت تخرج خروجاً إلى رؤساء ملك بابل تحيا نفسك ولا تحرق هذه المدينة بالنار، بل تحيا أنت وبيتك.

ولكن إن كنت لا تخرج إلى رؤساء ملك بابل،

تدفع هذه المدينة ليد الكلدانيين فيحرقونها بالنار وأنت لا تفلت من يدهم.

فقال صدقيا الملك لإرميا: إنني أخاف من اليهود الذين قد سقطوا للكلدانيين لئلا يدفعوني ليدهم فيؤذروا بي.

فقال رميا: لا يدفعونك.

اسمع لصوت الرب في ما أكلمك أنا به، فيحسن إليك، وتحيا نفسك.

وإن كنت تأبى الخروج، فهذه هي الكلمة التي رأني الرب إياها.

ها كل النساء اللواتي بقين في بيت ملك يهوذا يخرجن إلى رؤساء ملك بابل وهن يقتلن قد خدعك وقد عنك مسالموك.

غاصت في الحمأة رجلاك ورتدتا إلى الوراء.

ويخرجون كل نساءك وبنيتك إلى الكلدانيين وأنت لا تفلت من يدهم،

لأنك أنت تُمسك بيد ملك بابل، وهذه المدينة تحرق بالنار" [17-23].

كان رميا صويحاً كل الصواحة، فتحدث مع الملك بكلمات الرب، كما كان عجبياً في حبه للغير، حتى للملك الذي دخل به إلى السجن فإنه يطلب له أن يخلص من الموت.

بما أن رميا قد عرف أن الملك لا يقبل نصيحته، فإنه كلمة "اسمع" يكون معناها هنا "إذا سمعت".

قدم له سبع نوات خطوة إذا لم يسمع لصوت الرب ويخرج إلى رؤساء ملك بابل، وقد تحققت هذه النوات حرفياً:

أ . تسليم المدينة في أيدي رؤساء ملك بابل [17-18].

ب. يحرقون المدينة بالنار [18، 23].

ج. لن يفلت الملك من أيديهم.

د. يخرج كل نساء الملك إلى الرؤساء [22].

هـ. يقدم النساء مائة على الملك، فأنلأت: لقد خدعك أصدقاؤك [23]. وردت هذه المرواة في عوبيديا 7: "طودك إلى التخم كل معاهدك، خدعك وغلب عليك مسالموك؟ أهل خبزك وضعوا شركاً تحتك؛ لا فهم فيه".

في الشوق يشعر الإنسان بخجلٍ شديدٍ عندما يصدر التوبيخ من امرأة، كم بالأكثر إن صدر هذا نحو ملك، خاصة وإن كانت النساء هن نساء

قصوه.

و. يُرسل نساء الملك وبنوه إلى الكلدانيين.

ز. يهرب الملك لكن يلقى ملك بابل القبض عليه.

تتم هذه النوات الخطوة في حياة كل إنسانٍ يرفض كلمة الرب ويعمل حسب مشيئته البشرية:

❖ تُسلم مدينة قلبه إلى أيدي رؤساء ملك بلبل، أي تسقط تحت خطايا كثرة تفقده حريته الداخلية، وتسلبه سلامه الحقيقي، فيعيش مستعبداً في مذلةٍ وعارٍ.

❖ تحرق المدينة أورشليم الداخلية بنار الشهوات عوض أن تلتهب بنار الروح القدس وتشتعل بالحب الإلهي.

❖ لن يفلت الملك من أيديهم بل يسقط أسوأ فيؤوع عنه سلطانه الملوكي. هكذا تفقد الخطية سلطان الإنسان، وتحرمه من الملوكية ليعيش في ضعف.

❖ أما نسلؤه أي طاقات جسده وغواؤه وأحاسيسه ومشاعره فتخرج إلى الرؤساء؛ أي تُمتص في الشر، وتتحد مع الفساد عوض تقديسها لحساب الرب.

❖ المرواة التي تقدمها النساء تشير إلى شهادة أعماق الإنسان نفسه ضده، فبعد سقوطه في الفساد، يشعر بالخيبة والضياع، لكنه يفقد حرية الإرادة والقوة على التصحيح.

❖ لرسال النساء والبنون إلى الكلدانيين، تعني حرمان الإنسان من أرض الموعد والتمتع ببيت الرب الروحي ليحيا كما في السبي.

❖ هروب الملك صدقياً وقبض ملك بابل عليه يشير إلى فشل المحاولات البشرية للخلاص نون الالتجاء إلى الطاعة لكلمة الله والتمسك بالنعمة الإلهية.

6. صدقياً يخشى الرؤساء:

"فقال صدقياً لإرميا: لا يعلم أحد بهذا الكلام فلا تموت.

وإذا سمع الرؤساء أي كلمتك وأتوا إليك وقالوا لك أخبرنا بماذا كلمت الملك لا تخف عنا فلا نقتلك وماذا قال الملك.

فقل لهم إني ألقيت تضحوني أمام الملك حتى لا يردني إلى بيت يوناتان لموت هناك.

فأتى كل الرؤساء إلى إرميا وسأوه فأخبرهم حسب كل هذا الكلام الذي أوصاه به الملك فسكتوا عنه لأن الأمر لم يسمع" [24-27].

سمع الرؤساء عن هذا اللقاء السوي الذي تم بين الملك وإرميا النبي، وعرفوا جانباً واحداً من الحديث وهو الجانب الذي لا يهتمهم، أما الأمور الخطوة فقد أخفيت عنهم.

لسنا نروي لماذا خاف الملك من إشاعة هذا الكلام بين الناس. ولعله خاف أن يعرف الناس شيئاً عن قلق نفسه وميله للاستسلام. ص 155،

156

7. بقاء إرميا في الحبس:

"فأقام إرميا في دار السجن إلى اليوم الذي أخذت فيه أورشليم" [28].

سمح الله لإرميا أن يبقى في دار السجن حتى سقوط أورشليم، ربما لكي لا يرى بعينه انهيار مدينته المحبوبة جدًا لديه، بينما عاد الملك صدقيا إلى قصوه يحمل في جعبته صورة حياة عمّا كان يجب عليه أن يفعله، لكن لم تسعفه جراته لفعل شيء ما. بمعنى آخر كان إرميا ملقىً في السجن لكنه يحمل روح الحق بشجاعة، بينما دخل الملك قصوه يتوقّب لحظات هلاكه وهلاك شعبه وبلده!

من وحي إرميا 38

أطلقني من الجب السفلي

- ❖ نطق إرميا بكلمة الحق أمام الكل،
فأقولوه في جب سفلي!
- رأوا أن يطمروا كلماته في الوحل،
ويكتنوا فمه الناري فلا ينطق بكلمة!
ويخلصوا من حياته التي تبتكهم!
- ❖ ظنوا أنهم يقتلونه بالجوع دون سفك دمه،
ولم يدركوا أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان،
بل بكل كلمة تخرج من فم الله!
ألقوه ليموت جوعًا من خبز العالم،
وإذا بهم يموتون جوعًا من خبز الحياة!
حرموا أنفسهم من كلمة الرب،
من خبز الملائكة واهب الحياة!
- ❖ نعم! تحوّل قلبي إلى جب سفلي،
تولتُ بكلمتك كما إلى وحلّ هذا العالم،
ولم أرد أن ترتفع بأعمالي إلى نور سمواتك العليا!
- ❖ لم ترسل لي عبد ملك الكوشي لرفعني،
بل صوت عبدًا لتهبني بنوتك العجيبة نعمة مجانية!
لم تلق بحبال مادية لأمسك بها،
بل ألقيت عليّ بحبال حبك الإلهي لتقتنصني!
لم تترفق بي بثيابٍ بالية أضعتها تحت إبطي،
بل سكنت فيّ ووهبتني روحك القوس،
تقدم لي شركة الطبيعة الإلهية!
نعم! رتديت طبيعتي كثيابٍ بالية،
فوزعت عنها فسادها وقدرتها لحسابي!

المدينة السفلى، بينهما وادي منخفض جداً. الباب الوسط هو باب يربط بين هذين الجزئين من المدينة، اللذين يدعيان أحياناً المدينة العليا والمدينة السفلى. كان هذا الباب في الوسط، في قلب المدينة. توقف الرؤساء هناك ولم يتسللوا إلى الداخل حتى لا يعوضوا حياة أحد منهم للقتل من الشعب. جلس حاملوا أسماء الآلهة الوثنية في الموضع الذي اعتاد أن يجلس فيه حلقيا الذي يحمل اسم الله، وتحققت نوة لرميا "فيأتون ويضعون كل واحد كرسية في مدخل أبواب أورشليم" (1: 15).

كلمة "جلس" تعبير عن الاحتلال العسكري أو إقامة معسكون عند الباب علامة استلام المنطقة. غالباً موت الفترة الأخيرة السابقة لانتهيار المدينة دون احتكاك بين رميا النبي ورؤساء يهوذا. فكان النبي في سجنه يئن داخلياً متوقباً انهيار بلده بعورة، وقد انكشفت أمام عينيه كل الأحداث هذه التي أعلنها في شيء من التفصيل للملك صدقيا. وكان صدقيا والرؤساء مع القيادات الدينية والعسكرية في ضعف شديد، فقد انهار الجند بسبب المجاعة، وأغلقت أبواب الرجاء أمام عيونهم. أخوياً إذ اقتحم الجيش البابلي المدينة أترك الكل أن حماية الله قدرُفعت عنهم كما حدث لشمشون الذي حلّ به الضعف حينما فُص شعر نوره.

أقام قادة العدو مجلساً عسكرياً عند الباب الرئيسي لأورشليم. يذكر هنا أربعة أسماء رؤساء ملك بابل ، كان معهم أيضاً آخرون لا نعرف عددهم، ويلاحظ أن الأسماء المذكورة في [3] تختلف إلى حد ما عن تلك التي وردت في [13]. وهذا أمر طبيعي حين تُتوَّجَم الأسماء من لغةٍ إلى أخرى، خاصة إن كان أصل كل لغة مختلف عن الأخرى، كتَّوجمة الأسماء البابلية إلى العبرية. ووى البعض أن سبب الاختلاف هو ذكر الأسماء أحياناً والألقاب أو الوظائف أحياناً أخرى، وإن كان البعض وى أن قائمة الأسماء الواردة في [13] تحوي رؤساء جدد، فالتغيير ليس في الاسم بل في الشخص نفسه.

أ. نوجل ¹⁶⁰⁴ شواصر ، في اللغة الأكادية *Nergal-sar-usur* معناها "وجل يحمي الملك"، دُعي في [13] *Rabmag* ، ربما كان هو الملك نوي جلسر (559-556 ق.م.)، الذي خلف نيوخذنصر على بابل بعد أن قتل أولاً أويل مرووخ بن نيوخذنصر في ثورة. وقد ورد اسم نوي جلسر في القون السادس ق.م. في النصوص البابلية الشوعية وغوها.

ب. سمجرنبو : أسم أكادي ربما معناه "تحزن يانبو"، ربما كان سمجرنبو لقباً وليس اسم شخص، وفي الماسورية فإن سمجر منقولة عن اللقب البابلي المُنتسب لموظف من نابو *Nabu*.

ج. سوسخيم رئيس الخصيان *Rab-saris*. اسم أكادي معناه "رئيس العبيد" ، أو "رئيس الخصيان". كان صاحب مقام كبير وكانت له مهام عديدة دبلوماسية أو عسكرية.

د. نوجل شواصر رئيس المجوس أو رئيس الأطباء (ب ماج *Rab-mag*). كلمة فلرسية تعني عظيم أو قوي وكلمة رب ماج" قد تعني "الأمير العظيم".

2. أسر صدقيا:

فلما رآهم صدقيا ملك يهوذا وكل رجال الحرب هربوا وخرجوا ليلاً من المدينة في طريق جنة الملك من الباب بين السورين وخرج هو في طريق العربة.

فسعى جيش الكلدانيين وراءهم،

فأرهبوا صدقيا في عربات أريحا،

فأخذوه وأصعوه إلى ملك بابل إلى ريلة في لرض حماة،

فكلمه بالقضاء عليه.

فقتل ملك بابل بني صدقيا في ريلة أمام عينيه،

وقتل ملك بابل كل أشراف يهوذا.

وأعمى عيني صدقيا وقيدته بسلاسل نحاس ليأتي به إلى بابل.

أما بيت الملك وبيوت الشعب فأحرقها الكلدانيون بالنار،

ونقضوا أسوار أورشليم" [4-8].

احتفى صدقيا الملك ورجال الحرب في الليل ليهربوا من وجه العدو، لكن لم يستطع أن ينجيهم. كان الأفضل لهم أن يحتموا في النور، بالطاعة

لكلمة الله، فما كان قد حلّ بهم هذا العار بل والموت.

جاء في الترجمة السبعينية "تفض رئيس الطباخين *Rab-tabbachim* أسوار أورشليم" [8]. يقول الأب غريغوريوس (الكبير) [إن رئيس

الطباخين هو البطن التي تهدم النفس الموثقة والمشتاكة للسلام الفائق. يحطم رئيس الطباخين أسوار أورشليم... إذ تتحطم فضائل النفس بالشهوات [605].

لقد تحققت النبوة (32: 4؛ 34: 3) (أن صدقيا رى ملك بابل ويتكلم معه فما لفي، وأن يُقتل ابنؤه وثقفاً عيناه (38: 17-23). وأحرقت

القصور بعد شهر من استلام المدينة أما سبب تأخير حرق المنزل فهو الانتظار حتى يُقدم رؤساء يهوذا إلى الملك في ريلة وينظر في قضيتهم.

كانت حديقة الملك تقع بالقرب من بركة سلوام (نح 3: 15)، بينما الباب الذي بين السورين ربما كان باب العين الذي ورد في (نح 2: 14،

12: 37) في جنوب صهيون والعربة كانت وادي الأردن العميق شمال البحر الميت، وهو مخج يبدو أنه كان أفضل طريق للهروب إلى ما وراء

الأردن إلى الصحراء العوبية وربما قصد أن ينطلقوا من هناك إلى فوعن مصر. مع ذلك أسر صدقيا وأتباعه وأحضروا إلى نوخذنصر في معسوه

في ريلة بالقرب من أرض حماة في شمال فلسطين ليحاكموا كمجرمين ثوار ضد الحكم.

كان الحكم بالموت [6] هو المصير العادل للقادة الذين يقوون مقاومة غير ناجحة في وجه الحصار طبقاً لتقاليد الحرب في الشرق القديم، وكان

قلع العينين شكلاً آخر من أشكال العقوبة القديمة (قض 16: 21)، خاصة بالنسبة للثوار العفناء.

3. سبي الشعب:

"وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهربون الذين سقطوا له وبقية الشعب الذين بقوا سباهم نبوزرادان رئيس الشرط إلى بابل.

ولكن بعض الشعب الفقراء الذين لم يكن لهم شيء تركهم نبوزرادان رئيس الشرط في أرض يهوذا،

وأعطاهم كروماً وحقولاً في ذلك اليوم" [9-10].

سيق الشعب إلى بلدٍ غريب يسبرون مئات الأميال في مذلةٍ، وقد سبق أن أهلكهم الجوع والوبأ بسبب الحصار. لقد فقوا مدينتهم وهيكلمهم

وممتلكاتهم... والآن يُساقون كالحوانات تحت قيادة سادة قساة، وها هم لا يعرفون ما هو مصوهم هناك.

أما الفقراء جدّاً وهم قلة، لا حول لهم ولا قوة، لا يفيون شيئاً في أرض السبي، تُكوا في يهوذا وسلمت لهم الكروم والحقول التي جفت

وخربت مع طول مدة الحصار لعلهم يصلحونها.

لعل البابليون أركوا أن هؤلاء الفقراء لم يكن لهم دور في القوار الخاص بعدم الاستسلام أثناء الحصار، لذا تركوهم في أرضهم. ومن جانب

آخر فإنه من الحكمة أن يرضوا الفقراء حتى متى عاد الكلدانيون إلى بابل ورحلت الجيوش عن أورشليم لا تحدث ثورة ضد بابل. ليس فقط تُرد ممتلكات

هؤلاء الفقراء الذين نهبهم أغنياء بني جنسهم واستغوهم، وإنما ينالون ما كان للأغنياء.

❖ يقودني نوخذنصر الحقيقي مروباً بالسلاسل إلى بابل، أي إلى بابل الفكر الموثبك.

هناك يضع عليّ نير العبودية،

هناك يضع حرامه من حديد في أنفي،

ويأمرني أن أرم بتسبحة من تسابيح صهيون (2 مل 19: 28، مز 136: 3) [606].

القديس جيروم

4. العناية بـرميا:

وأوصى نبوخذنصر ملك بابل على رميا نبوزرادان رئيس الشوط قائلاً:

خذه وضع عينيك عليه،

ولا تفعل به شيئاً بل كما يكلمك هكذا افعل معه.

فأرسل نبوزرادان رئيس الشوط ونبوشيزبان رئيس الخصيان ونوجل شواصر رئيس المجوس وكل رؤساء ملك بابل.

أرسلوا فأخذوا رميا من دار السجن،

وأسلموه لجدليا بن أخيقام بن شافان ليخرج به إلى البيت.

فسكن بين الشعب" [11-14].

"رئيس الشوط" لقب قديم وهو حرفياً: رئيس السقاة.

أطلق سراح نبي الله الآن وعومل باحترام كبير، وقد كان القبض عليه عفوياً بسبب الجهل بشخصه، وقد عامله أهل ما بين النهرين البسطاء

كرجل الله بنفس الاحترام الذي كانوا يقدمونه لأنبيائهم وعوآفيهم في بابل.

يظهر من هذا الفصل أن ملك بابل فور فتح أورشليم اهتم بـرميا فأخرجه من السجن مكرماً ليبقى مع الباقين في البلاد دون أن يُسبي. لكننا نرى

في (40: 61) أن الأمر كان عكس هذا، إذ قُيد رميا بسلاسل وأرسل مع المسبيين حتى وصل إلى رامه قبل أن يُطلق سواحه. ولسنا نوري هل سمع

ملك بابل عنه من قبل بواسطة اليهود الذين أسروا مع يهوياكين إلى بابل، أم أخوه عنه بعض اليهود المأسورين اخوًا قائلين إن رميا حث صدقيا الملك

أن يخضع لبابل ويدفع الجزية مسلماً نفسه لهم عوض الثروة ضدها، وأنه بسبب ذلك عاني الكثير وألقي في السجن. وى البعض أن القصتين في (39،

40) متكاملتان، فإنه بالفعل أطلق سراح رميا من السجن فور سقوط المدينة، لكنه اقتيد مع الرؤساء إلى رامه، وهناك اطلق سواحه وسُمح له أن يختار

موضع سكنه كيفما يُريد.

يعلق القديس جيروم على توصية نبوخذنصر لنبوزرادان على رميا قائلاً:

إتمتع رميا بمزة عظمية لأنه عُين لوكمة البتولية.

حينما سُبي الكل، حتى أستولى على أوان الهيكل... هو وحده تحرر من العدو، ولم يعرف مذلة السبي، وكان المنتصرون سنداً له.

لم يوص نبوخذنصر نبوزرادان على قدس الأقداس بل على رميا. لأنه هو هيكل الرب الحق، هو قدس الأقداس، التي تكوس الرب بالبتولية

الطاهرة [607].

وى الأب غريغوريوس (الكبير) أن رميا وحده هو الذي انعتق من العدو ولم يؤخذ إلى الأسر بلاداته. نبوخذنصر لم يهتم بالقدس والهيكل إنما

اهتم بـرميا وحده، لأنه في عيني الله هو هيكل الرب الذي يحمل الرب في داخله.

يذكر لنا هذا الأصحاح أنه خلص من هذا الدمار ثلاثة:

أ. رميا النبي الذي أوصى الملك بحسن معاملته.

ب. عبد الملك الغريب الجنس الذي وعده النبي بإنقاذه.

ج. القلة القليلة من الفقاء جدًا الذين أُعطيت لهم الحقول.

هؤلاء جميعًا يسيروا إلى الكنيسة التي تتمتع بالوالم الإلهية: فلرميا يشير إلى القلة من اليهود الذين قبلوا نوات العهد القديم وتعرفوا على السيد المسيح وآمنوا به؛ وعبد ملك يشير إلى الأمم الذين قدموا إلى السيد المسيح وتمتعوا بخلصه؛ أما القلة القليلة الفقوة فتحمل سمة الكنيسة: "القطيع الصغير" الذي يُسر الآب أن يعطيهم الملكوت" (لو 12: 32).

5. رسالة إلى عبد ملك:

بعث رميا النبي وهو في السجن برسالة إلى عبد ملك الكوشي توي خمس نوات:

أ. الشر الذي يحل بالمدينة.

ب. تحقيق كلمة الله في أيامه.

ج. لا يُسلم عبد ملك ليد من يخافهم.

د. خلاص عبد ملك من يد الأعداء.

هـ. لن يسقط بالسيف.

'وصلت كلمة الرب إلى رميا إذ كان محبوسًا في دار السجن قائلة:

أذهب وكلم عبد ملك الكوشي قائلاً:

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

هأنذا جالب كلامي على هذه المدينة للشر لا للخير أمامك،

فيحدث أمامك في ذلك اليوم.

ولكنني انقذك في ذلك اليوم يقول الرب،

فلا تُسلم ليد الناس الذين أنت خائف منهم.

بل إنما أنجيك نجاه فلا تسقط بالسيف بل تكون لك نفسك غنيمة،

لأنك قد توكلت عليّ يقول الرب" [15-18].

إذ كان رميا النبي أمينًا ومخلصًا لكلمة الله لذلك وعده الله: "إني أجعل العدو يتزوع إليك في وقت الشر وفي وقت الضيق" (15: 11). وها هو

يحقق وعده معه.

لقد لقي رميا معاملة طيبة من قبل رئيس جيوش بابل وملكها وكذلك عبد ملك الذي أنقذ حياة رميا من الجب. ذكر الكتاب المقدس كثيرين

أنقذوا بسبب تقواهم. فلا بد من أن نتساءل: هل هذا قانون ثابت في مجزاة الله للناس، لأننا كثرةً مارأينا الصالحين الأتقياء قد هلكوا مع الأشرار

الأردباء، لا سيما في أبان الحروب وكولث الطبيعة. إننا نؤمن أن الله يجزي كل الناس بحسب أعمالهم، لكننا لا نحصر مجزاة الله في هذه الحياة، بل

نعتمد بأنها تكون أضعافًا في الآخرة.

من وحي رميا 39

في ملء الزمان

❖ لكل أمر له ملء زمانه،

لقد حُوت يهوذا هرة وموات بأنبياء كثيرين،
وظنوا أنها مجرد تهديدات،
لكن في ملء الزمان تحققت كل النبوات الهرة،
وفي ملء الزمان خلص لرميا وأنقذ عبد ملك الكوشي!
❖ في ملء الزمان فقد صدقيا مملكته بعد إنذرات كثوة،
وقُتل ولاده،
وصار أعمى
ومقيداً بالسلاسل!
انهزلت مدينته حتى الهيكل،
وأيضاً احترقت القصور!
❖ نعم يا لعار الخطية!
تروع عني سلطاني في الرب وتحطم رادتي الهرة،
تفقدني ولادي: ثمار الروح المفوحة،
تروع عني بصوتي، فلا أدرك أسوار الله،
تجعلني مقيداً، عبداً أسوأ!
أنزع كما من حضن إلهي، من مدينتي المقدسة،
وتحترق كل مواهبي وقواتي!
يا لها من هرة!
❖ وفي ملء الزمان أطلق لرميا من السجن مكرماً حتى من الأعداء،
وأنقذ عبد الملك الغريب الجنس،
وتمتع الفواء بالحقول!
إذ ننتظر مواعيدك الإلهية نختبر الحرية الداخلية،
نرتفع فوق كل ضيقة وتجربة،
نملك مع الرب كما في حقله الإلهي!
❖ متى يأتي ملء الزمان،
فيجدنا كلرميا النبي ننتظر الرب؟!
ونثق في نواحه الأبدي الحامل لحياتنا؟!
ونترجى مواعيده الإلهية الصادقة؟!

⏪

1 . قَارِ لِمِيَا :

"الكلمة التي صلت إلى لِمِيَا من قبل الرب بعدما أرسله نبوزرادان رئيس الشوط من الوامة، إذ أخذه وهو مقيد بالسلاسل في وسط كل سبيي أورشليم ويهوذا الذين سبوا إلى بابل. فأخذ رئيس الشوط لِمِيَا وقال له:

إن الرب إلهك قد تكلم بهذا الشر على هذا الموضع.

فجلب الرب وفعل كما تكلم لأنكم قد أخطأتم إلى الرب ولم تسمعوا لصوته فحدث لكم هذا الأمر" [1-3].

يلاحظ أن الأصحاح أفتتح بالعبرة : "الكلمة التي صلت إلى لِمِيَا من قبل الرب ... مع ذلك لا نجد رسالة معينة يقدمها الرب. لعل لِمِيَا حسب أن كلمات رئيس الشوط له ليست من عنده بل هي كلمة الرب التي يوجهها الله لشعبه، فإن ما نطق به هذا القائد الكلداني الغريب الجنس لم يكن إلا ملخصاً لما نادى به الأنبياء للشعب ولم يسمعوا لهم. لقد قدم الرجل الوثني تقسواً لاهوتياً وروحياً لهزيمتهم، الأمر الذي لم يكن ممكناً للشعب اليهودي أن يفهمه أو يتقبله.

إذ قال رئيس الشوط الوثني لإِمِيَا أن ما حلّ بالشعب هو ثمر خطاياهم وعدم سماعهم للصوت الإلهي. هذه الشهادة لا يمكن أن تكون قد حدثت عن فواغ، بل لا بد وأن البابليين أوكوا أن نصرتهم على يهوذا واستيلائهم على العاصمة لم يتحقق بطريقة طبيعية، إنما خلال تدخل إلهي، ليس من جانب آلهتهم الوثنية بل من جانب الله الحي.

بلا شك أدهشت كلمات رئيس الشوط لِمِيَا النبي وثبتت بالأكثر إيمانه، كما انتشوت بين اليهود فصلت لتوبيخهم؛ كأنها رسالة إلهية موجهة إلى المسيبين ينطق بهارجل وثني عدو.

يظهر الله كيف أنه يكافئ منقيه السامعين لكلمته الشاهدين له بالحق في حياتهم، إذ يجعل حتى الأعداء يسالونهم.

بالرغم من اتفاق رئيس الشوط في الفكر اللاهوتي مع لِمِيَا إلا أن لِمِيَا لم يجبه بكلمة، ولم يعلق على كلماته، حتى لا يتهمه الحاضرون أنه عميل بابلي.

أفتتيد لِمِيَا مع المسيبين مقيداً بالسلاسل حتى وقف أمام رئيس الشوط، وهناك عُرِلَ عن المسيبين لكي تُعطى له كرامة وهدايا مع حرية الحركة، بينما صار الآخرون في مذلة وحرمان. كان من الصعب عزل لِمِيَا من بين صفوف المسيبين، لكن حان الوقت للكشف عن كرامته ومجده. هكذا يصعب في العالم أن نميز بين المؤمنين العاملين الحقيقيين وغوهم، لكن اليوم سيظهر مجد كل أحدٍ أو عله!

"الوامة" [1] معناها "المرتفع"، أطلق هذا الاسم على مواضع كثوة، لكن هنا غالباً ما يُقصد بها قرية تبعد حوالي 6 أميال شمال أورشليم، وتبعد حوالي مليون أو ثلاثة من المصفاة. بناها بعشا ملك إسرائيل وحصنها لكي لا يدع أحداً من شعبه يخرج أو يدخل، غير أن ملك يهوذا دبّر له مكيذة وانزوعها منه (1 مل 15: 17-22).

إليها جُمع اليهود حيث رُحِّوا إلى السبي البابلي، وإليها عانوا بعد رجوعهم من السبي (عز 2: 26؛ نح 11: 23). مكانها اليوم "الحرم".

شهدت هذه القرية أحداثاً تاريخية هامة منها أن كلاً من سنحريب ملك آشور، ونبوخذنصر ملك بابل وتيطس الروماني ألقى منها أول نظرة

على أورشليم!

"فالآن هأنذا أحلك اليوم من القيود التي على يدك.

فإن حسن في عينيك أن تأتي معي إلى بابل فتعال،

فأجعل عيني عليك.

وإن قبج في عينيك أن تأتي معي إلى بابل فامتنع.

انظر. كل الأرض هي أمامك، فحيثما حسن وكان مستقيماً في عينيك أن تتطلق فانطلق إلى هناك.

وإذ كان لم يرجع بعد قال:

رجع إلى جدليا بن أخيقام بن شافان الذي أقامه ملك بابل على مدن يهوذا،

وأقم عنده في وسط الشعب،

وانطلق إلى حيث كان مستقيماً في عينيك أن تتطلق.

وأعطاه رئيس الشوطزاداً وهدية وأطلقه.

فجاء رميا إلى جدليا بن أخيقام إلى المصفاة،

وأقام عنده في وسط الشعب الباقيين في الأرض" [4-6].

كان هناك أمر من الملك إلى رئيس الشوط أن يكوم رميا النبي، لكن الجند المسؤولين عن القاء القبض على اليهود وتحويلهم إلى الرامة تحت

كثرة الأعباء اتوا بلرميا وسط الأسوى، مقيداً بالسلاسل خطأ. وإذ تعرف عليه نيوزردان رئيس الشوط أطلقه في الحال وأعطاه حوية الحركة.

وى البعض أن رئيس الشوط جاء بعد شهر من احتلال أورشليم ليكمل تدموها، في ذلك الوقت اطلق لرميا حواً.

س مع نيوزردان رئيس الشوط عن لرميا وكيف كان يشير على الملك صدقياً أن يخضع لبابل فظنه من رجاله. بعد أن حلّه من القيود أعطاه حق

الخيار أن يذهب إلى بابل أو يبقى في يهوذا، فاختر أن يرجع إلى جدليا الذي ينتمى إلى عائلة شافان المتعاطفة مع النبي، ويقيم عنده وسط الشعب.

رفض أن يكوم في بابل ليعيش مع الشعب المسكين في يهوذا يشركهم أتعابهم وآلامهم، يسكن مع أولئك الذين حسبهم البابليون ليسوا أهلاً لنقلهم حتى

كأسوى إلى بابل. هكذا تشبّه بموسى النبي الذي قيل عنه: "بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يُدعى ابن ابنة فوعون، مفضلاً بالأحرى أن يُذل مع شعب الله

عن أن يكون له تمتع وقتي بالخطية، حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر، لأنه كان ينظر إلى المجزاة" (عب 11: 24-25). هكذا اشترك

أنبياء العهد القديم في عار المسيح البازل حياته بؤح عن شعبه.

كان من الحكمة ألا يذهب لرميا مع المسيبين في بابل، لأنه كان بلاشك سيلقي كرامة من الملك، فثبتت في ذهن اليهود أنه عميل بابلي وخائن

لوطنه.

لم يكن ممكناً لجدليا أن يقيم في أورشليم حيث كانت قد خربت تماماً لا تصلح للسكن (هوا 2: 13؛ 4: 1)، لذا اختار المصفاة التي يحتمل أن

يكون في موقعها الآن تل النصبية، تبعد حوالي 8 أميال شمال غرب أورشليم وقريب جداً من الرامة وتقع في جنوبها الغربي؛ كانت موكراً هاماً من

الجانب السياسي والديني عبر القرون. وهي تتبع سبط بنيامين، فيها كان صموئيل يقضي بين الشعب، وأختير شاول ملكاً (1 صم 7: 15 الخ؛ 10: 17).

لا توجد أية علامات أن المصفاة قد مورت في هذه الفترة بعرجلة تدمير [609] بذات القوة التي حدثت مع أورشليم ومدن يهوذا [610].

واضح من [4] أن لرميا لم يكن متوقفاً ما قيل له، أي أن تُعطى له الحرية في اختيار موضع الإقامة، لهذا إذ سمع كلمات رئيس الشوط صمت

قليلاً، لعله كان يفكر ليأخذ قرره، أو يرفع قلبه لله يطلب المشورة، أو لعله كان يطلب مهلة لأخذ قرارٍ خطيرٍ في حياته كهذا. لهذا قال له رئيس الشوط:

"رجع إلى جدليا" [4]؛ هناك يأخذ قرره كما يشاء!

مهما كانت الأمور واضحة ليتنا لا نتسوع في أخذ قراراتنا خاصة المصيرية أو التي تمس حياة إخواننا، بل ننمهل ونطلب مشورة الله.

2. جدليا الحاكم:

"فلما سمع كل رؤساء الجيوش الذين في الحقل هم ورجالهم أن ملك بابل قد أقام جدليا بن أخيقام على الأرض،

وأنه وكله على الرجال والنساء والأطفال وعلى فقاء الأرض الذين لم يسوا إلى بابل،

أتى إلى جدليا إلى المصفاة إسمعيل بن نثنيا ويوحانان ويوناثان ابنا قاريح وسوايا بن تحومث وبنو عيفاي النطوفاتي ويونيا ابن المعكى هم ورجالهم.

فحلف لهم جدليا بن أخيقام بن شافان ولرجالهم قائلاً:

لا تخافوا من أن تخدموا الكلدانيين.

اسكنوا في الأرض واخدموا ملك بابل فيحسن إليكم.

أما أنا فهأنذا ساكن في المصفاة لأقف أمام الكلدانيين الذين يأتون إلينا" [7].

إن كانت يهوذا قد صلت مستعمرة بابلية، لكن كان لها الحق أن تحتفظ بسماتها الخاصة تحت قيادة والٍ من شعبها يخضع سياسياً لملك بابل ويدفع له الجزية.

المدن التي أشير إليها في [10] هي تلك التي خربت بواسطة الكلدانيين، لكن مع بدء ولاية جدليا عادت إليها الحياة، خاصة بعودة الهريين من وجه بابل. كان هناك بركة أمل لانتعاش يهوذا لو بقي جدليا في الحكم. فقد عاد الذين التجؤا إلى نول أخرى مثل موآب وعمون وآنوم ليملسوا حياتهم في ظل الاستعمار البابلي.

إذ جمع الراجعون خوفاً وتيناً كثوفاً شعر البعض أن ذلك علامة بركة الرب، إذ لال ينتظر أن يعمل لإصلاح شعبه. هؤلاء الذين شبههم لرميا النبي بالتين الجيد جداً [24].

"أما أنتم فاجموا خوفاً وتيناً وزيتاً وضوا في وعيتكم واسكنوا في مدنكم التي أخذتموها،

وكذلك كل اليهود الذين في موآب وبين بني عمون وفي آنوم والذين في كل الأراضى سمعوا أن ملك بابل قد جعل بقية ليهوذا وقد أقام عليهم

جدليا بن أخيقام بن شافان.

فوجع كل اليهود من كل المواضع التي طُوحوا إليها وأتوا إلى أرض يهوذا إلى جدليا إلى المصفاة وجموا خوفاً وتيناً كثوفاً جداً" [7-12].

إذ عُرف جدليا كرجل سلام، كانت رسالته أن يعيد إلى يهوذا حياتهم العادية، وأن يخضعوا للكلدانيين بغير تخوفٍ منهم، وأن يستقبل اليهود العائدين من موآب وبني عمون وآنوم، وكانوا غالباً من الجنود.

كان جدليا يرفض الثورة ضد بابل، متأثراً برميا وغره من الأنبياء، لذلك عينه ملك بابل وكيلاً له، ووالياً على يهوذا.

3 . الكشف عن مؤامرة ملك بني عمون:

"ثم إن يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين في الحقل أتوا إلى جدليا إلى المصفاة.

وقالوا له:

أتعلم علماً أن بعليس ملك بني عمون قد أرسل إسمعيل بن نثنيا ليقتلك؟!

فلم يصدقهم جدليا بن أخيقام.

فكلم يوحانان بن قاريح جدليا سراً في المصفاة قائلاً:

دعني أنطلق وأضرب إسمعيل بن نثنيا ولا يعلم إنسان.

لماذا يقتلك فيتبدد كل يهوذا المجتمع إليك وتهلك بقية يهوذا؟!

فقال جدليا بن أخيقام ليوحانان بن قاريح لا تفعل هذا الأمر،

لأنك إنما تتكلم بالكذب عن إسمعيل" [13-16].

رؤساء الجيوش في الحقول" [13] ضباط الجنود المسرحين (2 مل 25: 5) الذين خافوا

يقصد بـ "

ولاً من معاملة بابل لهم، ولكنهم تأكلوا فيما

بعد (في آية 9 حلف لهم جدليا قائلاً " لا تخافوا ") أنهم سينالون العفو إذا خضعوا واستسلموا وعادوا يستغلون الأرض ويخضعون لجدليا وحكومته في المصفاة. ورجع أيضاً اليهود الذين غادروا البلاد قبل هجوم بابل وكانوا قد التجأوا إلى شوق الأردن.

إذ بدأ السلام يدب في يهوذا، وتجمعت طاقات ممتزة حول جدليا، وبدأت الحقول تأتي بثمار... بعث بعليش ملك بني عمون إسماعيل بن نثنيا ليقتل جدليا وقد حذر رؤساء الجيوش جدليا منه مؤكدين له وجود مؤامرة مدوة لقتله لتحطيم بقية يهوذا، أما هو فلم يصدق.

ما كان يشغل قلب يوحنا ليس الخوف على قتل جدليا، وإنما انهيار النبتة الجديدة لإقامة دولة يهوذا التي خربت تماماً بواسطة البابليين، وقد صار هناك برقة أمل لتجميع الجهود ولو تحت الاستعمار البابلي. فكان في رأيه أن قتل إسماعيل أفضل من ضياع الأمة كلها.

لقد أخطأ جدليا إذ لم يسمع لهم، وكان يليق به أن يرفع قلبه بالصلاة يطلب مشورة الله، وأن يلجأ إلى رميا النبي الذي كان ملاصقاً له. هنا تظهر خطورة اتكال الإنسان على أفكاره وحده.

كان بعليش ملك عمون في شوق الأردن ينتظر اغتنام فوصة رجوع جيوش بابل إلى وطنهم ليملك على ما بقي من البلاد في غرب الأردن، ويقتل جدليا وكيل ملك بابل.

ما هي نوافع بعليش ملك عمون في اغتيال جدليا؟

نوافعه غير واضحة:

أ. واضح أنه يريد أن يسبب قلاقل للبابليين كما يظهر من (حز 21: 18-32). حيث خطط نوحوذنصر للغزو في الغرب في سنة 587 ق.م، مهاجماً بني عمون ويهوذا كمقاومين له.

ب. يحتمل أن صدقيا كان يحول الهروب إلى بني عمون ناظراً إلى ملكها كحليف له. لذلك تطلع بعليش إلى جدليا كخائن وعميل بابلي، وأن إسماعيل الذي من نسل ملوكي أولى بالحكم لأنه في نظره مخلص ليهوذا.

ج. يحتمل أن يكون هناك عدوة شخصية بين بعليش وجدليا.

د. لعل بعليش أراد أن يحطم البقية من يهوذا التي بها برقة أمل لقيام دولة لليهود مرة أخرى [\[611\]](#).

حذر يوحنا جدليا وأخوه عن المؤامرة، لكن جدليا لم يصدق الذين أنذروه ولم يسمح بقتل المشتبه فيه، مبعوث ملك عمون. لم يصدق جدليا ما قيل له من يوحنا وزملائه، لأنه كان يعرف إسماعيل شخصياً حينما كان يعمل في القصر وكان إسماعيل أمواً ملوكياً. وربما لم يكن ممكناً لجدليا أن يعتقد بأن أحداً، خاصة من النسل الملوكي، ألا يكون مخلصاً في إعادة قيام يهوذا ولو في ظل الاستعمار البابلي.

واضح أن إسماعيل سقط في **خطية الحسد** التي تدفع الإنسان إلى سلسلة لا تنتقطع من الخطايا، إذ تحول حياته إلى جحيم كواهيبة بلا سبب وبلا هدف. هنا يرتكب إسماعيل الخطايا التالية:

أ. اغتيال جدليا دون مراعاة لواجب الضيافة، إذ قدم له جدليا مائدة وأكلاً معاً؛ عوض الشكر قدم الغدر والخيانة، ولم راع حتى ظروف البلده.

ب. سحبته الخطية إلى خطية أخرى وهي قتل كل اليهود الذين كانوا مع جدليا.

ج. قتل رجال الحرب الذين لم يتوقعوا هذه الخيانة ولم يكونوا مستعدين لمقاومته هكذا بدد كل الطاقات التي كان يمكن ان تكون لبنينان بلده.

د. قتل سبعين رجلاً من الثمانين القادمين ببكاء ومرة من شكيم وشيلو والسامرة للذهاب إلى أورشليم وتقديم بعض العطايا... قتلهم بلا ذنب!

جاء هؤلاء الرجال من شكيم وشيلو والسامرة لزيارة بيت الرب عابرين بالمصفاة. يبدو أن بعض أنواع العبادات لم تنتقطع عن هذا المعبد العظيم الذي

كان يفخر به اليهود بين الأمم عبر الأجيال. جاؤا في حزنٍ شديدٍ على الهيكل وما حلّ به.

هـ. سبى بقية الشعب الذين في المصفاة وبنات الملك ليعبر بهم إلى بعليش ملك بني عمون الوثني. ماذا كان هدفه من هذا كله؟!!

و . بسبب تصرفاته الحمقاء اضطر يوحنا بن قريش وكل رؤساء الشعب أن يفتنوا أثره للدخول معه في معركة، واضطروا إلى الهروب إلى مصر خوفاً من ملك بابل.

هكذا حطم هذا الحاسد نفسه والرجال الذين معه وأيضاً بلده!

من وحي رميا 40

بحبك حررتني من قيودي!
وبحبك أشتهي أن أقيد مع إخوتي!

❖ انطلق رميا مقيداً بالسلاسل مع المسبيين،

لكن رئيس الشوط حلّه من القيود،

كوّمه أمام الجميع وقدم له هدايا.

أعطاه كامل الحرية ليقطن أينما شاء!

❖ تحرر رميا من السلاسل الحديدية،

لكنه اشتي قيود الحب،

ورفض أن يذهب إلى بابل ليُكرم من ملكها!

❖ بحبك حررتني من قيودي،

وأنا بحبي أشتهي أن أقيد مع المقيدين!

قيود الخطية تملأني علماً ومذلة!

أما قيود الحب فتبهني شركة معك أيها المصلوب!

لأتحرك بك يا واهب الحرية،

لأقيد بقيود الحب أيها الحب الحقيقي!

❖ هب لي مع رميا إن يفك نيوزرادان قيودي،

ومع صليبك أشتهي أن أحمل القيود برادتي،

نعم ما أعذب قيود الحب!

أطلب مشورتك فلا ينطفئ نوري!

❖ انطلق رميا إلى المصفاة يسند جدليا الوالي.

ورجع كل الهلبيين إلى الدول المحيطة،

واطمأنوا واستراحوا لكي يعملوا مع جدليا ورميا.

بنات الملك استراحت نفوسهن!

الفقواء حصنوا ثملاً كثوة!
بوكات الرب حلت على الكل!
❖ لم يطق بعليس ملك عمون الخير لغوره،
فأثار الأمير إسماعيل ليجعل منه مجرمًا غاواً.
رسل الله يوحنا يحذر جدليا،
بغير حكمة لم يستشر جدليا الله،
ولا طلب صلوات النبي عنه.
بهذا أنطفأ نوره وحرم الكثوين من النصرة!
❖ بغدر قتل جدليا والمحيطين به،
فأطفأ شعلة النور في بدء انطلاقها.
وسبى بنات الملك ليذهب بهن إلي عمون!
قتل ونهب وانطلق ليعيش وسط الأوثان!
هكذا لم يطق الظلام النور!
❖ هب لي يرب ألا اتكل على ذاتي،
بل أطلب نومًا مشورتك،
ولا أحتقر مشورة إخوتي.
بهذا لا ينطفئ نورك في داخلي.

<<

الأصاح الحادي والأربعون

اغتيال جدليا والي أورشليم

كان اليهود يحتفلون بقتل جدليا كمناسبة حزينة وذلك بالصوم في الشهر السابع (أكتوبر) (رك 7: 5؛ 8: 19). ولا تُعرف السنة التي قُتل فيها جدليا. فقد تم جمع المحصول قبل قتله (40: 14)، هذا يعني احتمال أنه مرَّ عام ما بين سقوط أورشليم ومصوعه، حيث سُمح للاجئين أن يعودوا ويزرعوا الأرض. وإن كان البعض وى أن جدليا لم يبق في الولاية سوى شهرين ^[612] أو ثلاثة شهور. قُتل جدليا لكن الله حفظ رميا حتى يتم رسالته. في هذا الأصاح لا نجد خواً عن رميا نفسه، ولا نسمع عنه كلمة، بل جاء كمقدمة لما يأتي فيما بعد، وهو نزول جماعة من اليهود إلى مصر آخذين معهم رميا على الرغم منه.

1 . مصوع جدليا [1-3].

2 . فظائع أخوى [4-9].

3 . سبي البقية واطلاق سواها [10-18].

1 . مصرع جدليا:

وكان في الشهر السابع أن إسماعيل بن نثنيا بن أليشاماع من النسل الملوكي جاء هو وعظماء الملك وعشوة رجال معه إلى جدليا بن أخيقام إلى المصفاة،

وأكلوا هناك خبزاً معاً في المصفاة.

فقام إسماعيل بن نثنيا والعشوة الرجال الذين كانوا معه وضربوا جدليا بن أخيقام بن شافان بالسيف فقتلوه، هذا الذي أقامه ملك بابل على الأرض.

وكل اليهود الذين كانوا معه، أي مع جدليا في المصفاة،

والكلدانيون الذين وُجئوا هناك ورجال الحرب ضربهم إسماعيل" [1-3].

سبق أن تحدثنا في الأصحاح السابق عن إسماعيل بن نثنيا الذي دفعه بعليس ملك عمون على اغتيال جدليا. ولا نعوف ما الذي دفعه إلى هذه

الجريمة، وما الذي دفع ملك

عمون على تحريضه.

هل كان إسماعيل مدفوعاً بغيرة دينية قومية على بلاده حاسباً أن الخضوع لبابل خيانة عظمى؟

أم كان مدفوعاً بعود ملك عمون (40: 14)؟

أم كان الحسد أو العدوة الشخصية مع جدليا؟

أو محبة المال هي الباعث؟

حاسباً نفسه أحق برئاسة الشعب نون جدليا؟

تحدى إسماعيل كل قوانين كرم الضيافة الشريفة في الشرق باغتياله مضيفه بعمل صلخ من أعمال الخيانة.

واضح أن عنصر الحسد له دوره في ارتكاب هذه الجريمة. فإن الحسد يفقد الإنسان أوانه وقدرته على التفكير لصالح غوه وصالح الجماعة

وأيضاً لمجد الله. إنه يدفع الإنسان إلى التهور ليقتل أعماق نفسه، غير مبالٍ بنظرة الله أو الجماعة أو حتى ضموره الداخلي. وكما قيل: "حياة الجسد هواء القلب، ونخر العظام الحسد" (أم 14: 30).

❖ منذ بداية العالم كان الشيطان هو أول من أهلك نفسه ودمّر الآخرين. لقد انكسر بالغيرة مع الحسد المملوء ضغينة، ذاك الذي كان في العظمة الملائكية، مقولاً أمام الله ومحبوياً عنده.

إنه لم يوشق الآخرين بغيرة الغيرة قبل أن يوشق نفسه بها، ولا رشقهم بالأسر قبل أن يُوسر، ولا بالدمار قبل أن يهلك. وفي إغوائه بالغيرة

أفقد الإنسان نعمة الخلود الموهوبة له، وهو نفسه فقد تلك التي كانت له سابقاً.

يالها من شرورٍ عظيمة أيها الأحباء، فقد أسقطت (الغيرة أو الحسد) الملاك، ورألت مجدداً عظيماً وبهيماً، فتلك التي خدع بها الآخرون هو نفسه

بها خُدع! [\[613\]](#)

القديس كبريانوس

❖ لا توجد خطية تفوق الإنسان عن الله والناس مثل خطية الحسد، لأن هذا الموضع أشد خبثاً من محبة الفضة. لأن محب الفضة يفوح متى ربح شيئاً،

أما الحاسد فيفوح متى خسر أحد شيئاً أو ضاع تعب سدى. ويحسب خسائر الآخرين ربحاً له أكثر من أي نجاح، فأبي شرٍ أعظم من هذا؟!!

ينورط الزاني في الخطأ لأجل لذة مؤقتة، وقد تكون للسرقة حجة الفقر، ولكن أي عذرٍ تقدمه أيها الحاسد؟!... الحاسد يعذب نفسه ولو لم يحدث

له ضرر مما يحسده، لهذا خطيئة الحسد أشد الخطايا وأشنعها. لأن الحاسد لا يمكنه مفارقة خطيئته، بل يكون كالخزير المتوغل في الحمأة، ويماتل بفعله

لهذا أقول لكم إنه إن كان أحدكم يصنع المعجزات أو يحفظ البتولية أو يكون صوامًا أو باسطًا كفيّه أو ينام على الأرض ويصل بهذه الوسائط إلى فضيلة الملائكة، ولكن فيه آلام الحسد، فلا محالة يكون أشد من جميع الخطاة وأردأ منهم [\[614\]](#).

❖ الشيطان حاسد، لكنه يحسد البتولية ولا يحسد شيطانًا آخر، أما أنت فإنسان وتحسد أخاك الإنسان، وبالأخص الذين من عائلتك وعشيرتك، الأمر الذي لا يصنعه الشيطان [\[615\]](#).

القديس يوحنا ذهبي الفم

❖ الحاسد لا يرى النور، لأنه يلوم المضيئين ويعييبهم بحسده [\[616\]](#).

الشيخ الروحاني

❖ الحسد جرثومة وأصل الشرور [\[617\]](#).

القديس يوحنا ذهبي الفم

2 . فظائع أخرى:

وكان في اليوم الثاني بعد قتله جدليا ولم يعلم إنسان،

أن رجالاً أتوا من شكيم ومن شيلو ومن السامرة ثمانين رجلاً مخلوقى اللحم ومشققي الثياب ومخمشين، وبيدهم مقدمة ولبان ليدخلوها

إلى بيت الرب.

فخرج إسمعيل بن نثنيا للقائهم من المصفاة سائوا وباكيًا.

فكان لما لقيهم أنه قال لهم:

هلم إلى جدليا بن أخيقام.

فكان لما أتوا إلى وسط المدينة أن إسمعيل بن نثنيا قتلهم وألقاهم إلى وسط الجب هو والرجال الذين معه.

ولكن وُجد فيهم عشرة رجال قالوا لإسمعيل:

لا تقتلنا لأنه يوجد لنا قرآن في الحقل، قمح وشعير وزيت وعسل.

فامتنع ولم يقتلهم بين إختهم.

فالجذب الذي طرح فيه إسمعيل كل جثث الرجال الذين قتلهم بسبب جدليا هو الذي صنعه الملك آسا من وجه بعشا ملك إسرائيل.

فمأله إسمعيل بن نثنيا من القتلى" [4-9].

وي *Thenius* و *Schmieder* أن هؤلاء الرجال جاؤا إلى المصفاة لا إلى أورشليم، لتقديم عبادة في بيت الرب في المصفاة، لكن *Hitzig*

يرفض هذا الرأي حيث لم يرد في التريخ إشارة إلى وجود موضع عبادة جماعية في المصفاة في ذلك الحين، ففي رأيه أن إسمعيل دعاهم إلى المصفاة

لرؤية جدليا [\[618\]](#). هذه الحادثة مكورة جدًا تدل على أن نفس إسمعيل لم تكن منطوية على غوة دينية على بلاده ليخلصها من نير بابل، بل كان رجلاً

سفاحًا ذبح أناسًا أرياء، إذ لم يُذكر سبب لقتل هؤلاء الأرياء.

لسنا نروي هل كانت لهم علاقة بجدليا من قبل أم لا.

واضح أنهم كانوا في حالة حداد على الهيكل الذي دُمر والذبايح التي توقفت والشعب الذي سُبِي، وقد يُستدل على ذلك من كلام إسمعيل الكذاب

وهو يبكي بدموع التماسح، حيث عرف أنهم أتقيا يوحون على الهيكل الذي تهدم، فظهر كمن يشركهم مشاعوهم.

يجوز أن يكون القصد من تقدمتهم تقديمها على المذبح في الموضع الذي كان مخصصًا للهيكل.
كانوا مخمشين، أي بهم جروح قطعية في الجلد، وهو أمر محرم في الشريعة (لا 19: 28؛ 5: 21؛ تث 14: 1؛ إر 16: 6).

ما هو الدافع وراء هذه الجريمة؟

أ. *Graf* وى أن ما فعله إسمعيل مع هؤلاء الرجال كان نوعًا من الانتقام لسفك دماء أقبائهم ورفقائه في الوثبة على يدي الكلدانيين [619].
ب. *Nagelsbash* وى أن ما فعله إسمعيل كان بسبب رغبته في نهب ما لديهم، إذ قتل أناسًا عزل قادمين لتقديم عطايا لبيت الرب المتهم، وفي نفس الوقت أبقى منهم العشرة رجال الذين ادعوا أن لهم خرائن سرية لا يعرف أحد موضعها، وهي في الحقول مملوءة من المحاصيل، فرأى أن يغتصبها... هذا يكشف عن شخصه أنه لص! لكن حديث يوحنا السوي مع جدليا قبل قتله وكشفه عن خطة إسمعيل توضح أن إسمعيل لم يكن يطلب النهب بل تبديد الشعب كله وتحطيم ما فعله جدليا.

3 . سبي البقية وإطلاق سراحها:

انسبي إسمعيل كل بقية الشعب الذين في المصفاة،

بنات الملك وكل الشعب الذي بقى في المصفاة الذين أقام عليهم نبوزرادان رئيس الشرط جدليا بن أخيقام سباهم إسمعيل بن نثنيا،
وذهب ليعبر إلى بني عمون.

فلما سمع يوحنا بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معه بكل الشر الذي فعله إسمعيل بن نثنيا،

أخذوا كل الرجال وساروا ليحاربوا إسمعيل بن نثنيا فوجوه عند المياه الكثرة التي في جبعون.

ولمأرأى كل الشعب الذي مع إسمعيل يوحنا بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معهم فرحوا.

فدار كل الشعب الذي سباه إسمعيل من المصفاة ورجعوا وساروا إلى يوحنا بن قاريح .

أما إسمعيل بن نثنيا فهرب بثمانية رجال من وجه يوحنا وسار إلى بني عمون.

فأخذ يوحنا بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معه كل بقية الشعب الذين استردهم من إسمعيل بن نثنيا من المصفاة بعد قتل جدليا بن

أخيقام رجال الحرب المقتربين والنساء والأطفال والخصيان الذين استردهم من جبعون.

فساروا وأقاموا في جيروت كمهام التي بجانب بيت لحم لكي يسيروا ويدخلوا مصر من وجه الكلدانيين،

لأنهم كانوا خائفين منهم،

لأن إسمعيل بن نثنيا كان قد ضرب جدليا بن أخيقام الذي أقامه ملك بابل على الأرض " [10-18].

سبى إسمعيل بنات الملك، لا يقصد بهن بنات صدقيا فحسب بل كل الأعضاء الأناث في البيت الملكي والأموات اللواتي كن قد وُضعن في

رعاية جدليا، اللواتي تسلمهن من يد نبوخذنصر .

قبل أن يتمكن إسمعيل السفك من الهرب إلى بلاد عمون بمن أراد أن يأخذهم معه من أهل جدليا والشعب عمومًا، هاجمه يوحنا بن قاريح

وبعض الرؤساء الآخرين عند بركة جبعون (2 صم 2: 13) حيث وقع في القديم الصدام بين رجال داود ورجال إيشبوشث بن شاول، ولم يقدر إسمعيل

أن يفلوهم فاضطر أن يتوكل الذين أجروهم إلى ذهاب معه، فهرب ومعه ثمانية رجال إلى بلاد عمون حيث فقد اثنين من رجاله، ولم نعد نسمع عنه شيئًا.

وى البعض أن المياه الكثرة في جبعون ربما تشير إلى بركة جبعون لقران المياه المحفور في الصخر الموجود في الجب، والذي وُجِع

تزيخه إلى العصر الحديدي الأول. هذه الحفرة قد حفرت إلى عمق خمسة وثلاثين قدمًا في الصخر وبها وُجِع نفق على بعد أربعين قدمًا أخرى

مؤديًا إلى قران مياه. وفي القرن السابع ق.م. كان يُصنع النبيذ في منطقة الحفرة وكانت الحوار المختومة تُخزن في مخزن رطبة محفورة في الصخر.

والأى القائل بأن الكلمة هنا يجب أن تكون (جبعة) "Geba" بدلاً من جبعون رأى ليس له قيمة حقيقية.
كان يوحانان بن قزيرح حاسماً وسريعاً في تتبع إسماعيل وقد سبق فحذر جدليا من نواياه الإجمالية.
رأى يوحانان والذين معه أن يهربوا إلى مصر خوفاً من عقاب بابل، وإن كانوا هم أنفسهم لم يثوروا على بابل هذه العوة كإسماعيل.

من وحي إرميا 41

من يتوع عني روح الحسد!

❖ أزع عني روح الحسد يا محب البشر!

قتل إسماعيل جدليا حسداً بلا سبب!

قتل الرؤساء فحطم بلده،

قتل البسطاء والقادمين للعبادة الأتقياء!

قتل وتمادى في القتل، ولم ينتفع شيئاً!

❖ من يزوع عني روح الحسد؟

بث إبليس روحه فينا،

هذا الذي حرمانا من الفوس وهو لم يدخله!

صرنا أشر منه،

فالشيطان لا يحسد شيطاناً،

أما الإنسان فيحسد أخاه الإنسان!

❖ وبجي أنا الشقي!

بالحسد لا أطلب نجاح نفسي بل فشل إخوتي!

بالحسد يحترق قلبي لا لشيء إلا لنجاح الغير!

بالحسد يضيق قلبي جداً،

فلا يسمح بدخول أحد!

بالحسد أطرد خلج الكنيسة،

بل وأفقد جمال إنسانيتي!

❖ بالحسد سقط جباوة إيمان!

بالحسد صلت عبادتهم عانقاً في طويق نموهم!

بالحسد حُرم صانعو عجائب من التمتع بك!

بالحسد تسلل الموت حتى إلى بعض الخدام الناجحين والنسك والمتوحدين!

إنه لصّ خفيّ خطير،

له مداخل خفية إلى أعماق النفس!

❖ من يزوع عني الحسد،

إلا أنت يا محب البشر؟!
يحملني روحك القنوس إلى حضن أبيك،
أجده متسعاً للجميع،
فأصير أنا متسعاً للكل!
❖ بصليتك حطمت حسد إبليس العامل في،
ووهبتني حبك الإلهي الفائق!
فأشتهي أن أقتدي بك يا من صوت آخر الكل!
هب لي أن أنطلق معك إلى الصف الأخير،
أبسط يديّ مع يديك لاحتضن الجميع.
أشتهي أن أتألم معك ليستريح الكل،
وأن أحمل عرك لتتجدد كل نفس،
وأفقد كل شيء لكي يغتني الجميع بك.
نعم، لأمت معك وليحيا الكل بك!

<<

الأصحاح الثاني والأربعون

قد خدعتم أنفسكم!

كما سبق فأينا أن يوحنا وكل رؤساء يهوذا قد وضعوا في قلوبهم أن يذهبوا إلى مصر مهما تكن الظروف! كانوا مصممين على ذلك، لكنهم خدعوا أنفسهم حين ذهبوا إلى رميا النبي يطلبون منه أن يصلي لأجلهم ويطلب باسمهم مشورة الرب. ربما قصصوا بالمشورة معرفة الطريق الذي يسلكونه في ذهابهم إلى مصر.

كثيراً ما يخدع الإنسان نفسه [20] حين يريد أن يحرك الله حسب هواه، لا أن يخضع لحكمة الله وخطته ومشورته.

يتضح من الحديث الأول [1-6] بين رميا والرؤساء أن النبي لم يعرف أنهم مصممون على الذهاب إلى مصر. على أية حال لم يُظهر لهم إلا كل رقة ولطف، فوعدهم باستشارة الله في الأمر. ولعله هو نفسه لم يكن يعرف ما هو الأفضل لهم، الذهاب إلى مصر أم البقاء.

تأخر جواب الله مدة عشرة أيام. ولعل الرؤساء فضلوا هذا التأخر، وإذ رأوا رميا وافق صديقه بلروخ كل هذه المدة وهم عالمون أن بلروخ لا يحبذ الذهاب إلى مصر، اتهموا رميا بأنه لم يتلق جوابه من الله بل من بلروخ. أما نحن فلا نستغوب الجواب لأنه ينسجم مع كل أفكار رميا السابقة وإرادة الله نحو شعبه، وهو الخضوع لبابل حتى يوج الله عنهم بعد مدة من الزمن.

لم يتعلموا الثقة في الله بلا قيد أو شرط في كل ظروف الحياة (في 4: 19)، فقد كان اهتمامهم منصباً على معرفة إن كان الله يوافق على خطتهم للهروب إلى مصر أم لا، وبذلك لا يبحثون عن الإرشاد الروحي بمعنى الكلمة (41: 17). وبينما يتعهدون بالطاعة كانوا يظنون أن الله على استعداد لمباركة خطتهم.

- 1 . طلب مشورة الله [1-3].
- 2 . رميا يسأل الله [4].
- 3 . اليهود يعدون بالطاعة [5-6].
- 4 . الرسالة الإلهية: بركة مشروطة [7-12].
- 5 . لعنة العصيان [13-22].

1 . طلب مشورة الله:

"فتقدم كل رؤساء الجيوش ويوحانان بن قاريح ويونيا بن هوشعيا وكل الشعب من الصغير إلى الكبير.
وقالوا لإرميا النبي:

ليت تضرعنا يقع أمامك فتصلي لأجلنا إلى الرب إلهك لأجل كل هذه البقية.

لأننا قد بقينا قليلين من كثيرين كما وانا عيناك.

فيخبرنا الرب إلهك عن الطريق الذي نسير فيه والأمر الذي نفعله" [1-3].

اقترّب الكل، الرؤساء مع الشعب، الكبير مع الصغير، بروح واحدٍ إلى رميا يحملون مظهر الاتضاع والاحتياج إلى صلوات رميا من أجلهم، ويعترفون أنهم صاروا قليلين من كثيرين، ويسألون مشورة الله. ربما استطاعوا بمظهورهم وكلماتهم أن يخدعوا النبي إلى حين، لكنهم لن يخدعوا الله فاحص القلوب والعلف بأسولهم وأفكلهم الخفية.

طلبوا صلوات رميا لكنهم لم يشلوكه الصلاة، فلا يكفي أن نطلب من الغير، حتى إن كانوا أنبياء الصلاة لأجلنا دون أن نصلي نحن أيضًا

لأجل أنفسنا.

لم يقولوا "الهنا" بل الرب "إلهك"، حيث الإحساس بالبُعد عن الله؛ إذ لم يشعروا بإمكانية الاقتراب إليه بنقّة.

اعترفوا أنهم صاروا قليلين من كثيرين دون أن يذكروا السبب وهو عصيانهم المستمر لكلمة الرب التي نادى بها الأنبياء.

لقد انتظروا من الرب أن يجيبهم حسب شهوة قلوبهم، إذ ظنوا أنه لن يسمح الله ببقاء البقية في يهوذا ليقتلها نوخذ نصر انتقامًا لمقتل جدليًا

ومن معه، بل بالضرورة يعلن الله لإرميا أن يهربوا إلى مصر! لقد رأوا أن يكشف الله لهم عن الطريق الذي يسلكه بأمان للذهاب إلى مصر، وما

يفعله، لا أن يعلن لهم إن كانوا يذهبون إلى مصر أم يبقون في يهوذا.

2 . رميا يسأل الله:

"فقال لهم رميا النبي:

قد سمعت.

هأنذا أصلي إلى الرب إلهكم كقولكم،

ويكون أن كل الكلام الذي يجيبكم الرب أخبركم به.

لا أمنع عنكم شيئًا" [4].

جاءت كلمات رميا لهذا الشعب تكشف عن شخصيته العجيبة ومشاعره الرقيقة نحو شعب الله، إذ نلاحظ في هذه الإجابة:

أ. يقول: "قد سمعت" [4]. لقد عانى الأميين من الرؤساء والشعب، قضى عشرات السنوات يحرقهم، مقدمًا لهم مشورة الله أن يخضعوا لملك

بابل، دون أن يسمعو له ولإلهه، والآن إذ دخلوا في ضيقة وحملوا مظهر الطاعة لم يوبخهم بكلمة جلحة عن تصرفاتهم القديمة، ولم يغلق باب الرجاء

أمامهم، بل بروح الاتضاع يقول: "قد سمعت"! انحنى بقلبه كما بأذنيه، بل وبكل كيانه ليسمع كلمات الشعب ويصغي إليهم! إنه ليس بالقائد الأمر الناهي، بل بالأب الذي ينصت لصوت ولاده لعله يزوع عنهم روح العصيان.

ما أصعب أن ينحني الوالدان أو الكاهن أو القائد نحو الغير لينصت إليهم في طول أناة دون عتاب في الماضي أو تجريح بسبب أخطاء سابقة!
ب. يقول: "هأنذا أصلي إلى الرب"؛ هذا هو عمله الأول كنبى وكاهن! كأنه يقول مع صموئيل النبي: "أما أنا فحاشا لي أن أخطئ إلى الله وأكف عن الصلاة من أجلكم" (1 صم 12: 23)، حاسباً التوقف عن الصلاة حتى من أجل المعاندين خطية موجهة ضد الله نفسه الطالب خلاصهم!

ج. إن كانوا قد شعروا بالبعد عن الله فقالوا لإرميا النبي: "الرب إلهك" [2]؛ يرد لهم الثقة فيقول لهم: "الرب إلهكم"؛ وكأنه يعاتبهم قائلاً: "لماذا لا تنسبون الرب إليكم، إنه إلهكم الذي يطلب مملكته فيكم؟!"

القائد الحق لا يُكثر من كلمات التوبيخ بل يبعث في مخدوميه روح الرجاء في الرب، يربطهم به.
د. مع لطفه ورقته في إجابته عليهم يؤكد أيضاً صواحته ووضوحه، فإنه لن يخفي عنهم شيئاً مما ينطق به الرب، حتى إن جاءت الإجابة ليست حسب هواهم!

يحمل رميا النبي الحب الحق والعزم. يتسع قلبه جداً، ولا يجرح مشاعر أحد، لكن ليس على حساب الوصية الإلهية.

3. اليهود يعدون بالطاعة:

"ليكن الرب بيننا شاهداً صادقاً وأميناً إننا نفعل حسب كل أمر يوسلك به الرب إلهك إلينا.

إن خيراً وإن شراً،

فإننا نسمع لصوت الرب إلهك الذي نحن مرسلك إليه ليحسن إلينا إذا سمعنا لصوت الرب إلينا" [5-6].

وعد اليهود رميا النبي بالطاعة الكاملة لله، مهما كانت إجابة الرب أو مشورته لهم. لم يكن ممكناً لإرميا أن يكذبهم، فهو لا يعرف أسرار قلوبهم، لكنه إذ تحدث مع الله كشف له عما يضمرونه في داخلهم [20-23].

4. الرسالة الإلهية: بركات مشروطة:

"وكان بعد عشوة أيام أن كلمة الرب صلت إلى رميا.

فدعا يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش الذين معه وكل الشعب من الصغير إلى الكبير، وقال لهم:

هكذا قال الرب إله إسرائيل الذي أرسلتموني إليه لكي ألقى تضرعكم أمامه.

إن كنتم تسكنون في هذه الأرض فإني أبنىكم ولا أنقضكم، وأغرسكم ولا أقتلعكم.

لأنني ندمت عن الشر الذي صنعتته بكم.

لا تخافوا ملك بابل الذي أنتم خائفوه.

لا تخافوه يقول الرب، لأنني أنا معكم لأخلصكم وأنقذكم من يده.

وأعطيكم نعمة فيرحمكم ويوحدكم إلى أرضكم" [7-12].

سمح الرب بأن تمر عشوة أيام قبل أن يجيب على النبي، وهذا أمر له أهميته:

أ. تعطى هذه الأيام العشرة الفصة للشعب أن يستعوا روحياً ونفسياً للإجابة الإلهية، فيتهيأوا للطاعة له.

ب. ربما أعطت هذه الأيام فرصة لإرميا النبي لكي يتقدس ويتأهل للتعرف على رادة الله.

ج. العدد عشوة يرمز إلى الوصايا العشرة التي أعطيت على جبل سيناء. بمعنى أنهم مسؤولون أن واجعوا أنفسهم لئلا يكونوا قد كسروا

الوصية الإلهية، فالأمر لا يقف عند اختيار مكان السكن قدر الاهتمام بالطاعة للوصية وقبول المشورة الإلهية.

د. في هذه الأيام العثرة لم يتقابل لميا مع الشعب إذ لم يرد أن يكون له رأي شخصي عن الطريق الذي يسلكونه، بل انتظر التوجيه الكامل من

الرب.

مع أن الله يعلم نيتهم وهي الإصوار على الذهاب إلى مصر، وعدم طاعتهم لإرادته الإلهية، لكنه قدم لهم فرصة الرجوع عن شومهم؛ قدم لهم بركات مشروطة. بدأ بالحديث عن بركات الطاعة لإرادته والخضوع لمشورته قبل الحديث عن لعنة العصيان، فاتحاً باب الرجاء أمامهم. جاءت الإجابة تحمل وعداً إلهياً يكشف عن شوق الله إلى بنائهم كبيت مقدس له، وغرسهم ككرمة من غرس يدي الله . إنها إجابة مملوءة رجاء! من جهتهم لم يكونوا بعد قد قدموا أية توبة صادقة، ومع ذلك أظهر الرب رحمة وحنواً وإحساناً حسب غنى نعمته، فإذا ما اتكوا على نواحيه القوية وهم في ضعفهم هذا وسكوا في الأرض التي أعطاهم إياهم وإذا ما تقبلوا تأديبه وانحوا خضوعاً لكلمته يبينهم ويهتم بهم، عندئذ لا يخافوا من ملك بابل. مهما كان الخراب الذي شمل الأرض لآلت هناك بركة لأجل البقية القليلة.

بركات الطاعة هي:

أ. الله نفسه يبنينهم [10].

ب. لن ينقضهم.

ج. الله يغرسهم.

د. لن يقتلعهم.

هـ. يندم الله على الشر (التأديب) الذي صنعه معهم. معني ندامة الله [10] ليس أن الله يندم كإنسان، بل إنه يكتفي بقصاص الشعب إلى هذا الحد

إذا عاد إليه بالتوبة.

و. ينفذهم من ملك بابل [11].

ز. يظهر لهم العواحم الإلهية [12].

ح. يُظهر لهم ملك بابل الوثني والعدورحمة.

ط. يودهم إلى أرضهم، أرض الموعد.

هكذا إذ نسمع لصوت الرب يسمع هو لنا. نسمع له لا بالكلام فقط بل وبالسلوك فيسمع لنا بالمواعيد الإلهية العاملة فينا.

❖ يجعلنا بيته الخاص الذي لا يُبنى بيد بشوية بل بالزراع الإلهي؛ يبنى ولا ينقض.

❖ يغرسهم بيديه ككرمته الخاصة، يرويها بدمه الثمين، ويفيض عليها بينابيع حبه... لن يقتلعها.

❖ يرفعها من مرحلة التأديب الورة ليحتضنها بزواحيه ويجعل منها عروسه المحبوبة لديه.

❖ ينفذها من إبليس (ملك بابل) وكل جنوده الشريرة وأعماله الوديئة، فلا يكون للعدو سلطان عليها، ولا للخطية قوة... بل يحطم مملكة إبليس ويكسر

شوكة الخطية.

❖ تتحول حياتها إلى خوات مستورة للتمتع بالعواحم الإلهية غير المنقطعة.

❖ يعطيها نعمة حتى في أعين العنفاء (ملك بابل) فتجد رحمة.

❖ يجعل من أرض الموعد أرضها التي ترجع إليها؛ أو يرد النفس إلى حضن الأب حيث تجد استورها الأبدية!

5. لعنة العصيان:

وَإِنْ قَلْتُمْ لَا نَسْكُن فِي هَذِهِ الْأَرْضِ وَلَمْ تَسْمَعُوا لَصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ،
قَاتِلِينَ لَا بَلَّ إِلَى أَرْضِ مِصْرَ نَذْهَبُ حَيْثُ لَا نُوِي حَرْبًا،
وَلَا نَسْمَعُ صَوْتِ بَوَاقٍ، وَلَا نَجُوعُ لِلْخَبْزِ، وَهَنَّا نَسْكُنُ.
فَالآنَ لِذَلِكَ اسْمَعُوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يَا بَقِيَّةَ يَهُودَا.

هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ:

إِنْ كُنْتُمْ تَجْعَلُونَ وَجُوهَكُمْ لِلدَّخُولِ إِلَى مِصْرَ وَتَذْهَبُونَ لِتَتَغْرَبُوا هُنَا،
يَحْدُثُ أَنَّ السَّيْفَ الَّذِي أَنْتُمْ خَائِفُونَ مِنْهُ يَدْرِكُكُمْ هُنَا فِي أَرْضِ مِصْرَ،
وَالْجُوعَ الَّذِي أَنْتُمْ خَائِفُونَ مِنْهُ يَلْحَقُكُمْ هُنَا فِي مِصْرَ فَيَمُوتُونَ هُنَا.

وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الرِّجَالِ الَّذِينَ جَعَلُوا وَجُوهَهُمْ لِلدَّخُولِ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغْرَبُوا هُنَا يَمُوتُونَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ،
وَلَا يَكُونُ مِنْهُمْ بَاقٍ وَلَا نَاجٍ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي أَجْلِبُهُ أَنَا عَلَيْهِمْ.

لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ.

كَمَا انْسَكَبَ غَضَبِي وَغِيظِي عَلَى سَكَانِ أُورُشَلِيمَ هَكَذَا يَنْسَكِبُ غِيظِي عَلَيْكُمْ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى مِصْرَ،
فَتَصِيرُونَ حَلْفًا وَدَهْشًا وَلَعْنَةً وَعَلَا وَلَا تَرُونَ بَعْدَ هَذَا الْمَوْضِعِ.

قَدْ تَكَلَّمَ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَا بَقِيَّةَ يَهُودَا لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ.

اعْلَمُوا عَلَمًا إِنِّي قَدْ أَنْزَرْتُكُمْ الْيَوْمَ.

لِأَنَّكُمْ قَدْ خَدَعْتُمْ أَنْفُسَكُمْ،

إِذْ أُرْسَلْتُمُونِي إِلَى الرَّبِّ إِلَهُكُمْ، قَاتِلِينَ:

صَلِّ لِأَجْلِنا إِلَى الرَّبِّ إِلَهُنا،

وَحَسَبِ كُلِّ مَا يَقُولُهُ الرَّبُّ إِلَهُنا هَكَذَا أَخِيرْنَا فَنَفْعَلُ.

فَقَدْ أَخْبَرْتُمْ الْيَوْمَ، فَلَمْ تَسْمَعُوا لَصَوْتِ الرَّبِّ إِلَهُكُمْ،

وَلَا لِشَيْءٍ مِمَّا أُرْسَلْنِي بِهِ إِلَيْكُمْ.

فَالآنَ اعْلَمُوا عَلَمًا أَنَّكُمْ تَمُوتُونَ بِالسَّيْفِ وَالْجُوعِ وَالْوَبَاءِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ابْتَغَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوهُ لِتَتَغْرَبُوا فِيهِ" [13-22].

بعد أن تحدثت عن بركات السلوك حسب مشورته قدم لعنة العصيان:

أ. من يذهب إلى مصر يلحقه السيف، أو يسقط تحت الجوع أو يتعرض للوباء، وهناك يموت [10-16]، إن كان يهرب من يهوذا خشية انتقام ملك بابل منه فإنه في الواقع يهرب من الأمان إلى الهلاك المحقق.

ب. الله الصانع الخوات، محب البشر، يجلب عليهم شراً (تأديباً) لن يهربوا منه، إذ يسقطون تحت غضبه الإلهي.

ج. الذين يهربون إلى مصر جميعهم لا ينجون.

د. الذين يذهبون إلى مصر لن يروا أرض الموعد بعد.

مسكين من يظن أن الوصية الإلهية تفقده شيئاً أو تحرمة من الملذات!

عصيان الرب يدفع إلى الهلاك غير المتوقع، ويحرم الإنسان من مصدر حياته، ويفقده الأحضان الإلهية.

لقد جاءت إجابة الله تفصح رياءهم وتكشف عن تمسكهم بآرائهم الذاتية، إنه فاحص القلوب الذي يطلب تقديسها وتطهوها خاصة من الرياء.

فُذُّ حياتي،
فلا أخدع نفسي!

❖ حنرتي يا إلهي لئلا أخدع نفسي!

إني لا ألوم الناس،

ولا اعتذر بالظروف المحيطة بي،

لكنني أعترف:

إني كثوًّا ما أخدع نفسي!

أطلب مشورتك،

وأنا أطلب ما تريده نفسي!

❖ فُذُّ حياتي،

علمني، ربني أيها القائد الحق،

فأسر بمشورتك،

حتى وإن بدت مرّة!

❖ بركتك مشروطة بالطاعة.

من يسمع صوتك ينعم بمواعيدك،

ويتمتع بما نظنه مستحيلًا!

❖ من يعصي وصيتك،

ويرفض مشورتك،

يسقط تحت اللعنة!

❖ نعم! طريقك فيه أمان،

أما طريقي الذي اخترته لنفسي فغير آمن!

⏪

الأصحاح الثالث والأربعون

حمل إرميا إلى مصر قسراً

بالرغم من قوة حجة إرميا وأمانته الشخصية التي كشفتها الأحداث الماضية إلا أنهم اتهموه بالكذب، لأنه أخوهم بما لم يحسبوا أن يسمعوا؛

ونسوا كلماته إلى بلروخ كاتبه، قائلين عنه إنه سيطر على مشاعر رميا لكي يقدم رسالة تخالف رادة الله.

من المؤلم أن يتهموا رميا أن نبوته كاذبة، لا ينطق بكلمة الرب بل يتكلم بالكذب. قالوا نحن سألتناك أن تقول لنا كلمة الرب لكنك أخوتنا بأقوال بلروخ لكي يدفنا في يد الكلدانيين فيقتلوننا ويقومون بسبينا. لم يتهموا رميا مباشرة لكنهم جعلوا بلروخ كبش الفداء وألقوا باللوم عليه. حقًا عمل بلروخ بأمانه مع رميا وعوض حياته للخطر في تنفيذ ما أوكل إليه، لكن الادعاء بأن النبي يتم رادة بلروخ إدعاء غاية في الغباء يدل على عدم الإيمان والعناد.

لم يهتم رميا بالرد على هذا الاتهام؛ كما لم ييأس منهم، بل استمر في خدمته لهم حتى النهاية.

1. الذهاب إلى مصر [1-7].

2. التنوء بغزو مصر [8-13].

1. الذهاب إلى مصر:

"وكان لما فرغ رميا من أن كلّم كل الشعب بكل كلام الرب إلههم الذي أرسله الرب إلههم إليهم بكل هذا الكلام، أن عزريا بن هوشعيا ويوحانان بن قاريح وكل الرجال المتكبرين كلّموا رميا قائلين: أنت متكلم بالكذب.

لم يرسلك الرب إلهنا لتقول لا تذهبوا إلى مصر لتتغربوا هناك.

بل باروخ بن نيريا مهيجك علينا لتدفعنا ليد الكلدانيين ليقتلونا وليسبونا إلى بابل" [1-3].

كانوا يتطلعون إلى الله لا كرب يطبعونه بل كقوة يستخدمونها ^[620].

ينطبق على هذا الشعب المتكبر والعنيد ما سبق فقالة الله عن الذين رأوا بناء ورج بابل: "والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينون أن يعملوه" (تك 11: 6). فالكروياء هو والد العصيان والاستخفاف بالوصية الإلهية. هنا في كروياتهم لم يعلنوا عصيانهم للمشورة الإلهية، بل نسوا لإرميا النبي الكذب، لا لشيء إلا ليعطوا لأنفسهم عذرًا للسلوك حسب هواهم، حاسبين في أنفسهم أنهم حكماء.

لم يستطيعوا أن ينكروا نوبة رميا، لكنهم اتهموه أنه لا يسأل الله بل يحركه كاتبه بلروخ.

مع مقاومتهم لإرميا واتهاماتهم المستعرة ضده، كانوا بلاشك يهاجمونه كرجل الله الذي وحده يعلن لهم رادة الله الحقة ويقدر أن يشفع فيهم، لهذا حملوه معهم قسورًا إلى مصر.

"فلم يسمع يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش وكل الشعب لصوت الرب بالإقامة في أرض يهوذا،

بل أخذ يوحانان بن قاريح وكل رؤساء الجيوش كل بقية يهوذا الذين رجوا من كل الأمم الذين طوحوا إليهم ليتغربوا في أرض يهوذا،

الرجال والنساء والأطفال وبنات الملك وكل الأنفس الذين تركهم نبوزرادان رئيس الشرط مع جدليا بن أخيقام بن شافان وإرميا النبي وباروخ

بن نيريا.

فجؤا إلى أرض مصر:

لأنهم لم يسموا لصوت الرب،

وأثوا إلى تحفحيس" [1-7].

لو أن هؤلاء الرؤساء ووطنيون بحق لما ذهبوا إلى مصر واختاروا أشهر مدنها الحصينة في ذلك الحين، وإنما كانوا يفضلون البقاء في وري

يهوذا ليشركوا المتألمين من الشعب المُعدم عن التمتع بمدن مصر.

لم يكتفِ الشعب برفض مشورة رميا الخاصة بالهروب إلى مصر، وإنما حملوه هو وصديقه بلوخ معهم إلى مصر قسواً. كنا نتوقع أن يتّكروا رميا في أرض يهوذا ولا يأخونه معهم إلى مصر، لأنه كان يعرضهم بشدة في ذهابهم إلى مصر، لكنهم حملوه قسواً، إما لأنهم كانوا لا زالوا يحتمونه كنبى يستطيع أن يشفع فيهم في أرض غربتهم بالرغم من مقاومتهم له؛ أو لأنهم خشوا من وجوده في أرض يهوذا لئلا يتحالف هو وتلميذه مع بابل ضد بلده كعميلين لبابل.

لو أن رميا وبلوخ عميلان لبابل لذهبا إلى بابل من البداية ونالا كرامة، ولم يبقيا وسط الشعب الفقير جداً يشلكانه آلامه. لكن هؤلاء الرؤساء الأثوار فسروا بقاءهما أنهما يعملان لحساب الكلدانيين، خاصة بلوخ، وأنهما يطلبان بقاء الرؤساء حتى يسقطوا في شباك بابل ويقتلوه أو يسوهم. ذهبوا إلى **تحفحيس**، أو تحفيس، جاءت في الترجمة السبعينية "تفينس"، تُسمى باليونانية "دفنة". يبدو أنه كان لملك مصر قصر في تحفحيس، يأتي إليه مع حاشيته حين يجيء في أسفاره إلى هناك، خاصة وأن تحفحيس مدينة محصنة.

كانت مدينة هامة في أيام رميا وحزقيال. وجد سير فلنדרز بيوي *Sir Flinders Petrie* موقع تحفيس، وعرفت بـ "تل دفنه"، مدينة مصوية محصنة في أقصى شوق الدلتا، على بعد 10 أميال غربي القنطرة، جاءت في الترجمة السبعينية "تفنيست"، أما معناها فهو "حصن أو قلعة بناحس *Penahse*". كان بناحس غالباً قائداً صاحب سلطان من طيبة، عاش في القون 11 ق.م، قام بثورة في الشمال، فنشأت عدة مدن تحمل اسمه.

2. التنبؤ بغزو مصر:

تبرز شجاعة رميا الذي حُمل مع كاتبه بلوخ قسواً إلى مصر، في بلدٍ غريبٍ، ولم يكن معه أحد يقف بجوله سوى بلوخ. ومع هذا نطق بنواته بكل جرأة ضد فوعن مصر وضد اليهود الهلبيين إليها. لقد أعلن لهم أنهم هربوا من بابل إلى مصر، هوذا تبلغ إليهم بابل حيث تُعلن سلطانها على مصر.

بالرغم من عصيانهم وذهابهم إلى مصر، لم يمنع الله عنهم النوبة، فتنبأ رميا وهو في مصر. أنه يود أن يفتقد شعبه أينما وُجوا. لم يكن الموضوع هو الذي يحث رميا على الشهادة بكلمة الرب، بل القلب النزي الذي لا يفتقر عن أن يستجيب لروح الرب، لذا نجد **رميا ينطق بكلمة الرب أينما وجد** حتى إن حُمل إلى بلدٍ غريبٍ لا يريد أن يقطنه:

أ. تنبأ في آذان أورشليم (2: 1).

ب. في أبواب بيت الرب، فكان يشهد للداخلين للسجود هناك (7: 1-2).

ج. في كل أبواب أورشليم (17: 19).

د. عند مدخل باب الفخري حيث يسمع ملوك يهوذا وسكان أورشليم كلمة الرب (19: 1-3).

هـ. في قصر الملك (22: 1-3).

و. في دار بيت الرب حيث يتكلم مع القادمين للسجود من كل مدن يهوذا (26: 1-2).

ز. في السجن (32: 6).

ح. في أرض مصر (34: 8-44).

بلاشك لم يكن رميا سعيداً في مصر للأسباب التالية:

أ. كانت مصر مملوءة بالأصنام.

ب. لم يكن شعبه متعاطفاً معه، ولم يكن يتوقع منهم معاملة حسنة.

ج. لا ننسى أنه حُمل إلى مصر وهو الذي نادى بعدم الالتجاء إليها، فلم يكن يتوقع معاملة طيبة من أى رجلٍ حكوميٍّ في مصر، إذ كانت أفكره

ثم صلت كلمة الرب إلى لرميا في تحفحيس قائلة:

خذ بيدك حجرة كبرية واطرها في الملاط في الملبن الذي عند باب بيت فوعون في تحفحيس أمام رجال يهوذا، وقل لهم:

هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل.

هأنذا أرسل وأخذ نبوخنصر ملك بابل عبي وأضع كرسيه فوق هذه الحجرة التي طمرتها فيبسط ديباجه عليها.

ويأتي ويضرب أرض مصر،

الذي للموت فلموت،

والذي للسبي فلسبي،

والذي للسيف فلسيف.

وأوقد نرا في بيوت آلهة مصر، فيحرقها ويسببها ويلبس أرض مصر كما يلبس الواعي رداءه ثم يخرج من هناك بسلام.

ويكسر أنصاب بيت شمس،

ويحرق بيوت آلهة مصر بالنار" [8-13].

لا يُعرف إن كان هذا قد تحقق فعلاً أم كان ذلك رؤيا يتحدث عنها لرميا وسط شعبه لتأكيد هجوم بابل على مصر، خاصة وأن ذهاب لرميا

النبي مع بعض رجال يهوذا إلى حور القصر في بلد غريب أمر صعب. جاء في بعض النسخ أن هذا تم ليلاً أو سواً.

لقد جاء هذا الهجوم متأخراً جداً، عام 568 ق.م، ولم يذكر التزيخ هجوماً لبابل على مصر قبل هذا التزيخ.

ويلحظ في نواته التي نطق بها في مصر الآتي:

أ. حملت النوة شقين الأول ورد هنا في هذا الأصحاح حيث تنبأ لرميا عن خراب مصر، والثاني في الأصحاح التالي حيث تنبأ عن اليهود الذين

في مصر. سبق فقال لهم إنهم إن ذهبوا إلى مصر فالسيف يتبعهم هناك، الآن يحدد هذا السيف وهو سيف نبوخنصر. جاء في قوة من نص بابلي أن

نبوخنصر غزا مصر عام 7/568 ، وقد ترك فوعون أحمس (أماسيس) على العرش يملس السياسة البابلية [621]. لقد صلت هذه النوة واقعاً

تاريخياً إذ غزا ملك بابل مصر مرتين وهزمها، هذا أمر غير مشكوك فيه [622].

ب. إن كانوا قد أصروا على الذهاب إلى مصر ولم يسموا لصوت الرب، فإن صوت الرب يذهب إليهم هناك ليحثهم على التوبة.

ج. ملك بابل وهو من أعظم عابدي الأصنام، يُكرم الشمس في معابده وأصنامه، مع ذلك يأتي إلى مصر في "بيت شمس" ليحطم أصنام الشمس

المصرية.

د. في مثل الحجرة المطمورة في الطين يشبه بابل بالحجرة الضخمة القوية ومصر بالوحل، لقد تغطت الحجرة بالوحل فلم ير اليهود قوة

بابل، لكن حتماً زال الوحل ويكتشف اليهود الهاربين إلى مصر سلطان بابل.

هـ. في [12] الواعي الذي يرتدي ثوبه يعني أن نبوخنصر يصير سيداً على مصر بسوعة وبسهولة جداً كواج يعبر بقطيعه من موضع إلى

آخر فيرتدي ثوبه. أو أن ملك بابل يلتحف بمصر حوله كما يرتدي الواعي ثوبه بسهولة وسوعة [623]. أو أن مصر تصير في قبضة ملك بابل تماماً

كما يسيطر الواعي على ثوبه حين يرتديه في ليلة قرصة الورد.

و. بالنسبة لحرق معابد مصر [13]، كانت العادة في الشرق الأوسط عندما يغزو ملك بلداً ما يحطم معابدها ويستولي على أصنامها ليأخذها

معه. جاء في يودية من جزوة الفيلة بجوار أسوان بأنه حدث سطو على المعابد بواسطة Cambyses الحاكم الفارسي عندما هزم مصر [624]. وغالباً

❖ هب لي يرب أن أحتمي فيك،
لا في مدينة فوعن الحصينة!
فالتحف بنعمتك واتحصن باسمك،
عوض الاختفاء في حصون البشر!



الأصاحح الرابع والأربعون

نواته في مصر

إذ هاجر اليهود قبل خراب أورشليم سنة 587 ق.م. إلى مصر تشتتوا هناك في مواضع مختلفة، فذهب بعضهم إلى مجدل وآخرون إلى تحفحيس ونوف وأيضاً إلى صعيد مصر. قدم لهم رميا النبي عندما حُمل إلى مصر كما من المنفي كلماته الأخوة، تحمل ملخصاً لأحادية السابقة (ص 7، 25).

في هذا الأصحاح يوبخ رميا النبي اليهود الذين في مصر بوجه عام [\[625\]](#) وإلى تجمعات خاصة بهم في البلاد الكبيرة. عوض التوبة اشتكوا في عبادة الأوثان، بل واندفعوا فيها، وظنوا أنها تُقدم لهم الكثير، وقدموا تورات لملستهم العبادة الوثنية، لذلك يعلن الله قضاءه عليهم كما على المصريين الذين اتكوا عليهم وشكروهم عبادتهم. لقد نسوا ما حلّ بأبائهم بسبب انرفهم إلى الوثنية ولم يأخذوا درساً من الماضي.

1. موجز الأحداث [1-6].

2. التنديد والمحاكمة [7-14].

3. الرد المعوي للبقية [15-19].

4. رسالة رميا الأخوة [20-30].

1. موجز الأحداث:

"الكلمة التي صلت إلى رميا من جهة كل اليهود الساكنين في أرض مصر،
الساكنين في مجدل وفي تحفحيس وفي نوف وفي أرض فتروس قائلة:
هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل:

أنتم رأيتم كل الشر الذي جلبته على أورشليم وعلى كل مدن يهوذا،

فها هي خربة هذا اليوم وليس فيها ساكن.

من أجل شروهم الذي فعلوه ليغيظوني،

إذ ذهبوا ليعبدوا آلهة أخرى لم يعرفوها هم ولا أنتم ولا آباؤكم.

فلرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكراً ومرسلاً قائلًا:

لا تفعلوا أمر هذا الرجس الذي أبغضته.

فلم يسمعوا، ولا أمانوا أنذهم ليرجعوا عن شروهم،

فلا يبخروا لآلهة أخرى.

فانسكب غيظي وغضبي واشتعلنا في مدن يهوذا وفي شوارع اورشليم،

فصلرت خربة مقفوة كهذا اليوم" [1-6].

يتحدث رميا بكلمة الرب إلى اليهود الذين تشتتوا في مصر. فإنهم وإن كانوا قد عصوا الرب، والتجؤوا إلى مصر عوض الالتجاء إلى الله

بالتوبة، فإن الله لا يتوكلهم يهلكون، إنما يتحدث معهم حتى في الشتات.

أ. **مجدل** : لفظ سامي معناه "وج" أو قلعة". وهي مدينة حصينة في شمال شرقي مصر، تجاه البحر الأحمر، ليست بعيدة عن منطقة البلسم (خر 14: 2؛ عد 33: 7). ربما كانت تل المسخوطة شرقي الإسماعيلية أو تل الهير جنوبي الفوما. العبلة "من مجدل إلى اسوان" تشير إلى تخمي مصر

الشمالي والجنوبي كما تشير العبلة "من دان إلى بئر سبع" إلى تخمي فلسطين الشمالي والجنوبي.

ب. **تحفحيس**: سبق الحديث عنها في الأصحاح السابق.

ج. **نوف** : مأخوذه عن العوي "موف" لممفيس عاصمة مصر السفلي، على ضفة النيل الغربية، لها ثلاث أسماء على الآثار:

❖ "انب - مج"، "السور الأبيض".

❖ "من نفر" أي "المسكن الجيد"، وقد جاء الاسمان نوف وموف مشتقين من هذا الاسم.

❖ وأخراً "حوت كاتباح" ومعناه "بيت الروح تباح"، ومنه اشتق الاسم اليوناني "ايجيبوتوس" لمصر كلها.

تبعد هذه المدينة نحو 12 ميلاً جنوبي القاهرة. ووى هيروودت أن أول ملوك مصر "مينيس" هو الذي أسسها، ومن أشهر مبانيها هيكل أبيس، وقبر ايزيس، وهيكل السوابيوم، ومقبرة موف العظيمة. تنبأ النبيان إشعياء ولرميا بخوابها (46: 29). وقد تمّ ذلك على يدي قميبيز سنة 525 ق.م، أي بعد حوالي 45 عامًا من نوبة رميا (600 ق.م). انحطت بالأكثر بعد بناء الإسكندرية، وأستخدمت حجرتها في بناء القاهرة. حاليًا في مكانها قرية ميت رهينة، ويوجد أبو الهول من الرممر وتمثال كبير لومسيس الثاني.

د. **فتروس** : كلمة مصرية تعني "أرض الجنوب"، وهو الوصف العام لصعيد مصر (إش 11: 11) المعروف في النقوش الأثرية باسم *Pa-tu-ri-si* باتوريس. تُعرف بمنطقة "طيبة"، جاء ذكرها بين مصر وكورش (إش 11: 11)، وكانت مقر المصريين الأصلي (حز 29: 14). يقول هيروودت أن منيس هو أول ملك مصري في التاريخ سكن في مصر العليا.

يحفرهم بقوة لثلاثين وقتلوا خطايا أسلافهم التي سببت خراباً ودمراً لمدن يهوذا، خاصة اورشليم. وكأنه لا يُلقى اللوم على ملك بابل ولا على رميا بل على الشعب الذي ملس الشر [3] فدخل تحت الغضب الإلهي [6].

لم يتوكلهم الله، بل سبق فأرسل لهم الأنبياء منذ البداية المبكرة [4] [لعلهم يرجعون إلى أنفسهم ويبركون شرم فيتوبون. كان جوهر حديث الأنبياء لهم، أنه يؤمهم أن يكوها ما يكوهه الله: " لا تفعلوا أمر هذا الوجس الذي أبغضته" [4]. وفي العويية جاء الحديث يحمل نوعاً من الوقة، إذ يعني "لرجوكم ألا تفعلوا الوجاسة التي أنا أبغضها" [626].

2. التنديد والمحاكمة:

"فالآن هكذا قال الرب إله الجنود إله إسرائيل:

لماذا أنتم فاعلون شراً عظيماً ضد أنفسكم لانواضكم رجالاً ونساءً أطفالاً ورضعاً من وسط يهوذا ولا تبقى لكم بقية؟! [7].

ما قد فعلوه حطمهم وسيحطم الأجيال المقبلة، إذ دخلوا بأطفالهم والرضع إلى الشر. كأن الله يقول لهم: "إنكم لا تصيبوني بضرٍ ما، إنما

تضرون أنفسكم وأولادكم. أليست أنفسكم لها وزنها في أعينكم؟!"

بالسيف والجوع يموتون،

ويصيرون حلفاً ودهشاً ولعنةً وعلماً.

وأعاقب الذين يسكنون في أرض مصر كما عاقبت أورشليم بالسيف والجوع والوبأ.

ولا يكون ناج ولا باقٍ لبقية يهوذا الآتين ليتغربوا هناك في أرض مصر ليرجعوا إلى أرض يهوذا التي يشتاقون إلى الرجوع لأجل السكن فيها

لأنه لا يرجع منهم إلا المنفلتون" [10-14].

حين كانوا في يهوذا كانوا يطلبون الذهاب إلى مصر، وإذ جاؤا إلى مصر يشتهون العودة إلى يهوذا.

في [13] يحدثهم عن معاقبة الذين يسكنون في مصر، هنا يشير إلى الحملة التأديبية التي قادها نبوخذنصر عام 568/567 ق.م.،

حتى في عقاب البقية العاصية سوف يسمح الله لقليل من الناجين بالتسرب إلى يهوذا وبذلك يسمح بالاتصال بين الشعب والأرض.

الذين أطاعوا الله وسلموا أنفسهم للتأديب وذهبوا إلى بابل، لم يسقطوا هناك في العبادة الوثنية، لذا يرجعون إلى يهوذا، إنهم التين الجيد (ص

24، 29). أما الذين عصوا المشورة الإلهية ورجعوا إلى مصر، فإنهم وإن كانوا يشتهون العودة إلى يهوذا لكنهم يهلكون في مصر، ليس بسبب عصيانهم

فحسب، وإنما بسبب عدم توبتهم، إذ عوض الرجوع إلى الله اشتركوا في عبادة الأوثان وبرروا أنفسهم في مملستها هؤلاء هم التين الرديء جداً. لن يعود

إلى يهوذا إلا قلة قليلة جداً، هذه التي حُملت إلى مصر قسواً. هؤلاء يهربون من مصر قبل مجيء الكلدانيين.

3 . الود المقري للبقية:

'فأجاب إرميا كل الرجال الذين عرفوا أن نسائهم يبخرن لآلهة أخرى

وكل النساء الواقفات محفلٌ كبيرٌ

وكل الشعب الساكن في أرض مصر في فتروس قاتلين:

إننا لا نسمع لك الكلمة التي كلمتنا بها باسم الرب،

بل سنعمل كل أمرٍ خرج من فمنا

فنبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب،

كما فعلنا نحن وأبائنا وملوكنا ورؤسائنا في أرض يهوذا وفي شوارع أورشليم فشبغنا خوفاً وكنا بخير ولم نر شواً.

ولكن من حين كففنا عن التبخير لملكة السموات وسكب سكائب لها احتجنا إلى كلِّ وفنينا بالسيف والجوع.

وإذ كنا نبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب، فهل بدون رجالنا كنا نصنع لها كعكاً لنعبدها ونسكب لها السكائب؟! [15-19].

مما لا يصدق عقل أن السامعين العصاة ينسبون نجاحهم إلى طقوس العبادات الوثنية التي تملسها زوجاتهم.

واضح هنا نور النساء في إغواء رجالهن على عبادة الأوثان (1 مل 11: 4؛ 1 تي 2: 14) مع استخدام أسلوب التحدي ضد الله، تحدي النساء

على كل المستويات، من نساء ملوك ورؤساء وعامة الشعب [16]. ما أصعب أن يتحدى الإنسان الله نفسه!

ربما الإشارة هنا [16] إلى عصر منسى الملك قبل إصلاح يوشيا أو عصر يهوياقيم حيث أستخدمت بعض العادات الخاصة بعبادة ملكة

السموات (القمر). فادعوا أن أحوالهم المادية كانت في ذلك العصر خوفاً مما كانت في عهد الإصلاح، واتخذوا ذلك دليلاً على أن الله لا يكوه هذه

العادات، لذلك لا ينصاعون إلى كلام إرميا.

ملكة السموات : كلمة *m'Ieket* (ملكة) يُعتقد أنها إشارة للإلهة الآشورية عشتار *Ishtar* (الكنعانية عشترا *Astarte*)، آلهة الحرب والحب،

والتي من ضمن ألقابها العديدة لقب "ملكة السموات" ويُقصد بها القمر، إلهة الفينيقيين، غالباً ما ترتبط بالإله الذكر بعل *Baal*، إله العواصف (قض 10:

6؛ 1 صم 7: 4؛ 12: 10). كثوًا ما يُستخدم صيغة الجمع "عشتاروت"، "بعليم"، وذلك بسبب كثوة الأصنام التي للعشتار والبعل.

كانو يدعون الشمس "ملكًا" والقمر "ملكة". ومع ذلك فموضوع العبادة لا يسهل تحديده بالضبط، لأن بعض المخطوطات العبرية تذكر الكلمة *mle'ket* ومعناها "العمل الخلاق"، ولذا فهي تدل على النجوم والكرابك. وفي السبعينية (7: 18) نقوًا "جند السماء"، بينما في مخطوطات قوران نجدها "نجوم السماء".

كانت النساء المتعبدات لملكة السموات، أى للقمر، يصنعن كعكًا على شكل هلال كتقدمة للملكة، ويقدمن لها السكائب علانية وليس من وراء أرواجهن. وكان مجرد معرفة رجالهن لذلك ينفي عنهن الخطأ. هكذا عوض أن يسند الأرواج بعضهم البعض ليرتفع الكل نحو الله السلموي، إذا بهم يحطمون بعضهم البعض وينحدر الكل إلى الهاوية.

4. رسالة رميا الأخوة:

"فكلم رميا كل الشعب الرجال والنساء وكل الشعب الذين جاوبوه بهذا الكلام، قائلًا:

أليس البخور الذي بخرتموه في مدن يهوذا وفي شولع أورشليم أنتم وأباؤكم وملوكمم ورؤساؤكم وشعب الأرض هو الذي ذكوه الرب وصعد

على قلبه؟!

ولم يستطع الرب أن يحتمل بعد من أجل شر أعمالكم،

من أجل الوجاسات التي فعلتم،

فصلرت أرضكم خربة ودهشًا ولعنةً بلا ساكن كهذا اليوم؟!

من أجل أنكم قد بخرتم وأخطأتم إلى الرب

ولم تسموا لصوت الرب

ولم تسلكوا في شريعته وفوائضه وشهاداته،

من أجل ذلكم قد أصابكم هذا الشر كهذا اليوم.

ثم قال رميا لكل الشعب ولكل النساء:

اسموا كلمة الرب يا جميع يهوذا الذين في أرض مصر.

هكذا تكلم رب الجنود إله إسرائيل قائلًا:

أنتم ونساؤكم تكلمتم بكمم وأكملتم بأياديكم قائلين:

إننا إنما نتمم نذورنا التي نذرناها أن نبخر لملكة السموات ونسكب لها سكائب فإنهن يقمن نذوركم ويتممن نذوركم.

لذلك اسموا كلمة الرب يا جميع يهوذا الساكنين في أرض مصر:

هأنذا قد حلفت باسمي العظيم قال الرب إن اسمي لن يُسمى بعد بقم إنسانٍ ما من يهوذا في كل أرض مصر قائلًا حي السيد الرب.

هأنذا أسهر عليهم للشر لا للخير فيفنى كل رجال يهوذا الذين في أرض مصر بالسيف والجوع حتى يتلاشوا.

والناجون من السيف يرجعون من أرض مصر إلى أرض يهوذا نقوًا قليلًا،

فيعلم كل بقية يهوذا الذين أتوا إلى أرض مصر ليتغربوا فيها كلمة أيتنا تقوم.

وهذه هي العلامة لكم يقول الرب:

إنى أعاقبكم في هذا الموضع لتعلموا أنه لا بد أن يقوم كلامي عليكم للشر.

هكذا قال الرب:

هأنذا أدفع فوعون حفوع ملك مصر ليد أعدائه وليد طالبي نفسه كما دفعت صدقيا ملك يهوذا ليد نبوخنصر ملك بابل عدوه وطالب نفسه"

[20-30].

يقدم لهم علامة لتأكيد كلماته وهي أنهم إذ يتكلمون على فوعون لحمايتهم من ملك بابل، إذ كانوا يتوقعون منه ما لم يتوقعوه من صدقيا، لكن باطلاً يستطيع أن يحمي حتى عرشه أو نفسه.

لقد ظن اليهود أن مصر بلدٌ حصين، تحميه حواجز طبيعية، لن يستطيع عدو أن يقتحمها، لهذا يؤكد هنا انهيار فوعون حفوع أمام ملك بابل. ينذر أن يذكر في الكتاب المقدس اسم ملك مصر بالذات، إذ يقال عادة فوعون لا غير. أما هنا فيذكر اسم الملك "حفوع". يذهب المؤرخون إلى أنه مات سنة 564 ق.م. وقد هاجم بابل قبل موته، ويقول المؤرخون أن فوعون هذا مات ميتة شنيعة.

تميز حكم فوعون حفوع رابع ملك في الأسرة السادسة والعشرين (589-570 ق.م.) بالتدخل في شؤون فلسطين لنجدة أورشليم المحاصرة (37: 5)، لكنه انسحب تحت ضغط بابل في عام 588 ق.م.، وبعدها سقطت أورشليم. يذكر هيرودت [629] أنه بعد الحملة على ليبيا (569 ق.م.) تعود عليه قائد جيشه وهو شاب من أقربائه يسمى أحمس (*Ahmose (Amasis)* وأعلن نفسه ملكاً على مصر، وحاول حفوع أن يهزم أحمس في معركة في عام 566 ق.م. لكنه قُتل، كما تنبأ لرميا. ولا يُعرف إن كان لرميا قد عاش لوى تحقيق ذلك أم لا، إذ حدثت هذه القلائل في مصر، ظهر نبوخذ نصر هناك.

هذا هو الحديث الأخير لإرميا النبي الذي تم في مصر، لم نسمع عنه بعد ذلك شيئاً في الكتاب المقدس، ولم يُخبرنا تلميذه باروخ عن رحيله من العالم، لكن جاء في التقليد المسيحي أن اليهود رجموه في تحفيس.

من وحي إرميا 44

اترع عني كل تحدٍ مهلك!

❖ عوض الحب تحداك الشعب والتجأ إلى فوعون.
عوض التوبة شلوكوا المصويين عبادتهم الوثنية.
أساعوا تفسير التريخ،

وحسوا في الوثنية رخاءً وسلاماً.
❖ في غير حياءٍ صنعت العرانيات كعكاً لملكة السموات.
وجذبن أزواجهن للأوثان.

❖ هب لي يرب روح الخضوع والتوبة،
فاسمع صوتك وسط التأديب،
وأترك معاملاتك عبر التريخ.
جدد طبيعتي الفاسدة،

واحسبني من التين الجيد،
لأسمع صوتك ولرتمي في أحضانك!
قدني بيمينك فلا أهلك!

الأصحاح الخامس والأربعون

حديث مؤي مع باروخ

يأتي هذا الأصحاح بعد الأصحاح الرابع والأربعين حيث يقدم لميا كلماته الأخوة ضد الذين تروا إلى مصر، وقبل الأصحاح السادس والأربعين حيث يعلن نواته ضد الأمم، إذ يريد الرب أن يعلن لهؤلاء الذين رفضوا نصيحة لميا بالبقاء في يهوذا ورغموه على النزول معهم إلى مصر، أن القضاء الذي نطق به لميا لا بد أن يتم وذلك مثل الكلام الذي سبق فأملاه على باروخ ومؤي على الملك يهوياقيم، لكن الملك يهوياقيم رفضه فتم كل الكلام بحذافره ولم يسقط منه حرف واحد. ولا بد أن يقع القضاء على مصر التي هربوا إليها وذلك بيد نيوخدنصر كما تكلم لميا، وأنهم لا ينجون من هذا القضاء وهم في مصر.

جاء بعد الأصحاح الرابع والأربعين المشتمل على التهديدات القاسية ضد اليهود في مصر، الذين كان من بينهم باروخ الذي حُمل إلى مصر قسواً. وكان هذه الرسالة تقدم استثناءً لباروخ مما قيل عن الذين في مصر [\[630\]](#).

جاءت هذه الرسالة موجهة إلى باروخ الذي أصيب بحالة إحباط لأسباب كثرة منها:

أ. رد فعل الملك يهوياقيم الذي مؤق السفر وأحرقه بالنار، وطلب القاء القبض على لميا وباروخ ليقتلها (إر 36). ربما حسب باروخ هذا الأمر إهانة شخصية له، كما صار مستقبله مظلماً، لا يعرف ماذا يفعل.

ب. إذ كان باروخ يكتب النوات ضد شعب يهوذا، ربما شعر بفشل خدمته [\[631\]](#)، فكان ينتظر توبة الملك والرؤساء والشعب فيندم الله على الشر أو التأديب الذي أعلن عنه، وذلك حسب وعده الإلهي.

على أي الأحوال، كان باروخ في حاجة إلى مساندة إلهية لكي يخلص من حالة اليأس التي تسربت إلى نفسه. مع قصر هذه الرسالة فإنها حديث إلهي مملوء بالوجاء الحي، موجه إلى كل مؤمن يعمل في كرم الرب لكي يمتلي رجاءاً، مهما بدت الظروف قاسية.

أنها رسالة إلهية تعلن عن عنايته التي لن تخيب، وحبه الشديد للعاملين لحسابه، ونظراته المملوءة حناناً ورفقاً. فإنه يهتم بنفسياتهم كما بكل احتياجاتهم.

1. تاريخ الحديث [1].

2. حالة احباط [2-3].

3. رسالة رجاء [4-5].

1. تاريخ الحديث:

من الناحية التاريخية يأتي هذا الأصحاح بعد (36: 8)، فالعبارة التالية تشير إلى الكلام الذي أملاه لميا إلى باروخ ومؤي على الملك يهوياقيم ومستثله ثم ألقى في النار بكل احتقار.

"الكلمة التي تكلم بها لميا النبي إلى باروخ بن نيريا عند كتابته هذا الكلام في سفر عن فم لميا في السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك

يهودا قائلاً" [1].

2. حالة إحياط:

"هكذا قال الرب إله إسرائيل لك يا باروخ.

قد قلت ويل لي لأن الرب قد زاد حزنا على ألمي.

قد غشي علي في تنهدي ولم أجدراحة" [2-3].

يبدو أن بلوخ شعر بأن رفض الملك لكلمة الله إهانة موجهة إليه شخصياً، أو موجهة إليه مع رميا، لا إلى الرب الذي أمر بكتابة هذا الكلام على الوجود، وهذا أوجد عنده شعور بالخيبة والفشل، لذلك تنهد بلوخ ولم يجدراحة. لقد كان مضغوطاً بالخوف ولم يقدر أن ينام، وتنتقل بالحزن والألم فدخل في حالة إحياط.

سبق أن رأينا رميا النبي يتعرض لنفس المشاعر إلى حين. هذا هو الضعف البشري الذي يلاحق حتى الأنبياء أحياناً، لكن الله لا يتركهم بلا

عون!

3. رسالة رجاء:

إذ استخدم الله بلوخ أداة لإعلان مشورته الإلهية إلى الآخرين لا يمكن أن يهمله الرب عندما يدخل في حالة إحياط، لذلك يوجه الرب إليه

الرسالة الخاصة التالية:

"هكذا تقول له:

هكذا قال الرب:

هأنذا أهدم ما بنيته،

وأقتلع ما غرسته وكل هذه الأرض.

وأنت، فهل تطلب لنفسك أمورا عظيمة؟! لا تطلب.

لأنى هأنذا جالب شوا على كل ذي جسد، يقول الرب،

وأعطيك نفسك غنيمة في كل المواضع التي تسير إليها" [5].

إن كان الحكم قد صدر على كل النول في ذلك الحين، لكن جاء الأمر الإلهي مشدداً على شعبه، فقد بناه بنفسه وغرسه ككرم خاص به، لكن

بسبب العصيان قام الله نفسه بهدمه واقتلعه.

يقدم الرب إلى بلوخ كلمة تصلح شعراً لكل واحد منا، هذه الكلمة هي "وأنت، فهل تطلب لنفسك أمورا عظيمة؟ لا تطلب". فكم يميل القلب إلى

طلب الأمور العظيمة.

كان بلوخ رجلاً متعلماً، أعداً ليكون كاتباً، وكان أخوه سوايارئيس المحلة عند صدقيا الملك (51: 59)، لذلك ربما توجى بلوخ أن ينال

منصباً في القصر الملكي لخدمة شعبه، لكنه وى كل شيء ينهار أمامه.

لننظر إلى مسيحا الذي لم يكن له موضع في المقول عند ولادته. ومع أن الماشية والقطعان فوق الجبال ملك له استعار الجحش والأتان ليركب

عليهما. كما استعار من إنسانٍ عليّة لعشاء الفصح؛ بينما أقرضه آخر قوه الجديد. قيل عنه: "وأخر كثوات كنعان يخدمه من أموالهن" (لو 8: 3).

كانت للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، أما هو فلم يكن له موضع يسند فيه رأسه (مت 8: 10). قيل عن الآخرين "فمضى كل واحدٍ إلى بيته، أما

يسوع فمضى إلى جبل الزيتون" (يو 7: 53، 8: 1)، لأنه لم يكن له بيت هنا. وينطبق عليه تماماً القول: "لماذا تكون كغريبٍ في الأرض وكمسافرٍ يميل

ليبيت؟! (14: 8). لم يكن له موضع بين العظام أثناء وجوده بالجسد على الأرض، بل كان دائماً غيباً. كان موفوضاً حتى من خاصته (يو 1: 11).
لبيتنا نحن أيضاً لا نطلب أمراً عظيمة في هذا العالم؛ الأمور العظيمة المختصة بنا آتية عما قريب وهي الأمور الباقية والثابتة، لأن الأمور التي تُرى هي وقتية أما التي لا تُرى فهي أبدية (2 كو 4: 18).

❖ إن امتدحك الله وأكرمك، فهل سيكون هناك من هو مبرك أكثر منك؟! لأن الفرق بين المجد الذي من الله والمجد الذي من الناس أعظم بكثير من الفرق بين المجد والعار هنا...

❖ مع أنه في استطاعتك أن تحيط نفسك بشهودٍ من السماء، إلا أنك تستعيز عنهم بمتوجين رُضيين [632].

القديس يوحنا الذهبي الفم

نجد توبيخاً لبروخ لشعوره بالاكنتاب فيما يخص مستقبله. حقاً سيجيء القضاء، لكن هذا القضاء لا يمكن أن يمسه بأي سوء؛ فليأتِ السيف ولتأتِ المجاعة وليأتِ الوباء ويهلك الكثيرون أما بلروخ فيحفظه الرب. وإن هاج الناس عليه لا يمكن أن يصيبه أذى أو سوء، لأن الرب سند له.

من وحي لرميا 45

ما أعذب تعزياتك لي وسط أتعاب الخدمة

- ❖ أحشائي تنن من أجل كل نفسي!
- أعماقي تصوخ بسبب ضعفات كل إنسان!
- تسلل اليأس إليّ،
- صوت كمن هو في حالة إحباط،
- من يستطيع أن ينقذني سواك؟!
- ❖ ما أعذب تعزياتك لي وسط أتعاب الخدمة!
- حين يصير العالم كله مظلماً في عينيّ،
- إثراقات حبك تملأني رجاءً،
- نعمتك تؤكد لي أنك إله المستحيلات!
- ❖ في ضعفي كثيراً ما ظننت في خدمتك خسرة،
- معك أفنقر لكي يعنتي الكثيرون!
- معك أحمل التعبوات لكي يُكرم الكل!
- معك أموت لكي تحيا كل نفسٍ أبدياً!
- ❖ خدمتك صليب مجيد،
- به تصير السموات مفتوحة،
- وتتهل نفسي مع كل نفس متهلة،
- وأحسب إكليل الكل إكليلي!



نبوات عن الأمم

في واستنا لأسفار حزقيال (25-26) وإشعيا (31: 23) وعاموس (1-2)، وصفنيا (2: 4-15) تحدثنا عن النبوات ضد الأمم التي غالبًا ما كانت لتأديبهم. واضح أن هذه النبوات لم ينفرد بها نبي معين، لكنها تكاد تكون مشتركة بين الأنبياء، وتمثل جزءًا حيًا من الكلمة الإلهية التي تود أن تكشف لكل البشرية عن الله نفسه ومعاملاته معهم.

يمكننا في إيجاز هنا أن نوضح أسباب اهتمام النبوة بالأمم:

1 . الله هو إله البشرية كلها، حتى وإن انحرقت. فمهما بدى تأديبهم قاسيًا فإن غايته هو رجوعهم إلى الله ليتمتعوا بشخصه ومواعيده الإلهية. لهذا كثيرًا ما تُختم النبوات ضدهم بفتح باب الرجاء أمامهم ليختبروا الحب الإلهي. إن كان العهد القديم قد احتوى على نبوات ضد الأمم، لكنه لم يقف عند ذلك بل فتح الطريق أمامهم لإثبات سر العهد الجديد الذي قدم كلمة الله لحساب الأمم. هؤلاء الذي كانوا غرباء صاروا قريبين، أهل بيت الله، وكما يقول الرسول بولس: "أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (أف 2: 13). إن كانت حاجة إلى وهان على أن إله إسرائيل كان يُنظر إليه أنه إله الأرض كلها فهنا نجد الوهان [\[633\]](#). هذا ما سزاه واضحًا في الأصاحاحات التالية.

2 . ترمز الأمم الساقطون في عبادة الأصنام ورجاساتها إلى الخطية نفسها، خاصة وأن بعضهم كانوا يقدمون أطفالهم ذبائح بشرية للأوثان بإجرتهم في النار. دملهم يشير إلى التخلص من الخطايا ذاتها ومن مصاويرها لكي يحيا الإنسان في بر السيد المسيح. يقول العلامة أوريجينوس: إني رأيي أن بعض أسماء الشعوب أو الملوك التي نقرأ عنها في الكتاب المقدس تخص بلا شك الملائكة الأشرار أو السلاطين المضادة، مثل فوعون ملك مصر ونبوخذنصر ملك بابل وأشور [\[634\]](#).

وي القديس جبروم في تفسيره للزمير [\[635\]](#) أن الأمم المقاومة لله ولشعبه والتي خضعت للتأديب هي إحدى عشر أمة إشارة إلى النقص، إذ لم تبلغ اثنتي عشرة، رقم الكمال الذي يشير إلى ملكوت الله على الأرض.

3 . الله ضابط الكل وصانع التاريخ له السيطرة التامة على الأواد كما على الأمم. لقد شعر الأنبياء في كل مراحل نشاطهم أنهم يشركون في الأحداث التي يكون لها أكثر من مجرد معنى محلي أو قومي، لهذا اهتموا اهتمامًا جادًا بسلوك الشعوب الأجنبية التي لا يمكن عزلها عن خطة الخلاص التي أعدها الله. وقد عبر ذلك الاهتمام عن نفسه أحيانًا بإدانة الشعوب المجاورة.

يوجد ثلاثة أسفار نبوية ركزت بالكامل على قرة أجنبية: سفر عوبديا على أوم، ويونان وناحوم على نينوى [\[636\]](#).

في هذا الفصل يعلن رميا النبي عن القضاء الإلهي على الشعوب الوثنية التالية:

1. نبوات عن مصر في الجنوب ص 46.

2. نبوات عن فلسطين في الغرب 47: 1-7.

3. نبوات عن صور وصيدافي شمال غرب 47: 4.

4. نبوات عن موآبي في جنوب شرق ص 48.

5. نبوات عن عمون في الشرق 49: 1-6.

6. نبوات عن أومفي جنوب شرق 49: 7-22.

7. نوات عن سوريافي الشمال49: 23-27.

8. نوات عن قيدلرفي الشمال49: 28-33.

9. نوات عن حاصورفي الشمال49: 28-33.

10. نوات عن عيلامفي شمال شرق49: 34-39.

11. نوات عن بابلفي شمال شرقص 50، 51.

جاء ترتيب النوات ليس حسب توريخ حدوثها، وإنما حسب مواقع الأمم، مبتدأ من الغرب ومتجهًا نحو الشرق.

<<

الأصحاح السادس والأربعون

رتعاب مصر الوثنية

يبدأ رميا النبي بمصر في نواته ضد الأمم الغريبة للأسباب التالية:

أ. كانت المنطقة كلها تعيش إلى فترة طويلة من الزمن تحت النفوذ السياسي المصري.

ب. كانت المشكلة السياسية التي يعاني منها رميا النبي هي ميل الملك ورجاله مع القيادات الدينية خاصة الأنبياء الكذبة وأيضًا الشعب إلى

الاتجاه إلى فوعون والتحالف معه ضد بابل حتى لا تسقط يهوذا تحت السبي البابلي كما سقطت إسرائيل تحت السبي الآشوري. أنهم رميا وكتابه

بالخيانة الوطنية لرفضهم الالتجاء إلى فوعون والاحتفاء تحت ظل جيشه.

ج. لم ينسَ العوانيون عبر الأجيال الظلم الذي سقطوا تحته بواسطة فوعون خاصة في أيام موسى النبي، وبقيت قصة الخروج حية في حياتهم

تعبّر عن عمل الله الخلاصي وإنقاذهم من عبودية إبليس وتعروهم من الظلم.

د. من الجانب التأويلي يُنظر إلى مصر وبابل في العهد القديم كأعظم قوتين في العالم في ذلك الحين يمثلان الخطية. تمثل مصر حياة الرخوة

والترف ومحبة العالم، وذلك بسبب كثرة خواتها. وتمثل بابل العصيان والكبرياء ضد الله وشعبه. لهذا بدأت الأمم هنا بمصر لتمثل حياة الرخوة المفسدة

للنفس وانتهت ببابل التي تمثل تعود النفس وعجفرتها.

بدأ بمصر وختم بابل لأنه غالبًا ما يركز الإنسان فؤده على البداية والنهاية فيعطيها الأولوية والاهتمام في الرواية والفحص.

هـ. بدأ بمصر لأنها وإن خضعت للتأديب القاسي لكنها تعود وتقبل عمل الله الخلاصي، فتسمع الوعد الإلهي: "مبارك شعبي مصر" (إش 19:

25)، فصلرت تمثل كنيسة الأمم التي جاء إليها الربراكبًا على سحابة سريعة (إش 1: 19)، أما بابل فتتمثل مملكة ضد المسيح فنسمع في سفر الرؤيا

الصوخة: "سقطت، سقطت بابل العظيمة، فصلرت مسكنًا للشياطين ومحرسًا لكل روح نجس... (رؤ 18: 2).

و. في سنة 609 ق.م. إذ حشد فوعون نحو جيشه تقدم به لاحتلال أرض الفوات، وقتل يوشيا الملك الصالح في معركة مجدو لأنه حاول تقديم

معونة عسكرية لملك آشور، وصار حزن شديد وسط الشعب، فكانوا يتساءلون: لماذا سمح الله بقتل الملك الصالح؟ لقد حان الوقت للانتقام للدم الويء من

فوعون مصر.

ولعله لذات الأسباب السابقة احتلت النوات ضد مصر مركز الصدرة في سفر حزقيال (أصحاحات 29-32).

1. دعوة إلى معركة [1-4].

2. رتعاب مصر [5-6].
3. كبرياء مصر [7-8].
4. يوم للسيد الرب [9-10].
5. سقوط مصر [11-12].
6. قضاء مصر [13-17].
7. سبي وخراب [18-26].
8. تعمير مصر [26].
9. إصلاح إسرائيل الجديد [27-28].

1 . دعوة إلى معركة:

"كلمة الرب التي صارت إلى إرميا النبي عن الأمم.

عن مصر عن جيش فوعون نحو ملك مصر الذي كان على نهر الفوات في كركميش الذي ضربه نبوخذنصر ملك بابل في السنة الرابعة ليهوياقيم بن يوشيا ملك يهوذا" [1-2].

بقي الجيش المصري مرابطاً في كركميش (في الطريق بين بابل ومصر) لمدة أربع سنوات (609-605 ق.م) خلالها كان فوعون مسيطراً على سوريا ومصر، يقيم لهم ملوكاً يحركهم كما يشاء كدميات، أما القوة الرئيسية الأخرى أي البابلية فكانت منشغلة بأمورٍ أخرى، وأخيراً هجم الجيش البابلي على المصريين في كركميش لاقتلاعهم تماماً.

غلب فوعون نحو البابليين واستولى على كركميش في عام 605 ق.م، وقام بتحسينها، ثم عاد إلى بلده. لكن في تلك السنة أرسل نبوخذنصر ابنه نبوخذنصر بجيشٍ ضد فوعون حيث انتصر بالقرب من نهر الفوات ورد مدينة كركميش، وطرد المصريين حتى ديلهم، واخضع كل الولايات النائرة.

جاءت النبوة هنا تخص انهيار جيش نحو في معركة كركميش على نهر الفوات، الأمر الذي لم يكن متوقعاً بسبب قوة الجيش المصري. فقد أوضح هنا كيف تهيأ الجيش للعمل بنفسيةٍ عاليةٍ جداً وثقةٍ و يقين أن النصرة تتم حتماً.
معركة كركميش (2 أي 35: 20، إش 10: 9).

كلمة "كركميش" تعني "قلعة كموش" إله موآب الرئيسي (2 مل 23: 13) [637].
تمت في السنة الرابعة من ملك يهوياقيم وفي السنة الأولى لنبوخذنصر كملك بابل (25: 1). وهي إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ القديم، قضت على سلطان مصر الذي دام زماناً طويلاً على المنطقة السورية الفلسطينية.

تصف النبوة ما كان عليه جيش مصر وذلك في شكل دعوى إلى المعركة موجهة من قادة الجيش المصري إلى رجالهم الأبطال:
"أعنوا المجن والترس، وتقدموا للحرب.

أسرجوا الخيل، واصنعوا أيها الفرسان وانتصروا بالخوذ.
اصقلوا الرماح.

ألبسوا الدروع" [3-4].

طلب القادة أن يعد الكل المجن والترس، أي يحملوا العدة الحربية بكل أحجامها وأنواعها، وأن يستعد الفرسان وقادة المركبات. فقد عرفت مصر

2. رتعاب مصر:

"لماذا رآهم مرتعيين ومدبرين إلى الوراء وقد تحطمت أبطالهم وفروا هاربين ولم يلتفتوا؟!

الخوف حواليتهم يقول الرب.

الخفيف لا ينوص، والبطل لا ينجو.

في الشمال بجانب نهر الفوات عثروا وسقطوا" [5-6].

رأى رميا بروح النبوة كيف انهار جيش فوعن عند هزيمتهم على يدي نيوخذنصر، فقد كانت الضربة غير متوقعة وذلك بالنسبة للاستعدادات الضخمة التي كانت لجيش فوعن ولكريائهم وتشامخهم كأعظم قوة عالمية في ذلك الحين.

هكذا عندما يتشامخ القلب جدًا، ويمتلئ كأس العرصة تحل الهزيمة ويسقط الإنسان، فإنه "قبل الكسر الكرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح؛

تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين" (أم 16: 18-19).

دخل الجيش إلى حالة رعب، ليس لهم الله أن يتقدموا إلى الأمام حيث نهر الفوات، وإنما في رعب يهربون إلى الوراء وقد تحطم الأبطال. عوض اليقين بالنصوة حل بهم الخوف من كل جانب. لتبك الكل، فالخفيف أي السريع الحركة تعثر ولم يعد قاومًا على الهروب (لا ينوص)، والقوي لا ينجو.

إن كانوا يتشامخون بنهر النيل كمصدر حياتهم ورخائهم، صار نهر الفوات قوًا لأبطالهم حيث تعثروا وسقطوا قتلًا.

هذا هو عمل الخطية! إنها تبعث الخوف الداخلي في النفس فتحطمها. لا تستطيع أن تلتفت إلى الأمام ولا إلى ما هو حولها بل تتحدر دومًا إلى

الخلف، وتفقد سوتها في الحركة وقوتها، وأخرًا تسقط كجثة هامدة بلا حياة.

3. كبرياء مصر:

"من هذا الصاعد كالنيل كأنهار تتلاطم أمواجه؟

تصعد مصر كالنيل وكأنهار تتلاطم المياه.

فيقول أصعد وأغطي الأرض.

أهلك المدينة والساكين فيها" [7-8].

خطية فوعن هي الكرياء، إذ كان بجيشه القوي يظن أنه قادر أن يفعل كل شيء. في تشامخه ظن أنه كنه نهر النيل الذي في فوة فيضانه تمتلئ قواته كأنهار تجرى حوله لتغطي الأراضي بمياهها وطميها. لا يستطيع أحد أن يقف أمام هذا الفيضان أو يقاومه. في كبرياء يقول فوعن: "تهر لي وأنا عملته لنفسي" (جز 29: 3). يُقال إنه قصد به فوعن حووع الذي افتخر بأمرين: أنه صانع بيديه ما هو فيه من قوة وأمان، وأن هذا النهر إنما لأجله هو قد وُجد. لقد أقام "الأنا" إلهًا، هي الصانعة للنهر، سر خصوبة مصر وعظمتها، ولأجل نفسها صنعت ذلك. يروى المؤرخ هيروديت عن هذا الملك أنه ملك في رخاء عظيم لمدة خمسة وعشرين عامًا، وقد ارتفع قلبه بسبب نجاحه قائلاً إن الله نفسه لا يقدر أن يزعه من مملكته.

في سفر حزقيال (ص 29) يُشبه فوعن مصر بالتمساح الكبير الرابض في وسط أنهره، يظن أنه خالق النهر لحساب نفسه، يجلس في النهر كما في عرشه ليدافع عن الأمم المحيطة به المتحالفة معه.

4. يوم للسيد الرب:

"اصعدي أيتها الخيل وهيبي أيتها المركبات ولتخرج الأبطال.

كوش وفوط القابضان المجن،

واللوديون القابضون والمادون القوس.

فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه،

فيأكل السيف ويشبع ويرتوي من دمهم.

لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفوات" [9-10].

إذ يتطلع لرميا النبي إلى المعركة ووى انهيار فعون وجيشه مع القوات المرتوقة الذين استأجروهم، يدعو ذلك اليوم "يوم للسيد رب الجنود".

إنه ليس كيوم معركة هومجدون "يوم الله القادر على كل شيء" (رؤ 16: 14)، إنما يشبهه. هو يوم نقمة حيث يسقط فعون وجيشه مع القوات المرتوقة

أو المتحالفة معه القادمة من كوش (أثيوبيا أو النوبة) وفوط (ليبيا) واللوديون (أفريقيون غالباً كانوا يقطنون ليبيا).

5. سقوط مصر:

"اصعدي إلى جلعاد وخذي بلساناً يا عفراء بنت مصر.

باطلاً تكثرين العقاقير.

لارفاة لك.

قد سمعت الأمم بخزيك،

وقد ملأ الأرض عويلك،

لأن بطلاً يصدم بطلاً فيسقطان كلاهما معا" [11-12].

إذ سقط جيش فعون لم يعد وى النبي في الجيش أبطالاً، بل رآه كله أشبه بفتاة، أو ببنتٍ ضعيفة مجروحة، جراحاتها خطيرة لا تُرجى شفائها.

لقد عُرفت مصر القديمة بنوعها وتقدمها في الطب، خاصة الطب النباتي. حالياً تقوم دراسات مكثفة حول هذا الطب. لكن وى النبي أن عقاقير

مصر وخواتها الطبية عجزت عن تقديم الشفاء لجيشها الجريح. صلروا في حزي وامتألت الأرض من صواخاهم حيث يتعثر بطل في بطلٍ ويسقط الكل

معاً.

أين العلاج؟ في جلعاد حيث تجد اللسان!

عليها أن تصعد إلى هناك فتتال الشفاء!

إنها في حاجة إلى روح الله القنوس الذي وحده يمك بيد البنت الأممية ليصعد بها من وحل هذا العالم وفساده إلى كنيسة المسيح، جلعاد

الحقيقية، هناك تجد السيد المسيح، اللسان الروحي واهب الشفاء.

إنها دعوة إلى الأمم التي يُرمز لها بمصر لتتوك عقاقورها الكثيرة وتلجأ إلى كنيسة المسيح، هناك تتحد مع المخلص الذي يضمد جراحات النفس

[638]

ويشفيها.

6. قضاء من بابل:

"الكلمة التي تكلم بها الرب إلى لرميا النبي في مجيء نبوخنصر ملك بابل ليضرب أرض مصر.

أخبروا في مصر وأسموا في مجدل وأسموا في نوف وفي تحفنجيس قولوا انتصب وتهياً لأن السيف يأكل حواليك.

لماذا انطرح مقتدروك؟!

لا يقفون لأن الرب قد طرحهم.

كثّر العاثرين حتى يسقط الواحد على صاحبه، ويقولوا:

قوموا فترجع إلى شعبنا وإلى أرض ميلادنا من وجه السيف الصلرم.

قد نابوا هناك فوعون ملك مصر هالك.

قد فات الميعاد" [13-17].

رى البعض أن الحديث هنا عن المعركة التي تمت بعد معركة كركميش بحوالي 15 أو 16 عامًا حيث جاء ملك مصر بجيشه العظيم لمحاربة نيوخذنصر أثناء حصوله أورشليم. اضطر نيوخذنصر إلى فك الحصار مؤقتًا حتى يحقق نصرته على جيش فوعون ويعود ثانية إلى محاصرة المدينة واقتحامها (37: 1-10). بعد عودته إلى بابل تحققت هذه النبوة إذ عاد ليقوم حربًا مع مصر ليهزمها تمامًا، فصلت بابل القوة العظمى الوحيدة في العالم في ذلك الحين (دا 2: 37-42؛ 7: 4).

كثروا ما افتخر فوعون حووع (Hophra (Apries بقوته في حماية حلفائه، لكن ظهر عجزه تمامًا في اللحظات الحاسمة. يُعتبر هذا وصمة عارٍ تلحق باسمه الذي يحمل تورية عن الجدية، فإن الفعل العوي *hebir* يعني "ليعبّر" مشابهًا الاسم المصري لوعون (*whiher*) [639] *Apries*.

يكشف [16] عن انهيار الجنود الموثوقة أو المتحالفة مع فوعون فقد أخذوا درسًا قاسيًا من المعركة، وقرروا العودة إلى بلادهم، إذ قالوا: "قوموا فترجع إلى شعبنا وإلى أرض ميلادنا من وجه السيف الصلرم" [16].

وُجمت كلمة "هالك" [17] هنا بـ "ضجيج"، ويمكن تفسيرها هكذا:

- ❖ تعثر الجباوة إذ سقط الواحد على الآخر، وصار الصواخ الموجه إلى الملك هو: "ضجيج!" [17].
- ❖ لعله يُقصد بهذا أن وعود الملك بحماية الأمم الأخرى خلال سنوات ملكه السابقة لم تكن إلا ضجيجًا لا معنى له. فقد عجز فوعون عن تقديم أي عون حقيقي ليهودا أو حتى لبلده، إذ قيل "فإن مصر تُعين باطلاً وعبثًا" (إش 30: 7).
- ❖ أيضًا ربما صار هذا هو مفهوم الموثوقة، إذ أدركوا أن حسابات فوعون العسكرية خاطئة ولم تكن إلا ضجيجًا.
- ❖ ربما تُصد به أن الملك لم يتعلم درسًا من معركة كركميش السابقة فحطم بلده بعدم حكمته.

7 . سبي وخواب:

أخوًا يصور لنا الخواب الذي حلَّ بمصر التي ظننت أنها قاوة على إنقاذ يهوذا من أيدي البابليين:

أ. ارتفاع اسم بابل أو ملكها نيوخذنصر:

"حي أنا يقول الملك رب الجنود اسمه كتابور بين الجبال وكومل عند البحر يأتي" [18].

لقد ظن فوعون أنه سيحطم بابل، ويقول بملكها إلى الهاوية، فإذا بهزيمة مصر تجعل من بابل الإمبراطورية العظمى الوحيدة في العالم، فيصير اسمها مشهورًا جدًا كشهوة جبل تابور وسط جبال كنعان، وكشهوة الكومل عند البحر. أكد الله الملك رب الجنود بقسم أن هذا يتحقق فعلاً وليس تهديدًا.

يبدو أن رميا النبي رأى في نيوخذنصر الذي غوا مصر بقوة جبلاً عاليًا يرتفع فوق السهل. إنه مثل جبل تابور الذي يرتفع حوالي 1800 قدمًا كجبلٍ منوّد في سهل بزر عيل في شمال إسواثيل، أو مثل جبل الكومل عند البحر الذي تبلغ قمته حوالي 1700 قدمًا وينحدر سفحه الغربي بحدة نحو

البحر المتوسط [640].

ب. صلت مصر بنتًا عاجزة عن التصرف:

"الصنعي لنفسك أهبة جلاء أيتها البنت الساكنة مصر،

لأن نواف تصير خربة وتحرق فلا ساكن" [19].

جاءت الضربة قاضية في هذه المرة، حيث حُطمت مصر كلها، خاصة المدن الكوى. يصور مصر بفتاة مسبية لا تقدر على الدفاع عن نفسها

أو الهروب من الذين أسروها، هذا عن جيشها العظيم وملكها وُعون المتشامخ، أما عن الأرض فصلت نوف وهي من المدن الكوى كما رأينا خرابًا، أحرقتها النوان، لا يقطنها إنسان.

ج. صلت مصر كعجلة مسمنة لا تصلح إلا للذبح:

"مصر عجلة حسنة جدًا.

الهالك من الشمال جاء جاء" [20].

لماذا يشبه مصر بالعجلة الحسنة جدًا؟ لقد ظن وُعون بجيشه – الذي من بين معبوداته الرئيسية عجل أبيس – أنه قادر أن يخلص شعب يهوذا الذي في نظره يعجز الله رب الجنود عن إنقاذه. لم يدرك وُعون أنه قد حول بهذا الفكر مصر إلى عجلة تحمل الصورة الحسنة جدًا، وذلك بسبب شهرتها في العالم كله، وقوة جيشها، وإمكاناتها من جهة الخيول والمركبات وكل العدة الحربية. لكنها عجلة سميحة عاجزة عن أي عمل، لا تصلح إلا لذبحها، يأتي الذين من الشمال (بابل) لذبحوها.

لقد حوّل العجل أبيس عابديه إلى عجلة حسنة جدًا تؤكل وتستهلك فلا يكون لها حياة!

د. حوّلت حلفاءها والجنود المرتقة إلى عجول سميحة:

أيضًا مستأجروها في وسطها كعجول صوة،

لأنهم هم أيضًا يرتدون يهبون معًا.

لم يقفوا لأن يوم هلاكهم أتى عليهم وقت عقابهم" [21].

لم تصر مصر الوثنية وحدها عجلة كمعبودها عجل أبيس، وإنما حولت مستأجريها أي القوات المرتقة الأجرة والتي حلت في وسطها وشركتها عبادة العجل إلى عجول صوة أي سميحة. جاؤا للدفاع عنها مع جيشها فصلت ذبائح سميحة للقتل.

هـ. صلت حركتها كحفيف الحية:

"صوتها يمشي كحية لأنهم يسرون بجيش وقد جاؤا إليها بالفؤوس كمحتطبي حطب" [22].

استخدم رميا النبي تشبيه الحية الخرجة من الغابة لتضرب بالفؤوس، لأنه كان للحية مكانة عالية بين الآلهة عند المصريين. إنها عاجزة ليس فقط عن حماية العابدين لها، بل وحتى عن حماية نفسها.

إذ تحرك الجيش المشاة مع الفوسان والمركبات وكانت الأصوات رهيبية وموعبة... نظر إليه النبي فأه أشبه بحية خرجة من وسط الغابة وُحف بصوت ضعيف للغاية يصعب سماعه، تسقط تحت ضربات لا فأس محتطبٍ واحدٍ بل عدة فؤوس لقاطعي الأخشاب! إنها سخوية بهذا الجيش العظيم الذي بكل إمكانياته لا يزيد عن صوت تحرك حية عاجزة أمام فؤوس كثيرة.

و. صلت كشجرة تسقط تحت ضربات فؤوس كثيرة:

"يقطعون وعوها يقول الرب وإن يكن لا يحصى لأنهم قد كثروا أكثر من الجراد ولا عدد لهم" [23]. إنها تعجز أن تقاوم أو حتى تشنكي المعتدين عليها. تنهار عليها الفؤوس غير المحصية لتسقط وتتحطم إلى قطع خشبية صغرة لا تصلح إلا للنوان. إن كانت الشجرة تستطيع أن تصوخ أمام ضلبيها بالفؤوس، يمكن لوعون أن يرفع صوته مشنكيًا نيوخذنصر.

ز. صلت كفتاة بيعت لشعب معادٍ لها.

"قد أخزيت بنت مصر ودفعت ليد شعب الشمال" [24].

"قال رب الجنود إله إسرائيل:

فتحول كياني كله إلى العجرفة والتشامخ،
صوت كنتمساح كبير في وسط النيل،
يظن أنه ملك النهر وصانعه!

هذه هي الأنا التي حطمت كل صلاح في!
لتحطمها بصلييك،

عوض فوعن أملك أنت في أعماقي،
أقم عرشك في،

فأشركك اتضاعك،
وأعيش معك أبدياً!

❖ ضوب قادة فوعن العسكريون بالبوقة،

فاجتمع المشاة مع الفوسان بلا عدد،

وجاءت القوات الموثوقة والمتحالفة بقوة،

أعدت كل أنوات الحرب وجميع المركبات.

ظن العالم كله أنه ليس من يقف أمام هذا الجيروت.

لكن إذ حلّ بهم الغضب الإلهي انهار الجيش أمام نيوخذنصر.

صار الجيش العابد العجل عاجلاً مسمناً يستحق الذبح،

هرب كحياة لا يُسمع لها صوت تتحطم بفؤوس المحتطبين.

صاروا كفتاة مسبية دُفعت إلى شعبٍ غريبٍ في مذلة.

صاروا كشجرة تُضرب بالفؤوس ولا تستطيع أن تنطق ببنت شفة.

❖ نعم، هذا ما فعلته بي الخطية!

حولتني إلى حياة حيوانية،

كعجلٍ مسمنٍ لا يصلح إلا للذبح،

جعلت من نفسي التي على صورتك حية دنسة هاربة في ضعف.

صلرت في ضعف كفتاة مسبية تذللها الخطية وتلهو بها الشياطين!

افقدتني حياتي فصوت كقطعة خشب تضوب بالفؤوس!

❖ من لي غورك يود لي كوامتي؟!

تجدد طبيعتي الحيوانية الفاسدة فأنعم بشركة السمائيين!

عوض صورة الحية التي انطبع في داخلي،

احمل صورتك أيها القدوس.

عوض بنوتي لإبليس، الحية القديمة، أتمتع بالبنوة للآب محب البشر!

لا يعود يصير صوتي كحفيف حية، بل صوت هتافٍ ملائكي،

صوت نعوة دائمة لا تتقطع!
تتحول أعماقي من فتاة مسيبة يذلها الكثيرون،
إلى عروس عذراء للعريس السموي الممجد!
لا تعد قطعة خشب تحطمها الفؤوس،
بل شوكة مع الصليب واهب الحياة!
❖ لتقتل في داخلي مصر الوثنية،
لتهرب إليها أيها القنوس،
لتأت محولاً على سحابة خفيفة بيضاء،
ولتقم مذبحك في داخلي!



الأصاح السابع والأربعون

سيف الرب على الفلسطينيين الوثنيين

والقوات المتحالفة معهم

بدأ لرميا النبي نواته ضد الأمم بمصر بكونها ترمز لحياة الوحلة والتهاون كأول باب يفتح للخطايا كي تتسلل إلى النفس وتفسدها. الآن يتحدث عن الفلسطينيين الوثنيين حيث كانوا يحملون عدوة ضد الله الحيّ وضد شعبه. كأن هذه النوات موجهة ضد **خطية العنف والعدوة لله وللناس**. غالبًا ما وهن المصريون أنهم أصدقاء باطلون، قدموا وعودًا بالخلاص، فدفعوا شعب الله إلى الاتكال على الفراع البشوى العاجز، أما الفلسطينيين فغالبًا ما حملوا روح العدوة و المقاومة، ومما يزيدهم خطورة أنهم كانوا من ألق الجوان لهم. بدأت العدوة بدخول الإسرائيليين لرض الموعد حيث احتلوا بعض مدنهم بعد موت يشوع (قض 1: 18)، ولكن الفلسطينيين استولوا مدنهم وسقط العوانيون فى قبضتهم (قض 10: 6-7) ثم أنقنوا. عاد فأذل الفلسطينيون العوانيين أربعين عامًا حتى أنقذهم شمشون (قض 14-16)، وفى عهد صموئيل النبي استولوا على تابوت العهد (1 صم 14-16)، ثم عاد فهزمهم صموئيل النبي بعد عشرين عامًا. دخلوا فى حرب مع إسرائيل فى أيام شاول الملك، وأخضعوا فى أيام داود النبي، لكنهم برزوا ثانية للمقاومة حتى جاء نوحذنصر الذي حطمهم مع بقية الأمم المجاورة. تخلل هذه النوات نوة عن الحلفاء مع الفلسطينيين: قوات صور وصيدا [4].

1 . نوات ضد الفلسطينيين [1-7].

2 . نوات ضد صور وصيدا [4].

1 . نوات ضد الفلسطينيين الوثنيين:

"كلمة الرب التي صلت إلى لرميا النبي عن الفلسطينيين قبل ضرب فوعون عوة" [1].

نعرف القليل جدًا عن الزمن الذي يقصده هنا الخاص بضرب فوعون عوة، ربما يقصد أحد المواقف التالية:

❖ [641] عندما اتجه نحو حران عام 609 ق.م.

❖ عندما كان فوعون نحو في الشمال [2] بين 609 و 605 ق.م يترقب الدخول في معركة حاسمة مع نوخذنصر على نهر الوات، مؤكداً في ذلك [642]الحين سلطانه على الفلسطينيين.

❖ ربما ضوب فوعون نحو عوة عند عودته بعد غلبته على يوشيا في موقعة مجدو (2 أي 35: 20).

❖ عند عودته من محاولته الفاشلة لانقاذ اورشليم من الكلدانيين، ضوب عوة حتى لا يظن أحد أنه عاد إلى بلده فاشلاً.

يتحدث عن انهيار الفلسطينيين هكذا:

"هكذا قال الرب:

ها مياه تصعد من الشمال وتكون سيلاً جرفاً فتغشي الأرض وملأها،

المدينة والساكين فيها،

يصوخ الناس ويولول كل سكان الأرض" [2].

أ. يصعد الجيش البابلي الذي زحف بقوة عليهم بعد غلبته على المصريين في كركميش كمياه تنهار عليهم من الشمال [3] ؛ هنا لا يقصد بـ"الشمال" الاتجاه الجغرافي فحسب، لكنه يرمز للقوة المضادة أياً كان مصورها.

ب. يحل الجيش المهاجم عليهم كسيلٍ جرفٍ [2] يغرق الأرض وكل ملئها، المدينة والساكين فيها [2] . يشبه الكلدانيون بالسيل الجرف أو فيضان مياه كثوة تصدر عن نهرهم أي الوات. كثوة المياه تعني كثوة الجماهير التي تحل على موقع ما كفيضان.

للسيطان طرق كثوة، يعرف كيف يحل بالنفس كسيلٍ جرفٍ يسقط عليها فجأة ليحوط بها من كل جانب، فيشل كل حركتها، ويفقدتها التمتع بأية معونة خرجية، وأحياناً يتسلل خفية إلى النفس ليدخل إلى أعماقها ويتسلم عجلة قيادتها.

مع كل ما لعدو الخير من حيل وخوات طويلة وقوات خطوة، لا يحمل سلطاناً عليها للتسلل إلى داخلها ما لم يكن الباب مفتوحاً، ويجد في الداخل من يتجاوب معه. كما ليس له سلطان أن يحل بالنفس فجأة ويسيطر عليها إن كانت في يد الله، محفوظة بنعمته. في هذا يؤكد القديس يوحنا

الذهبي الفم أنه ليس لعدو الخير سلطان علينا، ولن يقدر أن يؤذينا ما لم يؤذِ الإنسان نفسه بنفسه [643].

ج. يغطي السيل الجرف الأرض وملأها [2] ، لكنه لا يستطيع أن يقرب من السماء ولا أن يصل إليها. فإن كانت النفس رُضاً تغرق بسيل الخطايا، أما التي صلت سماءً بسكنى السموي فيها فلا تقدر الخطية أن تقرب إليها.

د. "يصوخ الناس ويولول كل سكان الأرض" [2] . إذ اختلروا الأرض لا السماء مسكناً لنفوسهم لا يختبروا فوح السماء وتهليلاتها بل الصواخ والولولة. مسكين الانسان الذي يحرم نفسه من بهجة الخلاص فلا يختبر الفوح الداخلي حتى وسط تسلياته ونجاحة الزمني، ومطوب هو ذلك الذي يجلس مع الرسول بولس في السماويات (أف 2: 6) ، فإنه وإن دخل في ضيقات كثوة يوح ويتهلل بالله مخلصه، الذي يحول أتون الضيق إلى ندى السماء، كما فعل مع الثلاثة فتية الغرباء.

هـ. "من صوت قوع حوافر أقويائه،

من صرير مركباته،

وصريف بكواته،

لا تلتفت الآباء إلى البنين بسبب رتخاء الأيادي" [3].

يفقدون حتى العواطف الطبيعية التي تربط الوالدين بأبنائهم، إذ لا يلتفت الآباء إلى بنينهم حيث ترتخي أيادهم بسبب صوت الجيش المرعب الصادر عن حوافر الخيول والمركبات العسكرية والبكات. ليس لديهم الشجاعة ولا القوة للعودة إلى الخلف لإنقاذ أبنائهم الذين تروهم.

حقاً إذ تدخل الخطية إلى القلب تَهَبه فلا يبالي الإنسان بخلاص نفسه وخلص بنيه... لا يلتفت إليهم، بل يصير في رعبٍ ورعدةٍ.

و. "بسبب اليوم الآتي لهلاك كل الفلسطينيين لينقُض من صور وصيدون كل بقية تعين،

لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزوة كفتور" [4].

يحطم المتحالفين معهم، صور وصيدا [4] ويهلك الفلسطينيون في جنورهم إذ يشير إليهم في جزوة كفتور، وهي تشير في العهد القديم إلى جزوة كريت، الأرض التي جاء منها الفلسطينيون أصلاً (عا 9: 7). ربما قصد بالكريتين هنا جماعة من الفلسطينيين كانوا قد قدموا من جزوة كريت في الربع الأول من القرن الثاني عشر ق.م. [644].

ز. "أتي الصلغ على عثة" [5].

تشبه فلسطين بسيدة أو فتاة قصت شعورها حتى الوقع، وجرحت جسمها. هذه وسائل وثنية تستخدم للتعبير عن الحزن الشديد (لا 19: 28)، خاصة عند موت الأقرباء جداً (16: 6؛ 41: 5)، أو هو وصف يعبر عن مسح عثة من كل إنسانٍ كما بموسي فلا يُتوك فيها أحدٌ. ربما يقصد بالصلغ أن العدو سلبهم كل ممتلكاتهم من ذهبٍ وفضةٍ وحجارةٍ كريمة فصلروا كالقوع بلازينة.

ح. "أهلكت أشقلون مع بقية وطائهم" [5].

أشقلون : هي إحدى المدن الفلسطينية الخمس الرئيسية، مكانها اليوم مدينة عسقلان. كان لها ميناء بحري في العصور الغاورة. اسم الإلهة الرئيسية في أشقلون تركتو، لها وجه انسان وجسم سمكة. تقع على بعد عشرة أميال شمال عثة. وفي عصر العمرنة كان يحكمها ملك مصوي (تث 2: 23). وفي التورايخ الأثورية عرفت بـ *As-qa-en-na*.

ط. تُصاب النفس بالحوادث رادياً، فمن يخضع للخطية يحطم نفسه بالحوادث الداخلية، لذا يُقال لها بروح التوبيخ:

"حتى متى تخمشين نفسك؟!"

آه يا سيف الرب حتى متى لا تستريح؟!"

أنضم إلى غمدك، أهدأ وأسكن.

كيف يستريح والرب قد أوصاه؟!"

على أشقلون وعلى ساحل البحر هناك واعدته" [5-7].

يُسمى سيف بابل هنا "سيف الرب"، لأنه يشبه المنجل في يد الله، به يحصد سكان المدن الذين كمل شوهم وسقطوا تحت الغضب الإلهي.

كما أن كلمة الله لا ترجع فلغة حتى تحقق رسالتها، هكذا سيف الرب (أو تأديبه) لا يتوقف حتى يتم ما أرسل لأجله.

2 . نوات ضد صور وصيدا:

"لينقُض من صور وصيدون كل بقية تعين" [4].

صور وصيدون: "صور" اسم سامي معناه "صخر"، ربما لأنها قامت على جزوة صخرية، إلا أن القديس جيروم يرى أن كلمة "صور" في

العبرية تعني "محنة"، ولذا يرى سكانها يمثلون الساقطين تحت محنة الشيطان وبلاياه [645]. كما يفسر اسمهم: "موت بسبب حرة سامة" [646]، لذلك كانوا في رأيه يمثلون الذين يشوبون كأس غواية الشيطان فيسقطون سريعاً.

أما "صيدون" فتعني "أرض صيد سمك"، اشتركت مع صور في السخرية من يهوذا عند سببها. اتسمت صور وصيدا بالغنى الشديد خلال تجلتهما العالمية مع الانحلال والفساد.

في سفر إشعياء النبي يشبه الله "صور" زانية ترني مع كل ممالك البلاد على وجه الأرض (إش 23: 17)، لكنها إذ تتمتع بالإيمان الحي تكون

أ. نبو: لا يقصد جبل نبو بل مدينة نبو التي تخرب.

ب. قريتايم: تصوير في عارٍ وتُسى.

ج. مسجاب: يحل بها الخرى وتأخذها الوعدة، وتصير كأنها غير موجودة بعد أن كانت فخر موآب.

د. حشبون العاصمة يحل بها الشر فتقوض، هذه التي كانت كرسي المشورة (حسب معناها) صلت موكراً لمشيرين آخرين يدمرونها [6511].

هـ. مدمين: مع تغيير بسيط في حروف الاسم تعني في العبرية "صمتاً"، تقف صامتة من هول الحدث، إذ يطردها السيف، كما يستحق اسمها

(إش 15: 1).

و. حوروناييم: يُسمع فيها صوت صواخ بسبب الدمار والهلاك العظيم.

يلاحظ أن كثير من أسماء البلدان المذكورة في هذا الأصحاح وُجدت منقوشة على الحجر الموابي الذي نقشه ميشه *Mesha* ملك موآب، اكتشف

عام 1868م.

أخوًا يعبر النبي عن العورة التي لحقت بالصغار، فصار صواخهم يزايد ويُسمع في كل مكان، فالعدو لا يفرق حتى بالأطفال.

نبو [1] : كلمة بابلية تعني "مذيع". وهو اسم إله بابلي يسيطر على الأدب والعلم، ابن بعل مروخ ورسوله، الذي يفسر رادته للقابلين الموت.

أما المدينة التي تحمل هذا الاسم فتقع على جبل نبو أو بجوره. أحد جبال سلسلة جبال عبريم في موآب، مقابل ريجا (عد 33: 47، تث 32: 49)،

شوقي الأردن في نهاية جنوب البحر الميت، وهو الجبل الذي صعد عليه موسى النبي لينظر من بعيد أرض الموعد فتهللت نفسه مشتاقاً أن يعبر إلى

أرض الأحياء، وينعم بكنعان السماوية، وقد مات هناك (تث 34). تدعى قمته رأس الفسجة. وربما كان جبل النبا.

تبعد المدينة خمسة أميال جنوب شوقي حسبان، حالياً هي خربة المخيط. بناها سبترأوبين أي أعادوا بناءها، وبحسب ما جاء في الحجر

الموابي أن ملك موآب استولى عليها.

قريتايم [1] : اسم عوي معناه "قويتان"، بناها بنورأوبين مع حشبون (عد 32: 37) أو جدوها، ولكنها تحولت بعد ذلك إلى مملكة موآب.

تسمى حالياً "القربات"، تبعد حوالي عشر أميال جنوب بعل معون، وستة أميال شمال غربي ديبون بالأردن.

مسجاب : اسم موابي معناه "موقع"، لأنها كانت قائمة على موضع عالٍ، يترجمها البعض *hammisgab* ومعناها حرفياً "وج عالٍ" أو "حصن".

ربما كان لقباً لمدينة قبر.

مدمين [2] : اسم موابي معناه "مذبلة"، ورجح أنها قرية في موآب، ربما كانت خربة دمنة في وادي بني حمد، تبعد حوالي ميلين شمال غربي

ربة *Rabbah*.

حشبون [2] : اسم موابي معناه "حسبان" أو "تدبير" أو "مشورة". وهي مدينة سيحون ملك الأموريين، أخذها الموابيون من سبط لوي (يش 21:

29، أي 6: 81). تُعرف حالياً باسم "حسبان"، وهي مدينة خربة قائمة على تل منقول بين رنون وبيوق، تقع نحو سبعة أميال ونصف شمال مادبا.

وكانت هي ومدينة العالة [34] موضع زاع بين إسرائيل وموآب.

حوروناييم [3] : اسم موابي معناه "كهفان" أو "هدتان" (نح 2: 10؛ إش 15: 5). وهي مدينة موابية عند سفح أحمود.

عقبة لوحيت [5] : "لوحيت" كلمة موابية معناها "مصوغ من الواح"، وهي مدينة موابية مبنية على تل أو عقبة. رى **القديس جيروم** أنها لوئيثا

Luhith الواقعة بين ليوبوليس (أي ربات موآب *Rabbath- Moab*) وصوغر *Zoar* وهي خربة فاس أو خربة مدينة الرأس بين غور الصافية و

الخزوة.

تقع لوئيثا على مرتفع بينما توجد حوروناييم في موضع سهل لهذا يصعد الموابيون من حوروناييم وهم يبكون لعلهم يجدون مكاناً آمناً، فيجدون

سكان لوئيثا نزلين باكين يطلبون الأمان. وكأنه أمام بابل لا يجد سكان المرتفعات ولا سكان الوديان والسهول أمناً إذ يلحقهم السيف في كل موضع.

ويصدر الصواخ المرّ مع الصاعدين كما مع النزّلين!

2 . دعوة للهروب:

إذ ينحدر سكان المرتفعات بدوع كل يطلب من الآخر أن يهرب يجنوا الصاعدين من السهول قادمين ببيكاء يطلبون الهروب، فوتيك الجميع ولا يعرفون إلى أين يذهبون.

"هربوا نجوا أنفسكم وكونوا كوعرٍ في البرية.

فمن أجل اتكالك على أعمالك وعلى خزائنك ستؤخذين أنت أيضاً ويخرج كموش إلى السبي كهنته ورؤسؤه معاً.

ويأتي المهلك إلى كل مدينة،

فلا تفلت مدينة،

فبيد الوطاء ويهلك السهل كما قال الرب.

أعطوا موآب جناحاً لأنها تخرج طاوئة وتصير مَدُنُها خربة بلا ساكن فيها.

ملعون من يعمل عمل الرب يرخاء (بّواخ أو بخداع) وملعون من يمنع سيفه عن الدم" [6-10].

نجد هنا دعوة إلى الهروب لنجاة النفس:

1 . الهروب من أسوار المدن إلى عوى (وعر) البرية. لعلها دعوة إلى عدم الثقة في الحصون البشوية التي يصنعها الإنسان لنفسه في غير اتكال على الله. فإن كانت الورى بلا حصون لكن موآب يظن أنها أكثر أماناً من أسوار المدن التي تقتحمها بابل. على أي الأحوال إذ يهرب موآب إلى البرية حيث يحسب العدو أنه لا حاجة لاقتفاء أثره هناك لأن البرية نفسها تحطمه وتهلكه.

2 . عدم الاتكال على الأعمال الذاتية والخزائن؛ فأنها تقيم إلهاً (كموش) لا يقدر أن يخلص نفسه ولا كهنته ولا رؤساءه. إذ يحمل الموآبيون تماثيل كموش معهم إلى المعركة تؤخذ منهم إلى أرض السبي علامة نصوة آلهة بابل على آلهة موآب.

3 . لا يتحقق الهروب بتغيير المكان بل بتغيير الأعماق، فالتدمير يبلغ كل مدينة، يبید المناطق العالية ويهلك الأماكن السهلة؛ لا المرتفعات ولا الوديان تقدر أن تخلص بل يد الرب العاملة في قديسيه.

4 . الحاجة إلى جناحي الروح لكي تطير النفس من وجه الشر [9]، فلا تقطن بعد في الأماكن الخربة. ولعله هنا يحمل معني التوبيخ في شيء من السخرية، فإنه إذ يحل الخواب فجأة لا يعرف موآب إلى أين يذهب، فالأرض كلها قد تدمرت. إنه في حاجة إلى جناح يطير به بسوعة لكي يرتفع عن كل الأرض... ولكن إلى أين؟

5 . الجدية في العمل، إذ ملعون من يعمل عمل الرب وخوة [10]... هنا دعوة إلى بابل للعمل بكل جدية لتحقيق ما سمح به الرب من تأديب لموآب، وفي نفس الوقت هي دعوة إلهية لكل نفس في مملستها للعمل الإلهي بإخلاص وجدية، في غير رخوة.

❖ أشار رميا إلى أن الإهمال أمر خطير. " ملعون من يعمل عمل الرب يرخوة" [10] . من كان في قائمة خدام الرب يؤرمه أن يكون مجتهداً ومتيقظاً. عندما يمسح الخطية من حياته بغوته يتهيأ للاقتواب نحو الله، الذي يدعوه الكتاب نزلًا آكلة (تث 4: 24؛ 9: 3؛ عب 12: 29).

يؤرنا أن نتذكر أن الله الذي يجعل ملائكته أرواحًا هو نفسه روح، يجعلهم خدامًا له لهيب نار (مز 104: 4) [652].

البابا أنثاسيوس الرسولي

❖ يؤرم على كل أحد أن ينتبه إلى عمله الخصوصي ويهتم به وغبه، ويتممه بدون ملامة، بغوة ونشاطٍ وعنايةٍ وسهرٍ، لئلا يستحق اللعنة، إذ قيل ملعون من يعمل عمل الرب باسترخاء [10]...

أيتها الساكنة بنت ديبون،

لأن مهلك موآب قد سعد إليك وأهلك حصونك" [14-18].

يعبر عن كلثة موآب التي حلت بإلهه كما بمدنه وأبطاله وسلطانه:

أ. بينما ظن الموآبيون الذين عاشوا أغلب زمانهم جباوة أنهم رجال قوة للحرب، إذا بمدنهم تخرب.

ب. دخل منتخوه في معركة ضد الملك رب الجنود، فسقطوا قتلى.

ج. انهار اسمه وغوه وسلطانه، فانكسر قضيب غوه وعصا جلاله.

إذ لجؤا إلى ديبون المدينة المرتفعة الحصينة، التي تحتضن مرتفع كموش، سعد إليهم الهلاك وحطم حصونهم.

ديبون [18] : اسم موآبي معناه "مرتفعات" أو "هال" أو "انحلال"، وهي مدينة تبعد حوالي ثلاثة أميال شمال نهر رُنون، شمال غربي عروعر.

تُسمى بالعربية زيبان.

"ففي على الطريق وتطلي يا ساكنة عروعر.

أسأل الهرب والناجية قولي ماذا حدث؟! [19].

من هول الكلثة هبوا من المدن التي في المرتفعات كما كانوا يسألون بعضهم البعض: ماذا حدث؟! ولا إجابة!

عروعر [19] : اسم موآبي وعوي معناه "عربية". مدينة على الشاطئ الشمالي لنهر رُنون، وإلى الجنوب من مملكة سيحون، وكانت من

نصيب رُوبين صلت فيما بعد تابعة لموآب. تُسمى الآن عواعر، على بعد إثني عشر ميلاً شرقي البحر الميت، جنوبي ذيبان بقليل.

"قد حوى موآب لأنه قد نُقض.

ولولوا وأصروا أخبروا في رُنون أن موآب قد أهلك" [20].

رُنون [20] : كلمة عبرية معناها "رئيس"، وهو اسم لنهر يدعى اليوم "وادي الموجب" في الأردن، ويتكون من وادي "وله" الذي يأتي من الشمال

الشرقي، وادي "عنقيلة" الآتي من الشرق "وسيل الصعدة" الآتي من الجنوب. هذه هي أودية رُنون (21: 14)، ويجري نهر رُنون في غور عميق حتى

يصل إلى البحر الميت في نقطة تقع إلى مسافة قصوة من منتصف الشاطئ الشرقي.

"وقد جاء القضاء على أرض السهل،

على حولون وعلى يهصة وعلى ميفعة

وعلى ديبون وعلى نبو وعلى بيت دبلتايم

وعلى قريتايم وعلى بيت جامول وعلى بيت معون

وعلى قريوت وعلى بصوة وعلى كل مدن أرض موآب البعيدة والقريبة" [21-24].

حولون [21] : اسم عوي ربما كان معناه "رميلة"، وهي مدينة من جبال يهوذا (يش 15: 51)؛ أعطيت بضواحيها أو مسلحها للكهنة (يش

21: 15)، دُعيت أيضاً حيلين (1 أي 6: 58)، لا يعرف مكانها اليوم.

يهصة [21] أو **ياهص [34]** (يش 13: 18، 21: 36): اسم موآبي معناه "موضع مُداس". وهي مدينة موآبية قرب البادية في نصيب

رُوبين. في هذا الموضع انتصر العوانيون على سيحون، فاستولوا على الأرض ما بين رُنون ويوق. لكن يبدو أن الموآبيين أخنوها في الأيام المتأخرة.

يُقال إنها قرية أم المواليد أو خربة اسكندر، تبعد حوالي اثني عشر ميلاً شرقي البحر الميت، وعلى بعد ميل جنوبي زرقاء معين.

ميفعة [21] : اسم عوي معناه "بهاء"، من مدن اللاويين في رُوبين (يش 13: 18؛ 21: 37)، أخذها موآب، وربما كانت تل الجوة، تبعد

حوالي ستة أميال جنوبي عمان.

بيت دبلتايم [22] : اسم عوي معناه "بيت أواص التين"، تُسمى أيضاً علمون دبلتايم (عد 33: 46).

بيت جامول [23] : اسم عوي معناه "بيت الجمل"، ربما كانت هي خربة جميل، تبعد حوالي ستة أميال شرقي ديبان. وهي بلدة لا سور لها، ولا يسكنها إنسان، بل وحوش الوبية كما تنبأ لميا النبي.

بلعون أو بيت معون [23] أو بعل معون (يش 13: 17) . اسم موآبي معناه "بعل المسكن"، بناها الألوبيينون (عد 32: 38)، حالياً تُدعى معين، تبعد حوالي تسعة أميال جنوب غربي حسان، وتوجد فيها الآن خرب كثرة ورد ذكرها في الحجر الموآبي.

قريوت [24] : اسم عوي معناه "القوى" أو "المدن". توجد مدينتان تحملان نفس الاسم، الأولى في جنوب يهوذا (يش 15: 25)، والثانية مدينة حصينة في موآب، ذُكرت في الحجر الموآبي، ويظن أنها نفس عار التي كانت عاصمة موآب، وهي خربة الوبية التي تبعد حوالي 14 ميلاً جنوبي نهر لرنون.

بصوة [24] : اسم عوي معناه "قلعة" أو "حظوة"، توجد مدينتان بذات الاسم، الأولى في أنوم (يش 34: 6) والثانية في بلاد موآب، ويظن أنها باصر.

"غضب قرن وتحطمت نواعه يقول الرب:

أسكروه لأنه قد تعازم على الرب فيتصوغ موآب في قيانه وهو أيضا يكون ضحكة.

أفما كان إسرائيل ضحكة لك!؟

هل وجد بين اللصوص حتى أنك كلما كنت تتكلم به كنت تنغض الرأس!؟" [25].

يشير قطع القرن وكسر الزواج إلى انتهاء القوتين السياسية والعسكرية لموآب، لم يعد لموآب قرن عز أمام الأمم ولا نواع عسكري للدفاع عن

نفسه.

كان موآب يستهزئ بإسرائيل عند سببيه، حاسباً هذا ضعفاً أو عجزاً في الله إلههم (حز 25: 8)، وكان يسخر بإسرائيل محرّكاً رأسه كمن يسخر بلصٍ ألقى القبض عليه.

4. حيثيات الحكم:

"خَلُّوا المدن واسكنوا في الصخر يا سكان موآب،

وكونوا كحمامة تعشش في جوانب فم الحفرة.

قد سمعنا بكبرياء موآب.

هو متكبر جداً. بعظمته وكبريانه وجلاله وارتفاع قلبه.

أنا عرفت سخطه يقول الرب:

إنه باطل. أكاذيبه فعلت باطلاً" [26-30].

توجه الدعوة إلى موآب لإخلاء المدن والسكن في الكهوف السرية التي في الصخور، فيكون كحمامة بلا قوة تضع عشها في فم صخرة.

يصير موآب كحمامة لا تضع عشها في الحقائق على الأشجار، بل منفوده في صخرة بعيدة. يتحول موآب من طير مغرد إلى طير حزين في

عزلة لا يعرف إلا الصواخ.

5. موثاة على موآب:

أ. يبدأ لميا النبي بإعلان حبه للأمم مثل سيده الذي لا يُسر بموت الأشرار بل وجعوا فيحياوا. فهو وإن كان ينتبأ على موآب بالخواب لكنه

يولول عليه، ويصوخ من الخرج، كما يُن قلبه من الداخل، يبكي فتحوي دموعه كمياه ينابيع غرورة لا تتوقف.

"من أجل ذلك أولول على موآب، وعلى موآب كله أصوخ.

يؤن على رجال قير حرس.

أبكي عليك بكاء يعزير يا جفنة سبمة.

قد عبرت قضبائك البحر وصلت إلى بحر يعزير" [31-32].

مثل إشعياء النبي لم يحتمل رميا النبي أن وي ما يحل بهذه المدن العظيمة، وكيف تحول شعبها إلى صواخٍ مستمرٍ، حتى صلت موآب ترتعد في داخلها: "نفسها ترتعد فيها" (إش 15: 4)، لذلك يقول "يصوخ قلبي من أجل موآب" (إش 15: 5). لا يقف شامتا في الأعداء، إنما يشركهم هولتهم،

مشتاقا إلى رجوعهم عن عدوتهم وتمتعهم بالخالص. هذه هي سمة رجال الله: الحب الداخلي الصادق والرغبة العميقة لخالص حتى المقاومين لهم!

❖ لو لم يكن شورا ما كان قد صار لكم عوا. إذن اشتهوا له الخير فينتهي شوه، ولا يعود بعد عوا لكم. إنه عدوكم لا بسبب طبيعته البشوية وإنما بسبب خطيته! [656]

القديس أغسطينوس

❖ لا تفيدنا الصلاة من أجل الأصدقاء بقدر ما نتفعا لأجل الأعداء... فإن صلينا من أجل الأصدقاء لا نكون أفضل من العشرلين، أما إن أحببنا أعداءنا وصلينا من أجلهم فنكون قد شابها الله في محبته للبشر. [657]

القديس يوحنا ذهبي الفم

قير حرس [31]: اسم سامي معناه "سور" أو "مدينة ذات أسوار" تبعد حوالي أحد عشر ميلا شوقي الخوء الجنوبي من البحر الميت. موضعها اليوم مدينة كرك في الأردن.

يعزير: اسم عوي معناه "يعين"، وهي مدينة من جلعاد، أعطيت لجاد ثم لعشوة هوري من سبط لاوي (عد 21: 32؛ 32: 1). كانت في أيام داود الملك للحيرونيين (1 أي 26: 31)، وفي الأرمنة المتأخرة صلت لموآب. وي يوسفوس أنها تبعد حوالي عشوة أميال غربي رية عمون و15 ميلا شوقي حسبان. ويظن البعض أنها خوبة جزر جنوبي السلط قرب عين هوير على وادي شعيب.

شباب: ومؤنتها "سبمة"، ويعني "بلرد أو بلردة"، صلت من نصيب رأوبين (يش 33: 19)، واستولى عليها بنو موآب. عرفت بكرومها (أش 16: 8-9، إر 48: 32). وي القديس جيروم أنها تبعد حوالي نصف ميل من حشبون. حاليًا تُسمى الكبش بين حسبان ونبو، وتبعد ثلاثة أميال شمال شرق صياغة على وادي سلامة.

ب. فقد موآب حوقله وبالتالي محاصيله، فتولت جناتة إلى وري.

"وقع المهلك على جناك وعلى قطافك.

وتوع الفوح والطرب من البستان ومن أرض موآب" [32-33].

ج. أنوع الفوح من بساتينه، فحيث لا حصاد ولا ثمر لا يوجد فوح ولا طرب.

وقد أبطلت الخمر من المعاصر. لا يُداس بهتاف. جلبة لا هتاف" [33].

إن كان الخمر يشير إلى الفوح، فإنه لا يوجد عنب للحصاد، وبالتالي لا يخرج خمر من المعاصر، وإن وُجد العنب فلا توجد معاصر إذ هدمها العدو، وإن وُجدت المعاصر لا يوجد الرجال الذين يدوسون العنب لعصوه... هكذا عوض هتاف الفوح والأغاني التي كان يتغنى بها الدائسون المعاصر، امتلأت البقاع بالجلبة والفوح.

د. يشبه موآب بعجلة عموها ثلاث سنوات أخذ منها العجل رفيقها فتحوي من موضعٍ إلى آخر بغير خطة، في حالة هيسورية.

"قد أطلقوا صوتهم من صواخ حشبون إلى ألعالة إلى ياهص، من صوغر إلى حوروناييم كعجلة ثلاثية لأن مياه نمريم أيضاً تصير خربة"

[34].

العالة [34] : اسم عوي معناه "الله صعد" أو "الله عال". أعاد بناءها سبترأوبين، وقد سقطت في يد بني موآب (إش 15: 4، 16: 9، إر 48:

34). تبعد حوالي ميلين شمال حشبون، تُسمى حالياً "العال"، تقع على تلّ.

صوغر : اسم سامي معناه "صِغَر"، وهي إحدى مدن الدائرة (تك 13: 10) واصوغها (تك 19: 20، 22). كان اسمها الأول بالع، لم تخرب

هذه المدينة عند دمار سدوم واخواتها مدن الدائرة، لأن لوطاً صلى والتجأ إليها (تك 19: 20-30). ذكّرها مع موآب يجعلنا نظن أنها كانت في الضفة

الموآبية الشرقية من البحر الميت. لعلها كانت قريبة من خرائب القوية. ويُرحح أنها اليوم تحت مياه البحر.

نمريم [43] : اسم سامي معناه "مياه صافية". وهي ينابيع في وادي نمرة في الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الميت.

هـ. يستخدم موآب كل ما يعبر عن الحزن الشديد: قوع الرأس، جز اللحية، وتجريح الأيدي، وليس المسوح على الأحقاء، وفوح علني على

السطوح وفي الشوارع.

وأبطل من موآب يقول الرب من يصعد في مرتفعةٍ ومن يبخر لآلهته.

من أجل ذلك يصوت قلبي لموآب كنائي،

ويصوت قلبي لوجال قير حلس كنائي،

لأن الثروة التي اكتسبها قد بادت.

لأن كل رأس أقوع،

وكل لحية مجزوة،

وعلى كل الأيدي خموش،

وعلى الأحقاء مسوح.

على كل سطوح موآب وفي شوارعها كلها نوح" [35-38].

قوع الرأس يشير إلى المذلة، إذ اعتاد الغالبون أن يخلقوا شعر الذكور والإناث المسيبين علامة العبودية والقبح؛ وجز اللحية إشارة إلى مهانة

الكهنوت وفقدان سلطانه الروحي وكرامته، والأتار بالمسح علامة اليأس الشديد، أما البكاء حتى تصير الدموع كالسيل فمعناه فقدان الفرح الداخلي.

هذه هي صورة النفس التي تعزل إليها ليسببها العدو الشرير؛ تفقد حريتها وجمالها وسلطانه وكرامتها وفرحها، لتصير أشبه بأمة قبيحة ذليلة

منكسوة، ولا تجدراحة لا في الأرقعة ولا على السطوح (حيث يضع الوثنيون آلهتهم) ولا في الساحات؛ وإنما وجدت لا تشعر بالراحة.

و. يفقد موآب الثروة التي اكتسبها [36]، فإذا وقف شامئاً في يهوذا عند سبيه واستغل الأحداث، فدخل بأغنامه إلى أرض يهوذا وسلب ما

استطاع سلبه، فقد ليس فقط ما سلبه ولكن كل ثروته. هكذا إذ يسلب الإنسان شيئاً يفقد حتى ما ناله بجهاده شوعياً.

ز. فقد قيمته في عيني الله فصار كأناء لا مسوة به.

"لأني قد حطمت موآب كأناء لا مسوة به يقول الرب.

يولولون قائلين: كيف نُقضت؟!

كيف حولت موآب قفاها بحري فقد صلت موآب ضحكة ورعباً لكل من حواليها" [38-39].

6. الغزو البابلي:

"لأنه هكذا قال الرب: ها هو يطير كنسرٍ ويبسط جناحيه على موآب.

قد أخذت قريوت وأمسكت الحصينات وسيكون قلب جبارة موآب في ذلك اليوم كقلب امرأةٍ ماخضٍ.

ويهلك موآب عن أن يكون شعباً لأنه قد تعاضم على الرب.

خوف وحفرة وفخ عليك يا ساكن موآب يقول الرب" [40-43].

كثراً ما يشبه ملك بابل بالنسر يهجم على الفؤساء بسوعة وبقرة فلا تجد فرصة للهروب أو المقاومة أو الدفاع عن نفسها.

إذ ظن موآب في نفسه يحمل قوة لمقاومة الله "يهلك عن أن يكون شعباً" [42] ، يفقد كيانه أمام الأمم، ولا يكون له ملك ولا حكومة مدنية تدير

أمره.

وكما سبق فقال موسى النبي: "لأن نراً من حشبون، لهيباً من قرية سيحون؛ أكلت عار موآب، أهل مرتفعات لنون. ويل لك يا موآب، هلكت

يا أمة كموش" (عد 21: 28-29).

7 . هروب موآب:

"الذي يهرب من وجه الخوف يسقط في الحفرة،

والذي يصعد من الحفرة يعلق في الفخ،

لأنني أجلب عليها أي على موآب سنة عقابهم يقول الرب.

في ظل حشبون وقف الهاربون بلا قوة.

لأنه قد خرجت نار من حشبون ولهيب من وسط سيحون فأكلت زاوية موآب وهامة بني الوغا.

ويل لك يا موآب.

باد شعب كموش لأن بنيك قد أخذوا إلى السبي وبناتك إلى الجلاء" [44-6].

لا مجال للهروب، فمن يهرب من الخوف يجد نفسه ساقطاً في حوة، وإن صعد من الحوة يجد فخاً قد اقتنصه. من هرب من قريته ليجد أمناً

في حشبون الحصينة وجد نراً تخرج منها لتلتهمه. إذ يهربون إلى العاصمة حشبون يحتمون في أسورها يشعرون بالضعف الشديد، وتخرج نار من

هناك تأكلهم.

8 . إصلاح موآب:

"ولكنني أرد سبي موآب في آخر الأيام يقول الرب إلى هنا قضاء موآب" [47].

بلا شك عند عودة اليهود في أيام كورش عاد بعض من الموابيين والعمونيين والفلسطينيين لكن لم ينل أحد منهم استقلاله، ولا صار لهم ملوك.

لذا وى كثير من الدارسين أن هذه النبوة قد تحققت بقبول هذه الشعوب الإيمان بالسيد المسيح فزوع عنهم سبيهم الداخلي، وتمتعوا بمجد حرية أولاد الله.

من وحي إرميا 48

إلى أين أهرب من وجهك يارب!؟

❖ لاقت موآب كل حب منك ومن شعبك،

فودت الحب بالعدوة،

قدمت من رجاساتها ما يفسد المؤمنين،
جذبتهم إلى النجاسة وافقدتهم العمل الإلهي!
❖ استحققت أن تتحطم كل مدنها،
فلا تجدراحة إلى المرتفعات ولا في السهول،
بل خراب ودمار مع هزيمة ودوع!
لا يسمع في أعماقي إلا صوت صراخ موعب!
❖ لتحطم يارب كل مدينة أقمتها بنفسي في أعماقي،
لتهدم كل موقع في داخلي،
ولتقم أورشليمك المتهللة في!
نعم! لتحطم أعمالنا البشوية الذاتية ولتعلن عمك الإلهي العجيب!
هب لي أن أهرب إليك وليس من وجهك.
عوض خزائن العالم اعطني جناحي الروح،
أطير إليك وأسكن معك في سمواتك!
أحمل روحك القديس فأصعد على النوام،
أحيا بروح القوة لا الفشل،
لا أعرف الرخوة أو الغش بل الخلاص مع الجدية!
هب لي أن أمسك بكلمتك كسيف ذي حدين،
أضرب كل خطية وأبددها!
لتمت خطاياي وتحيا كلمتك في داخلي.
❖ دللتني منذ صباى فعشت مستريحاً،
وأنا لغبوتي لم أنتقع بطول أناتك عليّ.
سقطت تحت التأديب،
وبحباك لا تُسر بهلاكي،
ردني من السبي يا محرر نفسي!
ردني إليك فأحيا حواً!

<<

الأصحاح التاسع والأربعون

نبوات ضد الأمم

بدأت النوات ضد الأمم الغريبة بمصر الوثنية (إر 46) إشارة إلى أن مدخل الخطية هو الرخوة والتعلق بالعالم.

ثم فلسطين الوثنية (إر 47) (يكونها رمزاً للعدوة والعنف في ذلك الحين، فإن انشغال القلب والفكر بالماديات يولد أنانية تبعث عدوة ضد الغير بلا سبب.

ثم صور وصيدا (إر 47: 4) (يكونها رمزاً للتحالف مع الشر، فالعنف يدفع بالنفس إلى الارتباط بالنعفاء نون مبرر.

بعد ذلك موآب (إر 48) (يكونها رمزاً للفساد.

الآن في هذا الأصحاح يقدم لنا النبي نوات ضد ست أمم:

1. بنو عمون البنيت المرتدة [1-6].

2. آنوم المتشامخ [7-22].

3. سوريا الهلرية المرتدة [23-27].

4. قيذار فاقدة الخيام [28-29].

5. حاصور مسكن بنت آوي [30-33].

6. عيلام صاحب القوس المنكسر [34-39].

يتحدث النبي في الأصحاحين التاليين (إر 50، 51) عن بابل (يكونها رمزاً لمملكة ضد المسيح، حيث يبلغ الشر أقصاه في الأيام الأخوة بعد الارتداد، وقبل مجيء السيد المسيح الأخير.

1. بنو عمون البنيت المرتدة:

تقدم بنو جاد وبنورأوبين إلى موسى والعار الكاهن ورؤساء الجماعة وطلبوا منهم السماح لهم بأن يكون نصيبهم في شوقي الأردن، لأن الأرض هناك هي مكان مواشي (عد 32). اختاروا لأنفسهم المشاكل التي لا حصر لها. دخلرأوبين في صواع مع الموابين، ودخل جاد في صواع مع عمون.

غالبًا ما كانت العلاقة بين إسرائيل وعمون لا تحمل روح الصداقة.

في أيام الخروج سمح عمون بمرور الشعب في أراضيهم كما فعل موآب وآنوم؛ وليس مثل مملكتي الأموريين سيجون وعوج اللتين لم تسمحا بذلك (تث 2: 37). بعد ذلك قامت بينهما حرب في أيام القضاة (قض 11: 1-11)، كما قاوم ناحاش العموني إسرائيل في أيام شاول (1 صم 11: 1-11). طلب داود الملك السلام لكنهم أهانوا عبيده، وقام سليمان بالسيطرة عليهم (1 مل 4: 13-19). علق عاموس النبي على نشاطهم العنيف في منطقة جلعاد في القرن الثامن ق.م. (عا 1: 13-15).

وعندما تمرد يهوذا على بابل سنة 600 - 597 ق.م. استطاع نبوخذنصر أن يرسل قوات من الآراميين والموابيين والعمونيين ليخضعوا يهوذا (2 مل 24: 2) [658].

لعب بعلعيس ملك عمون دورًا خطوًا في اغتيال جدليا والي يهوذا (40: 14؛ 41: 15). وفي سنة 582 أرسل نبوخذنصر قوة ضد عمون وأيضًا ضد موآب ويهوذا (52: 30)، كما سقطت عمون وموآب ضحية لهجمات العرب عليهم الذين خربوا بلادهما وذلك في منتصف القرن السادس ق.م، ولم تعد عمون بعد ذلك أمة مستقلة. في القرن الأول ق.م حارب يهوذا المكابي بني عمون (1 مك 5: 6).

جاءت النبوة ليست ضد الملك بل ضد "ملكوم" إله عمون الذي لتبطل العبادة له بتقديم الأطفال ذبائح بشوية حتى قبل أيام موسى النبي.

قُدمت النبوة التي بين أيدينا قبل سقوط يهوذا وعمون، ربما حوالي عام 601 - 600 ق.م. (2 مل 24: 2). وقد تحققت جزئيًا على يد

[659]

نوخذنصر عام 582 ق.م، وتمت بالكامل في منتصف القرن السادس في وقت غزات العرب .

ينتسب بنو عمون إلى عمون ابن ابنة لوط الصغرى، أنجبته من أبيها بعد أن سكر (تك 19: 38). وكما يقول القديس جيروم: [بالحقيقة لم يكن لوط يعرف ماذا كان يفعل، ولا كانت خطيته برادته، ومع هذا فخطأه عظيم إذ جعله أباً لموآب وعمون عنويّ إسرائيل ^[660]].

يبدأ نواته ضد بني عمون بعتابه إياهم إذ حاولوا عبر العصور الاستيلاء على أرض جاد واحتلال مدنه فيقول:

"عن بني عمون. هكذا قال الرب:

أليس لإسرائيل بنون أو لاورث له؟!

لماذا يرث ملكهم (ملكوم) جاد وشعبه يسكن في مدنه؟!" [1].

يترجم البعض الكلمة العبرية "ملكوم" وليس "ملكهم"، وهو الإله القومي لبني عمون. إنه يوبخهم إذ ظنوا أن إلههم ملكوم (1 مل 19: 38) يرث ما للرب. وإن كان الاسرائيليون أنفسهم قد عبوه أو تأثروا بعبادته (32: 35؛ لا 18: 21؛ 20: 2-5؛ 1 مل 11: 5، 7: 33؛ 2 مل 23: 10، 13؛ عا 5: 26).

يرجع ذلك إلى أيام القضاة حيث أرسل يفتاح إلى ملك بني عمون يقول: "ما لي ولك إنك أتيت إليّ للمحاربة في أرضي؟!" (قض 11: 12). وبعد سليمان الملك كان بنو عمون يطردون بني جاد من أراضيهم ومدنهم تدريجياً حتى حلّ السبي الأشوري على يديّ تجلث بلاسر الثالث سنة 733 ق.م. (2 مل 15: 29)، وأقتيد بنو جاد إلى السبي وورث عمون بعض أراضيهم ومدنهم.

هنا يقدم لميا النبي عشرة نوات تكشف عن عمل الخطية في حياة الإنسان:

أ. سماع إنذار العرب في ربة العمونيين كجلبة، فإنها تحول المدن الداخلية إلى معركة لا يُسمع فيها صوت بوق كلمة الله الموح بل صوت الحرب، فتتحول أعماق النفس من مدينة الله المتهللة إلى موقع حرب كله صواخ وضجيج.

"لذلك ها أيام تأتي يقول الرب وأسمع في ربة بني عمون جلبة حرب" [2].

ربة بني عمون: عاصمة عمون، تقع على نهر يبيوق، وتبعد حوالي 14 ميلاً شمال شرقي حشبون، حالياً عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية. كشفت الحفريات عن آثار لربة عمون ^[661]، كما وُجدت نقوش هامة عن عمون القديمة.

ب. تحول ربة إلى تلّ حرب، فإن الخطية تحطم كل بنيان داخلي لتجعل منه كومة خراب لا يقدر كائن بشوي أو سموي أن يقطن فيها.

"وتصير تلاً حرباً" [2].

ج. حرق بناتها:

"وتحرق بناتها بالنار" [2].

د. تفقد مورثته:

"فيرث إسرائيل الذين ورثوه يقول الرب" [2].

هـ. ولولة وصواخ:

"ولولي يا حشبون لأن عاي قد خربت.

اصوخن يا بنات ربة.

تنطقن بمسوح.

اندين وطوفن بين الجوان" [3].

كانت حشبون عادة تحت سيطرة موآب (48: 48) وإن كانت أحياناً تنتمي إلى عمون (قض 11: 26)، فهي على الحدود بين الأمتين.

عاي: لا تُعرف مدينة عمونية بهذا الاسم، لذا وى البعض أنه لا يُقصد بها مدينة معينة، خاصة وأن كلمة عاي معناها "كومة" أو "دمار" وكأنه يعني أن حشيون قد صلت كومة خوبة؛ وإن كان البعض يفترض وجود عاي أخرى تابعة لعمون غير قوية عاي التي في إسرائيل.

و. سبي الملك والكهنة والرؤساء:

"لأن ملكهم يذهب إلى السبي هو وكهنته ورؤسؤه معا" [3].

ز. امتلاء أوديتها بالدماء.

"ما بالك تفتخرين بالأوطية.

قد فاض وطوأك دمًا أيتها البنت المرتدة والمتوكلة على خزانها قائلة: من يأتي إليّ؟! [4].

ح. يحل بها الخوف من كل جانب:

"هأنذا أجلب عليك خوفًا يقول السيد رب الجنود من جميع الذين هواليك" [5].

ط. طرد الجميع:

"وتطردون كل واحد إلى ما أمامه وليس من يجمع التائهين" [5].

ي. إصلاح وعودة روحية: الوعد هنا يشبه الوعد الإلهي لمصر (46: 26) وموآب (48: 47). في أيام فرس زى طوبيا حاكمًا محليًا لعمون (نح 2: 10، 19؛ 4: 7).

"ثم بعد ذلك رد سبي بني عمون يقول الرب" [6].

هذه السنوات العشرة التي تحققت في بني عمون الابنة المرتدة المتكئة على خزانها والتي تظن أنها فوق كل قانون، لا تستطيع يد أن تمتد إليها [4]، تتحقق مع النفس التي ترتد عن مسيحها لتتكلم على ذاتها وإمكانياتها البشرية، فتظن أنه ليس من يقدر أن يؤدبها. لكن الله في حبه يكشف لها عن ثمر خطاياها، فتجني هولرة الخطية لتقبل مسيحها فتردها إليه، ووجع إليها ويحملها معه إلى حضن أبيه.

❖ يتحول قلبها كما فكها إلى "ربة عمون" التي لا يسمع فيها هتافات الملائكة بل جلبة حوب، وضجيج لا ينقطع.

❖ تصير تلاً خرباً لا فروساً وجنة يقتطف منها مسيحها ثمر روحه القنوس المشبع.

❖ تحرق بناتها أي تفقد امكانيات الجسد وقدراته ومواهبه، فتتحطم الحواس المقدسة، وتهلك مشاعر الحب الصادقة، وتتحول المواهب من العمل الإيجابي البناء إلى عملٍ محطّم.

❖ تفقد ما سبق أن ورثته، إذ يؤخذ ما عندها حتى من الخواص الطبيعية الصالحة، فتصير أعنف من الحيوانات المفقوسة، وأجهل من النملة المجاهدة...

❖ تتحول أعماقها من عرسٍ دائمٍ إلى ولولة وصواخ. عوض ارتداء ثوب العرس المبهج تلتحف بالمسوح لتتدب وهي تطوف بين الجوان كحبيسة مفودة... ليس من يغيها ولا من يسندها.

❖ يسبي ملكها أي رادتها العرة التي تدير كل كيائها، ويسبي كهنتها أي قلبها الذي يقدم ذبائح يومية عاقلة مقبولة لدى الله، كما يسبي رؤسؤها أي الفكر والحواس والأحاسيس، فتفقد قدرتها على العمل الجاد.

❖ تمتلىء أوديتها بالدماء، إذ تحمل روح الكراهية والشماتة، تطلب الشر للغير وتشتهي الضرر دون نفع لها.

❖ يحل بها الخوف من كل الذين هوالها، عوض أن تسكب سلامًا كما فعلت القديسة مريم عند زيارتها لنسبيتها اليبسات، تخاف وترتجف.

❖ تصير كما في حالة تيه، تُطرد كل امكانياتها وتشتتت، فلا تستقر أعماقها ولا تستريح.

❖ أخوًا إذ تعمل نعمة الله فيها ترك كل ما حلّ بها، فلا تُلقى باللوم على الظروف، بل توجع تائبة إلى الله مخلصها، فود سبيها واهبًا إياها الحرية

ويجدد أعماقها!

2. آوم المتشامخ:

كثير من العبرات الوردة هنا جاءت في سفر عوبديا، بذات الكلمات وإن كان الترتيب مختلفاً، لذا أرجو الرجوع إلى تفسيرنا لسفر عوبديا.

آوم تعني "دموي" أو "أحمر" أو "سافك دم" فهو يمثل الشيطان الذي لا يطيق مملكة الله، إذ هو محب للقتال بطبعه.

بنو آوم هم نسل عيسو (تك 36: 19)؛ غالباً ما كانوا يحملون عدوة لليهود ترجع إلى أيام يعقوب وعيسو (آوم) حيث اغتصب الأول البكرية منه. لهذا كثراً ما تحالف بنو آوم مع أمم أخرى ضد إسرائيل. لم يسمح آوم لموسى النبي أن يعبر هو وشعبه في تخومه أثناء رحلتهم في البرية (عد 20: 21). وإن كان الله امر شعبه ألا يسيئوا التعامل مع الآوميين (نت 23: 7-8) (بكونهم إخوتهم. حرب شاول الملك الآوميين (1 صم 14: 47)؛ وسيطر داود الملك عليهم (2 صم 8: 13-14)، لكن دخل سليمان في متاعب مع هدد الآومي الذي هرب إلى مصر (1 مل 11: 14-22). وفي أيام يهوشفاط ملك يهوذا لم يكن هناك ملك في آوم بل أقام يهوذا وكيلاً هناك. تحالف يهرام بن آخاب مع ملك يهوذا وملك آوم وحلوا موآب (2 مل 3: 5-9). وفي أيام يهرام بن يهوشفاط عصى آوم يهوذا وأقاموا لأنفسهم ملكاً (2 مل 8: 20-22). وقد قتل أمصيا عشرة آلاف من الآوميين طوح بهم من فوق قمة الصخرة، فقتلهم في وادي الملح وأخذ سابع عاصمة بلادهم (2 مل 14: 7؛ 2 أي 25: 11-12). وفي أثناء حكم آحاز عوا الآوميون سبط يهوذا وأخنوا منه أسوأ. وقد بقيت آوم مدة من الزمن خاضعة لحكم آشور وكان هذا أثناء حكم تغلث فلاسر الثالث وسوجون وسنحريب واسوحدون وأشور بانيبال، لكنها اشتركت في ثورت عامي 711، 701 ضد آشور. وفي أيام السبي كانوا يساعدون الأعداء ضد يهوذا، وإن قلت أحد أمسكوه وباعوه للعدو، وأخراً جاؤا بأغنمامهم لزعى في مدن يهوذا وحولها بعد أن صلت خراباً، لذلك استحقوا حلول غضب الله عليهم [662]. في القرن الخامس ق.م. طرد الأنباط الآوميين من جبل سعير، وفي القرن الثاني ق.م. أخذ يهوذا المكابي واليهود حبرون وغوها من المدن التي كان قد استولى عليها الآوميون، وقد رُغم يوحنا هركالوس الآوميين على الاختتان وادخلهم ضمن جماعة اليهود، وقد كان هيرودس ونسله آوميين.

بهذا كله ظهروا غير حكماء، لهذا يعاقبهم الله، قائلاً:

"عن آوم.

هكذا قال رب الجنود:

ألا حكمة بعد في تيمان؟!

هل بادت المشورة من الفهماء هل فوغت حكمتهم؟!

اهربوا التفقوا تعمقوا في السكن يا سكان ددان" [7-8].

تيمان: اسم عوي معناه "اليمني أو الجنوبي"، حفيد عيسو (تك 36: 11)، أعطى اسمه للقبيلة القاطنة في شمال شوقي آوم، كما للموضع نفسه الذي يقطنون فيه. تسمى أرض أبناء الشوق، وتدعى تيمان (جز 25: 13). ربما مكانها الآن "طويلان" شوقي البؤاء. أستخدم اسم تيمان للتعبير عن أرض آوم كلها أيضاً (حب 3: 3)، عُف سكانها بالحكمة وحكمتهم في ضوب الأمثال [7، 20]؛ (عو 9). سكان ددان: من نسل إواهم خلال قطرة (تك 25: 1-3). شعب تجري هام، له مكانة مرموقة في تجرة العالم القديم (جز 27: 15، 20؛ 38: 13). كانت ددان محطاً للقوافل كما كانت موكباً للتجارة الآتية من اليمن والهند إلى البحر الأبيض المتوسط. عاش هذا الشعب في شمال غرب العربية (25: 23)، وجنوب شوقي آوم، وربما كانت جزءاً من آوم. اسمها الحديث العُلا في وادي القوى في شمال الحجاز.

يقدم لميا النبي النوات التالية عن آوم:

أ. حلول كلثة على آوم:

"لأني قد جلبت عليه بلية عيسو حين عاقبته،

"لو أتاك القاطفون أفما كانوا يتركون علالة؟!"

أو اللصوص ليلاً أفما كانوا يهلكون ما يكفيهم؟!" [8-9].

إذ يتحدث عن البلية التي تحل بعيسو يقدم الله مثلين: يتوك القاطفون علالة في الأشجار ولا يتوعون كل الثمر، ومهما سرق اللصوص يتوكون شيئاً إذ يسرقوا ما يشعرون أنهم في حاجة إليه. قصد بهذين المثلين أحد أمرين، إما أنه يتهم آنوم بأنه عنيف في هجومه على الغير فيسلب كل شيء، ولا يكون كالقاطفين للثمار أو حتى كاللصوص الذين لا ينهاون إلا ما يحتاجون إليه. أو يود أن يؤكد أن البلية التي تحل بهم تجردهم تماماً [10]، فلا تسقط عليهم كما يسقط القاطفون على الأشجار، ولا حتى كاللصوص على المنزل أو المخزن؛ بل سيأتي الكلدانيون ويهاجمون آنوم ويعرونه من كل شيء، يسبون الشعب ويضعون أيديهم على كل الممتلكات، فيكونوا أعنف من اللصوص.

ب. تجريد عيسو وتعريته: فقد ظن أنه قادر على سفك الدماء دون معاقبته، إذ يُهلك ويختبئ وسط الجبال العالية وفي الصخور. لكن الله يفضحه (يجرده)، فيصير علماً أمام الكل، ويكشف عن الأماكن التي يختبئ فيها.

"لكنني جردت عيسو وكشفت مستواته، فلا يستطيع أن يختبئ" [10].

ج. هلاك نسله واخوته وجوانه:

"هلك نسله واخوته وجوانه فلا يوجد" [10].

د. اهتمام الله بأيتامه ورأمله:

إن كان الله يؤدب بحزم شديد لكنه يفتح أبواب الرجاء، مؤكداً أنه يهتم بالأيتام والأرامل الذين فقنوا الآباء والأزواج في المعركة أو بسبب

السبي.

"أترك أيتامك أنا أحببهم ورأملك علي ليتوكلن" [11].

هـ. يشرب من كأس التأديب:

"لأنه هكذا قال الرب:

ها إن الذين لا حق لهم أن يشربوا الكاس قد شربوا، فهل أنت تتوأ تبرؤاً؟!

لا تتوأ بل إنما تشرب شرباً" [12].

و. حلول العار والخاب واللعنة ببُصرة، المدينة الرئيسية لآنوم وعاصمتها، وهي غير بصرة موآب، ربما في موقعها حالياً ببُصرة تبعد

حوالي 25 ميلاً إلى الجنوب الشرقي من البحر الميت [663].

"لأني بذاتي حلفت يقول الرب إن ببُصرة تكون دهشاً وعلماً وخراباً ولعنة،

وكل مدنها تكون خراباً أبدية" [13].

ز. اثره الشعوب للحرب ضده فيصير بينهم صغوراً ومحتوياً:

"قد سمعت خوياً من قبل الرب وأرسل رسول إلى الأمم قائلاً:

تجمعوا وتعالوا عليها وقوموا للحرب.

لأني ها قد جعلتك صغوراً بين الشعوب ومحتوياً بين الناس" [14-15].

ح. كسر كبريائه:

"قد غرك تخويفك كبرياء قلبك يا ساكن في محاجئ الصخر،

الماسك مرتفع الأكمة.

وإن رفعت كنسرٍ عشك فمن هناك أحدرك يقول الرب" [16].

عرفت آدوم بكثرة الأماكن الخفية في الجبال ووسط الصخور. ربما يقصد بالصخر هنا أم البيلة، موضع مشهور من خلاله وُي بواء أو ببؤا (صخرة) وهي خلفها [664].

ط. تصير مهجرة:

وتصير آدوم عجباً،

كل مار بها يتعجب ويصفر بسبب كل ضرباتها.

كانقلاب سدوم وعمورة ومجاورتهما يقول الرب لا يسكن هناك إنسان ولا يتغوب فيها ابن آدم" [17-18].

ي. تصير مثلاً أمام الأمم حيث يهاجمها نوخذنصر كأسد مفترس خرج من عرينه بسبب فيضان نهر الأردن وبلوغ المياه إلى عرينه.

"هوذا يصعد كأسد من كبرياء الأردن إلى موعى دائم.

لأني أغمز وأجعله يركض عنه.

فمن هو منتخب فأقيمه عليه!؟

لأنه من مثلي، ومن يحاكمني، ومن هو الواعي الذي يقف أمامي؟! [19].

ك. يُسبى كغنم صغير عاجز عن المقاومة:

"لذلك اسمعوا مشورة الرب التي قضي بها على آدوم،

وأفكره التي افترق بها على سكان تيمان.

إن صغار الغنم تسحبهم.

إنه يخرب مسكنهم عليهم" [20].

ل. تهتز الأرض من صواخهم الذي يبوي حتى بحر سوف:

"من صوت سقوطهم رجفت الأرض.

صخرة سُمع صوتها في بحر سوف" [21].

بحر سوف: أو يم سوف *yam sup* أو بحر الغاب *Reed sea* حيث يوجد الغاب *Reed* نباتات الودي على الحدود بين مصر في شمالها الشوقي والبرك المالحة، حالياً منطقة قنال السويس [665]، الموضع الذي فيه تم الخروج من مصر.

م. ينهار فتتحول قلوب جباوة العرب إلى قلب امرأة ماخض عاخرة حتى عن الحركة. بينما يُشبه نوخذنصر بالأسد والنسر، يشبه آدوم باوأة

ماخض في ضعف شديد، وخوف، لا تجد من يعينها.

"هوذا كنسرٍ يرتفع ويطير ويبسط جناحيه على بصره،

ويكون قلب جباوة آدوم في ذلك اليوم كقلب امرأة ماخض" [22].

النسر من أ قوى الطيور الجلحة، يدعى مجزياً ملك الطيور، بسبب قوته وضخامة حجمه مع حدة بصره وقوته على الطوان (تث 28: 49،

أي 9: 26، 39: 30، أم 23: 5، 30: 17-19، إش 40: 31، حز 17: 3، حب 8: 1). عرفت النسر وعابيتها الفائقة لصغلها، إذ تحوم حولها

حتى تقدر النسر الصغرة على الطوان (خر 19: 4، تث 32: 11، مز 103: 5). ولهذا حينما أراد الله أن يعلن عن محبته لشعبه ورعايته لهم قال:

"كما يحرك النسر عشه وعلى فؤاده يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على منكبيه، هكذا الرب وحده وليس معه إله أجنبي" (تث 32: 11).

شبه المؤمن بالنسر الذي يتجدد شبابه ولا يشيخ (مز 103: 5)، ربما لأن النسر يعمر كثيراً، أو من أجل القصة المشهورة عن طائر العنقاء

الذي يتجه نحو هيكل الشمس في مصر ويموت بعد أن يكون قد أعد نفسه موضعاً يُدفن فيه ثم يقوم من جديد الخ.

وحينما أراد الله أن يودب شعبه أكد لهم أنه يرسل لهم "أمة من بعيد من أقصاء الأرض كما يطير النسر، أمة لا تفهم لسانها، أمة جافية الوجه لا تهاب الشيخ ولا تحن إلى الولد" (تث 28: 49-50)، وقد شبه الكلدانيين هكذا: "يطيرون كالنسر الموسع إلى الأكل" (حب 8: 1)، وأيضاً قيل عن آوم المتعجرف: "إن رفعت كنسرٍ عشك فمن هناك أحرك يقول الرب" [16]، وأيضاً: "إن كنت توتقع كالنسر وإن كان عشك موضوعاً بين النجوم فمن هناك أحرك يقول الرب" (عو 4).

هكذا يرمز النسر لرعاية الله الذي يحمل شعبه كما على جناحي النسر، وفي نفس الوقت يرمز للعنف والسوعة في الخطف، فحسبت الأمم المؤدبة لشعب الله كالنسر.

يحمل أحد الكروبيم وجهاً شبه النسر (حز 10: 14، رؤ 4: 7)، وفي الفن المسيحي يرمز النسر للإنجيلي يوحنا ويشير للاهوت المحلق في الأعلى كما للقيامة. وفي نفس الوقت أيضاً يشير للقوة الغاشمة، فقد استخدم الفرس النسر شعوراً لدولتهم القديمة، لذلك وصفهم إشعياء النبي بالكاسر من المشوق (إش 46: 11)، كما صار رمزاً للجيش الروماني، وحالياً يستخدمه الجيش الأمريكي رمزاً له، كما تستخدمه كثير من البلدان.

وي القديس جيروم [666] أن النسر، ملك الطيور، هو الشيطان الذي يقيم له عشاً في الأماكن العالية كمن يملك ويستقر في أمان، لأنه رئيس هذا العالم، أما الإنسان المسيحي فليس له استوار في هذا العالم، خاصة الواهب. [ليس لواهب قلاية، لكنه أينما وجد قلاية ففيها يقيم!].

3 . سوريا الهلرية المترعدة:

يقدم لنا النبي دمشق عاصمة سوريا كهلرية مترعدة، ومعها حماة ورفاد وهما مدينتان أو دويلتان رَاميتان في وسط وشمال سوريا، كثراً ما يرد ذكرها في النصوص الأثرية في القرن الثامن وما قبل ذلك. فقد تحالف رام مع اوايم ضد يهوذا، واتكأ الاثنان على فوعن مصر ضد آشور، لهذا سمح الله لملك آشور تغلث فلاسر أن يهجم على رام وواويم ويغلبهما سريعاً [667].

ينتبا عن سوريا بالآتي:

أ. سقوط مدنها الكرى في الخوي:

"عن دمشق. خزيت حماة ورفاد" [23].

حماة ورفاد: اسم رامي معناه "حمى، حصن، قلعة". تقع حماة على نهر العاصي *Orontes* شمال حرمون (يش 13: 5) تبعد حوالي 110 ميلاً شمال دمشق، على إحدى الطوق التجلية الرئيسية بين آسيا الصغرى والجنوب. أما رفاد فهي في شمال سوريا تعرف باسم تل رفاد، تبعد حوالي 20 ميلاً جنوب غربي حلب، و13 ميلاً شمالي حماة.

سقطت الأخوة في أيدي الأثوريين في القرن التاسع ق. م. ثم ثلرت ضدهم، لكنهم عاوا واستولوا عليها عدة مرات، وقد سقطت في أيديهم منذ سنة 738 ق. م. (إش 10: 9؛ 36: 19؛ 37: 13) بينما تنهزت دمشق في عام 732 ق. م. (2 مل 16: 9).

ثلرت حماة ضد سوجون الثاني عام 720 ق. م، لكنها أخضعت بصعوبة ليست بالغة. يسجل لنا سفر الملوك الثاني (2 مل 24: 2) الفوق الآرامية (السورية) مع غوها تهاجم يهوذا ما بين عامي 600 و 597 ق. م لكننا لا نعرف كثراً عن أحداث سوريا في القرن السابع ق. م.

ب. تُصاب مدنها بحالة إحباط وصغر نفس:

"قد ذابوا لأنهم قد سمعوا خوارديناً" [23].

ج. فقدان الهوء:

"في البحر اضطراب لا يستطيع الهوء" [23].

د.رخوة ورعب:

"لنخت دمشق والتفتت للهروب.

وأمسكتها الوعدة،

وأخذها الضيق والأوجاع كماخض" [24].

هـ. فقدان شبابها وأبطالها:

"كيف لم تترك المدينة الشهيرة قرية فرحي؟!.

لذلك تسقط شبانها في شوارعها، وتهلك كل رجال الحرب في ذلك اليوم، يقول رب الجنود" [25-26].

ز. احزاق أسورها وقصورها:

وأشعل نرا في سور دمشق فتأكل قصور بنهدد" [27].

بنهدد: حمل كثير من ملوك السويان هذا اللقب (1 مل 15: 18، 20: 1؛ 2 مل 6: 24؛ 8: 7؛ 13: 3).

4. قيدار فاقدة الخيام:

كانت قيدار وأيضاً مملكة حاصور غنيتان جداً، شعباهما تجار مواشي ورعاة غنم، يعيشون في خيام، ليس لهم مدن مسورة بأسوار.

قيدار: اسم سامي معناه "قدير أو اسود"، وهو ابن إسماعيل الثاني (تك 25: 23)، أب لأشهر قبائل العرب. تعيش رحالة في الصحراء السورية

العربية، كما تُستخدم للاشارة إلى البدو بوجه عام، خاصة القاطنين في فلسطين؛ وكانت لهم تجارة مع فينيقيا (حز 27: 21)، وكانوا برعين في الحرب

ولا سيما في الرمي بالقوس.

"عن قيدار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذ نصر ملك بابل.

هكذا قال الرب: قوموا اصعدوا إلى قيدار أخرجوا بني المشرق.

يأخذون خيامهم وغنمهم، ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آنيتهم وجمالهم،

وينادون إليهم الخوف من كل جانب" [28-29].

عُرف أهل قيدار برعاة يعيشون في الخيام، غير أن بعضهم كانوا يسكنون المدن (إش 42: 11). هاجمهم الكلدانيون واستولوا على خيامهم

وأغنمهم وشققهم (السنائر) وأوانيهم، وجردهم من كل شيء، ثم تركوهم هالبيين في الوري، إذ شعر الكلدانيون أنهم لا ينتفعون شيئاً من سبيهم إلى

بابل، بل يمتثلون ثقلاً عليهم.

5. حاصور مسكن بنت لوي:

حاصور: قريبة من الفوات والخليج الفارسي. يعتقد البعض أن حاصور كانت تقع على مياه ميروم، المعروفة الآن ببحوة الحولة (يش 11: 1-5).

ولعلها هي تل القدر وربما حضوة أو ضوبة صوة على بعد أربعة أميال غرب جسر بنات يعقوب، وقد اكتشفت بقايا المدينة من عصور الكنعانيين.

لا يُقصد هنا مدينة حاصور في شمال فلسطين، وإنما مساحة يشغلها عرب شبه رحالة، كما تشير إلى القوي (hesarem) الصغوة، التي استقر

فيها بعض القبائل العربية (إش 42: 11).

اسم "حاصور" بالعوانية معناه "حظوة" أو "مُحاط بسور"، وفي رأي العلامة أوريجينوس معناه "قصر"، ويعلق على ذلك بقوله: [الأرض كلها

هي قصر هذا الملك "إبليس" الذي نال السلطان على الأرض كلها وكأنه في أمان حتى يأتي من هو أقوى منه فيكبله بالأغلال ويزع عنه ممتلكاته. إذن

ملك القصر هو رئيس هذا العالم [668].

في أيام يشوع كان ملكها يدعى يابين (يش 11: 1)، وهو اسم كنعاني يعني "الله واقب"، وإن كان العلامة أوريجينوس يرى أن معناه "أفكار" أو "مهلة"، وكان يابين يرمز للشيطان الذي يملك على العالم كما في قصوه مستخدماً أفكاره ومهلهته للسيطرة على البشرية. كانت بمثابة حصن.

"اهربوا انهزموا جداً تعمقوا في السكن يا سكان حاصور يقول الرب،

لأن نبوخذنصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة وفكر عليكم فكراً.

قوموا اصنعوا إلى أمة مطمئنة ساكنة آمنة يقول الرب،

لا مصاريع ولا عولض لها،

تسكن وحدها.

وتكون جمالهم نهياً، وكثرة ماشيتهم غنيمة،

وأثري لكل ريح مقصوصي الشعر مستديراً،

وأتى بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب.

وتكون حاصور مسكن بنات آوي وخربة إلى الأبد.

لا يسكن هناك إنسان ولا يتغرب فيها ابن آدم" [30-33].

ما حلّ بقيدار يحلّ بحاصور. الذين يهربون لا يجنون أمة آمنة يلجأون إليها، لكنهم يجنون حتى الرياح تهاجمهم من كل جانب. تقف الطبيعة ضدهم، لأنهم يقاومون خالق الطبيعة. تصير أرضهم خراباً لا يسكنها إنسان بل الذئاب وبنات آوي.

6. عيلام صاحب القوس المنكسر:

عيلام: اسم عوي من أصل أكادي معناه "مرتفعات". تقع شرقي نهر التيجر، شرق بابل في سهل خريستان، وهي من أقدم الواكز الثقافية. حربت مع حكام آشوريين كثيرين، هزمها تماماً آشوربانيبال حوالي سنة 640 ق.م. بعد موته استودت استقلالها. خضعت لنبوخذنصر مثل بقية الأمم، وفي سنة 540 ق.م ساعدت قواتها على تحطيم الإمبراطورية البابلية.

قدمت هذه النوبة قبل خراب أورشليم بحوالي 11 عاماً. عُرف رجال عيلام بمهلتهم في ضرب الرماح، وكان ذلك مصدر حمايتهم الوحيد. لذلك بدأت النوبة ضدهم بتحطيم قوسهم أول قوتهم.

تتبا عنهم هكذا:

أ. تحطيم قوسهم:

"كلمة الرب التي صلت إلى إرميا النبي على عيلام في ابتداء ملك صدقيا ملك يهوذا قائلة:

هكذا قال رب الجنود: هأنذا أحطم قوس عيلام أول قوتهم" [34-35].

ب. هجوم الكلدانيين عليهم من كل جانب كما تهب الرياح من أربعة جهات المسكونة، فيصيروا كالحقش الطائر في الهواء ليس له موضع

استقرار.

وَأجلب على عيلام أربع رياح من أربعة أطراف السماء وأنزريهم لكل هذه الرياح ولا تكون أمة إلا ويأتي إليها منفيو عيلام" [36].

ج. سقوطهم في حالة رعب:

وَأجعل العيلاميين يرتعبون أمام أعدائهم وأمام طالبي نفوسهم،

وَأجلب عليهم شراً حمو غضبي يقول الرب" [37].

د. قتلهم بالسيف:

وَأرسل وراءهم السيف حتى أفنيهم.

وأضع كرسي في عيلام،

وأبيد من هناك الملك والرؤساء يقول الرب" [38].

هـ. ردهم من السبي وتمتعهم بالحرية الداخلية في المسيح يسوع. كان بعض العيلاميون حاضرين يوم العنصرة في أورشليم حينما حلّ الروح القدس على الكنيسة الأولى (أع 2).

"ويكون في آخر الأيام أني رُد سبي عيلام يقول الرب" [39].

من وحي إرميا 49

لا تتركني إلى النهاية!

❖ إذ أتطلع إلى الأمم القديمة المتشامخة،

عمون وآنوم وسوريا،

وقيدار وحاصور وعيلام،

تتفضح خطاياي أمامي.

❖ حقًا لتمتد يدك ولتؤدب،

لكن حسب حبك وحنانك،

وليس كغضبك يا إلهي!

❖ لتهدم كل شر في،

ولتبتدد بنار حبك كل فسادٍ في داخلي،

ولتجردني وتعريني أمام نفسي.

فاعترف لك بخطاياي.

لتزوع عني كبريائي وتشامخي،

ولتهبني انضاعك أيها العلي.

لتسبي كل خطاياي وتطودها،

انزوعها من أعماقي.

ولتملك أنت في داخلي!

❖ خطاياي حولت فودوسك فيّ إلى قفر،

وفوحك وعوسك إلى صواخ وولولة،

وملكوتك المجيد إلى عارٍ وخرى،

وسلامك إلى خوفٍ ورعدة!

من يخلصني منها سواك؟!

❖ نعم! لتدخل وتملك،

فتهب كل نجاسات قلبي!

لنتمجد في فيزول علي!

لتعلن سمواتك في داخلي،

فيُنزِع عني كل خرابٍ ودمارٍ!

تعال واحتل مملكتك في يا قنوس!

⏪

الأصاح الخمسون

سقطت، سقطت أساسات بابل!!

يختم لميا النبي نواته ضد الأمم ببابل (إر 50، 51). لا نعجب إن جاءت المساحة هنا تكاد تعادل مساحة ما ورد عن الأمم معًا، ذلك بسبب خطورة بابل البالغة على كل غرب آسيا في نهاية القرن السابع ق.م وبدء القرن السادس. حتى في النوات الخاصة بالأمم الأخرى وُجدت اشترات إلى بابل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (46: 2، 13، 25؛ 49: 28-33) ^[669]. كانت بابل تمثل العدو الرئيسي لشعب الله، والأمة المتشامخة على جميع ممالك الأرض.

ويلاحظ في هذه النوات الآتي:

أ. جاءت النوات هنا متشابكة معًا بين القضاء على بابل وتحرير شعب الله، تنتقل من الواحدة إلى الأخرى حيث لا فصل بينهما.

ب. رى البعض أنها مجموعة نوات نطق بها النبي في أوقات مختلفة جُمعت معًا، ووى آخرون أنها ضمت تعليقات على نوات لميا في عصر لاحق له. على أي الأحوال، كُتبت هذه النوات قبل انهيار بابل، فإنها لا تحمل أي دليل على أن الكاتب عاصر غزو كورش لبابل ولا تدمير المدينة، بل على العكس يظهر أن بابل كانت لا تزال صاحبة السلطان على أعدائها، كما لا توجد أية إشارة إلى الفلبيين.

واضح أيضًا أن هذه النوات قيلت قبل موت نبوخذنصر عام 562 ق.م، وأنه كان لا يزال على قيد الحياة (50: 17؛ 5: 34).

ج. كتب لميا النبي بإفاضة عن القضاء ضد بابل، وبأسلوب قاسي حتى ظن البعض أنه لا يمكن أن يكون كاتبها لميا. هؤلاء أساءوا فهم شخصية لميا، فإنه وإن كان قد طالب يهوذا بالخضوع لبابل لم يعن ذلك تعاطفه مع بابل، بل مطالبة يهوذا بالخضوع للتأديب الإلهي (27: 6). لقد سبق أن أشار لميا إلى انهيار بابل في مناسبات كثيرة (27: 7؛ 29: 10). كوجل الله سبق فأعلن ليهوذا عن مشورة الله، وكوجل الله يؤكد تأديب بابل بسبب كبريائها على الله الذي استخدمها أداة في يديه.

أعلن عن سقوط بابل بواسطة كورش الفلبي عام 539 ق.م. بدون معركة، كما قام كورش بإصدار قوانين متلاحقة لعودة الشعوب المسبية إلى بلادهم فسمح لليهود بالعودة من السبي وإعادة بناء أورشليم.

بابل

أ. نشأتها: جاء في (تك 10: 9) (أن نمرود هو منشئ مدينة بابل، وهو رجل جبار عاصي قاد كثيرين إلى عصيان الله؛ على أن البابليين

ماذا قدمت كلمة الرب لإرميا؟

قدمت خلاصًا للمؤمنين وحرية لأولاد الله وذلك بعد تأديبهم ورجوعهم إليه، يصحب هذا تحطيم للشر ونهاية له.

إذ سقطت بابل في العجرفة، وظنت أن آلهتها قد وهبتها النصرة، لذلك وضع الله آلهة بابل في حَرْيٍ وعارٍ.

يسمح الله لمادي وفرس أن تحطما الإمبراطورية البابلية وتحولا بابل فيما بعد إلى خراب لا تصلح حتى لسكنى الحيوانات.

كثوًا ما يستخدم رميا النبي تعبير "أمة من الشمال" إشارة إلى حلول ضيقٍ ما أيا كان مصوره، (1: 14؛ 4: 6؛ 6: 1؛ 13: 30؛ 15: 12؛ 20: 46؛ 24: 47؛ 41: 50؛ 48: 51). هنا وإن كانت مادي فرس شوق بابل أكثر منها شمالاً فقد كان الهجوم الرئيسي على بابل من الشمال.

2 . تجميع إسرائيل:

"في تلك الأيام وفي ذلك الزمان يقول الرب،

يأتى بنو إسرائيل هم وبنو يهوذا معًا،

يسيرون سواً،

وييكون ويطلبون الرب إلههم.

يسألون عن طريق صهيون وجوههم إلى هناك قائلين:

هلم فنلصق بالرب بعهدٍ أبدي لا ينسى.

كان شعبي خوافًا ضالّة.

قد أضلتهم رعاهم.

على الجبال أتاهم، ساروا من جبل إلى أكمة.

نسوا مربضهم.

كل الذين وجوههم أكلوهم،

وقال مبغضوهم: لا نذنب من أجل أنهم أخطأوا إلى الرب مسكن البر ورجاء آبائهم الرب" [4-7].

تحقق ذلك بالعودة من السبي البابلي. غير أنه جاء في سفر التثوية (إر 30-33) أن اصلاح إسرائيل الذي يرد له وحدته معًا مع توبته وتجديد العهد الذي لا ينكسر يشير إلى الإصلاح المسماني لإقامة شعب الله، إسرائيل الجديد، كنيسة العهد الجديد. كما يتحقق ذلك كل يوم بالنسبة لكل نفس تعود إلى إلهها وتتمتع بالعهد الجديد.

لنلا يظنوا أن الأحداث تتم بلا هدف إلهي أوضح هنا أن الشعب قد سبق فضلوا، ملقيًا باللوم على الرعاة الذين ضلوا الشعب وهم الملوك والكهنة والأنبياء الكذبة. يشير النص هنا إلى القيادات الدينية التي حثت الشعب على الارتداد وعبادة البعل على المتوقعات (2: 20؛ 3: 2) حتى نسوا مراعاهم، الموضع الذي فيه رعى الله قطيعه العاقل.

والعجيب أن الله في محبته للبشرية يذكرهم بمحبتهم الأولى قبل سقوطهم حاسبًا الذين افتروهم وهم مقدسين للرب في صيوتهم أنهم اجرموا،

أما الذين افتروهم وهم في حالة ارتداد فيستطيعون القول: "إننا لسنا مجرمين".

3. الغزو:

"هروا من وسط بابل،

واخرجوا من أرض الكلدانيين،

وكونوا مثل كوريز أمام الغنم" [8].

هنا وعد إلهي مع التّوام من جانب الإنسان. فهو يفتح لنا باب للهروب من وسط بابل لكي ننطلق نحو أورشليم العليا ونعطي القفا للخطية والفساد، ويهبنا القوة والطاقة للخروج، ومستعد أن يمكس بأيدينا بل ويحملنا بروحه القنوس للهروب إلى الأحضان الإلهية، لكنه لا يؤمننا بذلك، بل يأمرنا: "اهربوا... اخرجوا... كونوا". هذا الخروج هي عطية مجانية ننعّم بها بواسطة النعمة الإلهية التي تعمل مع من يتجاوب معها وليس للرافضين لها أو المقاومين. هذا وهو يطالبنا في خروجنا أن نحث الغير على التمتع معنا بذات الحرية التي لأولاد الله فيقول: " كونوا مثل كوريز أمام الغنم". كما تقود الجداء القطيع، هكذا يقود اليهود الأمم في عودتهم من السبي. كما كانت أول الأمم التي سقطت تحت التأديب القاسي، فإنها إذ تتوب تقود غيرها إلى التوبة للتمتع بالحرية.

نهاية بابل قويت، والسبي ينتهي! صورة عويّة رائعة! عند فتح الباب تخرج الجداء فرًا إذ لا تطيق القيود، فينطلق اليهود نحو بيّتهم في مقدمة الشعوب المسبية التي تتعم بالحرية.

"لأني هأنذا أوقظ وأصعد على بابل جمهور شعوب عظيمة من أرض الشمال فيصطفون عليها.

من هناك تؤخذ.

نبالهم كبطل مهلك لا يرجع فرغًا.

وتكون أرض الكلدانيين غنيمة.

كل مغتنيها يشبعون يقول الرب.

لأنكم قد فرحتم وشمتم يا ناهبي مواثي،

وقفرتم كعجلة في الكلاء (العشب)،

وصهلتكم كخيل.

تقرى أمكم جدًا، تخجل التي ولدتكم،

ها آخرة الشعوب بريّة وأرض ناشفة وقفر.

بسبب سخط الرب لا تسكن بل تصير خربة بالتمام.

كل مارٍ ببابل يتعجب ويصفر بسبب كل ضرباتها.

اصطفوا على بابل حواليتها يا جميع الذين يؤعون في القوس.

رموا عليها.

لا توفروا السهام لأنها قد أخطأت إلى الرب.

اهتفوا عليها حواليتها.

قد أعطت يدها.

سقطت أسسها، نُقضت أسولها.

لأنها نقمة الرب هي فانقموا منها.

كما فعلت افعلوا بها.

اقطعوا الورع من بابل، وماسك المنجل في وقت الحصاد.

من وجه السيف القاسي يرجعون كل واحد إلى شعبه،

ويهربون كل واحد إلى رضه" [9-16].

يشبه الله مملكة فرس بجمهور نائم يحتاج إلى الله يوقظه معطياً أمراً بالصعود على بابل والاستيلاء على أرض الكلدانيين. كما كانت الأمم غنيمة لبابل هكذا تصير هي غنيمة لفرس. حقاً لم يخرب كورش مدينة بابل حين غواها، لكن فيما بعد أثناء الحكم الفارسي إذ ثرت المدينة سبها داريوس هستاسبس *Darius Hystaspis* سنة 514 ق.م حيث أعدم حوالي 4000 شخصاً، وبدأ بتدمورها تريجياً حتى اختفت تماماً. قامت بابل في منطقة خصبة جداً، مع انتهاء سلطانهما جفت قواتها وصلت اليوم منطقة صولاوية [16]. ظهرت آثارها بواسطة رجال الحفريات في القرن التاسع عشر.

لم يكن الأمر بالغزو الفارسي على بابل حكماً مُجحفاً، لكن الله يقدم حيثيات لهذا الحكم أهمها:

أ. فح البابليون وشمقوا عندما نهوا موث الرب [11]، هكذا يحسب الله من يسيء إلى مؤمنيه ويشمت فيهم حتى في لحظات تأديب الله لهم إهانة إلى موث الرب نفسه.

الذي يشمت فيمن يسقط تحت التأديب يفقد عقله وإترانه، حتى طهرته وعفته، فيكون كالعجلة التي تقفز في وسط العشب بغير تعقل لأنها تطلب العجل رفيقها، وكالخيول الذي يصل [11]. إنهما صورتان عن الحياة الويفية توضحان بهجة بابل بانهايار شعب الله.

ب. اخطأت بابل إلى الرب [14]، إذ ظنت أنه عاجز عن الوقوف أمام إلههم الباطل مروذخ.

ج. "كما فعلت افعولوا بها" [15]، بالكيل الذي كالت به يُكال لها!

أما القضاء فهو مشابه لما قيل عن الأمم الأخرى ولكن بصورة أشد، لأنها كانت أعنف منهم.

أ. ظنت بابل أنها أمماً للأمم، ولم تترك أن الأم توح بأولادها، وتقدمهم عنها، وتطلب نجاحهم، وتفتخر بهم، فإن فشلوا خربت جداً. الآن يصيب أمها القوي والخجل.

ب. يجعلها آخر الشعوب بعد أن كانت بابل الإمبراطورية الأولى والمتقدمة للشعوب، بل وتحسب نفسها الإمبراطورية الوحيدة، كأنه لا يوجد غيرها في العالم.

ج. يحل بها الخراب فلا تصلح للسكن.

د. يسخر بها العابرون عليها.

هـ. تصير هدف السهام بلارحمة.

و. تسقط أساساتها وتنهار أسورها.

ز. تصير قفر لا يجد الزراع له عملاً، فيها ولا الحاصد يجمع شيئاً.

ح. بلا سلام، يود الكل أن يهرب منها.

وكما سبق فقلنا إن هذا كله يحل بالنفس الساقطة الراضة لله واهب المجد الداخلي الأبدي.

هذا ويلاحظ أن العقوبة هنا جاءت متشابهة تماماً لما فعلته بابل بالأمم الأخرى.

لقد دفعت الأمم الأخرى إلى القوي والعار، وتولت بهم ليصيروا كلا شيء، قتلت الكثيرين من سكانها، وهدمت أسوراً وقصوراً، وقتلت

الكوامين وأفسدت الحقول الخ. هذا كله يحل بها الآن، ليتحقق القول الإلهي: "كما فعلت افعولوا بها" [15].

4 . عودة إسرائيل:

"إسرائيل غنم متبذدة.

قد طردته السباع.

ولاً أكله ملك أشور، ثم هذا الأخير نبوخذ نصر ملك بابل هرس عظامه.

لذلك هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هانذا أعاقب ملك بابل وأرضه كما عاقبت ملك أشور.

ورُد إسرائيل إلى مسكنه فوعى كرمل وباشان،

وفي جبل افريم وجلعاد تشبع نفسه.

في تلك الأيام وفي ذلك الزمان يقول الرب يطلب إثم إسرائيل فلا يكون وخطية يهوذا فلا توجد لأنني أغفر لمن أبقيه" [17-20].

يتحدث هنا عن جميع الأسباط، إذ اشترك إسرائيل ويهوذا معاً في السبي فتبدوا كغنم تطلده السباع، ويشترك الكل معاً في التمتع بعمل الله

وردهم من السبي.

صورة رائعة لعمل الله مع النفس الراجعة إليه بعد تآديبها:

أ. ينطلع إليها كغنم متبذدة تتعقبها السباع. عوض أن يعاتبها على خطاياها الماضية مبرراً لماذا سمح لها بالتأديب القاسي، ينظر إليها بعين

الرحمة فيشفق عليها وهي متبذدة والسباع تريد أن تلتهمها. عجيب هو الله في حنانه، فإنه حتى عند تآديبنا يئن مع أناتنا، ولا يطلب هلاكنا بل خلاصنا.

ب. لقد سمح لأشور أن يسبي إسرائيل، وبعد ذلك لبابل أن تسبي يهوذا، ومع هذا يرثيها لأنه كان يود أن يؤدبها لا أن يأكل أشور شعبه

ويهرس بابل عظامهم.

ج. يوح الله إذ يفتح لشعبه الأبواب المغلقة وينطلق بهم إلى أرض الموعد، خاصة الكرمل وباشان وجبل افريم وجلعاد، حيث الأرض التي

تفيض عسلاً ولبناً.

د. إذ احتج العدو بأن شعب الله أخطأ، يعلن الله أنه يطلب إثمهم وخطاياهم فلا يجدها، لأن البقية المقدسة قد اختفت في الدم الطاهر، وحملوا بر

المسيح!

الكرمل تعني "أرض الحديد".

تضم تلال أفريم الكثير من الأراضي الزراعية.

لجلعاد معني واسع يشمل كل منطقة شرق الأردن (تث 34: 1، يش 22: 9، 2 صم 2: 9، 1 مل 5: 17، 24-27). أما جلعاد بمفهوم أكثر

تحديداً، فهو منطقة جبلية شرق الأردن تشمل حالياً البلقاء الحديثة، غرب عمون عند حدود حشيون تقريباً من جهة الجنوب وحوود بوموك من جهة

الجنوب. يبلغ ارتفاعها حوالي 2000 قدم فوق مستوى البحر، تشمل في بعض المناطق غابات وأيضاً حقول ووديان ومجرى مياه. تصلح للوعي حتى

شبه العريس عروسه بقطيع معز رايض على جبل جلعاد (نش 4: 1، 6: 5). تشتهر بوع من الأشجار يخوج منه مادة صمغية تسمى بلسان جلعاد ذات

خواص طبية (8: 22، 46: 11)، قيل أن عصوه كان يستخدم كعلاج للالتهابات، وإن قيمته كانت مرتفعة جداً حتى أنه في زمن الإسكندر كانت قيمته

تقدر بضعفي وزنه من الفضة، وجاء في سفر التكوين (37: 25) أنه يمثل تجرة هامة. حينما يتحدث الأنبياء عن إصلاح حال إسرائيل الجديد في

العصر المسيحاني يذكرون جلعاد كشعب لنفسه (إر 50: 19، مي 7: 14، زك 10: 10).

5. قضاء على بابل:

يقدم النبي قضاء ضد بابل: الشعب وقياداته وجيشه، والأرض والحقول والمدن، والمبدأ هو "كافئوها نظير عملها افعلوا بها حسب كل ما فعلت"

[29]. والعجيب أنه قد تم الإعلان عن خراب بابل المجيدة في صهيون [28].

"اصعد على أرض موثايم، عليها وعلى سكان فقود.
أخرب وحرم وراءهم يقول الرب،
وافعل حسب كل ما أمرتك به.
صوت حرب في الأرض وانحطام عظيم.
كيف قُطعت وتحطمت مطرقة كل الأرض؟!
كيف صلت بابل خربة بين الشعوب؟!
قد نصبت لك شركاً فَعَلَقْتِ يا بابل وأنت لم تعرفي.
قد وُجِدت وأمسكت لأتلك قد خاصمت الرب.
فتح الرب حِوَانْتَه وأخرج آلات رَجْوه لأن للسيد رب الجنود عملاً في أرض الكلدانيين.
هلموا إليها من الأقصى.
افتحوا أهرامها.
كؤموها عواما وحرموها ولا تكن لها بقية.
أهلكوا كل عجولها.
لتنزل للذبح.
ويل لهم لأنه قد أتى يومهم زمان عقابهم.
صوت هاربين وناجين من أرض بابل ليخبروا في صهيون بنقمة الرب إلها نقمة هيكله.
ادعوا إلى بابل أصحاب القسي.
لينزل عليها كل من يتوع في القوس حواليها.
لا يكن ناج.
كافئوها نظير عملها.
أفعلوا بها حسب كل ما فعلت.
لأنها بغت على الرب، على قنوس إسرائيل.
لذلك يسقط شبانها في الشوارع،
وكل رجال حربها يهلكون في ذلك اليوم يقول الرب.
هأنذا عليك أيتها الباغية يقول السيد رب الجنود،
لأنه قد أتى يومك حين عقابي إياك.
فيعثر الباغي ويسقط، ولا يكون له من يقيمه،
وأشعل نرا في مدنه فتأكل كل ما حواليها" [21-32].
وي البعض أن رميا ذكر ثلاثة اسماء رمزية لبابل:

أ. موثايم [21] : لأن الإمبراطورية البابلية تأسست على التمود المزوج. موثايم معناها "تمود مزوج"، مع تغيير بسيط في الحروف Mat Marratim ، وهو موضع عند رأس الخليج الفارسي في نقطة تلاقي نهري التيجر والفوات.

ب. فقود : لأن الله يفقد هذه الإمواطورية بالقضاء أو العقوبة [21]؛ (جز 23 : 23). فقود تعني "عقوبة"، وهي تشير إلى عشوة في شوق بابل *Puqudu* (جز 23 : 23). كأن الله يدعو أرض التوّد المزوج (برائيم) وشعب العقوبة لممارسة الضغط على بابل.
ج. شيشك (25 : 26؛ 51 : 41)، وقد سبق لنا الحديث عنه.

كانت بابل أشبه بصياد وضع الفخاخ ليصطاد الأمم، واحدة تلو الأخرى، تسقط الأمة في الفخ فتسخر بها وتقتلها، والآن سقطت بابل نفسها في ذات الفخ لتصير أضحوكة الأمم وتال خواءها.

يُرمز هنا [23] لنبوخذنصر بالمطوقة التي هثمت كل ممالك الأرض في ذلك الحين، لكن جاء الوقت لتخطيم المطوقة ذاتها وسحقها.
وى القديس جيروم أن الشيطان هو المطوقة التي تُحطم كل الأرض، إذ يقول: [الشيطان هو رئيس تلك الظلمة (أف 6 : 12)، يدعو الكتاب المقدس العدو (مت 13 : 39)، والقاضي الظالم (لو 18 : 6)، والتين (رؤ 12 : 3)، وإبليس، و المطوقة [23]، وإبليس، والأسد الزائر (1 بط 5 : 8)، ولويثان (أي 3 : 8)، ورؤوس التنانين (مز 73 : 13)، وأسماء أخرى كثرة [673].

❖ يريد الله أن نُفهم هذه المطوقة التي للأرض كلها إنها الشيطان. بهذه المطوقة التي في يد الرب، يُعطي صدى لمدايح الله.
يُضوب كل من الإنسان البار والخطي بهذه المطوقة. الأول كتعربة والثاني كعقاب؛ أو على الأقل لكي يزداد البار في الفضائل ويصلح الخطي من رذائله.

يُضوب بهذه المطوقة التي في يد الرب ليس فقط المتواضعين بل والمتكبرون؛ لكن يُضوب المتواضعون كالذهب والمتكبرون ينكسرون كالزجاج. ذات الضربة تجعل الصالح في مجدٍ وتحول الشرير إلى رماد، فيتحقق فيهم المكتوب: "كالفخ الذي تنزيه الريح" (مز 1 : 4) [674].

الأب قيصريوس أسقف آرل

قام القديس جيروم بترجمة عظمتين للعلامة أوريجينوس على [23، 29]، تحدث فيهما بشيء من التفصيل عن الشيطان كمطوقة كل الأرض جاء فيهما:

المطوقة وبيت الرب

"كيف قُطعت وتحطمت مطوقة كل الأرض؟ كيف صارت بابل خربة؟"

يلزمنا أن نبحث هنا عن معنى "مطوقة كل الأرض"، وكيف تحطمت؟

ولماذا يقول النبي أنها قطعت قبل أن تتحطم؟

نقوم بتجميع كل ما ذُكر عن المطوقة ونحاول فهم ماذا يقصد بها.

مثال من الأمثلة التي سنقدمها: قديماً، تم بناء بيت للرب، والذي بناه هو سليمان؛ وقد ذُكر في سفر الملوك، على سبيل المديح والإشادة ببيت الرب

"ولم يُسمع في البيت عند بنائه منحت ولا معول (مطوقة) ولا أداة من حديد" (1 مل 6 : 7). كما لم يُسمع صوت مطوقة في بيت الرب، كذلك

أيضاً في الكنيسة بما أنها بيت الله فإنه لا يُسمع فيها صوت مطوقة.

ما هي هذه المطوقة التي تعمل على منع الحجارة من أن تُستخدم في بناء الهيكل، إذ في سلطانها أن تحطم تلك الحجارة بحيث لا تجعلها تصلح

لبناء الأساسات؟ أليس الشيطان هو مطوقة كل الأرض؟ [675].

الماس أقوى من المطوقة

[أما أنا فأؤكد أنه يوجد من لا يبالي كثيراً بمطوقة كل الأرض. وبما أن الكتاب المقدس قد استخدم المطوقة كمثال، ابحت عن مادة أخرى أشد

صلابة من المطوقة، لا تتأثر ولا يصيبها أي ضرر إذا ضربت المطوقة فوقها. في بحثي وجدتها في الآية: "هوذا إنسان قائم فوق جبال الماس، وفي يده

ماسة" (عا 7: 7). بحسب قانون الطبيعة فإن الماس أصلب من أن تضوبه أية مطوقة، إذ لا يُصاب بضرٍ منها.

إذا كان الشيطان كالمطوقة، ووُجدت أسفله ماسة يمسكها الله في يديه ويحميها ويضعها تحت نظره، فإن تلك الماسة لا يمكن أن يصيبها أي

ضرر.

إذا الإنسان البار هو مثل جبل الماس أو مثل الماسة الموجودة في يدي الله. إنها لا تفلق ولا تبالي بالمطوقة، بل على العكس كلما اشتدت عليه

الضربات ظهرت فضائله أكثر.

يُقال عن الذين يتاجرون في الحجرة الكريمة إنهم يختبرون الماس قبل شرائه، ذلك لأنهم يجهلون ما إذا كانت هذه الحجرة الموجودة أمامهم هي

ماس أم مادة أخرى، ويظنوا يجهلون حقيقته إلى أن تُوضع تحت المطوقة ويضوب بها؛ فإذا ظلت الحجرة بدون ضرر يتأكدون حينئذ أن الحجرة

الموجودة أمامهم هي ماسات أصيلة [676].

البار ومطوقة التجرب

[هكذا الحال بالنسبة للإنسان البار في مواجهة التجرب؛ فإن الذين لا يعرفون كيف يختبرون الحجرة يجهلون حقيقة هذا البار. أما الله فهو

وحده يعلم حقيقة الماس الذي يجهله معظم الناس.

أنا نفسي لا أعلم حتى الآن هل سأقطع وأتطم إذا ضوبتتي المطوقة، وبالتالي تظهر حقيقتي إنني لست ماسة، أم سأثبت ضد التجرب

والاضطهادات والمخاطر وبالتالي أظهر مثل الماسة الأصلية؟! [677].

فوائد المطوقة

[راجع بنفسك الكتاب المقدس، وابتح هل وضع الله شيئاً مفيداً في المطوقة. أذكر لك مثلاً عن فائدة المطوقة: بدون المطوقة لما وُجدت أوراق

مشدودة (عد 10: 1) يُضوب بها في مناسبات الأعياد الموجودة في الشريعة، وأيضاً تُستخدم في الحروب حيث تلهب حماس الشعب حينما يسمعونها. إذا

لا بد من وجود المطوقة لعمل الأوراق المشدودة [678].

المطوقة والبوق الرسولي بولس

[ساعدت المطوقة كثوا في صنع هذا البوق المشدود، بولس الرسول. فلقد ساعدت على تقدمه ونموه من خلال التجرب المختلفة التي تعرض

لها، فاجتاز الاختبار بنجاح، وأثبت أنه يمكن وضعه تحت المطوقة دون أن يُصاب بضرٍ، بل على العكس أن وضعه تحت المطوقة صنع منه بوقاً

يُعطي صوتاً واضحاً حتى أن كل من يسمعه يتهبأ للقتال (1 كو 14: 8) [679].

لنميز بين المطوقة والضرب بها

[يما أن قوة العدو هي مطوقة، فأنتي بكلمة أخرى من الكتاب المقدس مشتقة عن كلمة مطوقة. أتوقف عند كلمات: أن "قايين" ولد بنين،

وأحدهم كان توبال "الضرب (طرق) كل آلة من نحاس وحديد" (تك 4: 22). فكما أن إبليس أصل كل التجرب يسمى "المطوقة"، كذلك يُسمى خادمه

الذي ينفذ أوامره "الضرب" أو (الطرق). في كل مرة تسقط فيها في تجربة اعلم أن المطوقة هو إبليس، وأن الطارق هو الإنسان الذي يرسله إبليس

ليوقع بك. وأيضاً عندما تمت خيانة السيد المسيح، كان إبليس هو المطوقة وكان يهوذا الإسخريوطي هو الطارق. كذلك وُجد العديد من الطارقين في

وقت آلام يسوع المسيح، كانوا يصرخون: "خذ! خذه! اصلبه! اصلبه!" جميع الذين وحبون بالشيطان في تصوفاتهم وسلوكهم يجعلون من أنفسهم خداماً

له ويصيرون "طارقين" [680].

اترك المطوقة ولا تضرب بها!

[إن كنت طرقتَ بالأمس وممسكاً بمطوقة في يدك، الآن وقد عرفت أن الطارقين هم أبناء قابيل الذي قتل أخيه؛ فالق بالمطوقة من يدك، وتعال إلى النسل الصالح لتنتهي إليه، النسل الروحي الذي يبدأ من شيث ثم أنوش والباقيين الذين يمدحهم الرب في سفر التكوين [\[681\]](#)].

مطوقة كل الأرض وليس مطوقة السماء!

[نهاية المطوقة القطع والتحطيم. يجب أن نعلم أن الشيطان الذي يرمز إليه النبي بالمطوقة، ليس هو مطوقة لجزء من الأرض، بل مطوقة كل الأرض. يجب أن تؤخذ كلمات "كل الأرض" بمعناها الحرفي، لأن شوه ورداعله انتشوت في كل الأرض، وأن هذه المطوقة تصنع الشر في كل مكان. حينما نقول أن الشيطان هو مطوقة كل الأرض، هذا يعني ضمناً أنه لا توجد مطوقة في السماء. إننا في الواقع لا نستخدم المطوقة مع مادة خفيفة ورقيفة، بل مع مادة غليظة وثقيلة. فإذا كنت تلبس صورة الزاوي (1 كو 15: 49)، تضوبك المطوقة لأنها أرضية وآبوية [\[682\]](#)].

مطارق لأجزاء من الأرض

[كما أن الشيطان هو مطوقة كل الأرض، يمكننا أن نتخيل أيضاً أن هناك مطوقة أخرى أصغر نوعاً ما، هي مطوقة جزء من الأرض؛ وهي تتمثل في قوات العدو، أي الشياطين الصغرة التي ليس لها نفس سلطان إبليس وقوة رئيس الشياطين الذي يمكنه أن يحلب جميع الناس في وقت واحد. إذا توجد في داخلي مطوقة، ليست لكل الأرض وإنما تختص برؤي أنا فقط. لكن بما أن مطوقة كل الأرض قُطعت وتحطمت، فما بالكم بالمطارق الأخرى الصغرة؟ [\[683\]](#)]

مسيحنا محطم المطوقة!

[نبحث عن الذي قطع وحطم مطوقة كل الأرض:

ليس موسى هو الذي قطع وحطم مطوقة كل الأرض،

ولا إبراهيم أب الآباء،

ولا يشوع بن نون،

لا أي واحد من الأنبياء.

إذا من هو ذلك الذي استطاع أن يقطع ويحطم تلك المطوقة الشديدة القوة، مطوقة كل الأرض؟ أنه يسوع المسيح.

[لذلك فإن لرميا النبي في إعجابه الشديد بعمل السيد المسيح يقول بروح النبوة: " كيف قُطعت وتحطمت مطوقة كل الأرض؟ " لقد قُطع (انكسر) الشيطان أولاً، ثم بعد ذلك تحطم (سُحق). لوجه إلى الإنجيل وزي القوة التي قال فيها الشيطان للسيد المسيح: "أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لي" (مت 4: 9)، في رأيي أن السيد المسيح في تلك اللحظة لم يحطم الشيطان وإنما فقط قطعه، ولكن بعدما ما فرقه الشيطان إلى حين (لو 4: 13)، ثم لما رجع إليه بعد هذا الحين، سحقه يسوع المسيح وحطمه (على الصليب) [\[684\]](#)].

التقطيع والتحطيم الدائم للمطوقة

[تقطع مطوقة كل الأرض من جديد بواسطة كل واحد منا حينما نصير أعضاء حقيقيين في الكنيسة، وحينما ننمو باستمرار في الإيمان، ثم تتحطم وتسحق بعد ذلك حينما نصل إلى حياة الكمال.

في هذا الشأن استمع إلى قول بولس الرسول الذي يوجهه إلى الأورار: "والله السلام سيسحق الشيطان تحت أرجلكم سريعاً" (رو 16:

[\[685\]](#) (20).

لنسحق المطوقة حتى لا تسحقنا

[هذا الشيطان تآثر باستتوار ضدنا، وهو يحاول بكل وسيلة أن يقطعنا وأن يحططنا ويسحقنا. سحق بالفعل كثوين الذين لم يكونوا يقطين ولا حريصين على أنفسهم، الذين لم يملسوا عملياً الحفاظ على القلب (أم 4: 23) [686].

لنخف الله فلا نخاف من المطرقة!

[أما نحن الذين لنا ثقة في الرب، ولنا إيمان بيسوع المسيح ابن الله، فإننا لا نخاف الشيطان. نخاف الله، فلن نخاف الشيطان، ولن يمكن لإبليس أن يصنع بنا أي شر، بل ويمكننا أن نقول بكل فخرٍ عن عمل الله معنا: "كيف قُطعت وتحطمت مطرقة كل الأرض؟" [687].

سحق المطرقة يليه خراب بابل

[يعد أن قُطعت المطرقة وتحطمت، صلت بابل خربة. لقد اتبع لريا النبي توتيباً يدعو للإعجاب حينما قال: "كيف قُطعت وتحطمت مطرقة كل الأرض؟ كيف صلت بابل خربة؟" لقد أعلن الأمر الذي تحقق أولاً في البداية، ثم أعلن بعد ذلك ما حدث بعده. إذا متى صلت "بابل" مدينة القلق والاضطراب "خربة؟" [688].

متى تصير بابل خربة؟

[صلت خربة حينما خربت جميع الاضطرابات الموجودة في داخل نفسي وانتهت. حينما لا اضطرب عند موت ابن أو زوجة لي. حينما لا يعود أحد يستطيع أن يثوني ولا أن يدفعني إلى الحزن أو الغضب أو الشهوة. حينما أصير موتاً غير قلقٍ رغم جميع الأحداث. عندئذ يقال عني: صلت بابل أي الاضطرابات خربة. "قد نصبت لك شركاً فعلت يا بابل وأنت لم تعرفي" [24] يا ليت بابل الموجودة في كل واحدٍ فينا تسقط وتعلق في الفخ المنسوب لها! [689].

يكمل العلامة أوريجينوس عظته معلقاً على العبارات التالية في نفس الأصحاح هكذا:

[قد وجدت وأمسكت لأتلك قد خاصمت الرب (قاومتي الرب)]

ليست بابل هي الوحيدة التي قاومت الرب، بل جميع الأمم والشعوب الذين تركوا الخالق وعبوا الأوثان قاوموا أيضاً الرب. أليست هذه العبادة هي أسلوب رمزي يُقصد به أن كل نفس تخاصم أورشليم "رؤية السلام" تكون مثل بابل؟ لأن الأوار كانوا في أورشليم، والخطة كانوا في بابل، لذلك حينما أخطأ سكان أورشليم تم سببهم إلى بابل مع الخطة.

'فتح الرب قوائمه وأخرج آلات زجه...

لكي أفهم معنى 'فتح الرب قوائمه وأخرج آلات زجه (غضبه)' أبحث عن معنى آلات غضب الله في أجزاء أخرى من الكتاب المقدس. لقد وجدت بالفعل قوة مناسبة جداً تتلائم مع هذا الموضوع في كلمات بولس الرسول الذي يقول: "فماذا إن كان الله وهو يريد أن يظهر غضبه ويبين قوته احتمل بأنة كثرة آنية غضب مهياًة للهلاك، ولكي يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً" (رو 9: 22-24).

يقسم بولس الرسول جميع البشر إلى مجموعتين، قائلاً إن بعضهم يمثل آنية رحمة والبعض الآخر يمثل آنية غضب؛ لقد أطلق مثلاً على فوعن وعلى المصوبين أنهم آنية غضب، بينما أطلق على نفسه هو وجميع الذين آمنوا سواء من اليهود أو من الأمم آنية رحمة.

إذًا توجد في خزائن الرب أنية (آلات) غضب، فما هي إذًا تلك الخزائن التي يوجد فيها أنية غضب الله؟

هل لا يوجد في خزائنه سوى أنية غضب؟

خزائن الرب من وجهة نظري تتمثل في الكنائس، كثوا ما يختبئ فيها أناسًا يمثلون أنية غضب، يأتي وقت حين يفتح الرب خزائنه التي هي الكنائس. الكنائس الآن مغلقة، وأنية الغضب موجودة وسط أنية الرحمة، والقمح موجود مع التبن (مت 3: 12)، والسّمك الجيد مع السمك الوديء في نفس الشبكة (مت 13: 47). عندما يفتح الرب كنيسته في يوم الدينونة ويُخرج آلات غضبه؛ فإن كل واحدٍ من الذين يمثلون أنية الرحمة يقول عن أنية الغضب التي أخرجت خرجًا: "منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا" (1 يو 2: 19) [690].

يكمل العلامة أوريجينوس حديثه عن الأنية التي للرحمة وتلك التي للغضب قائلاً بأن هذا يحدث في بيت الرب أي بين المؤمنين، منهم من هم مقدسون وآخرون فاسدون يُدانون؛ لكن توجد واني أخرى خرج الكنيسة ليست هكذا ولا كذلك، فهي تُحرم من الملكوت لكن لا تُلقى في نار جهنم... هذا الفكر في رأيه موضوع نقاش غير مستقر عليه، وواضح من كلماته أنه لا يمثل رأيًا عامًا إذ يقول:

[هذا الموضوع يدعونا للدخول في مناقشة مجالٍ آخر يتشابه مع هذا الموضوع فإنه توجد في خزائن الرب أنية للغضب؛ وفي خرج خزائنه يوجد خطاة ليسوا أنية للغضب، بل هم أنية أقل درجة من أنية الغضب: هم العبيد الذين لا يعملون رادة سيدهم لأنهم لا يعلمون ما هي رادته (لو 12: 47).

الذي يدخل إلى الكنيسة يكون إما أنية غضب وإما أنية رحمة؛ أما الذي في خرج الكنيسة فهو ليس أنية غضب ولا أنية رحمة، بل يمكن اعتباره أنية مخصصة لأي شيء آخر. أستطيع أن أؤكد كلامي هذا، وأن أثبت صحته من الكتاب المقدس نفسه، حيث يقول بولس الرسول "ولكن في بيت كبير ليس أنية من ذهب وفضة فقط بل من خشب وخرف أيضًا، وتلك للكرامة وهذه للهوان، فإن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدسًا نافعًا للسيد مستعدًا لكل عملٍ صالحٍ" (2 تي 2: 20).

لا تظن أن هذا البيت الكبير هو كنيستنا الحالية، ولا تعتقد أنك ستجد فيها أنية للكرامة وأخرى للهوان؛ بل أن هذا البيت الكبير هو المدينة الجديدة التي أعدها الله لنا في الدهر الآتي، فيها تصير أنية الرحمة، أنية من ذهب وفضة للكرامة؛ بينما الأنية الأخرى التي هي الأشخاص الموجودين خرج الكنيسة والذين ليس في استطاعتهم أن يصيروا أنية للرحمة ولا أنية للغضب؛ فإنهم بموجب وضعهم الخاص وحالتهم الفريدة، يمكنهم أن يشغلوا وظيفة أنية الخرف التي للهوان، والتي رغم كونها أنية للهوان إلا أنه لا يمكن الاستغناء عنها في داخل البيت.

بالنسبة لنا نحن الذين في بيت الله أي في الكنيسة، ماذا ننتظر حتى نطهر أنفسنا؟

هل ننتظر حتى يأتي الرب ويفتح خزائنه فيخرجنا خرجًا؟!

ألا يجب علينا أن نبدأ من الآن حتى نصنع من أنفسنا أنية للرحمة، فلا نكتفي فقط بأن نبعد عن أن نصير أنية للغضب، بل بالأكثر أن يصير هؤلاء الذين كانوا قبلاً أنية غضب أنية للرحمة؟! يقول بولس الرسول شيئًا مشابهًا للكورنثوسيين:

"يسمع مطلقًا أن بينكم زنى، وزنى هكذا لا يُسمى بين الأمم حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه. أفأنتم منتفخون وبالأحرى لم تتوهوا حتى تُرفع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل؟! (1 كو 5: 1-2) كأنه يقول لهم: لتُفتح خزائن الرب، ولتُخرج منها أنية الغضب! لأن "الرب فتح خزائنه وأخرج آلات غضبه".

وأت عبلة نُسبت للسيد المسيح "الذي يوجد بالقبوب مني فهو قريب من النار، والذي يوجد بعيدًا عني فهو بعيد عن الملكوت!"

أي أن الإنسان الذي سمع تعاليمي ثم خالفها صار إناء غضبٍ معدٍ للهلاك (رو 9: 22)، مثل هذا الإنسان عندما يكون بالقبوب مني يصير قريبًا من النار.

إذا ابتعد أحد عنى لكي لا يوجد بجانب النار، فليعلم مثل هذا الانسان أنه بذلك يُبعد نفسه عن الملكوت، مثل ما يحدث مع المصلعين تمامًا: فإن المصلع الذي لا يكتب اسمه ضمن أسماء المشوكين في الصواع (المصلعة) لن يخاف من الضربات، في الوقت نفسه لن ينتظر أن يُوج بأكاليل النصول. أما إذا اشترك في المصلعة فإنه سَيُضوب ويقع كما في حالة خسرة، بينما يُوج في نصول. نفس الشيء يحدث مع الذين كُتبت أسمؤهم في الكنيسة، الذين قبلوا كلام الرب، فهم بهذا يسجلون أسماءهم للاشتراك في المصلعة الدينية، طالما انضموا إلى المشوكين، فإذا لم يصلعوا بكل اجتهاد يتلقون ضربات كثرة، لن يتلقاها الآخرون الذين لم يشتركوا من الأصل في هذا الصواع، إما إذا صلعوا بشجاعة وتجنوا الضربات، فإنهم يأخذون إكليل مجد لا يفنى (1 كو 9: 25) [691].

لنخوج من أرض الكلدانيين

["لأن للسيدرب الجنود عملاً في أرض الكلدانيين" [25].

أي مكان أو موقع أرضي يمكن أن يُسمى بأسماء عديدة ومختلفة بحسب وجهات النظر السائدة فيه. وكما أن مخلصنا يسوع له أسماء كثيرة من وجهات نظر متعددة، ذلك لأنه واحد في جوهه لكنه متعدد القدرات والصفات، كذلك أيضاً الأمور الأرضية، فوغم كونها نفس الشيء في جوهها، إلا أنها متعددة جداً من وجهات نظر الناس في كل مكان على الأرض. أوضح ذلك بالأكثر بتفسير المثال الذي ذكرته عن المخلص ثم رجع بعد ذلك إلى الموضوع الأساسي الذي يحتاج إلى التفسير.

فبالوغم من أن ربنا ومخلصنا يسوع المسيح هو جوه واحد، إلا أنه من وجهة نظر معينة يُدعى طبيياً حيث قيل "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت 9: 12).

ومن وجهة نظر أخرى يُدعى راعياً (يو 19: 14).

ومن وجهة نظر ثالثة يُدعى ملكاً (يو 18: 37).

ومن وجهة نظر رابعة يُدعى الكرمة الحقيقية (يو 15: 1).

ومن وجهة نظر خامسة يُدعى الحكمة (1 كو 1: 30).

ومن وجهة نظر سادسة يُدعى الحق (يو 14: 6).

ومن وجهة نظر سابعة يُدعى راء (1 كو 1: 30).

إذاً، كما أن مخلصنا رغم أنه واحد في جوهه إلا أنه يحمل أسماء مختلفة تبعاً لوجهات نظر متعددة، كذلك أيضاً بالنسبة للأمور الأرضية، فإنها مكونة من نفس المادة إلا أنها تأخذ أسماء مختلفة تبعاً للأماكن الموجودة فيها. كثراً ما ذكرنا أن بابل هي الأمور الأرضية المضطربة دائماً، ومصر هي الأمور الأرضية التي تصيبنا بالحزن والضيق، أما أرض الكلدانيين فتمثل الذين يعبدون النجوم والكواكب، ينسبون معظم الأحداث التي تجرى على الأرض إلى النجوم، حتى أنهم يقولون إن ما يوجد عندنا من خطايا أو من فضائل هو نتيجة لحركة النجوم. كل إنسان يشترك في تلك المعتقدات يكون في أرض الكلدانيين. إذا اتبع أحدكم خرافات المنجمين يكون هو أيضاً في أرض الكلدانيين . بل أن بعض الناس يظنون أننا أصبحنا مسيحيين بسبب تحركات معينة تحدث في مدارات الكواكب والنجوم. لذلك فإنه عندما يهدد الرب الذين في أرض الكلدانيين، وفقاً للتفسير الروحي، يهدد الذين يذهبون وراء علم التنجيم القائلين إن كل ما يحدث على الأرض ووجع إلى تحركات النجوم. من أجل ذلك حينما دعا الله إراهيم للتوجه نحو أمور أفضل، قال له: أنا الرب الذي أخرجك من أرض الكلدانيين" (تك 15: 7) . الله وحده هو القادر على إخراجنا من أرض الكلدانيين، لأنه هو خالق كل شيء ومدبر كل شيء وضابط الكل [692].

["هلم إليها من الأقصى،

افتحوا أوهها (مخزنها)،

كوموها عوامًا وحرَموها ولا تكن لها بقية" [26].

مخزن الكلدانيين هي عقائدهم الخاصة بمعرفة الغيب والتنجيم. من يرفض حسابات علم الغيب والتنجيم، ويتبع بدلاً منها عقيدة الحق التي تؤكد أن لا شيء مما يقوله هؤلاء المنجمون حقيقي، ومن يعلم أن ما أبعد أحكام الله عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء (رو 11: 33)، ومن يقول أن الكواكب ليست هي سبب الأحداث التي تجري على الأرض؛ مثل هذا الإنسان ينفذ أمر الرب بإهلاك أرض الكلدانيين.

"صوت هربين وناجين من أرض بابل ليخبروا في صهيون بنقمة الرب إلهنا" [28].

يبتبأ رميا هنا عن الذين تركوا تقاليد أجدادهم، ورفضوا العادات الوثنية التي كانت موجودة عندهم قديمًا، تركوا عدم الإيمان، ثم آمنوا في النهاية بكلمة الرب.

أعتقد أن هذا هو المقصود بكلمات: "صوت هربين وناجين من أرض بابل".

يا ليتها تكون كلماتنا نحن أيضًا، فنكون هربين من الذنوب والخطايا، إذ أن صوت الهربين هو نفسه صوت الناجين. لا يكفي أن نهرب من أرض بابل بل يجب كذلك أن ننجو منها حتى نُخبر في صهيون بنقمة الرب إلهنا. عندما نهرب من بابل نأتي إلى صهيون "المدينة الحصينة"، أي كنيسة الرب حيث نخبر فيها بنقمة الرب إلهنا أي نقمة شعبه (دفاعه عن مؤمنيه).

"ادعوا إلى بابل أصحاب القسي. لينزل عليها كل من يتوع في القوس حواليتها لا يكن ناج". أي اهدموا واهلكوا كل ما يخص بابل "كافئوها نظير عملها، افعلوا بها حسب كل ما فعلت، لأنها بغت على الرب على قنوس إسرائيل". أو: "لأنها قاومت الرب قنوس إسرائيل" [29]. طالما توجد في داخلك أفكار شرة تقاوم القداسة والإيمان الحقيقي، لا زال بابل في داخلك؛ أما إذا أهلكك هذه الأفكار وقضيت على الخطايا الموجودة في أرضك (نفسك)؛ فإنك تكون قد قتلت بابل، وبالتالي تستطيع أن تذهب إلى مدينة الله أورشليم (عب 12: 22) وتلتقي بالمسيح يسوع الذي له المجد والقدرة والسلطان إلى أبد الأبدين أمين [693].

6. ضيق مشترك:

"هكذا قال رب الجنود إن بني إسرائيل وبني يهوذا معًا مظلومون،

وكل الذين سيوهم أسكوهم.

أبوا أن يطلقوهم.

وليهم قوي.

رب الجنود اسمه.

يقيم دعواهم لكي يريح الأرض ويضع سكان بابل" [33-34].

سمح الله لهم بالسبي لكي يتمتعوا بالوحدة التي حُوموا منها في أرض الموعد. ففي عبودية مصر وأيضًا في بابل كان الكل معًا في مذلة. وكما أبي فوعون أن يطلقهم هكذا أبي البابليون أن يطلقوهم [33]، لكن في كلا الحالتين اكتشفوا أن "وليهم قوي، رب الجنود اسمه" [24] هو الذي يحررهم. بالنسبة لهم هو "الولي" أي يمت إليهم بصلة قربي ملاصقة جدًا، وقائد "رب الجنود"، ومحامي يقيم دعواهم [34]. إنه ينتقم لهم من الأشرار القتلة، ويحميهم، ويضمن لهم حريتهم، ويحرر أرضهم (لا 25: 25، 47-55؛ عد 35: 21). إن كان الله قد أخرجهم من مصر بيد قوية وبزواجر رفيعة فلا زال القادر أن يحررهم من بابل بقوة.

7. قضاء عاجل:

"سيف على الكلدانيين يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤسائها وعلى حكمائها.

سيف على المخادعين فيصيرون حُمقاً.

سيف على أبطالها فيرتعبون.

سيف على خيلها وعلى مركباتها وعلى كل اللفيف الذي في وسطها فيصيرون نساء.

سيف على خزانها فتنتهب.

حَرَّ على مياهها فتتشف، لأنها أرض منحوتات هي وبالأصنام تُجن [35-38].

أمر السيف أن يضرب ليعلن عجز آلهة بابل وأصنامها عن الحركة والدفاع عن العابدين لها:

- سيف على الكلدانيين (الشعب).

- سيف على الرؤساء (الأباطوه ورجال الدولة).

- سيف على الحكماء (المشيرون).

- سيف على المخادعين (الأنبياء الكذبة والمنجمون).

- سيف على أبطالها (الجيش).

- سيف على خيلها... (الإمكانيات الحربية).

- سيف على اللفيف الذي في وسطها (حلفؤها).

- سيف على خزانها (التي امتلأت بما نهوه).

- حر على مياهها (تتحول الحقول إلى وري). وى البعض هنا إشارة إلى تحويل مياه نهر الفوات من القوات الطبيعية تحت أبواب المدينة

الضخمة إلى بركة ضخمة خرج المدينة حيث عبر مادي و فرس إلى بابل من خلال قوات النهر.

8. قضاء مستقبلي:

"لذلك تسكن وحوش القفر مع بنات آوي،

وتسكن فيهارعال النعام ولا تسكن بعد إلى الأبد، ولا تعمر إلى دور فدور.

كقلب الله سونوم ومجاوراتها يقول الرب،

لا يسكن هناك إنسان ولا يتغوب فيها ابن آدم" [39-40].

هذه الكلمات حقيقية بالنسبة لخائب بابل، فلا زال يتجنونها ظانين إياها أماكن تختبئ فيها الحيوانات المقوسة ومملوءة بالأرواح الشريرة (إش

13: 19-22).

لم يحدث أن تعرضت بابل لما تعرضت له مدينتا سونوم وعمورة، لذا وى البعض أنه يشير هنا إلى ما سيحدث في الأيام الأخيرة حيث يُقال عن

سقوط بابل: "وحدثت زلولة عظيمة لم يحدث قبلها منذ صار الناس على الأرض، زلولة بمقدرها عظيمة هكذا... وبابل العظيمة ذُكرت أمام الله ليعطيها

كأس خمر سخط غضبه" (رؤ 16: 18-19). كما قيل عن ملاكٍ إنه "صوخ بشدة بصوتٍ عظيم قائلاً: سقطت سقطت بابل العظيمة وصلرت مسكناً

لشياطين ومحسناً لكل روح نجس..." (رؤ 18: 2).

9. غزو عاجل:

"هوذا شعب مقبل من الشمال وأمة عظيمة ويوقظ ملوك كثيرين من أقاصي الأرض.

لتهدم في داخلي اهوة إبليس المتعروفة الوانية!

لتحطم يا مخلصي المطوقة الحقيقية،

عدو الخير الذي حطم كل الأرض،

أقام نفسه رُخونا للعالم لينحدر به إلى الهلوية!

❖ مجيئك يا مخلصي قطع المطوقة،

صليبك سحقها تمامًا!

أي سلطان لعدو الخير عليّ؟!

أية قوة للخطبة في داخلي؟!

نعم! وهبتي النصوة،

أعطيتني أن أضرب بصليبك على المطوقة فأسحقها!

❖ روحك القنوس حوّلي زابي إلى ماس حقيقي!

ليضرب العدو بكل طاقاته،

فإنه لن يقدر أن يحطم الماس ولا أن يسحقه!

بل يكشف بالأكثر عن تقديها وصلابتها!

أختفي فيك ورُتمي بين يديك،

فلا تقدر المطوقة أن تحطمني!

اقتنيني ماسًا لا يُقدر بثمن.

❖ لتضرب مطوقة كل الأرض عليّ!

إنها لن تقدر أن تلحق بي،

فإنني لست بعد أرضًا بل سماء!

أجلسني روحك القنوس في السمويات،

حوّل رُضي الداخلية إلى سماء،

وبابلي إلى أورشليم العليا!

مجدًا لك يا محطم مطوقة كل الأرض!

<<

الأصاح الحادي والخمسون

اهربوا من بابل!

أعلن الله في الأصاح السابق على لسان رميا النبي عن تقطيع بابل - مطوقة الأرض - وتحطيمها (50: 23)، فكما سحقت الأمم سُحقت هي

أيضاً، لأنها مدينة ضد المسيح، تُقدم للعالم إبليس الذي هو بالحقيقة مطوقة كل الأرض، وقد سحقه رب المجد بالصليب (كو 2: 15) ولم يعد له سلطان على أولاد الله. في هذا الأصحاح يعلن الله عن الوأمان بالهروب سويماً من بابل، لأننا في حاجة إلى بلسانٍ يشفي جراحات نفوسنا الختوة. هذا البلسان هورب المجد يسوع المصلوب الذي لن يوجد في بابل بل في جلعاد الجديدة التي هي الكنيسة.

1. ربح مهلكة [1-4].
2. الله لن ينسى شعبه [5].
- 3 . اهربوا من وسط بابل [6].
- 4 . بابل كأس ذهب [7-8].
- 5 . جراحات لا تُشفى [8-18].
- 6 . نصيب يعقوب [19].
- 7 . عصا الرب للتأديب [20-25].
- 8 . حرمان من حجر الأولية [26].
- 9 . جاء وقت الحصاد [27-33].
- 10 . شكوى إسرائيل [34-35].
- 11 . الله ينتقم لشعبه [36-44].
- 12 . اخرجوا من وسطها [45-46].
- 13 . الحكم [47-49].
- 14 . أمر بالعودة إلى المقدس [50-51].
- 15 . نهاية السبي البابلي [52-58].
- 16 . قراءة النبوات في بابل [59-62].
- 17 . سقوط بابل [63-64].

1. ربح مهلكة:

"هكذا قال الرب:

هأنذا أوقف على بابل وعلى الساكنين في وسط القانمين عليّ ريحاً مهلكة.
وأرسل إلى بابل منزيين فينزونها ويفوغون أرضها،
لأنهم يكونون عليها من كل جهة في يوم الشر.
على النرع في قوسه فليتوع النرع،
وعلى المفتخر بزواجه،
فلا تشفقوا على منتخبيها بل حرموا كل جندها.
فتسقط القتلى في أرض الكلدانيين والمطعونون في شوارعها" [1-4].

في الأصحاحات السابقة يشير النبي إلى بابل إما باسمها الذي يعني "بليلة"، أو باسم "الكلدانيين" الذي يشير إلى انغماسهم في العقائد الخاطئة حيث

يرفضون العناية الإلهية، حاسبين أن كل حياتهم حتى سلوكهم تدوه حركة النجوم، بهذا يظنون أن الإنسان مسلوب الإادة. هنا يدعو الله البابليين: "الساكنين في القائمين عليّ" [1]، أي المقاومين لله علانية، لهذا استحققت بابل المخاطر التالية:

أ. هبوب ريح مهلكة عليها، عوض التمتع بروح الله القنوس الذي يهب كريحٍ ليجدد على النوام؛ تهلك لويح حتى العطايا الطبيعية الموهوبة للإنسان.

ب. قيام مئرين لتفريغ أرضها، يكشفون أنها لا تحمل حبة حنطة واحدة وسط القش، لهذا توغ أرضها تمامًا.

ج. ضربات القوس المتوارة؛ عوض التمتع بسيف الكلمة الإلهية الذي يبتز كل شرٍ، أو يرمح الحب الإلهي الذي يوح النفس بجراحات الحب الإلهي، يُقتل شبابها المنتخب وكل جيشها بالرمح، ويُلقون في الشوارع [3].

د. تحريم جندها : تصير كل طاقات الإنسان التي للجسد كما للنفس جنوداً محرمين لا يملسون الحياة المقدسة، ولا ينعمون بتكريسهم للرب.

يتوجم البعض "الساكنين في القائمين عليّ" هكذا: "الساكنين في *Leb- Kamai*، أي في *Atbash*، قاصداً بذلك "كلديا" [694].

يتحدث هنا عن مادي وقرس بكونهما ريحاً مهلكة تحطم بابل، وقد قدم لرميا النبي سبع تشبيهات لمادي وقرس:

أ. الأسد الصاعد من كورياء الأردن إلى موعى دائم (50: 44)، بينما يشبه بابل بصغار الغنم المسحوبة بلا قوة (50: 45)، يفترسها الأسد.

ب. ريح مهلكة [1]، لا تستطيع بابل أن تقومها.

ج. مزيون يذرون أرض بابل ويؤعونها [2]، حيث تنفضح بابل فتظهر أنها قش يطير في الهواء بلا حنطة. بينما يكشفون عن حقيقة المؤمنين

في الكنيسة، إذ يفصلون القش عن الحنطة. هذا هو عمل التجرب والضيق، فالمؤمنون الحقيقيون يتمجدون خلال التجربة بالتصاقهم بالله مخلصهم بينما يتعثر الآخرون ويجدون على الله.

د. "قأس حرب" يسحق بابل [20]، إذ كان الجند يستخدمون أحياناً القوس في المعرك الحربية.

هـ. أنوات حرب [20].

و. غوغاء أو حواد يرفعون على بابل جلبة أي يحدثون أصواتاً قوية أشبه بصوت أغاني الغلبة والنصرة [14، 27].

ز. ناهيون [35].

2. الله لن ينسى شعبه:

"لأن إسرائيل ويهوذا ليسا بمقطوعين عن إلههما عن رب الجنود وإن تكن أرضهما ملآنة إثماً على قنوس إسرائيل" [5].

وى لرميا النبي إسرائيل ويهوذا لملتين مقطوعتين عن إلههما، العريس السملوي، لكن الله لا يتركهما بعد تأديبهما. حقاً لقد ملأنا الأرض إثماً

ضد الله القنوس، لكن إذرعتنا بالتوبة إليه تجدانه راجعاً إليهما ليؤع عنهما حالة الترميل.

3. اهربوا من وسط بابل:

"اهربوا من وسط بابل وانجوا كل واحدٍ بنفسه.

لا تهلخوا بذنبيها لأن هذا زمان انتقام الرب هو يؤدي لها جزاءها" [6].

يقدم لنا العلامة أوريجينوس تفسيراً لهذه العبارة:

أين تقطن نفوسنا؟

[كما أن جسدنا يسكن في مكان معين من الأرض، كذلك نفسنا تسكن بحسب حالتها في المكان أو البلد الذي يحمل نفس اسمها (صفاتها)، أو

بطريقة أكثر وضوحاً: جسدنا موجود إما في مصر أو بابل أو فلسطين أو سوريا أو في أي بلدٍ أخرى تحمل الاسم الذي يتناسب مع كل نفس [695].

شيء آخر، لأن المسافة من الوسط إلى أي طرف من أطراف بابل تكون متساوية: أي أن الوجود في مركز بابل هو مثل وسط قلب أي حيوان. ففي الواقع القلب هو الجزء المتوسط في جسم أي حيوان، كما أن وسط الأرض يُسمى في إنجيل متى "قلب الأرض" (مت 12: 40)؛ إذًا يؤم على الخطأ أن يهربوا من وسط بابل أي من قلبها.

أهروا إذا من وسط بابل لكي إذا ما تركتم وسطها تصبحون بعد ذلك في أطراف أرضها.

حتى لا يكون هذا الكلام غامضاً أوضحه أكثر: الإنسان الغرق في الشور والخطايا هو في وسط بابل؛ أما الذي يبتدئ تريبجياً في ترك الخطية متجهاً نحو الخير ولم يحصل بعد على الفضائل، إنما يبدأ في الحصول على الاشتياق للفضائل، فبالوغم من هروبه من وسط بابل إلا أنه لم يتوكلها كلية [1698].

نجاهة من جديد

يقول القديس جبروم في رسالته إلى استوخيوم إن والدتها قد نفذت هذه الوصية الإلهية فخرجت من أرضها لتستريح مع مخلصها [1699].

يقول العلامة أوريجينوس:

إثم أضاف قائلًا: "وانجوا (من جديد) كل واحد بنفسه".

يجب أولاً أن نهرب من وسط بابل، ثم بعد ذلك ننجو من جديد كل واحد بنفسه. لم يتحدث هنا عن النجاهة فقط، بل عن النجاهة من جديد، هذه الإضافة تحوي سراً؛ تعني أننا قد ذقنا الخلاص قبل ذلك، لكن إذ حُرنا منه بسبب خطايانا، أدى هذا إلى مجيئنا إلى بابل. لهذا يجب أن ينجو كل واحد منا بنفسه من جديد، لكي نبدأ في استعادة ما قد فقدناه، وبحسب كلمات بطرس الرسول: "ثائلين غابرة إيمانكم خلاص النفوس. الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم" (1 بط 1: 9-10) [1700].

الفرق بين الطرد والرفض

يوجد أمر ثالث: "لا تُطردوا بإثمها"

إذا كان أحد يعيش في إثم بابل ولا يقدم توبة يصير "هلاكة" أمراً طبيعياً. لاحظ كيف أن العهد القديم رغم أنه مُرجم من العويبة إلى اليونانية، إلا أنه قد نجح جداً في التعبير عن الكلمات وتوضيح الفروق بينها إلى حد كبير. قال على سبيل المثال: "اخترت أن أصير مرفوضاً (مطروحاً أو مُلقى) في بيت إلهي الخ." (مز 10: 84)، فهو لم يقل: "اخترت أن أصير مطروحاً". نفس الشيء بالنسبة للآية التي نفسوها، فهي لم تقل: "لا تصيروا مرفوضين بإثمها" بل: "لا تصيروا مطرودين بإثمها".

الطرد شيء والرفض شيء آخر. الإنسان المُحتقر من الناس والمُهمل منهم، ليس مطروحاً وإنما مرفوض. أيضاً الإنسان الذي يوجد باستوار خارج دائرة الخلاص مطرود لأنه لا ينعم بالتطويب الإلهي. لكي تفهم الفرق بين الكلمتين، يمكنك تجميع كل النصوص الموجودة في الكتاب المقدس والتي تحوي على هاتين الكلمتين، والمقارنة بينهما [1701].

التأديب الإلهي علامة الحب والاهتمام

"لأن هذا زمان انتقام الرب". يوضح الكتاب المقدس أن العقوبات تُوقع على الإنسان الذي يحتملها ويصبر على احتمالها. فعندما لا يُعاقب الإنسان على الأرض يظل هكذا بدون عقاب حيث يتم عقابه في يوم الدينونة. ويقول الرب على لسان هوشع النبي: "لا أعاقب بناتكم لأنهن يزنين ولا كناتكم لأنهن يفسقن" (هو 4: 14).

لا يعاقب الله الخطاة بسبب غضبه عليهم كما يظن البعض، أو بمعنى آخر عندما يوقع الله عقاباً على إنسان خاطئ، لا يوقعه بدافع الغضب من هذا الإنسان، بل على العكس، فإن غضب الله على الإنسان يظهر في عدم توقيع العقاب عليه. لأن الإنسان المُعاقب حتى ولو تألم تحت تأثير هذا العقاب،

إلا أن القصد هو إصلاحه وتقويمه. يقول داود: "يلرب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بسخطك" (مز 6: 1).

إن أردت أن تؤدبني، فكما يقول لميا: "أدبني يلرب ولكن بالحق لا بغضبك لئلا تقنيني" (24: 10). كثيرون أصلحوا بسبب عقوبات الرب وتأديباته لهم. كما يقول الكتاب، حينما يخطئ أبناء السيد المسيح يتم عقابهم لكي تكون أمامهم فوصة للوحمة من قبل الرب: "إن ترك بنوه شويعتي ولم يسلكوا بأحكامي، إن نقضوا فرائضي ولم يحفظوا وصاياي، افتقد بعضا معصيتهم وبضوبات إثمهم، أما رحمتي فلا أزعها عنهم" (مز 89: 30-33).

من ذلك نفهم أنه إذا ارتكب أحد الخطايا ولم يُعاقب حتى الآن يكون ذلك علامة عدم استحقاقه للعقاب بعد [702].

"هو يؤدي لها جزاءها"

لإن يوقع الله عقابه وجزاءه على بابل من خلال خدامه، بل هو بنفسه يؤدي لها جزاءها. رُيد أن أضيف شيئاً على ذلك، وهو أن الله لا يُعاقب الخاطيء بنفسه، لكنه أحياناً يرسل وسطاء، سواء لتنفيذ العقاب، أو لمنح الشفاء من خلال الألم كما زى في الزمير: "أرسل عليه حمو غضبه سخطاً ورخاً وضيئاً (عن طويق) جيش ملائكة أشرار" (مز 78: 49). بالنسبة لهؤلاء لم يؤد لهم الله جزاءهم بنفسه، لكنه استعان بملائكة أشرار ليقيموا بتنفيذ مهمة العقاب.

قد يستعين الرب بملائكة أطهار لمعاقبة بعض الناس. لكن يحدث في بعض الأحيان أن الرب يرفض الاستعانة بهؤلاء الوسطاء، ويوقع العقوبات بنفسه، كما هو الحال هنا بالنسبة لبابل.

عندما تكون الجروح طفيفة وقابلة للشفاء السريع، يكتبني الطبيب برسالة تلميذه أو مساعده يعالج المريض. يحدث أحياناً أن يكون المريض محتاجاً إلى بتر أحد أعضائه وإلى استخدام المشوط، مع ذلك لا يذهب إليه الطبيب بنفسه، بل يختار واحداً من مساعديه قانوا على القيام بهذا العمل، فيرسله ليعالج المريض.

لكن حينما تكون الجروح غير قابلة للشفاء، ويكون المرض قد انتشر في جميع أجزاء الجسم، بحيث يصل المريض إلى درجة كبوة من الخطورة، هنا لا يتطلب الأمر يدَي التلميذ أو المساعد، إنما يحتاج إلى أيدي المعلم نفسه، فيقوم الطبيب بالتصدي لهذا الوح المميت بنفسه. بالمثل حينما تكون الخطايا صغرة، لا يوقع الله على الخطاة عقابهم بنفسه، لكنه يستخدم الوسطاء، أما إذا كانت الخطية خطوة جذاً كما هو الحال هنا بالنسبة لمدينة بابل، يسوع الرب بتوقيع الجزاء عليها بنفسه [703].

4. بابل كأس ذهب:

"بابل كأس ذهب بيد الرب تُسكر كل الأرض.

من خمورها شربت الشعوب من أجل ذلك جنت الشعوب.

سقطت بابل بعتة وتحطمت. ولولوا عليها" [7-8].

يقول القديس جيروم: باختصار يؤمك أن تعرف أن الذهب غالباً ما يكون تشبيهاً للبلاغة العالمية، كمثال لسان الهواطة وواق بالذهب [704].

❖ اقام يوبعام عجلي ذهب ووضع أحدهما في بيت إيل وجعل الآخر في دان (1 مل 12: 29) (قد يتساءل البعض: لماذا صنعوا عجلي ذهب؟ كترنا محفوظ في وأن حرفية (2 كو 4: 7). الكنسيون بحق هم بسطاء، أما الهواطة فهم رُسطاطليون وأفلاطونيون. باختصار لتعرف أن الذهب هو التشبيه المعتاد للبلاغة الزمنية، حيث يكون لسان الهواطة كتمثال ذهبي متألئ، اسمع كلمات النبي: "بابل هي كأس ذهبي في يد الرب" [7]. لاحظ كيف يصف بابل المرتبكة. إذن هذا العالم هو كأس ذهبي، وكل الأمم يشربون منه [705].

القديس جيروم

❖ بابل تعني "رتباكاً"، والكأس الذهبي حقاً هو تعاليم الفلاسفة وبلاغة الخطباء.

من بالحق لم ينحرف بواسطة الفلاسفة؟

من لم يُخدع بواسطة خطباء هذا العالم؟

كأسهم ذهبي، وسمو بلاغتهم من الخرج، أما الداخل فمملوء سمًا الذي لا يقرون أن يخفوه إلا خلال بريق الذهب.
تنفون عنوبة بلاغتهم لكي تتأكوا ولا تشكوا أنه سم قاتل [706].

القديس جيروم

يقول العلامة أوريجينوس:

بين كأس الذهب والإناء الخرفي

["بابل كأس ذهب بيد الرب تُسكر كل الأرض،

من خمرها شربت الشعوب،

من أجل ذلك جنت الشعوب (اختل عقلها)، سقطت بابل بغيّة وتحطمت".

نوخذنصر، الذي كان يريد أن يغوي الناس ويجذبهم من خلال كأس بابل المُضِل والمخادع، لم يضع المشروب الذي أعده في وَّانٍ خرفية (2 كو 4: 7)، ولا حتى في وَّانٍ أخرى أفضل في الوع كالحديد أو النحاس أو حتى ما هو أفضل مثل الأواني الفضية؛ لكنه اختار إناءً من ذهب لُعد فيه مشروبه، حتى يجتذب بريق الذهب عيون الناس، فيركزون كل اهتمامهم وأنظلم على جمال الإناء الخرجي نون أن يلتقوا إلى ما في داخله. بهذا يمسكون بالكأس ويشربونها وهم غير عالمين.

ماذا يعني كأس نوخذنصر؟

ماذا يُقصد بكأس الذهب المذكورة هنا؟

إن نظرت إلى الجمال الخرجي الذي يغلف الكلمات القاتلة التي للعقائد الفاسدة، وإلى بلاغة لسانهم وفصاحة كلماتهم وفن ترتيب الكلمات وتنسيقها، عندئذ تترك أن كل واحدٍ من هؤلاء الشواء والفلاسفة قد أعد كأس ذهبٍ، يوجد في هذه الكأس سموم الونا، وسموم الكلمات القبيحة، وسموم العقائد التي تقتل نفس الإنسان.

أما مسيحيننا ففعل العكس: فإنه إذ يعرف أن كأس الشيطان مصنوعة من الذهب، لم يشأ أن يجعل الإنسان الذي يدخل في الإيمان يظن أن كأس السيد المسيح مشابهة للكأس التي تركها (أي كأس الشيطان التي تركها الإنسان حينما آمن بالوب)، ولم يشأ أن يصنع كأسه من الذهب حتى لا يقع المؤمنون في حوة حينما يرون أن كأس الرب وكأس الشيطان مصنوعتان من نفس المادة، فمن أجل ذلك حرص السيد المسيح على أن يكون لنا هذا الكنز في وَّانٍ خرفية (2 كو 4: 7).
"بابل كأس ذهب بيد الرب".

بابل ليست كأس ذهب إلى الأبد، بل يأتي يوم تسقط من يدي الرب حيث يقوم هو بنفسه بتوقيع العقاب عليها.

"تُسكر كل الأرض"، كأس الذهب هذا، أي بابل، تُسكر كل الأرض.

كيف تسكر كل الأرض؟ ستفهم ذلك حينما تترك أن كل الناس أصبحوا سكرى: لقد سكرنا من الغضب، ومن الحزن، ومن الحب الفاني، ومن الشهوات الشهوة، ومن كل ما هو باطل. فكم من مشروبات أعدتها لنا بابل؟ وكم من كأس ذهبٍ أسرتنا بها؟
"بابل كأس ذهب بيد الرب تُسكر كل الأرض".

إن أردت أن تعرف كيف أصبحت كل الأرض سكرى بفعل كأس بابل أنظر إلى الخطاة الذين يملأون الأرض كلها. قد تقول لي إن الأوار لم يسكروا من كأس الخطاة، فكيف يقول الكتاب أن كل الأرض تسكر من كأس بابل؟ لا تظن أن الكتاب لا يقول الصدق حينما يقول ذلك، لأن الأوار في

الواقع ليسوا أرضًا (زَابًا)، وبالتالي فإن كل الأرض فقط، أي الخِطَاة وِحدَهُم، هم الذين يسكرون . أما الأُور، فبالرغم من وجودهم على الأرض إلا أن مكانهم في السماء. بالتالي لا يليق أن يُقال للإنسان البار: أنت زَاب (رُض) وإلى التَّوَاب تعود"، بل سيقول له الرب - طالما أن ذلك الإنسان يلبس صورة السموي (1 كو 15: 49): "أنت سماء وإلى السماء تعود". لذلك فإن كأس بابل لن يُسكر إلا الذين مازالوا "أرضًا".

"من خمرها شربت الشعوب، من أجل ذلك جنت الشعوب".

الذين يشربون الخمر العادي، عندما يشربون منه أكثر من حاجتهم ويكثرون من شربه بدون عقل زى فيهم صورة إنسانٍ سكرانٍ مختل الجسد ذو رُجُل متراخية ورأسٍ متقلّة، ولسانٍ ثمل، ينطق بكلمات غير مفهومة، تخرج من خلال شفيتين مضمومتين. بذلك يمكننا أن نترك كيف أن الذين شربوا من خمر بابل جنوا واختل عقلم، صلت خطواتهم غير ثابتة، وبسبب عقولهم الواهية وأفكلهم المترددة يعيشون دائمًا في قلقٍ واضطرابٍ ويملاً الشك حياتهم باستوار. يقول الكتاب عن مثل هؤلاء الناس: "لذلك أخذتهم الرعدة" (مز 48: 6).

دعونا نتوقف قليلاً عند بعض الكلمات الغامضة: لماذا قيل عن قايين الخاطئ إنه حينما خرج من لدن الرب، سكن في أرض نود شوقي عدن (تك 4: 16)؟ إن كلمة "نود" ترجم في اليونانية "اختلال أورعدة". الإنسان الذي يتوك الله، والذي لا توجد عنده القوة على التكفير في الرب يكون موجودًا في أرض نود، أي يعيش في القلق واضطراب قلبه الوديء وفي اختلال الفكر والعقل.

"سقطت بابل بغيّة وتحطمت"

متى سقطت بابل بغيّة؟

أعتقد أن المقصود بتلك الكلمات هو أن نهاية العالم تجيء بغيّة، ستكون مثل أيام الطوفان حين كان الناس يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه فوح الفلك، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع" (مت 24: 37-38)، وكما حدث في أيام لوط (لو 17: 28). نفس الشيء يحدث في نهاية العالم، لن تجيء بالتتريج وإنما بغيّة. وفي رأيي أن هذا أيضًا يتشابه مع ما جاء في سفر يشوع عن مدينة رِيحَا التي سقطت "بغيّة" بمجرد حدوث صوت الأوقاق، يحدث نفس الشيء أيضًا مع مدينة بابل في نهاية العالم تسقط بغيّة وتحطم. هذا إذا اعتدنا أن العبارة السابقة تتحدث عن وقت انتهاء العالم؛ أما إذا تأملنا ماذا حدث في وقت السيد المسيح، ونظرنا إلى عمله العجيب، كيف أنه أفسد جميع التعاليم الوثنية المتعلقة بالأصنام وعبادتها، لكي يحمي المؤمنين من ثقل الخطية، عندئذ سنترك أن في ذلك الوقت سقطت بابل بغيّة وتحطمت.

ليفحص كل واحد منا نفسه لوى هل سقطت بابل من داخل قلبه أم لا. إذا كانت مدينة الاضطراب (بابل) لم تسقط بعد من قلبه، هذا دليل على أن السيد المسيح لم يأت بعد إلى هذا القلب، لأنه بمجرد دخوله إلى القلب تنهار بابل وتحطم في الحال. فمن أجل ذلك حينما تصلون، اجتهدوا أن تطلوا مجيء السيد المسيح في قلوبكم حتى يحطم بابل ويسقط كل شرها وخبثها وموها، ويقم على أنقاضها أورشليم مدينة الله المقدسة، يقيمها في داخل قلوبنا [707].

5 . جراحات لا تُشفي:

"خنوا بلسانًا لجرحها لعلها تُشفى.

داوينا بابل فلم تُشَف.

دعها ولنذهب كل واحدٍ إلى أرضه،

لأن قضاءها وصل إلى السماء وارتفع إلى السحاب" [8-9].

هذا الحديث في رأى الأب سيرينوس [708] موجه من الله إلى الأطباء والجراحين ليحزوا بسبب عدم قبولها الهواء، بينما تكلمته [9] هو تعليق

هؤلاء الأطباء من ملائكة منوطين بهم ورسل وروحيين انركوا أن بابل رفضت العلاج.

❖ حول رميا أن يشفي بابل إن استطاع!...

لم يُشَفَّ المجمع لأن اللسان قد عبر إلى الكنيسة! جاء التجار من جلعاد، أي من موضعهم أو سكناهم في الناموس، واحضروا بضائعهم إلى الكنيسة لكي يشفي اللسان خطايا الأمم. عن هؤلاء قيل: "شدوا الأيادي المسترخية والركب التي بلا قوة" (إش 35: 3 LXX).

اللسان هو الإيمان غير الفاسد. مثل هذا الإيمان عرضه بطرس إذ قال للأعوج: "باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشي" (أع 3: 6) [709].

القديس أمبروسيو

❖ لقد اعتنى ببابل، لكنها لم تتل صحة، لأنه حين يكون الذهن مرتبكًا بالشر يسمع كلمات التوبيخ ويشعر بتأديبات الانتهاز، لكنه يستخف بالرجوع إلى طرق الخلاص المستقيمة [710].

الأب غريغوريوس (الكبير)

يقول العلامة أوريجينوس:

["ولولوا عليها، خنوا بلسانًا (بلسمًا - موهما) لجرحها لعلها تُشفي".]

بما أن كل نفس يمكنها أن تحصل على الخلاص، لا توجد نفس واحدة غير قابلة للشفاء بالنسبة للرب، لذلك ينصح الله الذين يستطيعون أن يعبروا إلى أورشليم أن يحصلوا على بلسم العهد الجديد، أن يحاولوا بقدر استطاعتهم أن يستخدموا هذا العلاج مع بابل لكي تُشفي وتستعيد صحتها. ليتنا نحاول نحن أيضًا أن نفعل ذلك، فنطلب من الله أن يعطينا البلسم الروحي؛ لكي نتعلم كيف نعصب جراحات بابل، مقتدين بالسامري الصالح؛ وبالتالي تُشفي هذه المدينة البائسة، فلا تعود بعد إلى حالتها الأولى.

أين هم الهواطة الآن؟ أين الذين يؤمنون بتعدد أنواع النفوس، ويؤكدون وجود فرعٍ من النفوس لارجاء فيه، والأمل في خلاصه مفقود؟ لو كانت هناك نوعية من النفوس لا بد أن تهلك، أما كانت بابل هي أول تلك النفوس التي يجب أن تهلك؟ ومع ذلك، فإنه حتى بالنسبة لبابل، لم يحتوها الله، بل يأمر الأطباء أن يضعوا بلسمًا لجرحها لعلها تُشفي!

إذًا هؤلاء الذين صدر الأمر إليهم بمعالجة بابل، حينما علموا بإمكانية شفائها واستعادة صحتها، قاموا بالفعل بتنفيذ الأمر، ووضعوا بلسمًا على جرحها، لكن إذ وجوا أنهم لم يحصلوا على النتيجة التي كانوا ينتظرونها، لأن بابل ظلت في شويرها ولم تود أن تُشفي، قالوا بعد أنهم أخوا مهمتهم وتمموا مسئوليتهم: "داوينا بابل فلم تُشَفَّ، دعوها". أفلا يحدث معك هذا أنت أيضًا أيها الإنسان؟

يحدث أحيانًا أن يرسل لك الله الملائكة ويأمرهم بوضع الغواص عليك لعلاجك من مرض النفس "لعلك تُشفي"، فتكون النتيجة أن هؤلاء الملائكة يجيبون الرب قائلين: "داوينا بابل، التي هي نفسك المضطربة بشهوات هذا العالم، فلم تُشَفَّ". سبب عدم الشفاء لا يرجع إلى قلة معرفتهم وخبرتهم الطبية ولا إلى رداءة فرع البلسم، بل يرجع السبب أولاً وأخيراً إليك أنت، لأنك لم تشأ أن تُشفي، فلم تتبع تعليماتهم وعلاجهم. "دعوها"؛ إن الملائكة هنا كانوا يمثلون أطباء مهمتهم تنفيذ أوامر الله الطبيب الأعظم؛ لقد رأوا معالجة ضعفاتنا وتحرير نفوسنا من الودائل، أما نحن فإننا نُبعدهم عنا بعيدًا برفضنا اتباع نصائحهم. لذلك فإن هؤلاء الملائكة، إذ يرون أن تعبهم يذهب هباءً، يقولون: "دعوها. ولنذهب كل واحدٍ إلى رُضه". أو أنهم يقولون بطريقة أخرى: لقد سلمنا الله النواء لمعالجة النفس البشرية، فجننا لنجدتها وقدمنا لها النواء، أما هي فإنها عنيدة جدًا وعاصية لا تريد أن تستمع إلى ما نقوله، وقد أصبح مجهودنا بلا ثمر، وبالتالي "دعوها ولنذهب كل واحدٍ إلى رُضه".

احذر أيها الإنسان لنلا يتورك الطبيب، سواء كان هذا الطبيب ملاكًا من قبل الرب أو إنسانًا مكلفًا من قبل الله بإعطائك النواء الذي يقودك إلى الخلاص. لأنه لو تركك الطبيب وقال: "دعوها ولنذهب كل واحدٍ إلى رُضه، لأن قضاءها وصل إلى السماء وارتفع إلى السحاب"، فإن تركه إياك إنما يعني إيدانك كإنسانٍ غير قابل للشفاء لأنك رفضت أن تعالج. عندما يتورك الطبيب، ماذا يحدث لك إلا الشيء الطبيعي الذي يحدث لأي مريض فقد الأطباء الأمل في شفائه؟ المريض الذي أحب موضه يسقط حتمًا في حالة أكثر سوءًا.

يظل الأطباء الصالحون المخلصون بجانب المريض طالما يستطيعون معالجته بحسب مهنتهم، وطالما يمكنهم أن يستخدموا النواء مع هذا المريض. لكن إذا تقاوم المرض وزداد سوءًا إلى درجة فقدان الأمل في الشفاء، أو إذا خالف المريض تعليمات الأطباء نتيجة لتعبه من الآلام وضوحه منها، إذ يفقد الطبيب الأمل في مثل هذا الإنسان يدعه (يتركه) وينسحب لنلا يموت المريض بين يديه، وبالتالي تُلقى المسؤولية عليه. نفس الشيء يحدث معنا نحن أيضًا، فلنكن نتجنب الملائكة الأطهار أن نموت بين أيديها يتكوننا عندما يفتقون الأمل في شفاء نفوسنا ويقولون: "من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طوية لم تُعصر ولم تُعصب ولم تلتين بالزيت" (إش 1: 6).

"لأن قضاءها وصل إلى السماء وارتفع إلى السحاب".

الإنسان الذي تكون خطيته صغيرة، لا يرتفع قضاؤه إلى السماء، بينما الذي ينمو في الشر ينمو أيضًا قضاؤه ويزداد حجمه، وكلما تريد شريره يزيد أيضًا عقابه. إذا كان قد أخطأ إلى الوجة التي وصلت فيها خطاياهم إلى السماء وارتفعت إلى السحاب حينما يقاوم الله بعناده ترتقى خطاياهم أكثر فأكثر، لذلك فإن الرب يهين الخطية التي أوصلت قضاء الإنسان إلى السماء، كما أنه في الوقت نفسه يكافئ الإنسان البار مكافأة تليق بالحياة التي عاشها في المسيح يسوع الذي له المجد والقوة والسلطان إلى أبد الأبد أمين ^[711].

وي القديس جيروم أن الأنبياء والوسل هم السحاب، إذ قيل "حقك للسحاب" (مز 36: 6)، هكذا ينبع الحق من السحاب أي من الأنبياء والوسل. إذ يلتقي هذا السحاب ويحتك معًا يعطي بهاءً وريقًا لتعليم واحدٍ يضيء على العالم كله ^[712].

أتريد ان تعرف كيف يُدعى المؤمنون سحابًا في الكتاب المقدس؟ يقول إشعياء: "أوصي الغيم أن لا يمطر عليهم مطرًا" (راجع إش 5: 6). كان موسى سحابة، لذلك قال: "يهطل كالمطر تعليمي" (تث 32: 2). رسائل الوسل هي مطر روحي يهطل علينا. كحقيقة واقعة "لأن أرضًا قد شوبت المطر الآتي عليها مرًا كثرة" (عب 6: 7)، مرة أخرى يقول "أنا غوست وأبولس سقى" (1 كو 3: 6) ^[713].

الآن إذ أعلن أن خطايا بابل قد بلغت إلى السماء وتعرف عليها رجال الله خاصة الأنبياء، مؤكدين أن جرحها لا يبرأ لأنها ترفض البلسان (السيد المسيح) الذي في جلعاد (كنيسة العهد الجديد)، يؤكد الحقائق التالية:

أ. أن الرب هو برنا:

"قد أخرج الرب برنا" [10].

شتان بين خطايا بابل وخطايا المؤمنين، الأولى إصوار على العصيان وعناد ومقاومة لعمل الله؛ أما الثانية فضعفات لذا يلجأ المؤمنون إلى الله الذي يبرر، إذ يستر علينا بنعمته، فلا تُحسب علينا خطية مادما نتجاوب مع عمل نعمته، ونُحسب أولًا، لأن "الرب برنا". إنه يؤدبنا وأيضًا يبررنا!

ب. إعلان عمل الله في كنيسته:

"هلم فنقص في صهيون عمل الرب إلها" [10].

يحلو الله أن يقص على أولاده أعماله المجيدة، فيكشف لهم رادته الإلهية، من جهتهم كما من جهة الأشوار المُصوين على عنادهم.

ج. قضاء بابل:

خلاص الكنيسة بحري ضمناً تحطيم الشر وسقوط مملكة إبليس المظلمة، لذلك يقول:

"سنوا السهام.

أعنوا الأتواس.

قد أيقظ الرب روح ملوك مادي لأن قصده على بابل أن يهلكها.

لأنه نقمة الرب نقمة هيكله.

على أسوار بابل رفعا الواية.

شدبوا الحواسة.

أقيموا الحواس.

أعنوا الكمين،

لأن الرب قد قصد وأيضاً فعل ما تكلم به على سكان بابل" [11-12].

هنا نجد دعوة موجهة من الله إلى ملوك مادي، أي رؤسائها، رجال كورش، للتحرك والهجوم ضد بابل. عاش أهل مادي في شمال غرب إيران، في المنطقة التي تدعى حالياً كردستان الاوانية، كانت تنقسم إلى ست مقاطعات، وفي أيام اليونان والرومان انقسمت إلى مقاطعتين، وهما أتروباتينة في الشمال ومادي الكبوة في الجنوب مع الشرق.

الماديون هم نسل بن يافت (تك 10: 2)، اشتهروا بخيولهم، وكانوا يتصلون بالفوس في الجنسية واللغة والثقافة والتاريخ (دا 5: 28؛ 6: 8، 12، 15).

عاصمة مادي هي *Ecbatana*، من أعظم ملوكها *Astyages* (550-585 ق.م). مع وجود معلومات عن تزيخ مادي إلا أنه يعتبر تزيخاً غامضاً قبل كورش الذي أخضع المنطقة عام 550 ق.م.

هنا يلاحظ أن تأديب الرب لهم هو تأديب بسبب هيكله الذي خروه.

وقد طلب حواسة مشددة على أبواب بابل حتى لا يهرب منهم أحد.

"أيتها الساكنة على مياه كثوة الواوة القوانن، قد أتت آخرتك، كيل أغتصابك.

قد حلف رب الجنود بنفسه إنني لأملأك أناساً كالغواغاء فيرفعون عليك جلبة" [13-14].

دعاها الساكنة على مياه كثوة، وقد سبق لنا التعليق على ذلك، فإنها تشير إلى الآتي:

أ. تجلس ملكة على أمم كثوة حيث أن المياه تشير إلى الشعوب.

ب. كثوة المياه تعني المورد الطبيعية الضخمة في تحويلها إلى جنات وحقول تفيض عليها بالخوات.

ج. تشير إلى موكها الجوافي بكونها على نهر الوات بقواته الكثوة وبرك المياه التي تقوم بدور الحصانة العسكرية للمدينة.

اتسمت بالحصانة مع الغنى حيث جمعت كل ما في مخزن الأمم المحيطة بها حين استولت عليها، لكن نهايتها قد قربت، إذ يغزوها جيش مادي وقرس كسحابة حواد بأصواته القوية... أصوات الغلبة والنصرة. ليس من يقدر أن يقف أمام حملاته!

وي البعض أن الجلبة هنا تعني صوت نصرة الغالبين، وهو نفس التعبير الذي يُقال عن الذين يدوسون العنب لعصوه. وكأن جيش مادي

وقرس دخل ليدوس بابل تحت أقدامهم كعنب يُعصر ويصير خمرًا مسكراً. إنه خمر غضب الله الذي يؤرم لبابل أن تشوبه!

يقدم بعد ذلك تسبحة حمد لله [15-19]، إذ يقول:

"صانع الأرض بقوته،

ومؤسس المسكونة بحكمته،

وبفهمه مدّ السموات.

إذا أعطى قولاً تكون كثوة مياه في السموات،

ويصعد السحاب من أقاصي الأرض.

صنع بروقاً للمطر وأخرج الريح من قوائمه.

بَلَدَ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَعْرِفَتِهِ.

قوى كل صانع من التمثال، لأن مسبوكة كذب ولا روح فيه.

هي باطله صنعة الأضاليل.

في وقت عقابها تبيد" [15-18].

حملت هذه التسبحة نفس الروح والعبرات الوردية في (10: 12-16).

رأد النبي أن يوضح لبابل سر شقائها وإصابتها بالحوادث القاتلة وهو حرمانها من الله الحقيقي، الطبيب الحقيقي، فقدم هذه التسبحة التي تعلن عن الله أنه القدير، الحكيم، يهب الأمطار والبرق، ويجلب الرياح من مخزنها. هو قادر أن يسخر الطبيعة بكل إمكاناتها لحساب مؤمنيه، بقوته الإلهية وحكمته وأبوته. إنه يبسط الفكر السموي في داخل النفس ويجلب عليها أمطار نعمته العزوة، ويوق بنور المعرفة على الفكر، ويهبها روحه القدس فتشفي وتغتني! إذ تفخر بابل أنها جالسة على مياه كثيرة، يؤكد النبي أن مصادر المياه في يدي الخالق، الذي بكلمته تفيض المياه، ويأتي بالسحاب من أقاصي الأرض، وبكلمته أيضاً يمنعها لتأديب بابل.

6. نصيب يعقوب:

"ليس كهذه نصيب يعقوب، لأنه مصور الجميع وقضيب موآئه رب الجنود اسمه" [19].

شتان ما بين عقوبة الأثوار المصممين على عنادهم وتأديب النفوس الساقطة في الخطايا عن ضعف أو جهل. يخشى الأثوار قوة الله إذ يرونه جبلاً يسيطر عليهم، أما المؤمنون فيفوحون بجيروتهم إذ يرتبط ذلك بأبوتهم وحبهم. حقاً يؤدب، لكن في تأديبه يعلن عن حبه واهتمامه بهم، لأنهم موآئه، منسوبون إليه.

7. عصا الرب للتأديب:

إن كان الله يقطع مطرقة كل الأرض ويحطمها، فإنه يوضح هنا عمله أنه يستخدم مطرقة لتحطيم الشر. ما هي هذه المطرقة؟

كانت في البداية أشور التي استخدمها الله كعصا تأديب لإسرائيل (10: 5-19)، وفيما بعد استخدم عبده نوحذنصر البابلي لتأديب يهوذا وبقية الأمم (27: 4-11)، وأخيراً استخدم كورش ليطوق به بابل داعياً إياه راعيه ومسيحه (إش 44: 28؛ 45: 1). يبدأ هنا ببابل كمطرقة في يد الرب (20-23)، يليه دينونة بابل (24-25).

"أنت لي فأس وأنوات حرب،

فأسحق بك الأمم وأهلك بك الممالك.

وأكسر بك الفرس وراكبه وأسحق بك المركبة وراكبها.

وأسحق بك الرجل والمرأة،

وأسحق بك الشيخ والفتى،

وأسحق بك الغلام والعواء.

وأسحق بك الراعي وقطيعة،

وأسحق بك الفلاح وفدانه،

وأسحق بك الولاية والحكام" [20-23].

كانت فؤوس المعرك متنوعة؛ كانت الفأس المصوية بيد طويلة ولها رأس واحدة نحاسية أو حديدية، بينما الفؤوس الفلرسية أيديها قصيرة ولها

رأس ضخمة. توجد هُوس حرب لها رأسان.

هفوس الحرب والأوات الأخرى التي للرب، أي بجيش بابل سحق الأمم والممالك، كما الحبوش وأواتها، وكل طبقات الشعب لتأديبهم... وكان يليق ببابل أن تتعظولا تسقط في العجرفة حتى على الله نفسه. إذ إنتهي الحديث عن بابل كمطرقة تسحق الأمم، تتقبل بابل ثرة شوها وغطستها. كانت تنتشامخ كجبل عالٍ، الآن يهددها لتصير "جبلًا محرقًا" لا يصلح لشيء.

وأكافئ بابل وكل سكان أرض الكلدانيين على كل شرهم الذي فعلوه في صهيون أمام عيونكم يقول الرب.
هانذا عليك أيها الجبل المهلك يقول الرب،
المهلك كل الأرض،
فأمد يدي عليك،
وأدرجك عن الصخور،
وأجعلك جبلًا محرقًا" [20-25].

يدعو الله بابل جبلًا مع أنها قائمة على سهل، وذلك كرمز كبرتها وعظمتها.

8 . حرمان من حجر الوالوية:

'فلا يأخذون منك حورًا ووالوية ولا حجر لأسس بل تكون حورًا إلى الأبد يقول الرب" [26].

عوض كونها جبلًا متشامخًا صلت جبلًا محرقًا لا تجد فيه حورًا يصلح ووالوية ولا كأساس لأي مبنى. هذا هو ثمر الكبرياء، يفقد الإنسان كل صلاحية.

لقد دُعي السيد المسيح "حجر الوالوية"، وصار إيمان التلاميذ به هو حجرة الأساسات التي يقوم عليها مبنى كنيسة العهد الجديد، لكن بابل لم تتمتع بالسيد المسيح ولا بإيمان الوال، لذلك انهلت تمامًا. تتحقق هذه النبوات بالكامل حين يسكب الملاك السابع جامه (رؤ 14: 8؛ 16: 17-21؛ 18: 1-24).

9 . جاء وقت الحصاد:

في هذه الورة لا توجة الدعوة إلى رؤساء مادي وحدهم بل إلى كل الأمم والشعوب لتتحالف معًا وتقدس حربًا ضد بابل. هذا النداء موجه للأمم بعد خضوعها لمادي لتعمل مع مادي ضد بابل، وتحسب أن حربها مع بابل هو عمل مقدس، لأنه بسماح إلهي. النداء موجه بالأكثر إلى ممالك في منطقة لرمينيا (ممالك لراط وميني واشكناز).

"لرفوا الوالوية في الأرض.

اضربوا بالبوق في الشعوب.

قدسوا عليها الأمم، ناوا عليها ممالك لراط وميني واشكناز.

أقيموا عليها قائداً،

أصعبوا الخيل كغوغاء (جواد) مقشوة" [27].

لراط : منطقة في لرمينيا شمال بحوة فان Van.

ميني Minni شعب قريب من مملكة لراط، شرق بحوة فان.

اشكناز: يُقال إنهم من نسل جومر (تك 10: 3)، وى البعض أنهم السكيثيون.

واضح أن هذه الممالك صلت خاضعة لملوك مادي، أغلبها الماديون في القرن السادس ق.م. هنا الدعوة موجهة إليهم للعمل مع مادي [28] في مقاومة بابل، إذ يقول:

"قدسوا عليها الشعوب ملوك مادي ولاتها وكل حكامها وكل أرض سلطانها" [28].

لقد رتجفت الأرض واهتوت أمام ما حلَّ ببابل العظيمة:

"فترتجف الأرض وتتوجع،

لأن أفكار الرب تقوم على بابل ليجعل أرض بابل خرابًا بلا ساكن.

كف جباوة بابل عن الحرب وجلسوا في الحصون.

نضبت شجاعتهم.

صاروا نساء.

حرقوا مساكنها.

تحطمت عولضها.

يركض عداء للقاء عداء،

ومخبر للقاء مخبر،

ليخبر ملك بابل بأن مدينته قد أخذت عن أقصى.

وأن المعابر قد أمسكت والقصب أحرقه بالنار ورجال الحرب اضطربت.

لأنه هكذا قال رب الجنود إله إسوائيل إن بنت بابل كبيد وقت دوسه.

بعد قليل يأتي عليها وقت الحصاد" [29-33].

نلاحظ هنا أن تكرار نفس العبرات التي قيلت عن يهوذا بعد دمره بواسطة نبوخذنصر (4: 4؛ 7: 44؛ 22)، وأيضًا عن مصر (46: 19)

وموآب (48: 9)؛ وكأن ما فعلته بابل بغورها يسقط عليها.

كثوًا ما يكرر هذا الأصحاح انهيار جيش بابل، إذ كفَّ الجباوة عن الحرب بسبب المفاجأة التي لم تكن متوقعة، فاخفوا في الحصون، وفقوا

شجاعتهم، وصاروا كنساء في ضعف، غير قادرين على الدخول في معركة.

يظهر مقدار ما حلَّ بجباوة بابل من ضعف إذ أصيبوا كما بفالج فشلت حركتهم بسبب الخوف. يذكر هيرودت أن البابليين رجوا إلى المدينة

وبقوا في الحصون كما سبق فتنبأ لرميا [30] [714].

كانت العادة قديمًا أن يركض واحد وراء آخر قادمين من أرض المعركة ليخبروا الملك بالأحداث (2 صم 18: 19؛ 19: 1). هنا يركض

كثيرون من كل جانب ليخبروا الملك بسقوط المدينة في يد العدو.

جاءت الاخبليات الأولى تعلن عن انهيار الحصون الخرجية. بجانب الحصنين العظيمين اللذين كانا يحيطا بقلب بابل وُجد حصن داخلي

سمكه 21 قدمًا وآخر خرّجي سمكه أكثر من 21 قدم. كانت هناك حصون في شمال المدينة وجنوبها، كما قام نهر الفوات مع قنوات والبرك بتحصين المدينة طبيعيًا.

يقصد بالمعايير أمسكت، أنهم قد سيطروا على النهر ذاته؛ وإذ هوب كثيرون وسط القصب حرق العدو القصب حتى لا يختفي أحد فيه.

ماذا يعني أن بنت بابل صلت كبيد وقت دوسه؟ إذ يأتي وقت الحصاد تجمع عيدان القمح، وتلقى على الأرض، وتدوسها الحيوانات، وتقطع

العيدان بالنهر ثم تفرى. هكذا صارت بابل كبنيت ملقاه على الأرض تنوسها الحيوانات ويمزقها النهر ويذرونها كما في البيدر!

10 . شكوى إسرائيل:

"أكلني أفناني نيوخنصر ملك بابل.

جعلني إناءً فرغاً.

ابتلغني كتنينٍ وملاً جوفه من نعمي، طوَّحني.

ظلمني ولحمي على بابل تقول ساكنة صهيون،

ودمي على سكان أرض الكلدانيين تقول أورشليم" [34-35].

لماذا حلَّ كل هذا ببابل؟ لأن إسرائيل يشتكى عليها، فقد افترسته وأكلته وشربته حتى صار كإناء فرغ. أكل نيوخنصر وشرب ولم يترك شيئاً

في إناء إسرائيل!

لم يصنع هذا عن احتياجٍ إلى أكلٍ أو شربٍ، إنما كان نيوخنصر كتنينٍ يبتلع فريسته ليملأ جوفه بها ويتنعم بها ثم يتقيأها (طوَّحني). بهجته في

ابتلاع الآخرين ليتقيأهم بعد ذلك.

11 . الله ينتقم لشعبه:

يأخذ الله على عاتقه دفاعه عن ولاده في الوقت المناسب. يدافع شعبيًا، فيقيم خصومةً ومحاكمةً لكي يعطي للخصم فرصة الدفاع عن نفسه.

"لذلك هكذا قال الرب:

هأنذا أخاصم خصومتك وأنتقم نقيمتك،

وأششف بحرًا وأجفف ينوعها.

وتكون بابل كوماً ومؤى بنات آوى ودهشاً وصفواً بلا ساكن" [36-37].

سيق أن شبه البابليين بالأسود التي ترمجر، الآن إذ تشعر بالوجع ترمجر وتضطرب، فيعد لها الله وليمة، لا من أكل بل من شرب، لكي تشرب

منها وتسكر. يقدم لها كأس غضبه (25: 15 الخ)، يشربون فينامون ولا يقومون. لقد صاروا كخوافٍ مذبوحة وليس كأسودٍ قوية.

"يؤمجون معاً كأشبال.

يؤنرون كجواء أسود.

عند هولتهم أعد لهم شراباً وأسوهم لكي يفحوا ويناموا نوماً أبدياً ولا يستيقظوا يقول الرب.

أترلهم كخوافٍ للذبح وككباش مع أعتدة" [38-40].

استولى كورش على بابل بينما كانت المدينة كلها منشغلة بعيدٍ دنس. تحولت أغاني العيد إلى زمجرة أشبال صغرة وزئير جواء أسود لكن بلا

عون.

كانوا يسكرون في لهوٍ بالعيد ولم يدروا أنهم يسكرون بخرم غضب الله.

كانوا يقدمون الخواف والكباش ذبائح لئله بيل ولم يدركوا أنهم هم صاروا خوافاً للذبح وكباشاً تُستهلك.

"كيف أخذت شيشك؟! "

وأمسكت فخر كل الأرض! "

كيف صارت بابل دهشاً في الشعوب! "

طلع البحر على بابل فتغطت بكثرة أمواجه.

صلت مدنها خراباً أرضاً ناشفة وقوفاً،

أرضاً لا يسكن فيها إنسان ولا يعبر فيها ابن آدم.

وأعاقب ببل في بابل،

وأخرج من فمه ما ابتلعه،

فلا تجرى إليه الشعوب بعد ويسقط سور بابل أيضاً" [40-44].

[715]

سابق أن رأينا أن كلمة "شيشك" شفة خاصة ببابل، وأنها غالباً مأخوذة عن فعلٍ معناه "يغطس". كأن بابل تغطس في وسط المياه ولا

تقوم. لقد سبق فغطس يونان في البحر بينما جلست بابل على المياه الكثوة كملكة. لكن شتان ما بين الإثنين، إذ تحولت مياه البحر بالنسبة ليونان إلى نهرٍ

حلوٍ يحوط به (يونان 2: 5)، حولت قفر قلبه إلى جنة، فقدم تسبحة القيامة (يونان 2)، وعابن هيكل قدس الرب وتمتع بالخلاص (يونان 2: 7، 9). أما

بابل الجالسة كملكة على نهر الوات العذب فغطاها البحر المالح بأواجه، وغرقت حولها ومدنها، ولم يعد يسكنها إنسان أو حيوان. أما إلهها بيل الذي

ظفوه يأكل ما يذبحونه له وما يقدمونه له من أطعمة فإنه يتقيأ ما ابتلعه، فيكون سخرية أمام الشعوب! وأخوفاً أسوار بابل التي كان العالم يتطلع إليها

كإحدى الأعاجيب العظمى، فإنها تسقط. وكأن بابل تفقد نهرها وأرضها ومدنها وسكانها وحيواناتها وإلهها وأسورها وحمايتها وسلامها!

12 . اخرجوا من وسطها:

"اخرجوا من وسطها يا شعبي،

ولينج كل واحد نفسه من حمو غضب الرب.

ولا يضعف قلبكم فتخافوا من الخبر الذي سُمع في الأرض،

فإنه يأتي خبر في هذه السنة ثم بعده في السنة الأخرى،

خبر وظلم في الأرض متسلط على متسلط." [45-46].

تكررت الدعوة بالخروج من وسط بابل، وكأنها إنذارات خطر تنوَّى بلا توقف حتى يهرب المؤمنون منها. ليخرجوا بلا خوف وليترقبوا أخبار

مؤالية تعلن عن خراب بابل ودملها تمامًا.

13 . الحكم:

"ذلك ها أيام تأتي وأعاقب منحوتات بابل،

فتجوز كل أرضها، وتسقط كل قتلاها في وسطها.

فتهتف على بابل السموات والأرض وكل ما فيها،

لأن الناهبين يأتون عليها من الشمال يقول الرب.

كما أسقطت بابل قتلى إسرائيل تسقط أيضاً قتلى بابل في كل الأرض" [47-49].

يُسمع هتاف النصر والفرح في السموات وعلى الأرض، ليس شماتة في زملائهم البابليين، وإنما تهليلاً بعمل الله بخلاص أولاده، وتحقيق العدل

الإلهي في الزمن المناسب.

هذه هي خوة المؤمن إذ تتحطم بابل الداخلية يهتف جسده (أرضه) مع نفسه (سمواته)، ويشترك كل كيانه في التهليل للرب.

14 . أمر بالعودة:

"أيها الناجون من السيف اذهبوا لا تقفوا،

اذكروا الرب من بعيد، ولتخطر أورشليم ببالكم.

قد خزينا لأتنا قد سمعنا علًا غطى الخجل وجوهنا،

لأن الغرباء قد دخلوا مقدس بيت الرب" [50-51].

للورة الخامسة في هذه النوات ضد بابل يطالب الله شعبه بالخروج من بابل، ويحثهم على العودة إلى أرضهم (50: 8، 51: 6، 9، 45، 50).

إنه يطالبهم بالانشغال بأورشليم وتطهير هيكلها من الغرباء الذين دنسوها. إنها دعوة لكل نفس أن تُمْتَصَّ أفكلها في أورشليمها الداخلية، مقدس

الرب، ولا تسمح لفكرٍ غريبٍ يدخل فيها ليدنسها.

15. نهاية السبي البابلي:

"لذلك ها أيام تأتي يقول الرب، وأعاقب منحوتاتها،

ويتهجد الجرحى في كل أرضها.

فلو صعدت بابل إلى السموات،

ولو حصنت علياء عوها،

فمن عندي يأتي عليها الناهبون يقول الرب.

صوت صواخ من بابل وانحطام عظيم من أرض الكلدانيين.

لأن الرب مخرب بابل وقد أباد منها الصوت العظيم،

وقد عجت أمواجهم كمياه كثوة وأطلق ضجيج صوتهم.

لأنه جاء عليها على بابل المُخرب وأخذ جبارتها وتحطمت قسيهم لأن الرب إله مجزاة يكافئ مكافأة.

وأسكر رؤساءها وحكامها وولاتها وحكامها وأبطالها،

فينامون نومًا أبدياً ولا يستيقظون يقول الملك رب الجنود اسمه.

هكذا قال رب الجنود:

إن أسوار بابل العريضة تدمر تدمروا وأبوابها الشامخة تُحرق بالنار،

فتتعب الشعوب للباطل والقبائل للنار حتى تعيا" [52-58].

سقوط بابل هو تحقيق للعدالة الإلهية، ما تعاني منه هو ثمر طبيعي لجرائمها.

إذا اجتمع الرؤساء والحكام، أي المنجمون، والولاة والحكام والأبطال للتشاور معًا تحول مجلسهم إلى جلسة مستهزئين، لأنهم سكرُوا من خمر

اليأس وترنوا، وفتقوا قنوتهم على التفكير والتصرف.

16 . قِوَاة النوات في بابل:

"الأمر الذي أوصى به إرميا النبي سوايا بن نيريا بن محسيا عند ذهابه مع صدقيا ملك يهوذا إلى بابل في السنة الوابعة لملكه. وكان سوايا

رئيس المحلة.

فكتب إرميا كل الشر الآتي على بابل في سفرٍ واحدٍ كل هذا الكلام المكتوب على بابل.

وقال إرميا لسوايا: إذا دخلت إلى بابل ونظرت وقوات كل هذا الكلام.

فقل أنت يرب قد تكلمت على هذا الموضوع لتقرضه حتى لا يكون فيه ساكن من الناس إلى البهائم بل يكون حرباً أبدية" [59-62].

سوايا هذا هو أخ بلروخ كاتب رميا النبي، ذهب مع صدقيا الملك إلى بابل لكي يجدد عهده بالولاء، لكن بعد العودة مباشرة كسر الملك عهده وثار ضد ملك بابل.

كتب رميا كل النوات ضد بابل في سفر وأرسلها مع سوايا ليذهب بها إلى بابل ويقواها على الذين سبق سببهم، ويختم الواءة بصلاة [62] فيه يطلب سوايا أن يحقق الله وعوده هذه بتحطيم بابل.

واضح أن تصرفات رميا النبي تبدو غير منطقية بشوياً، فقد أعلن نواته ضد بابل قبل سبي يهوذا، أي في الوقت الذي فيه كان يوبخ الملك وكل رجاله مع كل القيادات بسبب عدم خضوعهم لبابل، عصا التأديب الإلهي؛ وفي نفس الوقت يعلن عن انهيار بابل، ويسلم ذلك لأحد مساعدي الملك ليذهب بهذه النوات إلى بابل نفسها ويتحدث بين المسيبين علانية عن ذلك! بمعنى آخر بينما يطالب بالخضوع لبابل يعلن عن نهاية إمبراطوريتها! حقاً هكذا يسلك أولاد الله بروح الاخلاص للكلمة الإلهية حتى إن بدت غير مقبولة في أعين الكثوين.

لماذا كتب رميا السفر بنفسه؟

ربما كان بلروخ متغيباً في ذلك الحين، أو لأنه لم يرد أن يعرضه للخطر البابلي، فقد قبل أن يتعوض هو لا كاتبه للمتاعب! هنا نجد فيه أوهة عجيبة!

غالباً لم يتقبل كل المسيبين هذه النوات بترحاب:

وَأولاً: لأن بعضهم نجح في تجرته هناك واستقر مادياً.

ثانياً: لأنهم خشوا انتشار هذه الأخبار في بابل وبلوغها إلى الملك فيسيء معاملتهم. لقد وُأت بالعورية التي لا يفهمها الكلدانيون، لكن يمكن أن تبلغ إليهم بطريق أو آخر.

17 . سقوط بابل وعدم قيامها:

ويكون إذا فُغت من قِواعة هذا السفر أنك تربط به حجراً وتطرحة إلى وسط الفوات.

وتقول هكذا تغرق بابل ولا تقوم من الشر الذي أنا جالبه عليها ويعيون.

إلى هنا كلام رميا" [63-64].

تختم نوات رميا بإلقاء السفر في البحر موبوطاً بحجر إشارة إلى دمار بابل التام وعدم قيامها مرة أخرى. هكذا عند مجيء الرب ينحدر عدو الخير وملائكته إلى جهنم ولا تقوم له قائمة، ويعيش أولاد الله يشركون الرب أمجاده الأبدية دون أية مقاومة من عدو! يتحقق ذلك بالنسبة لبابل الأخوة، أي مملكة ضد المسيح، إذ نسمع: "ورفع ملاك واحد قوياً حجراً كوحى عظيمة ورماه في البحر، قائلاً: هكذا بدفع سؤمى بابل المدينة العظيمة ولن توجد فيما بعد" (رؤ 18: 21).

من وحي رميا 51

لتلق ببابلي في نهر النسيان!

❖ على أنهار بابل جلست حزيناً مرّ النفس،

علقت قيثارات حبي على الصفصاف،

وانهلت سغريات العدو علي!

❖ لأسمع صوتك العذب يأمر أعماقي:

اهربوا من وسط بابل فتجروا.

نعم روحك القنوس يحملني من وسط الخطية،

ويقدم لي قيثرات الروح لأعزف عليها.

أنضم إلى صفوف السمائيين،

وأشرك تسابيح الحمد وهتافات التهليل!

❖ أصيب أعماقي بجراحات لا رُجى شفاءها!

أنت طبيب نفسي ولسانها الفريد،

احملني إلى جلعاد الجديدة، كنيسةك الحية،

أنت طبيبي ونوائي، أنت قوتي وتسبحتي،

أنت الكل لي!

❖ هب لي أن ألقى بكأس بابل الذهبي،

ويقه خدعني سنوات هذه عددها،

سكب لي فيه عدو الخير سمًا خفيًا،

أسكرني وقتلني وطرحني في الهلوية!

قدم لي خطية تسحبني إلى أخرى،

سحب أعماقي من دنسٍ إلى دنسٍ،

بلبل أفكري بفلسفات واقة!

❖ عوض كأس بابل الذهبي هب لي إناءك الخرفي!

عوض الخمر الممزوج سمًا،

هب لي ذاتك بلسانًا من جلعاد الجديدة!

أنت طبيب نفسي واهب القيامة للموتى!

أنت البلسان السموي شافي النفوس!

أنت منقذ حياتي من الموت والفساد!

هب لي كأسك الخرفي،

فلا يخدعني وريق الذهب،

بل أنعم بالكنز المخفي،

أعتنى بك،

وأسكر بحبك يا شهوة قلبي!

❖ أعترف لك بخطاياي فتستر عليّ،

تطلب آثامي فلا تجدها،

لأنها مُحيت بدمك الطاهر!

نعم! روحك النزي يحول توابي إلى سماء!

فلا تستطيع بابل أن تخدعني،

ولا تقدم لي كأس الذهب الذي يُسكر كل الأرض!

أقمني سماءً تسكنني أنت أيها القنوس المتواضع!

فلا تقرب كأس كل الأرض إلى شفتي!

بل أشرك كأس آلامك المملوءة حباً!

كأسك كأس البذل، يُعطي النفس اتساعاً ومجدًا!

❖ حوتَ بابل كحجر رحي كما إلى مياه نهر الفوات فلم تعد تُوجد،

صلرت جبلاً محرقاً،

لا يصلح منه حجرٌ لؤلؤية ولا لأساسٍ.

أما أنت فصوت لي حجر لؤلؤية وحجر الأساس،

تحملني بحبك فتجعل مني حوًّا حيًّا متكئًا عليك!

❖ استمع يارب إلى شكواي،

حطم بابل الداخلية، اقتلها،

فقد قتلت أعمامي وحطمت حياتي!

ولتقم أورشليمك في أيها الحياة!

تمم وعودك الإلهية في أيها الأمين!

<<

الأصحاح الثاني والخمسون

ملحق تاريخي

العبرة الأخوة من الأصحاح السابق "إلى هنا كلام رميا" (51: 64) توضح أن نيات رميا قد تمت وأن ما ورد فيما بعد هو ملحق لها.

لم يرد ذكر كاتب هذا الأصحاح، ربما كتبه عزرا، وقد كتب رميا ما جاء في هذا الأصحاح في الأصحاحين (39، 40) [716]؛ وهو يكاد

يكون مطابقاً لوجي العهد (2 مل 24: 18-25، 30)، وما لم يرد هنا جاء في (40: 7، 43: 7).

بسبب التشابه بين ما ورد في هذا الأصحاح وما جاء في (2 مل 24) (ظن البعض أن هذا الأصحاح مقتبس من ملوك الثاني، لكن توجد دلائل

لها وزنها تتناقض هذا [717]:

أ. ورد اسم ملك بابل هنا "توخزاصر"، الاسم الذي كثراً ما استخدمه رميا النبي، بينما استخدم سفر الملوك اسم "توخذنصر".

ب. جاء في هذا الأصحاح ملاحظات لم تود في (2 مل 24، 25)، وهي:

- ❖ جاء في [10] أن نبوخذنصر أمر بقتل كل رؤساء يهوذا في ريلة بينما حُمل صدقيا إلى بابل وسُجن إلى يوم وفاته.
 - ❖ جاء في [19-23] تفاصيل عن أوتات الهيكل المسلوقة لم تود في (2 مل) ولا في وصف مبنى الهيكل في (1 مل 7).
 - ❖ نُكر في [28-30] الترحيلات الثلاث إلى السبي وأعدادها بدقة الأمر الذي لم يرد هكذا في كل الأسفار التلزيخية في العهد القديم.
- جاء هذا الملحق للسفر لتأكيد أن ما تتبأ عنه لرميا قد تحقق فعلاً. كثراً ما تحدث لرميا عن خراب أورشليم والهيكل وسبي يهوذا، الأمور التي قارومها بشدة الأنبياء الكذبة، وسخر منها الكل فيما عدا قلة قليلة جداً، وحسبها الكثيرون أحاديث بشوية تحطم نفسية الشعب والجيش، الآن يعلن الكاتب أن ما كانوا يظنونونه خيالاً صار واقعاً. لقد تحققت، وبدأ السبي القاسي، لكن مع نسمات الرجاء الحيّ في عمل الله وسط شعبه بأن يوردهم إلى بلادهم بعد تأديبهم. أما بالنسبة لأحاديثه عن العودة من السبي، فقد قدم الكاتب ما تم من الملك يهوياكين [31-34] كأول علامة رجاء من أجل المستقبل [\[718\]](#).

- 1 . تمرد يهوذا [1-3].
- 2 . سقوط أورشليم [4-7].
- 3 . محاكمة صدقيا [8-11].
- 4 . خراب أورشليم [12-14].
- 5 . السبي النهائي ليهوذا [15].
- 6 . ترك بقية [16].
- 7 . الاستيلاء على غنى الهيكل [17-23].
- 8 . قتل الكهنة والرؤساء [24-27].
- 9 . الترحيلات الثلاث [28-30].
- 10 . الأيام الأخيرة ليهوياكين [31-34].

1 . تمرد يهوذا:

"كان صدقيا ابن إحدى وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، واسم أمه حميطل بنت لرميا من لبنة. وعمل الشر في عيني الرب حسب كل ما عمل يهوياقيم.

لأنه لأجل غضب الرب على أورشليم ويهوذا حتى طرحهم من أمام وجهه كان أن صدقيا تمرد على ملك بابل [1-3]. صدقيا هو الاسم الملكي أعطي لمتانيا عند تجليسه (2 مل 24 : 17)، الذي أقامه نبوخذنصر حاكماً على يهوذا. صنع صدقيا الشر في عيني الرب، وإن كان ليس هو أشر ملوك يهوذا. أما أسباب دفعه بشعبه إلى الهلاك فهي: أ. خطاياهم أفقدته العون الإلهي.

ب. تمرده على ملك بابل، حانثاً بقسمه أن يبقى موالياً له (2 أي 36 : 13؛ حز 17 : 15، 16، 18) أفقدت الملك ثقته في القيادات اليهودية، إن لم يكن كلها فعلي الأقل أغلبها، خاصة الأسرة الملكية.
ج. غبلؤه وعدم حكمته في التصرف.

د. ضعف شخصيته: سبق أن التقينا مع صدقيا الملك في الأصحاحات 34، 37، 38 كشخصية غير مستوية، لا يصلح كقائدٍ وطني ولا كوكيل لنبوخذنصر، وضع نفسه في المطرقة بين نبوخذنصر وشعبه، ولم يكسب أحداً منهم. يذهب إلى بابل ليجدد ولاءه للملك ثم يعود ليتنود عليه حانثاً بوعده (2 مل 24 : 9). ترة يطالب بتحرير العبيد العوانيين لكي يرفع الله غضبه عنه، وإذ يُرفع الحصار عن أورشليم يستعبدهم من جديد (34 : 18، 16،

21). يحكم على رميا بالسجن منقادًا لرجال قسوه، ثم يذهب إليه ليطلب مشورته أكثر من مرة، مقدمًا له كل وقار!

2. سقوط أورشليم:

"وفي السنة التاسعة لملكه في الشهر العاشر في عاشر الشهر جاء نبوخذ نصر ملك بابل هو وكل جيشه على أورشليم وتلوا عليها وبنوا عليها أراجًا حوالها.

فدخلت المدينة في الحصار إلى السنة الحادية عشرة للملك صدقيا.

في الشهر الرابع في تاسع الشهر اشتد الجوع في المدينة ولم يكن خبز لشعب الأرض.

ففتوت المدينة وهرب كل رجال القتال وخرجوا من المدينة ليلاً في طريق الباب بين السورين اللذين عند جنة الملك والكلدانيون عند المدينة حوالها فذهوا في طريق البرية" [4-7].

تم حصار أورشليم وسقطها من يناير 588 ق.م إلى يوليو 587 ق.م، أي استمر الحصار 18 شهرًا.

3. محاكمة صدقيا:

"فتبعت جيوش الكلدانيين الملك،

فأدركوا صدقيا في بركة أريحا وتفرق كل جيشه عنه.

فأخذوا الملك وأصعوه إلى ملك بابل إلى ربله في أرض حماة،

فكلمه بالقضاء عليه.

فقتل ملك بابل بني صدقيا أمام عينيه،

وقتل أيضًا كل رؤساء يهوذا في ربله.

وأعمى عيني صدقيا،

وقيده بسلسلتين من نحاس،

وجاء به ملك بابل إلى بابل وجعله في السجن إلى يوم وفاته" [8-11].

جاء ما ورد هنا مطابقًا كلمة بكلمة مع (2 مل 24: 18-20)، ويطلق ما جاء في رميا (39: 1-7).

لم يشر النص هنا إلى هروب الملك، وإن كان بقية الأصحاب يلمح إلى هروبه. ربما كان هروبه من باب كان يُعرف باسم "بين الحائطين"، وكان يظن أنه قادر أن يخترق الحصار الكلداني حول المنطقة، لكن استطاع الجيش الكلداني أن يبركه في بركة أريحا (راجع إر 39: 5-7؛ 2 مل 25: 5-7).

(7).

قُد صدقيا الملك للمحاكمة أمام نبوخذ نصر الذي كان ينتظر في ربله برّض حماة، وهي مدينة سوريانية جنوب قادش على نهر العاصي

Orontes. وكان لموقعها أهمية إستراتيجية، إذ تقع في ملتقى الطرق بين مصر وما بين النهرين. كان المصريون هراطين فيها عندما أتى بيهوذا أسوأ

(2 مل). وكما سبق أن قلنا أنه اختار نبوخذ نصر هذا الموقع ليمنع أية معونة أجنبية تتقدم لمساندة يهوذا أثناء اقتحام جيشه أورشليم.

قُتل أبناء الملك وكل رؤساء يهوذا المقبوض عليهم، أما الذين هربوا فوجوا فيما بعد والتوا حول جدليا الوالي (1: 41).

ألقي صدقيا في "السجن"، وكما وي *Hitzig* أن النص العوي يعني "بيت العقوبة" أو "بيت الاصلاح"، حيث أُوِّم صدقيا أن يدور بالطاحونة

كبقية المجرمين، وكما أُوِّم شمشون بذلك (قض 16: 21) ^[719]. وي *Ewald* ذلك متطعًا إلى ما جاء في الروائي: "اخوا الشبان للطحن" (هرا 5:

13) إشارة إلى الملك المسجون ومن معه ^[720].

4 . خواب أورشليم:

"وفي الشهر الخامس في عاشر الشهر وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ نصر ملك بابل جاء نبوخذ نصر رئيس الشوط الذي كان يقف أمام ملك بابل إلى أورشليم.

وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم وكل بيوت العظماء أحرقتها بالنار.

وكل أسوار أورشليم مستدواً هدمها، كل جيش الكلدانيين الذي مع رئيس الشوط" [12-14].

بعد انهيار المدينة بشهر جاء نبوخذ نصر رئيس الشوط ليحرق المباني الهامة مثل الهيكل وقصر الملك، غالباً الذي بناه سليمان الحكيم بعد بناء الهيكل، وقصور العظماء ثم المدينة ككل لتدموها تماماً، وأخيراً دمر الجيش أسوار المدينة لكي لا يبقى رجاء لأحد في عودة الحياة هناك، وبالتالي لن يحدث تمرد ضد بابل.

أحرق الهيكل ودمر مبناه الشامخ الذي يعتز به اليهود حتى يومنا هذا، وقد بقي قائماً 424 عاماً و 3 شهور 8 أيام. لا تزالهم به كان اليهود يملسون صومين أثناء السبي، أحدهما تذكراً لحرق الهيكل والثاني لاغتيا لجدليا الوالي.

5 . السبي النهائي ليهودا:

"وسبى نبوخذ نصر رئيس الشوط بعضاً من قواء الشعب وبقية الشعب الذين بقوا في المدينة والهلبين الذين سقطوا إلى ملك بابل وبقية الجمهور" [14].

6 . توك بقية:

"ولكن نبوخذ نصر رئيس الشوط أبقى من مساكين الأرض كوامين وفلاحين" [16].

توك نبوخذ نصر من رآهم ليسوا بذي قيمة، لأن ذهابهم إلى بابل لن يفيد شيئاً، إذ سبق فسبى كثيرون يعملون ككواميين وفلاحيين، ولم تعد هناك حاجة إلى آخرين في بابل، وبقوهم في يهوذا لن يؤثر، إذ هم عاجزون عن القيام بأية ثورة أو تمرد، لأنهم قواء جداً وضعفاء، شبههم رميا بالنبي باليتين الرديء جداً [24].

7 . الاستيلاء على غنى الهيكل:

"وكسر الكلدانيون أعمدة النحاس التي لببت الوب والقواعد وبحر النحاس الذي في بيت الرب وحملوا كل نحاسها إلى بابل.

وأخذوا القدور والوفوش والمقاص والمناضح والصحون وكل آنية النحاس التي كانوا يخدمون بها.

وأخذ رئيس الشوط الطسوس والمجامر والمناضح والقدور والمناير والصحون والأقداح، ما كان من ذهب فالذهب، وما كان من فضة فالفضة.

والعمودين والبحر الواحد والاثنى عشر ثوراً من نحاس التي تحت القواعد التي عملها الملك سليمان لببيت الرب.

لم يكن وزن لنحاس كل هذه الأتوات.

أما العمودان فكان طول العمود الواحد ثمانى عشرة ذراعاً وخيط اثنتا عشرة ذراعاً يحيط به وغلظه ربع أصابع وهو أجوف.

وعليه تاج من نحاس، ارتفاع التاج الواحد خمس أذرع وعلى التاج حوالية شبكة ورمانات الكل من نحاس.

ومثل ذلك للعمود الثاني والرمانات.

وكانت الرمانات ستاً وتسعين للجانب.

كل الرومانات منه على الشبكة حواليها" [17-23].

استولى الكلدانيون على كل أثاثات الهيكل النحاسية والفضية والذهبية. هذه المرة الثانية التي يفعلون فيها ذلك. الأولي سنة 597 ق.م. حيث حملوا بعض الأتوات، خاصة الذهبية والفضية (إر 27: 16؛ 2 مل 24: 13)، والثانية أغلبها من النحاس حيث حُملت أغلب الأتوات الذهبية والفضية قبلاً، وقد قام الشعب بتصنيع أتوات جديدة للهيكل خلال هذه السنوات العشرة.

8 . قتل الكهنة والرؤساء:

وأخذ رئيس الشرط سوايا الكاهن الأول وصفنيا الكاهن الثاني وحلسي الباب الثالثة.
وأخذ من المدينة خصياً واحداً كان وكيلاً على رجال الحرب،
وسبعة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجبوا في المدينة،
وكتاب رئيس الجند الذي كان يجمع شعب الأرض للتجدد،
وستين رجلاً من شعب الأرض الذين وجبوا في وسط المدينة.
أخذهم نبوزرادان رئيس الشرط وسار بهم إلى ملك بابل إلى ريلة.
فضربهم ملك بابل وقتلهم في ريلة في أرض حماة.
فسبى يهوذا من أرضه" [24-27].

اختار نبوزرادان شخصيات لها وزنها ليأخذهم إلى الملك في ريلة فيحكم عليهم كيفما وى. وهم:

- ❖ سوايا حفيد حلقيارئيس الكهنة في أيام يوشيا (1 أي 6: 13-15)، ابنه يوصادق والد يشوع رئيس الكهنة عند إعادة بناء الهيكل بعد السبي (عز 5: 2، حج 1: 1).
- ❖ صفنيا ربما الذي أشير إليه في (29: 24-32؛ 37: 3).
- ❖ حلسو الباب الثلاثة، وهم كهنة نوررتب عالية ربما كانوا حلسي الهيكل.
- ❖ الخصي الوكيل على رجال الحرب، وهو رجل مدني يهتم بشئون رجال الحرب ربما كوزير الدفاع.
- ❖ السبعة رجال الذين ينظرون وجه الملك، وهم مشيروه الذين وافقونه باستمرار وبتق في مشورتهم.
بقوله ضربهم ثم قتلهم يعني قام بتعذيبهم قبل قتلهم.

9 . الترحيلات الثلاث:

"هذا هو الشعب الذي سباه نبوخواصر في السنة السابعة.

من اليهود ثلاثة آلاف وثلاثة وعشرون.

وفي السنة الثامنة عشرة لنبوخذنصر سبى من أورشليم ثمان مئة واثنان وثلاثون.

في السنة الثالثة والعشرين لنبوخذنصر سبى نبوزرادان رئيس الشرط من اليهود سبع مئة وخمسة وأربعين نفساً.

جملة النفوس أربعة آلاف وست مئة" [28-30].

جاءت الحسابات هنا على النظام البابلي حيث لا تُحتسب السنة الأولى من تولى الملك عرشه مادامت لم تبدأ باليوم الأول من السنة، أي تكون

كسواً من السنة.

المرحلة الأولى للسبي سنة 7/598 ق.م في السنة السابعة لنبوخذنصر (حسب الحسابات البابلية يبدأ الحساب في بدء السنة الجديدة الكاملة أي

سنة 604 ق.م.) عدد المسبيين 3023 شخصًا، بينما في (2 مل 24: 14-16) العدد 18.000 ، ربما لأنه يذكر هنا الذكور الناضجين أو المتوردين، وفي سفر الملوك التعداد الكامل.

المرحلة الثانية سنة 6/587 ق.م. في السنة الثامنة عشرة من ملك نبوخذنصر حسب النظام البابلي، والسنة التاسعة عشرة في (2 مل 25: 8) حسب النظام العوي؛ أيضًا عدد المسبيين 823 صغير جدًا، يمثل غالبًا الذكور الناضجين أو المتوردين، ولأن كثيرين قُتوا.

المرحلة الثالثة والأخوة التي فيهِت أُقيم جدليا واليا، عدد المسبيين 745 شخصًا.
وى البعض أن عدد المسبيين في هذه العواحل الثلاث والبالغ 4600 رقم صغير جدًا.

10 . الأيام الأخيرة ليهواكين:

"وفي السنة السابعة والثلاثين لسبي يهواكين في الشهر الثاني عشر في الخامس والعشرين من الشهر رفع أويل مرووخ ملك بابل في سنة تملكه رأس يهواكين ملك يهوذا وأخرجه من السجن.
وكلمه بخير،

وجعل كرسية فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل.

وغير ثياب سجنه،

وكان يأكل دائما الخبز أمامه كل أيام حياته.

ووظيفته وظيفة دائمة تُعطى له من عند ملك بابل أمر كل يوم بيومه إلى يوم وفاته كل أيام حياته" [31-34].

السنة السابعة والثلاثون لسبي يهواكين هي عام 561 ق.م؛ في ذلك الحين مات نبوخذنصر وتولى الحكم ابنه أويل مرووخ *Evil-Marduk*.

اسمه بالأكادية هو "Amel" ميل "مروخ"، ويعني "رجل مروخ"، لكن مع تلاعب خفيف في الحروف يصير بالعربية *ewil - Marduk* ، وتعني كلمة *ewil* شخصًا غيبًا. حكم لمدة قصوة 561 - 560 ق.م.، حيث اغتاله زوج أخته رجل شواصر وخلفه على العرش (560-556 ق.م).

إذ مات الملك الشيخ نبوخذنصر وقد حمل ذكريات سيئة عن ملوك يهوذا حيث تعهد الملك صدقيا بقسم أن يخضع له سوعان ما تعود عليه، لذل كانت نظوته لملوك اليهود أنهم غير أهل للثقة. إذ مات الملك وجاء ابنه قدم معاملة أفضل للأسوة الملكية اليهودية، فقام باخراج يهواكين من السجن وتكريمه بمناسبة توليه الحكم حيث يقدم الملك أعمالاً حرة، فصنع هذا المعروف بعد أن قدم يهواكين ولاءه للملك الجديد.

عاش يهواكين في السجن 37 عامًا، منذ عام 597 ق.م وكان في البداية يتطلع إليه رجال يهوذا إنه الملك الشوعي ليهوذا. كما يتطلعون إلى صدقيا كنائب لملك بابل وحاكم غير شوعي ليهوذا. ولكن إذ سُبى يهوذا نهائيًا وحُرقت المدينة بهيكلها وقصورها، ولم يعد هناك إلا فئة معدمة، لم يعد هناك خوف من تكريم يهواكين في بابل، فقد استقر اليهود المسبيون في بابل كمن هم في وطنهم، وصلت لهم أعمالهم الحرة، لهذا أخرج الملك يهواكين من السجن وكُرم وحُسب ذلك معروفًا قُدّم لكل اليهود المسبيين المستقرين هناك.

وى بعض الدارسين أن يهواكين عمل في السجن معاملة حسنة.

ماذا يعني بـ "الملوك الذين معه" ؟ربما قصد الملوك الذين أخرجهم الملك من السجن مع يهواكين وأقلامهم ولادة، أو قصد بذلك الولاة المساعدين لملك بابل.

حُتم السفر بهذا الحدث لتأكيد عمل الله العجيب حتى في السبي، وإن التحرر من السبي ليس مستحيلًا على الله. لقد خرج يهواكين من السجن وقد قلب الثمانين من عوره. عاش زمانًا في الضيق، لكن يدّ الله تعمل في الوقت المناسب لتكريمه.

محتويات الجزء الأول

سفر كل عصر

مقدمة في سفر رميا:

رميا النبي وظروف الكتابة، قائمة تاريخية بعضر رميا، الملوك المعاصرون لإرميا، غرض السفر: 1. الحاجة إلى التوبة، 2. إصلاح القلب الداخلي، 3. الله هو سيد التاريخ، 4. الله وشعبه، دور النبي في كتاباته، ممزات السفر، تأثره بهوشع النبي، سفر رميا من الناحية اللغوية، مصر وبابل في سفر رميا، رميا في العهد الجديد، المسيا في سفر رميا، أقسام السفر.

دعوة رميا ورسالته

الباب الأول: الدعوة للخدمة

مقدمة، اواك الدعوة الإلهية، اتساع القلب بالحب، اتضاع النفس، شجاعة الخادم، الاختفاء في كلمة الله، الأمانة في العمل.

الباب الأول: نوات ما قبل سقوط أورشليم "مع الوعد بالرجوع من السبي" (إر 2-33)

الأصحاحات 2-6: عتاب في الأذن

الأصحاح الثاني: سرّ الخصومة

فضائلها الأولى، موكها لديه، عدم إهماله لها، عدم امتثالها حتى بالأمم، سرّ ضعفها، ثمار خطاياها.

الأصحاح الثالث: الله يطلب عروسه

العريس يطلب مطلقة الزانية، خطة إلهية لعودتها، طريق التوبة، بركات الرجوع إلى الله.

الأصحاح الرابع: زينة العروس

التوبة وسيلة الترين، التمتع بختان القلب، ترك الأنبياء الكذبة، اواك خطة الله وقبول التأديب، قبول الأنبياء

الحقيقيين، الشبع والاستنارة، ترك البر الذاتي.

الأصحاح الخامس: سرّ التأديب

لم يجد بينهم بلًا واحدًا، لم يقبلوا التأديب الأولى، أساعوا استخدام عطايها، قبلوا كلمات المخادعين، فقوا البصيرة

الداخلية، اصطنأوا الآخرين، تجاوبوا مع إرادة الشر.

الأصحاح السادس: اقْتَاب التَّأْدِيب

العدو على الأبواب، شر أورشليم هو السبب، أذنتهم غلفاء، تركهم طويق الآباء، تقدماتهم بلا طاعة، أصولهم على الشر.

الأصحاحات 7-10 : عتاب علني في باب بيت الرب

الأصحاح السابع: تقديس البيت الداخلي

تساييح بلا عمل، عبادة بلا قداسة، عدم الامتثال بشيئوه، طلب صلوات الغير بدون التوبة، تقدمات وذبائح لله والأوثان معاً، موثاة على رفض الله بيته، موثاة على رفض الله شعبه.

الأصحاح الثامن: شكلية في حفظ الشريعة

الخلط بين كلمة الله والعبادة الوثنية، حفظ الشريعة بدون التوبة، حفظ الشريعة بدون ثمر الروح، الحاجة إلى المسيح الكلمة.

الأصحاح التاسع: موثاة على الجميع

بكاء النبي الدائم، عدم مبالاتهم بحالهم، انشغلوا بالمكر، صلوا في فواغ، رفضهم الشريعة، الدعوة لاقامة موثاة على صهيون، الله واهب الحكمة والمعونة، الدينونة بلا محاباه.

الأصحاح العاشر: العودة إلى الله

توك الوثنية الباطلة وقبول الإله الحق، الخروج عن الأرضيات، قبول تأديبات الرب.

الأصحاحات 11-20 : صواع لرميا النبي

الأصحاح الحادي عشر: العهد المكسور

كسر العهد الإلهي، ما لحبيبتني في بيتي؟!، إعتراقات لرميا.

الأصحاح الثاني عشر: أعداء في الداخل

لماذا تُنَجح طويق الأثوار؟، كوياء الأردن، تدمير موثا الله، تدمير جوان يهوذا.

الأصحاح الثالث عشر: مثلاً المنطقه والزق الممتلئ خوراً

منطقه من كتان، مثال الزقاق الممتلئ خوراً، دعوة للتوبة، ثمار الشر.

الأصحاح الرابع عشر: التأديب بالقحط والحاجة إلى مياه الروح

القحط والتطلع إلى العصر المسماني، القحط ودعاء الشعب، مسئولية الأنبياء الكذبة، حوار بين الله والنبي.

الأصحاح الخامس عشر: الشفاعة المرفوضة

الشفاعة المرفوضة، التأديب، انهيار نفسية لرميا إلى حين، الله يسند نبيه، سبي الشعب، تغريات وسط الآلام، الله يشدد

لرميا النبي.

الأصحاح السادس عشر: منعه من الزواج

حياة لرميا برآة لحياة الشعب، اعوّال الحياة اليومية، خروج جديد، الوح بالخلص المسياني.

الأصحاح السابع عشر: خطايا يهوذا

الخطية المحتلة للقلب، الإتكال على نواع بشر، القلب نجيس!، الارتباط بالأرضيات، الله مخلصنا منها، كسر السبت.

الأصحاح الثامن عشر: مثل الفخري

لرميا والفخري المحب، الفخري المؤدب، الرغبة في الخالص من لرميا.

الأصحاح التاسع عشر: مثل الإباء الخرفي

رسالة أمام شوخ الشعب وشوخ الكهنة، خروجه إلى وادي ابن هنوم، رسالة صريحة عن خطاياهم، تأديبهم، كسر الإيق الخرفي، وقوفه في دار بيت الرب.

الأصحاح العشرون: مقاومة فشحور له

لرميا في المقطرة، فشحور المرتعب، نار محرقة في قلب لرميا، مقاومة الناس ومساندة الرب، تسبحة وسط الآلام، لحظات ضعف بشري.

محتويات الجزء الثاني

الأصحاحات 21-33 "نوات ما قبل السقوط"

الأصحاح الحادي والعشرون: قيادة جاحدة

الملك صدقيا، الملك صدقيا يطلب مشورة لرميا، إجابة لرميا: الله نفسه ضد يهوذا، نصيحة: الخضوع للتأديب الإلهي!، الحاجة إلى التوبة، أورشليم تؤله نفسها.

الأصحاح الثاني والعشرون: حاجة الملك إلى التوبة

حديث صويح مع يهوآحاز، اجروا حقًا وعدلاً، لا تبكوا ميئاً، الاعتداد بالذات (يهوياقيم)، ثرة العصيان، تحطيم يهوياكين (كنياهو).

الأصحاح الثالث والعشرون: الرب راعينا وبننا.

نوات مملوءة رجاءً، ويل للرعاة الأنايين، أنا رعى غنمي، الرب بنا، خروج جديد، نوات ضد الأنبياء الكذبة.

الأصحاح الرابع والعشرون: سلّتا التين.

ماذا وراء الرؤيا؟، رؤيا سلّتى التين، التين الجيد، التين الوديء.

الأصحاح الخامس والعشرون: كأس خمر السخط

تزيخ النوة، تأكيد الدمار، مدة الدمار، ملخص النوات ضد الأمم، قضاء الرب للمسكونة.

الأصحاحات 26-29 حوار لرميا مع الأنبياء الكذبة

الأصحاح السادس والعشرون: عظة الهيكل ونتائجها

لرميا في دار بيت الرب، القبض عليه ومحاكمته، صعود الرؤساء إلى بيت الرب، لرميا يحنّهم من سفك دمه، الرؤساء والشعب ضد الكهنة والأنبياء.

الأصحاح السابع والعشرون: نيا لروح القدس بابل
تحذير لوسل الملوك الغرباء، نصيحة لصدقيا لملك، حديث مع الكهنة والشعب.

الأصحاح الثامن والعشرون: لرميا يقف ضد حننيا

كلمات حننيا الكاذبة، لرميا يعلق على كلماته، حننيا يكسر النير الخشبي، الله يقيم نوراً حديدياً، لرميا يقف ضد حننيا.

الأصحاح التاسع والعشرون: رسالة إلى المسبيين

رسالة إلى المسبيين، رسالة إلى شمعياء، رسالة من شمعياء إلى صفيان، رسالة إلى المسبيين.

الأصحاحات 30-33 سفر تغرية "العودة وقيام مملكة يهوذا"

الأصحاح الثلاثون: عودة مجيدة

مقدمة لسفر التغرية، كلثة يعقوب وخلصه، شفاء جراحات صهيون، إصلاح يعقوب، اورك مقاصد الله.

الأصحاح الحادي والثلاثون: العهد الجديد

وعود لكل عشائر شعبه، عودة إسواثيل إلى أرضه، نهاية حزن راحيل، إصلاح إسواثيل ويهوذا، العهد الجديد، رباط لا

ينحل، أورشليم الجديدة.

الأصحاح الثاني والثلاثون: شواء أرض أثناء السبي

شواء الأرض، رد الفعل للشواء، إجابة الله عليه، أمجاد الإصلاح المسماني.

الأصحاح الثالث والثلاثون: أورشليم... أنشودة فوح!

السماء قابلة الصلوات، أورشليم الحصينة، أورشليم المتمتعة بالشفاء والسلام، أورشليم وغوان الخطايا، أورشليم... أنشودة

فوح، أورشليم موعى الراعي الصالح، أورشليم وكوسي داود، أورشليم والعمل الكهنوتي، الأمانة في العهد.

الأصحاح الرابع والثلاثون: العبودية عوض الحرية

رسالة حول مصير صدقيا، قطع العهد والحنث به، عهد الله معنا وعهودنا مع الناس.

الأصحاح الخامس والثلاثون: موقف الركابيين الأمان

مقدمة في الركابيين، لرميا يختبر أمانة الركابيين، عدم أمانة الشعب، البقية المقدسة.

الأصحاح السادس والثلاثون: كلمة الرب لا تفنى

كتابة روح السفر، اعلان عن الصوم، قواء للرؤساء، حرق الوج، النسخة الثانية من الوج.

الأصحاح السابع والثلاثون: صدقيا يستشير لرميا

ملك صدقيا، صدقيا يلجأ إلى لرميا، رفع الحصار، نبوته عن استئناف الحصار، القبض على لرميا، طرحه في الجب،

إطلاق لرميا، لرميا يطلب رحمة.

الأصحاح الثامن والثلاثون: لرميا في الجب

المطالبة بقتل لرميا، لقاء لرميا في السجن، عبد ملك الكوشي ينقذ لرميا، لقاء سوري مع الملك، نوبة عن رحمة مشروطة،

صدقيا يخشى الرؤساء، بقاء لرميا في الحبس.

الأصحاح التاسع والثلاثون: سقوط أورشليم في السبي

سقوط المدينة، أسر صدقيا، سبي الشعب، العناية بلرميا، رسالة إلى عبد ملك.

الأصحاحات 40-45 خوات لرميا ونوباته بعد خواب أورشليم

الأصحاح الأربعون: لرميا مع جدليا في أورشليم

قرار لرميا، جدليا الحاكم، الكشف عن مؤامرة ملك بني عمون.

الأصحاح الحادي والأربعون: اغتيال جدليا والي أورشليم

مصوع جدليا، فظائع أخرى، سبي البقية وإطلاق سواها.

الأصاح الثاني والأربعون: قد خدعتم أنفسكم!

طلب مشورة الله، لميا يسأل الله، اليهود يعدون بالطاعة، الوسالة الإلهية: بركة مشروطة، لعنة العصيان.

الأصاح الثالث والأربعون: حمل لميا إلى مصر قسوا

الذهاب إلى مصر ، التنوء بغزو مصر .

الأصاح الرابع والأربعون: نواته في مصر

موجز الأحداث ، التنديد والمحاكمة، الود المخزي للبقية، رسالة لميا الأخيرة.

الأصاح الخامس والأربعون: حديث مؤي مع باروخ

تزيخ الحديث ، حالة احباط، رسالة رجاء.

إر 46-51 نوات عن الأمم

الأصاح السادس والأربعون: رتعاب مصر الوثنية

دعوة إلى معوكة، رتعاب مصر، كوياء مصر، يوم للسيد الرب، سقوط مصر، قضاء مصر، سبي وخراب، تعمير مصر،

إصلاح إسوايل الجديد.

الأصاح السابع والأربعون: سيف الرب على الفلسطينيين الوثنيين والقوات المتحالفة معهم

نوات ضد الفلسطينيين ، نوات ضد صور وصيدا.

الأصاح الثامن والأربعون: نوات ضد موآب

الله الحيّ ضد كموش، دعوة للهروب، خراب موآب، حيثيات الحكم، موآب على موآب، الغزو البابلي، هروب موآب،

إصلاح موآب

الأصاح التاسع والأربعون: نوات ضد الأمم

بنو عمون البننت الموتدة، آدم المتشامخ، سوريا الهلبة الموتدة، قيذار فاقدة الخيام، حاصور مسكن بنت لوي، عيلام

صاحب القوس المنكسر

الأصاح الخمسون: سقطت، سقطت أساسات بابل!!

الغزو الفرسي، تجميع إسوايل، الغزو، عودة إسوايل، قضاء على بابل، ضيق مشترك ، قضاء عاجل، قضاء مستقبلي،

غزو عاجل.

الأصاح الحادي والخمسون: اهربوا من بابل!

ريح مهلكة، الله لن ينسى شعبه، اهربوا من وسط بابل، بابل كأس ذهب، حواحات لا تُشفي، نصيب يعقوب، عصا الرب

للتأديب، حرمان من حجر الواوية، جاء وقت الحصاد، شكوى إسوايل، الله ينتقم لشعبه، اخجروا من وسطها، الحكم، أمر بالعودة

إلى المقدس، نهاية السبي البابلي، قواة النوات في بابل، سقوط بابل

الأصاح الثاني والخمسون: سبي يهوذا

تعود يهوذا، سقوط أورشليم، محاكمة صدقيا، خراب أورشليم، السبي النهائي ليهوذا، ترك بقية، الاستيلاء على غنى الهيكل،

قتل الكهنة والرؤساء الترحيلات الثلاث، الأيام الأخيرة ليهوياكين.

- [1] In Jer. hom. 1: 4.
- [2] New Westminster Dict. of the Bible, p. 457.
- [3] NIV Bible Study, p. 1115.
- [4] John Bright: The Anchor Bible, Jeremiah, 1986 p. XXXVI.
- [5] Boyd's Bible Handbook, 1983, p. 286.
- [6] John Guest: The Communicator's Commentary, Jeremiah, Lamentations, 1986, p.18.
- [7] Unger's Survey of the Bible, 1981, p. 191.
- [8] Interpreter's Concise Commentary, vol. 4 The major Prophets, 1983, p. 18.
- [9] Peak's Comm. On the Bible, London 1920, p. 475
- [10] Collegeville Bible Comm., 1989, p. 453.
- [11] Henerietta Mears: What the Bible is all about, 1987, p. 198.
- [12] Hallay's Bible Handbook, 1992, p. 309.
- [13] William Holladay: Jeremiah 1, Philadelphia 1986, p. 4.
- [14] In Jer. hom 1: 1.
- [15] Ibid 1: 3.
- [16] See A New Catholic Comm., p. 602.
- [17] Collegeville, p. 456-7.
- [18] Ibid., 454.
- [19] Boyd's Bible Handbook, p. 286.
- [20] Cf. J.A. Thompson: The Book of Jeremiah, Michigan 1981, p. 81f. (New International Comm. on the NT.).
- [21] J. Muilenburg: A Study in Hebrew Rhetoric: Repetition and Style, VI, Supplement I, Copenhagen 1953, p. 98 f.
- [22] Lundbom: Patterns of Poetic Balance in the Book of Jeremiah, Chicago 1967, p. 69 (Research).
- [23] The Jerome Biblical Comm. , 1970, p. 304.
- [24] Exposition of the Christian Faith.
- [25] Ep. 24: 2.
- [26] Lect. 12: 26.
- [27] In Jer. hom. 1: 5 ترجمة جاكين سمير كوستي
- [28] In Jer. hom 1: 11.
- [29] J.A. Thompson, p.145.
- [30] In Jer. hom 1: 8. ترجمة جاكين سمير كوستي

[31] Ibid 1: 10.
[32] The Collegerille Bible Comm., P. 458.

[33] De Sacerdotis 6: 4.

[34] Oration 1: 1.

[35] Pastoral Rule 1:1 7.

[36] Duties of Clergy 1: 17.

[37] In Jerm. hom. 1: 7.

[38] R. Davidson: Jeremiah, vol 1, Philadelplia, 1983 p.12.

[39] In Jerm. hom. 1: 13.

[40] Ibid.

[41] St. Cassian: Confer. 18: 13.

[42] In 1 Cor. Hom. 19.

[43] الدسقولية، باب 3.

[44] الحب الرعى، 1965، ص 687.

[45] العرجع السابق، ص 700،701.

[46] العرجع السابق، ص 689.

[47] In Jerm. hom 1: 14.

[48] On Ps. 51: 11.

[49] Conf. 14: 3.

[50] Cat. Myst. 2: 4.

[51] Oratione 40: 4.

[52] Adv. Luc. F. 6.

[53] In Jer. hom. 1: 6.

[54] In Jer. hom. 1: 7.

[55] In Jer. 1: 14.

[56] In Jer. hom. 1: 15.

[57] Ibid 1: 16.

[58] كلمة "غنوسى" مأخوذة عن اليونانية، وتعنى "صاحب معرفة". للتعرف على البدع الغنوسية راجع كتابنا: آباء مدرسة الإسكندرية الأولون، 1980 .

[59] العرجع السابق، ص 160.

[60] In Exod. hom. 9: 4.

[61] cf. Thompson, p. 154.

[62] On Ps. hom. 34

[63] وى بعض الدالسين أن النبي يتحدث في هذه الأصحاحات عن غزو السكيثيين ليهودا، بينما وى آخرون أنه يتحدث عن الكلدانيين.

[64] Robert Davidson: Jeremiah, vol 1, Philadelphia 1983, 21-23.

[65] John Guest: The Communicator's Commentary, Jeremiah, p.35.

[66] In Til. hom. 3.

[67] Adv. Haer., 3: 24: 1.

[68] Unity of the Church, 11.

[69] Ep 69: 1 (Oxford 70: 1).

[70] On Ps. hom. 25.

[71] Of the Holy Spirit, 1: 7.

[72] Duties of the Clergy, 3: 28.

[73] In Ps. hom., 92.

[74] Ambrose: Flight from the world, 9: 52.

[75] Sermon 103: 2.

[76] Isaac or the soul, 1: 1.

[77] In Num. hom.12.

[78] Ep. 108: 14.

[79] Paschal Letter 7.

[80] Cassian: Conf. 23: 9.

[81] In Gen. hom. 2: 6.

[82] In Jer. hom., 2: 1.

[83] On Ps. 56.

[84] On John, tr 80: 1; In Ps.80.

[85] Cat. Lect. 13: 29.

[86] In Rom. hom. 14.

[87] In Jer. hom 2.

[88] Ibid 3 (modified).

[89] In Jer. hom. 3.

[90] Source Christienne.

[91] Banquet of 10 Virgins 4: 6.

[92] In Exod. hom. 8: 5.

[93] Banquet of Ten Virgins 6: 1.

[94] In Hebr. hom. 15: 7.

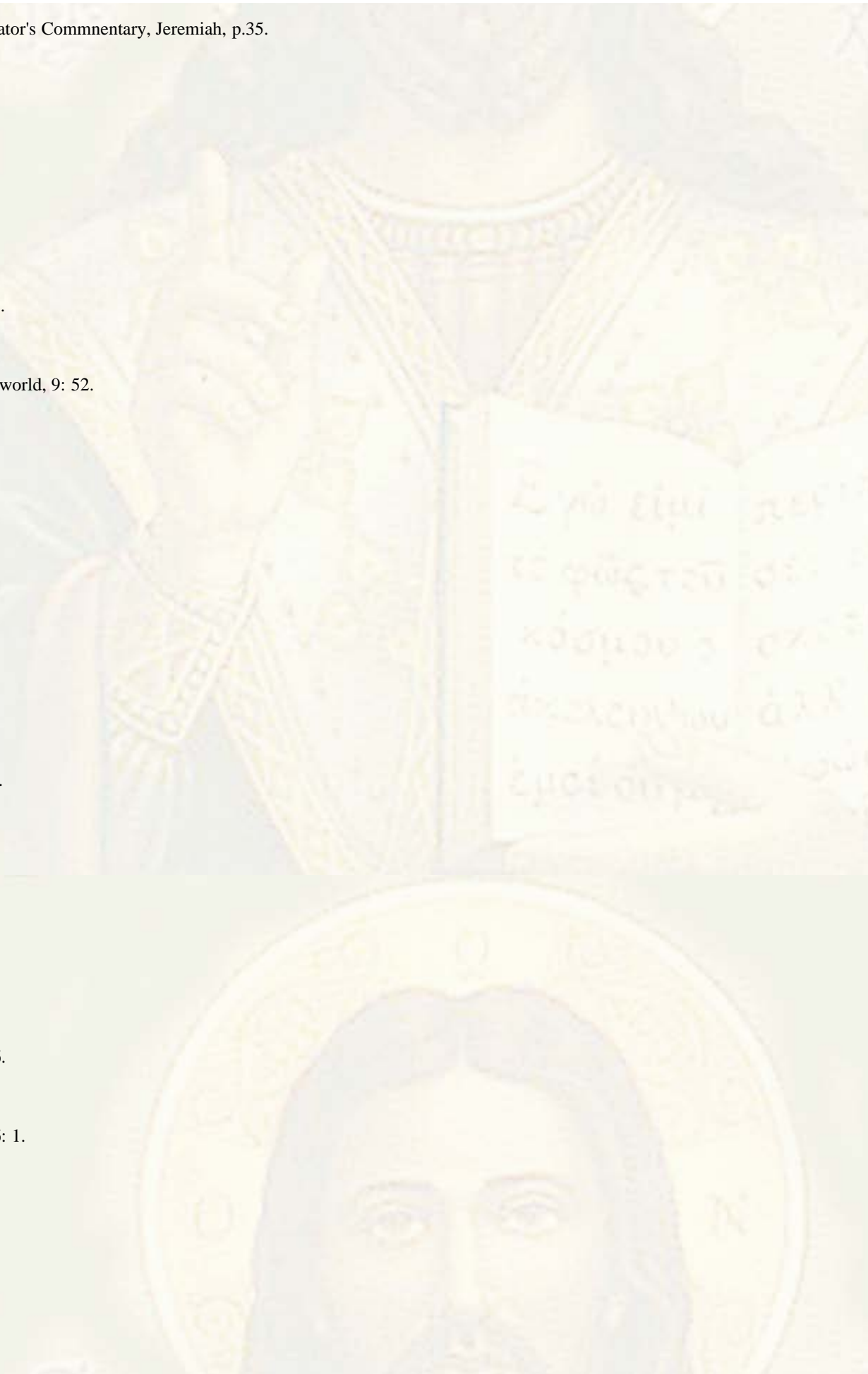
[95] In Joan. hom. 74: 1.

[96] In Jer. hom. 4: 1.

[97] In Jer. hom. 4.

[98] Ibid 4: 2-6.

[99]



Ep. to Theodore 1: 15.

[100] In Matt. hom. 67: 4.

[101] Ibid 3: 5.

[102] Against Pelagians: Prologue.

[103] للمؤلف: الحب الرعى، 1965، ص 308.

[104] راجع: القديس كيريانوس: التوبة، ترجمة القمص تادرس يعقوب ملطى.

[105] Ep. 41: 3.

[106] In Jer. hom. 5: 1,2.

[107] جاء في 2 مكابيين 48: 2 أن لميا النبي خبأ تابوت العهد والمذبح في كهف لدى تدمير المدينة والهيكل.

[108] See In Jer. hom. 5: 3.

[109] In Jer. hom. 5: 5.

[110] Ibid 5: 6.

[111] Ibid 5: 7.

[112] Ibid 5: 8, 9.

[113] Ibid 10.

[114] Resisting the Temptation of the Deirl, hom. 2: 6.

[115] In 1 Cor., hom. 11.

[116] In Ps. 50 (51).

[117] Cassian: Confer. 13:8.

[118] In Jer. hom. 5:11.

[119] Ibid 5:12.

[120] In Jerm.hom. 5:12.

[121] Sermons on N.T, hom. 23:3.

[122] On Statues 4:2.

[123] In Jer. hom.. 5:13.

[124] Paschal Letter, 3.

[125] Of the Work of Monks 12.

[126] In Jer. hom. 5:14.

[127] Ibid 5:14.

[128] In Jer. hom.5.

[129] Ibid.

[130] Cassian: Conf. 13:9.

[131] Ibid 7:5.

[132] In Joan Hom., 13:3.

[133]

In John. hom. 73:3.

[134] Stromata 6:8.

[135] Ibid.

[136] Ibid. 7:1.

[137] In Jer. hom. 6:1.

[138] Ibid 6:2.

[139] Ibid.

[140] Ibid 6.

[141] Ibid 6:3.

[142] Ibid 6:3.

[143] In Gen. hom. 5:4.

[144] Paschal Letter, 2.

[145] In Jer. hom. 7:1.

[146] In Jer. hom. 7:1, 2.

[147] In Exod. hom. 13:4.

[148] Ibid 7:3.

[149] Adv. Haer. 3: 19:1.

[150] In Exod. hom. 8:6.

[151] In Gen. hom. 3:5.

[152] St. Jerome, On Ps, hom. 42.

[153] St. Jerome, Ep 54:11.

[154] Paschal Letters, 2.

[155] مناظرات كاسيان 11:6.

[156] Cf. John Guest: The Communicator's Commentary, vol. 17, Texas 1988, p. 72-3.

[157] St. Jerome: Epistle 58:3.

[158] St. John Chrysostom: Conc. Stat. 17:11.

[159] In Matt. hom. 5:7, 8.

[160] In 2 Thess, hom. 5.

[161] In 1 Cor. hom. 8:8.

[162] Paschal Letters, 12.

[163] Ibid.

[164] On Prayer, 8:3.

[165] Epis. of Barnabas, 2.

[166] St. John Chrysostom. In 1 Cor., hom. 8:8.

[167]

cf. The New International Comm. on the Old Testament, The Book of Jeremiah, michigan 1981, p.293.

[168] Paschal Letters, 2, 3.

[169] Paschal Letters, 2.

[170] The New Bible Commentary, Michigan 1970, p. 634.

[171] The Old Testament Library: Jeremiah, by Robert P. Carrol, Philadelphia 1986, p. 225; William L. Holladay: Jeremiah 1, Philadelphia 1986, p. 271.

[172] cf. New International Commentary on the Old Testament, Jeremiah, p. 300.

[173] للمؤلف: مناظرات يوحنا كاسيان، طبعة 1967، ص 315.

[174] St Chrys. On Exhort to Theodore 1:7.

[175] On Matt. hom., 26:7.

[176] In 1 Cor 23:6.

[177] In 1 Cor. hom. 23.

[178] Letters to the Fallen Theodore, 1:7.

[179] Ep 44:1.

[180] Cassian: Cof. 13:7.

[181] Tert. On Repentance 8.

[182] للمؤلف: الحب الإلهي، ص 730 الخ.

[183] Concerning Statues 12:6.

[184] The New Bible Commentary, p. 634.

[185] اشتهرت جلعاد شرقى نهو الأردن بالبلمس الذي يستخدم كواء (تك 25:37).

[186] Ep. 46:5.

[187] St. Basil. Ep 243:4.

[188] St. Chrysostom: An Exh. to Theodore 1:1.

[189] Ep 122:2.

[190] Poem 31:407.

[191] John Guest: The Communicator's Conntentary p.88.

[192] cf. R.C. Clements: Jeremiah, 1988, p.60.

[193] Paschal Letters 9.

[194] Pastoral Rule 3:11.

[195] Cassian: Conferences, 23:1.

[196] Ibid 16:18.

[197] In Eph. hom. 14.

[198] The Ascetic Homiles, 48.

[199] Ibid.

[200]

In Loc. PL 24:744.

[201] On Psalm 122.

[202] St. John Chrysostom: Concerning Statues, 2.

[203] St. Jerome: On Psalms, hom., 51.

[204] St. Jerome: Epistle 22:26.

[205] Epistle 22:6.

[206] St. Gregory Naz.: Preliminary Disc. against Eunomious, 7

[207] In Gen. hom. 3:2.

[208]

توشيش: هذا الإسم غالباً مشتق من كلمة "شش"، وُجدت في اللغة الأكادية مرتبطة بالمعادن الواقعة ومنتجات المناجم، لهذا اشتهر هذا الإسم بمعنى تكرير المعادن.

وى العلامة أوريجينوس أن كلمة توشيش تعنى بحراً أو تأملاً في الفوح أو جمالاً، وقد رُاد يونان النبي أن يقول إليها، أي إلى بحر حكمته البشوية وجمالها والفوح بها عوض الطاعة للوصية الإلهية الصعبة الخاصة بخلاص أهل نينوى (راجع كتابنا عن سفر يونان).

شعب توشيش جاء عن يوان (تك 10: 4)، ويُعتقد أنها ترتبوس الواقعة في جنوب أسبانيا قرب جبل طرق، ولعلها هي قرطاجنة المدينة الواقعة شمال غرب أفريقيا. كانت غنية جداً بالمعادن كالفضة المطرقة، والمصنوعة ألوأحاً (إر 10: 9) والحديد والقصدير والرصاص. إن كانت شبا وددان تمثلان التجارة في الشرق، فإن توشيش تمثل التجارة في الغرب، لهذا جاء في حزقيال النبي: "شبا وددان وتجار توشيش وكل أشبالها يقولون لك: هل لسلب سلب أنت جاء؟! هل لغنم غنيمه جمعت جماعتك لحمل الفضة والذهب؟! لأخذ الماشية والقنينة لنهب نهب عظيم؟! (38: 13).

[209] Cat. Lect., 3:5.

[210] De Baptismo, 2.

[211]

ميمر عن المعمودية.

[212]

أي أن موطن النفس كان في الله، ثم بسقوطها جاءت في جسد الفساد.

[213]

"السماء المنبسطة" بين الخير والشر تتمثل في كلمات الحكمة التي تمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر.

[214] In Jer. hom. 8:1,2.

[215] In Jer. hom. 8:3,4.

[216]

جاء في الرسالة الأولى والثانية إلى أهل تسالونيكي: "بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة التسالونيكين".

[217]

وى العلامة أوريجينوس أن الحياة السماوية سوف تحمل درجات بحسب استحقاق كل واحد ومشاركته للسيد المسيح، وسيكون هناك تقدم مستمر من درجة إلى أخرى.

[218] Ibid 8:4-6.

[219] Ibid 8:7.

[220] Ibid.

[221] R.E. Clements: Jeremiah, Atlanta 1988, p.73.

[222] Ibid 73-75.

[223] In Jer. hom. 9: 1, 2.

[224] St. John Chrysostom: In Gal. ch. 3.

[225] Four Discourses Against the Arians, 2: 4; Epist. 59 ad Epictetum; De Synodis, 45.

[226] Of the Christian Faith, 5, 14, 178.

[227]

نحن نعلم أن "مصر" تمثل بالنسبة لأوريجينوس "هذا العالم" أو "الحياة المظلمة في هذا العالم".

[228] In Jer. hom. 9: 2.

[229]

تسبحة الثلاثة فتيمة 27 .

[230]

- On Prayer, 3,: 14.
- [231] In Jer. hom. 9: 2,3.
- [232] Ibid 9: 4.
- [233] In hom. hom 14.
- [234] cf. William Holladay: Jeremiah, vol. 1, p. 358 ff.
- [235] In Jer. hom. 10: 1
- [236] cf. William Holladay: Jeremiah, vol. 1, p. 372.
- [237] In Jer. hom. 10: 1
- [238] Ibid 10: 2.
- [239] Ibid 10: 3.
- [240] On Prayer, 8: 2.
- [241] In Jer. hom. 10: 4,5.
- [242] In Jer. hom. 10: 5.
- [243] In Jer. hom. 10: 6.
- [244] In Jer. hom. 10: 7.
- [245] In Jer. hom. 10: 8.
- [246] In Jer. hom. 11: 1,2.
- [247] In Jer. hom. 11: 3.
- [248] William L Holladay: Jeremiah, vol. 1, p. 396.
- [249] cf. J.A. Thompson: The Book of Jeremiah, Michgan 1981, p. 364-5.
- [250] J. Bright: Jeremiah, N.Y. 1986, p. 94.
- [251] Serm. on N. T. 28:2.
- [252] In Matt. hom. 56:2.
- [253] On Ps. hom 45.
- [254] St. Jerome: On Ps. hom. 26. (see Com. on Jer. PL 24:769; Epist. 7:3 PL 22:340.
- [255] In Jer. hom. 11:5.
- [256] Simil. 9:16.
- [257] De Baptismo 1.
- [258] Ep. 1 ad Serap. 4.
- [259] Adv. Eunom. 5.
- [260] J. Bright: Jeremiah, N.Y. 1986, p. 94.
- [261] Holladay, p.397.
- [262] R. K. Harrison: Jeremiah and Lemantations (The Tyndale Old Testament Comm.), 1973, p. 99.
- [263] cf. Thompson, p. 366.
- [264] In Jer. hom. 12:1,2.
- [265] Celements: Jeremiah, p. 86.

- [266] In Jerem. 12:3,4.
[267] Ibid 12:5,6.
[268] In Jerem. 12:7,8.
[269] Ibid 12:9-12.
[270] In Num. hom. 15.
[271] In Jer. hom. 12:9-12.
[272] In Num. hom. 12.
[273] In Jer. hom. 12:13.
[274] In Exod. hom. 12:3.
[275] Holladay, p. 410.
[276] Holladay, p. 409.
[277] On Ps. hom. 3.
[278] John Guest: Jeremiah, p. 116-7.
[279] J. Bright: Jeremiah, 1965, p. 95.
[280] cf. John Bright: Jeremiah (The Anchor Bible, vol. 23), p. 102; Thompson: Jeremiah, p. 379.

[281] راجع كتابنا: حزقيال، 1993، تفسير الاصحاح 47، ص 426.

- [282] Holladay: Jeremiah, vol.1, p. 431.
[283] PG 46:416 c.
[284] In Col. hom.6.
[285] In 1 Cor. hom., 7:2.
[286] In Matt. hom. 12:1.
[287] John Bright: Jeremiah, p. 101.
[288] St. Cassian: Conf. 21:14.
[289] Holladay, p. 634-5.

[290] تفسير مزمو 47(46).

- [291] Holladay, Jeremiah, vol.1, Philadelphia 1986, p. 439.
[292] Thompson: The Book of Jeremiah, p. 387.
[293] On Ps 49 (48).
[294] On Ps 48, no. 4.
[295] On Lazarus and the Rich Man, Sermon 3.
[296] Ibid 4.
[297] On Prayer, 13:2.

[298] المؤلف: الحب الإلهي، الإسكندرية 1967، ص 43.

- [299] R.E. Clements: Jeremiah, Atlanta 1988, p. 95.

- [301] In Jer. hom. 13:1,2.
[302] In Jer. hom. 13:3.
[303] In Jer. hom. 14:5.
[304] In Jer. hom. 14:1.
[305] In Jer. hom. 14:5.
[306] In Jer. hom. 14:1.
[307] In Jer. hom. 14:3, 4.
[308] In Jer. hom. 15:1-3.
[309] In Jer. hom. 14:6.
[310] In Jer. hom. 15:1-3.
[311] In Jer. hom. 14:7.
[312] In Jer. hom. 14:8.
[313] In Jer. hom. 14:9,10.
[314] In Jer. hom. 14:11.
[315] In Jer. hom. 14:12,13.
[316] John Guest: Jeremiah, p 129.
[317] In Jer. hom. 14:14.
[318] In Jer. hom. 14:15.
[319] In Jer. hom. 14:16.
[320] In Jer. hom. 14:16.
[321] In Jer. hom. 14:17.

[322] 12 . المؤلف: الحب الرعى ص 473، 474.

- [323] In Jer. hom. 14:18.
[324] In Jer. hom. 14:18.
[325] In Gen. PG 53:36 D - 37A.
[326] In Matt. PG 58:715 A-B.
[327] The Sixth Instruction, 19.
[328] In 1 Cor. hom. 3:9.
[329] In Acts. hom. 18.
[330] In Matt. hom. 78:3.
[331] Journal of Biblical Literature 85, 401-435.
[332] Thomposon, Jeremiah, p. 404.
[333] Holladay, p. 469.

[\[334\]](#) المؤلف: حوقيال، 1993، ص 248-249.

[\[335\]](#) للمؤلف: إشعيا، 1990، ص 120.

[\[336\]](#) St. Jerome: Ep. 22:20, 21.

[\[337\]](#) Thompson, p. 404.

[\[338\]](#) Holladay, p. 470.

[\[339\]](#) Ibid.

[\[340\]](#) Thompson, p. 405.

[\[341\]](#) De Vaux: Ancient Israel, p. 59-60; Holladay, p. 471.

[\[342\]](#) Thomposon, p. 408.

[\[343\]](#) In Jer. hom. 16:1.

[\[344\]](#) In Jer. hom. 16:2.

[\[345\]](#) In Jer. hom. 16:3-4.

[\[346\]](#) Thomposon, p. 411.

[\[347\]](#) In Jer. hom. 16:5.

[\[348\]](#) St. Aug. harm. of gospels 1:26.

[\[349\]](#) In Jer. hom. 16:8.

[\[350\]](#) In Jer. hom. 16 9.

[\[351\]](#) In Jer. hom. 16:10.

[\[352\]](#) Holladay: Jeremiah, vol. 1, p. 495.

[\[353\]](#) Holladay, p. 487-8.

[\[354\]](#) R.E. Clements: Interpretation, Jeremiah, Atlanta 1988, p.104.

[\[355\]](#) In Gen. hom. 2:3.

[\[356\]](#) Sermons on New Testaments Lessons, 46:2.

[\[357\]](#) In Jer. hom 15:5.

[\[358\]](#) On Continece, 10.

[\[359\]](#) On Ps. 37.

[\[360\]](#) City of God, 15:18.

[\[361\]](#) On Christian Doctrine, 1:22.

[\[362\]](#) Enchiridion 114.

[\[363\]](#) On the Lapsed, 17.

[\[364\]](#) Holladay: Jeremiah, vol. 1, p. 495.

[\[365\]](#) R.E. Clements, Jeremiah, p. 107.

[\[366\]](#) On Matt. hom. 29:2.

[\[367\]](#) In Matt. hom. 29:2.

[368] Paschal Letters, 6.

[369] قاموس الكتاب المقدس: (مجمع الكنائس في الشرق الأدنى)، ص 293،294 .

[370] Holladay, p. 498-9.

[371] Cf. St. Hyppolutus: Treatise on Antichrist, 55.

[372] Against Eunomius, 12:1.

[373] In Exod. 1:5.

[374] In Jer. hom. 17.

[375] الحيوانات (أريجينيوس).

[376] In Jer. hom 17:1.

[377] In Jer. hom. 17:2.

[378] In Jer. hom. 17.

[379] In Jer.hom. 17:3.

[380] In Jer. hom. 17:4.

[381] In Jer. hom 17:4.

[382] In Jer. hom.17.

[383] In Jer. hom. 17:5.

[384] Sermons on New Testaments Lessons, 11:2.

[385] In Jer. hom. 17:6.

[386] In Matt. hom. 11.

[387] On Ps. hom. 2.

[388] In Jer. hom. 17:6.

[389] St. John Cassian: Conferences.

[390] Ibid.

[391] Holladay, p. 510.

[392] رسالة يوناياس 15: 6-7.

[393] De Principiis 4:3:2.

[394] City of God, 22:30.

[395] للمؤلف: المسيح في سفر الأفلستيا، 1973، ص 225 .

[396] On Ps. hom. 21.

[397] In Jer. hom. 18:2.

[398] In Jer. hom. 18:1.

[399] In Jer. hom. 18:3.

[400] Cassian: Confer. 4:5.

[401] Methoduis: Banquet of 10 Virgins, 3:5.

[402]

On Resurrection, 1:6.

[403] Instructions to Catechumens, 4.

[404] In Jer. hom. 18:4.

[405] In Jer. hom. 18:5.

[406] Conc. Statues hom. 5:16.

[407] In Jer. hom. 18:6.

[408] De verb Habents.

[409] De mut. nom. PG 51:143.

[410] Ad pop. PG 49:66,67.

[411] On the Statues, hom. 5:16.

[412] Tertulian: Adv. Marcion, 2:24.

[413] In Jer. hom. 18:8.

[414] In Jer. hom. 18:8.

[415] None can injure a man unless he injures himself, 2.

[416] Epistle 46:3.

[417] Holladay, Jeremiah, p. 523.

[418] Conc. Virgin. 1:5.

[419] In Jer. hom. 18:9.

[420] Cassian: Conference 2:24.

[421] In Jer. hom. 18:10.

[422] Thompson, Jeremiah, p. 440.

[423] Thompson: Jeremiah, p. 448.

[424] The Ninth Instruction.

[425] John Guest: Jeremiah, p. 151.

[426] Holladay, Jeremiah, vol. 1, p. 539.

[427] Josephus: Wars of the Jews 6:3-4.

[428] Thompson, p. 452; J.A. Wilson: The Culture of Ancient Egypt, 1951, p. 56-58.

[429] In Jer. hom. 19:12.

[430] أى أن الذين لا يأخذون من نوات لميا سوى الجانب الحرفى، يفعلون مثل فشحور الذى ألقى النبى فى الجب السفلى.

[431] In Jer. hom. 19:13.

[432] Cf. Holladay: Jeremiah, p. 543-4.

[433] City of God 16:26.

[434] Paschal letters, 2:3.

[435] Thompson: Jeremiah, p. 455.

[436]

The Prayer of Job and David 5: 20.

[473]

Strom. 4: 26.

[474]

See Thompson: Jeremiah, p. 487.

[475]

Institutes 4: 38.

[476]

Thompson: Jeremiah, p. 489.

[477]

Holladay, Jeremiah, vol. 1, p. 620; 4 Q Flor 1.11; Q Bless 1.3-4.

[478]

325.

George F. Moore, Judaism in the First Centuries of the Christian Era, The Age of Tannaim, Cambridge, Harvard University; 1950-59, 2:

[479]

Thompson: Jeremiah, p. 490.

[480]

In Matt. hom. 54: 8.

[481]

R. E. Clements: Jeremiah, Atlanta 1988, p. 140; Thompson, Jeremiah, p. 493.

[482]

Holladay, Jeremiah, vol. 1, p. 628.

[483]

St. Cyprian: Ep. 39 (Oxford 43: 5).

[484]

St. Cyprian on the lapsed, 27.

[485]

John Bright: Jeremiah, p. 152; Thompson: Jeremiah, p. 498.

[486]

St. Iraeneus: Adv. Haer.

[487]

St. Chrysostom: In Matt. hom., 54: 8.

[488]

Letter to the Fallen Theodore 1: 8.

[489]

Stromata 2: 2.

[490]

St. Augustine: in Joan. 36: 8.

[491]

St. Gergory Naz.: On his father's silence, 16.

[492]

On Prayer 10: 2.

[493]

In Gen. hom. 1: 7.

[494]

In Gen. hom. 12: 1.

[495]

St. Jerome: Ep., 122: 3.

[496]

The Collegeville Bible Comm., p. 466.

[497]

C. F. Keil. Jeremiah, Lamentations (Comm. on the Old Testament, vol. 8, p. 369.).

[498]

Thompson: Jeremiah, p. 511.

[499]

Paschal Letters 6.

[500]

المؤلف: المسيح في سر الافخارستيا، ص 379، 441.

[501]

In Joan. hom. 46.

[502]

In Heb. hom. 16: 7.

[503]

On Ps. 126.

[504]

Letter 18 a: 6.

[505]

Keil, p. 381.

[506]

Thompson: Jeremiah, p. 517.

[507]

Keil, p. 390.

[508]

Thompson: Jeremiah, p. 523.

- [545] St. Jerome, Against Jovinianus 1: 32.
- [546] The Prayer of Job and David, 4: 3: 11.
- [547] In Luc. Serm. 133.
- [548] Tertullian: An Answer to the Jews 3.
- [549] Tertullian: Adv. Marcion 4: 1.
- [550] St. Clem. Alex: Exhort. 11.
- [551] Stromata 6: 51.
- [552] Funeral Oration on Meletius
- [553] St. Chrysostom: In 2 Tim. hom. 2.
- [554] E.W. Nicholas: Jeremiah 26-52, p.79.
- [555] St. Chrysostom: Concerning Statues, 19: 11.
- [556] Thompson: Jeremiah, 589.
- [557] Thompson: Jeremiah, p.588.
- [558] On Ps. hom 8
- [559] Cassian: Conference 3: 18.
- [560] Thompson: Jeremiah, p. 598
- [561] St. Augustine: On Ps. 9.
- [562] On Ps. 9.
- [563] T. Bethany Parallel Comm. on O.T., p. 1609 (Adam Clarke).
- [564] 170 نصًا عن حياة القداسة: 37.
- [565] توجيهات منتخبة عن أحاديثه الأخوي 8.
- [566] مقالتان عن لنا موس الروحي، 7.
- [567] Paidagogos 1: 2: 6.
- [568] Paidagogos 1: 2: 6
- [569] I lid 1: 6: 41.
- [570] Ibid 1: 6: 41, 42.
- [571] Thompson, Jeremiah, p. 601
- [572] Stromata 4: 25.
- [573] Stromata 7: 7.
- [574] R.K. Harrison: Jeremiah and Lamentations, Illinois 1973, p.145.
- [575] New Westminster Dict. of the Bible, 1969, p. 546; Unger's Bible Dict., 1966, p. 639.
- [576] Thompson: Jeremiah, p.608.
- [577] See J. Bright: A History of Israel, p. 329; M.Noth: The History of Israel, p. 284.
- [578] Westminster Dict of the Bible, p 81; Unger's Bible Dict. , p. 111.
- [579] قدّمنا نفسواً آخر للأصحاح الخامس عشر في كتاب: "التكوين".
- [580] Thompson, p. 613; W.F. Albright: Archiology of Palestine, 1960, p. 160.
- [581] Cassian: Conferences 21: 4.

- [582] Thompson: Jeremiah, p. 620; D. Wiseman: Chronicles of Chaldaen Kings, p. 69.
- [583] See Thompson, p. 620.
- [584] Cf Thompson: Jeremiah, p. 623.
- [585] المؤلف: زمور 119 . [غنى كلمة الله ولذتها].
- [586] المرجع السابق.
- [587] Antiq. 10: 9: 1.
- [588] Josephus: Antiq. 10: 9: 1.
- [589] St. Jerome: On Isa. 30: 6,7.
- [590] Syriac Apoc. Baruch 2: 1: 5: 5.
- [591] Ibid 6: 7.
- [592] The Jewish Encyclopedia, vol 2, p. 548.
- [593] Ep. 31: 2.
- [594] المؤلف: زمور 119 . [غنى كلمة الله ولذتها].
- [595] للمؤلف: مز 119 [غنى كلمة الله ولذتها].
- [596] Cf. Buhm: Das Buch Jeremiah, 1910, p. 310.
- [597] للمؤلف: مز 119 [غنى كلمة الله ولذتها].
- [598] Thompson, Jeremiah, p. 643.
- [599] Cf. Thompson: Jeremiah, p. 636-7.
- [600] Hom, 54 on Ps. 143 (144).
- [601] Comm. on Song, book 2: 1.
- [602] الكلمة العبرية كالعربية تعني "عبد للملك" وليس للملوك.
- [603] Comm. on Song, book 2: 1.
- [604] زجل اسم سومري معناه "ملك المدينة العظيمة"، وهو إله الشمس عند البابليين، وكان يُوصف بالقوة والقدرة على التدمير مثل اشعة الشمس المحرقة (2 مل 30: 17). وكان زجل أيضاً إله الحرب وسيد العالم الآخر، وهو مثل ملرس في العالم الروماني.
- [605] Pastoral Rule 3: 19
- [606] Letter 7.
- [607] Against Jovinanus 1: 33.
- [608] Keil, p. 131. أنه ليس من الضروري أن يكون من دم ملوكي، فقد يكون أحد الأثواف الملكيين، أي من طبقة الأثواف الذين كانوا في خدمة الملك (Keil) وى
- [609] See K. Kenyon: Archaeology in the Holy Land, London 1960, p. 390; Thompson, Jeremiah, p. 653.
- [610] W.F. Albright: From the Stone Age to Christianity, 1946, p 246; G.E. Wright: Biblical Archaeology, London. 1962, p 177-9.
- [611] Keil: Jeremiah, p. 130.
- [612] Keil: Jeremiah, p. 136.
- [613] المؤلف: الحب الأخرى 1964، ص 397.
- [614] المرجع السابق ص 398، 399.
- [615] المرجع السابق ص 401.
- [616] المرجع السابق ص 404.
- [617]

المرجع السابق ص 407.

- [618] Keil: Jeremiah, p. 136.
- [619] Keil: Jeremiah, p. 136.
- [620] Derek Kindner: The Message of Jeremiah, p. 131.
- [621] Ibid 132.
- [622] Unger's Bible Dictionary, 1966, p. 1068
- [623] Ibid 132.
- [624] Thompson, p. 672.
- [625] A New Catholic Commentary on Holy Scripture, Nelson 1969, p. 621.
- [626] Bethany Parallel Commentary on the Old Testament, p. 1628 (Adam Clarke).
- [627] E.G. Krealing (Buttrick: Interpreter's Dictionary of the Bible, vol. 2, p. 83-5.)
- [628] In Rom. hom. 14.
- [629] History 2: 161-63, 196; 4: 159.
- [630] O. Eissfeldt: The Old Testament; An Introduction, 1965, p. 354.
- [631] R.K. Harrison: Jeremiah and Lamentation, Illinois 1973, p. 169.
- [632] الحب الرعى، ص 198، 199.
- [633] Derek Kidner: The Message of Jeremiah, Illinois 1990, p. 137.
- [634] In Num. Hom. 11: 14.
- [635] On Ps. 83.
- [636] Derek Kidner: The Message of Jeremiah, Illinois 1990, p. 137.
- [637] راجع للمؤلف: إشعياء، ص 139.
- [638] راجع تفسير لميا 22: 8.
- [639] Thompson: Jeremiah, p. 692.
- [640] Thompson, p. 692.
- [641] R.K. Harrison: Jeremiah and Lamentations, Illinois 1973, p. 173.
- [642] Derek Kidner: The Message of Jeremiah, p. 140 - 1.
- [643] للمؤلف: القديس يوحنا الذهبي الفم، 1980، ص 318-321.
- [644] On Ps. Hom 15.
- [645] PL. 25: 240.
- [646] للمؤلف: حزقيال، 1993، ص 259.
- [647] On Ps. hom. 34.
- [648] بستان الرهبان، ص 441.
- [649] Josephus: Antiquities 10: 9: 7.
- [650] Bethany Parrallel Commentary on the Old Testament, p. 1634.
- [651] Bethany, p. 1634.
- [652] Paschal Letters, 3.
- [653] The Detailed Canons, Question 41.

- [654] Pastoral rule, 3: 25.
- [655] Cassian: Conference, 20: 8
- [656] Sermon On N.T. Lessons, 6: 9.
- [657] المطران أبيفانيوس: الأمانى الذهبية من مقالات اكليل القديس يوحنا ذهبي الفم، 1972، ص 49.
- [658] Thompson: Jeremiah, P. 716.
- [659] Thompson: Jeremiah, P. 716
- [660] Ep. 22: 8.
- [661] Fawzi Zayadine: Recent Excavations on the Citadel of Amman (Annual of the Dept. of Jordan, 17, 1973, p. 17 -53).
- [662] للمؤلف: إشعيا، 1990، ص 308.
- [663] Thompson: Jeremiah, P.721.
- [664] R.K. Harrison: Jeremiah and Lamentations, p. 181.
- [665] See Harrison, p.181.
- [666] Hom. 30 on Ps. 103 (104).
- [667] للمؤلف: إشعيا، 1990، ص 191، 192.
- [668] In Josh. hom 14: 2.
- [669] Thompson: Jeremiah, p. 731.
- [670] Augustine: Homilies on Psalms: Ps 26.
- [671] حاولت بعض الطوائف تأكيد أن بابل الوانية هي البابلية الرومانية وأن هناك سيكون مركز الدجال، لكن كثراً منهم نفوا هذا الفكر. ونحن لا نجد لهذا الفكر مكاناً.
- [672] See Comm. on Song of Songs: Prolog.
- [673] Letter 21: 11
- [674] Sermon 132: 4.
- [675] Sermon LI: 1. (translated by Jakline Samir Kosta).
- [676] Ibid.
- [677] Ibid.
- [678] Ibid
- [679] Ibid.
- [680] Ibid.
- [681] Ibid.
- [682] Ibid.
- [683] Ibid.
- [684] Ibid,2.
- [685] Ibid.
- [686] Ibid.
- [687] Ibid.
- [688] Ibid.
- [689] Ibid.
- [690] Ibid, 2, 3.

- [691] Ibid, 3.
[692] Ibid, 4.
[693] Ibid, 5,6.
[694] Thompson: Jeremiah, p.747.
[695] Sermon LII: 1.
[696] Sermon LII: 1.
[697] Sermon LII: 1.
[698] Sermon LII: 2.
[699] Ep. 108: 32.
[700] Sermon LII: 3.
[701] Sermon LII: 4.
[702] Sermon LII: 5.
[703] Sermon LII: 6.
[704] Hom. 11 on Ps. 77 (78).
[705] St. Jerome: On Ps. hom. 11.
[706] Hom. 62 on Ps 82 (82).
[707] Sermon LII: 7-11.
[708] مناظرات يوحنا كاسيان 31: 7.
[709] Joseph 3: 17
[710] Gregory the Great: Pastoral Care 3: 13.
[711] Sermon LII: 12.
[712] Hom. 73 on Ps. 96 (97).
[713] Ibid
[714] Dahe's Annotated Reference Bible, p. 797.
[715] راجع تفسير إر 26: 25.
[716] Bethany Parallel Comm. on Old Testament, p.1648.
[717] Keil: Jeremiah, p.322.
[718] Thompson: Jeremiah, p. 774.
[719] Keil, p. 324.
[720] History of the People of Israel III, p. 748, (edition2).

[i] *St. Jerome: Ep. 31:3.*

[ii] *The Bethany Parallel Comm. of the O.T., 1985, P. 1584.*